صفحة

من مذكرات مؤسس الهلال

من السوق الى المدرسة

[الهلال] رأينا أن نفتتح هذه السنة من الهلال بصفحة من مذكرات مؤسس الهلال. وقد سبق لنا ان ذكرنا أنه رحمه الله دون مذكرات عن حداثته وشبابه لم تنشر بعد فاخترنا منها الفصل التالي وفيه يصف تصميمه على تعلم الطب ودخول الكلية الاميركية وما تخلل ذلك من العقبات والحوادث وما انتابه في تلك الاثناء من المشاعر والانفعالات النفسية

... و ما زلت أزداد بذلك كله رغبة في طلب العلم حتى حدثت والدي بفكري فقال « افعل ما تراه موافقاً لك » ولما علمت والدتي بعزمي على ذلك كادت تجن من الفرح وشجعتني كثيراً ولكنني كنت لا أجد وسيلة للخروج من دكان والدي لان خروجي قد يأول الى سد باب الرزق على أهلي . وفكرت في ما أرجوه من الثمرة اذا تعلمت العلوم فوجدت اني لا أقدر أن أشتغل بغير التعليم فاذا خرجت من المدرسة العلمية أقدر ان أعلم براتب ٢٠٠ قرش أو ٣٠٠ وهي ذات قيمة في ذلك العهد لكنني تراجعت وأخذت أفكر في وسيلة فضلى ورأيت أكثر معارفي من تلامذة الطب فقلت « ولماذا لا أدرس الطب فاذا قضيت مدة التعلم خرجت طبيباً وهي صناعة أعيش بها أنا وأهلي » فلما خطر لي هذا الفكر فرحت كثيراً وأنا أجهل ما ينبغي ان أعرفه قبل دخول الطب . وكنت قد طالعت شيئاً من كتاب سر النجاح الذي نقله الدكتور صروف الى العربية فهاج فيّ النشاط والهمة . قلت اني طالعت بعضه لاني لم استطع الاتيان على آخره لفرط ما كنت أتأثر من مطالعة سير الرجال الذين نالوا العلى بجدهم واجتهادهم واعتمادهم على أنفسهم وفيهم الحلاق والاسكاف والصانع والخادم فنبغوا بجدهم وسهرهم الى مصاف الرجال العظام فكنت اذا قرأت بضع صفحات هاجت شعاري ولم أعد أستطيع الرقاد ولا الصبر . ولما كنت اجد نفسي مقيداً كان يغلب عليّ الاسف وتنقبض نفسي فاترك الكتاب. ولا أزال الى الآن لم أتم قراءته

فلما خطر لي ان آتي العلم عن طريق الطب لما فيه من المصلحة المادية فضلاً عن

الادبية قصصت فكري هذا على صديقي ش ... فقال نسأل صديقنا البارودي [١] فاجتمعت به مرة في جمعية شمس البر وعرضت عليه فكري وسألته اذا كنت أريد أن اتعلم الطب كم يلزم لي من الوقت والدراهم. ففكر ونظر اليّ وهو يستغرب اقدامي على هذا الامر الخطير وقال ان طالب الطب ينبغي له أن يتعلم علوماً استعدادية يقضي لدرسها بضع سنوات غير اللغة الانكليزية والعربية . فسألته عن العلوم الاستعدادية فقال هي الفلسفة الطبيعية والجبر والهندسة والحساب واللغة والنحو واللغة الانكليزية ـ هذه العلوم يقدم بها الطالب امتحاناً يوم طلبه الدخول أول السنة فاذا جازها دخل الطب فيبقى فيه أربع سنوات فاذا جاز امتحاناتها كلها والامتحان الشفاهي أخذ شهادة المدرسة . فاعظمت عدد هذه العلوم وفيها ما لم أسمع باسمه بعد كالجبر والهندسة فقد كانت اسماء مجهولة عندي وأما الطبيعيات فكنت قد رأيت كتباً بها وان كنت لم أفهم منها الا شذرات قليلة . غير أن اندفاعي لطلب العلم كان يهون عليّ كل عسير . فسألته اذا اراد مثلي أن يدرس العلوم الاستعدادية كم يقتضي له من الوقت فقال أنها تدرس في المدرسة الكلية في سنتين ان يكون مجتهداً وان كثيرين بعد هاتين السنتين يقضون مدة الاجازة في الدرس وقد لا يجيزون الامتحان

فلما قال لي ذلك كدت اثني عن عزمي ولكنني كنت شديد الثقة بنفسي في ما يحتاج الى جلد واجتهاد فقلت أليس لي سبيل الى تعلم هذه العلوم في غير المدرسة باختصار ؟ قال يمكن ولكنها تحتاج الى كتب ومعروضات وعمليات ولا بد من قضاء الوقت اللازم لدرسها . وقد يستعين بعضهم بدرسها على أساتذة خارجيين في بيوتهم

وكنا يومئذ في اواخر المدة المدرسية وستعطي المدرسة الاجازة الصيفية . فقلت ألا تظن ان الانسان اذا اجتهد يقدر أن يتعلم هذه العلوم في أثناء فرصة الصيف ويقدم الامتحان في أول السنة المدرسـية القادمة . فنظر اليّ وضحك استخفافاً بهذا الرأي وقال ذلك مستحيل لاني أعرف ثلاثة قضوا سنتين في درس هذه العلوم الاستعدادية ولم يجدوا في انفسهم كفاءة لتقديم الامتحان فهم يدرسون في هذه الفرصة ايضاً تتميماً لما يطلب منهم فكيف وانت لم تدرس في مدرسة ولا لك علم

قلت دعنا نجرب ذلك . قال جربه

قلت بشرط أن يكون المعلم اسكندر استاذي في تلقي هذه العلوم ـ لاني كنت

---

(١) هو الدكتور اسكندر البارودي من أفاضل أطباء بيروت

أؤانس فيه ذكاء وأسلوباً حسناً في التفهيم

فقال اظنني خارجاً من بيروت في هذا الصيف واذا بقيت اعطيتك الدروس على طاقتي - قال ذلك من قبيل التنشيط وهو لا يعتقد أني أقدر عليه

ثم سألته عن النفقات اللازمة لسني المدرسة فاخبرني ان الدفع عشر ليرات عثمانية للتعليم دون الاكل وغير أثمان الكتب ومصاريف أخرى . ومع علمي اني لا أملك من هذه الدراهم قرشاً هممت على العمل وشاورت والدي فلم يراجعني ولا تسل عن فرح والدتي عندما ذهبت تلك الليلة وأخبرتها بهذا العزم ففرحت وشجعتني كثيراً وهي تعلم اني لا أملك شيئاً أدفعه للمدرسة ولا انا أطلب من والدي واني كنت عازماً أن أنفق على نفسي في المدرسة من عمل أتعاطاه لا أعرف ما هو الى ذلك الحين. فقالت لي وكم الدفع في المرة الاولى أي القسط الأول . فقلت لها سبع ليرات عثمانية قالت عندي هذا المبلغ كنت أجمعه من النحاسة والنحاستين أعطيك اياه لا تحمل هماً اجتهد واتكل على الله . فكان لكلام والدتي تأثير كبير في نفسي

ولكني قبل كل شيء أخذت في درس العلوم الاستعدادية على المعلم اسكندر فلقيت في الاسبوع الاول والثاني صعوبة كادت تثني عزمي اذ اني لم أفهم مصطلحات تلك العلوم . أما بعد الاسبوعين فصرت أرى ذلك سهلاً فكنت آتي كل يوم لآخذ الدرس من بيتنا في الاشرفية الى منزل البارودي في رأس بيروت في أيام الصيف وفي ابان الحر بعد الظهر الساعة الثالثة . فلم أكن ابالي بالتعب بل لم أكن أعرف التعب فدرست درساً كثيراً في مدة قليلة ولم يمض الشهر الاول وبعض الثاني حتى خلصنا من المقادير المطلوبة من العلوم التي ذكرناها ومعلمي يزداد رغبة في تعليمي لما وجد عندي هذا الاجتهاد . فلما فرغت من المطلوب زادني فوق مايطلب واثنى مرة على اجتهادي وانا لا أدري أن هذا يسمى اجتهاداً . فاخبرني ان احد الثلاثة الذين ذكر لي أنهم درسوا سنتين وهو الان يدرس هذه العلوم نفسها على أساتذة في أثناء الفرصة لم يبلغ مع كل ذلك الى نصف ما وصلت انا اليه فشكرت اطراءه

ولما فرغ الشهر الاول من التعلم تقدمت الى المعلم اسكندر أن يخبرني عن الاجرة لادفعها اليه . فقال اصبر الى أن تنتهي المدة . فلما انتهت المدة وآن وقت الامتحان سألته عن الاجرة فقال دعها الى حين تقدم الامتحان وثم نرى . فادركت من هذا انه لا ينوي أخذ الاجرة الا اذا جزت الامتحان ودخلت الطب فلما آن يوم الامتحان

وجزته واعطاني الاساتذة اجازة الدخول للمدرسة الطبية هرولت الى منزل المعلم اسكندر وكان في انتظاري على النافذة ليراني قبل دخولي من الباب فلما وقع نظره عليَّ سألني بالاشارة فاخبرته اني جزت الامتحان ونجحت ففرح ودخلت عليه فرأيت فرحه لا يقل عن فرحي . وعند ذلك سألته عن الاجرة فاخذ يعاطلني وقال لي ان فرحي بنجاحك اكثر من فرحي بالدراهم وابى أن يأخذ أجرة وطبعاً عزمت أن اعوض عليه ذلك ولكنني لا أنسى فضله ومحبته

وقد استفدت من عشرة المعلم اسكندر فائدة اخلاقية كانت لي عوناً كبيراً في مستقبل حياتي . استفدت منه المحافظة على الوقت فاني كنت أراه شديد المحافظة عليه ونظراً لمنزلته عندي فقد كان هو المثال لي في حركاتي وسكناتي فاعجبني منه المحافظة على الوقت فقد كان ونحن ندرس الدرس اذا تركني احل مسئلة جبرية التفت الى كتاب كان يترجمه واشتغل فيه فربما ترجم سطرين او ثلاثة أو صفحة بدلا من أن يجلس بدون شغل بينما أتم عملي فاقتبست هذه الفضيلة منه وأفادتني كثيراً

وشعرت بنفسي بعد أن تعلمت الطبيعيات والرياضيات وفهمتها انني انتقلت الى طور جديد او كأن غشاوة كشفت عن بصراني وتنبهت فيَّ قوة القياس والحكم فبعد أن كنت أقلد الآخرين في حركاتي وأفكاري لا أقول قولا أو أبدي رأياً الا اذا سمعت غيري يفعل ذلك فاقلده فيه أصبحت ولي نظر في الاشياء وبدأت أحكم نظري وابدي رأياً من عند نفسي والفضل في ذلك للعلوم الطبيعية والرياضية معاً فانها تعود العقل على الحكم الصحيح المبني على الاسباب المترابطة

ولحسن حظي أني في دور التقليد لم انجح في تقليد رفاقي الاولين في الرذائل . فقضيت دهراً بينهم وأنا حزين لعجزي عن تقليدهم فلما تعرفت الى ش . . . ورفاقه رأيتني قادراً على تقليدهم فقلدتهم في الحسنات ونجحت . ولعل هذا هو أصل المثل القائل « ابعث ابنك الى السوق وأنظر من يعاشر » وهو يخالف المثل الآخر « ان العشرة الرديئة تفسد الاخلاق الحسنة » لان الانسان في اعتقادي يولد وفيه أميال لا يرتاح في المعاشرة الا الى الذين يوافقونه على أمياله فالشاب الذي تفسده العشرة يكون فيه ميل الى الفساد من خلقته وقد يعاشر الصالحين فلا يستفيد منهم . . .

جرجي زيدان

ميراث الحرب

وما كلفت البشر من الضحايا

اعتماداً على اصح المصادر

ليس في طوق أحد معرفة الآثار الدائمة التي تخلفها الحرب . فمع ان الحرب الكبرى قد انتهت (بغض النظر عما هو ناشب الآن من الحروب الثانوية الشأن) فانها لا تزال تفعل فعلها العظيم في احوال العمران البشري وربما انقضى هذا الجيل قبل ان تستقر حالة العالم على قرار

ولئن كان من الصعب الوقوف على آثار الحرب البعيدة من الوجهات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الى غير ذلك من المباحث التي تستغرق المجلدات الضخمة فمن الميسور القاء نظرة شاملة على آثارها القريبة — على ما تكبدته البشرية من جرائها من اموال ورجال

وقد نشرت الجرائد والمجلات بيانات مختلفة عن ذلك ولكنها لم تكن تامة شافية لنقص المصادر والمستندات . أما الآن وقد انقضى على وقوف رحى القتال نحو سنتين فقد كثرت الكتب والمقالات في هذا الموضوع بين رسمي وغير رسمي . وانا موردون فيما يلي خلاصة ما وفقنا اليه في هذا الباب بعد بحث طويل مستندين الى مصادر متعددة موثوق بها

وقد توخينا — تقريباً للمراد الى ذهن القارىء — الاستعانة بالصور والرسوم والجداول التي من شأنها توضيح الارقام وتسهيل المقارنة . فان الارقام لوحدها قلما تؤدي الى الذهن صورة جلية واضحة

الضحايا البشرية

ونبدأ اولا بذكر الضحايا البشرية فانها أثمن ما بذل في الحرب. وفيما يلي جدول يبين تلك الضحايا بوجه اجمالي :

	الوفيات في الحرب	النسبة المئوية لمجموع الوفيات
الامبراطورية البريطانية	٩٠٠ ٠٠٠	١٢
فرنسا	١ ٣٨٥ ٠٠٠	١٨،٥
الولايات المتحدة	٥٠ ٠٠٠	٠،٦
روسيا	١ ٧٠٠ ٠٠٠	٢٢،٧
ايطاليا	٣٦٤ ٠٠٠	٤،٩
سائر الحلفاء	٣٣٦ ٠٠٠	٤،٥
مجموع الحلفاء	٤ ٨٣٥ ٠٠٠	٦٣،٢
المانيا	١ ٦٠٠ ٠٠٠	٢١،٤
النمسا والمجر	٨٠٠ ٠٠٠	١٠،٧
تركيا وبلغاريا	٣٥٠ ٠٠٠	٤،٧
مجموع الدول الوسطى	٢ ٧٥٠ ٠٠٠	٣٦،٨
المجموع الكلي	٧ ٤٨٥ ٠٠٠	١٠٠

واذا حولنا الجدول المتقدم الى خطوط متوازية للمقارنة كانت النتيجة كما يلي :

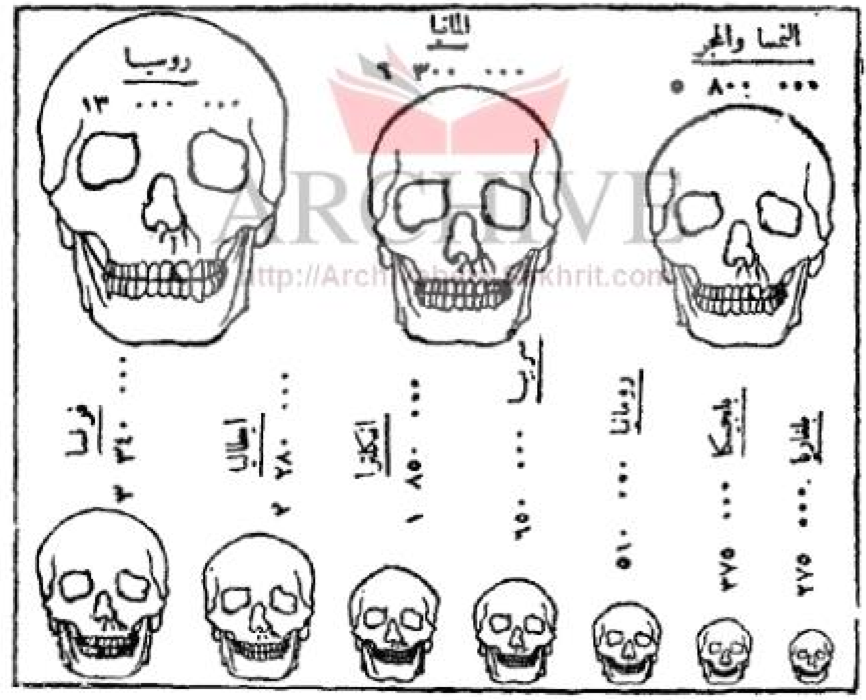


المقارنة بين الدول من حيث الوفيات فى الحرب
(العواميد السوداء تدل على دول الحلفاء والمخططة على الدول الوسطى)

واذا نظرنا الى ضحايا كل من هذه الدول بالنسبة الى عدد سكانها وجدنا ان أعظم الحلفاء تضحية فرنسا فقد فقدت ٥٠ ، ٣ في المئة من عدد سكانها تليها ايطاليا وقد فقدت ٥٠ ، ١ في المئة ثم انكلترا ٤٠ ، ١

* * *

تلك هي الضحايا التي بذلت مباشرة في الحرب ولكن الحرب قد جرت ضحايا أخرى كثيرة . فبسببها قلت نسبة المواليد بين الاهلين وزادت نسبة الوفيات وزاد عدد النساء على عدد الرجال مما ادى الى نقص في عدد المتزوجين . وقد حسبت جمعية انشئت أخيراً في كوبنهاغن (عاصمة الدانمرك) لدرس نتائج الحرب من الوجهة الاجتماعية ان مجموع الوفيات مع الاعتبارات السابقة يزيد على اربعين مليوناً موزعة كما يتضح في الصورة المنشورة هنا (وفيها ذكر عشر دول فقط من الدول المحاربة)



ضحايا الحرب المباشرة وغير المباشرة :
من ماتوا في الحرب ومن ماتوا او لم يولدوا بسببها

وقد حسبوا ان الضحايا البشرية في الحرب الاخيرة تعادل اكثر من ثلاثة أضعاف جميع ضحايا الحروب منذ أول القرن الماضي أي منذ حروب نابليون

الضحايا المادية

اما النفقات الحربية التي بذلتها الدول فقد اختلف المقدرون في تقديرها وفيما يلي جدول نعتقد انه أقرب الى الصواب من سواه :

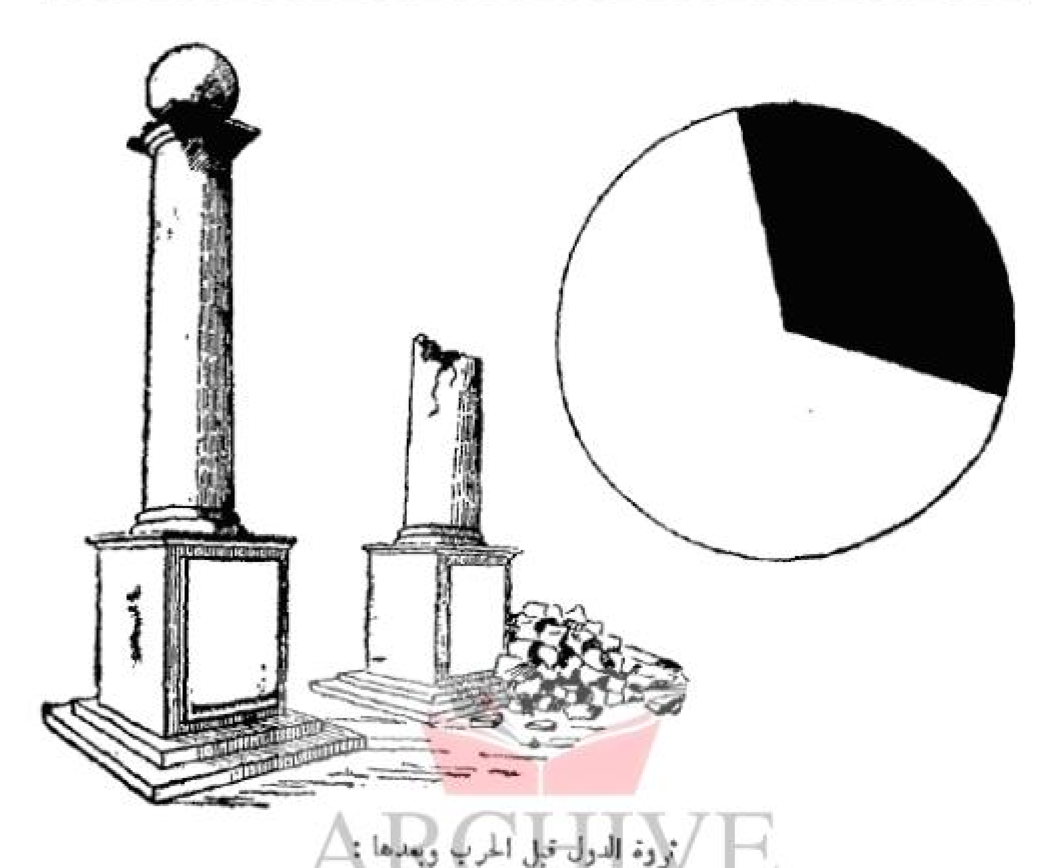
	النفقات الحربية بملايين الجنيهات	النسبة المئوية لمجموع النفقات
الامبراطورية البريطانية	٧٦٠٠	٢٠،٤
فرنسا	٥٢٠٠	١٤
الولايات المتحدة	٤٤٠٠	١١،٨
روسيا	٣٦٠٠	٩،٧
ايطاليا	٢٦٠٠	٧
سائر الحلفاء	١٢٠٠	٣،٢
مجموع الحلفاء	٢٤٦٠٠	٦٦،١
المانيا	٧٨٠٠	٢١
النمسا والمجر	٤٢٠٠	١١،٣
تركيا وبلغاريا	٦٠٠	١،٦
مجموع الدول الوسطى	١٢٦٠٠	٣٣،٩
المجموع الكلي	٣٧٢٠٠	١٠٠

واذا حولت هذا المبلغ (اي ٣٧٢٠٠ مليون جنيه) الى ورق بنك قيمة الورقة جنيه مصري ووضعتها الواحدة تلو الاخرى لدارت حول الكرة الارضية ١٤٩ مرة

وهذا المبلغ يساوي نحو اربعة اضعاف قيمة جميع السكك الحديدية الممدودة في العالم كله

وهو يساوي أكثر من ربع ثروات الدول التي دخلت الحرب كما يتبين من الرسمين المنشورين فيما بعد

✿ ✿ ✿



ثروة الدول قبل الحرب وبعدها :
القسم الاسود من الدائرة يدل على ما استهلكته الحرب بالنسبة الى ثروة الدول (اي الدائرة)
وكذلك العامود المبتور يبين نسبة الباقي من تلك الثروة الى ما كانت (اي العامود التام)

هذه هي النفقات المباشرة للحرب . اما اذا اعتبرنا الخسارة غير المباشرة الناشئة عن الحرب من أبواب أخرى (كخسارة الاملاك والمصانع والمنازل والسفن والبضائع وتوقف الانتاج وقيمة الاعانات الحربية وقيمة الرجال المفقودين باعتبار أنهم رؤوس مال منتجة الخ [١]) فقد حسب أحد العلماء الاقتصاديين أن تلك الخسارة تعادل تقريباً مبلغ الخسارة المباشرة فهي حسب تقديره نحو ٣٠٠٠٠ مليون جنيه

واذا حسبنا النفقات المباشرة وحدها وجدنا أنها تبلغ أكثر من خمسة اضعاف النفقات التي استلزمتها جميع الحروب التي نشبت منذ أول القرن الماضي

---

(١) قدر احدهم معدل قيمة الرجل من الوجهة الاقتصادية بالنظر الى ما ينتجه في حياته كما يأتي حسب الدول : في الولايات المتحدة ٩٤٤ جنيهاً و في انكلترا ٨٢٨ جنيهاً و في المانيا ٦٧٦ وفي فرنسا ٥٨٠ وفي النمسا ٥٤٤ وفي روسيا ٤٠٤

الديون

وقد زادت الديون الاهلية من جراء هذه النفقات الهائلة زيادة عظيمة . فبينما كانت الديون الاهلية لجميع الدول قبل الحرب نحو ٨٨٠٠ مليون جنيه أصبحت الآن تزيد على ٥٣٠٠٠ مليون جنيه . وفائدة هذه الديون تبلغ الآن ١٨٠٠ مليون جنيه في السنة ولم تكن تزيد عن ٣٥٠ مليون جنيه في سنة ١٩١٣

وفيما يلي جدول يبين زيادة الديون الاهلية في العالم بالتدريج في التاريخ الحديث:

السنة		الدين
١٧١٣	معاهدة اوترخت	٣٠٠ مليون جنيه
١٧٩٣	قبل حروب نابوليون	٥٠٠ «
١٨١٦	بعد « «	١٤٠٠ «
١٨٤٨	في اول حرب القرم	١٦٨٠ «
١٨٦١	في اول الحرب الاهلية الاميركية	١٦٨٠ «
١٨٧٣	بعد الحرب الفرنسية البروسية	٤٤٨٠ «
١٩١٤	في اول الحرب الاوربية	٨٨٠٠ «
١٩٢٠	بعد انتهاء الحرب الاوربية	٥٣٠٠٠ «

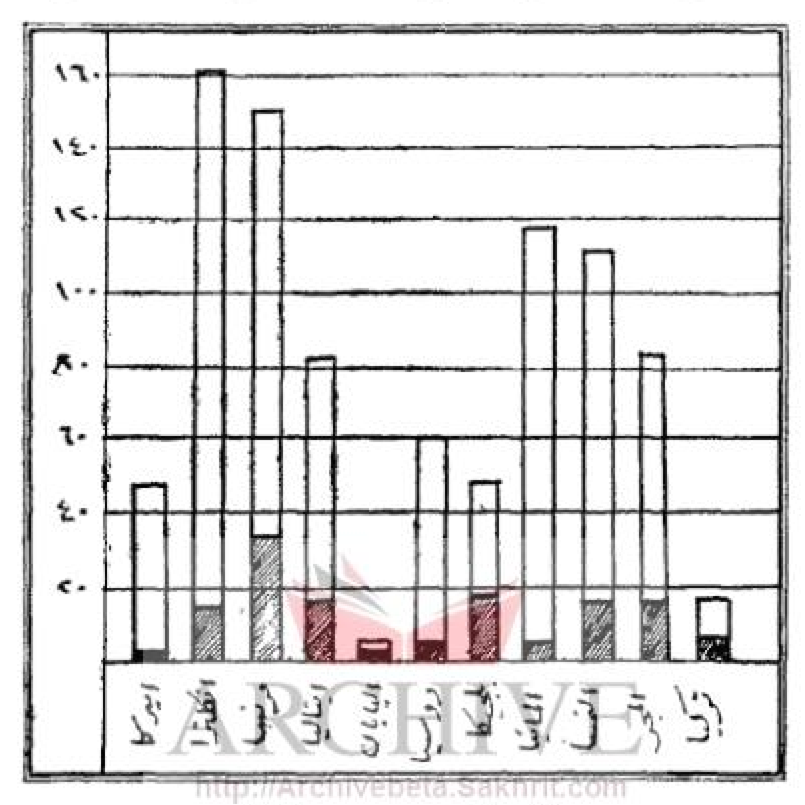
ويلحق كل فرد في العالم الآن من هذه الديون نحو ٣٠ جنيهاً ولم يكن يلحقه الا ٥ جنيهات ونصف قبل الحرب

وهاك اهم الدول المدينة ومقدار دينها قبل الحرب واليوم :

الدولة	الدين قبل الحرب	الدين سنة ١٩٢٠
انكلترا	٦٩٧ مليون جنيه	٧٨٦٣ مليون جنيه
الولايات المتحدة	٢٠٥ « «	٤٩٩٥ « «
فرنسا	١٢٦٩ « «	٩٢٠٥ « «
ايتاليا	٥٨٤ « «	٣٦٢٠ « «
المانيا	٢٣٩ « «	٩٧١٠ « «

وفيما يلي جدول يبين ما يلحق الفرد من الدين الاهلي في كل من الدول العظمى مع مقابلة ذلك بما كان قبل الحرب . فامام اسم كل دولة عامود القسم المخطط منه يدل على الدين الفردي قبل الحرب والابيض على ما صار بعد الحرب . فلكي يعرف

القارى مبلغ الدين الفردي في أي دولة ينظر الى الارقام التي على يسار الرسم مقابل العامود الدال على تلك الدولة فيعرف من ذلك قدره بالجنيهات على التقريب



ما يلحق كل فرد من ديون الدول :

القسم المخطط من كل عامود يدل على مبلغ الدين الفردي قبل الحرب والابيض الى ما صار اليه بعدها . والارقام التي على اليسار تشير الى مقدار ذلك الدين بالجنيهات

الخلاصة

هذه نظرة اجمالية في ما كلفته الحرب البشرية من الخسارة المحسوسة . على ان هذه الخسارة ليست بالخسارة الكبرى الدائمة فانما ثمن الحرب الحقيقي الاضطراب الروحي والاجتماعي والاقتصادي الذي أحدثته في أحوال البشر – هو ذلك الكابوس الثقيل الذي رزح الناس تحته مدة الحرب ولا يزالون – هو الفوضى والاختلال اللذان لحقا حياة الشعوب وآدابهم وأخلاقهم وسائر نظاماتهم مما تظهر آثاره للعيان . ولنا عليه كل يوم الف مثل ومثل – هو اضمحلال النشاط الحيوي في الجنس البشري وتراخي القوى الادبية والمعنوية – هو فقدان التوازن بين الطبقات الاجتماعية

من حكام ومحكومين ، وعمال ومتمولين ، ومنتجين ومستهلكين الى غير ذلك من دلائل الضعف والوهن في البناء العمراني



ميراث الحرب :
الموت والجوع والخراب

وما ذلك الا لان النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي قبل الحرب كان نتيجة تطور تاريخي استغرق دهوراً طويلة . وقد ظنّ رجال السياسة في هذا العصر ـ كما ظن رجال السياسة في العصور السابقة ـ أن في استطاعتهم مناقضة مجاري التاريخ وتعديل أحكامه بقراراتهم واتفاقاتهم . على أن الزمان وحده كفيلٌ باعادة النظام والراحة والسلام لبني البشر

الحياة والفن

الى هذه القصيدة العصماء الشاعر الكبير خليل مطران في حفلة التكريم التي اقامها بعض ادباء الاسكندرية للاستاذ الفني النابغة محمود مختار واضع تمثال نهضة مصر الذي زينا به صدر هذا الهلال :

حيِّ الحياة كبيرة الاعمال	وكبيرة الآلام والآمال
ذاك النبوغ . وانه لمن ابتغى	نيل السعادة من اعز منال
لا ترض الا بالعظيم ولا يكن	لك في الهموم سوى هموم رجال
واجعل خيالك سامياً فلطالما	سمت الحقيقة بامتطاء خيال
أبعد مناك على الدوام فكلما	دان النجاح علت منى الابطال
أخلى الخلائق من لذاذات النهى	من عاش في الدنيا بقلب خالي
ليس الذي اوتيت يا مختار من	عفو العطايا . ذاك سهد ليال
في كل فن ليس ادراك المدى	للادعياء وليس للجهال
كلا وليست في توخي راحة	قبل التمام مظنة لكمال
اني لاستجلي الفلاح فينجلي	لي عن مثابرة وغر فعال
مصر تحيي فيك ناشر مجدها	مجد الصناعة في الزمان الخالي
وهي التي ما زال أغلى ارثها	من خالد الالوان والاشكال
لبثت دهوراً لا يجدد شعبها	رسما ولا يعنى برسم بال
ثم انبرى الافرنج ينتعشون ما	دفنت جهالتها مدى اجيال
والحال ما زالت بها كقديمها	حتى استعاضت من حجاك بحال
اليوم ان سأل الكواشح عصرنا	عما اجد ففيه رد سؤال
اليوم في مصر العزيزة ان يقل	ما فنها ؟ شيء سوى الاطلال
اليوم موضع زهوها . وفخارها	بجميل ما صنعته كفك حال
ان التي اظهرت آية فطنة	تدعو الى الاكبار والاجلال

يا حبذا مصر الفتاة وقد بدت غيداء ذات حصافة وجمال
في جانب الرئبال قد القت يداً ادماء ناعمة على الرئبال
بتلطف ورشاقة بتعفف وطلاقة بتصون ودلال
فاذا ابو الهول الذى اخنت به حقب العثار أقيل خير مقال
تمثال نهضة مصر أشرق جامعاً أسنى منى الاوطان في تمثال
ناهيك بالرمز العظيم وقد وعى معنى الرقي وروح الاستقلال

خليل مطران

الحق والقوة

من قصيدة لمعروف الرصافي

ارى الحق لم يغش البلاد وانما مشى ضارباً في الارض تلفظه الطرق
فيصبح في ارض ويمسي بغيرها وحيداً فما يؤويه غرب ولا شرق
توطن قفر الارض مبتعداً بها الى حيث لا انس ولا طائر يزقو
وقد يهبط الامصار وهو محجب ويظهر احياناً كما اومض البرق
ومن عجب أن الورى يدّعونه وهم من قديم الدهر اعداؤه الزرق
اعدوا له في البر والبحر قوة اذا ظهرت ينسد من دونها الافق
وطاروا بطياراتهم يمطرونه قذائف من نار كما امطر الودق
يقولون ان الحق في الخلق قوة تذل لها الاعناق قهراً وتندق
فما باله يمسي ويصبح شاكياً ولا يتحاشى عن ظلامته الخلق

معروف الرصافي

لكم لبنانكم ولي لبناني

بقلم جبران خليل جبران

لكم لبنانكم ، ولي لبناني

لكم لبنانكم ومعضلاته ، ولي لبناني وجماله

لكم لبنانكم بكل ما فيه من الاغراض والمنازع ، ولي لبناني بما فيه من الاحلام والاماني

لكم لبنانكم فاقتنعوا به ، ولي لبناني وانا لا اقنع بغير المجرّد المطلق

لبنانكم عقدة سياسية تحاول حلها الايام ، اما لبناني فتلول تتعالى بهيبة وجلال نحو ازرقاق السماء

لبنانكم مشكلة دولية تتقاذفها الليالي ، اما لبناني فأودية هادئة سحرية تتموج في جنباتها رنات الاجراس واغاني السواقي

لبنانكم صراع بين رجل جاء من المغرب ورجل جاء من الجنوب . اما لبناني فصلاة مجنحة ترفرف صباحا عندما يقود الرعاة قطعانهم الى المروج وتتصاعد مساء عندما يعود الفلاحون من الحقول والكروم

لبنانكم حكومة ذات رؤوس لا عداد لها ، اما لبناني فجبل رهيب وديع جالس بين البحر والسهول جلوس شاعر بين الابدية والابدية

لبنانكم حيلة يستخدمها الثعلب عندما يلتقي بالضبع والضبع حينما يجتمع بالذئب ، اما لبناني فتذكارات تعيد على مسمعي اهازيج الفتيات في الليالي المقمرة واغاني الصبايا بين البيادر والمعاصر

لبنانكم مربعات شطرنج بين رئيس دين وقائد جيش ، اما لبناني فمعبد ادخله بالروح عندما امل النظر الى وجه هذه المدنية السائرة على الدواليب

لبنانكم رجلان، رجل يؤدي المكوس ورجل يقبضها ، اما لبناني فرجل فرد متكئ على ساعده في ظلال الارز وهو منصرف عن كل شيء سوى الله ونور الشمس

لبنانكم مرافئ وبريد وتجارة ، اما لبناني ففكرة بعيدة وعاطفة مشتعلة وكلمة علوية تهمسها الارض في اذن الفضاء

لبنانكم موظفون وعمال ومديرون ، اما لبناني فتأهب الشباب وعزم الكهولة وحكمة الشيخوخة

لبنانكم وفود ولجان ، اما لبناني فمجالس حول المواقد في ليالٍ تغمرها هيبة العواصف ويجللها طهر الثلوج

لبنانكم طوائف واحزاب ، اما لبناني فصبية يتسلقون الصخور ويركضون مع الجداول ويقذفون الاكر في الساحات

لبنانكم خطب ومحاضرات ومناقشات ، اما لبناني فتغريد الشحارير ، وحفيف اغصان الحور والسنديان ، ورجع صدى النايات في المغاور والكهوف

لبنانكم كذب يحتجب وراء نقاب من الذكاء المستعار ، ورياء يختبئ في رداء من التقليد والتصنع ، اما لبناني فحقيقة بسيطة عارية اذا نظرت في حوض ماء ما رأت غير وجهها الهادئ وملامحها المنبسطة

لبنانكم شرائع وبنود على اوراق ، وعقود وعهود في دفاتر ، اما لبناني ففطرة تعلم اسرار الحياة وهي لا تعلم انها تعلم ، وشوق يلامس في اليقظة اذيال الغيب ويظن نفسه في منام

لبنانكم عجوز قابض على لحيته ، قاطب ما بين عينيه ، ولا يفكر الا بذاته ، اما لبناني ففتى ينتصب كالبرج ويبتسم كالصباح ويشعر بسواه شعوره بنفسه

لبنانكم ينفصل آناً عن سوريا ويتصل بها آونة ثم يحتال على طرفيه ليكون بين معقود ومحلول ، أما لبناني فلا يتصل ولا ينفصل ولا يتفوق ولا يتصاغر

• • •

لكم لبنانكم ، ولي لبناني

لكم لبنانكم وابناؤه ، ولي لبناني وابناؤه

ومن هم يا ترى ابناء لبنانكم ؟

ألا فانظروا هنيهة لاريكم حقيقتهم

هم الذين ولدت ارواحهم في مستشفيات الغربيين

هم الذين استيقظت عقولهم في حضن طامع يمثل دور أريحي

هم تلك القضبان اللينة التي تميل الى اليمين والى اليسار ولكن بدون ارادة ، وترتعش في الصباح وفي المساء ولكنها لا تدري انها ترتعش

هم تلك السفينة التي تصارع الامواج وهي بدون دفة ولا شراع ، أما ربانها فالتردد وأما ميناؤها فكهف تسكنه الغيلان ـ أو ليست كل عاصمة في أوربا كهفاً للغيلان ؟

هم الاشداء الفصحاء البلغاء ولكن بعضهم لدى بعض ، والضعفاء الخرسان امام الافرنج

هم الاحرار المصلحون المتحمسون ولكن في صحفهم وفوق منابرهم . والمنقادون الرجعيون امام الغربيين

هم الذين يضجون كالضفادع قائلين « لقد تملصنا من عدونا الطاغية القديم » وعدوهم القديم الطاغية ما برح يختبىء في اجسادهم

هم الذين يسيرون امام الجنازة مزمرين راقصين ، حتى اذا ما التقوا بموكب العرس تحول تزميرهم الى نواح ورقصهم الى قرع الصدور وشق الأثواب

هم الذين لا يعرفون المجاعة الا اذا كانت في جيوبهم فاذا ما التقوا بمن كانت مجاعته في روحه ضحكوا منه وتحولوا عنه قائلين « ما هذا سوى خيال يسير في عالم الاخيلة »

هم أولئك العبيد الذين تبدل الايام قيودهم المصدأة بقيود لامعة فيظنون أنهم اصبحوا احرارًا مطلقين

هؤلاء هم ابناء لبنانكم فهل بينهم من يمثل العزم في صخور لبنان أم النبل في ارتفاعه أم العذوبة في مائه أم العطر في هوائه ؟ هل بينهم من يتجرأ أن يقول « اذا ما مت تركت وطني افضل قليلاً مما وجدته عند ما ولدت » ؟ هل بينهم من يتجرأ أن يقول « لقد كانت حياتي قطرة من الدم في عروق لبنان أو دمعة بين اجفانه أو ابتسامة على ثغره » ؟

هؤلاء هم ابناء لبنانكم فما أكبرهم في عيونكم وما اصغرهم في عيني

ولكن قفوا قليلا وانظروا لاريكم ابناء لبناني

هم الفلاحون الذين يحوّلون الوعر الى حدائق و بساتين

هم الرعاة الذين يقودون قطعانهم من واد الى واد فتنمو وتتكاثر وتعطيكم لحومها غذاء وصوفها رداء

هم الكرّامون الذين يعصرون العنب خمراً ويعقدون الخمر دبساً

هم الآباء الذين يربون انصاب التوت والامهات اللواتي يغزلن الحرير

هم الرجال الذين يحصدون الزرع والزوجات اللواتي يجمعن الاغمار

هم البناؤون والفخارون والحائكون وصانعو الاجراس والنواقيس

هم الشعراء الذين يسكبون ارواحهم في كؤوس جديدة

وهم شعراء الفطرة الذين ينشدون العتابا والمعنى والزجل

هم الذين يغادرون لبنان وليس لهم سوى حماسة في قلوبهم وعزم في سواعدهم و يعودون اليه وخيرات الارض في اكفهم واكاليل الغار على رؤوسهم

هم الذين يتغلبون على محيطهم اينما حلوا ويجتذبون القلوب اليهم اينما وُجدوا

وهم الذين يولدون في الاكواخ و يموتون في قصور العلم

هؤلاء هم ابناء لبناني

هؤلاء هم السرج التي لا تطفيها الارياح والملح الذي لا تفسده الدهور

هؤلاء هم السائرون باقدام ثابتة نحو الحقيقة والجمال والكمال

° ° °

وماذا عسى ان يبقى من لبنانكم وابناء لبنانكم بعد مئة سنة ؟
اخبروني - ماذا تتركون للغد سوى الدعوى والتلفيق والبلادة ؟
هل تحسبون ان الزمن يحفظ في ذاكرته مظاهر الخداع والمداهنة والتدليس؟
أتظنون ان الاثير يخزن في جيوبه اشباح الموت وانفاس القبور ؟
أتتوهمون ان الحياة تستر جسدها العاري بالخرق البالية ؟

اقول لكم والحق شاهد عليّ ان نصبة الزيتون التي يغرسها القروي في سفح لبنان لأبقى من جميع اعمالكم ومآتيكم ، والمحراث الخشبي الذي تجره العجول في منعطفات لبنان لاشرف وانبل من كل امانيكم ومطامحكم

اقول لكم وضمير الوجود صاغ اليَّ ان اغنية جامعة البقول بين هضاب لبنان لأطول عمراً من كل ما يقوله اوجه واضخم ثرثار بينكم

اقول لكم انكم لستم على شيء . ولو كنتم تعلمون انكم لستم على شيء لتحول اشمئزازي منكم الى شكل من العطف والحنان ، ولكنكم لا تعلمون

لكم لبنانكم ، ولي لبناني

لكم لبنانكم وابناء لبنانكم فاقتنعوا به وبهم إن استطعتم الاقتناع بالفقاقيع الفارغة

اما انا فمقتنع بلبناني وابنائه وفي اقتناعي عذوبة وسكينة وطمأنينة

جبران خليل جبران

كيف تكوّن الثروات العظيمة

قال المستر روجر بابسن : عملت احصاء منذ سنتين لدرس أحوال رؤساء الدور الصناعية الكبرى في اميركا فوجدت ان هؤلاء الرجال قد اصبحوا من أصحاب الملايين بطرق مختلفة فان ٥ في المئة منهم هم من أولاد أصحاب المصارف و ١٠ في المئة من أولاد التجار وأصحاب المعامل و ٢٥ في المئة أولاد معلمين وأطباء ومحامين واكثر من ٣٠ في المئة أولاد واعظين

حقيقة النظام البلشفيكي

وصف الحكومة البلشفيكية ودوائرها واختصاصاتها وعلاقاتها بالشعب



البلشفيك كما يرون أنفسهم وكما يراهم الغير

ان الصورة الرمزية التي نفتتح بها هذا المقال تبين بجلاء الفرق العظيم بين نظر البلشفيكيين الى انفسهم ونظر اعدائهم اليهم . فبينا يعتقد البلشفيكيون انهم رسل عهد جديد على الارض يصورهم اعداؤهم بصور شنيعة تجعلهم اقرب الى الابالسة منهم الى البشر حتى ان طالب الحقيقة المجردة عن الاغراض يحار في امره ولا يدري اي الفريقين يصدق

ومما لا ريب فيه أن ما لدينا من المعلومات الوثيقة عن النظام البلشفيكي قليل جداً فمعظم ما يطالعه القراء مكتوب باقلام اناس ناصبوهم العداء ـ بل ان ما يكتبونه عنهم يذكرنا بما كانت الدول المتحاربة ترمي به بعضها بعضاً من التهم والرذائل والفضائح على انواعها . ولعل الناقمين على النظام البلشفيكي يفعلون ذلك عن اعتقاد صادق ونية حسنة لما يخشونه من تفشي هذا المذهب بين البشر وما قد يجره من الويلات والاضطرابات فضلاً عن خوف اصحاب الاموال والاملاك من ضياع نفوذهم

على اننا لسنا ممن يعتقدون ان تلك هي الطريقة المثلى لمحاربة رأي ضال او مذهب فاسد ـ وان نكن واثقين من ضلال البلشفيكية وفسادها . فلا يكون نقض هذا المذهب بالعنف بل بالحجة والدليل . واذا لم تتيسر مناهضة البلشفيكية بالطرق الشريفة فلن تتيسر بغيرها . بل ان الاكاذيب التي تنشرها معظم الجرائد عن اهل هذا المذهب الجديد (مثال ذلك ما اشاعوه عن اباحة النساء في روسيا البلشفيكية) قد تساعد على نشره بين الجماهير ـ ولا سيما فئات العمال والمتطرفين ـ متى علموا الحقيقة . فقد يطعنون في صحة كل ما قيل عن النظام البلشفيكي قياساً على الافتراءات التي انكشف امرها . ولا يخفى ان الجماهير سهلة الانجذاب الى كل غامض مجهول سريعة التمسك ببعض الكلمات المنمقة الساحرة وقلما تعنى بتمحيص المبادىء واختبارها

وأول ما يقال عن زعماء المذهب البلشفيكي انهم مخلصون في عقيدتهم ـ هذه حقيقة اتفق عليها جميع الذين زاروا البلاد الروسية من الكتاب المنصفين . اما صحة تلك العقيدة او فسادها فهذه مسئلة أخرى لا تطعن في اخلاص اولئك الزعماء . ورأينا الخاص في البلشفيكية هو انها نظرية جميلة يرتاح اليها الخيال البشري ولكنها متعذرة التنفيذ لمخالفتها الطبائع والغرائز الانسانية . والانسان كما لا يخفى مسير بطبائعه وغرائزه لا بفكره وحكمته . والتاريخ ـ ولا سيما تاريخ الحرب الاخيرة ـ اعظم دليل على ذلك

* * *

نقول هذا تمهيداً لما اردناه من تفصيل الحكم البلشفيكي وبيان ما ينطوي عليه من النظامات والقوانين . فلقد وردتنا عدة أسئلة طلب اصحابها تعريف البلشفيكية وبيان مميزاتها وطرقها ووسائلها بالامثلة المحسوسة . وما كان ليتيسر لنا ذلك لولا أن عثرنا

اخيراً على مقال نفيس في هذا الصدد لكاتب عاش في روسيا الجديدة زمناً ليس يسير. وهاك خلاصة وصفه لنظام روسيا الحاضر :



لنين زعيم البلشفيكية الاكبر

النظام السياسي

يحكم كل مدينة وقرية في روسيا مجلس يسمى « سوفيت » (وهذه الكلمة روسية ومعناها مجلس) . وهو مؤلف من مندوبين يمثلون جميع النقابات التي تعمل في تلك المدينة أو القرية - أي مندوبين عن كل فئة من الفئات العاملة بعقلها أو بايديها .

فنهم مندوبون عن نقابات النجارين والحدادين والبنائين كما أن منهم مندوبين عن جمعيات الاطباء والمعلمين والوالدات (لان الامومة وتربية الاطفال في نظر النظام البلشفيكي أعظم الاعمال الاجتماعية شأناً ولذلك كان للوالدات ممثلات في مجالس « السوفيت ») . أما النساء اللواتي ليس لهن أولاد فانهن بمقام الرجال من حيث التمثيل في تلك المجالس — أي انهن يمثلن فيها اذا كن تابعات لبعض النقابات أو الجمعيات . وعدد الاعضاء المندوبين عن كل نقابة أوجمعية يختلف باختلاف عدد أعضائها. وللنقابة او الجمعية الحق في عزل مندوبيها اذا لم توافق على خطتهم

ويتضح من ذلك ان عدد الاعضاء في هذه المجالس ليس قليلاً فانه على فرض ان لكل نقابة أو جمعية ممثلاً واحداً (كما هو الحال في المدن الصغيرة الشأن) قد يبلغ عددهم خمسين أو ستين . اما بتروغراد وموسكو فان أعضاء مجلس السوفيت في كل منهما يتراوح عددهم بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ . والمجلس يجتمع بكامله مرة في الشهر او غير مرة حسب مقتضى الاحوال . على انه في الغالب يفوض تسيير الامور الى لجان يعينها ويمنحها السلطة اللازمة للقيام بما يعهد اليها

وهذه اللجان تؤلف عادة من ثلاثة أعضاء وأهمها اللجان التي تنظر في مسائل السكن والامن العام والصحة ومراقبة الاطعمة والتربية والعمل الخ ... وقد انشئت أيضاً لجان خاصة « لمقاومة أعداء الثورة » . ورؤساء هذه اللجان كلها يؤلفون معاً اللجنة التنفيذية لمجلس السوفيت البلدي

وكل من مجالس السوفيت القروية — وهي مؤلفة من الفلاحين — ينتدب عنه ممثلين لتمثيله في « مجالس المقاطعات » وهذه ترسل ممثليها الى « مؤتمر السوفيت العام » المؤلف من الفلاحين والعمال . وعلى الاجمال يظهر أن ممثلي الفلاحين في هذا المؤتمر هم بالنسبة الى عددهم أقل من ممثلي العمال بالنسبة الى عددهم. فان لكل ٢٥٠٠٠ عامل ممثلا في حين أن للفلاحين ممثلا لكل ١٢٥٠٠٠ فلاح . والقصد من ذلك أن يتساوى عدد الفريقين في المؤتمر . والعمال يبررون امتيازهم هذا بقولهم (١) ان الثورة تمت على أيدي العمال (٢) انهم أي العمال قد عملوا برغبة الفلاحين فيما يختص بالاراضي بدلاً من اتباع مذهبهم الاشتراكي فقد قسموها بين الفلاحين في حين ان مبدأهم كان يقضي ببقاء الاملاك الواسعة وجعلها تحت سلطة الحكومة

وبحسب الدستور البلشفيكي يجتمع « مؤتمر السوفيت العام » المؤلف من

مندوبي المدن والمقاطعات مرتين في السنة وقد يجتمع اكثر من ذلك اذا اقتضت الحال . وعدد المندوبين في المؤتمرين الثالث والرابع كان يتراوح بين ١٠٠٠ و١٢٠٠ مندوب على ما روى كاتب المقال الذي اعتمدنا عليه وقد حضر ذينك الاجتماعين بنفسه. ويدوم انعقاد المؤتمر بين ٦ أيام و١٥ يوماً . وفي اليوم الاخير قبل انفضاض المؤتمر ينتخب لجنة تنفيذية مركزية مؤلفة من ٢٠٠ عضو يفوض اليها سلطته التامة في أثناء



الاميرال كولتشاك الذي قتل بعد فشله في محاربة البلشفيكيين

الفترة الى حين انعقاد المؤتمر التالي اذ تقدم هذه اللجنة التقارير عن اعمالها ثم تحل . وتنتخب لجنة أخرى . وقد يعاد انتخاب أعضاء اللجنة السابقة

وأعضاء اللجنة التنفيذية المركزية يمثلون جميع الاحزاب التي يتألف منها المؤتمر ـ كل حزب حسب عدد أعضائه. ولا يخفى أن في روسيا غير الحزب البلشفيكي أحزاباً اخرى كالحزب المنشفيكي والحزب الاشتراكي الثوري وغيرها . وتلتئم اللجنة التنفيذية كل يوم (في الغالب) في العاصمة الوطنية اي موسكو . ولها سلطة تشريعية وسلطة تنفيذية.

وهي تعين منها ١٨ قوميسارية أو لجنة لادارة شؤون البلاد وتراقب أعمالها . ومن رؤساء هذه اللجان أو القوميساريات يتألف مجلس الوزراء أو بالحري مجلس مندوبي الشعب كما يسمون

وهذا المجلس يختار رئيسه وهو بمنزلة رئيس الوزراء . وهذا الرئيس الى اليوم هو نيقولاي لنين الشهير . وليس في النظام البلشفيكي رئاسة جمهورية فما لنين الا رئيس



الجنرال دنيكين الذي حارب البلشفيكيين زمناً ثم انسحب وهو الآن في انكلترا

وزارة وهو عرضة للعزل وحده أو مع زملائه كلهم أو بعضهم في أي ساعة بامر اللجنة التنفيذية المتقدم ذكرها . وهاك اسماء بعض القوميساريات (أي الوزارات) في الوقت الحاضر : الشؤون الخارجية (شيشرين) ، الحرب (تروتسكي) ، التربية الاهلية (لونتشارسكي ومكسيم غوركي) ، الاقتصاد الوطني ، البوسطة والتلغرافات ، الطرق والمواصلات ، المالية ، العدلية الخ ... وجميع القرارات التي تصدر من هذه المصالح يجب ان تنال موافقة مجلس الوزراء واللجنة التنفيذية قبل نشرها وتنفيذها

البلشفكية ونظام السوفيت

قلما يدرك الناس الفرق بين البلشفيكية ونظام السوفيت فيظنون أن كليهما يؤديان ذات المعنى. والحقيقة انهما مختلفان فقد يفشل الحزب البلشفيكي ويضيع السلطة من يده ويبقى نظام السوفيت كما هو. فما الحزب البلشفيكي الذي برأسه نيقولاي لنين الا احد الاحزاب الروسية الحاضرة وان يكن هو الحزب المسيطر اليوم. ويعتقد كثيرون من المنصفين ان سبب قوة هذا الحزب وتقلده الاحكام طول هذه المدة انما كان مداخلة الدول الغربية في شؤون روسيا الداخلية بطرق مباشرة وغير مباشرة. فان الخطر الخارجي قضى على ما بين الاهلين من الخلاف ووحّد كلمتهم وغرضهم - تلك سنة اجتماعية لا تخفى على المتبصر في أحوال الاجتماع ولكنها لسوء الحظ خفيت على أقطاب السياسة الاوربية بعد الحرب

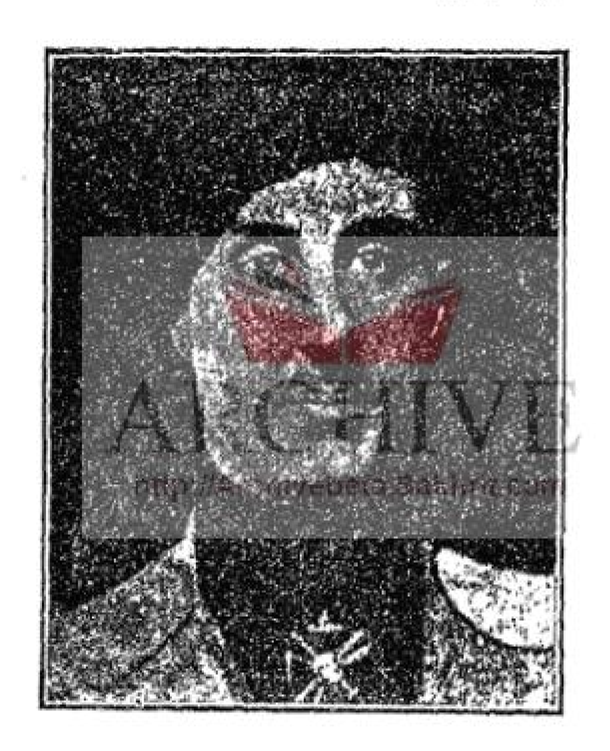
وقد كان من نتيجة هذه الحالة ان البلشفيكيين تمكنوا في تلك الاثناء من تعديل مذهبهم وتلطيفه حتى زاد عدد الراضين عنه اذ لا يخفى ان من شأن من يتقلد السلطة ويحمل التبعة ان يجنح الى التؤدة والاعتدال بخلاف من يقصر همه على المشاهدة والانتقاد

ومع ان الحزب البلشفيكي هو اليوم صاحب الامر في روسيا فانه لم ينفذ مبادىء البلشفيكية النظرية وهي مبادىء الاشتراكية المعروفة « بالكومونزم » Communism فليس في روسيا الآن - خلافاً للشائع - اجور متساوية للعمال كما ان المصانع لم تجعل جميعها ملكاً للامة. أجل ذلك هو غرض البلشفيكيين البعيد ولكنهم يسلمون بان روسيا لم تبلغ بعد درجة من الرقي الاقتصادي تمكنها من تنفيذ هذه الاصلاحات الخطيرة بل لابد لها من التدرج اليها مع الزمن. على أنهم يعتقدون من جهة اخرى أن تسيطر حكومة من العمال والشعب على البلاد من شأنه تعجيل التطور الاقتصادي والاسراع في بلوغ الغاية المنشودة

النظام الاقتصادي

وخلاصة ما تقدم ان البلشفيكيين يعدون النظام السياسي المتقدم بمنزلة نظام تمهيدي موقت او هو الهيكل الذي يستعين به بناؤو المستقبل لاقامة بناء البلشفيكية التام وقد كان في مقدمة العثرات التي اعترضت اصحاب النظام الجديد في أول أمرهم

ميل بعض النقابات الى العمل بمفردها ناظرة الى مصلحة أعضائها دون المصلحة العامة فكان من الضروري ايجاد رابطة بين الصناعات المختلفة حتى يتيسر تنظيمها وتعاونها للنفع المشترك . وقد انشئت لهذه الغاية هيئة خاصة ما برح يزداد شأنها وهي « المجلس الاعلى للاقتصاد العام » . وقد أصبح هذا المجلس مركز الحياة الاقتصادية في البلاد الروسية جمعاء . وقد قال عنه أحد المراسلين : « ان المجلس الاعلى للاقتصاد العام هو الوسيلة التي ترمي الى تجديد البلاد الروسية في حين أن نظام السوفيت هو السلاح الذي يحمي تلك الوسيلة ويقويها »



الجنرال ورنجل عدو البلشفيكيين الحاضر

وهو الذي استلم قيادة الجيوش القائمة على الحكومة البلشفيكية في الجنوب بعد الجنرال دنيكين

والصناعات الروسية تقسم اليوم الى ثلاثة أقسام : (١) الصناعات القائمة على ملكية الافراد (٢) الصناعات القائمة على مبدأ التعاون (٣) الصناعات التي هي ملك للامة

والغريب ان عدد القسم الاول - أي الصناعات الخاضعة للملكية بعض الافراد - أعظم من عدد القسمين الآخرين . وان تكن على الاجمال اقل اتساعاً وأصغر شأناً . وقد رأى البلشفيكيون ان من المصلحة العامة بقاء هذه الاقسام الثلاثة معاً في بادىء الامر حتى تتنافس وتتناظر . فاذا رأى أحد الافراد انه يستطيع انشاء مصنع

ومسابقة المصانع التعاونيـة أو المصانع التابعة للحكومة فليس ثمت ما يحول دون تنفيذ رغبته بل ان المصارف قد تساعده في عمله . حتى اذا تمكن من تقديم سلعه باسعار دون الاسعار الجارية استفاد الشعب من ذلك واضطرت المصانع التعاونية والمصانع الحكومية الى تحسين أحوالها وتعديل طرقها لمجاراته ومنافسته

وقد بقيت مصانع كثيرة في أيدي أصحابها وان تكن الحكومة جعلتها ملكاً للامة بالاسم . وذلك أنها كانت بعد تحويل ملكية المصنع اليها تؤجره لصاحبه بقيمة زهيدة جداً وهو يتولى جميع شؤونه

أما الصناعات القائمة على مبدأ التعاون فقد زاد عددها وما برح يزيد شأنها حتى رأت حكومات الحلفاء مفاوضتها في شأن اعادة العلاقات التجارية مع البلاد الروسية .

وأما المصانع التي جعلت ملكاً للامة فهي تحت أشراف لجان خاضعة « للمجلس الاعلى للاقتصاد العام »

وهذا المجلس مؤلف من ٦٩ عضواً ورئيسه عضو في الوزارة . واعضاؤه تنتدبهم نقابات العمال (٣٠) واللجنة التنفيذية المركزية (١٠) ومجالس المقاطعات الاقتصادية (٢٠) وشركات التعاون (٢) ومجلس الوزراء (٧) ومن ذلك يرى أن المجلس الاعلى للاقتصاد العام يمثل جميع الفئات المنتجة

أما الاجور في الصناعات القائمة على ملكية الافراد كما في الصناعات القائمة على مبدأ التعاون يتفق عليها بين المديرين والعمال . وأما الصناعات التي هي ملك للامة فقد قسم فيها العمال الى طبقات عددها ٢٧ ولكل طبقة شروط خاصة باعتبار أهلية العامل ومعارفه . على انه ليس من يتقاضى أقل من ١٢٠٠ روبل في الشهر ولا من يتقاضى أكثر من ٤٠٠٠ . حتى لنين نفسه وزملاؤه فانهم لا ينالون أكثر من هذا الاجر

ومما يذكر في هذا الشأن ان المعلمين قد عدوا في الطبقة الاولى أي ان مرتباتهم تعادل مرتبات أرقى العمال والمديرين . أما رجال الفن والكتاب والممثلون فهم أحرار في العمل منفردين او الانضمام الى بعض الهيئات . كذلك الاطباء والممرضات فلهم الخيار في العمل لحسابهم الخاص أو الانخراط في سلك مصلحة الصحة العامة

***

هذه نظرة وجيزة في نظام روسيا الحاضر وربما عدنا في فرصة أخرى الى التوسع في هذا الموضوع وتفصيل جزئياته مما لا يخلو من لذة وفائدة

نفس الشاعر

بقلم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

للشاعر ثلاث مميزات لا أستطيع أن أتصور ان الله وهبه ملكة الشعر وأفاض عليه روحه اذا تجرد من واحدة منها : « عزة النفس » و « طهارة القلب » و « سماحة اليد » . واجتماع هذه الصفات فيه هو السبب في بؤسه وشقائه وعدمه وأقتاره . لان صاحب النفس العزيزة لا يحتمل منةً لاحد . وصاحب القلب الطاهر لا يعرف كيف يتلمس وجوه الحيل لعيشه . والكريم لا يبقي على شيء مما في يده

ولقد صور الروائي العظيم « ادمون روستان » عزة نفس الشاعر واباءه وهي الصفة الاولى من تلك الصفات الثلاث احسن تصوير في قطعة بديعة من رواية « سيرانو دي برجراك » أقدمها للقارىء لتكون مثالاً صالحاً للشعراء يحتذونه في حياتهم الادبية وميزاناً يزن به الناس قيمة الشعراء ومنزلتهم من الشعر والادب

* * *

أعجب الكونت دي جيش أحد قواد الجيش الفرنسي وصهر الكاردينال ريشاليه وزير فرنسا الشهير بالشاعر العظيم « سيرانو دي برجراك » حينما رآه يرتجل على مسمع منه قصيدة بديعة من أعلى طبقات الشعر وأرقاها . فقال في نفسه ان اصطناع شاعر مجيد كهذا الشاعر حلية جميلة لا ينبغي أن يفوتنا التحلي بها . ثم استدناه اليه وكان جالساً على كرسيه العالي جلسة العظمة والكبرياء وقال له : أتحب أن تكون لي يا سيرانو ؟ فامتعض الشاعر امتعاضاً شديداً ونظر اليه نظرة جامدة قاسية وقال له : لا يا سيدي ولا لأي انسان . قال : ان صهري الكاردينال يعجب بك جداً . وكثيراً ما سمعته يثني عليك وعلى ادبك . وقد علمت انك

نظمت منذ عهد قريب رواية تمثيلية جميلة اسمها « اجريبين » لم توفق الى تمثيلها حتى اليوم . فلو انك ذهبت بها اليـه وقدمتها له لعرف لك فضلك فيها . واحسن جزاءك عليها . وربما نوه بشأنها وشاد بذكرها فاهتمت الملاعب بتمثيلها وتم لك ما ترجوه لنفسك من المجد والفخار . والرجل كما تعلم شاعر جليل راسخ القدم في النقد الادبي . وسينظر في روايتك هـذه نظر الناقد البصير ولا احسبه يضن عليك بتهذيب ما يحتاج الى التهذيب من ابياتها فتأتي آية الآيات في حسنها وجمالها . فاكفهرّ وجه سيرانو وتغضن جبينه وقال له : ذلك مستحيل يا سيدي وان دمي ليجمد في عروقي عند ما اتخيل أن انساناً في العالم يحدث نفسه بتغيير حرف واحد في قصيدة من قصائدي . فعجب الكونت لامره وقال له : ولـكنك تعلم من شأنه أنه حين يعجب ببيت من الشعر يدفع ثمنه غالياً . قال : ربما كان ذلك صحيحاً . ولـكنه لا يستطيع أن يبذل فيه من الثمن مثل ما ابذل . لانني أسكب في شعري دم قلبي حاراً . ودم القلب اغلى ثمناً من الفضة والذهب . فقال: يظهر لي انك ابيّ النفس يا سيرانو . قال : نعم يا سيدي ما في ذلك شك واني أحمد الله على انك قد شعرت بذلك . فاستشاط الكونت غضباً وقام من مجلسه ساخطاً . وهو يعجب أشد العجب لكبرياء هذا الرجل الذي يرفض قبول نعمة تسيل على مثلها نفوس الشعراء والروائيين جميعاً

وكان لبريه صديق سيرانو جالساً بجانبه فاخذ يعنفه بعد انصراف الكونت ويلومه على حمقه ورعونته وينعي عليه خشونته وغلظته ويقول له : انك قد اضعت فرصة كان جديراً بك أن تفترصها حين لاحت لك . فقد كنت في اشد الحاجة الى من يرفع لك شأن روايتك وينوه بذكرهـا ويمسح عن رأسها غبار الخمول والضعة ويأخذ بيدك في طريق المجد الذي تحبه وتتعشقه . فماذا أنت صانع بعد ذلك ؟ فانتفض سيرانو غيظاً واستوى في مكانه جالساً والقى على صديقـه نظرة طويلة هادئة وانشأ يقول له بصوت قوي رنان :

ماذا تريد مني يا لبريه ؟ أتريد أن أعتمد في حيـاتي على غيري وان اضع

زمام نفسي في يد عظيم من العظماء أو نبيل من النبلاء يصطنعني ويجتبيني ويكفيني مؤونة عيشي ويحمل عني هموم الحياة واثقالها فيكون مثلي في الناس كمثل شجرة « اللبلابا » في النبات تلتف بأحد الجذوع تلعق قشرته وتمتص مادته بدلاً من أن تعتمد في حياتها على نفسها ؟

أتريد أن احمل نفسي على عاتقي كما يحمل الدلال سلعته وادور بها في اسواق المساومة مناديًا عليها : من منكم أيها الاغنياء والأثرياء والوزراء والعظماء وأصحاب الدالة والجاه يبتاع نفسًا بذمتها وضميرها وعواطفها ومشاعرها بلقمة عيش وجرعة ماء ؟

أتريد أن أنصب نفسي سخرية في الاندية الخاصة والمجتمعات العامة . ألعب كما يلعب القرد وانطق كما تنطق الببغاء . وأتلون كما تتلون الحرباء . رجاء أن اجد التفاتة من عيني أمير . أو ارى ابتسامة على شفتي وزير ؟

أتريد أن تستحيل قامتي المعتدلة الى قوس من كثرة الانحناء وان تتهدل أجفاني من كثرة الاطراق والاغضاء وان تكون فوق ركبتيّ طبقة سميكة من كثرة الركوع والسجود بين أيدي العظماء ؟

أتريد أن يكون لي لسانان ؟ لسان كاذب أمتدح به ذلك الذي اصطنعني واجتباني . ولسان صادق أعدد به عيوبه وسيئاته . وأن يكون لي وجهان ؟ وجه راض عنه لانه يحسن اليّ ويحميني . ووجه ساخط عليه لانه يستعبدني ويسترقني ؟

أتريد أن اقضي حياتي كلها واقفًا في مكاني أرثب فيه وأطفر واتطال بعنقي ليتوهم الناس اني طويل وما انا بطويل ؟ او أن اتخذ لي بوقًا ضخمًا أنفخ فيه ليتوهم السامعون اني جهوري الصوت وما انا الا نافخ في بوقه ؟

أتريد أن أسير سفينة شعري في العالم كما يفعل جماعة الشعراء والروائيين بأذرع العظماء والكبراء بدلاً من المجاذيف التي أنحتها بفأسي وبشعور الدوقات العجائز البيضاء بدلاً من الاشرعة التي أنسجها بيدي . وبتنهدات الاميرات العاشقات بدلاً من الرياح الجارية التي يسخرها الله لي ؟

أتريد أن اجعل حياتي الادبية تحت رحمة المقرظين والناقدين والراضين

والساخطين ؟ فان شاءوا رفعوني الى علياء السماء . وان شاءوا هووا بي الى اعماق الجحيم ؟

ذلك ما لا يكون . والموت أهون عليّ من ذلك

أريد أن أعيش حراً مستقلاً لا أخشى احداً ولا أهاب شيئاً . لا يعنيني تهديد الجرائد التجارية الساقطة . ولا يفرحني ان تنشر الصحف الكبيرة اسمي بالاحرف الضخمة في أكبر أنهارها . ولا أبالي أتداول الناس قصائدي وتدارسوها ورنت نغماتها في ارجاء المسارح . أم بقيت في جرار خزانتي اقرأها بنفسي لنفسي وأتغنى بها في ساعات وحدتي وخلوتي

أريد أن اعيش حراً مطلقاً . اضحك كما أشاء . وأبكي كما اريد . واحتفظ بنظري سليماً . وصوتي رناناً . وخطواتي منتظمة . ورأسي مرتفعاً . وقولي صريحاً . أنظم الشعر في الساعة التي اختارها وفي الشأن الذي أريده . فان اعجبني ما ورد عليّ منه فذاك . والا تركته غير آسف عليه وأخذت في نظم غيره بدلاً من ان أتوسل الى الطابعين أن ينشروه . والادباء ان يقرظوه . والممثلين أن يمثلوه . والعظماء أن ينوّهوا به ويرفعوا من شأنه

أحب ألا انظم من الشعر الا ما يجود به خاطري . ولا انظم الا بالطريقة التي أريدها أنا لا التي يريدها الناس لي . أي أنني آنف ان امتع نظري الا بمنظر الازهار التي اغرسها بيدي في حديقتي كما أحب واشتهي فان قدّر الله لي منزلة في الحياة فلن أكون مديناً بها لاحد غيري . ولن يكون فخرها عائداً الا علي وحدي . ولا أسمح لاحد من الناس كائناً من كان أن يرفعني . بل لا بد لي من أن أرفع نفسي بنفسي

اريد أن اعيش حرًّا طليقاً أناضل من أشاء وأجادل من أشاء . وأنتقد من أشاء . وان أقول كلمتي الخير والشر للاخيار والاشرار في وجوههم لا متملقاً اولئك. ولا متقياً هؤلاء

ان العبد المقيد بقيود الاحسان والنعم لا يمكن ان يكون حراً طليقا . فليعفني

الناس من انعمهم وصنائعهم . لاني لا أحب أن أكون عبداً لهم ولا أسيراً في ايديهم

وآخر ما أقول لك أني افضل أن اعيش ممقوتا مرذولا عند الناس على ان اعيش ذليلا مستعبداً لهم . ولا احب ان ارتفع ارتفاع الزيزفون والسرو اذا كانت اليد التي ترفعني غير يدي . وحسبي من الرفعة والشرف ان انال منها نصيبي في العالم على قدر ما تسمح به قوتي ومواهبي . لا أزيد على ذلك شيئا

فقال له لبر به : عش بنفسك وحيداً كما شئت ولكن لا تكن عدوًا للجميع

قال : ربما أكون مغالياً في ذلك ولكن ما دعاني الى المغالاة في المعاداة الا مغالاتكم معشر المتكلفين والمتحذلقين في المصادقة والموالاة . وتصنعكم في استجلاب الخلان والاصدقاء وما بغض الي التواد والتحابب الا بغضي لتلك الابتسامات الباردة الثقيلة التي تنفرج عنها شفاهكم كلما قابلتم صديقًا أو عدوًا شريفاً أو وضيعاً كريماً أو لئيما حتى اصبحت لا احب شيئا في العالم حبي لبغض الناس أياي ولا اكره شيئا كرهي لحبهم لي وتوددهم الي

هذا هو عيبي الوحيد الذي لا أعرف لنفسي عيباً سواه ولكنه عيب يعجبني جداً ويلذ لي كثيراً . وانك لا تستطيع أن تدرك مقدار ما أجد من اللذة في نفسي عند ما أسير في طريقي فاراه مملوءاً بنظرات البغض ملتهباً بنيران الحقد وأرى نفسي محوطاً بنطاق محكم من قلوب الساخطين والناقمين

أما الشتائم التي أسمعها واللعنات التي تصوب الي فهي أشبه الاشياء عندي بذلك البرد المتساقط الذي يتناثر على ردائي من الجو ثم ينزلق عنه الى الارض فادوسه بقدمي

ان الصداقة الباردة المتفككة التي يسعى وراءها الناس أشبه شيء « بالياقات » الايطالية اللينة التي تتموج حول الاعناق فتتموج الاعناق بتموجها . فهي وان كانت لينة مرنة الا أنها لا قوام لها ولا جمال

أما العداوة فهي الدرع الحديدية الصلبة التي تدور بالجسم فتحفظ كيانه

وقوته وعنمه عن أن يضعف أو أن يخور . وكل عدو جديد هو حلقة جديدة في تلك الدرع القوية المتينة . أو هي « الياقة » الاسبانية من جميع وجوهها . يعدها النـاس غلاً حديدياً وهي في الحقيقة هالة منيرة . آه

* * *

هذا هو المثل الذي ضربه « ادمون روستان » للشعراء والادباء ليكون عبرة لهم وميزانا لاقدارهم ومنازلهم . ولقد قضى سيرانو بقية أيامه بعد ذلك محافظاً على مبدئه لا يحتمل منة لاحد ولا يمد يده بالسؤال لاحد . ولا يعطي هوادة في حق من الحقوق أو مبدأ من المبادىء . ينتقد رجال الدين الذين يتجرون بدينهم . والاشراف الذين يعالئون الظالمة على ظلمهم وجورهم . فعاش فقيراً معدماً مضطهداً حتى مات موت المساكين المعوزين ولكنه عاش بعد ذلك في صفحات التاريخ عيش العظماء النابهين

مصطفى لطفي المنفلوطي

ما هي علة الشقاء الحاضر

قال احد الكتاب المزلين ان الشقاء الحاضر ناشىء عن الاسباب التالية :

كثرة الحلي وقلة الساعات المنبهة

كثرة القمصان الحريرية وقلة القمصان الزرقاء

كثرة الاحذية المروسة الطرف وقلة الاحذية الواسعة البسيطة

كثرة الملابس النسائية المكشوفة (ديكولتيه) وقلة مئازر العمل

كثرة الاوتوموبيلات الفخمة وقلة الابقار والثيران

كثرة المستهلكين وقلة المنتجين

كثرة المضاربين وقلة المقتصدين

كثرة الناقين المتململين وقلة الساعين لمعالجة الحالة بالعلاجات الناجعة

كثرة طالبي الثروة بالطرق المختصرة وقلة الذين يرضون بذل ثمنها الحقيقي من الجد والتعب

معترك الحياة

لشاعر الرصافة الكبير معروف الرصافي

هو الدهر لم يترك مشن غواره على سابق من ليله او نهاره
يثير غبار الحادثات بكره وهل نحن الا من مثار غباره
وكم عبر مطوية في صروفه فهل من مجيل فيه طرف اعتباره
خليلي ان الارض غربال قدرة تجمعت الاحياء بين اطاره
تميد به كف الزمان تحركا لمحو ضعيف او لاثبات قاره
فيبقى به الاقوى قرين ارتقائه كما يسقط الأوهى رهين اندثاره
فلا عيش في الدنيا لمن لم يكن بها قديراً على دفع الاذى والمكاره

لعمرك ما هذي الحياة بملبس لمن حيك من عجز نسيج شعاره
ولكن لمن امسى بأيد وقوة يجر على الايام فضل ازاره
ارى الشمس يخفي ضوءها كل شارق وان كان ينبو الطرف عن مستناره
وما ذاك الا انها في تلهب يموج بنور ساطع وقد ناره
فلم يستطع نجم طلوعاً تجاهها اذا لم يعذ بالليل غب اعتكاره
كذاك ضعيف القوم ان كان جاره قوياً يكن شلواً اكيلاً لجاره
وما الليث لولا بأسه في عرينه باشرف من ضب الفلا في وجاره
ومن غاور الايام غير مدجج فلا يطمعن في مغنم من مغاره
ومن لم يهن صرف الزمان برحلة تهنه صروف الدهر في عقر داره
وما شرف الدر الثمين فريده اذا هو لم يبرح بطون محاره

ارى كل ذي فقر لدى كل ذي غنى اجيراً له مستخدماً في عقاره
ولم يعطه الا اليسير وانما على كده قامت صروح يساره
ويلبس من تذليله العز ضافيا وينظره شزراً بعين احتقاره

يشد الغنى ازر الفتى في حياته وما الفقر الا مكسر في فقاره
وليس الغنى الا غنى العلم انه لنور الفتى يجلو ظلام افتقاره
ولا تحسبن العلم في الناس منجيا اذا نكبت اخلاقهم عن مناره
وما العلم الا النور يجلو دجى العمى ولكن تزوغ العين عند انكساره
فما فاسد الاخلاق بالعلم مفلحا وان كان بحراً زاخراً من بحاره

سل الفلك الدوّار عن حركاته فهل هو فيها دائر باختياره
وهل هو في هذا الفضاء مسافر له غاية مقصودة من سفاره
وهبنا جهلنا بدأه من تقادم فهل يدرك العقل انتهاء مداره
متى ينجلي ليل الشكوك عن النهى وترفع كف العلم مرخى ستاره
ألا وريَ في زند الزمان فنهتدي بسقط ضئيل من سقيط شراره
ارى الدهر ليلا كله غير مبصر وان كان في رأد الضحى من نهاره
واهليه ساروا خابطين ظلامه وان ركبوا في السير متن بخاره

لعمرك ان الدهر يجري لغاية فان شئت ان تحيا سعيداً فجاره
وها هوذا يعدو فيبتدر المدى وينهب اعمار الورى في ابتداره
لقد فاز من بارى جديديه جدة وخاب الذي في جدة لم يباره
وليست حياة الناس الا تجددا مع الدهر في ايباسه واخضراره
وما الناس الا الماء يحييه جريه ويرديه مكث دائم في قراره

لك الخير هل للشرق يقظة ناهض فقد طال نوم القوم بين دياره
أما آن للساهين ان يأبهوا له وقد اصبحوا في قبضة من اساره
تراهم جميعا بين حيران واجم وآخر يطري ماضياً من فخاره

معروف الرصافي

الحياة الباقية

« للشاعر القروي »

اغربي يا شمس عني واغربيني بالظلام
ودعيني أضع الرجـ ـل على شط السلام
تعبت نفسي من هذا الضياء الفاسد
من رياء رائج في سوق حب كاسد
تلك مأساة يواريـ ـها عن العين المنام

* * *

يا نهاراً ظن نور الـ ـعقل من نور الجبين
ذلك الزنجي (١) أدرى منك بالسر المصون
هل حسبت الليل أعمى؟ ساءت فألاً يا نهار!
ان تكن تفخر بالنـ ـور فدع عنك الفخار
أنت أن فتحت عينا فتح الليل عيون!

* * *

فالمسي جفني يا كف الحمام الناعمه
ارقت عيناي طوبى للعيون النائمه
ما ترى أرجوه في عيـ ـشي من هذا السهر
انما اللذة في الد نيا اشتهاء فضجر
وانا أصبو للذا ت الخلود الدائمه

* * *

ما كرهت العيش فالعـ ـيش لمن يدري جميل
في حمى الوحدة بين الـ ماء والظل الظليل

(١) يعني الليل

ساعة العزلة فيها كل ما النفس تروم
من بقاءٍ دائمٍ بعد بقاء لا يدوم
فهي جرثومة عيش ممرع نامٍ طويل

٭٭٭

غير أن الغمض أحلى منه في عين البصير
وسروري بعده أفضل من هذا السرور
رونق العمر شباب وجمال وغرام
وهي تعطى لي جميعاً بعد تقويض الخيام
عندما يصبح هذا الطين بالنوم زهور

الشاعر القروي

أمثال يابانية

عن المرأة

اذا اردت أن تحبك النساء فابدأ ببذل المال
النساء اللواتي يذكرن لوحات المخازن و « ماركات » البضائع يكنّ زوجات صالحات
تكبّر المرأة يتقدم سقوطها ولا سيما النساء الجميلات
النساء كالجبال يجب أن ينظر اليهنّ الانسان من بعيد ليتمتع بحسنهنّ
الرجال الذين لا يعرفون المالأة والاطراء لا خوف عليهم من حب النساء
خير لك أن تعضّ لسانك من أن تداعب امرأة بكلام سمج
اذا سمعت أحد سماسرة الزواج يطري فضائل امرأة فتأكد انها قبيحة المنظر
النساء اللواتي يحبن الحرية يفقدنها في الغالب
النساء يعجبن عادة بالنساء الشبيهات بهن
سر النجاح في الفوز بحب المرأة التي تحاشنك هو الثبات
النساء يفهمن الرجال ولكن لا يفهم النساء الا النساء
الرجل يضحك بقلبه أما المرأة فبفمها فقط

الثمائل عند العرب

للعالم البحاثة صاحب الامضاء

١ – مقدمة او نظرة في معاجم اللغة ونقصها ونقدها

قد قلنا مراراً في عدة مواطن اننا في حاجة ماسة الى تصحيح كتب اللغة التي في أيدينا ؛ فان نصوصها في غاية النقص ، وإن اللغويين المتأخرين الذين الفوا المعاجم من مطولة ومختصرة ومتوسطة زادوها خطأ وخطلاً ، وأفسدوا معاني بعض الالفاظ (وهي ليست بالنزرة) ، حتى أبعدونا عن مصطلحات السلف الكريم ، الذي عانى في تدوين اللغة ما لا يُعد ولا يحصى من المشاق وتتبع منها ادق المداق . وتأييداً لرأينا هذا نأتي هنا بادلة جديدة

ما هي الثميلة ? ما يسمع هذا السؤال جرجس همام الشويري الا ويقول لك: لا تنقب عن هذه اللفظة ومعناها في كتب الاقدمين ، فانهم قد اختلفوا في ذكر معانيها بل اختلفوا في كتابة الفاظ تلك التعاريف ، حتى انك لتنقلب حاسر النظر عما تطالع ؛ تعال اليّ فاطلعك على سر معناها . خذ كتابي معجم الطالب يذكر لك معناها بعبارة وجيزة صريحة لا تجدها في غير ديواني . فانك تجد فيه قولي : موضع الفرش في الحائط وغيره

واذا سألته من اين لك هذا التعريف الجديد ? يقول لك : نقلته عن أقرب الموارد لسعيد الشرتوني ، حيث يقول : « الثميلة أيضاً موضع الفرش من الحائط ، وهو المعروف عند عوام بلادنا باليوك » . فانا زدته جلاء بما قلته

فانت ترى من هذا الكلام ان الشرتوني هو أول المحدثين القائل بهذا المعنى . وزاد عليه الشويري قوله : « وغيره » ليتحصل منه معنى خزانة الخشب التي يوضع فيها الفرش ، كما هو الامر في البلاد الباردة ؛ اذ ان الفقراء يضعون فرشهم في سهوة في الحائط ، واما الاغنياء فيضعونه في خزانة من خشب حسنة الصنع . واليوك كلمة تركية تفيد هذا المعنى وهو كثير الاستعمال في ديار بلاد الروم (بر الاناضول او آسية الصغرى) ؛ ومع كل هذا الافصاح والجلاء في العبارة فليست الثميلة ما ذكروه وما شرحوه اي المسماة باليوك عند الأتراك وعوام جبل لبنان

فلندع اذاً المحدثين ومن نقل عنهم ، فانهم أفسدوا معنى اللفظة وخالفوا الاقدمين في ما نصوا عليه ، وارادوا ان يزيدوا معناها جلاء ، فزادوه غموضاً وعمًى . ولنرجع الى الاقدمين ، مبتدئين بمن نقل عنهم اي صاحب محيط المحيط وقطر المحيط . فقد قال في قطر المحيط ما هـذا نصه : « التميلة . . . البناء فيه الفراش والخفض . . . وضفيرة تبنى لتمسك الماء على الحرث » . وهي نفس العبارة التي ذكرها في محيط المحيط . فهذا الكلام واضح المعنى في ظاهره ، لكنك اذا أردت تصويره في ذهنك لا تنشأ منه صورة قارّة تفيدك فائدة تنطبق على حالة من أحوال المعيشة . فان البناء قد يكون فيه الفراش ، لكن كيف يكون فيه الخفض ؟ وهل يا ترى يكون خفض العيش من حسن الرياش والفراش ؟ فلا جرم ان العاقل لا يقبل هـذا الامر ؛ ففي الكلام اذاً معنى غير هـذا . أفلا يوجد فيه تصحيف او تحريف او تبديل او تقديم او تأخير ؟ فهذا يتضح من الرجوع الى الاصول الامهات

وأول هذه الاصول التي استمد منها البستاني هو القاموس للفيروزابادي . فقد قال في ديوانه المطبوع في مملكته وهي النسخة التي كانت بيد مستشرقي الغرب ، وبيد البستاني حينما الف كتابه ما هذا نصه : وكسفينة (أي تميلة) البناء فيه الفراش والخفض (وقد ضبط الاخيرة متحركة وزان سبب) وضفيرة تبنى بالحجارة لتمسك الماء على الحرث . ا ه . والفرق بين الاوقيانوس ومحيط المحيط ان هذا لم يضبط كلمة الخفض وحذف كلمة الحجارة من قول الاول : « ضفيرة تبنى بالحجارة » . فمن هنا بدأ أول تغيير لنص الاقدمين

لكن ما المراد بالخفض المذكورة في البستاني ؟ البستاني لم يضبط اللفظة في معجميه محيط المحيط وقطر المحيط واللغويون اذا فعلوا ذلك أرادوا الفتح في الكلمة ؛ فاذا كان هذا هو ضبطها فيكون معنى الخفض : الدعة وسعة العيش ؛ وهو المتبادر الى الذهن ؛ وهذا لا يتفق اتفاقاً معقولاً مع ما قبله

وقد رأيت الكلمة المذكورة في القاموس المشكول بصور مختلفة . ففي نسخة كلكتة المطبوعة على الحجر سنة ١٢٧٠ هـ مضبوطة بالتحريك أي الخَفَض . ولم أجد لهذا اللفظ معنى في كتب اللغة ؛ ولذا يعتبر من غلط الطبع،فاما أن يكون بسكون الفاء بالمعنى الذي ذكرناه ، واما ان يكون الحَفَض بحاء مهملة وعلى وزان سبب ومعناه: متاع البيت اذا هيء للحمل ، والبعير الذي يحمله ، وبيت الشعر بعُمده واطنابه وحامل

العلم (أي العالِم) والجمل الضعيف ، وعمود الخباء (القاموس). فاختر لك منها معنى يربطه بالمعنى الذي قبله. وزاد في تاج العروس: والحفَض : حجر يبنى به ، والحفَض: مجمة شجرة تسمى الحفول ، عن ابي حنيفة ، وكل مجمة من نحوها حفض . اه . ووردت الحفض في نسخة القاموس المطبوعة في مصر في المطبعة الاميرية سنة ١٢٨٩: بفتح وسكون . فالمعنى يرجع الى ما ذكرناهُ في شرح اللفظة على ما وردت في قطر المحيط ومحيط المحيط . وكذا وردت ايضاً مشكولة في نسخة القاموس المطبوعة في المطبعة الميمنية على نسخة حضرة الاستاذ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي في سنة ١٣١٩ . وفي النسخة المطبوعة في المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٣٠. ووجدت الحفض في القاموس [1] مضبوطة بالتحريك اي كسبب

وعندي نسخة خط من القاموس كتبت سنة ٩٤١ وقد فسَّر الثميلة بقوله : وكسفينة : البناء فيه الغراس [2] والحفض [3] . فانت ترى من هذا ان اللفظة تتردد بين الخفض (بالفتح) والخفَض (بالتحريك) والحفض (بحاء مهملة) والجفَض . ولعلنا نجد غير هذه الروايات اذا تتبعنا النسخ الخطية الموجودة في الخزائن

وصاحب تاج العروس نقل عبارة القاموس بدون زيادة شيء البتة وبدون أن يعلق عليه كلمة جديدة تزيدنا تحقيقاً ، اذ قال : « والثميلة كسفينة : البناء فيه الفراش والخفض وايضاً اسم طائر وايضاً ضفيرة تبنى بالحجارة لتمسك الماء على الحرث » اه .

أما الاختلاف العظيم فموجود في كلام صاحب لسان العرب اذ يقول : الثمائل : الضفائر التي تبنى بالحجارة لتُمسك الماء على الحرث واحدته ثميلة ؛ وقيل: الثميلة الجَدْر نفسه . وقيل : الثميلة : البناء الذي فيه الغِراس والخفَض والوقائد . اه . وهذا أنفس كلام جاءنا في معنى الثميلة ؛ الا أن الناسخ جهل الالفاظ فسخها مسخاً شنيعاً . والصواب في روايتها : البناء الذي فيه الفراش (بفتح الفاء والراء بعدهما ألف وشين) والحفض (بالحاء المهملة والفاء والضاد وعلى وزن سبب) والوقائذ (بذالٍ معجمة

---

(١) القاموس هو القاموس نفسه منقول الى اللغة الفارسية ، فنصه مطبوع في صلب الصفحة مضبوط بالشكل الكامل ، والشرح مذكور على الهامش وبلغة فارسية فصيحة وهو مطبوع على الحجر سنة ١٢٧٧ في ايام ناصر الدين شاه محمد خسرو بخط الكاتب الماهر محمد تقي الكليكاني (٢) الغراس بالغين المعجمة (٣) الحفض بالحاء المهملة

في الآخر جمع وقيذة) فاذا عرفت صحة كتابة هذه الالفاظ المفسرة للكلمة المنشودة فهمت المقصود منها

فالفَراش بالفتح جمع فراشة وهي حجارة عظام أمثال الارحاء توضع اولاً ثم يبنى عليها الركيب وهو حائط النخل (اللسان والتاج) والخفض (وزان سبب) حجر يبنى به (اللسان والتاج) والوقائذ جمع وقيذة بذال معجمة في الاخر وهي الحجارة المفروشة (اللسان والتاج) وحينئذ يحصل المعنى الآتي : التميلة : بناء ضخم يتخذ فيه الفراش والخفض والوقائذ ، أو بعبارة أخرى: بناء ضخم يتخذ فيه الحجارة الكبيرة والصغيرة والوسط ، يقام ليمسك الماء على الحرث ، ويطلق على الجدر نفسه اي الحاجز الذي يمسك الماء بين الدبار . وبهذا التفسير يصح المعنى ويستقيم

وقفت على كلام لغويي العرب ، فما قولك عن لغويي الافرنج الذين نقلوا المعاجم العربية الى لغتهم ، ففي مثل هذا المقام قل : حدث عن البحر ولا حرج . وأشهر علماء الافرنج الذين نقل عنهم من جاء بعدهم دواوينهم هم ثلاثة وهم : ايطالي وهو انطونيو جيجيو توفي في ميلان سنة ١٦٣٢ وهولندي وهو غوليوس ومات ١٦٦٧ والماني وهو فريتاغ وانتقل الى دار القرار سنة ١٨٦١ ثم جاء من بعدهم كثيرون نقلوا معاجمهم العربية الاجنبية عن أحد هؤلاء الثلاثة ولا سيما عن فريتاغ . ولهذا اذا رأيت هـذا اللغوي قد عثر ، عثر أيضاً كل من جاء بعده ، بل نرى أغلب سقطات البستاني راجعة الى عثرات فريتاغ كما ان زلات الشرتوني عائدة الى هنات البستاني وُسق من بعدهم كل من تأثرهم في وضع تآليفهم ، بل زادوا عليها زيادةً عظيمة فاصبحت المعاجم الاخيرة كمندفق مياهٍ دفعت فيها الانهر الرائقة الماء وكدرته . ولهذا أصبح تأليف معجم خالص من الشوائب من أهم الامور

هذه نفثة مصدور تتبع الدواوين اللغوية منذ اكثر من أربعين سنة وهو يتألم تألم من كان على جمر الغضا . تعال الآن لننظر ما قال كل من العلماء الاجانب في معاجمهم . ونذكر من نقولهم ما يرجع الى بحثنا فقط خوفاً من خوض عباب بحث لا غور له . قال انطونيو جيجيو : التميلة

Aedificium in quo triclinium sit. Defensus. Inclinatio œdificii. Fistula et aquœductus in lapide ad aquas deducendas supra sata.

ومعناهُ : البناء فيه الفراش (للطعام) ، والملجأ ، وميل البناء ، ومسلك للماء أو

لجراه يبنى بالحجارة لجر الماء الى الارض المزروعة اي الى الحرث

فقوله: البناء فيه الفراش، مبني على قراءة الفراش بكسر الفاء كما فهمها كثيرون. وقوله الملجأ وهمٌ آخر مبني على قراءته الثميلة: « مثملاً » بكسر الميم وهذا هو بمعنى الملجأ. وقوله ميل البناء، وهم ثالث مبني على قراءته « البناء فيه الخفض » فظن أن الخفض هنا هو الميل. وهناك وهمٌ رابع وهو نقله نقلا سيئاً: « الضفيرة تبنى لتمسك الماء على الحرث » فانه لم يفهم من هذه العبارة كلمة واحدة. فاذا كانت هذه اغلاطه في كلمة واحدة، فما عسى أن تكون بقية هفواته وهناته وزلاته؟

رأينا منزلة علم جيجيو من العربية، تعال الان ننظر ما كتبه غوليوس قال: الثميلة

Structura fulciens vineam. Gi et i. q - حفضٌ hafdon Supellex domestica et utensilia camelo imposita. sel. Cod. حفصٌ Hafson Corbis ansatus ex corio vel eo tectus. Ca. item... structura lapidea ad continendam pro satis aquam. cam.

وهذا تعريبه: الثميلة: البناء يعمد عليه الكرم (عن الجوهري) وكذلك (القاموس) (وانا لم أجد هذا الكلام لا في الصحاح ولا في القاموس) والثميلة: الحفض (وضبطها بسكون الفاء وهو غلط) أي متاع البيت وخرثيه يوضع على البعير (وهذا الوهم مبني على قراءة ما جاء في القاموس: البناء فيه الحفض فظن أن الثميلة والحفض شيء واحد وهو وهم ظاهر، دع عنك قراءته الحفض المحركة حفضاً بالفتح) وقال: وجاءت الحفض في نسخة الحفص بالصاد المهملة وهو زبيل مقبضه من أدم او مغشى بادم. على ما جاء في القاموس. (قلنا: والذي جاء في القاموس: زبيل من أدم تنقى به الابار، فهو كله من أدم وليس مقبضاه أو مغشى به . . .) ثم قال: والثميلة: البناء من حجارة ليمسك الماء على الارضين المزروعة (عن القاموس). وفي هذا الكلام وحده صحت ترجمته وفي ما بقي أخطأ

ودونك الان ما كتبه فريتاغ. قال: الثميلة

Structura fulciens vineam; Structura in qua sunt lectus et utensilia; structura lapidea ad continendam pro satis aquam.

وهذا معناه: الثميلة: البناء يعمد عليه الكرم (وقد بيّنا قبيل هذا سبب هذا الغلط)

والبناء فيه الفراش والاثاث ، (وهو مبني على سوء قراءة الفراش المفتوحة الفاء وسوء ترجمة الحفض) والبناء من الحجارة ليمسك الماء على الاراضي المزروعة . (وقد اصاب في هذا فقط)

فانت ترى من نصوص دواوين اللغة التي الفها العرب والغرب انهم لم يصيبوا في كل ما قالوا . وانما زلقوا من سوء فهم عبارة أول كاتب لها . ومما يجب أن يلاحظ ان التميلة بمعنى البناء فيه الفراش لم يذكرها من اللغويين من اقام بين أهل البادية كصاحب الصحاح وديوان الادب ومقاييس اللغة وغيرهم وانما ذكرها من ولد في اليمن او قضى اياماً فيها فسمع تلك اللفظة لوجود مسماها في تلك الديار وأول من ذكرها نشوان بن سعيد الحميري صاحب شمس العلوم فاخذها عنه صاحب لسان العرب وغيره ممن سبقه ؛ ثم نقلها عنهم صاحب القاموس ، وأظنه لم يفهم معنى الكلمة كما فهمها من تقدّمه فقال ما قال وذهب بعده في وادي تضلل كل من أخذ عنه . ثم جاء المتأخرون من ابناء العرب وديار الغرب فتمت بهم ثالثة الاثافي واساءوا بهم

ومما يحسن ذكره هنا ، أن الالفاظ الخاصة بالبناء كثيراً ما تكون من لغة دخيلة كاليونانية والرومية أو الفارسية حسب البلاد العربية التي يكون رُزّانها من الاغراب ، فرزاة العراق وما جاورهم من الفرس ورزاة جزيرة العرب وديار الشام يونان أو رومان . وفي بلاد مصر قبط وفي غيرها غيرهم

والظاهر أن رزاة اليمن كانوا في قديم العهد من اليونان وقد أبنا في غير هـذا الموطن انهم غشوا تلك الديار منذ عهد عهيد . فالالفاظ : التميلة والفراش والحفض والوقيذة كلها يونانية كما ان البلاط والقصر والقرميد والآجر والطاباق من الابنية وموادها دخيلة أيضاً

فالفراش من اليونانية وهو الركيزة والعمود المعرض والركن . واذا جاءت مجموعة دلت على العمد المتسقة او أزَج الهيكل أو عمد كل بناء جليل وسهل نقلها الى العربية لان المادة تساعد على نقلها وتأصيلها في اللغة ؛ حتى ان العربي لينكر كل النكير عجمتها ولهذا لم يلتفت الى دخلتها أحد

ومثلها الحفض ومعناها الحصى الحسن أو الحجر الصغير الجميل

والوقيذة من اليونانيـة أيضاً ومعناها ممتلىء هوادي (وهي الصخور تكون في الماء) ومجيء الراء الدخيلة واواً كثير الشواهد وهو ناشيء من مشابهة بين صورة

الواو والراء . وقد وردت أيضاً في العربية كقولهم رجف ووجف . الرسم والوسم . الرشم والوشم . خاوصه وخارصه . القموطة والقعرطة . الى غيرها . والوقائذ في اليونانية اكثر ما تكون بجانب سواحل البحور وهي أنن الضحل في لغتنا

اما الثميلة فيونانية ايضاً وهي البناء الضخم والمذبح والهيكل والمقدس عند قدماء اليونان ومنه الثمائل أو تماثل الككلوب وهي حيطان ضخمة عظيمة يظن اليونان أن بناتها كانوا الككلوب وقد اثبت العلماء أنها للبيلسجيين وقد بنوا مثل تلك الحيطان شيئاً كثيراً على ساحل البحر المتوسط ؛ وكانوا يتخذون لها الفراش وهي حجارة ضخمة لا يقدر الثور العظيم ان يجرها لو وضعت له على عجلة ، فكيف بدونها ؟

فترى من هذا كله ان بناء الثمائل يرتقي الى عهد البيليسجيين ويظن ان اصلهم من فريجية وقد انبثوا في عهد غير معروف الحدود في مكدونية واغريقية وانفذوا زمراً منهم الى ديار الاندلس . وكانوا يحسنون بناء المدن المحصنة وكثيراً ما يسمونها لارسة أو عرقس . ومن ثمائلهم ما نرى بقاياه في ايطالية واغريقية في مقينة وتيرونثة . وكلها مبنية بالرضام (أي بالصخور العظيمة الضخمة غير المنحوتة يجعل بعضها فوق بعض بدون أن يدقق في وضعها فيتخذ معها في بعض الاحيان الحفض والوقيذة)

٢ — وجود الثمائل عند العرب بادلة من اللغة

اذا اراد الافرنج اثبات شيء لجأوا الى اللغة وفيها اول دليل على وجود المسمى عند من يعرف اسمه . وكم من امر اثبتوا وجوده بدليل اللغة . وهذه الامم التي نزحت من الديار الشرقية الى الاقطار الغربية لم يثبت ظعنها الا بما وجد بين الاقوام الاوربية والاجيال الهندية من التشابه والتوافق في لغاتهم

ولذلك يجوز لنا اثبات وجود الثمائل أو الابنية الضخمة (مهما كانت الغاية من اقامتها) من الاوضاع المعروفة في اللغة العربية ان كانت دخيلة وان كانت عربية صحيحة . وأول هذه الالفاظ الثميلة نفسها والحروف التي اتخذها اللغويون لتعريف الثميلة : وقد اوضحنا ذلك في النبذة السابقة بما لا يبقي للشك أو للشاك محلاً للريب

ومن العجب ما يلاحظ في هذا الصدد ان لغويي العرب الاقدمين ونخص منهم بالذكر صاحب شمس العلوم ومؤلف لسان العرب عرّفوا الثميلة بكلام وجيز وموافق لاحسن ما كتبه المحدثون في هذا المعنى . وقد نقلنا كلام صاحب اللسان

بعد أن اعدنا النص المطبوع الى نصابه الاول الذي وضعه عليه ابن مكرم . والان نذكر لك تعريب نص معجم بويّه ونردفه بحرفه الافرنجي لـكي لا نُتَّهم بافراغ القول في قالب يوافق مدّعانا . وهذا هو معناه :

« يعزى الى الـكـكلوب الابنية المعروفة بالتماثل ومنها بعض اطلال ترى في ايطالية واغريقية في مقينة وتيرنتة. وهذه الابنية عبارة عن رضام مرضومة (أو فراش مفروشة) يدخل فيها الخفض والوقائذ ونظن أنها من صنع اليلسجيين »

ودونك الان النص بحرفه الافرنجي (وقد اضطر الـكاتب ان يتخذ كلاً تشرح الالفاظ الاصطلاحية التي عرفها العرب الاقدمون وقد أعدناها الى مقرها ، مما يدل على غنى لغتنا الطـائل في اوضاعها ، اذا اراد الـكاتب أن يتوقع مـساقطها ويرتاد مواقع معناها) :

On attribue aux Cyclopes des constructions dites Cyclopéenes dont on trouve encore quelques vestiges en Italie et en Grèce, à Mycènes et à Tirynthe ; ces constructions qui consistent dans d'énormes rochers bruts posés irrégulièrement les uns sur les autres. et dont les interstices sont remplis par des pierres moins grosses, sont probablement l'œuvre des Pélasges . (M. N. Bouillet : Dict. Univ. d'Histoire et de Geog. 3le. édition Art. Cyclopes)

والرضام في العربية هي التي شرحها الـكاتب الافرنجي فقـال : هي صخور ضخمة غير منحوتة توضع على وجه غير محكم الوضع شيئاً على شيء . واحسن من هذا التعريف قول لغويي العرب : الرضام ككتاب: صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض في الابنية ، الواحدة رضمة . (القاموس والتاج والصحاح وثعلب وابن بري وغيرهم) فانظر رعاك الله هذه الدقة عند كتاب العرب الاقدمين مع ما تراه في كلامهم من الايجاز المعجز والافهام الـكافي بل الوافي . فهنيئاً لهم !

وقالوا أيضاً في هذا المعنى : الرضم والمرضوم : البناء بالصخر .

ومثل الرضام الرجام قال في التـاج : « الرجام كالرضام وهي صخور عظام امثال الجزور ، وربما جمعت على القبر ليسنّم » آه . وعندي أن الرجام لغة في الرضام وان لم يصرحوا بها لاني تتبعت هذا البحث في اللغة فوجدت مثل هذا الابدال

كثيراً ومنه : وجبح الطريق ووضح على ما في المحكم ، أو جفه واوضفه حمله على الاسراع في المشي ، هضم عليهم وهجم ، امرأة رجراجة ورضراضة اي كثيرة اللحم وقد ذكرها الجوهري ، الى غيرها فاجتزأنا بما ذكرناه

ومما جاء في هذا الصدد ان الاقدمين من اليمانين كانوا يكتبون بعض الامور التاريخية على تلك الصخور ليعرف الغرض من وضعها وقد ذكر العلامة الهولندي دي كوي في آخر الجزء الثامن من مجموعته « جغرافيو العرب » في الصفحة XXVI ما هذا معناه : المسند ويجمع على مساند : رضمة بيضاء قد بنيت في مكان مرتفع عليها كتابة حميرية . ومن هذا اللفظ اتخذوا اسم الكتابة نفسها فسموها المسند . وأعا الاصل كتابة المسند بحذف المضاف . اه .

وهذا كلام نفيس لانه يدلنا على محل وجود هذه الصخور ووجود كتابات عليها وقدمها في تلك الديار ، الى غيرها من الفوائد . ولعل هناك غير هذه الالفاظ التي جئنا بها ولم نعثر عليها ، فنتركها لمن يستقصي في البحث

٣ ـ وجود التماثيل عند العرب بادلة الشواهد

اول هذه الشواهد ما ذكره المفسرون عند كلامهم عن ارم ذات العماد الواردة في سورة الفجر؛ فان بعضهم ذهبوا الى انها سميت بهذا الاسم لانه كان فيها ابنية رفيعة عالية ضخمة الحجارة . نعم ان جميع المفسرين لم يتفقوا على التأويل فمنهم من اعتبر إرم ذات العماد اسم قبيلة ، ومنهم من قال أنها امة قد خلت ، وجماعة ذهبت الى انها اسم مدينة ، ثم انهم لم يتفقوا على حقيقة تلك المدينة ؟ بيد ان القول بانها كانت مدينة وان تلك المدينة كانت مبنية بصخور ضخمة مما يدل على انهم كانوا قد ألفوا رؤية تلك الابنية الجسيمة

وجاء في تلك السورة : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » وقد اختلف المفسرون أيضاً في تأويلها . ومن جملة ما قالوا ما ذكره الطبري في ٣٠ : ١١٣ قال: حدثني يونس قال : اخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : الذين جابوا الصخر بالواد : ضربوا البيوت والمساكن في الصخر في الجبال حتى جعلوا فيها مساكن؛ جابوا : جوّبوها ، تجوّبوا البيوت في الجبال . قال قائل :

ألا كل شيء ما خلا الله بائد كما باد حيّ من شنيق ومارد

همُ ضربوا في كل صلاء صعدة بايدٍ شدادٍ ايّدات السواعد . اه

ومن يتتبع الابنية الضخمة او الهياكل ، يتحقق انهم اتقنوا في تشييدها من ديار الشام الى ديار العرب في اليمن . اما انهم كانوا قد أقاموا شيئاً من ذلك في اقطار الشام فهو مما قال به علماء العصر . فلقد ذهب العلامة دي صوصي De Saulcy لبزور بنفسه اخربة بعلبك فكتب عنها شيئاً جليلاً ومن جملة ما قال ان في العقود المبنية في بعلبك يداً رومانية وفي أسس الجدران يد الككلوب [١] . وقال لامارتين ان الاسس الككلوبية - ويجوز للرائي ان يظنها معاصرة لتأسيس بعلبك - تتألف من رضام عظيمة وقد ضم بعضها الى بعض بدقة ما وراءها دقة . وبين هذه الرضام ثلاث هنّ مُدهشات : تكسير احداهن ٢٠ متراً في الطول في ٤ أو ٥ سمكاً وكذلك ثخناً . ويسميها الاعراب (حجر القبلة) . وقدر المسيو دي صوصي القوة اللازمة لرفع تلك الفراشة فقال : يجب لها آلة قوتها ٢٠٠٠٠ حصانٍ لتحرك من مكانها . او يقتضي لها جهد ٤٠٠٠٠ رجل يعملون دفعة واحدة لينقلوها الى مسافة متر واحد في ثانية واحدة من الزمان . ثم قال :

ان العقل ليعود القهقرى عند نتيجة مثل هذه النتيجة . وان المرء ليسأل نفسه قائلاً : ألست في رؤيتي هذه الاشياء أرى حلماً ، اشياء في هذا المظم الهائل وقد نقلت الى مسافة الف متر ، ورفعت الى علو يجاوز العشرة الامتار ، وقد ألقيت على ظهر أجرام اخرى تكاد تكون مدهشة بقدر ما تدهش اخواتها السابقات . اه

ولو اردنا ان نذكر اسماء من ذهب الى ان قواعد هيكل الشمس في بعلبك هي من بناء الككلوب (ويراد بهم البلسجيون) لاطلنا الكلام على غير جدوى . والعلماء اصحاب الفن قد سلموا بهذه الحقيقة فلا عبرة بكلام من خالفهم . وانما ذكرنا هذا الكلام لنعرف القراء ان في ابنية بعلبك التي تعجز الواصف شيئاً في أسسها يرتقي الى قوم هم غير الرومان بناة تلك الشواهق اولئك القوم هم الذين نرمي اليهم في كلامنا هذا

وفي بادية الشام اثر من الآثار المحيرة للافكار ، لا يقل في جلالته عن اثر

(١) راجع كتابه : رحلة حول البحر الميت
De Saulcy : Voyage autour de la Mer Morte. Paris 1815

بعلبك ، نريد بذلك مباني « تدمر الفخمة الضخمة . ولقد كتب كثيرون من الافرنج عما فيها من العجائب والغرائب ما يتعدى طور الامور المقررة ، ومع ذلك فانها لا تنكر . ومن اغرب الغرائب ان تلك الحجارة الضخمة هي في بادية لا يرى فيها اثر المقالع . فلا جرم أن رزأتها اتوا بتلك الرضام او الفراش من مكان قصيّ وهو مما يزيد في مجد أولئك الذين اقاموا في وسط الرمال تلك الآطام التي تحير ذوي الافهام . وقد اتفق كبار العلماء الذين زاروها فقالوا (١) : ليس في أخربة تدمر مميزات فوارق تدل على انها من ابنية اليونان ، بل ولا من ابنية الرومان . . . وقال ڤولني Volney : « ان الاقدمين لم يبقوا لنا في اغريقية ولا في ايطالية ما يضاهي عظمة أخربة تدمر » . وهذا كلام شاعر يبالغ في كلامه ؛ على انه مهما يكن فيه من المبالغة فلا اقل من انه يدل على جلالة تلك الشواخص . وإذا كانت غير منسوبة الى الرومان ولا الى اليونان ، فهي اذاً للككلوب على ما رأيت ، اي للبلسجيين .

ومن المباني الدالة على ان هؤلاء الاقوام كانوا في بلاد اليمن من بلاد العرب وانهم بنوا فيها الابنية الجليلة ما ذكره الهمداني في كتابه الاكليل ووصف منها شيئاً لا يكاد يصدق ونحن نذكر منها اثنين فقط . قال في دامغ « قال الحسن الهمداني هو ضوران ، جبل أنس بن ألهان بن مالك بن ربيعة او سلة بن الخيار بن الحرث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام، واسمه ايضاً مركان وهو جبل منيف فوق بكيل . — والهان وهمدان اخوان ابنا مالك بن ربيعة أوسلة وفيه عمارة بالرضام اي بالصخور العظام من اعجب البنيان . . . . . » ودامغ هو ما بين صنعاء وذمار ، كثير الانهار الجارية وكان يصلح فيه في ايام حمير شجر الورس وسائر الفواكه ، وفيه معدن الحجر النفيس البقراني ، ما لم يكن في غيره . وقصوره كانت ثلاثة مشيدة بالصخور الرضام في شرف الحصن من جهة القبلي واحد ، وفي المصنعة السفلى واحد واسمه المصنعة ، وتحته في وسط العقبة السفلى قصر كبير . هدم هذه القصور الحبشة في ايام ملكهم لليمن وأحرقوا أخشابها بالنار لعظمها . وقد قيل ان دامغ هو الجبل الاشيب الذي ذكره شق وسطيح بهذا الكتاب،

---

(١) نعرب تعريباً حرفياً ما جاء في كتاب ود السائح الانكليزي . وقد نقل الى الفرنسية بعنوان «اخربة تدمر» Les Ruines de Palmyre والاصل المطبوع في لندرة سنة ١٧٥٣ بقطع الثمن وفيه ٢٧ صورة والترجمة الفرنسية مطبوعة في باريس سنة ١٨١٩ بقطع الربع

وانه يؤهل ويعمر بعد خرابه الاول ، ويصير دوراً ومنازل . وفيه يقول علقمة :

فتسك الزمان بحمير وملوكها ضوران أدركه المنون الاكبر
تعوي الذئاب بربعه وثعالب والبوم ساكنه كأن لم يعمر

وذكر عن وادي ضهر ما هذا حرفه : « قال طوق بن احمد الحبشي النحوي صاحب ابي الحصيف وكان من أرض مصر وقد أشرف في هذه (الجنة) على الوادي فنظر وهو على حد الخراب من آثار القرامطة، ورأى ما فيه من العجائب: قد دخلت أرض مصر والعراق والشام فلم أرَ مثل هـذا الوادي . وكان في هذه القلعة قصور الملك ، منها قصر ريدان وهو غير ريدان ظفار المتقدم ذكره وقصور بحاشيته . فرأيت في قصر منها ساحة مربعة يدور بها دكاكين من بلاط (أي Amphithéatre en pierre) تكون البلاطة طول اذرع ، فيها قطوع لمقاعد القيول ، اذا طلبوا الوصول بالملك ، وعلى جانبي كل مقعد قطعتان ارفع من المقعد لمقام الرجلين اللذين يقومان على رأس القيل مصلتين سيفيهما . وكل واحـد قائم على رجلٍ فرد . وكان في مثل ذلك كثير في قصور اليمن . وفي ذلك يقول الهمداني :

ذر الرقاب خشّع الابصار مثل قيول الملك من ظفار
ممهودة كراسي الحجار مخالفة الاكتاف بازورار
لا يطرقون بالجدار مصلتات كضرام النار
يهزها الصدر من النهار عليهم مأثورة الجبار

وفي وسط الساحة بلاطة عشرة اذرع في سبعة عرضاً يقال لها الرخامة محمولة من بلد ثار لأنها لا تشاكل حجار ذلك الموضع ؛ فاذا أراد الملك أن يضرب انساناً اكبه عليها وضربه بالعود حتى يقطعه . انتهى المقصود من ايراده

وقد ذكر الهمداني في كتاب الاكليل في الجزء الثامن منه أشياء كثيرة تدل على ان هناك كانت ثمائل ضخمة البناء لا مثيل لهـا في سائر بلاد العرب . ومن يطالع كتاب العرب قبل الاسلام للمرحوم جرجي زيدان يرَ في باب قصور اليمن مباني من هذا القبيل فاجتزأنا بالاشارة اليها

ونختم مقالنا هذا بما كتبه لاروس في معجمه الكبير في آخر مادة Cyclopéen ما هذا تعريبه :

يعلم الناس ان اكتشاف الثمائل (أي الابنية البيلسجية أو الككلوبية) ينسب

الى المسيو پتي راديل وكان العلماء يجهلونها الى عهده . ففي سنة ١٨٠٠ رفع الى معهد العلم الفرنسي ما بحث عنه مراراً في عدة سنين في جوار رومة ونابلي . هذا وقد جاء في « الرقيعة التاريخية على تقدم التاريخ والآداب القديمة ... الخ » التي رفعها المسيو پتي راديل الى الامبراطور سنة ١٨٠٨ عن حلقة التاريخ والآداب القديمة المنسوبة الى معهد العلم أن المسيو پتي راديل هو أول من فكر في أن يميز بين ابنية وأبنية أو قل بين اسس وأسس اسوار المدن القديمة التي يجب أن تعتبر أنها راجعة الى عصور التأسيس الاول لتلك المدن . وقد ابان ان تلك الاطلال المبنية على ما يقال بقراش عديدة الاوجه غير منتظمة وخالية من ملاط — اطلال نسبها علماء الآثار الى ذلك العهد الى الاترسكة والى الرومان ، بل حتى الى الغوط والعرب — هي نفس التماثل التي وصفها الكتبة اليونان ويرتقي اصلها لا محالة الى عهد عهيد . وقد استند في كلامه هذا على هذا المبدأ وهو أن ابنية شيدت على أساليب متضادة ومتنافرة بينها كل التنافر تعود بدون ريب الى طرآء مختلفين . ويستنتج مما تقدم بسطه أنه لما كانت هذه الابنية متشابهة في قواعد أسوارها الذاهبة في الارض سفلاً ، أسوار اقدم المدن اليونانية وأسوار أقدم مدن ايطالية : فيجب ان نحصل ان طائفة من هذه الابنية رفعتها دول قديمة هي تلك الدول التي ينسب اليها الخلف نقلاً عن السلف الحضارة القديمة التي عرفت في تلك الارجاء . وما ارتأى هذا الرأي المسيو پتي راديل الا وقاومه الرزاة الالمان كل المقاومة وهجموا عليه بما لديهم من أساليب التفنيد . اما پتي راديل فانه افرغ كنانة وسعه لتأييد حقيقة بحثه الى آخر نسمة من حياته (وتوفي سنة ١٨١٥) وأيد فكره بانه جمع بحث الآثار القديمة على ما ينكر منها ويسلم به . ورتب أعصر تأسيسات التماثل وطبقها على اعصر الدولة القديمة التي كانت في البلوبونيسة (اي المورة الحالية) — انتهى التعريب بحرفه

ففي مطاوي قوله : « اطلال نسبها علماء الآثار الى ذلك العهد الى الاترسكة والى الرومان ، بل حتى الى الغوط والعرب اشارة الى أن العرب قد عرفوا هذه الابنية الضخمة الهائلة العظم ، وهي التي تنسبها الى بيلسجيين ذهبوا الى ديار الناطقين بالضاد ورفعوا فيها تلك القصور الضخمة وانضموا الى العرب وصاروا أفراداً منهم . ولعل العلم يفيدنا اكثر من هذه الفائدة ، اذا ما افتتحت ديار العرب لتحقيقات العلماء فيصرّح الحق عن محضه .

« مستهل »

ليلة عيد النصر

بقلم الآنسة مي

عاملان اثنان يتجاذبان الجنان : عامل الحزن وعامل السرور . على ان قطرة حزنٍ في عمقها توازي بحر سرور في اتساعه . . .

صوتان اثنان يناديان المرء من سحيق أقطاب الحياة : صوت السعادة وصوت الشقاء . فينطلق يعدو والسعادة وجهته . على أن صخور الوعر تهشم قدميه ، وأشواك القتاد تدمي يديه ، وتأوه الثكل والوداع يفطر لبه ، وتجهده المسؤولية في معترك الاعمال ، فينسى السعادة بين الشفقة والنضال لان الشقاء حقيقة والسعادة خيال . . .

عاملان اثنان يتجاذبان الجنان : الحزن والسرور . على أن قطرة حزنٍ في عمقها توازي في اتساعه بحر سرور . . .

• • •

من لا يذكر ذلك اليوم والليلة التي اثترته ، يوم قامت دول الحلفاء تذيع بشائر النصر بدويّ مدفع طالما هدر لدى الكريهة مجاهراً باستصغار الحياة واكبار المفاداة ؟ من لا يذكر مهرجاناً انتشرت بهجته على ضواحي العاصمة وتقاسم أفراحه صاحب الكف الندي الذي أجزل للمعدم العطاء وصاحب اليد الفارغة التي أثقلتها أكياس الطعام والحلوى ؟

الا أن نور النهار باهتٌ لزخرف الاعياد ولا تتمّ الحفلات وتسطع الزينات الا تحت رواق الظلام الغدافيّ

وانت ، أيها الظلام ، أمين على مواعدك دقيق في الوفاء بها . ما شرعت الشمس مرة في الافول الا دنوت أنت متلمساً متمهلاً ، كأنك ذلك المحب المحبوب الذي ينفث في روع الفم الكلمة المنتظرة طويلاً قبل ان ينبس بها ، ويقولها بأساليب شتى قبل ولوج الاسلوب الاوحد

واليوم ، لدن حلولك ، تتكيف غيوم المغرب متلونات وتترجرج من خلالها لانجم الزاهرات ، كأن هذه وتلك أوسمة العز وأشرطة الفخار على صدور الأبطال

وقامات اقواس النصر هيفاء تحت بنود ألوية تعاقدن عليها ، والانوار تتغامز متفاهمات عن بعد كارواح الاحباب . وأجواق الموسيقى تنبثق من جميع الشوارع والزوايا ، والجيوش تجوب الاحياء بطبولها دون أن يعلم من اين تجيء واني تغدو

ولاسراب الطيارات عزيف اذ تحلق في السماوات العلى باعثات من جوانبها الى الارض بذيول الضياء ، مرصعات هواء الشفق ببسمة نجوم البرايا لنجوم الباري

على الآفاق يموج لألاء المواسم والاعياد . ومن احشاء المدينة يصعد هزج النشوة والظفر . كل شيء يلمع ويموج ويهتف ويتلظى . وقد سرت الي عدوى الطرب فها انا أعتلي سطوح الحي لاشرف على فرح الفارحين وأنال منه نصيبي ولكن . . .

عاملان اثنان تجاذبان الجنان : الحزن والسرور . على ان قطرة حزن في عمقها توازي في اتساعه بحر سرور

* * *

اذ بينا الانسان يبتهج حاسباً ان انظمة الاجتماع قد انحلت ونواميس الطبيعة توقفت حتى انقضاء سروره ، اذا بالنواميس والانظمة نافذة في ادق مغازيها

. . . وفي وسط الهتاف المنسجم تتعالى نغمة شاذة

وقفتُ عند الزاوية المشرفة على الديار المجاورة ابحث عن مصدر الاجيج وما لبثت ان عثرت عليه في فاجعة من فواجع البؤس العديدة ، تلك التي تذوب حيالها لفائف القلوب

هناك أربعة رجال على احد السطوح المحاذية ، يعالجون امتعة أخرجت من غرفة صغيرة ويزجرون امرأة بينهم تتوسل وتنتحب . فقيرة احدودب ظهرها وقبحت هيئتها ونثر شتاء العمر على هامتها ثلج الشيخوخة . مرت شهور خمسة

ولم تؤد بدل الايجار فتسلح المالك القوي بالقانون وحجز متاعها ليباع بالمزاد . واما هي فتُطرد طرداً من الغرفة الصغيرة القائمة في طرف السطح وتطرد من المنزل الى تحت قبة السماء

الجماهير السعيدة تراقب افاعي النور التي شرعت تتلوى في الظلام ، تراقبها وتهتف . والشيخة التعسة تجيل الطرف في حوائج تُنزع منها لانها فقيرة ، تجيل الطرف وتبكي . وما كانت الدموع لتنقلب يوماً ذهباً وفضة يفيها المدين ويرضى بها الدائن !

هذه هي الطاولة التي كانت تتناول عليها طعامها الغث الجاف ، وهذا هو المقعد الذي طالما جلست عليه تستطلع خبايا الليل البهيم ، وهذه هي المرآة الكالحة البلور التي ترجع صورة وجهها الكئيب وقامتها الممسوخة ودموعها الغزيرة

وجيع ، وجيع مشهد دموع اليأس في المرآة الصلبة الباردة !

كم كانت تحرص على هذه الامتعة المتواضعة ! هي تلمسها الساعة مداعبة ، شاكية ، شاكرة ، اسفة . الا انها لم تعد لها ، فمن اين هي آتية بمثلها الآن ؟

تعاون الرجال على اخراج اكبر متاع من الغرفة فهرولت الشيخة اليهم والزفير في صوتها يقطع الشهيق : هذا السرير ! السرير الذي طالما أنال اعضاءها الكليلة راحة بعد مشقة النهار الطويل

وضع السرير بجوار الحوائج الاخرى ووقفت هي عنده واستولى عليها الهدوء بغتة ، وطفق رأسها ينحني ببطء حتى استقر عند نحرها ، وظلت كذلك كأنها في جمودها تمثال الحزن على ضريح ميت حبيب

الجماعات تضج والمدافع تقصف ، والاضواء تجعل الليل نهاراً وهاجاً . غير اني لم أعد أرى سوى نقاب القنوط المجلل وجه الشيخة الذليلة . وكأني لمحت غائرات الكواكب يتشاورن في مؤاساة المرأة الوحيدة ـ الوحيدة في الدنيا

* * *

عاملان اثنان يتجاذبان الجنان : الحزن والسرور . على ان قطرة حزن في عمقها توازي بحر سرور في اتساعه . . .

صوتان اثنان يناديان المرء من سحيق اقطاب الحياة : صوت السعادة وصوت الشقاء . فينطلق يعدو والسعادة وجهته . على ان صخور الوعر تهشم قدميه ، واشواك القتاد تدمي يديه ، وتأوه الثكل والوداع يفطر لبه ، وتجهده المسؤولية في ميدان الاعمال ، فينسى السعادة بين الشفقة والنضال لأن الشقاء حقيقة والسعادة خيال

عاملان اثنان يتجاذبان الجنان : الحزن والسرور . على ان قطرة حزن في عمقها توازي في اتساعه بحر سرور . . .

* * *

تتدافع الجماهير في الشوارع المؤدية الى حديقة الازبكية لحضور المهرجان الاكبر ، فهل من باحث يعثر على الشيخة في وسط العباب البشري المتزاحم ؟

فقدكِ بصري ولكني لا أفتأ أتحزن لك ، أيتها الطريدة . الى أين تذهبين ؟ أتقصدين الى جمعية خيرية وكأن الليلة موصدات الابواب ؟ أم تطرقين باب كريم وكرام البشر لا يعبأون بغير لطيف الجمال أنيق الهندام ؟ أم تهجعين في مدخل منزل عظيم والناس كالشرطة يعتبرون من لا منزل له لصاً متشرداً ؟ أم تبكين كما رأيتك باكية وتمدين يدك المرتعشة للتسول فيعرض عنك الفرحون لان نائحاً يعكر صفاء الانس مكروه بحق ؟ أم تستنهضين همة صديق ولست بالشابة المليحة ليتحمس لك المتحمسون ولا بالوجيهة القديرة ليتقرب اليك المتقربون ؟ أم انتِ وطدتِ النفس على زيارة النيل السخي الذي يجود ولا ينتظر وفاء فتجدين من أمواجه صدراً ليناً ومن أمواهه عطفاً عذباً ، وتباركين موتاً احتضنكِ عندما نبذتك الحياة ؟

. . . .

ايا كانت وجهتك قفي قليلاً لاودعك

نظري بعيد عنك وانما هو حائم عليك وتتبعك شفقتي الدائمة ، يتبعك

شعوري بفظيع أنانية البشر ، تتبعك روحي المتفطرة معك

روحي المتفطرة تعانقك ، أيتها المسكينة . أشاعرة انت بوجودي ؟ أنا الفتاة أستطيع أن اكون لك لحظة أماً ، أيتها الشيخة الطريدة . أنت الآن ككل سقيم محتاجين الى حنوّ الام وما كان كلّ ذي أمّ نائلاً من الحياة حنواً ! سأهمس في مسمعك كلمات حلوة جعلها حنظل الايام حثالة الحثالة في قلوب المظلومين ، وسأمسح عبراتك بأنضر ورود البستان ثم أهدي الوردة وما امتصته من لآلىء القلب الى الهة العبرات والاشجان

لا تشكي الوحدة فاخوانك الاشقياء كثير . ولا تندبي حظك فانواع العذاب وصنوف الذل لا تحصى . لستِ بالقبيحة ما دام لك جمال اليأس الرائع ، ولا أنت بالعجوز ما ظل منهل البكاء فيك فتياً كما كان منذ فجر العالم

فيك يتجلى الليلة الفرد الجوهريّ بينا الفرحون يمثلون الفرد المجازي . أنت الذات الجليلة المفجعة وهم الذات الهزلية الطائشة . أنت الحقيقة الناضجة وهم الوهم الخالي . انت قطرة الحزن التي توازي بحر السرور ، لان وراء اللهو والجزل فراغاً وخلواً ووراء الحسرة والقنوط نفساً زاخرة بالعواطف ، متسعرةً بالحرق ، رويةً بالدموع يتناظر في غورها جبارا الحياة : الممكن والمستحيل

* * *

صوتان اثنان يناديان المرء من سحيق أقطاب الحياة : صوت السعادة وصوت الشقاء . فينطلق يعدو والسعادة وجهته . على أن صخور الوعر تهشم قدميه ، وأشواك القتاد تدمي يديه ، وتأوّه الثكل والوداع يفطر لبه ، وبجهده المسؤلية في معترك الاعمال ، فينسى السعادة بين الشفقة والنضال لان الشقاء حقيقة والسعادة خيال

عاملان اثنان يتجاذبان الجنان : الحزن والسرور . على ان قطرة حزن في عمقها ترجح في اتساعه بحر سرور ...

يوم البرميل

أو رقص البر والبحر

لخليل مطران

ورد من الشام برميل من العرق برسم حضرة الوجيه الامثل الخواجا اسكندر خوري واتفق أن انشق خشب البرميل على رصيف الجمرك ففرغ مما فيه فلما علم بعض الادباء بهذا الحادث بعث بقصيدة شماتة لا تعزية الى صاحب البرميل فانبرى خليل مطران للاخذ بنصرة صديقه الحميم وأبّن البرميل الفقيد تأبيناً دل على عظيم شأنه وجلال خطبه الذي رقص له البر والبحر وتراكضت من هوله السماء والارض واهتز بسببه الاحياء والموتى وهي مداعبة لطيفة رأينا أن نفكه بها قراء الهلال . قال :

لهفي على برميلك الذبيح كان بروح . صار زق ريح
تنفخ البطين حتى اندلقا محموله ومن تقاوي انفلقا
يا عجباً لهول ذاك المصرع وا حربا للعرق المضيع
جرى على الارض من البرميل غير قتيـل وهو كالقتيل
فشرب الرصيف ذاك الماء مشتفياً فـزاده ظماء
وسكر الرصيف سكراً يثني فاهتز حتى خيل ملهى جن
حل القوى[1] وافتك من اعصامه اذ مشت النشوة في عظامه
مرتقصاً وذاهباً وآيبا مبـاعداً للشط أو مقاربا

* * *

وانسربت من رشحات الخمر ثمالة فاتصلت بالبحر
فهبت الامواج أي هبه ووثبت بالبر أي وثبه
وقامت الدنيا لها وقعدت وانطلقت عناصر قد قيدت

(١) الحبال

وذهب الجنون كل مذهب في مشرق من حولها ومغرب
فما ترى الا مياهاً تنتفض تكاد لا تصعد حتى تخفض
وما ترى الا سماء هابطه ورابيات كالجمال الناشطه
وسحباً تعبس في عنانها وشعلاً تضحك عن اسنانها
وعاصفات في الفضاء تعصف وقاصفات في السماء تقصف
ثم يلي هنيهة سكوت ونسم هادئة تموت
وهكذا النوبة بعد النوبه لكل حال جيئة واوبه

* * *

واسمع حديث ما رآه الطائر في جوه فآب وهو حائر
عنيتُ ذاك الطائر البحريا اوفى الطيور شبعاً وريا
طابت له السلاف وهو ينقر ولم يخل ذاك الشراب يسكر
فملأ الوطاب ثم انطلقا نشوان في اوج العلى محلقا
البحر تحت قدميه مضطرب والبر في عينيه كاللج يخب
فما الذي رآه من بعيد من منتهى النيل الى الصعيد

رأى انبساط الجنة الخضراء كأنه في ملتقى مرائي
مختلف النبات والنوار يموج بالالوان والانوار
والنيل بين الضفتين يسعى ممعجاً في سيره كالافعى
له التماع آخذ بالطرف بين انتظام واختلال صرف

رأى ابا الهول وقدماً ظلا ما هز منـه الدهر الا الظلا
يقفز كالارنب في الصحراء قفزاً الى الامام والوراء

وشهد الاهرام في ارتعاض كالنسوة الرهلات في المخاض
لها وقوف ولها قعود والناس في انطيادها قرود

ورب موتى من الوف حجج نصت قبورهم كنص الحجج
تسلسلوا تحت جبال الليب في نسق الى حدود النوب
ادركهم بعث بلا تعقل فنهضوا في خلل وخبل
وزفنوا (١) وراء كل فنّ في عالم الغيب اجن زفن

وهكذا ناب جميع القطر في بره ونيله والبحر
ما نابه من سكرة الفتون ورقصة الحياة والمنون
فصار يوم ذلك البرميل وأين منه خطب عام النيل

* * *

فيا أخي اسكندر الحبيبا لا تسمع الواشي والرقيبا
ليس الذي اسكر كل مصر ببالغ منك محل الفكر
فهل يرى في نفسك انفعال يوماً لما قيل وما يقال
سامح كما اعتدت وكن كريما فقد يكون اللائم المليما
خذ راشداً بصبرك الجميل فالبحر كان شارب البرميل

خليل مطران

(١) رقصوا

حكم عربية

من ساس نفسه ساد جنسه
من رضي عن نفسه سخط عليه الناس
من استغنى برأيه ضلّ ومن اكتفى بعقله زلّ
من كثر مزاحه زالت هيبته ومن كثر خلافه طابت غيبته
من اوغرت صدره استدعيت شره
من فعل ما يشاء صبر على ما لا يشاء
من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه

مستقبل العمران الاقتصادي

في سوريا

بقلم نقولا الحداد

دور الانتقال في أي نوع من أنواع الحياة صعب وأليم . وهو ما يسمونه بالتطور اي الانتقال من طور الى طور . وانما هو كالولادة . او ان الولادة ضرب من ضروب التطور . ذلك لانه يستلزم هدم القديم بعضه او جله او كله لكي يتسنى بناء الجديد

وما انتقلت أمة من دور الى دور الا بعد ان عانت ثورة او شبه ثورة وقاسى افرادها في ذلك الدور . فتطور الامة هو ولادة جديدة لها

في العقد الثاني من القرن العشرين كان العالم الانساني في إبان تطور عظيم الشأن . وتطوُّره استلزم تطور جميع اجزائه اي جميع الامم التي تكوَّن منها . فبعضها يتطور كثيراً وبعضها يتطور قليلاً

ربما كانت بعض الامم الشرقية اكثرهن تطوراً وبالتالي كنَّ اكثرهنَّ تألُّماً . ولعل روسيا أشد الجميع ألماً

مهدت بهذه المقدمة الى البحث في حاضر الممالك الشرقية التي يهمنا مستقبلها وأخص منها في هذه المقالة سوريا عموماً ومن جملتها لبنان الجديد . وهي الآن في احرج اوقات تطورها . وما سأقوله بشأنها يمكن ان يطبق على غيرها من اخواتها المجاورة لها من كل جهة

لا أتعرَّض الى حاضر سوريا السياسي لانه قد تقرر والارجح انه يدوم عهداً غير قصير . فالبحث فيه عبث لا فائدة منه . وانما لا أمرُّ عليه من غير ان أقول ان صلاحيته تتوقف بالاكثر على تصرف اهل البلاد . فبقدر ما يتصرفون كأمة وثيقة الروابط تكون حياة البلاد السياسية صالحة . وبقدر ما يتصرفون كجموع متفرقة تكون حياتها تعسة سيئة

دور الهدم

وانما اقصر بحثي على حياة البلاد الاقتصادية . فهي وإن كانت مترتبة بالاكثر

على الحياة السياسية فان لاهلها اليد الأولى فيها وهي أهم ما يرمون اليه ويبتغونهُ من حياة البلاد الجديدة . فعليهم ان يعنوا بامرها كل العناية ويدرسوها بكل روية ويبذلوا لها من النخوة والجهد ما في وسعهم وان يعتصموا بحبل التضامن والتعاون والتآزر والتضافر لكي يظفروا بجسم اقتصادي حي سمين بدين قوي

مرَّ من تطور سوريا عهد الهدم وجاء الان عهد البناء . ومع ان عهد الهدم كان أليماً جداً فقد كان الهدم نفسه قليلاً لان البناء القديم كان رثاً على تمادي الحكم البائد الهادم بل أن البناء كان حقيراً جداً لا يؤسف لهدمه . فحمداً لريح الحرب التي هبت عليه فنسفته ولم تبق منه ولم تذر وجعلتنا الآن في موقف تجديد البنيان

لا غرو ان البلاد السورية الان خربة وتكاد تكون خالية كما كانت الارض قبل التكوين . فهي خربة اجتماعياً وعمرانياً واقتصادياً وصناعياً وتجارياً وتهذيبياً . وعلى أهلها تشمير ساعد الجد لاجل بنيانها من جديد

الطراز القديم

فعلى أي طرز يجب أن يبنوها ؟

هذا هو السؤال الذي يجب ان تحوم حوله الان العقول الثاقبة وتبدو له الآراء الصائبة

هل يوافق البلاد أن تبنى على الطرز السابق وحسب الهندسة القديمة ؟

كذا فعلت سوريا التي استقلت نحو عام استقلالا مطلقاً فانها لم تحد في نظام حكومتها وفي اسلوب حكمها قيد شعرة عن نمط الحكم التركي الذي ورثته من يلدز . بحسب هذه الهندسة بنت بنيانها الجديد فما لبث ان تداعى وتهدَّم لان شكل ذلك البنيان كان يوافق جوًّا قديماً ويقابل رياحاً قد يحتملها لو بقيت مهابها كما كانت . ولكن الجو الجديد يختلف كل الاختلاف عن ذلك الجو ومهابُّ رياحه غير مهاب رياح ذاك . فلم يحتمل البنيان اعاصير جو اليوم . فانهار

فحذار من الهندسة القديمة ثم حذار

العالم كله يتطور الان ونحن من العالم فيجب ان نفهم انه ينبغي علينا ان نتطور معه . علينا ان ندرس جيداً جري التيار وقوته وسرعته ونم يجب ان نجري معه باقدام متينة شديدة — لا ان نقف في سبيل هذا التيار ولا ان نسير معه باقدام ركيكة لئلا يقلبنا ويطرحنا الى الحضيض ويجري علينا

ان تمسكنا بالانماط القديمة وتشبثنا بالاساليب العتيقة الرثة لهو جمود ووقوف في سبيل التيار . والخطر كل الخطر في هذا الوقوف

وكذلك ترددنا في ترك القديم وتخوفنا من انتهاج المنهج الجديد لهو ركاكة في المشي مع التيار . وخطرها ليس أقل من خطر الوقوف فيه

اذا كان في تقاليدنا او عاداتنا او عقائدنا ما يعيقنا عن مجاراة ذلك التيار وجب ان ننبذه او ان ننقحه ونعدّله حتى نبطل اعاقته والا جنى علينا شراً ووبلاً . وكنا نحن بالحقيقة الجانين على انفسنا

الاقتباس لا الاستنباط

لسنا في حاجة الى استنباط مناهجنا وأساليب حياتنا المختلفة لاننا لسنا التيار الاصلي ولا نحن مجرى النهر الكبير حتى نجري على هوانا كما نروم بل نحن جداول صغيرة منحدرة الى هذا النهر ولا بد لها من الجري معه . فما نحن في حاجة الى الاستنباط بل نحن في حاجة الى الاقتباس . يكفي أن نرى ماذا فعلت الامم الكبيرة التي تجرّ الامم الصغيرة معها وما هي فاعلة وثم نفعل فعلها ونحذو حذوها

في الحرب العظمى التي احتدمت لنا درس عظيم اذا شئنا أن نستفيد منه وجب أن نتحقق ماذا كانت وسائل الغلبة وذرائع تفوق الامم الكبيرة على الامم الصغيرة وكيف كان الغرب يتسيطر على الشرق وباية القوى والعوامل كان يتسلط . فاذا علمنا ذلك وعملنا مثله أمكننا أن نجاري الغرب من غير أن نقع تحت قدميه وننسحق . والا فعبثاً نقول وباطلاً نفعل . وعلى حياتنا القومية السلام والرحمة

الآن نحن في عهد هندسة البناء العمراني الجديد وعلى حسن الهندسة تتوقف متانة البناء وموافقته . فعلينا أن نتحقق ما هي هندسة بناء العمران الاوربي الجديد وشكل أساسه وأن نقتبسه ونبني مثله

الديموقراطية قاعدة كل عمران

فما هو شكل البناء العمراني الاوربي وأساسه ؟

الديموقراطية . الديموقراطية في كل شيء . في السياسة والاقتصاد وسائر الحالات الاجتماعية الاخرى

بقيت أوربا أكثر من قرن تجاهد في أن تثبت البناء السياسي على الاساس الديموقراطي . وهي الان تحاول أن تبني البناء الاقتصادي أيضاً على هذا الاساس. فعلينا

من ساعتنا أن نضع هذا الاساس لحياتنا الجديدة ، وان نضعه من أول الامر وطيداً راسخاً واسعاً يصح أن يبنى عليه بناء ضخم محكم الهندسة

أما الاساس السياسي فالدولة المنتدبة وعدت أن تساعدنا على وضعه . ولا قبل لها على مخالفة وعدها لانها لا تقدر أن تخالف التيار وهي من أمهات مجراه

وأما الاساس الاقتصادي فعلينا نحن أن نشرع بوضعه منذ الان كما ان غيرنا وضعه أو يشرع بوضعه . والا فاذا بنينا على أساس قديم اضطررنا بعد حين أن نهدم ما بنينا لنبني بناء جديداً على النسق الجديد . ولا يخفى ما في ذلك من التفريط بالقوى الاقتصادية العظيمة فضلاً عما فيه من المعاناة والصعوبات

فما هو النسق الاقتصادي الجديد الذي يجب أن نتخيره منذ الان ؟

كيف نعمل لا ماذا نعمل

لست أقصد الان أن نبين ماذا يجب أن نعمل بل كيف يجب ان نعمل . لا حاجة الى بيان ماذا يجب أن نعمل لانه علينا أن نعمل كل شيء اذ ليس عندنا شيء مطلقاً . فقد انهدم كل ما كان عندنا ولا أسف عليه اذ لم يكن شيئاً مذكوراً

يقول جميع أصحاب القول والرأي فينا انه يجب أن نصلح زراعة البلاد اصلاحاً تاماً راقياً جداً لان جانباً كبيراً من ثروة البلاد يتوقف على الزراعة . ويجب أن ننشئ معامل صناعية مختلفة لان عندنا أيدياً عاملة نشيطة . ويجب أن نمد السكك الحديدية ونمهد جميع طرق النقل والمواصلات ، وأن نستخدم قوة المياه المنحدرة لاغراض مختلفة ، وأن نمد أسلاك التلفونات والتلغرافات الى جميع أنحاء البلاد ، وأن نبني الفنادق وننشئ الحدائق والملاعب الخ تسهيلاً للمصطافين واجتذاباً لهم ، وأن نفعل كيت وكيت الى غير ذلك مما يضيق هذا المجال عن سرده

حسناً حسناً . ولكن كيف ؟ ومن يقوم بهذه الاعمال العظيمة اللازمة كلها لاحياء البلاد

الحذر من بلشفية مقبلة

اني أسمع لغطاً دائماً بتوقع شركات أجنبية تؤلف في خارج البلاد لترسل اموالها لانشاء هذه الاعمال في البلاد . أجل أن البلاد تعمر بعد ذلك ولكن هل تحيا الامة الحياة التي تتوق اليها ؟ من يجهل ماذا يكون الشعب لقاء هذه الشركات الاجنبية ؟ عبيداً يتعبون وأصحاب الشركات أسياداً يجنون . فبالله ما هذا المستقبل الذي نحن اليه

وماذا يكون شأن أولادنا وأحفادنا حين يصحون من غفلة الطفولة ويرون أن الديموقراطية الاقتصادية عمت أوربا وغير أوربا وأنهم لا يزالون في بيئة أوتوقراطية ـ ألا يجدّ دون عهد بلشفية يكون خطراً عليهم وعلى غيرهم ومزعزعاً لنظام البلاد بل مهدّماً لبناء عمرانها ؟

فلماذا لا نتلافى المصيبة قبل وقوعها ؟ ولماذا نورث أولادنا عبودية لا يقدرون ان يحتملوها لان العصر الآتي عصر حرية ومساواة حقيقيين

فالحذر الحذر من هذا ايها القائلون والفاعلون

نؤذن الان لشركة أجنبية أن تنشيء سكة حديدية . وغداً يقوم أولادنا يطالبون عن يد ثورة دموية أن تكون السكة الحديدية ملك الحكومة فيسفكون دماء في هذا السبيل ودماؤهم في ذمتنا ونحن الجانون . فلماذا لا تكون السكة الحديدية ملك الحكومة منذ الان ؟

وهكذا قل عن كل مشروع أو عمل يعمل في البلاد

اذا لم نبن البناء الاقتصادي منذ اليوم على أساس ديموقراطي اي على اعتبار ان يكون كل مشروع مالي ملك الحكومة الاهلية فلنتأكد اننا مقبلون على سلسلة ثورات بلشفية قد لا تنتهي الا بمحق جانب كبير من ابناء الامة جيلاً بعد جيل . فلنمعن النظر ونتروَّ فيما نفعل

ان العالم الآتي عالم اشتراكي أو هو متدرج في درج الاشتراكية بلا محالة فلنبتدئ نحن منذ الان بالصعود في هـذا الدرج . ولنمش مع القوم لا وراءهم ولا تحت أقدامهم

هل سوريا فقيرة ؟

يقول القائلون : أجل ان البلاد خربة ولا عمران فيها مطلقاً وبالتالي فان أهلها فقراء وليس عندهم المال اللازم لهذه المشروعات التي نحتاج اليها كلها في وقت واحد . وليس عندنا صبر حتى نعملها على تمادي الاجيال . وما هي حياة تستحق الذكرى أن نبقى أجيالاً حتى نعمر بلادنا . فلا غنى لنا عن مال الاجنبي للتعمير . وزد على ذلك ان الدولة المنتدبة لا تساعدنا مجاناً في أصلاح بلادنا وتعميرها بل تبتغي نفعاً في مقابل هذه الخدمة . وهذا النفع الذي تتوخاه تناله بواسطة تمهير المتمولين من بينها أموالهم في البلاد . فلا بد اذاً من شركات أجنبية تقوم بتلك المشروعات

أجل هذا ما يتبادر الى ذهن السواد الاعظم من المفكرين في كيفية تعمير سوريا ولكن لكل أمر علاجات مختلفة وعلينا أختيار أفضل العلاجات

اما ان البلاد فقيرة فمسألة فيها نظر . تعد فقيرة اذا حسبنا النقد ثروة . والحقيقة ان النقد ليس ثروة بكل معنى الكلمة بل معبر عن ثروة . واما الثروة الحقيقية فهي ما في البلاد من اراض تستغل ومن اياد تعمل . وحسن الادارة والوقت كفيلان باستثمار هذه الثروة . فاذا نشط الاهالي الى العمل تحت ادارة ونظام محكمين نمت ثروة البلاد نمواً محسوساً في حين قريب

نعم ان الاتكال في القيام بالمشروعات على ثروة البلاد وحدها يستغرق وقتاً أطول مما لو أنشأت هذه المشروعات شركات أجنبية . على ان الصبر والتريث برهة افضل من الاستعباد حيناً طويلاً لا ينتهي الا بنكبات الثورات والقلاقل الاهلية

كيف ندبر المال

ولا أعني اننا نقدر أن نقوم بهذه المشروعات الخطيرة الشأن من غير مال مطلقاً . فلا بد من ايجاد مال كاف أو مقارب للكفاية في اول الامر . ويمكن الحصول عليه بواسطة القروض الاهلية أولاً وغير الاهلية ثانياً

اما القروض الاهلية فيمكن ان تقوم بها اغنياء الاهالي المقيمون في البلاد (وما هم بقليلين) اذا كانت عندهم نخوة وطنية وابناء البلاد المهاجرون وعندهم من النخوة والغيرة ما يستدر آخر قرش من فضل مالهم للاعمال الوطنية

واما القروض غير الاهلية فيمكن أن تعقد في فرنسا بشروط مرغبة للافرنسيين وضامنة لاموالهم وهي نوع من انواع انتفاع ابناء فرنسا في مقابل مساعدة فرنسا سوريا على ترقيها . ولهم وسائل أخرى للانتفاع ليس هنا محل تبيانها

وأما ضمانة هذه القروض فيمكن ان تكون نفس المشروعات التي تنفق الاموال في إنشائها . ولترغيب المتمولين ولا سيما الاجانب في الاقبال على القروض يمكن ان يوزع على رؤوس الاموال قسم من الارباح علاوة على الفائظ فيكون المقرضون كأنهم مساهمون في المشروع يأخذون من ارباحه . ولكنهم لا يكونون بالحقيقة أصحاب المشروع يغنمون ارباحه كلها ويربحون فوقها أموالا أخرى من التلاعب باسعار اسهمه ويمتصون أموال الاهالي الاغنياء بواسطة هذا التلاعب

فلتكن الحكومة صاحبة المشاريع

فاذا كانت الحكومة المحلية تقوم بالمشروعات العمومية مستعينة باموال الاهالي المحليين والمهاجرين مقرونة بغيرتهم وباموال الافرنسيين أيضاً وكان نشاط الاهالي واجتهادهم في العمل مقترنين بالغيرة الوطنية استطاعت الحكومة أن توفي تلك الديون في عهد غير طويل وكانت تلك المشروعات ملك الامة وأمكنها أن تستخدم ارباحها في إنشاء مشروعات رابحة وهكذا دواليك . فلا يمضي جيلٌ أو جيلان حتى تكون البلاد قد استوفت أهم المشروعات اللازمة لعمرانها وكانت هذه المشروعات ملك مجموع الامة وارباحها عائدة للامة من طرق مختلفة . وبهذه الطريقة تكون البلاد قد سلكت في سبيل الاشتراكية من أول الامر وتجنبت الثورات البلشفية وامثالها في المستقبل

على اني قليل التفاؤل في تحقيق هذه الامنية لضعف الرجاء في وطنية اهل البلاد وفي نخوتهم وغيرتهم على المصلحة القومية . أقول ذلك بصراحة لاني لست ممن يتذرعون الى استفزاز النخوة والمروءة بالتملق والمداهنة ولا انا ذو اغراض شخصية تضطرني الى التزلف . فالحقيقة التي يشعر بها سوادنا اقولها بصراحة . وأتمنى أن يكذب ظني

اموال الويلات

ولكن اذا لم يكن بد من ترك المشروعات العمرانية تقوم بها الشركات المالية لا الحكومة المحلية فيجب ان نخير اقل الاساليب شراً على البلاد

فاولاً اذا لم يكن بد من الشركات المالية فلتكن هذه الشركات وطنية قبل كل شيء . وفي البلاد من يستطيعون ان يقوموا بجانب كبير من المشروعات

ثانياً اذا لم يكن بد من الشركات الاجنبية فلتكن هذه الشركات تكملة للشركات الوطنية أي ان تقوم بالمشروع المستعجل الذي لم يبق عند الشركات الوطنية مال كاف للقيام به في الحال . وبعبارة اخرى يجب ان تقدَّم الاموال الوطنية على الاموال الاجنبية في التثمير في البلاد

ثالثاً يجب ان تقيد الشركات بقيود شديدة وثيقة تمنع ان تبتز اموال الاهالي بواسطة ارتفاع اسعار الاسهم لان ارتفاع قيمة المشروع بسبب نجاحه ووفرة ارباحه لا يخول الشركة حقاً في اختلاس اموال الاهالي بواسطة التلاعب باسعار الاسهم . ووفرة أرباح الشركة لا فضل فيها للشركة نفسها بل للاحوال الوطنية التي

روجت المشروع . ولذلك يجب ان تحدد ارباح الشركة وما زاد عن الحد يعود الى الحكومة

رابعاً يجب ان يُضرب أجل قصير للشركة لا يجاوز جيلاً اعتيادياً اي ٣٠ سنة على الاكثر حتى لا يكون أهل الجيل القادم مقيدين بشروط عقدها أهل الجيل الحاضر وما هم ذوو الحق بعقدها الا مدة حياتهم

خامساً يجب ان تحفظ الحكومة لنفسها حق ابتياع الشركة في أي وقت بقيمة اشيائها الموجود او بقيمة اكلافها الاصلية وان كانت الشركة لا تقبل بهذا الشرط فيمكن اغراؤها بان يضاف الى الثمن تعويض كاف للاغراء

اما تفاصيل هذه الآراء فارجئها الى أن يأتي حينها ان شاء الله

هذه نصائح اولية في مسألة التعمير الاقتصادي في البلاد رأيت أن ابديها الآن والبلاد على اهبة التنظيم والشروع في التدبير . فان صادفت قبولاً فارجو ان تصادف اهتماماً أيضاً . والا فالمستقبل كفيل باثبات صواب هذه النصائح

نقولا الحداد

شذرات

* عندما أعلن قانون منع المسكرات في اميركا كان في نيويورك ٩٠٠٠ حانة لتعاطي المشروبات الكحولية

* استعملت الغازات الخانقة في بونس ايرس (عاصمة الارجنتين) لقتل الفئران القاطنة حوالي المنازل

* ان ما تستهلكه الولايات المتحدة اليوم من زيت البترول هو ضعف ما كانت تستهلكه في سنة ١٩١١

* في الجزر البريطانية اكثر من خمسة ملايين امرأة غير متزوجة تتراوح أعمارهن بين ١٥ سنة و٤٥ سنة

* على اثر انقلاب الحالة في روسيا والمجر بلغ عدد الاميرات والشريفات المنتحرات في جهات بحيرة جنيفا وحدها ١٤ أميرة وشريفة

عواطف أم

بقلم توفيق مفرج

أنهض يا بني فالنهار قد انقضى ، والشمس كالبخيل أخذت تجمع ذهبها المتناثر على الارض

من أين جاءك هذا النوم الهادىء العميق ؟ ومن ذا الذي مسح شفتيك بالمعاني اللذيذة ؟

انت كاس زهرة حياتي الذي يقبله الصباح كل يوم ، وتتدفق حرارة الشمس في صدره كل دقيقة

انت الطفل الصغير الذي يملأُ العالم باسره . انت لي : فمن هو ذلك الساحر العظيم الذي وضع خزائن الطبيعة بين يدي ؟

***

لقد عرفتك قبل أن تولد وعاشرتك منذ بداية الاجيال والدهور

يوم كنت طفلة صغيرة العب على شاطىء النهر ، يوم كنت اجبل من الطين تمثالاً ، واخيط من الخرقة ثوباً ، وارسم على الاوراق طفلاً — ذلك الحين كنت معي .

انت كنت توحي اليَّ افكاري ، وانا كنت أنسج على منوالك تماثيلي ولعبي

***

يوم كنت منطرحة على فراشي أتمخض بالآلام والاوجاع اسند رأسي الى سريري أبكي ، بشروني بمجيئك وسمعت لاول مرة صوتك

صرخت : اعطوني ولدي

أخذتك بين يدي كتلة من اللحم والدم

يا له من شعور غريب انتشر في طيات فؤادي

كم ارتعشت من الفرح ! وسرعان ما زالت الاوجاع والآلام

***

ان نسيما لطيفاً يتموج بين شفتيك فاعرف ان معناه كلمة « ماما »

والتفت الى عينيك فاراهما تجولان بين جفون تتمنى لو انها شفاه لتلفظ كلمة « ماما »

وأرى ذارعيك الصغيرتين ممدودتين الى الامام ولو وضعوا العالم بينهما لرفضتاه ، لانهما تريدان « ماما »

* * *

ثم أميل الى قلبك ، وهناك مجال الشك والريب . ابصر في زواياه صورة عميقة بعيدة أخافها وأغار منها

قبلني يا ولدي

قبلني قبل أن تأتي تلك الصورة وتزاحمني على قبلاتك

ابتسم لي فابتسامك اليوم لي وحدي لا يشاركني به غيري

ضمني بين ذراعيك بلهفة فاني حين أضمك أكاد ارجعك الى أحشائي

أنت كبدي تمشي على الارض يا ولدي !

أترى يعرف الاولاد ما تقاسي الامهات ؟

* * *

أنا أغني لك لتنام ، وأنت تغني لاستيقظ

حين تناديني باكياً أشعر أن فمك قيثارة ألحان ، وحين تحدق في وجهي اخال نظراتك ريشة عود تحرك أوتار قلبي

انا الشاطىء المنبسط عند قدمي حياتك اداعب أمواج مدك وانت صغير ، واخاف امواج جزرك حين تكبر

* * *

في طفولتك رائحة طهارة استنشقها فتنعشني

ليت ولدي يصير رجلاً ويظل قلبه طفلاً !

ليجمع بين حكمة الرجال وطهارة الاطفال

فلمثل هذا نعيم الارض وملكوت السموات

* * *

في طفولتي رأيتك في القمر يا بني

مددت يداي اريدك فضحكوا مني

وأنا اليوم أرى القمر فيك يا طفلي
فامد يدي فاجد بينهما بدري

* * *

لماذا يضحك البحر ، وتغني الامواج ، وتبتسم النجوم ؟ هل تعلَّم البحر انغامه من شفتيك ؟ هل سرقت النجوم لمعانها من مقلتيك ؟
انا لولاك لا أرى للبحر جمالاً ، ولا للحياة رونقاً وبهاء

* * *

لقد هززت سريرك بيميني يوم كنت طفلاً — وها شمالي أطرحها بين يديك لتهز بها ما تشاء
وغداً ارميك في سوق العالم الواسع يا طفلي
فاذا ضعت بين امواج الحياة المضطربة فامك منارة واقفة على الشاطىء البعيد . ابتساماتها تنير سبيلك الى ميناء الهدو والامان

* * *

أنت ستعرّف الناس بي وستكون صورة مجسمة لي
ستقول لهم من هي امك عند ذلك يباركون أو يشمتون
واذا شمت الناس بي — يا ضياع أملي في ابني — يا ضياع أملي في وجودي وحياتي

* * *

أنا انتزعت الشباب من صدري وغرسته في وجنتيك يا بني
لقد رشحت النضارة من خدودي ، ومشى الذبول الى عيني
لقد سكبت روحي في روحك وهذا شبابك يتغذى من شبابي
كلما زدت انت قوة زدت انا ضعفاً ، وكلما التفت أتمتع بجمال قوتك شعرت ان بها بكمل ضعفي

* * *

ومتى دنى الموت من امك يا طفلي ، تسير في سبيلها الى حيث لا ندري
لكن روحها تظل بجانبك تمشي
فاذا عملت عملاً فقل : عن يميني أمي

مصر　　　　توفيق مفرّج

عقد الكهرمان

لخليل شيبوب

حليتِ بالكهرمان الصدر لابسةً عقداً تدلى الى النهدين وانعقدا

اغار حباته الالحاظُ طامحةً اليك فهي لذا مصفرة ابدا

ما ضارها أنها غبراء شاحبة وفضلها واضح في عين من نقدا

ورب وجه دميم كان صاحبه شهما ووجه جميل يستر الحسدا

ما اسعد العقد مرتاحاً اذا عبثت به يداك على صدر به سعدا

تمشين مطرقة آناً فتقلقه خطاك مرسلة في سيرها صددا

فلا يني خافقاً من وجده طرباً فان وقفت تراءى هادئاً كمدا

له تلطف آسٍ في تلمسه نهديك محتشماً في اللمس متئدا

نهداكِ رائعتا فنٍ ونادرتا حسن وكنزا حياة للهوى وجدا

وآيتان من الانوار انزلتا عليك والنور فوق الصدر قد جمدا

عليهما العقد مثل النجم غيَّبه جرم يمد اليه الليل مبتعدا

فظل يبرق لكن شاحبا ومضى مطالباً بتداني نوره الامدا

رمز القلوب التي اصحابها عشقوا عينيك ثم مضوا لا يعرفون هدى

تعلقت بك لا تنفك فهي كما ترين عاشقة من قدكِ الميدا

تبيني ذلك العقد العجيب ترى قلبي فريدة ذاك العقد منفردا

احبك الحب صرفاً لا مزاج به لكن جفاؤك ما ابقى له جلدا

فمات حياً فلا حس ليؤلمه شيء بمتعه ان غاب او شهدا

لكنه حافظ عهداً ومدكر وداً وفي كل يوم مستبيع ردى

ووارد شرعة باليأس مترعة واليأس في العمر يضني الروح والجسدا

ولا يزال كهذا العقد مضطرباً ووده مثل هذا العقد قد عقدا

خليل شيبوب

خالدة هانم

أول امرأة تقلدت منصب الوزارة



خالدة هانم تخطب

لئن حق للشرقيين أن يفاخروا أهل الغرب بمن نبغ من رجالهم فأحق بهم وأولى أن يفاخروهم بنبوغ نسائهم . في الشرق اليوم امرأة نابغة جمعت من

السجايا والمواهب ما قلما يتفق للنوابغ رجالا كانوا او نساء - وهي خالدة هانم التركية التي نالت بين ابناء جلدتها بفضل جرأتها وصدق عزيمتها وتوقد وطنيتها مقاماً هو غاية ما يصبو اليه الانسان بين قومه . وهي اليوم ركن من أركان الحركة الوطنية في تركيا وقد اسندت اليها وزارة المعارف في الحكومة التركية التي انشأها الوطنيون في الاناضول ولم نسمع باسناد منصب رفيع كهذا لامرأة قبلها

ولا يزال السوريون عموماً والبيروتيون خصوصاً يتحدثون باعجاب عن تلك المرأة التركية الجريئة التي قدمت الى بلادهم اثناء الحرب الاخيرة بمهمة فتح المدارس وانشاء الملاجئ للايتام والفقراء . فقد كانت خالدة هانم تسير مع زميلاتها في شوارع بيروت سافرة الوجه وعلامات العمل والنشاط بادية عليها ولم يكن للبيروتيين عهد بتلك الجرأة والحرية في المرأة المسلمة فاصبحت مدار حديث الاهالي وموضع اعجابهم وقدوة لكثيرات من اخواتها المسلمات . وقد فتحت خالدة هانم أبواب المدارس الفرنسية المقفلة وجعلتها مدارس اهلية وطنية شعارها الاتحاد والوئام ونبذ فكرة التعصب . وكذلك انشأت الملاجئ للايتام والفقراء

***

ولدت خالدة هانم من والدين متوسطي الحال . وكان والدها سكرتيراً في دائرة الخزنة السلطانية الخاصة . وقد بدت على خالدة هانم منذ اول حداثتها بوادر الذكاء والفطنة وكانت تظهر رغبة في المطالعة وميلاً للتبحر في العلوم والاداب . ولم يكن يؤذن للبنات الوطنيات في ذلك العهد بدخول المدارس الاجنبية ولم تكن المدارس الوطنية لتفي بالحاجة . فتوسل والدها الى السلطان عبد الحميد ان يأذن لابنته بدخول الكلية الاميركية في الاستانة فاذن له فدخلتها ولم يمض زمن على ذلك حتى برزت على اقرانها وتخرجت سنة ١٩٠١ بلقب بكالوريوس علوم وهي في الغالب اول امرأة مسلمة نالت هذا اللقب

قلنا ان خالدة هانم برعت في جميع العلوم الا أن الهندسة كانت حجر عثرة في سبيل تقدمها . فاحضر لها والدها استاذاً خاصاً من اساتذة الجامعة السلطانية ليلقنها في المنزل ما اشكل عليها فهمه من هذا العلم فلم يلبث بعد زمن ان علق بها فخطبها من والدها ثم اقترن بها عن رضاها . وهي لا تعلم أن لزوجها امرأة وأولاداً في باريس . على انها لم تكن لتجد خلاصاً لها من تلك الحالة فاضطرت الى ملازمة خدرها .

فكانت تصرف الايام والليالي في مطالعة ما حوته مكتبة زوجها من التآليف النفيسة ولا سيما الفرنسية منها فكان لما طالعته تأثير شديد في نفسها الكبيرة فلم تزدها هذه المعيشة الهادئة الا رغبة في العمل واتساعاً في المطامع . ولم تلبث ان سنحت لها الفرصة المنشودة اذ طلقت زوجها واصبحت حرة في تكريس حياتها للجد والعمل . وكان ذلك قبيل اعلان الدستور في تركيا

فلما اعلن الدستور واطلقت الحرية للافكار والمطبوعات نشرت خالدة هانم قصيدة حماسية تخاطب فيها رجال الفرقة الرابعة (وهي التي تم على يدها قلب الحكومة الاستبدادية) بلسان مؤسس الدولة العثمانية . فكان لقصيدتها وقع عظيم في النفوس فعرفها الناس وانتشر اسمها بين الجميع ثم جعلت تنشر في الصحف روايات اجتماعية كانت قد الفتها في زمن تقييد المطبوعات فصار الناس يطالعون كتاباتها بلهفة وشوق ولكنها لم تقتصر على ذلك بل جعلت تنشر في « طنين » مقالات اجتماعية سياسية فاشتهرت بسداد الرأي واعتدال اللهجة . وكانت خالدة هانم تجتمع دائماً برجال تركيا الفتاة ولا سيما انور وطلعت وجمال فتبدي لهم رأيها في شؤون الدولة وهم لا يستنكفون من الاصغاء اليها والعمل بآرائها . ولما قلب عبد الحميد الحكومة الدستورية سنة ١٩٠٩ ورد اسمها في قائمة المحكوم عليهم بالاعدام فاضطرت الى الفرار حرصاً على حياتها فشخصت الى القطر المصري ومكثت فيه الى ان استعاد الاتحاديون سلطتهم

وقد تغير مركز المرأة في تركيا بعد اعلان الدستور تغيراً عظيماً . فاصبحت ترفع صوتها الضعيف على المنابر وتسعى لرفع شأنها بانشاء الاندية والجمعيات الى غير ذلك من دلائل النهوض ومعظم الفضل فيما تم من هذا القبيل عائد الى خالدة هانم . وقد تدرجت المرأة التركية في سلم الرقي حتى اصبحت تعنى بالشؤون الوطنية والمسائل السياسية . ولما نشبت الحرب البلقانية انخرطت كثيرات من النساء في سلك جمعية الهلال الاحمر وجعلن يكتبن ويخطبن ويحرضن على الجهاد في سبيل الوطن . وقد احتشد منهن يوماً عدد غفير يربو على خمسة آلاف في دار الجامعة السلطانية فوقفت خالدة هانم تخطب فيهن بحماس عظيم فكان لكلامها اشد وقع في نفوس السامعات . ولما فرغت من خطابها كان العرق يتصبب من جبينها من شدة التأثر والانفعال . فنزعت مصاغاتها الثمينة والقت بها في صندوق امامها لاعانة الوطن فاقتدت بها سائر النساء وجعلن الواحدة بعد الاخرى يقدمن حليهن لهذه الغاية الشريفة

نظرية جديدة

في كيفية بناء الاهرام

لا ريب انه يمكن الآن بناء الاهرام بوسائل اسهل من الوسائل القديمة لتقدم فنون الهندسة والميكانيكيات وتيسر الآلات الرافعة التي يمكن بها رفع الأثقال العظيمة والتي لم يكن عند المصريين مثلها ولا ما يضارعها قوة وسرعة . والارجح انه جل ما كان عندهم حبال تعلق بها الأثقال ورجال تشدُّها . والتعليل الشائع لكيفية بناء تلك البواذخ الشواخ ان تلك الحجارة الضخمة كانت تقلب صعداً على عرم من التراب مائلة السطوح . ولكن مهندساً كتب في مجلة الهندسة الشرقية الهندية التي تصدر في كلكتا ما يخالف هذا الرأي . ومجمل نظريته ان ملء الفراغ الذي بين درجات الهرم وطلاء السطح المائل الذي انتزع على تمادي الزمن الأ النادر منه لم يكن الغرض منه تحلية البناء بل كان تسهيلاً لرفع تلك الاحجار الضخمة صعداً على تلك السطوح المائلة بواسطة شد حبال مثنية على اسطوانات في اعلى ما يبلغ اليه البناء . واليك مجمل ما كتبه بهذا الصدد

اول ما يخطر في بال دارس الاهرام مسألة كيفية بنائها . والغريب انه لم يوجد في الوف الآثار التي اكتشفت من انصاب واعمدة ونحوها مما كتب عليه من الحوادث التاريخية وغيرها ما يشير قط الى كيفية بناء ذلك الاثر العظيم . ولا ريب في انه كان للمصريين القدماء ذكاء حاد ودقة في الحسابات الهندسية ومعرفة واسعة في القوات المحركة اللازمة لبناء هائل العظم كالهرم . ولكن لم يبدُ من دليل قط على انهم كانوا على علم كافٍ في الميكانيكيات يقدرهم على انشاء آلات رافعة عظيمة تعلق بها تلك الاحجار الضخمة في الهواء وترفعها الى علو ٥٠٠ قدم وتضعها في امكنتها التي اعدت لها

اجل ان عدم الدليل على وجود آلات رافعة لا ينفي وجودها في ذلك الحين بتاتاً . ولكن الالات التي وجدت في خلال التنقيب عن الآثار تدل على انها كانت قديمة الطراز جدًا ولا يستدل منها قط على ان مستعمليها كانوا على معرفة راقية في الميكانيكيات . اذًا كيف بنيت الاهرام؟

كيف امكن رفع حجارة ضخمة يزن كل منها عدة اطنان الى علو ٥٠٠ قدم

تقريباً فوق سطح الارض ؟ هـذه هي المسألة التي حيرت المهندسين الفنيين . فقد ذكرت عـدة نظريات من هذا القبيل ولـكن ما من نظرية واحـدة منها صادفت قبولا عاماً . على أن اكثرها شيوعاً واقربها للمعقول هي نظرية تكويم الرمال حول قاعدة الهرم وقلب الاحجار عليها صعداً حتى كلما بني مدماك زيد الرمل حتى يبلغ الى علو المـدماك على شكل منحدر انحداراً قليلاً يسهل عليـه قلب تلك الاحجار وهكذا كلما ارتفع البناء زيدت طبقات الرمل حوله . وهذه النظرية تقضي بافتراض أن الفعلة المصريين ضطروا أن يجمعوا جبلاً عظيماً من الرمال حتى استطاعوا أن يبنوا جبلا صغيراً من لحجارة . ولذلك اقتضى أن يمتد ذلك الجبل الرملي المنحدر من الهرم الى جهاته الاربع نحو ميل من كل جهة فتأمل . ولا يخفى ما في هذه الطريقة من المشقة العظمى وما تستغرقه من الوقت والرجال ومع ذلك لا تدل على حذق كبير يصح أن يعزى لبناني الاهرام في ذلك الزمان

وفي رأي ذلك المهندس ان الاهرام كانت مغشاة بغشاء صقيل من مادة قاسية كاسمنت هـذه الايام . وقد انتزعت مادة هذا الغشاء سنة ١٣٥٧ واستعملت لبناء جامع السلطان حسن الذي لا يزال الى يومنا هذا . ولا يزال في اعلى جانب من الهرم الثاني قسم من هذا الغشاء حتى الآن . والشائع أن الاهرام طليت بذلك الغشاء كما تطلى المنازل الآن بعد الفراغ من بنائها . ولـكن هذا المهندس يخطئ هذا القول ويعتقد أن ذلك الغشاء كان يوضع في اثناء البناء أي أنه كلما بنيت طبقة كانت تغشى وتطلى وهكذا دواليك من تحت الى فوق . وبناء على ذلك كانت جوانب ذلك البناء الهائل مستوية السطوح وصقيلتها منذ كانت تبنى . وكان الغرض من ذلك ان تجر الاحجار عليها بواسطة حبال تثنى على اسطوانات في أعلى ما تم بناؤه من كل جهـة أو زاوية . واما الحبال فلا ريب أنها كانت غليظة ومجدولة من عدة حبال وطويلة جداً (نحو ثلاثة ارباع الميل) والا فلا يمكن الانتفاع منها برفع تلك الاثقال الهائلة . ومهما كلفت هذه الحبال من الاستمداد والمشقة فالحصول عليها امكن واسهل من جمع جبال الرمال حول جوانب الهرم لدحرجة الحجارة عليها صُعُداً ثم ازالتها بعد الانتهاء من البناء

واما رفع تلك الاحجار فكان يستلزم ان يكون احد سطوح الحجر على الاقل منحوتاً صقيلا ثم يربط بطرف الحبل ويكون سطحه المصقول متجهاً الى سطح الهرم

المائل بحيث يزحف عليه واما طرف الحبل الاخر فيمسك به عدد من الرجال ويجذبونه فيرتفع الحجر

ولا يخفى ان عدد الرجال يجب أن يكون عظيما . والتاريخ ينبئنا أن الفعلة الذين كانوا يشتغلون ببناء الاهرام كان يناهز عددهم المئة الف نفر . فاذا تعين ١٠ آلاف رجل لهذا الغرض وقسموا الى خمسة أقسام كل قسم الفان امكن كل قسم منهم أن يرفع ٢٠ طناً على سطح مائل مصقول . ومتى رفعت بضعة أحجار الى مكانها تغير وضع الاسطوانة استعداداً لرفع حجر آخر

واما ان هذه الطريقة كانت موافقة لفن البناء في مصر لذلك العهد فيثبت من دراسة الحجرة العظمى التي في جوف الهرم الكبير . فبدرس هذه الحجرة تحل مسألة الحسابات الهندسية المؤسسة على قاعدة توزيع القوات في خطوط متوازية . وبناء تلك الحجرة يدل دلالة واضحة على مقدار ما بلغ اليه علم الهندسة النظرية ومقدار ما كان البناؤون المصريون ينتفعون به منه في تلك الايام

وهو ظاهر ان الملك خوفو رام غرفتين احداها اكبر من الاخرى وفي الصغرى الناووس . فلننظر في كيفية بناء الكبرى التي هي شبه قاعة امام الصغرى التي هي مدفن الملك . رأى البناء المهندس أنه اذا جعل جدرانها مستطيلة قائمة السطوح اقتضى أن يكون سقفها حجراً من الجرانيت طوله ٢٠٠ قدم وهو ما يستحيل عمله . ومن جهة اخرى رأى أنه اذا جعلها مائلة كميل جوانب الاهرام ذهبت أناقة الحجرة وكانت خلواً من جمال الذوق . فحل المسألة على قاعدة هندسية حسابية وذلك أنه جعل كل طبقة ترفرف فوق الاخرى في خطوط مستقيمة الى أن ضاق الفراغ بين الجدران فغطاه ببلاطة ضخمة جداً وكافية لاحتمال الاثقال التي فوقها . وأما زاوية الانحناء في تلك الغرفة فموازية لزاوية الانحناء في جوانب الهرم نفسه لكي يكون الضغط من جميع الجهات متعادلا

ويرى الباحثون انه بالرغم من جهل المصريين لما اكتشفه بعدهم ارخميدس وفيثاغورس وامثالها وما اخترعه المخترعون في عصرنا هذا من الاساليب الميكانيكية واستعمال الاسلاك والبكرات الخ فان بناء الحجرة الكبيرة التي في قلب الهرم الكبير تدل على ان الهرم كله مبني على طريقة علمية هندسية

اجمل تمثال لالهة الجمال

تمثال « فينوس » ميلو



تمثال فينوس (الزهرة) ميلو الموجود الآن في متحف اللوفر بباريس

في شهر فبراير سنة ١٨٢٠ - أي من نحو مئة سنة - كان فلاح حقير من أهل جزيرة ميلو اليونانية يقلب الارض ويفلحها بجد ونشاط . وفيما هو في ذلك اذ وقع بصره على شيء لم يميّزه لاول وهلة . فجعل يعالجه ويحفر الارض حوله ليتبينه - فاذا هو تمثال امرأة أدرك الفلاح أنها جميلة ولكنه لم يخطر بباله انه عثر

على اجمل تمثال نحته البشر ألا وهو تمثال الزهرة الهة الجمال

لم يمض على هذا الحادث زمن طويل حتى دري بامره ضابط فرنسي من ضباط السفينة استرولاب يدعى اليوتنان دورفيل . فبادر في الحال الى سفير دولته في القسطنطينية يعلمه بالخبر . فبعث هـذا الى جزيرة ميلو سكرتير السفارة الفيكونت



الشكل الاصلي للتمثال كما تصوره بعض الفنيين

مرسلوس وعهد اليه اقتناء التمثال مهما كلفه ذلك . فلما شخص هذا الى الجزيرة وباشر تنفيذ مهمته قام عليه اعيانها واكليروسها وأبوا تسليم التمثال فاثاروا الاهالي واهاجوهم عليه . فاضطر الفرنسيون الى انزال فصيلة من الجند الى البر ووقع بينها وبين الاهالي قتال عنيف اسفر عن انتصار الفرنسيين وفوزهم بضالتهم فحملوها معهم الى باريس واودعوها متحفهم الشهير في اللوفر

ومنذ ذلك الحين ذاعت شهرة التمثال في مشارق الارض ومغاربها . وما زال الى اليوم موضع اعجاب رجال الفن من جميع الامم والشعوب وقد اتفقوا جميعهم على عده أعظم اثر فني منحوت يمثل أكمل شكل للجمال البشري

غير أن الذي أسف له محبو الفن كون التمثال ناقص اليدين . وقد ذهب علماء الآثار في تصور اصله مذاهب شتى . فانقسموا الى قسمين رئيسيين : قسم قال بان التمثال لم يكن فيه غير الزهرة وقسم قال بانه كان منحوتاً الى جانبها تمثال آخر

أما شكل اليدين المبتورتين فكثيرون من الفريق الاول يرون أن الذراع اليمنى كانت هابطة على الجسم بخفة واليد قابضة على ثنايا الثوب الساتر للقسم الاسفل من الجسم وان اليد اليسرى كانت مرفوعة وقابضة على تفاحة مقدمة من الاله باريس أو ربما كانت قابضة على رمح أو ترس. وقد رأى هذا الرأي كثيرون من علماء الاثار امثال ترالد وامريك داڤيد . غير أن فريقاً آخر وفي مقدمتهم كترمير دي كنسي وفلكس رئيسن ذهبوا غير هذا المذهب فقالوا بان هذا التمثال لم ينحت وحده بل نحت الى جانبه مارس تمثال اله الحرب . وقد بنوا اعتقادهم على نظرية معقولة . فقد لوحظ أن الجانب الايسر للتمثال غير كامل الصنع كالجانب الايمن وانه كلف النحات مشقة وعناء ظاهرين . فاستنتجوا من ذلك أن هذا الجانب لم يجعل ليكون ظاهراً أو أن النحات لم يستطع اتقانه لانه كان معرقلاً في عمله . وماذا عسى أن يعرقله سوى وجود تمثال آخر الى جانبه ؟ ومما يدعم هذه النظرية كون النحاتين القدماء أكثروا من التماثيل التي تجمع بين الزهرة الهة الحب والجمال ومارس اله الحرب

وهناك نظريات أخرى في هذا الشأن ضربنا عن ذكرها صفحاً لضيق المقام

خاطرتان

لركفلر الصغير

لقد اصبحت الخدمة الحقيقية نادرة في العالم فان هم الناس الوحيد انما هو البحث عن مقدار الاجر الذي يمكنهم الحصول عليه

اني اواصل العمل بلا انقطاع لاني واثق بان الشيطان يجد مشاغل كثيرة للايدي الفارغة

التقريظ والانتقاد

باحثة البادية

بقلم الآنسة مي

للنقد او الانتقاد Critique عند الغربيين منزلة رفيعة جداً بين فروع الادب . اما في العربية فقلما تجد رسالة يصح ان يطلق عليها هذا الاسم. ولعل الكاتب المنتقد هو أحوج الكتاب الى سعة الاطلاع والالمام بالعلوم والآداب على اختلافها لما يستدعيه درس الآثار الادبية من الوقوف على نفسية اصحابها وتبين العوامل التي أثرت في حياتهم من وراثة وبيئة وتربية وتحليل مصنفاتهم تحليلاً دقيقاً من الوجهات الفلسفية والاجتماعية والادبية والانشائية الخ والمقارنة بينها وبين سواها من الكتب القديمة والحديثة الى غير ذلك من المباحث الكثيرة المتعددة التي لا غنى للمنتقد عن طرقها

ولم نطلع بين المطبوعات العربية الى اليوم الا على كتابين في النقد جديرين بعناية الباحث الاديب وهما « ذكرى ابي العلاء » للدكتور طه حسين وقد صدر منذ بضع سنوات وكتاب « باحثة البادية » الصادر بالامس

وباحثة البادية — كما يعلم القراء — هي المرحومة ملك كريمة العالم اللغوي المرحوم حفني بك ناصف وحرم السري العربي عبد الستار باك الباسل . وقد توفيت في ١٧ اكتوبر سنة ١٩١٨ بالحمى الاسبانيولية ففقدت النهضة النسائية المصرية بفقدها زعيمتها وحاملة لوائها . فقد اشتهرت « باحثة البادية » في هذا القطر بمقالاتها وخطبها في مواضيع العائلة والزواج والمرأة وغير ذلك من المباحث التي جمعتها في كتاب « النسائيات » وهو من خيرة الكتب الاجتماعية الاصلاحية

وقد رأت الكاتبة النابغة الآنسة مي ان تعنى بدرس شخصية تلك الاديبة المصرية فابرزت الكتاب الذي نحن بصدده فجاء كافياً وافياً لا يبقي زيادة لمستزيد . اجل ان مطالع كتاب « باحثة البادية » يستطيع ان يتصور صورة واضحة جلية لشخصية تلك

الادبية فقد وفتها الآنسة مي حقها من الدرس ، امرأةً ومسلمةً ومصريةً وكاتبةً وناقدةً ومصلحةً ، مستشهدة باقوالها شارحة لمعانيها معللة لافكارها معلقة على آرائها باسلوب جميل يستهوي القارىء فلا يدعه يترك الكتاب قبل أن يأتي على آخره

وفي الكتاب من النظرات والتأملات والخواطر في الاجتماع والفلسفة والاخلاق ما يدل أعظم دلالة على نبوغ كاتبته وتبحرها في العلوم والاداب . ومن محسنات هذا الأثر الادبي انه درس أدبية لادبية وليس احق بدرس الكاتبات من الكاتبات . فان الرجل قلما يدرك ما يكنه قلب المرأة من الدوافع والعوامل والمؤثرات

وانا موردون هنا فقرة من كتاب بعث به الشاعر الكبير خليل مطران الى الانسة مي مقرظاً كتابها قال :

« حللت تلك النفس وشرحت دقائقها تبينين بذلك للجمهور ما لم يكن الا الخاصة المتنورون ليتبينوه . تأتين بالقاعدة بعد القاعدة وتدلين بالحجة اثر الحجة وكل أولئك صادر عن ينبوع في فؤادك جمعت اليه المطالعات والتجارب شتيت انهارها وافضت اليه المعارف المختلفة ببعيد اسرارها

« ما أجمل الانشاء عن علم وليس في ظاهره ما يشير الى ذلك أو يدل عليه . هنالك آية الابداع ونهاية المستطاع

« ليس ما قدم الا يسيراً من كثير المحاسن التي ضمنها بحثك الوافي ولله ما بين تينك الدفتين من الجنات والكوثر الجاري بين الضفتين

« هنالك الشعر الا ما يثقله من القيود ، شعر الادب والفلسفة ، شعر الصلاح والاصلاح للمجتمع البشري في بعضه المهمل ، شعر الحلى اللفظية وغير اللفظية تغيرها الطبيعة السمحة ، المنوعة ، الشائقة ، المشوقة ، صنوف روائعها وطيباتها عبيراً ولوناً ونوراً

« هنالك النثر ، وأي نثر هو ، النثر الجديد ، كلام الزمن الذي نعيش فيه ، منقحاً ، مصححاً ، مقلداً كل معجب دقيق من زينات الفصاحة ، مضمناً كل مطرب ورقيق من نفحات الطهارة والقوة والسماحة ، متدرجاً في براعة الاسلوب احياناً الى ان يوهم أمثالي وهم يقرأون صامتين آياتك الفريدة أو كلماتك الرهيبة انهم يرونك في جلال مواقفك العامة ويسمعونك خطيبة »

وقد اثبتنا هذه الفقرة من كتاب شاعرنا لانها حكمٌ عادلٌ في هذا المؤلف الفريد

فحسبنا رأي هذا الاديب الكبير في كتاب تلك الاديبة النابغة

وحبذا لو حذا كتابنا حذو الآنسة مي في درس المتقدمين والمتأخرين من الشعراء والكتاب لينهض الادب العربي ويسير في طريق الرقي الذي يتمناه له كل ناطق بالضاد

الارواح المتمردة

بقلم جبران خليل جبران

لا يرجى نهوض للادب العربي ما لم يقم بين كتابنا نفر من المحدثين المبتدعين يدخلون على أساليبه المألوفة وطرقه المعهودة وسبله المطروقة روحاً فتية نشيطة تحييه وتنعشه . لان الادب كـكل ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعية لا يحيا ويتقدم الا بالجمع والتوفيق بين القديم والجديد ـ وكلاهما ضروري . فاننا اذا هجرنا كل قديم لدينا وتهجمنا على كل جديد غريب زلت خطانا وضللنا طريقنا وقطعنا صلتنا بماضينا وفقدنا الروابط التي تربطنا بمن سلف من نوابغنا ووقفنا في خطر الفوضى والبلبلة والاضطراب . كذلك اذا تشبثنا بالقديم البالي واقتنعنا بالتقليد والتصوير وعاهدنا أنفسنا على ألا نلفظ كلمة او نخطو خطوة ما لم نجد لها أصلاً او مثالاً في آثار السالفين كان مسيرنا الى الانحطاط الادبي والموت الروحي وقتلنا ما فينا من عوامل النهوض والحياة والتقدم

ولقد قيض الله لهذه اللغة نفراً من الادباء العصريين نرتجي من وراء مؤلفاتهم وتصانيفهم حدوث حركة جديدة في الادب العربي تمشي به في طرق جديدة وسبل غير مألوفة . وفي مقدمة هذا النفر لا نتردد في ذكر اسم الكاتب النابغة جبران خليل جبران . فان جميع كتاباته تنم عن مواهب أدبية تجعله في مصاف اكابر الكتاب والادباء . بل لا نغالي اذا قلنا ان جبران زعيم نهضة جديدة في الادب العربي نتوسم من ورائها كل خير للغتنا العزيزة

طالع كتبه كلها ـ طالع قصصه ورواياته وأشعاره المنظومة والمنثورة ومقالاته الاجتماعية والعمرانيـة . تجد فيها جميعاً نزوعاً عن المعروف والمألوف ، تجد شخصية كبيرة تأبى ان تتقيد بقيود القوانين الانسانية ، تجد نفساً طموحة الى التجديد والاصلاح

والترميم . ان من يقرأ كتابات جبران تتمثل لديه روحه كأنها تنطق وتتكلم - تتمثل لديه بمشاعرها واحساساتها وتخيلاتها ، بعزمها وقوتها ونشاطها ، تتمثل له كما هي - تتمثل روحاً ممتازة ذات عقائد خاصة ومذاهب خاصة ومنازع خاصة . وأما الكاتب الكبير ذاك الذي يريك صورة حقيقية لنفسه في خلال ما تنتجه قريحته

امامنا الان كتاب « الارواح المتمردة » وهو مجموعة تحوي بضع قصص تتشابه في مغازيها ومراميها . وفي الامكان تلخيص تلك المغازي والمرامي في كلمة واحدة هي «التمرد» - التمرد على كل شيء ، على أصحاب السلطة ، على رجال الدين ، على الشرائع البشرية ، على النظامات الاجتماعية ، على العادات والتقاليد الشائعة ، على ما يراه الناس ويعملونه الف الف مرة كل يوم وهم مساقون كالاغنام لا يسائلون انفسهم عن اصله وغرضه وغايته

والحقيقة التي لا يلبث القارىء اللبيب ان يدركها من مطالعة هذا الكتاب هي ان تلك الارواح المتمردة انما هي صور مختلفة لروح جبران المتمردة الثائرة التي لا يهدأ لها بال ما لم تهز بايديها القوية كل شجرة من أشجار الحقل الذي غرسه البشر لتخبر صحتها وحيويتها وتسقط منها كل ما مات او اصبح على وشك الموت

ان فلسفة جبران تتلخص في هذه الفقرة الواردة في قصة « صراخ القبور » وهي قوله :

« الشريعة - وما هي الشريعة ؟ من رآها نازلة مع نور الشمس من اعماق السماء ؟ وأي بشري رأى قلب الله فعلم مشيئته في البشر ؟ وفي أي جيل من الاجيال سار الملائكة بين الناس قائلين « أحرموا الضعفاء نور الحياة ، وافنوا الساقطين بحد السيف ، ودوسوا الخطأة باقدام من حديد »

ومن حسنات الكتاب انه يمثل حياة لبنان واهاليه أجمل تمثيل فيتخيل القارىء نفسه عائشاً في قراه بين هضابه وبطاحه مستنشقاً روائحه العطرية متفيئاً أشجاره الظليلة مرتوياً من مائه القراح مشاهداً ما فيه من عظمة وجلال ووقار . ولسنا نعرف الى اليوم كاتباً كجبران تنعكس في كتاباته مشاهد لبنان ووديانه وحياة اهله وسكانه واخلاقهم وسجاياهم وعاداتهم وتقاليدهم

فنرحب بهذا الكتاب كما رحبنا من قبل بمؤلفات جبران الاخرى ونحن واثقون من انها ستنال من الاقبال والتقدير ما هي حقيقة به وجديرة

في سبيل التاج

بقلم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

[الهلال] لقد حاز هذا المؤلف النفيس من القراء اقبالا عظيماً فلم تكد تظهر طبعته الاولى حتى نفدت. وقد ظهرت اخيراً طبعة ثانية مصدرة بمقال من قلم الكاتب الاديب حسن بك الشريف عن قيمة الكتاب ومؤلفه ومترجمه. ولما كنا لم نذكر عن هذا الكتاب الا كلمة وجيزة عند صدوره رأينا ان ننقل بعض ما قاله ذلك الاديب :

... رواية في « سبيل التاج » مأساة شعرية تمثيلية وضعها المؤلف في سنة ١٨٩٥ وأراد أن يجاري بها عميدي الشعر التمثيلي في القرن السابع عشر كورني وراسين. وهي رواية أخلاقية بطلها فتى تعارضت في نفسه عاطفتان قويتان : حب الاسرة وحب الوطن فضحى بالاولى فداء للثانية ثم ضحى بحياته فداء لشرف الاسرة. ولقد تجلت في هذه المأساة عبقرية الشاعر ومواهبه الكبيرة. فالاسلوب سهل ممتنع والفكر متسلسلة متماسكة والوقائع جلية واضحة وأخلاق أشخاص الرواية تفسرها أقوالهم وحركاتهم فلا غموض فيها ولا ابهام

ولقد ذهب النقاد في تقدير هذه المأساة مذاهب شتى حتى قال بعضهم انها خير ما اخرج للناس من عهد « راسين » الى يوم ظهورها

قال الاستاذ اميل فاجيه العضو بالمجمع العلمي الفرنساوي عن هذه الرواية في الجزء الثالث من كتابه « آراء في التمثيل » ما معناه :

اذا نظرنا الى ما في الفصول الثلاثة الاولى من القوة والمتانة والوضوح مع البيان والبلاغة وحسن التصوير أمكننا أن نحكم بان هذه الرواية ستمثل الى ما شاء الله بدون أن يملها الجمهور او يشعر بسأم من سماعها وان فرانسوا كوبيه بكتابته للفصل الثالث منها على الاخص قد ضمن لذكراه الخلود في ذاكرة الاجيال المقبلة (والفصل الثالث هو الفصل المعنون في التعريب بعنوان الجريمة)

وقال الاستاذ جول لومتر العضو بالمجمع العلمي الفرنسوي في الجزء التاسع من كتابه « خواطر في التمثيل » بعد ان أطنب في وصف شاعرية كوبيه وفي تقدير مواهبه : ان رواية « في سبيل التاج » لهي من صنع فني قدير وشاعر عظيم ورجل ذي ضمير حي وقلب كبير واذا كان فيها بعض النقص فهذا النقص لم يخل منه كورني ولا فيكتور هوجو ولا غيرهما من كبار الفنيين

وقال في موضع آخر من نفس الكتاب : ان المشاهد لتمثيل رواية « في سبيل التاج » ليشعر منذ الهنيهة الاولى براحة واطمئنان ثم لا يلبث حتى يتأكد انه سيشاهد عملاً متقناً وفناً نظيفاً . ولقد يكون أحسن ما في هذه القطعة تنسيق الافكار وتحليل العواطف وترتيب الحوادث وتصوير النفوس والاشخاص

هذا رأي كبيرين من زعماء الحركة الادبية في فرنسا نورده هنا ليعلم القراء منزلة هذه الرواية من نفوس الادباء في الغرب ومبلغ تقديرهم لمؤلفها

ولقد تناول السيد مصطفى لطفي المنفلوطي هذه المأساة ونقل موضوعها الى اللغة العربية في قالب روائي جميل بعد أن أضاف اليها أشياء وحذف منها أخرى وأخرجها لقرائه قصة يستهوي أسلوبها القلوب وتسترعي وقائعها الالباب بقلم عذب وعبارة رقيقة وديباجة بديعة لا نطيل الكلام في وصفها لان قراء العربية جميعاً يعرفونها للكاتب ويعترفون له بها . ولم يفته أن ينقل الى العربية قطعاً كاملة من الرواية يستطيع القارىء أن يتبين منها قوة المؤلف ، ومع ان الرواية ملخصة تلخيصاً فقد استطاع الكاتب بمهارة فائقة أن يصور الروح الاصلية للمؤلف تصويراً مؤثراً وان يملك من نفوس قراء العربية ما ملكه فرانسوا كوبيه من نفوس قراء الفرنسية

ولا يفوتنا هنا أن نقول ان الكاتب قد اشتغل بتلخيص هذه الرواية في ابان الحركة الوطنية الاخيرة . ولقد أوحت اليه الحوادث السياسية التي لا تزال ماثلة في الاذهان صفحات تفيض وطنية وغيرة حتى لكأنه قد افضى الى امته في هذا الكتاب بكثير مما لم يستطع كتابته في الصحف السياسية . والحق اقول اننا كثيراً ما كنا نعتب عليه في سكوته عن الاشتراك بقلمه مع العاملين في هذه الحركة حتى قرأنا له هذه الرواية فاذا روحه الوطنية الشريفة تسيل فوق صفحاتها سيلاً واذا الرواية رواية الحركة الحاضرة بجميع ظروفها ومتعلقاتها

وبالجملة فرواية « في سبيل التاج » كتاب الوطنية الخالد في ثوب قصة خيالية تملك لب القارىء بجمالها وتتولى تهذيب نفسه بآدابها وفضائلها . وما أحوجنا أن تجري الاقلام الادبية في هذا العصر بمثل ما جرى به قلم السيد المنفلوطي في هذه المأساة المؤثرة ليتلقى النشء الحديث دروس وطنيته من طريق العواطف والوجدان . وقلما تصل الوطنية الى أعماق القلوب وتتغلغل في شغافها الا من هذا الطريق

حسن الشريف

السراب

بقلم صاحبة السمو الاميرة قدرية حسين

للاميرة الجليلة قدرية حسين (كريمة المغفور له السلطان السابق) آثار ادبية رائقة تجعلها في مصاف كبار الكاتبات الاديبات . وقد نشرنا في السنة الماضية من الهلال كلمة عن « خواطر الاميرة » حين صدورها بالعربية وبين ايدينا اليوم هذا الاثر النفيس وهو كالخواطر في علو مرتبته الادبية وقد عني بنقله الى العربية عبد العزيز امين الخانجي ناقل الخواطر اليها أيضاً

والسراب مجموعة صغيرة تحوي رسالات نثرية شعرية في مواضيع مختلفة على اسلوب رشيق بديع وحسناً ان نورد هنا انموذجاً من تلك الرسالات . قالت :

الصمت

هنالك كائن بلا جسم ، قابض بيده القوية على جميع الموجودات ، يسمى (السكوت) وهو في الحقيقة صدى الفضاء ولسان حاله

وهذا الكائن المسمى سكوتاً مملوء بالخواطر النفيسة والتذكارات العزيزة التي تخلب العقل الانساني بلسانها السحري ، مملوء باسرار الماضي وأشجانه وشكاويه ، تلك التي يذوب لها القلب حسرة وأسى كما ردد الاثير صداها

ولهذا السكوت الناشىء عن اللاشيء والمستولي على العالم باجمعه السلطان المطلق والنفوذ التام في كل زمان ومكان ؛ فهو موجود في وسط الزحام حيث الضجيج والضوضاء وفي أطراف كل جلبة ولجب ومع كل طنطنة ودبدبة

ذروة كل علو صمت وسكوت ، وفي قرارة كل عمق لا نجد سوى السكوت وكما ان مبدأ كل عاصفة سكوت ومنتهى كل جلبة وعويل سكوت ، كذلك لا نجد في أشد حالات الدهشة والتأثر برهاناً أبلغ من الصمت والسكوت

ان الصفير الناشىء عن شفافة الاثير ورقته ليس الا نغمة موسيقية تردد كل زاوية مهجورة في العالم صداها بلا انقطاع ، الا ان وقعها لا يحلو الا في النفوس المكروبة المتعطشة للسكون والراحة ، لانها تسكن ثائرتها وتبعث فيها روح النشاط والقوة »

ومع ذلك فهنالك صمت مريع ، لا تطيقه النفس مملوءة بانواع النقمة والغدر والتهديد : فمثل هذا الصمت الرهيب الذي ترتعش أمام قسوته كل الموجودات ينشأ

أيضاً من صميم الفضاء الا انه في هذه الحالة لا يعد نغمة حلوة بل يكون صيحة العدم المفزعة

كل صمت هو حي متكلم ؛ لانه يحوي بين جنبيه تاريخ العالم وحوادثه أجمع ولذا ففي مقدوره أن يعيد لزوايا النسيان والهجران بهجتها الاولى ورواءها السابق بما يستعرضه أمامها من مناظر الايام السالفة وخواطر الساعات الماضية

مطبوعات جديدة

[تنبيه] نقتصر في هذا الباب على ذكر اسماء الكتب الجديدة ومؤلفيها وبيان موجز بمواضيعها . وقد ضاق المقام عن الكلام على كل ما لدينا فارجأنا جانباً الى الجزء القادم

﴿ المذكرة اللغوية لابن ارمانيوس ﴾ هو كتاب مدرسي يشمل ترجمة أهم مفردات الممالك الطبيعية الثلاث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية لواضعه عازر ارمانيوس وهو خير معين على ترجمة الكلمات الاصطلاحية ولا يستغني عنه طالب العلم الذي يبغي معرفة الكلمات العربية الصحيحة المقابلة للاسماء الافرنكية العلمية

﴿ معضلة الشرق ﴾ هو كتاب سياسي مقدم الى عصبة الامم يبحث في أحوال الاقطار العربية المحررة (سوريا ـ العراق ـ لبنان) وماضيها ومستقبلها . وضعه في اللغة الفرنسية الكاتب المعروف خير الله خير الله ونقله الى العربية عارف النكدي . طبع في بيروت على نفقة جريدة الحقيقة وثمنه ٢٥ قرشاً مصرياً

﴿ التعليم الوطني ﴾ هو كتاب مدرسي على اسلوب جديد يحوي قواعد عمومية وفوائد خصوصية لكل طور من أطوار الحياة التي تقتضيها احوال الشرق الحاضرة وضعه جرجس همام الشويرى صاحب المؤلفات المدرسية والعلمية المشهورة. وقد جرى فيه على طريقة السؤال والجواب وقسم الكتاب الى فصول في : الحياة الشخصية والحياة العائلية والحياة المدرسية والحياة المدنية والحياة العملية والحياة السياسية والحياة الدينية . وخاض كلا من هذه المباحث باسلوب سهل متين قريب المنال . ثمنه ١٥ قرشاً

﴿ الحساب الحديث . الجزء الاول ﴾ هو كتاب في علم الحساب على الاسلوب الحديث تأليف العالم الرياضي الاستاذ منصور حنا جرداق أستاذ الرياضيات العالية في الجامعة الاميركانية ببيروت والعضو في الجمعية الانكليزية الرياضية في لندن . وقد توخى

العائلة والمنزل

معرفة العمر من البشرة

قال غلادستن « إن عمر الرجال بقدر ما يشعرون به من القوة والنشاط » ويؤخذ من ذلك ان عمر الانسان ينبغي ألا يقاس بعدد السنين والشهور بل بمقدار



لمس بشرة شخص هرم

الهمة والقوة الحيوية . فكم من شيخ هو في الحقيقة شاب في روحه ونشاطه وكم من شاب ليس الا شيخاً هرماً

فاذا اردت ان تعرف عمرك الحقيقي لا ترجع الى شهادة ميلادك وتحسب ما مر من السنين منذ ذلك العهد . ولكن سائل نفسك عما فيك من همة واقدام ونشاط وحيوية . فقد يكون عمرك ثمانين سنة وأنت في العشرين

قال أحد كبار الاطباء الفرنسيين « ان عمر الانسان متوقف على حالة شرايينه »

وفي هذا القول حكمة بالغة . فان الشرايين هي الطرق الموصلة للغذاء الى جميع اطراف الجسم . فاذا تطرق اليها الضعف والهرم انكمشت وتقلصت وخف مقدار الدم الحي الجاري فيها وتعرقلت الحركة الدموية فتضعف الانسجة ولا تلبث ان تهرم وتضمحل وتموت

وعلى هذا المنوال يجوز لنا ان نقول أيضاً ان عمر الانسان متوقف على حالة قلبه او على حالة كليتيه أو على حالة كبده لان كلا من هذه الاعضاء ذو مقام رئيسي في حياة الانسان

كذلك يجوز لنا ان نقول ان « عمر الانسان متوقف على حالة بشرته » . ومما يؤسف له ان الناس قلما يدركون أهمية البشرة - مع انهم يعرفون قيمة معظم الاعضاء الاخرى . والحقيقة ان البشرة ذات شأن خطير جداً . فقد يعيش الانسان زمناً بلا معدة مثلاً ولكنه لا يعيش الا بضع ساعات بلا بشرة . والبشرة المرنة السميكة تدل على ان صاحبها متمتع بصحة جيدة بعكس من كانت بشرته مجعدة لامعة منكمشة

وقد كتب احد الاطباء مقالاً في بيان أهمية البشرة قال فيه :

تتوقف صحة البشرة على الغدة الدرقية التي لها مقام خطير في المحافظة على الصحة فان وظيفة هذه الغدة ملاشاة السموم التي تجمع في الجسم ولا سيما في القناة الهضمية. فان التعفن الذي يحدث في تلك القناة - من جراء الاكثار من اكل اللحوم على الخصوص - يحوّل الى الدم مقادير كبيرة من السموم تستدعي مكافحتها اجهاد الغدة الدرقية كما يستدعي اجهاد الكليتين والكبد . فلا تلبث أن يتطرق اليها الاعياء والوهن قبل الاوان

ومتى ضعفت الغدة الدرقية تقلص حجمها فينشأ عن ذلك انخفاض في اسفل العنق (حيث مكان الغدة) . وذلك الانخفاض تسهل مشاهدته في المتقدمين في السن وفي الذين هرموا قبل الاوان . كما انك تجد دائماً في بشرتهم دلائل تدل على الهرم . فبدلاً من ان تكون البشرة سميكة مرنة شبيهة بالمطاط تجدها رفيعة مجعدة شفافة وكثيراً ما تجد عليها بقعاً قاتمة اللون . وهذه البقع تكون في البدء قليلة العدد ثم تتزايد كلما تقدم الانسان في السن ويزداد لونها سواداً . ولقد عني كاتب هذا المقال عناية خاصة بدرس البشرة ودلالتها على التقدم في العمر . فكان اذا أراد ان يعرف عمر أحد القادمين اليه للمعالجة التقط طية من بشرة يده بين الباهم والسبابة (كما في الصورة

المنشورة في أول المقالة) ثم تركها فاذا بقيت الطية مرتفعة عن سطح البشرة عرف ان صاحبها متقدم في السن مهما يكن عدد السنوات التي قضاها منذ ولادته . وبعكس ذلك من تستعيد بشرته شكلها الاول حالما يكف يده عنها

وقد اطلعت اثناء قيامي بتجاربي على انه في عهد اباحة الرقيق كان الشارون يستخدمون هذه الطريقة للوقوف على عمر النساء المعروضات للبيع وقلما كانوا يحفلون بما يدعيه تجار الرقيق من هذا القبيل . فقد كانوا يقرصون بشرة الجارية فاذا استعادت في الحال شكلها الاول كانت صالحة والا فلا

والآن ايها القارىء انظر الى يديك وجرب ان تستطلع عمرك من فحصها . فاذا وجدت بشرتك لامعة متجعدة قليلة المرونة فاعلم انك قد هرمت وابدأ في الحال باصلاح طرق معيشتك . فقلل ما تتناوله من اللحوم والمنبهات على اشكالها وامضغ طعامك جيداً وعش ما استطعت في الهواء النقي الطلق الى آخر ما هنالك من النصائح الصحية التي يعلمها كل متهذب في هذا العصر

هل من الحكمة حلق اللحية والشاربين ؟

لقد اجاب احد الاطباء المشهورين في اميركا على هذا السؤال بالسلب . قال : ان اللحية والشاربين من جملة وسائل الوقاية التي وهبتها الطبيعة للرجل . ووظيفتها حماية الوجه والعنق من البرد والحر الزائدين ومنع الغبار والميكروبات من الوصول الى الفم والانف . ومن هذا القبيل الشعر والفرو وكل ما يكسو أنواع الحيوانات . فانه ذو شأن في وقايتها ولولاه لتعرضت الى امراض واخطار كثيرة . وقد يعترض معترض بقوله ان في حلق اللحية والشاربين نظافة وكياسة . فاما النظافة فان ارسال شعر الوجه يحتم العناية التامة به كما يعني الانسان بسائر جسمه . وأما الكياسة فلا ريب أن للعادة الشأن الاول من هذا القبيل . وقد اختلف استحسان الناس للحى المرسلة باختلاف العصور و« المودات » بل أن ارسال اللحية والشاربين يعين اصحاب الوجوه المشوهة أو غير المتناسبة على اخفاء ما فيهم من تشويه وعدم تناسب . واذا قيل أن النساء يعشن بلا لحى وشوارب قلنا ان للمرأة ميزة على الرجل في أن لها طبقة دهنية تحت بشرتها تقوم بوظيفة الوقاية

فكما يحمي الشعر الرأس كذلك تحمي اللحية الوجه . وللشاربين ايضاً شأن في

التنفس فانهما يحولان دون دخول كثير من الجراثيم والاوساخ الى الانف . وقد حسبوا أن عدد الجراثيم التي يستنشقها الانف تبلغ ١٤٠٠ في الساعة . وقد دلت المشاهدات على أن أصحاب اللحى اقل تعرضاً لامراض الاسنان والفم والحنجرة والزكام

نصائح طبية

عن المقامة الطبية من كتاب « مجمع البحرين »

لا تجلس على الطعام الا وانت جائع . وقم وأنت بما دون الشبع قانع . وباكر في الغداء . ولا تماسَ في العشاء . والزم الرياضة على الخلاء . واجتنبها عند الامتلاء . ولا تدخل طعاماً على طعام . ولا تشرب بعد المنام . ولا تكثر من الالوان . على الخوان . ولا تعجل في المضغ والازدراد . واجتنب كل ما لم ينضج وما بات من الطعام فهو مجلبة للفساد . واذا امكنتك الوجبة . فهي أفضل نخبة . واقطع العادة المضرة . مرة بعد مرة . وعليك بتنقية الفضول . في معتدلات الفصول . واذا مرضت فقابل السبب . واحرص على القوة فانها الى الحياة سبب . وبالغ في الدواء . ما شعرت بالداء . ودعه متى وثقت بالشفاء . واذا استغنيت بالمفردات . فلا تعدل الى المركبات . واذا اكتفيت بالاغذية . فلا تتجاوز الى الادوية . واذا تعاظم المرض . فاشتغل به عن المرض . واعتمد الحمية الواقية . ما دامت العلة باقية . واحذر دواعي النكس . فانه شر من العلة بالامس . واعلم ان التجربة خطر . فكن منها على حذر . والعلاج بين استفراغ الحاصل . وقطع الواصل . والصحة تحفظ بالشبه وتسترد بالنقيض . والحمية للصحيح كالتخليط للمريض . واستعمال الدواء حيث لا يحتاج . كتركه عند حاجة العلاج . والمضر اليسير . خير من النافع الكثير . وكل ما عسر قضمه . شق هضمه . ومن كثرت تخمه . تفاقم سقمه . واكثر الاوصاب . يكون من الطعام او الشراب

نصيحة الى النساء المتزوجات

من امرأة متزوجة

تذكري انك اذا لم ترددي على زوجك قولك انك تحبينه وتعجبين به فقد تقول له ذلك امرأة اخرى

عجائب المخلوقات



احد حراس حديقة الحيوانات بلندن ينوم فرخ تمساح

التنويم المغنطيسي والحيوانات

يرى القارىء في الصورة المنشورة على هذه الصفحة احد حراس حديقة الحيوانات في لندن أثناء تنويمه فرخ تمساح . فقد برع هذا الحارس في تنويم بعض الحيوانات وطريقته أنه يلقي التمساح الصغير (أو غيره) على مائدة ثم يشرع في تحريك يديه فوقه يميناً وشمالاً فلا يلبث مدة قصيرة حتى يستولي النعاس على التمساح ويدخل في دور السبات المغنطيسي

وقد فعل مثل ذلك منذ مدة الاستاذ كلاباريد من جامعة جنيف بسويسرا اذ تمكن من تنويم قردة تنوعاً مغنطيسياً

ويمكن تنويم الديك ايضاً بان يُجعل منقاره ملاصقاً للارض ثم يرسم خط ابيض بالطباشير ممتد من منقاره فلا يلبث ان ينام من جراء احداقه بذلك الخط

واغرب من ذلك ان احد العلماء انشأ مقالة في احدى المجلات العلميه ذكر فيها حوادث تدل على ان الحيوانات تستخدم التنويم المغنطيسي فيما بينها كسلاح وهبته لها الطبيعة للفوز في تنازع البقاء . وقد اورد العالم المشار اليه امثلة كثيرة من هذا القبيل نقتصر على ذكر بعضها . فمن ذلك قوله ان الاسد اذا ابصر بغزالة على مقربة منه احدق بها فلا تلبث ان تجمد في مكانها فيقبل عليها ويفترسها غنيمة باردة . ومنها ان بعض الطيور الكاسرة تبرع في هذا الفن لاصطياد فرائسها . فالنسر مثلاً اذا ابصر وهو في الجو طيراً يبغي افتراسه شرع يدور حوله مضيقاً الدائرة مرة بعد مرة حتى تشل حركة فريسته فينقض عليها

الزنوج البيض

يرى القارىء في عنوان هذ النبذة كلمتين متناقضتين ولكن الحقيقة ان الطبيعة قد اوجدت — فيما اوجدت من الشواذ — زنوجاً بيضاً

فمعلوم ان لون البشرة يتأتى من كريات صبغية تختلف باختلاف الاجناس البشرية. على ان بعض الاجسام الشاذة تخلق خالية من هذه الكريات . فالزنجي الذي ليس في بشرته تلك الكريات يكون ابيض اللون . وهذا الشذوذ شائع بين جميع الشعوب بل بين الحيوانات ايضاً . وهو بين الزنوج اكثر شيوعاً منه بين الشعوب البيضاء

على ان في بعض هؤلاء الزنوج بقعاً بيضاء فقط في جهات مخصوصة من الجسم . اما البعض الآخر فكل اجسامهم بيضاء — ومن هذا النوع الزنجية التي نشرنا صورتها في الصفحة التالية

ومن صفات المصابين بهذا الداء انهم شديدو التأثر من نور الشمس اذا أصاب عيونهم أذاها حتى انهم يضطرون في الغالب الى ملازمة منازلهم في اثناء النهار

هذا من حيث الشذوذ الطبيعي . غير ان بعض العلماء قد جربوا تغيير لون البشرة بطرق علمية . فان احد اطباء مدينة فيلادلفيا في الولايات المتحدة قد تمكن باستعمال اشعة رنتجن من تبييض بشرة زنجي اميركي . ولكن لم يعلم بعد هل كان هذا التغيير دائماً او وقتياً

ولا يظن القارىء ان جميع الزنوج يتمنون تبييض اجسامهم . فان الزنجي في وسطه الطبيعي يعد لونه اللون الامثل ولا يبغي عنه بديلاً . وذلك شعور طبيعي فيه كما انا نحن معاشر البيض لا يخطر ببالنا تسويد بشرتنا



زنجية بيضاء

ولكن الزنوج الذين هجروا بلادهم الاصلية وقطنوا بين أقوام من البيض يشعرون بان لونهم يحط من مركزهم الاجتماعي (كما هو الحال في اميركا) ويتمنون لو ان في امكانهم ان يصبحوا بيضاً كمن يعيشون بينهم . ولا ريب ان المخترع الذي يتوفق الى اختراع طريقة صحيحة لتبييض جسم الزنوج يربح من اختراعه مالاً طائلاً

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء . فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا اصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي ان تذكر مع الاسئلة اسماء مرسليها على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بحرف او بكلمة عند النشر

تاريخ التقطير

﴿ الاسكندرية ﴾ يوسف جبور يوسف

الى اي عهد يرجع تاريخ التقطير في العالم ؟

﴿ الهلال ﴾ يتعذر تعيين تاريخ التقطير بالضبط وانما يقال بوجه الاجمال انه كان شائعاً منذ زمن بعيد فان اهالي الاسكندرية على عهد البطالسة كانوا يستخرجون زيت الطربنتينا من راتينج الصنوبر . وقد ذكر الكاتب روزيمس (من بانوبوليس) من أهالي القرن الخامس للميلاد شيئاً عن تقطير « ماء سماوي » كان يعزى اليه شفاء الامراض . وقد تقدم فن التقطير تقدماً عظيماً على يد العرب فقد حسنوا وسائل التقطير وتمكنوا من استخراج عدة زيوت وسوائل من النباتات والاعصرة النباتية

اصل قول مأثور

﴿ منشستر . نيوهمشير . اميركا ﴾ أنيس ملحم ابو خليل

نشرت جريدة اميركية تصدر في بوسطن رداً على سؤال لاحد قرائها قالت فيه ان اصل القول المأثور « ان التي تهز السرير بيمينها تهز العالم بيسارها » قطعة شعرية للشاعر وليم روز والس (١٨١٩ — ١٨٨١) بعنوان « ما الذي يحكم العالم » وهي :

They say that man is mighty
He governs land and sea ;
He yields a mighty sceptre
O'er lesser powers that be :
And the hand that rocks the cradle
Is the hand that rules the world.

ولما كنت قد قرأت هذه الفكرة مراراً في الكتب العربية ارجو أن تخبروني هل تعرفون لها أصلاً عربياً غير الذي ذكره محرر الجريدة الاميركية ؟

﴿ الهلال ﴾ ان هذه الفكرة مأخوذة عن اصل غربي ونرجح صحة ما قاله محرر الجريدة التي ذكرتموها

البحر الميت

﴿ سانت أنطونيو دي بالصا . ولاية مارنياون . البرازيل ﴾ الياس ابو ناصر

ما هي مساحة البحر الميت وما هي خواصه والمواد التي يحويها ماؤه ؟

﴿ الهلال ﴾ يبلغ طول البحر الميت ٤٧ ميلا وعرضه ١٠ اميال (كبحيرة جنيف بسويسرا بوجه التقريب) . وسطحه منخفض عن سطح البحر الابيض المتوسط بنحو ١٢٩٠ قدماً . وقد حسبوا أن مقدار الماء الذي يصب فيه كل يوم يبلغ اكثر من ستة ملايين طن . وبما أنه ليس لهذا البحر منفذ فهذا القدر من الماء يتبخر عقب تجمعه . ولذلك تزداد كمية الاملاح الذائبة فيه . فان الماء الذي يصب في البحر الميت يحمل املاحاً مختلفة فاذا تبخر بقيت الاملاح وتبخر الماء وحده . وتقدر الاملاح المعدنية التي في ماء البحر الميت بنحو ٢٤ أو ٢٦ في المئة ٧ منها ملح اعتيادي . ومن تلك الاملاح أيضاً كلوريد المغنيزيوم وهو الذي يجعل لهذا الماء طعماً مراً كريهاً . والانسان يستطيع أن يسبح في هذا البحر بلا عناء لكثافته على شرط الا يتسرب الماء الى فمه أو عينيه . وفي البحر الميت بالرغم من املاحه بعض انواع السمك

الروح اثناء النوم

﴿ غزة . فلسطين ﴾ س

أين تذهب الروح عند النوم ؟

﴿ الهلال ﴾ ان سؤالكم هذا يفرض ان الروح كائن مستقل عن الجسد . وهو أمر لم يثبته العلم كما انه لم ينفه . على ان المحقق علمياً هو ان الظواهر النفسية ترافقها دائماً ظواهر فسيولوجية في الجهاز العصبي . وليس يستنتج من ذلك حتماً ان هذه سبب تلك . وانما الثابت توافقها وترافقها . ولتعليل النوم نظريات كثيرة ليس هذا

محل ذكرها (انظر مقالة ما هو النوم ولماذا تنام في صحيفة ٣٣٩ من السنة ٢٢)وهو على كل حال يحدث شبه تخدير في الجهاز العصبي يتبعه وقوف الحركة العقلية . وهذا جل ما يمكن الجزم به

اعلى المداخن في العالم

﴿ اللاذقية . سوريا ﴾ حكمت شريف

ذكرتم في احد اهلة العام الماضي ان اعظم مدخنة في العالم طولها ١٧٨ متراً . وقلتم في الجزء التاسع ان ارتفاع تلك المدخنة ١٧٥ متراً ونصف مع ان المدينة المنشأة فيها تلك المدخنة هي نفس المدينة التي قلتم عنها اولا واخيراً - مدينة انا كوندا من ولاية متانا الاميركية - فالفرق بين الروايتين متران ونصف . فما هو الصحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ لقد رجعنا في تحقيق هذه المسئلة الى مقالة منشورة في مجلة « سينتفيك اميركان » (وهي من امهات المجلات العلمية في العالم) في جزء ٢١ فبراير سنة ١٩٢٠ موضوعها المداخن الطويلة فوجدنا فيها ان طول مدخنة انا كوندا هو ٥٨٥ قدماً وكسور (اي ١٧٨ متراً وكسور) وقطر دائرتها ٦٠ قدماً ونرجح ان هذا التقدير هو الاصح

احجام الحيوانات

﴿ كسبر . ويومن . الولايات المتحدة ﴾ ابراهيم القسيس

في اثناء مطالعتي لبعض اجزاء الهلال وقع نظري على صورة رجل يحمل فرسا وكنت قد اطلعت في جزء آخر على صورة « اكبر كلب واصغر كلب » والثاني على ظهر الاول فما سبب هذا الاختلاف الكبير في احجام تلك الحيوانات وهل يجب ان تعد انواعاً مختلفة او نوعاً واحداً ؟

﴿ الهلال ﴾ ان حجم الحيوان من الاعتبارات الثانوية في تقسيم الانواع فانما الاعتماد في المقام الاول على المميزات التشريحية . واختلاف الاحجام في افراد النوع الواحد من الحيوانات امر كثير الشيوع في الطبيعة . وهو نتيجة الانتخاب الطبيعي وتأثير الوسط على ممر الاجيال . بل ان في الجنس البشري شعوباً من الاقزام وشعوباً ضخمة الاجسام الى غير ذلك من الاختلافات العرضية التي لا تمنع كونها جميعاً من النوع الانساني

رئيس الولايات المتحدة

اوسع رؤساء الحكومات سلطة في العالم

مركزه وسلطته وطريقة انتخابه

يمتاز دستور الولايات المتحدة الاميركية عن دساتير سائر الدول بالسلطة الواسعة التي يخولها للرئيس . فانه ليس للملوك ورؤساء الجمهوريات في جميع الاقطار المتمدنة الا سلطة أسمية قلما يبدو لها أثر في سير الحكومة وسياستها . ومن الامثلة الحديثة على ذلك ان ملك الانكليز احجم بالأمس عن اصدار العفو (وهو من حقوقه) عن المستر مكسويني محافظ مدينة كورك لما وجد أن وزراءه على غير رأيه في هذا الشأن

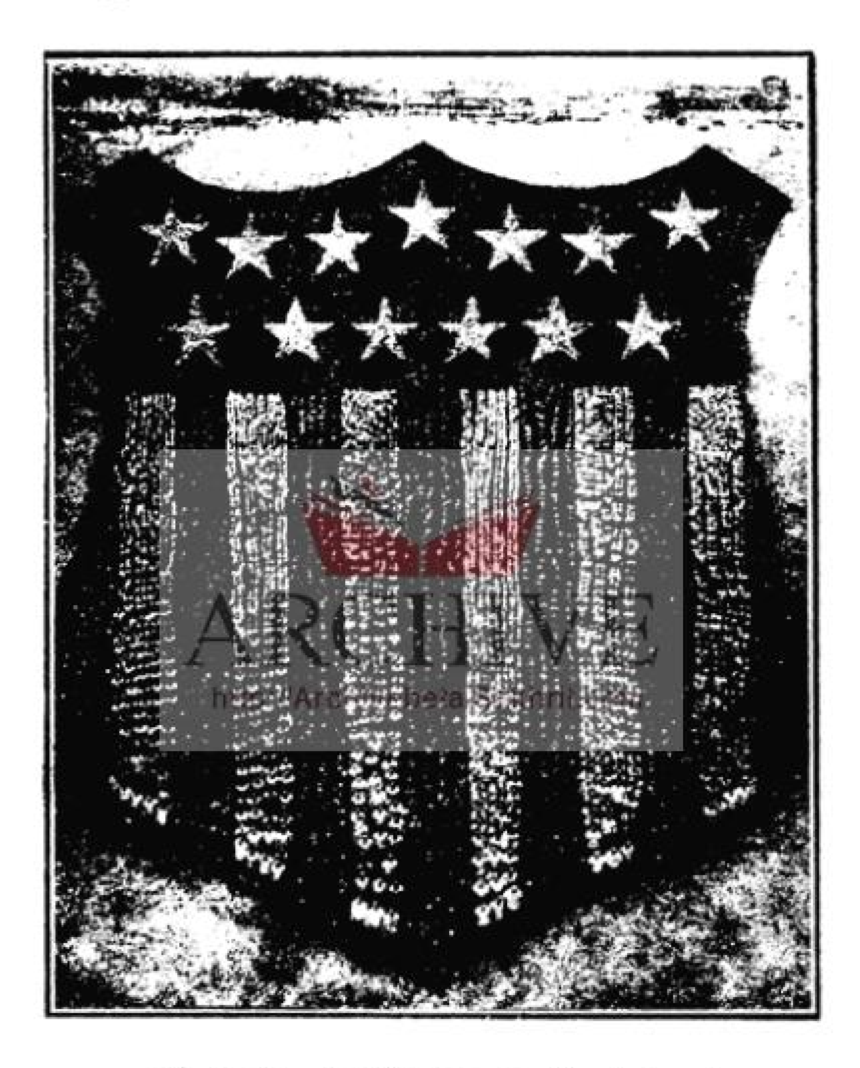
وسر تلك السلطة الواسعة هو انه ليس في الولايات المتحدة رئيس وزارة كما في سائر الدول بل ان الرئيس يجمع بين صفتي رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة. وشتان بين سلطة الرئيسين الاميركي والفرنسي: فان رئيس الجمهورية الفرنسية أشبه شيء بملك منتخب يتبوأ كرسي الرئاسة لسبع سنوات يتخلى في اثنائها عن السلطة الفعلية لرئيس وزرائه. وبعبارة أخرى انه يملك ولا يحكم . ولمنصبه شيء كثير من أبهة الملوك فانه يقيم في قصر فخم ويستقبل الملوك ويترأس الحفلات الرسمية على نحو ما كان يفعله ملوك فرنسا

مركزه الاجتماعي

اما الرئيس الاميركي فليس له شيء من ابهة الملك . فما هو الا زعيم مواطنيه الاحرار وليس لمقامه القاب خاصة [1] ولا لباس رسمي ولا شارات مميزة له عن سواه ولا تصك النقود باسمه ولا ترسم صورته على طوابع البريد. وهو يقيم في «البيت الابيض» في واشنطن (وكان يسمى قبلاً «الدار التنفيذية») وهو بناء جميل رحب بسيط يشبه الدور الحديثة التي تبنى في ضواحي المدن (ڤيلا) اكثر مما يشبه قصور الملوك والسلاطين

(١) اقترح في بادىء الامر ان يمنح لقب «صاحب السمو» ولقب «حامي حرية الولايات المتحدة» وغير ذلك ولكن الاميركيين آثروا الاكتفاء باسمه مجرداً عن كل لقب

اما اجرته السنوية فلا تزيد على ٧٥٠٠٠ ريال (أي ١٥٠٠٠ جنيه) وهي اجرة ضئيلة بالنسبة الى ما يتقاضاه الملوك . ثم أنه ليس له حرس خاص ولا بطانة ولا غير ذلك من مستلزمات البلاطات . بل ان معيشته اليومية بسيطة . ومع أن لامرأته



ترس بشري مؤلف من ٣٠٠٠٠ ضابط وجندي على شكل النجوم والخطوط (وهي الشعار الاميركي)

حق التقدم على سائر النساء فانها تزور وتزار كغيرها من السيدات . وخلاصة القول أنه من حيث الابهة والعظمة دون حكام المستعمرات الانكليزية من الطبقة الثانية فضلاً عن نواب الملك في الهند وارلندا

سلطته

على أنه لئن حرم الرئيس الاميركي من بعض مظاهر العظمة فقد منح سلطة عظيمة لا تعادلها سلطة حاكم في العصر الحديث وهاك أهم عناصر تلك السلطة :

انه رئيس الحكومة والادارة وعليه أن يراقب تنفيذ دستور الولايات المتحدة وقوانينها ومعاهداتها واحكام محكمتها العليا

وله تعيين أهم الموظفين في الحكومة

وهو القائد العام للجيش والاسطول في حالة الحرب وله تعيين الضباط البريين والبحريين بمشاورة وموافقة مجلس الشيوخ

وفضلاً عن حقه بقيادة الجيوش في حالة الحرب له أيضاً أن يتخذ جميع التدابير التي من شأنها قهر العدو واحراز النصر . فان الرئيس لنكلن مثلاً في اثناء الحرب الاهلية الاميركية اوقف تنفيذ قانون الحرية الشخصية حتى في الجهات البعيدة عن ميدان القتال والغى الرق في كثير من الولايات والقى القبض على المشتبه بسلوكهم والمتهمين بمساعدة حزب الجنوب واعلن حصر المواني الجنوبية الى غير ذلك من التدابير التي اتخذها للفوز في تلك الحرب

وللرئيس بمقتضى السلطة المخولة له في حالة الحرب حق تعيين الحكام للاراضي المفتوحة واصدار الاوامر والقرارات فيها وتقاضي الضرائب والقيام بجميع مقتضيات السيادة الى ان يتولى الامر المجلسان النيابيان ويسنا القوانين اللازمة

ويحق للرئيس أن يستخدم القوة المسلحة لتنفيذ قوانين الولايات المتحدة والتغلب على كل مقاومة لا يستطاع التغلب عليها بالوسائل الشرعية العادية

ويمثل الرئيس اهل بلاده في جميع العلاقات الخارجية . فهو في الغالب يدير دفتها وهو المسئول عن نتائجها

وهو يعين السفراء والوكلاء والقناصل بموافقة مجلس الشيوخ . ويبرم المعاهدات بموافقة ثلثي أعضاء ذلك المجلس . ويستقبل رسمياً سفراء الدول الاجنبية ووكلاءها

وللرئيس الحق في اصدار العفو عن أي مجرم في الولايات المتحدة

ويبعث الرئيس الى المجلسين من حين الى آخر (او قد يقرأ بنفسه كما فعل ولسن) « رسائل » ذات شأن عظيم في السياسة الخارجية والداخلية . فانها لا تلبث ان تصدر

حتى تتناقلها الجرائد والمجالس السياسية لان عليها يتوقف اتجاه سياسة الحكومة

وللرئيس حق الاعتراض او الرفض veto وهو الحق الذي يخوله الاعتراض على ما يصدره المجلسان من القوانين فيعاد عليها النظر . ولا بد لتنفيذها بعدئذ من حيازتها لموافقة أغلبية الثلثين . وقد يكفي الرئيس ان يهدد المشترعين بعزمه على استعمال هذا الحق حتى يحجموا عن سن بعض القوانين



صورة « الكابيتول » في واشنطن مأخوذة من طيارة
(وهو مقر البرلمان الاميركي)

وللرئيس بعض الامتيازات الخاصة بوظيفته . فانه لا يحق لمحكمة ما محاكمته لاية تهمة كانت . ولا يجوز القاء القبض عليه حتى ولو ارتكب جريمة القتل . على انه تجوز محاكمته امام مجلس الشيوخ بناء على اتهام يقدمه مجلس النواب ولا بد من اغلبية الثلثين لصدور الحكم عليه . ولم يحاكم الى اليوم الا رئيس واحد وهو الرئيس اندرو جاكسن

انتخابه

بالامس انتخب الفرنسيون المسيو ميلران رئيساً للجمهورية بدلاً من المسيو

ديشانل الذي اصيب بمرض اقعده عن العمل . فتم ذلك الانتخاب في فترة قصيرة باجتماع اعضاء مجلسي النواب والشيوخ معاً في فرسايل . ولو قارنت ذلك بما يستدعيه انتخاب رئيس الولايات المتحدة من التدابير على انواعها لاتضح لك الفرق العظيم بين النظامين فان انتخاب الرئيس في اميركا يقيم البلاد ويقعدها مدة طويلة . وتتقدمه اجتماعات ومؤتمرات وخطب وحملات الخ . . . مما لا مثيل له في الاقطار الاخرى

ان الدستور الاميركي ينص على ان تنتخب كل ولاية اميركية عدداً من المنتخبين يعادل ما لها من الممثلين في مجلسي النواب والشيوخ وان يجتمع هؤلاء المنتخبون في ثاني يوم اثنين من شهر يناير في مركز كل ولاية ويدونوا اصواتهم للرئيس ونائب الرئيس اللذين يختارونهما ثم ترسل هذه الاصوات الى واشنطن حيث تفتح وتحصى بحضور أعضاء مجلسي النواب والشيوخ

ولكن الانتخاب في الواقع لايتم على هذه الصورة . فقد اعتاد الحزبان الكبيران في اميركا (الجمهوري والديمقراطي) على عقد مؤتمر لكل منهما في اثناء الصيف السابق لموعد الانتخاب يختار فيه كل حزب مرشحين احدهما للرئاسة والاخر لنيابة الرئاسة. ويختار المؤتمران ايضاً المرشحين في كل ولاية للانتخاب الرسمي . فاذا تم انتخاب هؤلاء المرشحين في الولايات عرف اسما الرئيس ونائب الرئيس العتيدين لان المرشح مرتبط برأي الحزب الذي يختاره . ولذا تعد الانتخابات الاميركية منتهية حالما يتم انتخاب اولئك المنتخبين . وانتخابهم هذا يحدث في يوم واحد في اوائل شهر نوفمبر بالتصويت العام في كل ولاية على حدة

شروط الرئاسة

يشترط الدستور الاميركي ان يكون الرئيس من الرعايا الاميركيين المولودين في الولايات المتحدة والا يكون دون الخامسة والثلاثين من عمره وان يكون قد أقام في البلاد أربع عشرة سنة . وليس في الدستور مانع من اعادة انتخابه عندما تنتهي مدته (٤ سنوات) ولكن التقليد يقضي بالا ينتخب رئيس اكثر من مرتين متتاليتين اقتداء بواشنطن الذي رفض ان ينتخب للمرة الثالثة

واذا توفي الرئيس اثناء مدة الرئاسة خلفه في منصبه نائب الرئيس واذا توفي هذا أيضاً خلفه كبير الوزراء الملقب « بسكرتير الدولة » ويليه وزير المالية فوزير الحربية الخ

ويتقاضى الرئيس راتباً قدره ٧٥٠٠٠ ريال تضاف اليه ٢٥٠٠٠ ريال لنفقات السفر

الرؤساء السابقون

ان المستر هاردنج الذي قر الامر اخيراً على انتخابه رئيساً للولايات المتحدة سيكون الرئيس التاسع والعشرين من الرؤساء الذين توالوا على كرسي الرئاسة . واولهم



داخل البيت الابيض وهو دار الرئيس في واشنطن

جورج واشنطن الشهير كما لا يخفى ويليه في الشهرة الرئيس منرو صاحب المذهب المعروف باسمه والرئيس لنكلن صاحب الفضل في تحرير العبيد والرئيس روزفلت المتوفى اخيراً

وقد نشرنا هنا جدولاً مفيداً جمعنا فيه خلاصة تاريخ اولئك الرؤساء جميعاً بحيث يتمكن القارىء بالقاء نظرة عليه من معرفة اهم ما يود الوقوف عليه بشأنهم من حيث أصلهم ومهنهم قبل الرئاسة والاحزاب التي كانوا ينتمون اليها الخ . .

	اسم الرئيس	اصل والده	مهنة والده	مهنته قبل الرئاسة	حزبه	سنة توليه	سبب موته
١	واشنطن	انكليزي	مزارع	مساح فزارع	اتحادي	١٧٨٩	ذات الرئة
٢	ادمس	»	فلاح	معلم فمحامي	»	١٧٩٧	ضعف
٣	جفرسن	من ويلز	مزارع	محامي	جمهوري	١٨٠١	اسهال مزمن
٤	ماديسن	انكليزي	»	»	»	١٨٠٩	ضعف
٥	منرو	سكتلندي	»	محامي فسياسي	»	١٨١٧	»
٦	كوينسي ادمس	انكليزي	محامي	محامي	»	١٨٢٥	فالج
٧	جاكسن	سكتلندي ارلندي	فلاح	»	ديمقراطي	١٨٢٩	سل
٨	فان هورن	هولندي	فلاح	»	»	١٨٣٧	أزمة صدرية
٩	هريسن	انكليزي	سياسي	جندي ففلاح	من الاحرار	١٨٤١	ذات الجنب
١٠	تايلر	»	قانوني	محامي	ديمقراطي	١٨٤١	حمى صفراوية
١١	بولك	سكتلندي ارلندي	فلاح	»	»	١٨٤٥	اسهال مزمن
١٢	تيلر	انكليزي	مزارع	جندي	من الاحرار	١٨٤٩	حمى صفراوية
١٣	فيلمور	»	فلاح	خياط فمحامي	»	١٨٥٠	ضعف
١٤	بيرس	»	»	محامي	ديمقراطي	١٨٥٣	التهاب المعدة
١٥	بوكانن	سكتلندي ارلندي	تاجر	»	»	١٨٥٧	روماتزم
١٦	لنكلن	انكليزي	فلاح	فلاح فمحامي	جمهوري	١٨٦١	قتل
١٧	جونسن	»	فندقي	خياط فسياسي	»	١٨٦٥	فالج
١٨	غرانت	سكتلندي	دباغ	جندي	»	١٨٦٩	سرطان
١٩	هايس	»	تاجر	محامي	»	١٨٧٧	شلل القلب
٢٠	جارفيلد	انكليزي	فلاح	معلم فمحامي	»	١٨٨١	قتل
٢١	ارثر	سكتلندي ارلندي	قسيس	» »	»	١٨٨١	البول الزلالي
٢٢و٢٤	كليفلند	انكليزي	»	» »	ديمقراطي	١٨٨٥	ضعف
٢٣	هريسن	»	فلاح	محامي	جمهوري	١٨٨٩	ذات الرئة
٢٥	مكنلي	سكتلندي ارلندي	صانع حديد	»	»	١٨٩٧	قتل
٢٦	روزفلت	هولندي	تاجر	كاتب فاداري	»	١٩٠١	
٢٧	تافت	انكليزي	محامي	محامي	»	١٩٠٩	
٢٨	ولسن	سكتلندي ارلندي	قسيس	معلم فسياسي	ديمقراطي	١٩١٣	

الرئيس القادم

ولد المستر وارن هاردنج في سنة ١٨٥٥ في مزرعة ابيه في ضواحي بلومنج جروف في ولاية اوهايو من الولايات المتحدة . ولم يترك بيت ابيه الا ليحترف الطباعة فاستخدم في احدى المطابع في مدينة ماريون في تلك الولاية نفسها . وما برح من ذلك الحين يتقدم في هذا السلك حتى اصبح محرراً في الجريدة التي كانت تصدرها تلك المطبعة واسمها الديلي ستار فرئيساً لتحريرها فصاحبها ومديرها

ومن غرائب المصادفات ان حياته تشبه من جميع الوجوه حياة مناظره المستر جيمس كوكس مرشح الحزب الديمقراطي للرئاسة (وهاردنج مرشح الحزب الجمهوري كما لا يخفى) فكلاهما نشأ في نفس الولاية فلاحاً وكلاهما احترف الطباعة فالصحافة وكلاهما اصبح صاحب جريدة ثم دخل سلك السياسة

وعلى اثر تولي هاردنج جريدة الديلي ستار تعرف بالآنسة فلورنس كنج كريمة اغنى رجل في مدينة ماريون فاحبها وطلب يدها ولكن والدها مانع في الامر وخيّر ابنته اخيراً بين رفض ذلك الصحافي المعدم او حرمانها حقها في الميراث . فاختارت الزواج بالمستر هاردنج وكان من جراء ذلك ان قاطعها والدها وامتنع عن زيارتها. وبعد عشر سنوات رشح ذلك الوالد نفسه لمنصب اداري في الولاية فما كان من صهره المستر هاردنج الا ان حبذ هذا الترشيح في جريدته (وكانت اذ ذاك قد تقدمت واصبحت ذات مقام كبير) فتأثر الوالد من هذا الوداد وانتهى الامر بالتصافي والمصالحة

وفي سنة ١٩٠٤ انتخب المستر هاردنج صاحب الديلي ستار نائباً عن ولايته . ولكنه في الانتخاب التالي فشل وكان المنتصر زميله المستر كوكس. وفي سنة ١٩١٥ انتخب عضواً في مجلس الشيوخ عن ولاية اوهايو وظل فيه الى ان انتخب رئيساً

شعار بعض الولايات المتحدة

الحكمة والعدل والاعتدال (ولاية جورجيا)

متحدين نقف ومنقسمين نسقط (ولاية كنتكي)

سعادة الشعب هي القانون الاسمى (ولاية ميزوري)

كل شيء لوطننا (ولاية نيفادا)

ما دمت أتنفس فاني أؤمل (ولاية كارولينا الجنوبية)

العيون

بقلم الآنسة مي

تلك الاحداق القائمة في الوجوه كتعاويذ من حلك ولجين
تلك المياه الجائلة بين الأشفار والأهداب كبحيرات تنطّقن بالشواطئ وأشجار الحور
العيون ، ألا تدهشك العيون ؟ .
العيون الرمادية بأحلامها
والعيون الزرقاء بتنوّعها
والعيون العسلية بحلاوتها
والعيون البنيّـة بجاذبيتها
والعيون القاتمة بما يتناوبها من قوة وعذوبة

* * *

جميع العيون ،
تلك التي تذكرك بصفاء السماء
وتلك التي يركد فيها عمق اليموم
وتلك التي تريك مفاوز الصحراء وسرابها
وتلك التي تعرج بخيالك في ملكوت أثيري كله بهاء
وتلك التي تمرّ فيها سحائب مبرقة مهضبة
وتلك التي لا يحوّل عنها بصرك إلا ليبحث عن شامة في الوجنة
العيون الضيقة المستديرة والعيون اللوزية المستطيلة
وتلك الغائرة في محاجرها لشدّة ما تمعّـن وتتبصّر
وتلك الرحيبة اللواحظ البطيئة الحركات

وتلك التي تطفو عليها الأجفان العليا بهدوء كما ترفرف اسراب الطيور البيضاء على بحيرات الشمال

وتلك الأخرى ذات اللهيب الأخضر التي تلوّي شعاعها كمقـافة كلاّب على القلب فتحتجنهُ ؛ وغيرها ، وغيرها ، وغيرها

العيون التي تشعر

والعيون التي تفكر

والعيون التي تتمتع

والعيون التي تترنم

وتلك التي عسكرت فيها الأحقاد والحفائظ

وتلك التي غزرت في شعابها الأسرار

* * *

جميع العيون وجميع أسرار العيون ،

تلك التي يظلُّ فيها الوحي طـالعة خباة

وتلك التي تكاثفت عليها أغشية الخمول

وتلك التي يتسع سوادها أمام من تحب وينكمش لدى من تكره

وتلك التي تفتأ سائلة « من أنت ؟ » وكلما أجبتها زادت استفهاماً

وتلك التي تقرّر بلحظة « أنت عبدي ! »

وتلك التي تصرخ « بي احتياج الى الالم ، أليس بين النـاس من يتقن تعذيبي ؟ »

وتلك التي تقول « بي حاجة الى الاستبداد فأين ضحيتي ؟ »

وتلك التي تبسم وتتوسّل

وتلك التي يشخص فيها انجذاب الصلاة وانخطاف المصلّي

وتلك التي تظلّ مستطلعة خفاياك وهي تقول « ألا تعرفني ؟ »

وتلك التي يتعاقب في مياهها كل استخبار وكل انجذاب وكل نفي وكل إثبات

العيون ، جميع العيون ، ألا تدهشك العيون ؟

* * *

وأنت ما لون عينيك ، وما معناهما ، والى أي نقطة بين المرئيات أو وراءها ترميان ؟

قم إلى مرآتك !

وانظر إلى طلسميك السحريين ، هل درستهما قبل اليوم ؟

تفرّس في عمق أعماقهما تتبين الذات العليمة التي ترصد حركات الأنام وتساير دورة الأفلاك والازمنة

في عمق أعماقهما ترى كل مشهد وكل وجه وكل شيء

واذا شئت أن تعرفني ، أنا المجهولة ، تفرّس في حدقتيك تجدني نظرك في نظرك على رغم منك

مي

منزلة المعلم في المجتمع الانساني

اذا كان جهل الناس مَدعاة غيّهم — فليس سوى التعليم للرشد سلّمُ

فلو قيل من يستنهض الناس للعلى — اذا ساء محياهم لقلت المعلم

معلم ابناء البلاد طبيبهم — يداوي سقام الجهل والجهل مُسقم

وما هو الا كوكب في سمائهم — به يهتدي الساري الى المجد منهم

فلا تبخسن حق المعلم انه — عظيم كحق الوالدين وأعظم

فان له منك الحجا وهو جوهر — وللوالدين العظم واللحم والدم

ألا انما تعليمنا الناس واجب — وان على الجهال أن يتعلموا

وما أخذ الله العهود على الورى — بان يعلموا حتى قضى أن يُعلّموا

معروف الرصافي

جمال النساء

واختلاف الرأي فيه حسب الشعوب والعصور

هل فكرت مرة ايها القارىء في ماهية الجمال ؟ وهل خطر لك ان تساءلت عن السبب الذي من اجله ترى هذه المرأة جميلة وتلك قبيحة او متوسطة او عادمة التأثير في نفسك ؟



الابتسامة الجميلة

اجلس يوماً وحلل احكامك على النساء اللواتي تعرفهن وانظر في الدواعي التي تحملك على اصدار تلك الاحكام . لا ريب ان الامر يشكل عليك بعد استقصائه وقد يتعذر عليك ان تستخرج قاعدة او قانوناً تعتمد عليه في تعليل احكامك

ثم انك اذا اعتبرت احكام اصدقائك ومعارفك من هذا القبيل لا تلبث ان تزداد التباساً في امرك اذ تجد التباين عظيماً بين تلك الاحكام بل قد تكون متضادة متناقضة . فقد يعجب زيد بجمال سلمى ويراها مستجمعة لشروط الجمال كافة في حين يراها عمرو على غير هذه الصورة وبغير عيني زيد

واذا قارنت آراء اهل البيئة التي تعيش فيها بآراء العائشين في بيئات اخرى ازددت اشكالاً في حقيقة الجمال وكنهه وشروطه وعناصره اذ ترى كل طبقة ذات ذوق خاص في هذا الشأن كما تجد لكل شعب احكاماً تختلف عن احكام سواه



احدى جميلات باريس

واعتبر ذلك ايضاً في العصور المختلفة فلاهل كل عصر اميالٌ ومنازع خاصة . فلاهل الجيل الماضي آراء واحكام في الجمال تختلف عن آراء أهل هذا الجيل واحكامهم

وخلاصة ما تقدم ان الجمال في الغالب امرٌ نسبي يختلف باختلاف الزمان والمكان وتباين الاذواق والاميال — بل ان الشخص الواحد قد يتغير ذوقه مع انتقاله من دور الى دور

* * *



غانيتان من غانيات الزولو

ولا يبرح من الذهن اننا عند ما نحكم على امرأة بكونها جميلة او قبيحة نفعل ذلك تحت تأثيرين : تأثير شخصية المرأة وتأثير مظهرها الخارجي من لباس وهندام وزينة الى غير ذلك . وبعبارة اخرى ان الجمال نوعان : جمال اساسي وجمال اضافي

وقد يظن القارىء انه ليس للمحسنات الصناعية شأن في حكمه على النساء ولكن

الحقيقة هي ان لها شأناً كبيراً ولاسيما في هذا العصر بما فيه من انتشار وسائل الزينة و « المودات » بين جميع الطبقات من احطها الى ارقاها - بل يكفي ان نراجع في اذهاننا بعض الازياء التي كانت شائعة منذ خمس او عشر سنوات . فقد نجدها قبيحة بالنسبة الى الازياء التي الفناها اليوم وربما كنا حينئذ نستحسنها ونعجب بها



جمال شرقي

اما ميل احدنا الى نوع خاص من الجمال فيتعذر تعليله بنسبته الى الملامح واقيستها ومطابقتها لقواعد او قوانين معينة . فقد نعين شروطاً نظنها محددة للجمال (كحجم الملامح والاعضاء وتناسبها وشكل العينين ولونهما الخ . . .) فاذا عرضت علينا امرأة مستوفية لتلك الشروط تعذر علينا ان نصفها بالجمال . وقد نرى امرأة غير مستوفية لبعضها فلا نتردد في الاعجاب بها . فما ذلك الا لان الجمال يأبى التقيد بقاعدة او

قانون ولان غاية الجمال انما هي التأثير المعنوي . فالجمال الحقيقي انما هو عامل غير محسوس ـ هو كامن في نفس الشخص ، في السيال الروحي الذي ينبعث من ملامحه ـ لا في طول فمه وانفه او حجم عينيه واذنيه او نحو ذلك . فالشخصية تنفخ في الملامح روحها وتجعلها ذات معنى وتأثير في النفس



مثال الجمال الياباني
(اختار هذه الصورة احد كبار اليابانيين)

* * *

وقد علل احد علماء النفس منشأ الميل الذي قد نشعر به فجأة نحو شخص لم نره من قبل بقوله ان الانسان تمر عليه في كل يوم صور وحوادث يختزنها في دماغه

وهو لا يشعر او بالحري انه يكوّن في مخيلتـه من تلك الصور والحوادث صورة خيالية لامرأة تجتمع فيها الصفات التي يستحسنها ـ يحدث ذلك في نفسه من دون اعمال الفكر وتظل تلك الصورة تنمو وتتكامل في ذهنـه فاذا وفق الى من كان مطابقاً لها شعر لساعته بلهيب الحب . وقد تتفاوت احكامه على السيدات والفتيات من حيث الجمال حسب قربهن من تلك الصورة المثلى او بعدهن عنها



الملكة لويزة البروسية وقد كانت اجمل جميلات زمنها

من ذلك يتبين لنا التأثير الخفي الذي للبيئة في احكام الانسان . ومنه ندرك أيضاً بعض السبب في كون اهل الجيل الواحد يختلفون ذوقاً في هذا الشأن عن اهل جيل آخر كالفرق في الذوق بين الناشئة الحالية والمتقدمين في السن من أهل هذا الزمن

ومما يروى في هذا الشأن ان قرينة المستر اسكويث الرئيس السابق للوزارة البريطانية نشرت اخيراً مذكرات ضمنتها اقوالاً عن نساء هذا العصر قامت لها قيامة

المجتمعات . فقد ادعت هذه السيدة ان نساء هذا الجيل اقل جمالا من نساء الجيل السالف وذكرت بعض النساء البارعات في الجمال من اللواتي كن معاصرات لها في عهد شبابها فقالت انها لا تجد بين سيدات اليوم من يقربن من تلك السيدات في الجمال والبهاء

* * *

ولو عرضت امامك تمثلات لانواع الجمال الشائعة بين الشعوب المختلفة لاخذتك الدهشة من تعددها وتباينها وعناية كل شعب بصفة خاصة او باحد الاعضاء دون سواه . واول فرق يذكر في هذا الباب يتعلق بلون البشرة. فلا يظنن الاوربي ان المرأة البيضاء اللون هي مثال الجمال لدى غيره من الناس فالزنجي لا يرى الجمال الا في زنجية مثله . وكذلك سائر الاجناس فان كلاً منها يعد لونه أفضل الالوان كافة

وهناك فروق عظيمة فيما يخص الصفات الجسمانية الاخرى . ففي بلاد الفرس مثلاً وعند بعض الاقوام التركية والمغربية وبعض القبائل الافريقية تعد السمنة من الشروط الاساسية للجمال وترى النساء في تلك الاقطار يعنين أعظم عناية في استخدام الوسائل المؤدية الى السمنة وتناول الاطعمة التي هذا شأنها

وعند بعض القبائل القاطنة لشواطىء امركا الشمالية الغربية تحسب المرأة جميلة متى كانت جبهتها منحرفة بعض الانحراف . ولذا توضع رؤوس الطفلات في مكابس أو قوالب خاصة تمنحهن ذلك الشكل الجميل !

ومن العادات الشائعة بين أهل بولينيزيا ان الامهات يعنين عناية عظيمة بضغط انوف الفتيات حتى لا تكون بارزة . وهن يزدرين بالانوف الكبيرة البارزة في وسط وجوه الاوربيات

ومن المشهور عن أهل الصين ان المرأة الصينية تأخذ منذ نعومة أظفارها في ضغط قدميها ضغطاً شديداً مستمراً حتى انها قلما تستطيع الاستفادة من هذين العضوين العظيمي الشأن في الحياة . ومع ذلك يجدر بنساء هذه المدنية قبل ان يقهقهن لدى اطلاعهن على هذه العادة الغريبة ان يسمعن ما يقوله بعض الاطباء الذين درسوا هذا الامر وهو أن مساوىء تلك العادة أقل من مساوىء المشدات التي يستعملنها

ويحكى عن فتاة صينية ان احدى المبشرات شرعت تقنعها يوماً بقبح هذه العادة فاجابتها الفتاة بسذاجة : « انني أضغط قدميَّ وانت تضغطين خصرك . وكلتانا تفعل

ذلك للغرض نفسه . وهو الحصول على زوج من جنسها »

هذا قليل من كثير . ومن يدرس طبائع الشعوب يجد أموراً عديدة من الغرابة بمكان . على ان النساء في كل قطر يسعين لغرض واحد وهو تحسين مظاهرهن ولكنهن يختلفن في الطرق المؤدية الى ذلك فقد يعمدن الى دهن الجسم او تلوينه او تخضيب الوجه أو الى الوشم أو تسويد الاسنان أو ضغط الانف أو تشويه الفم أو الاذنين أو حلق الرأس او تلوين الشعر الى غير ذلك من الوسائل الكثيرة المتنوعة بتنوع البشر وطبائعهم ـ هذا غير تباين الاذواق في اللباس والازياء . فالاختلاف في هذا الباب ليس دون الاختلاف في الوسائل المستعملة لتزيين الجسم مباشرة

وقد تبيَّن من درس أحوال الشعوب المنحطة ان النساء في تلك الشعوب يعددن دهن الجسم وتلوينه في مقدمة المحسنات أي انهن لا يقصرن عنايتهن من هذا القبيل على الوجه ـ كما تفعل شقيقاتهن المتمدنات ـ بل يتناولن الجسم باجمعه . ومن أغرب العادات في هذا الباب ان بعض غانيات بلاد تبت في الصين يرسمن على خدودهن رسوماً هندسية بالنشاء ويزلن فيها بعض الحبوب . أما سائر الصينيات فيكتفين بالنشاء وحده . ومنها ايضاً ان النساء في الجهات الجنوبية الشرقية من آسيا يستخدمن صمغ اللك لتزيين الاسنان . ويجدر بنا ان ندخل في هذا الباب استعمال « الحناء » المنتشرة في معظم الاقطار الشرقية

أما الوشم فمنتشر بين شعوب كثيرة . فنساء بعض القبائل تزين به ذقونهن ونساء بعض القبائل الاخرى توشّم وشم الشفة العليا فتصبح المرأة كأن لها شارباً . وفي بعض القبائل المتوحشة في افريقيا تجرح النساء خدودهن او جهات أخرى من الجسم جروحاً بليغة يبقى أثرها طول الحياة

واذا أردنا تعديد أنواع الحلي والمصاغات والعقود وسائر ضروب المزينات التي تتعشقها النساء في كل صقع وعصر لضاق بنا المقام وانما نقول بوجه الاجمال ان هنالك تشابهاً عظيماً بين ما تستعمله النساء عامة من هذا القبيل سواء كن متمدنات او متأخرات . وهل من فرق جوهري بين عقد من فصوص الالماس وعقد من العاج أو الاسنان ؟

واذا تقدمنا الى درس اللباس وجدنا التنوع أعظم وأعجب . ويرى دارسو الطبائع البشرية ان المرأة استعملت اللباس اولاً من قبيل الزينة لا حياء وأدباً

فالحياء في نظرهم هو نتيجة اللباس وليس اللباس نتيجة للحياء . وهم يستشهدون على ذلك بملاحظة غريزة الحياء في الشعوب المختلفة وتباين مظاهرها . فالمرأة الصينية تعتقد ان الواجب عليها ستر رجليها قبل سائر الاعضاء ونساء سومطرا يهتممن خصوصاً بستر ركبهن . ونساء بعض القبائل الافريقية لا يسترن الا مؤخر الجسم باوراق الاشجار . وبعض القبائل الاسيوية ترى العيب كل العيب في ظهور أصابع المرأة . والنساء اللواتي اعتدن النقاب يعتريهن الخجل الشديد اذا انتزع من على وجوههن وقس على ذلك . مما يدل على ان الحياء امر نسبي متوقف على العادات اكثر مما هو جوهري أساسي في الطبيعة البشرية

أقوال في الجمال

الجمال استبداد وقتي — سقراط

الجمال خير من جميع خطابات التوصية — ارسطو

انما ينبوع الجمال في القلب فكل فكرة جميلة في الداخل تنعكس أشعتها على الملامح الخارجية

خير ما في الجمال ما يتعذر وصفه — باكون

ان الفضيلة نفسها تزداد بهاء اذا صدرت عن شخص جميل — فرجيل

ليس بصالح كل ما كان جميلاً ولكن كل ما كان صالحاً جميل — نينون دي لانكلو

قد يكون الجمال شراً من النبيذ اذ يسكر الناظر والمنظور — زمرمن

في المرأة الجميلة ضعف يلازمها مع تقدمها في السن وهو انها لا تسلم بمجاوزتها سن الجمال

الجمال اول نعمة تمنحها الطبيعة للمرأة وأول نعمة تنزعها منها

اذا قلت لامرأة انها جميلة فافعل ذلك همساً اذ لو سمعك الشيطان لا يلبث ان يردد صدى قولك على اذنها مرات عديدة

الجمال بلا فضيلة كالزهرة بلا رائحة

اني اتوسل اليك يا رب كي تجعلني جميلاً في داخل نفسي — سقراط

الجمال هو الامضاء الذي يوقعه الله على مخلوقاته

مقياس الجمال الصحيح هو تزايده مع الاختبار وانعام النظر — جريفل

ثروات عظيمة

نشأت عن اختراعات صغيرة الشأن

يخيل الى المتأمل في توزع الثروة على البشر انها - كالمنايا - تخبط خبط عشواء فتصيب البعض وتخطىء البعض الآخر بدون قاعدة او قانون . ولست تجد في كثير من الاحيان رابطة بين ثروة الانسان واستحقاقه . فان طائفة كبيرة من اعاظم الرجال والمخترعين الذين نهضوا بالبشرية وساروا بها في سبيل الرقي والفلاح بما ابتكروه وابتدعوه من الوسائل التي من شأنها تسهيل العمل وانماء المال وانتشار الرفاهية ماتوا وهم في حالة يرثى لها من الفقر او كان بينهم وبين تلك الحالة مسافة قصيرة في حين ان الكثيرين من غير اهل الجدارة والاستحقاق يتنعمون بملذات الدنيا حتى لقد يفيض ما اجتمع لديهم عن حاجتهم فينفق في الطرق غير المشروعة الضارة بهم وبغيرهم

اعتبر ذلك في الاختراعات ذات الشأن . فان معظمها تمّ بفضل نفر من النوابغ الذين اكبوا على عملهم جادين مجتهدين واصلين الليل بالنهار . ولكنهم ماتوا في الغالب مجهولين معدمين - هذا اذا لم يضطهدوا ولم يصبهم اذى معاصريهم الاغبياء

واعتبر ذلك في ما انتجته القرائح البشرية . فان الكثيرين من الكتاب اصحاب العبقرية أُحتقروا واذلوا وذاقوا صنوف العذاب في اثناء حياتهم الى ان ماتوا وتواروا في قبورهم فشرع الناس يمتدحونهم ويمجدون ثمار عقولهم مفاخرين بعضهم بعضاً بانجابهم والانتساب اليهم

على انك في حين تجد المخترع العبقري العظيم يموت جوعاً وصاحب الآثار الادبية الخالدة يذوب ألماً واسى تجد من الجهة الاخرى بعض المخترعين الضئيلي الشأن قد اثروا من جراء تحسين طفيف ادخلوه على مخترعات السالفين او على أثر ابتكار قليل الاهمية او فكرة بسيطة ليست بذي تأثير في احوال البشر كما انك تجد ايضاً كتّاباً من الطبقة الوسطى او الدنيا جمعوا ثروات طائلة من مؤلفات عادمة القيمة من الوجهة الفنية او من قصص خليعة وروايات سخيفة تفسد الناس وتضلهم اكثر مما تفيدهم وترفع نفوسهم

كل ذلك مما يؤيد قولنا ان الثروة تخبط خبط عشواء وانها قلما تراعي الجدارة والاستحقاق فيما تدفع به اهل الحظوة في اعينها . وقد اطلعنا أخيراً على مقال في « المجلة العالمية » الفرنسية سرد كاتبه امثلة كثيرة لاختراعات وابتكارات ضئيلة الشأن اثرى أصحابها من جرائها ثروات هائلة فرأينا أن نقتطف بعض تلك الامثلة تبييناً لما تقدم من التأملات

بدأ الكاتب بذكر باستور صاحب الفضل الاعظم على الطب الحديث فانه لم يستفد من اكتشافاته فائدة تذكر مع ان الذين أتوا من بعده وعملوا بتلك الاكتشافات قد جمعوا ثروات طائلة . ومثله شارل تليه الفرنسي الملقب « بابي المبردات » فقد مات فقيراً معدماً مع انه كان اول من ابتكر طريقة التبريد التي بها تحفظ المؤن القابلة للتلف . وقد كان اختراعه ممهداً لصناعات زاهرة انجبت ثروات عظيمة

ويستعمل الاميركيون اليوم نوعاً من القاطرات القوية يطلق عليها اسم « مالت » وهي تستطيع جر عربات يبلغ ثقلها الف طن على الجبال العالية . فمخترع تلك الآلات هو مهندس فرنسي اسمه مالت وقد توفي أخيراً في عزلته ولم يكتسب من اختراعه الا شرف اطلاق اسمه على تلك القاطرات

وليس اشهر في عالم الصناعة من فولاذ « مارتين » الذي يقدر المصنوع منه بنصف انتاج العالم . فمارتين هذا هو عالم فرنسي اخترع طريقته منذ سنة ١٨٦٥ وقد توفي سنة ١٩١٥ منسياً من الناس بل في حالة غير بعيدة من الفقر

ومن أغرب ما يذكر في هذا الشأن بعض الابتكارات التي توفق اليها أصحابها بطريق الصدفة . فمن ذلك أن أحد النساجين الانكليز بينما كان يصنع مناشف طرأ على آلته خلل فنشأ عنه أن المناشف التي صنعها في ذلك اليوم لم تكن مستوية السطح بل جاءت سميكة عليها طبقة من الخيوط المجعدة . وفيما هو يصلح آلته تناول قطعة من نسيجه ليمسح بها يديه فوجد في ملامسة ذلك النسيج الاسفنجي شعوراً مقبولاً فخطر له تسجيل ذلك الاختراع الذي توفق اليه صدفة فاثرى من جراء تسجيله

ومخترع السدادات المعدنية المستعملة لسد زجاجات المشروبات كالبيرة والكازوزة الخ ربح من اختراعه هذا ربحاً هائلاً . وهو أميركي من أهل مدينة بالتيمور اسمه پنتر . ومثله أيضاً الاميركي كوبلفلد الذي اخترع قبله السدادات التي كانت شائعة من زمن قريب — ولا تزال مستعملة الى اليوم — لسد زجاجات اللبن

والبيرة ونحو ذلك . وهي عبارة عن جهاز سلكي فيه قطعة كاوتشوك تحكم سد فم الزجاجة بواسطة سلك يشدها . وقد جنى مخترعها ثروة طائلة

ويحكى عن أحد أهل فيلادلفيا أنه بينما كان يعاون امرأته على لبس ثيابها استعداداً للذهاب الى حفلة ساهرة تضجر من تفكك الابازيم (البكل) أثر شبكها فخطر له اختراع نوع من الابازيم لا يسهل تفككه . ولم يلبث ان سجل اختراعه وجنى منه مالا كثيراً . ومن هذا القبيل أيضاً ما توفق اليه أحدهم فيما يتعلق بدبابيس الشعر التي تستعملها السيدات فقد كانت تلك الدبابيس فيما مضى تصنع من سلك مفرد مستطيل فلاحظ يوماً ان امرأته رأت أن تثني دبابيسها لتكون أثبت في شعرها فسجل هذه الطريقة وربح منها ثروة غير يسيرة

ومن الاختراعات الحديثة قطع الكاوتشوك المستديرة التي تركب على اعقاب الاحذية . وقد اقترح غير واحد من قبل استعمال الكاوتشوك لاعقاب الاحذية ولكنهم لم يوفقوا الى طريقة سهلة قريبة المنال الى أن قام أحد المبتكرين فسجل الطريقة المعهودة اليوم فكسب مالا كثيراً

ومعظم هذه الاختراعات تبدو لنا الآن تافهة ويخيل الى كل واحد منا أنه في استطاعته الاتيان بمثلها. ومع ذلك لم يفكر بها الا أفراد قليلون. خذ مثلاً فكرة تركيب قطعة صغيرة من الكاوتشوك على طرف الاقلام الرصاصية حتى يتيسر بها محو ما يكتب فهل من فكرة أبسط منها ؟ ومع ذلك لم تخطر الا لمخترع اسمه ليمن سنة ١٨٥٨ فسجلها وأصبح من ورائها من أصحاب الملايين

ومنذ سنوات قليلة منحت شركة « كوداك » الاميركية الشهيرة (صانعة آلات التصوير الشمسي) مبلغ مئة الف ريال أميركي لمخترع أرشدها الى طريقة يتمكن بها المصور من تدوين اسم كل صورة على الشريط بعد تصويرها بالآلة حتى يحفظ مع الصورة اسمها وما يستحق حفظه معها من التذكارات أو المعلومات

ثم ان كثيرين من المخترعين الاصليين لبعض الآلات المستعملة اليوم لم يجنوا فائدة من اختراعاتهم وانما استفاد منها من جاؤوا بعدهم وحسَّنوا تلك الالات أو أدخلوا عليها شيئاً من التعديل جعلها سهلة الاستعمال أو نحو ذلك . اعتبر ذلك في ماكنة الخياطة فقد كان أول مخترعيها من الفرنسيين والانكليز ولكن الفضل في اتقانها ونشرها يرجع الى الاميركي الياس هوي وهو الذي جنى ثمرة أتعاب من تقدموه في

هذا المضمار . كذلك قل في الآلات الكاتبة (تيبريتر) فقد اخترعت في فرنسا أولا ولكن الاميركيين حسنوها ونشروها

ومن غرائب المصادفات في عالم الاختراع ان « جراهم بل » توفق الى اختراع التلفون بطريق العرض أثناء قيامه ببعض التجارب . ولولا الحاح بعض أصدقائه لما سجل اختراعه . على انه بعد ذلك التسجيل بساعات قليلة جاء مخترع آخر يطلب تسجيل ذات الاختراع فاخطأ الثروة لتأخره فترة قصيرة

وبعض الاختراعات ليست في الحقيقة الا احياء لطرق قديمة اهملت على توالي الزمن . فمن هذا النوع المشابك المعدنية الصغيرة المستعملة اليوم لشبك الاوراق معاً فتلك فكرة ترجع الى عهد الرومانيين . ومع ذلك قد ربح ناشرها ربحاً غير يسير . ومن هذا القبيل ايضاً أصناف اللبان المستعملة الآن للمضغ فقد سجلها ادمس الاميركي سنة ١٨٧١ وجمع منها ثروة طائلة

* * *

هذا قليل من كثير وهو يدل على أن الثروة قلما تكون من نصيب كبار المبتدعين الذين نفعوا الانسانية نفعاً حقيقياً ولكنها تؤثر عليهم اصحاب الاختراعات الضئيلة الشأن ولا سيما اذا وافقت هوى من نفس الجمهور

حكم عربية

اذا عثر عاثر فاحمد الله أن لا تكونه

اذا أردت أن تفتضح فمر من لا يمتثل أمرك

اذا لم تقدر أن تعض يد عدوك فقبلها

اذا أحدث العدو صداقة لعلة الجأته اليك فمع ذهاب العلة رجوع العداوة

اذا هدأ غضبك فتكلم

من لم يواس الاخوان في دولته خذلوه في عزلته

من لم يتعظ بالناس اتعظ به الناس

من اخطأ واعتقد انه على صواب فقد اخطأ مرتين

من لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الانس أثمرت مودته ندماً

من كرمت عليه نفسه لم يهنها ومن نازع بها جاهلاً لم يصنها

عقلية الجماعة

ونسبتها الى عقليات الافراد

٢ — تحت تأثير التعقل

اتينا في المقالة السابقة على بيان عقلية الجماعة تحت تأثير العواطف وظهر لنا انها احط جداً من عقليات الافراد . وفي هـذه المقالة نبين درجة عقليات الجماعة في حالة التؤدة والتبصرة تحت تأثير التعقل مشتركاً مع قليل من العواطف او منفرداً عن العواطف

أولا — تأثير التعقل مع قليل من العواطف

في هذه الحالة التي تتيسر فيها التؤدة ويتسع مجال التبصرة يكون التعقل أغلب على العواطف . وانما يكون للعقائد والاوهام والتقاليد الشأن الأول. فمتى كانت عقيدة مستولية على قوم تعذّر جداً تحويل القوم عنها سواء كانت هـذه العقيدة تقليدية قديمة أو حديثة

مهما بذلت من الجهد في حث القوم على تغيير عادة او زيّ (مودة) وبرهنت ان هـذه العادة ضارة فيستحيل عليك أن تحمل القوم على الاقلاع عنها . ولا يمكن أن يُقلِع الجمهور عنها الا اذا شرع الحريصون عليها بالاقلاع عنها قبل غيرهم . وقد لا يؤثر هؤلاء على الجمهور اذا كانت تلك العقيدة او كان ذلك الزي قديماً

اذا استمررت تخطب شهراً في السيدات وتبرهن لهن على أن المشد مثلاً آفة صحة المرأة فلا يقلعن عنـه . ولـكن اذا اقلعت عنـه زعيمات « المودة » وجعلن تركه « مودة » جديدة فقد يتلاشى الاقبال عليه . وعندنا مئات من الشواهد والامثلة على أن كثيراً من العادات والازياء والتقاليد التي يعلم جانب من الجمهور انها ضارة أو انها خطأ محض أو انها سخافة أو خرافة تبقى مستولية على الجمهور كله لان معظمه لا يزال يتمسك بها . ولا قبل للفريق العارف الفاهم على معارضة ذلك الفريق الآخر الذي لا يزال متشبثاً بتقاليده القديمة . وكم بين الشرقيين من العادات والتقاليـد الضارة والراقون منهم يعلمون ضررها ويمقتونها ويتمنون التخلص منها ، ولـكنهم يهابون العامة الذين يستهجنون الاقلاع عنها ، ويخوفون من تعييرهم ويتهيبون رفاعتهم

أو تقريعهم وتأنيبهم أو شجبهم فاذا لم ينبر من بين القوم عدد من المصلحين الحازمين الجريئين كامر حومين الشيخ محمد عبده وقاسم بك أمين وكغاليلو ولوثر ويصيحوا بالقوم أن ذلك التقليد وهاتيك العادة خطاء ضار ويعرضوا أنفسهم للاهانة والاضطهاد فلا تحمس انفس الراقين لمخالفة عادة المنحطين

فمن ذلك تعلم أن عقلية الجانب الاصغر من الجمهور تحت سلطة التقاليد والازياء والعادات لا قيمة لها بازاء الجانب الاكبر البتة بل هي ضائعة فيها ولا شأن الا لعقلية العامة . ومهما كان في الشعب من النوابغ والحكماء والفهماء فلا تأثير لعقليتهم مطلقاً في عقلية الجمهور بل أن عقليتهم خاضعة لعقلية الجمهور خضوعاً مطلقاً . ولا يمكن ان ترجح كفة عقلية الخاصة الحكماء ويكون لها تأثير في عقلية العامة الا اذا حدث حادث افضى الى تطور في عقلية الجمهور وحينذاك لا بد أن تحدث ضحايا وآلام اجتماعية . أو اذا جعل يتزايد عدد المستنكرين للقديم القبيح والمستحبين للجديد المليح حتى يستغرق سواد الجمهور ثم يجرؤ كبراؤهم على نبذ القديم واتخاذ الجديد . وذلك يستغرق وقتاً طويلاً

تلك حالة عقلية الجماعة تحت سيطرة الازياء والعادات التقليدية

وأما حالة عقلية الجماعة تحت سيطرة الاوهام والمؤثرات الظنية فاضعف مما تقدم. يكفي أي حادث غير اعتيادي أن يحدث ازمة اجتماعية . وقد امتلأت الدنيا في مدة الحرب وبعدها بالشواهد على ذلك . ففي مصر مثلا قيل أن البترول سيكون شحيحاً في الفصل القادم فهرع الناس الذين وفرت الفلوس عندهم الى باعة البترول للتموّن منه فحدثت ازمة البترول قبل حينها . ولو اتأد القوم لامكن تلافي الازمة بتاتاً لانه ثبت بعدئذ أنه امكن تموين البلاد بالبترول وتلافي ازمته . وكذلك يقال في كثير من احوال تصاعد الاسعار

والآن يكفي لصعود الاسعار أو هبوطها أن تقول كبرى الجرائد كلمة اقتصادية . بل قد يزعزع السوق مقال تنشره احدى الصحف

في سنة ١٩٠٧ حدث أن بنكاً من بنوك نيويورك تداعى لسبب من الاسباب الخاصة به فتداعى معه بنكان كانا ذوي علاقة به . وما ذاع خبر هذه البنوك حتى اندفع جميع الاميركان في جميع الولايات المتحدة بلا استثناء الى البنوك يسحبون أموالهم منها مع انه لم يكن من خطر مطلقاً من حدوث أزمة اقتصادية في البلاد ولا

كان سبب قط لحدوث أزمة كهذه . وانما تخوُّف العامة من حدوث أزمة دفعهم الى سحب أموالهم وكانت النتيجة انهم بعملهم هذا أحدثوا الازمة التي كانوا يخوفون منها وكانت أعظم أزمة اقتصادية حدثت في اميركا منذ أربعة عقود من السنين . وبالرغم من طواف روزفلت (الرئيس حينئذ) في البلاد يخطب وينادي ان البلاد في حالة اقتصادية متينة ولا داعي للقلق والخوف ولا سبب اقتصادي او اجتماعي يوجب أزمة وبالرغم من تعاضد البنوك حينئذ وتعاونها وسحبها الذهب من أوربا لتأييد مركزها ومن معاونة الحكومة مالياً ـ بالرغم من كل ذلك وقعت الازمة واستفحلت وبقيت الى ان نشبت الحرب العظمى

فعقلية قادة البلاد وزعماؤها ومتمولوها العظام لم تستطع أن تؤثر شيئاً في دفع وهم الجمهور ومظنته

أغرب من ذلك انه في كل فصل تعلن المحلات التجارية عندنا (أو عند غيرنا) عن « فرصة » (اوكازيون) يراد بها تنزيل الاسعار فيتهافت الناس اليها مصدقين الاعلانات مع انهم لم يخرجوا من اوكازيون في الماضي الا قائلين انه اوكازيون كاذب سواء صح قولهم أو أخطأ . والسر في ذلك ان للجمهور قوة استهواء وتأثير ليست لفرد من الافراد . فاذا رأى الفرد جمهوراً يتزاحمون في باب محل تجاري زاحم معهم قائلاً في نفسه لابد أن يكون الاوكازيون حقيقياً

فترى مما تقدم ان سطوة التقاليد والعادات والاوهام تحط من قيمة عقلية الجماعة. وفي هذه الحالة مهما كانت الجماعة راقية ومتنورة يستحيل ان تناهز عقليتها متوسط عقلية أفرادها لتلاشي عقلية المتفوقين فيها في بحر عقلية الجمهور وعدم تأثيرها

ثانياً ــ تأثير التعقل المطلق

نأتي الى الدرجة الاخيرة العليا وهي الحالة التي يتيسر فيها للعقل أن يتغلب على العواطف ويكون فيها للتعقل والبرهان والتعليل الشأن الاول . وهي لا تتأتى الا في المجتمعات الشورية كالجمعيات والمجالس النيابية والمحاكم ومجالس المناقشة والجدل ونحوها. ذلك في الدرجة الاولى العليا . وفي مناقشات الصحف ونحوها في الدرجة الثانية

في هذه الحالة يمكن العقول الكبيرة أن تفعل في العقول الصغيرة ويستطيع الفرد أن يؤثر على الجمهور . يمكن ذلك بقوة الحجة والبرهان وبحسن التعبير وجماله الى غير ذلك من محاسن البلاغة والفصاحة والمنطق فضلاً عن صحة الرأي وصواب الحكم

وهنا لا ينتفي فعل العواطف والتقاليد انتفاء باتاً بل يبقى لها تأثير قليل او كثير حسب طبيعة ذلك المجتمع

في هذه الحالة يمكن جداً ان تقرب عقلية الجماعة الى متوسط عقلية الافراد وربما أمكن أن ترتفع الى ما فوق المتوسط في بعض الاحوال . وانما يشترط لذلك أمران جوهريان الاول أن يكون الافراد متشابهين في معارفهم وأخلاقهم واختيارهم وعاداتهم وتقاليدهم وسائر عقائدهم . وكلما تباينوا في هذه الصفات انحطت عقلية جماعتهم عن متوسط عقلية افرادهم وتباينت طبيعة تلك عن طبائع هذه . ذلك لان تشابه الافراد يجعل الجماعة وثيقة العرى وشديدة الارتباط والعكس بالعكس

والشرط الثاني أن يضبط الافراد عواطفهم وشهواتهم ما استطاعوا حتى يقل تأثيرها على عقولهم واضلالها اياهم عن الصواب والحق الذي تجتمع حوله العقول المحققة

ولتبيان النتيجة من جراء فقدان ذينك الشرطين نضرب المثل الآتي :

تصور اية جماعة مختلفة العناصر أي انها مختلفة في الصفات الاجتماعية الرئيسية التي ذكرت آنفاً — تصور جماعة كهذه تريد أن تسن نظاماً لتعليم احداثها . فاقترح فريق أن يقتصر على تعليم العلوم البسيطة على النسق القديم لانه يرى أن العامة لا تحتاج الى تعليم ارقى وان التعليم العصري الراقي يقلل ميل الناشئة الى العمل في الزراعة والصناعة . فعارضه فريق آخر لانه يرى أن رقي الامة يتوقف على مجاراة الامم الراقية في تعليم العلوم العصرية

وبعد المناقشة الحادة اتفق الفريقان على أن يكون نسق التعليم بينَ بين . ثم اراد فريق أن يكون الدين اساس التعليم فعارض فريق آخر في ذلك ورام أن يكون التعليم الديني مقصوراً على رجال الدين في معابدهم في ايام العبادة . واقترح فريق ان يكون التعليم مجانياً ينفق عليه من خزينة خاصة به فعارض فريق آخر ورام ان يدفع الطلبة شيئاً في مقابل تعلمهم . وطلب فريق أن يكون التعليم اجبارياً فعارض فريق ورامه اختيارياً . وهكذا كانت المناقشة في هذا الموضوع كبرج بابل لم يستطع احد ان يفهم غيره . وانتهت اخيراً بعدم تقرير شيء لاجل التعليم

فجمهور كهذا لا يكاد يُعَد من وجهة العقلية الاجتماعية جماعة بكل معنى الكلمة بل يكاد يعد جمعاً أي مجموعة افراد قل رابطهم لقلة التشابه بينهم . فهم يرون الامور

من جهات مختلفة أي أن كل واحد منهم يرى الشيء أو الامر من وجهة غير الوجهة التي يراه منها الآخر

واذا كان لا بد من اتفاقهم على امر بالرغم من تباين نظرهم وحكمهم فيه كان لا بد أيضاً من تضحية جانب من العقليات العالية وتنزيلها الى اعلى مستوى يمكن ان ترتفع اليه العقليات الواطئة . وباوضح عبارة نقول انه يجب أن يتنازل ذوو الآراء الصائبة عن جانب من آرائهم واحكامهم السديدة ارضاء لذوي الافكار الضعيفة . كما انه يجب ان يتساهل كل فريق أو كل فرد في افكاره وآرائه المخالفة لافكار وآراء غيره التي لا تقل قيمة عن تلك تمهيداً للاتفاق . وبهذا التساهل يختزل جانب كبير من الصواب . فلذلك يتعذر جداً أن تنتج النتائج السامية العظيمة الفائدة من مناقشات الجمعيات والمجالس النيابية . وانما تكون اسمى واعظم كلما كان اعضاء الجمعية أو المجلس متشابهين في معارفهم واخلاقهم وميولهم الخ .

قاعدة عامة

فمن كل ما تقدم يمكننا أن نستخرج قاعدة عمومية لتبيان نسبة عقلية الجماعة الى عقلية الافراد وهي :

كلما كانت الجماعة متينة التماسك بعضها ببعض ووثيقة العرى كانت عقليتها ارقى واقرب الى عقلية افرادها . وبالعكس كلما كانت مرتخية العرى وقليلة التماسك كانت عقليتها منحطة وابعد عن عقلية افرادها

والقاعدة العمومية لتماسك الجماعة ارتباط افراد الجماعة . اي انه كلما كان افراد الجماعة متشابهين في معارفهم واختباراتهم واخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم السياسية وغيرها كانوا اشد توثقاً وارتباطاً والعكس بالعكس .

سر ضعف الجامعات الشرقية

ومتى تدبرت ذلك جيداً فهمت سراً من اسرار ضعف الجامعات الشرقية وانحطاط جماعاتها . خذ السوريين مثلاً فتجد انهم كافراد ارقى جداً منهم كجماعة . وكل فرد منهم يعلم ذلك ويقوله وربما كان من اسباب نهضتهم ومن بشائر تقدمهم المنتظر انهم يعرفون هذا العيب فيهم كجماعة . ولاقل تبصرة تفهم السبب . فهو معلوم أن الامة السورية مجموع جماعات منفصلة انفصالاً تاماً في كل شيء ما عدا الموطن وبعض

المعاملة . ثم أن اساليب التربية المختلفة جسمت هذه الفروق واوجدت فروقاً اخرى حتى بين فئات الجماعة الواحدة . واساليب التعليم المدرسي انشأت فروقاً اخرى . هذا ناهيك عن اختلاف التقاليد والعادات بين هذه الجماعات . فلا بدع والحالة هذه أن تجد بينهم تباينات عديدة من الوجهة السياسية . ولا غرو ان يتعذر عليهم الاتفاق في امر اجتماعي . ولا يبقى عندك شك في أن العقلية الاجتماعية عندهم احط جداً من عقليات افرادهم . والعلاج الوحيد لذلك هو أن يتوحد التعليم والتربية عندهم حتى تسبك الناشئة الجديدة في قالب واحد من المعرفة والاخلاق والمبادىء والعقائد السياسية والاجتماعية . وفي الوقت نفسه يجب أن تعزل التأثيرات الدينية عن التربية والتعليم وتحصر في ظروف خاصة

عقلية المجتمع البشري برمته

بقي أن نلمع الى العقلية الامية أي عقلية الجنس البشري عموماً ونستخرج نسبتها الى عقليات الامم منفردة والى عقليات الافراد أيضاً

واذا تمشينا على القاعدة العمومية السابقة رأينا أن العقلية الامية احط من عقلية شعب واحد لوجود التباين بين الامم في كثير من الامور كما لا يخفى

ولذلك ترى أن اتفاق الامم بعضها مع بعض على حقيقة أو على صواب اصعب جداً من اتفاق فئات الامم الواحدة . واذا تم هذا الاتفاق كان ضعيف الوفاق سريع الانحلال

واذا تدبرت ذلك جيداً ادركت سر تعرض الدول للحروب وفهمت ان حروب الدول اكثر احتمالا من ثورات الشعوب وأن ثورات الشعب التي هي مزيج فئات متباينة اكثر احتمالاً من ثورات الشعوب المتماثلة الفئات

ان الحرب العظمى التي شبت اخيراً تؤيد القول بضعف عقلية المجتمع الانساني اذا قيست بعقلية شعوبه وتبدو لك اضعف اذا قيست بعقلية افراده . فقد كان أي واحد من ساسة المدين فضلا عن خاصته وعامته يعلم جيداً ان هذه الحرب وبل للغالب والمغلوب معاً وأن نتائجها للمجتمع وخيمة جداً ومع ذلك لم يكن في وسع الساسة والعقلاء والمسالمين تلافيها لانه تعذر عليهم الاتفاق على معاهدات سلمية

واذا جئت تحقق من كان مسؤولاً في هذه الحرب أو في أي خلاف دولي لا تقدر أن تهتدي الى فرد مسؤول حقيقة لان أعظم الساسة يقدر أن يبرر نفسه ويثبت لك

أن ما فعله كان طبقاً لرغائب الشعب الذي يؤيده. فعقليته توارت وراء عقلية الجماعة التي يمثلها ولم يستطع الا أن يظهر بعقلية هذه الجماعة

والعلاج الناجع لترقية عقلية المجتمع البشري العمومية هو أن تتوحد أساليب التربية والتعليم ما أمكن عند جميع الامم حتى تشب الناشئات الجديدة على مبادىء واخلاق وميول متماثلة . فان لم يكن ذلك لا يمكن توحد الامم وبالتالي لا يسهل توافقها ويتعذر تلافي تنازعها وتخاصمها

نتيجة عامة

والنتيجة القصوى التي نستنتجها من هذا البحث الدقيق هي أن الهيئة الاجتماعية البشرية العامة اذا قيست بالجماعات المتمدنة الراقية بدت لك طفلة قاصرة لا تزال تحتاج الى مسيطر مدرّب . ولكن أين هذا المسيطر المدرب ؟ يجب أن يكون منها وفيها .

وكذلك الجماعة اذا قيست بالافراد بدت لك كغلام حدث لا يزال يحتاج الى مدرس ومهذب

وكلما ارتقى البشر ادركوا ان الاله الارضي الذي يجب ان يجلوه هو العلم الصحيح والاخلاق القويمة

نقولا الحداد

الارتقاء

ثروة الممالك والامم لا تتأتى الا بثلاث حركات :

حركة التجارة ـ حركة الصناعة ـ حركة الزراعة

وهذه الحركات الثلاث لا ترتقي الا بثلاثة أمور :

العلم ـ الهمة ـ الاتقان

وكل هذه الحركات وهذه الامور لا تثبت الا بثلاثة أحكام :

الاحكام التشريعية ـ الاحكام العدلية ـ الاحكام التنفيذية

مبدى قيدس

في ملعب كرة القدم

لمعروف الرصافي

قصدوا الرياضة لاعبين وبينهم ... كرةٌ تُراض بلعبها الآجسامُ
وقفوا لها متشمرين فالقيت ... فتناوبتها منهمُ الاقدام
يتراكضون وراءها في ساحةٍ ... للسوق معترك بها وصدام
رفساً بارجلهم تُساق وضربها ... بالكف عند اللاعبين حرام
ولقد تحلق في الهواء وان هوت ... شرعوا الرؤوس فناطحتها الهام
وتخالها حيناً قذيفة مدفع ... فتمر صائتةً لها إرزام
ولربما سقطت فقام حيالها ... للضرب عبل الساعدين همام
فتخالها وتخاله كفريسةٍ ... سقطت فزمجر دونها الضرغام
لا تستقر بحالة فكأنها ... أمل به تتقاذف الاوهام
نحو الشمال بضربة فيردها ... نحو الجنوب مُلاعبٌ لطَّام
وتمرّ واثبةً على وجه الثرى ... مرًّا كما تتواثب الآرام
وتدور بين اللاعبين فحجم ... عنها وآخر ضارب مقدام
وكأنها والقوم يحتوشونها ... قلبٌ عليه تهاجمُ الآلام
راضوا بها الابدان بعد طلابهم ... علماً تُراض بدرسه الافهام
ابناء مدرسةٍ اولاء وكلهم ... يفعٌ مرير المرفقين غلام

* * *

لا بد من هزل النفوس لجدها ... تعبٌ وبعضُ مزاحها استجمام
فاذا شغلت العقل فاله سويعةً ... فاللهو من تعب العقول جمام
والفكر منهكةٌ فباستمراره ... تهن العقول وتهزل الاجسام
ورياضة الابدان أحسن خطةٍ ... فيها لتنشيط القوى استلزام
ان الجسوم اذا تكون نشيطة ... تقوى بفضل نشاطها الاحلام
هذي ملاعبهم فجسمك رُض بها ... واسلك مسالكهم عداك الذام

معروف الرصافي

العزّاب في التاريخ

واضطهاد الحكومات لهم

من يتصفح كتب التاريخ يجد أن العزاب كانوا في معظم الاحيان موضع الريب والشكوك من جانب الهيئات الحاكمة بل لقد صدرت قوانين كثيرة في أحوال مختلفة تقضي بفرض بعض الواجبات على العزاب دون سواهم . ولعل أغرب ما فكر به المشترعون حديثاً في هذا الباب ما اقترحه النائب بلجيانو اخيراً على مجلس نواب ولاية لويزيانا من الولايات المتحدة فقد رمى ذلك النائب باقتراحه الى جعل الزواج اجبارياً فمن يجاوز الخامسة والعشرين من عمره ولم يكن مزوجاً يقبض عليه ويسجن !!

على اننا اذا طرحنا جانباً هذا الاقتراح المستهجن - الذي نشك كثيراً في تنفيذه - وجدنا ان بعض الحكومات الحديثة شرعت بعد الحرب على الخصوص في فرض الضرائب على العزاب ولعل قصدها من ذلك ايجاد باب جديد للدخل تخفيفاً للضائقة المالية المستولية على جميع الحكومات اليوم . وقد أصدرت الحكومة الفرنسية قانوناً بتاريخ ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٠ يقضي على العزاب والمطلقين اذا زاد عمرهم على الثلاثين بان يدفعوا الى خزينة الحكومة علاوة قدرها ٢٥ في المئة على ضريبة الدخل القانونية

* * *

ولكن هل من العدل ان يضطهد العزاب بتلك الصورة ؟ هذه مسئلة يتوقف الجواب عليها على تعيين الحدود العادلة لسلطة الجماعة على الفرد . وبالرغم مما يقال من ان هذا العصر هو عصر الاستقلال الفردي والحرية الشخصية فاننا - على ما يظهر للمتأمل في أحوال الامم الحاضرة - متجهون في تطورنا الى حالة يخضع فيها الفرد خضوعاً تاماً لارادة الجماعة أو بالحري لارادة الاكثرية

ولعلنا اذا نظرنا نظر الانصاف الى هذه المسئلة نجد ان العزاب أحق بالشفقة من سواهم . فقد دلت الاحصاءات الوثيقة والمشاهدات الطبية على ان نسبة الوفيات بين العزاب (ولا سيما الرجال) اكثر جداً من نسبة الوفيات بين المتزوجين - أفلا يكفيهم ذلك ؟

على أن زعماء الاديان من جهة اخرى مالوا بوجه عام الى حالة العزوبة وحثوا الكهنة والمتعبدين على الامتناع عن الزواج . وقد اشتهرت عند الرومانيين طائفة عذارى الآلهة وستة Vestal Virgins ولكن مع ما كان لهن من المقام والتكريم فقد قلَّ عددهن في كثير من الاحيان عن العدد المطلوب . اما في الشرق فقد انتشر هذا النوع من التقشف انتشاراً عظيماً . وقد اشتهر الكهنة البوذيون على الخصوص بإتمادهم عن الزواج[1]. ولكن الامر كان بخلاف ذلك عند اليهود في اول أمرهم فمع أن العفة كانت مفروضة على الكهان في أوقات معينة في السنة لم تكن العزوبة واجباً عليهم بل كان الكهان طبقة يتوارث أهلها وظيفتهم جيلاً عن جيل على انه بعد فتوحات الاسكندر احتك اليهود باليونان والهنود وغيرهم واقتبسوا عنهم بعض العادات ولعل هذا هو منشأ طائفة الاسينيين التي انقطعت للتقشف والاعمال الصالحة . ويظهر ان العزوبة كانت مستحبة في نظر السيد المسيح ولكن ضمن حدود ضيقة . اما بولس الرسول فقد اشترط العزوبة في بعض الاحوال . ويؤخذ من المباحث التاريخية الحديثة ان امتناع رجال الدين في بعض المذاهب المسيحية عن الزواج نشأ بالتدريج والقصد منه ترويض النفس وتأديبها

ويجدر بنا الآن أن نلقي نظرة اجمالية على حالة العزاب من غير رجال الدين وموقفهم القانوني في العصور السالفة . وسيتبين لنا من هذه النظرة أن معظم المشترعين لم يكونوا راضين على تلك الفئة . فكانوا يجعلون للمتزوجين مميزات عليهم خصوصاً في زمن الحرب

فمن أمثلة ذلك ان شريعة موسى نظرت نظرة الاحتقار الى الامرأة العاقر والى العزَّاب. ولم يكن الرجل المتزوج حديثاً يجبر على التجند لمدة سنة بعد زواجه . وفي هذا التمييز أساس معظم القوانين التي صدرت بعد ذلك الحين في هذا الشأن حتى الزمن الحديث

ويؤخذ من كتابات البحاثة فوستل دي كولانج ان العزوبة كانت ممتهنة في

(١) ذكر احد الثقات انه كان في مدينة الشي الصينية في القرن الرابع عشر ١٤ ديراً على منها ٣٠٠٠ كاهن . وفي مدينة لاسا وضواحيها في التيبت (بالصين ايضاً) اليوم ١٢ ديراً كبيراً يبلغ عدد من فيها ١٨٥٠٠ متعبد

نظر الجماعات والشعوب القديمة بل كانت تعد احياناً جريمة وكانت الاديان جميعاً تحث على الزواج ولاسيما انها كانت تدور على عبادة الاموات وآلهة الاسرة

وقد روى بلوطرخس ان أهالي سبرطة كانوا يحتقرون العزّاب . ومن الادلة على على ذلك انهم كانوا يحرمون عليهم حضور بعض الحفلات العامة بل كانوا يجازونهم على مخالفتهم القانون فيجبرونهم في ايام البرد على الطواف في الميادين وأجسامهم معراة وهم يغنون بعض الاغاني المؤلفة في ذمهم . وقد ذكر أحد كتاب اليونان علاوة على ذلك انه كان يؤتى بالعزّاب الى الهيكل ثم تأتي بعض النساء وتشبعهم ضرباً بالسياط . وقد كان في القانون السبرطي مواد خاصة لمعاقبة الذين يمتنعون عن الزواج او الذين يقبلون عليه متأخرين . وحذى حذو سبرطة كثير من المدن اليونانية . وقد ندد بالعزاب معظم الفلاسفة اليونان وفي مقدمتهم افلاطون فقد نص في « قوانينه » على اجبار من لا يتزوج على « دفع غرامة سنوية حتى لا يخيل اليه ان في العزوبة راحة وربحاً »

ويقال مثل ذلك عن رومية فقد ذكر المؤرخون ان حكامها ومشترعيها حرموا العزوبة منذ أقدم الازمنة أو فرضوا على العزاب عقوبات صارمة . ومن أغرب ما روى من هذا القبيل خطبة القاها أحد الشيوخ الرومانيين قال فيها : « أجل ان الزواج أمرٌ شاق في ذاته . ولكن بما أن الطبيعة قد دبرت أحكامها بحيث جعلتنا من جهة عاجزين عن أن نعيش مرتاحين بوجود امرأة معنا وجعلتنا من الجهة الاخرى غير قادرين على أن نعيش بلا امرأة بالمرة فلنؤثر حياة الامة ودوام وجودها على سعادتنا الشخصية في حياتنا القصيرة »

ولم تقتصر الغرامات والعقوبات على الرجال بل تناولت النساء ايضاً ومن ذلك أن الارامل بعد مضي سنتين من ترملهن كن يدفعن غرامة اذا لم يقترنَّ . وقد تمكن بعض الحكام من الرومانيين على اثر الحروب الكبيرة من اجبار الشبان على الاقتران بنساء الرومانيين المتوفين في الحرب وذلك بفرض غرامات فادحة على العزاب منهم

واشهر القوانين التي صدرت في رومية بهذا الصدد هي تلك التي صدرت في عهد اغسطس (واسمها القانوني Ad legem Juliam & Papiam)

وقد كان مؤدى هذه القوانين جعل الزواج اجبارياً لكل من كان في السن الملائمة فلم يسمح بالعزوبة الا لرجال العسكرية ولبعض الافراد من ذوي الوظائف الخاصة

وقد نصت تلك القوانين على حرمان العزاب من حق الارث فضلاً عن دفع غرامة كما نصت ايضاً على ضريبة خاصة فرضتها على المتزوجين الذين لا يلدون أولاداً

وقد ذكر المؤرخون ان العزاب بالرغم من كل ذلك ظلوا كثيري العدد كما كانوا . واغرب من ذلك ان تلك القوانين صنفها عازبان من الرومانيين !

على انه بعد ذلك الحين اخذ الضغط على العزاب يخف ولا سيما بعد انتشار المسيحية وظهور القديس امبراوز الذي امتدح « العذارى المبتعدات عن رؤية الرجال كالازهار المنفردة » وانتشار الرهبنات المختلفة الخ . . .

وفي تاريخ الدول الحديثة بعض الامثلة المذكرة باضطهاد الحكومات القديمة للعزاب . فمن ذلك ان لويس الرابع عشر أصدر امراً سنة ١٦٦٦ يقضي بفرض الغرامات والواجبات على العزاب دون غيرهم . وفعل رجال الثورة الفرنسية مثل ذلك . وفي عهد نابوليون طلب العزاب للخدمة العسكرية قبل المزوجين

وقد كان للمزوجين في الحرب الاخيرة ميزات على العزاب . ففي فرنسا مثلاً كانوا يسرحون من لهم ستة أولاد كما ان من لهم أربعة اولاد كانوا يخدمون وراء صفوف القتال — وبوجه عام كان العزاب يعرضون للاخطار قبل المزوجين

وفي انكلترا صدرت قوانين مختلفة من هذا القبيل يطول بنا شرحها . والخلاصة ان الحكومات ما برحت تضطهد العزاب بطرق مختلفة تبتكرها لمضايقتهم وارغامهم على الزواج ولكن التاريخ يبين بجلاء انها لم توفق قط الى زيادة عدد المتزوجين وانما جنت من وراء القوانين التي أصدرتها ربحاً استعانت به على سد نفقاتها الكثيرة

خصال العاقل

قال أحد الحكماء : اخلاق العاقل عشرة — الحلم والعلم والرشد والعفاف والتعاون والحياء والرزانة والمداومة على الخير وكراهية الشر وطاعة الناصح

وقال آخر : مكارم الاخلاق عشرة — العقل والدين والعلم والحلم والصبر والصدق والشكر والجود والرفق واللين

على اليرموك

للاستاذ أنيس الخوري المقدسي م . ع .

اليرموك نهر صغير يجري في وادٍ ضيق بين حوران وفلسطين . على هذا النهر او على مقربة منه حدثت واقعة اليرموك الشهيرة بين العرب يقودهم خالد بن الوليد وابو عبيدة الجراح وبين جيش الروم . فكانت نصرة العرب فيها عظيمة مهدت لهم السبيل الى الاستيلاء على الشام . وقد زار صاحب القصيدة هذا النهر وتذكر تلك الواقعة فنظمها وقفة تاريخية يصف بها النهر ويذكر ما جرى عليه من الحوادث

* * *

على اليرموك قف واقرا السلاما ... وكلّمهُ اذا فهم الكلاما

وقل يا نهر هل هاجتك ذكرى ... شجت قلبي وحركت الغراما

قطعتُ سهول حورانٍ وشوقي ... اليك يثير في نفسي ضراما

وسار بنا القطار على سهول ... تفيض بخيرها عاماً فعاما

فلمّا ان اطلّ عليك ظهراً ... وفي واديك سيل الماء شاما

جرى ينساب في الوادي كافعى ... تروم الوِردَ كي تُطفي الأُواما

هبوطاً نحو غور اشعلته ... حميّا الصيف فاضطرم اضطراما

تحيط به وهاد كالحاتٌ ... تصدُّ الريح ان ترمِ انهزاما

وماء النهر يرمقنا بلطف ... من الوادي ويبتسم ابتساما

فينسينا لوافحه ويحيي ... بذكرى المجد قلباً مستهاما

بنو الصحراء هل يصغون ام هم ... على الفلوات قد باتوا نياما

ألا هبوا احدثكم بمجد ... لكم غشيَ الجزيرة والشآما

الى اليرموك ان تبغوا المعالي ... وفوق ضفافه فاجثوا احتراما

هنا الاسلام ضاء له حسام ... غداة استل خالده الحساما

وهبَّ ابو عبيدة مثل ليث ... يقود وراءه الموت الزؤاما

فاصلى الروم حرباً أيَّ حرب وفلَّ بعزمه الجيش اللُّهاما
وسار على روابي الشام يخطو تخرُّ له الربى هاماً فهاما

***

بربك ايها النهر المفدَّى بربك قل ولا تخش الملاما
أيشرق نجمهم من بعد ذل ويعلو بعد ان لحق الرغاما
وينفخ فيهم روح المعالي فيحييهم وقد باتوا رماما
ارى في الافق نوراً من بعيد يلوح فهل ترى يجلو الظلاما
واسمع في ربوع الشرق صوتاً اثار سماعه البلد الحراما
وايقظ في العراق صدى عظاماً وحرك في قبورهم النياما
أجبني هل يفيق الشرق حقاً وينهض بعد ان اغفى وناما
ويكسر كل تقليد ذميم ويحيا اهله فيه كراما
أسوريا اروم لك المعالي وعيشاً مستقلاً وانتظاما
ولكن ابن هذا من بلاد ابت الا انشقاقاً وانقساما

انيس الخوري المقدسي

من اقوال العرب في الحرب

اعلم أن الحرب معالمها الصبر وقطبها المكر ومدارها الاجتهاد وثقافها الاناة وزمامها الحذر. ولكل شيء من هذه ثمرة. فثمرة الصبر التأييد وثمرة المكر الظفر وثمرة الاجتهاد التوفيق وثمرة الاناة اليمن وثمرة الحذر السلامة

وقالوا: جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير وعينها الحذروجناحها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدها الرفق وسائقها النصر. فاذا قاتلت فلا تبذل مهجتك وقوتك من أول وهلة لئلا يأتي معظمها فتعجز وتكل ولا تنشب في حرب وان وثقت بشدتك حتى تعرف وجه التخلص منها فمن استضعف عدوه فقد اغتر ومن اغتر بقوته فقد وهن والحازم يحذر عدوه على كل حال ـ المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد ان ولى . وقد قالوا : لتكن أشد ما تكون من عدوك حذراً ما كنت عند نفسك أكثر قوة وعدداً فليس من القوة التورط في الهوة

نظم الشعر في المنام

بقلم عيسى اسكندر المعلوف اللبناني صاحب مجلة الآثار

اشعار الفرنج واعمالهم في المنام

[تنبيه] تقدم في الهلال الاول لمعة من اعمال العرب واشعارهم في المنام والآن نورد ماكان من ذلك عند الفرنج تتمة للبحث مقتصرين على أهم ما مر بنا من هذا القبيل

للفرنج كما للعرب اشعار في المنام وأعمال غريبة كانوا يقصرون عن الاتيان بمثلها في اليقظة . وكثيراً ما حلوا فيه معضلات المسائل العقلية ومشكلات الاعمال الرياضية ومبتكرات الاختراعات الفنية وقرروا ماكان جمّ الفائدة جزيل العائدة

فمن أعمالهم في منامهم ان الطبيبة (أنا كنغس فورد) الانكليزية تخيلت كثيراً من الاقاصيص وتمثلت جماً من الروايات مكتشفة غوامض أسرارها في منامها فنشرت في ذلك كتاباً بلغتها سمته (قصص أحلامها) وأغرب من كل ذلك أن قصص أحلامها لم تكن توحى اليها وهي نائمة على سريرها في موطنها بل في سياحتها في سويسرة وفرنسة . ومعظمها كان يتمثل لها بعد ان تستيقظ باكراً وتستأنف نومها بعد طلوع الشمس

والمؤلف الانكليزي (روبرت لويس ستيفنسن) أوحى اليه منامه معظم كتابه المشهور بعنوان (جاكيل وهايد) وهو متداول معروف يدل على حسن تنسيقه وترتيب رواياته

والسيدة (شلاي) وضعت قصتها البديعة المسماة (فرنكنستين) لزوجها في منامها . فلما طالعها ورأى فيها حسن الخيال ولطف التعبير وبلاغة المعنى أشار اليها أن ترتبها بشكل (رواية) ففعلت وجاءت من أغرب الروايات التي اشتهرت بين المطالعين

ولما نقل الاستاذ (هيلبرخت) بعض العاديات من أنقاض مدينة بابل العظمى وكان يرتبها عثر على قطعتين من الحجر اليماني نقشت عليهما كتابات قديمة ذات قيمة تاريخية ولكنه تحير في وضع القطعتين على أصلهما لتقرأ كتابتهما . فقلق بالاً ونام وهو يفتكر بحل ذلك المشكل الأثري المهم . ولشدة إعمال فكره به تجلى له طيف رجل أفهمه سر ترتيب الحجرين لتظهر الكتابة منسقة وتحل رموزها . فلما استيقظ وضعهما

كما قيل له في الرؤيا مع اختلاف لوني الحجرين فاستغرب وأمعن في التعجب من كشف ذلك السر له في المنام . وقد عجز عنه في اليقظة

وكان أحد المحامين قد مرت به مشكلة نظامية في نهاره فلم يستطع حل معقدها. فوفق في منامه الى حلها وسرَّ بذلك فاستيقظ طرباً ولكنه ما كاد يشعر بيقظته حتى رأى ذاكرته قد خانته فنسي الحلّ واضطرب أكثر من الاول . وذهب ليخبر زوجته بالقصة متأسفاً على نسيانه الحل . فلما سمعت كلامه ضحكت وقالت له انني شاهدتك تشتغل بعناء وجهد عظيمين مدة ثلاث ساعات في الليلة الماضية وقد كتبت ذلك في أوراق أودعتها مكتبتك. وذهبت وجاءت بالاوراق وما أشد ما كان عجبه لما رأى مشاكل دعواه مكتوباً حلها بجلاء . وكان يحاول أن يستحضرها بذهنه فعجز في يقظته عنها

وبينما كان (فرنكلين) يدون أحدى رسائله السياسية التي كان ينوي ارسالها الى باريس قلق بالاً لافتكاره ببعض الشؤون فارتج عليه اتمام الرسالة وعجز عن استجلاء بعض غوامضها فلما نام وهو يفتكر فيها اهتدي الى معرفتها فاستيقظ مسروراً وأتمها

والمركيز (دي كوندورسان) الفرنسي المشهور ببراعته في الرياضيات عسر عليه حل مسألة رياضية عالجها أياماً فحلها في حلمه بسهولة

واشتغل الاستاذ (سويندن) الهولندي بحل مشكل صعب مع بعض طلبته النابغين أياماً طوالاً فلم يهتدوا اليه فشغل ذلك بال أحد الطلبة فحله ليلاً بسهولة قريبة بعد ذلك العناء البعيد

واهتدى أحد فعلة معامل المدحرَج (الخردق) الى طريقة يعمل فيها المدحرج بسهولة وسرعة لانهم كانوا يصرفون وقتاً طويلاً لتقطيعه ودملكته وصقله قبل اختراعه . وذلك انه رأى في منامه وهو ملقى على فراشه من السكر ان السماء ماطرة ونقط المطر تحولت الى مدحرج بديع الصنع فانتبه مذعوراً صاحياً من سكره وسار الى قمة جبل وأذاب شيئاً من الرصاص والقاه من حالق الى الحضيض فتحول الى مدحرج ولذلك أعتمد المعمل على طريقته وصار يخرج مقادير مهمة من هذا الصنف

ويروى ان (ترتيني) الموسيقي الايطالي الشهير سمع لحنه المنسوب اليه في منامه . فحفظه وسماه باسم (الشيطان) لان الشيطان ظهر له في الحلم فدفع اليه عود طرب ليعزف عليه لحناً له فوقّع ذلك اللحن

و (كوت) الكاتب المعروف كتب في منامه أجمل مقالاته وكان ينسخ ما تمثله بعد يقظته

وهكذا نظم كثير من الشعراء قصائد وملاحم في الغيوبة فكانت من أحاسن المنظومات . فهذا الشاعر الانكليزي (كولريدج) نظم في خلال منامه على اثر تناوله مرقداً للتداوي نحو مائتي بيت من ملحمته المسماة (قبله خان) فاستيقظ ذاكراً ما نظمه فدونه وبينما هو يسطره طرق بابه زائر فاضطر أن ينقطع عن التدوين لمقابلته فانقطع حبل تذكاره ما كان قد نظمه في منامه وعالج بعد تفرغه لاتمام العمل أن يتذكر حرفاً مما بقي لخاتمته ذاكرته وأجهد قريحته عبثاً فترك الملحمة على علاتها غير كاملة متعجباً من سهولة النظم في منامه وتعسره عليه في يقظته

وعرف ان أجمل منظومات (تنيسون) شاعر الانكليز كان في حلمه وكثيراً ما نسي منظومه الا بعضه

والمرجح عند المحققين ان أهم فصول رواية (دانتي) شاعر ايطالية المسماة (المضحكة الالهية) تخيلها في حلمه بسياقها وأفكارها

وثبت عندهم ان فولتر الفرنسي نظم في منامه أول نشيد من ملحمته (المزياد) المتداولة بين أيدي المطالعين وهي مشهورة بفصاحتها

وكان (امرسون) الاديب الانكليزي يستيقظ فجأة ويدون أفكاره الليلية متخطراً في غرفته

هذا الى كثير من أمثال هؤلاء الشعراء في كل لغة ومكان. ومن شعراء الاعاجم في الشرق الذين أوحى اليهم المنام أفكاراً شعرية جميلة نامق كمال بك التركي الفيلسوف الشهير فان أكثر منظوماته نسجها في الحلم ومنها (الرؤيا) المعربة بلغتنا والمطبوعة سنة ١٩٠٩ في ١٢ صفحة

هذه لمعة مما نظم وعمل في المنام عند العرب والفرنج جمعناها تذكاراً لعمل النفوس في غيوبتها وانهما كها في ما تتجه اليه . وكثيراً ما يصير كلفها بما توجه اليه قواها نوعاً من الجنون يؤثر فيها تأثيراً غريباً ويحملها على اتيان ما لا تستطيعه في اليقظة. ولله في خلقه شؤون

زحلة (لبنان) عيسى أسكندر المعلوف

فرقة المرشدات المصريات



فتاتان من فرقة المرشدات المصريات

في اليوم الثاني عشر من شهر يناير الماضي اجتمع في النادي الاهلي للرياضة البدنية بالقاهرة فريقٌ من الشبان المصريين غواة الالعاب الرياضية للنظر في تشجيع حركة الكشافة في مصر . وجرى بينهم ذكر البنات الكشافات وهل يحسن انشاء فرقة لهن في مصر على مثال فرقهن في انكلترا وامريكا ، فهزَّ بعضهم كتفيه وقال : انه لم يحن الوقت الملائم لهذا العمل . وقال آخر : ان عادات البلاد لا تسمح للبنات

المصريات بالانخراط في سلك الكشافة . وانفض الاجتماع والكل على اتفاق بان المرشدات المصريات لا يظهرن عن قريب

ولكن ماكان أشد دهشة هؤلاء الشبان عندما رأوا بعد أربعة أشهر فرقة من البنات المصريات تسير في موكب الاحتفال بجنازة الطلبة المصريين الذين توفوا في اوربا صرعى لحادثة تصادم قطارين بين ايطاليا والنمسا !

ثم ظهرت هذه الفرقة في جنازة المرحوم محمد بك فريد . وفي الاحتفال باستقبال أعضاء الوفد المصري الذين حضروا من أوربا منذ ثلاثة أشهر

وفي أول شهر سبتمبر الماضي نشرت الصحف اعلاناً عن تألف فرقة كشافة للبنات المصريات وافتتاح مدرسة خاصة لهن في العباسية بضواحي القاهرة

ويعزى الفضل في انشاء هذه الفرقة الى السيدة عائشة نخرية هانم حرم الملازم الاول عبد الرحمن الشهيدي . وقد انضم اليها حضرات السيدات حرم المرحوم شاكر بك وحرم الدكتور محمد بك العروسي وحرم حسن بك محمود . وعهد في أعمال السكرتارية وامانة الصندوق الى الآنسة ماري الرياشي

وتعنى مدرسة المرشدات بالعمل لرفع درجة الفتيات المصريات الى أعلى درجات الرقي واعدادهن لخدمة بلادهن بتلقينهن الآداب والعلوم والفنون الآتية وهي

اولاً — المبادىء العامة للكشافة

ثانياً — مبادىء التمريض والاسعافات الطبية

ثالثاً — التدبير المنزلي وعلم الصحة والعناية بالاطفال والخياطة

رابعاً — الاشغال اليدوية الخاصة بالكشافة

خامساً — الاخلاق (شرح قانون الكشافات)

سادساً — الرسم النظري

وهذه الدروس العلمية والعملية تتلقاها البنات في ثلاثة أيام كل اسبوع وهي الخميس والجمعة والاحد ساعتين بعد الظهر

وبالنظر الى عدم وجود كتب في اللغة العربية خصيصة بالكشافة فقد عوَّل المدرسون على وضع مذكرات يقتطفونها من الكتب الانكليزية والفرنسوية ثم يطبعونها في السنة القادمة

ويشترط على من تريد الانتظام في سلك الفرقة ان تكون مصرية الجنس .

وتكون سنها بين التاسعة والثانية عشرة . حسنة السير والسلوك . خاضعة للاوامر . ويجب أن يوافق والدها أو ولي امرها على دخولها في المدرسة وتوقع الطالبة ووالدها بذلك اقراراً مطبوعاً ترسله الجمعية لمن يرغب

وبلغ عـدد الفتيات اللاتي التحقن بالفرقة عند افتتاحها ١٣ فتاة . وطلبت كثيرات الدخول وشرع في فحص طلباتهن

وتلبس الفتيات ثوباً وحرملة للرأس من الكاكي ويحملن بقية أدوات الـكشافة من مخلاة وزمزمية وغيرها

وقد احتفل بافتتاح مدرسة الفرقة في يوم الاحد ١٧ سبتمبر . وحضر الاحتفال أحد أساتذة فرقة كشافة المدرسة السعيدية ومدير نادي القاهرة للالعاب الرياضية والمس كلاريدج الانجليزية المشهورة بخدمتها في جمعية القديس يوحنا الاورشليمي ومساعيها في ترقية الجنس اللطيف ومندوب جمعية الـكشافة الاهلية

فاستقبلتهم مؤسسة المدرسة وسكرتيرتها واستاذ الرسم واستاذ الاشارة وعبدالرحمن أفندي الشهيدي . وبعد تناول القهوة القت المس كلاريدج خطبـة وجيزة قالت فيها ما مؤداه :

« ان الـكشافة تدرب شبان مصر على ان ينظروا الى الحياة بنظر جديد . وعندما يبلغون سن الزواج يسألون كما كانوا يسألون قبلاً عمن يتزوجون . فتمرين الفتيات المرشدات انما هو خطوة في تمكين الفتيان من الزواج بفتيات قد تجملن بالصفات التي صورتها النظرات الجديدة للفتيان . وبذلك يضمن الجنسان حياة سعيدة »

ثم قالت : « وقد جرى بيني وبين رئيس جمعية الـكشافة الاهلية (المصرية) حديث في هذا الشأن فذكر لي ان العادات المصرية قد تمنع من انشاء فرقة للكشافات . ولـكني أقنعته بفائدة العمل وسهولة تنفيذه . وعرضت المشروع على كثيرات من البنات والسيدات المصريات فرأيت منهن رغبة عظيمة في اتمامه »

ثم قرأت بروجرام المدرسة وابدت سرورها منه . وختمت كلامها بان أعلنت بالنيابة عن السير روبرت بادن باول تهنئتها للسيدات المصريات بانشاء أول فرقة للمرشدات في مصر

وتفقد الحاضرون الفرقة وعرضوا البنات المرشدات فسروا من النظام وطرق التعليم

توفيق حبيب

مقابلة اديسن

بقلم الرحالة حنا خباز



توماس اديسن

١ — في مونتبلير

الثلاثاء ظهراً في ٢٦ سبتمبر (ت١) سنة ١٩٢٠ كان كاتب هذه السطور واثنان من تلامذته السابقين في أوتومويبل يقلهم من بأرسن بولاية نيوجرزي الى ايست اورانج في نفس الولاية

كان الطقس بديعاً ، عليل الهواء ، صافي الجلد ، تجلى فيه جمال الطبيعة وجلال العمران . الى اليمين هضاب تكسوها الاشجار ، والى اليسار رحاب تغطيها الازهار .

وقد نثرت في جنباتها المروج نثر الدراري في القبة الخضراء . تارة تخترق البيوت المروج ، واخرى تخترق هذه تلك . وطوراً تحيط الاشجار بالابنية ، وآخر تحيط هذه بتلك

فدارت بين الثلاثة الاصحاب الاحاديث الآتية

ـ أترى كيف نرى اديسن الآن ؟

ـ انه اكبر علماء الارض

ـ واعظم المخترعين

ـ أتدرون عدد اختراعاته ؟

ـ من يعلم ؟

ـ مئات بل الوف

ـ اظن انه اعظم من كل الملوك

ـ بل أعظم انسان عاش على الارض

ـ سأراه واخرج من حضرته وأنا غير مصدق عينيَّ اني رأيته، لانني اعلم فرط أشغاله وضيق اوقاته

٢ ـ على التلفون

الشاعر أسعد رسم يخاطب ادارة اديسن :

ـ هلو

ـ هلو . من المتكلم ؟

ـ أسعد رسم

ـ وماذا تريد ؟

ـ هنا رئيس كلية حمص الوطنية حنا خباز من سورية يروم مقابلة أديسن

ـ وما شأن حنا خباز ؟

ـ انه رحالة طاف حول الارض ، وقابل عظماء الدنيا في كل صقع ، وألف كتبه حول الكرة الارضية ، فيروم اتمام اختباراته في الولايات المتحدة بمقابلة توماس أديسن

ـ ولكن اديسن مشغول جداً قلما يتمكن من مقابلة الناس

وحنا خباز مشغول ايضاً ، وقد ضنَّ على الاميرال طوغو ببضع دقائق يقابله

بها ، وانما لاجل اديسن تخلف عن القطار البارحة واليوم

ـ اهلاً وسهلاً بكم وانما لا نقدر ان نضمن لكم مقابلة اديسن، اذ كثيراً ما يأتيه الطلب فجأة الى البيت الابيض ، او الى وزارة الحربية ، فيهرع الى هناك ، ويخلف وعده مع اكارم السياح

ـ لا بأس في ذلك فسنأتي في الوقت الذي تعينونه

ـ غداً الساعة الثانية مساء

٣ ـ في الوقت المعين

نزل الثلاثة المذكورون آنفاً والشاعر رستم امام معمل اديسن ، ودخلوا غرفة الخفر في سور المعمل . فقيدوا اسماءهم ، وانبأوا بغرضهم من مقابلة اديسن . وبعد هنيهة اتى رجل وصحبهم الى الداخل ـ الى بناية كبيرة ضمن السور . وهناك قابلهم شيخ لطيف اسمه وليم هـ . مدوروف مساعد اديسن وصاحبه منذ اربعين سنة. فاخبرهم ان مدة الزيارة يجب ان تكون قصيرة بالنظر الى اهمية اوقات اديسن. وسمع الاسئلة التي يرتب الخباز في عرضها على اديسن

ثم قادهم الى القاعة الكبيرة الى يمين المدخل ، وفيها رواجز وأجهزة وعمال عديدون . وفي نصفها الداخلي ، الى يسار الداخلين خوان كبير وعلى كرسي امامه المخترع « اديسن »

فلما دخل الزائرون وقف اديسن على الاقدام وصافحهم افراداً ، ووليم مدوروف يسميهم بصوت عالٍ وفمه على اذن اديسن

٤ ـ امام اديسن

وقف حنا خباز في اقدس غرف الدنيا . ورفع عينيه الى الرجل الذي سكب الله بواسطة دماغه اثمن البركات على البشر . وتأمله ملياً

طويل القامة ، ضخم الجثة ، اشقر اللون ، لجيني السهام ، حاد العينين ، غليظ الحاجبين، عالي الجبهة، ثقيل السمع، بسيط المظهر، عادم التكلف ، خفيف الروح ، يتكلم كالاطفال ، وليس على محياه غضون الاختبارات المرة ، ولا شيء من مظاهر الدهاء والاحتساب، لقلة ما يعاشر الناس ، او يحصل على سوء معاملة منهم، فهو كملاك الله سلامة نية ونقاء سريرة . فانه يقضي اكثر اوقاته يدرس الله باعماله وتنكشف له نواميس الطبيعة ، فيستخدم الكشف لخير البشرية

فقد والى الاكتشاف والاستنباط مـدة اثنتين واربعين سنة ، ولا يزال يتعمق ويتقدم ـ ولا حد في ملكوت الله للمكتشفين . فهو أعظم مخترع في بني حواء

وقد لاحظ اسعد رسم أن شريطة حذائه منحلة ، وبنطلونه متجعد ، فقلما يهم اديسن التكييس ، بل قلما يجتمع بالناس فهو يعيش بين السماء والارض في فلك وحده

٥ ـ الحديث

خباز : ـ أيصادق اديسن على ما نشره بعضهم بامكان الغذاء بالكهرباء بدل الطعام ؟

اديسن (يهز رأسه هزة الانكار) : ـ كلا البتة

خباز : ـ أو صحيح انك تؤمل أن تعيش مئتين وخمسين سنة ، وتعتقد أنه يمكن كل انسان أن يعيش كذلك ؟

اديسن : ـ ليس كذلك بل مئة سنة كما عاش جدي جون وعمي صموئيل

خباز : ـ وما رأيك بمخاطبة الارواح باللاسلكي التيد ؟

اديسن : ـ ذلك من اسرار العلم التي يتوجب عليّ كل الصمت عن اباحتها الآن

خباز : ـ والسير الى المريخ بالسهم الكهربائي ؟

اديسن : ـ لا اعتقد بامكان ذلك على الاطلاق

خباز : ـ ما أحب اختراعاتك اليك وانفعها للناس ؟

اديسن : ـ اولاً المحرك الكهربائي الذي يسير « الكار » ويدير الآلات

ثانياً التنوير بالكهرباء

ثالثاً الفونوغراف

رابعاً الصور المتحركة

خباز : ـ ما افضل الوسائل لسعادة البشر

اديسن (يفرك جبينه) : ـ « العمل »

خباز : ـ فاذاً سأعيدك حالا الى سعادتك وذلك بتوديعك لتعود الى « العمل »

فضحك اديسن وضحك الجميع

خباز : ـ اتتكرم بكتابة اسمك في هذا الدفتر الذي اصحبه حول الارض ؟

فجلس اديسن يكتب حالا ثم سأل : ـ كيف وجدتم شاستر الذي ارسله ولسن ؟

اسعد رستم : ـ شاستر ليس في بلدنا بل في العجم

اديسن : ـ فاين انتم ؟

رستم : ـ في سورية

اديسن : ـ ايهود انتم ؟

رستم : ـ كلا بل مسيحيون

اديسن (يشير الى صدره) : ـ قوقاسيون مثلي ؟

خباز : ـ نعم

اديسن : ـ وماذا عملتم بفيص ـ فس ـ فصل (يفهم القارىء انه يريد الامير فيصـل)

رستم : ـ ترك سوريا

اديسن : ـ أليس هو ملكـكم ؟

رستم : ـ تملك مدة ثم ابتعد عن سوريا

خباز : ـ ايتكرم عليّ اديسن برسمه الاخير ؟

رستم : ـ وعليّ أيضاً

قام لهما اديسن باثنين من ابدع رسومه . وكتب تحت كل منهما اسمه بخط يده وقدم له خباز رسمه ورستم كلية حمص الوطنية . وفتح له رستم كتاب « حول الـكرة الارضية » . فنظر في الجميع بسرور كالطفل ودهش اديسن لما رأى جداول الارقام وسأل : ـ ما هذا ؟

رستم : ـ ارقام حسابية

خباز : ـ جداول صادرات هندستان ووارداتها

عندئذ صافحهم جميعاً كما في الاول وعاد الى خوانه للعمل

وامر المساعد مدوروف احد الشبان بلف الرسوم بالورق . فاطاع الشاب وهو يقول : ـ انكم لسعداء فلي هنا سنون عديدة ولم احظ برسم اديسن

وخرج الجميع مشيعين بالاكرام ومرموقين بالانظار ، ففهم خباز بذلك ندرة الزائرين تلك القاعة التي هي صلة الارض بالسماء

حنا خباز

الصخر الباكي

شعر منثور

الصخر متربع على بساط الرمل لا يبدي ولا يعيد

هناك على الشاطىء البعيد جلس الصخر على الرمل الناعم مديراً وجهه الى البحر . راسخاً طوداً تتكسر عليه الامواج وتتقطع دونه أعناق الايام والليالي

في كل يوم يغسل البحر وجهه فينفي عنه الاوضار ليبرزه زاهياً جميلاً

وفي كل يوم تقبل الشمس صفحة خده الكالح فيجافيها نابياً فتحرقه أشعتها المحرقة ثم يشهد مصرعها كل مساء فترسل اليه سلامها المغضب وتتوارى عنه مختنقة في لا نهاية الافق

يجلله المساء بظلاله المتكاثفة كأنما يحتضنه بذراعيه ويضمه ليذيبه في خبايا غيوبه وتطلع عليه النجوم باسمة . ويغازله البدر مؤنساً ويحنو عليه الليل نديًّا ترقص عليه أشباح الليل . وتطيف به خيالات الاماني وتستذري به الاحلام النافرة والارواح الهائمة

***

الصخر متربع على بساط الرمل لا يبدي ولا يعيد

يصمت رائماً كما يصمت الليل والغاب تخاطبه الامواج فلا يجيب . وتناديه الرياح فيلبث مبهوتاً ساكتاً

تطبق عليه الظلمات المتراكمة فلا تروعه شياطينها المتناكرة . وتبسم له الاشعة الفضية فلا تهزه أنفاس الملائكة السارية في النسم

تراه مقعياً كالاسد الوثوب . متحفزاً كالنمر الحذر . تياهاً بقوته . فخوراً بعزته . كانما جثم في السرور والنعيم . وغرق في سكرات استغنائه عن الناس فهو متكافىء عظيم . وكأن حاجاته خارجة عن طوق المألوف او هي دون ادراك العقول فلا يدري أهو سعيد أم تاعس . باسم أم عابس . ذلك سر يضمه العدم فلا يفضى اليه ولغز فوق المدارك فلا سبيل الى حله

هذا ابو الهول وكل صخر ابو الهول

***

الصخر متربع على بساط الرمل لا يبدي ولا يعيد

رويد غلوائك ايها الجبار العنيد . هل قعد بك الشوق الى بطن الارض التي لفظتك نارها فانت غريب مستوحش . ام ازويت بكل بهجات الكون الحائمة عليك فانت تحن الى بهجات ابدية لا تعرف عنها شيئاً . ام راعك الابد وانت تقطع مسافاته قاصراً دونك الموت . عاجزاً عنك البلى . وهل أنت فتى في ريعان الشباب ام شيخ محدب رجلاه في القبر . اين تجاريبك وحنكتك . وعلومك وخبرتك . ماذا علمك تعاقب القرون . وافادك تآكل الاجيال . أي الآفاق تعرف . وأي قرارات هبطت . هل خرجت عن حدود الزمان ففي أي حدود دخلت . أو شخصت عن ابواب الحياة فعلى أي ابواب وقفت

ماذا تضم احشاؤك الحجرية وماذا يدور في رأسك الصلد . كيف تختلج اوصالك الهامدة وتنبض عروقك الصلبة . هل تراها فتعرفنا كما نراك ونعرفك ام بلغتك اخبار فاصمتك بؤسنا وتعسنا

ألا اننا اشقياء ولا علاج في الشقاء الا الشكوى . اننا بؤساء وبؤسنا في معرفتنا اننا بؤساء . تمنينا الآمال الذهبية وهيهات ان تحقق وتشوقنا آفاق الغيوب المترامية وهيهات ان تدنو ويبرد لنا غليل . يأكل الالم لحومنا وتشرب الاحزان دماءنا وأنت كما انت لا يبلغ الالم منك ولا تمد اليك الاحزان يداً

اذا كنت لا تسمع ولا ترى ولا تحس ولا تفهم فليتنا كنا مثلك ولا تتمنى لك ان تصير مثلنا

***

الصخر متربع على بساط الرمل لا يبدي ولا يعيد

هذا سمير العزلة وانيس الوحشة . اذا الجت بي الاحزان وتضاعفت عندي الاشجان يممته رجاء العزاء والسلوى . فالفيته في جلسته زاهياً جميلاً . اسند اليه ظهري المتعب . والقي عليه جسمي المثقل . فاشعر أنه يرحب بي ويلذ بوجودي فيغفل البحار والنسمات والرمال والاشعة ليلتفت اليّ . ويقبل عليّ

اسرح آمالي لديه على تموجات الارواح . وانشر آلامي واحزاني على نغمات الامواج . تسافر بي خيالات الحياة الى شواسع الآباد ويقف بي البؤس على عتبات الغيوب . فاطوي كشحاً على الضعف والعجز . وتسقط بي الحقائق جملة على حضيض

المادة كما يحدر النسر اصيبت مقاتله

تتوقف الآمال عند حدود الامكان فتنفذ البدوات وتضيق الحدود فيطيح الزمان بالآمال

تطفر بوادر المستقبل كما يتطاير الشرر لكنها لا تلبث حتى تستقر فهناك الرماد والعدم

لا تيرني بوارق المنى حتى تبتلعها مهاوي الظلمات ولا يفسح لي البحر صدره الرحيب حتى تقرني الذرة في زوايا سجنها الضيق . والقلب يخفق يأساً . والصدر يتنفس شقاء . والعوامل تتلاشى تعساً

* * *

الصخر متربع على بساط الرمل لا يدي ولا يعيد

باكرته مرة وقد اكتحل جفن المشرق بمورود الفجر فالفيت الليل قد كلل جبينه بالندى ذارفاً عليه دموع الكون التي صعدتها الشمس الى اجفان الصباح . ثم طلعت ربة النور تضاحك الاكوان فما تناولت اشعتها هذه القطرات . ولا تسربت حرارتها الى هذه الدمعات

حرت بالصخر وحار الصخر بي . نظر اليَّ بلا عينين ونظرت اليه بعينين جامدتين . لبث هادئاً هامداً ولبثت حانياً متوجماً . رأيت القطرات ترشح منه فايقنت انها دموعه صاعدة من جوفه . اقلبت عنه وقد طاشت حصاتي وتناولني الوجوم والذهول الا انني وجمت وذهلت لاني رأيت الصخر يبكي . .

خليل شيبوب

نصيحة

لعلي بن ابي طالب

قال علي بن ابي طالب لابنه الحسن : يا بني احفظ عني هذه الثمانية خصال لا يضرك ما عملت بهن شيء — اغنى الغنى العقل واكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب واكرم الحب حسن الخلق واياك ومصاحبة الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك واياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب لك البعيد ويبعد عنك القريب واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه واياك ومصادقة التاجر فانه يبيعك بالتافه اليسير

اصل التزوير وتنويعه

بقلم نجيب بك هواويني

التزوير لغة مصدر زوّر ومعناه التمويه والتلبيس . ومن ذلك زوّر بمعنى كذب ، وزوّر الشهادة أبطلها ، وزوّر الكتاب أفسده بإدخال التحريف عليه

والتزوير اصطلاحاً هو تدرج طالب لامر يبغيه على أسلوب يوهم انه محقّ به . وليس المراد بذلك أن المزور على حق فيما يدعي بل أن يدار الحق معه . والحق في نظر المزوّر هو ما وافقه خفياً كانت له مصلحة فهناك يرى الحق

فالتزوير اذن انما هو تغاير بين ظاهر وباطن في أمر للخروج بالحقيقة فيه من وجهها الشرعي الى وجه غير شرعي . وما التزوير الا افساد الصالح وتضليل العقل ، وعلى الجملة فهو وسيلة لاغتصاب الحق واهتضامه . والتزوير اربعة انواع هي هذه :

اولاً تزوير الانسان على الانسان . ثانياً تزوير الانسان على الحيوان . ثالثاً تزوير الحيوان على الانسان . رابعاً تزوير الحيوان على الحيوان . وكل منها يجيء في شؤون كثيرة وسنأتي على بعضها للتمثيل

﴿ تزوير الانسان على الانسان ﴾ منه أن يوقع احد باسم ليس باسمه لكي يجرّ على صاحب ذلك الاسم ما اراد له من شر

ومنه ما ذكر عن بلقيس قالوا انها عرضت على سليمان زهراً حقيقياً وزهراً صناعياً وهما على بعدٍ منه لا يتمكن بقوة النظر أن يميز بينهما . وسألته أيّ هو الحقيقي وأيّ هو المزور ، فلما التبس عليه القضاء بينهما امر بان تفتح نافذة مطلة على حديقة ففتحت وكان في الحديقة نحل فجاء الى الزهر الحقيقي دون الصناعي ، فلما رأى سليمان أن النحل حام على احد النوعين عرف انه هو الحقيقي وأن الآخر هو المزور

ومنه ما يحكى عن الفيلسوف سفيروس وبطليموس الرابع الملقب بفيلوباتر Ptolemée IV Philopater ملك مصر المتوفى سنة ٢٠٤ قبل الميلاد عقب أن جرى بينهما كلام في البصر وما يجوز عليه من الصور المموهة . فانكر الفيلسوف ذلك وزعم

أن العين لا تقبل التمويه ، فلما كانا على الطعام أمر بطلميوس أن يوضع على الخوان رمان مصنوع من الشمع الملون ، فما عتم الفيلسوف أن مدّ يده وتناول واحدة من ذلك الرمان وهمّ بأكلها (١)

ومثل ذلك ما رواه لمبريديوس عن هليوجبل Heliogabale أحد قياصرة الرومان في القرن الثالث للميلاد أنه كان أحياناً يفاكه مدعويه فيضع أمامهم صحافاً فيها اطعمة من الشمع تمثل الطعام الذي في صحفته فلا يفطنون لذلك حتى يمدوا أيديهم ويتناولوا من تلك الاطعمة . ولدينا في هذا الزمن كثير من مثل ذلك الرمان وتلك الاطعمة المقلدة

وقد تفننوا اخيراً في التقليد تفنناً عجيباً فهم يصنعون من الشمع والحجر والصلصال وغيره جميع انواع الازهار والفواكه يزينون بها الهياكل والمنازل ، ويمثلون الاشياء الطبيعية بحيث لا تعرف بمجرد النظر بل تجوز على بصر اكبر الفلاسفة ولا تدرك حقيقتها الا اذا تناولتها الايدي والافواه . بل أنهم قد بلغوا في هذه الصناعة النفيسة نهاية الاتقان والابداع وانشأوا من مصنوعاتها عدة معارض ومتاحف مثلوا فيها اشهر الاشخاص والوقائع التاريخية . منها متحف تسود Tusseaud في لوندرا . ومتحف جريفين Grevin في باريس وفي كل منهما ما لا يحصى من التماثيل التي تشبه بهيئاتها وملابسها أشخاصاً حقيقيين فيتوهم الناظر اليها انه يرى تلك الاشخاص باعيانها

ومن بدائع التماثيل تمثال مرمري في متحف بنيويورك يمثل امرأة ملثمة بنقاب شفاف مضلع الحبك يتوهم الناظر اليه انه من نسيج حقيقي وضع على وجه التمثال ولا يدرك حقيقته الا اذا اقترب منه ولمسه او حدّق به . ومنه أن القواد ما برحوا يزورون الاخبار لكي يثيروا حمية الجنود الذين بقيادتهم . ومنه ما يحكى عن نابوليون انه كان مرة في حربه مع النمسا في قلعة متاخمة للعدو وليس في القلعة من الجند الا عدد يسير ، فاقبل العدو بجيش كثيف وبعث الى ولي القلعة برسالة يوعز اليه أن يسلمه القلعة ومن فيها حقناً للدماء . فوصل الرسول بالرسالة ووقف عليها نابوليون فأمر بالباس عدد كبير من ضباط جنده أثواب المشيرين (المارشالية) ثم احضرهم مجلسه وامر بأن يؤتى بالرسول الى حضرته فأدخل عليه ، ورأى الرسول الامبراطور نابوليون على عرش وحوله أولئك القواد العظام . فأدى الرسالة كما أمر بها ، فاجابه

(١) هذه القطعة والقطعتان التاليتان مأخوذة من مقالة للشيخ ابراهيم اليازجي

نابوليون : انظر الى من حولي تر قواد الجيوش الفرنسية كلها ، فاذهب وأخبر رئيسك أن نابوليون مرابط بجيوشه كلها ، فان لم يسلم اليَّ جيشه بعد ساعة صبت عليه النار من كل جانب ، وعاد الرسول وانبأ مرسله ونجحت المكيدة التي هي ضرب من التزوير فأسر نابوليون جيش العدو بدون سفك دم

ومنه ما يكون في المعنويات والمحسوسات على تعددها ، فلا يخرج اغتصاب معنىً من وجه الى آخر عن أن يكون تزويراً ، وكذلك استعمال محسوس لغير ما وضع له وان قيل ان الخروج باستعمال المحسوس من شيء الى آخر قد يأتي بما يُثنى عليه كالخروج بالجرثوم من أنه باعث العلة الى أنه مسبب المانع لقبول العلة كما هو شأن التلقيح بموانع العلل ، قلت وكذلك الشأن في المعنويات

ومنه ما يكون في الكلام ويعد من شؤون الخطابيات ، فيقول الخطيب قولين متناقضين ، والى ذلك اشار الشاعر في قوله

أقول هذا مجاج النحل امدحه وان هجوت أقل قيء الزنابير

ومنه نقل المعنى من وجه الى آخر ، فقد كان بنو أنف الناقة يعابون بهذا اللقب فشرفه الحطيئة العبسي بقوله

قومٌ هم الانف والاذناب غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

ومنه النوع البديعي المدعو اسلوب الحكيم وهو حمل الكلام على خلاف مراد قائله ، ومن امثلته ما دار بين الحجاج بن يوسف الثقفي والقبعثرى ، فان الحجاج تهدده بقوله : والله لاحملنك على الادهم (يريد القيد) فاجابه القبعثرى : مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب . فنقل الادهم من صفة القيد الى صفة الجواد ، والتهديد بالعقوبة الى التبشير بالمثوبة . فقال الحجاج: اردت الحديد (بياناً لحقيقة الادهم) فأجابه القبعثرى : هو خير من البليد . فنقل الحديد من أن يكون نوعاً من المعادن الى انه صفة تدل على النشاط . وهذا من عجيب التزوير الدال على قوة عارضة وحدّة بصيرة في آداب اللغة

ومنه ما يروى عن اسماعيل باشا خديوي مصر ، انه غضب مرة على رجل اسمه رزق بك ، فلجأ هذا الى رفاعة بك الشهير ليتوسط له بالعفو عنه فأخذه رفاعة بك الى سموه فلما رآه قال له : من هذا يا رفاعة بك . فاجابه : هذا رزقٌ ساقه الله اليك . فعفا عنه لهذه التورية أو التزوير الادبي

ومنه ما يكون في العقود فيعقد البائع صفقة على شيء وهو ليس له . رجاء أن يجيز صاحب المال عمله فتقوم الاجازة اللاحقة مقام الوكالة السابقة وهو ما اقره الشرع

﴿ تزوير الانسان على الحيوان ﴾ من تزوير الانسان على الحيوان أن يعمد راعي البقر الى الثور فيضربه ضرباً شديداً ليحمل البقر على شرب الماء أو قطع نهر سباحة فيوهم البقر أنه سيوقع عليها ضرباً اليماً ان امتنعت عما يريده والى هذا أشار الشاعر الجاهلي بقوله

اني وقتلي سُليكاً ثم اعقلَهُ كالثور يضرب لما عافت البقرُ

ومنه أن البقرة الحلوب ينقطع لبنها متى اخذ عجلها منها فلحفظ لبنها داراً يؤتى بجلد عجل محشو تبناً أو ورق ثمام (نبت ضعيف) يسمونه البوّ فيلمس به جسم البقرة فيظل لبنها داراً

ومنه تقليد الانسان اصوات الحيوانات فاذا قلد الكلب في هراشه مثلاً استفز الكلاب للهراش لانها لا تميز بين صوته ونباحها . ومنه الخيال الذي ينصبه الانسان في البساتين ذات الاشجار والحقول ذات الزروع فيخال الطائر والحيوان أن هناك شخصاً راصداً فينفر خشية من اذية تمسه منه ، والفلاحون في الصعيد يسمون ذلك الخيال سبع المقات ويضربون به المثل لمن يوهم ظاهره أنه على شيء من العلم وهو خال منه فيقولون فلان كسبع المقات

ومنه ما يحكى أن البخاري واضع كتاب الاحاديث النبوية بلغه خبر رجل ثقة في الحديث النبوي فقصده ليأخذ عنه . فرآه واضعاً شعيراً في حجره ، فسأله عن سبب ذلك فاجابه جمح حصاني واريد امساكه ، فعلم أنه مزور على حصانه ولم يأخذ الحديث عنه

﴿ في تزوير الحيوان على الانسان ﴾ منه ما يروى عن الحجل فانه ينقلب بطناً لظهر حتى يكون لونه لون الحجر أو الثرى ليزوّر على الصياد حقيقة حاله . والنعامة اذا تعقبها الصياد أخفت رأسها تحت جناحها متوهمة أنها بذلك تلبس عليه امرها لانها لا تعود ترى شيئاً فتظن أن غيرها لا يراها . وناهيك بالحرباء فانها يضرب بها المثل لكثرة تلونها وهي تجعل لون جسدها مماثلاً للون ما تقف عليه من تراب أو حجر أو شجر أو غير ذلك ويخلق بنا عند ذكرها أن نسميها أكبر اهل التزوير

﴿ في تزوير الحيوان على الحيوان ﴾ منه مما يروى عن الذئب أنه يتماوت حتى يطمع ابن آوي برمته فيدنو منه فينهض الذئب ويفترسه

ومنه العصفور المكسيكي الذي يدعى عصفور النحل ينشر ريشه فوق رأسه على شبه زهرة جميلة . فتغتر النحلة به وتأتي لتمتص العسل من الزهرة فيلتقطها بمنقاره ويأكلها

نجيب عواويني

نوع من المراسلة

[الهلال] وقفنا على هذه الرسالة التي بعث بها شاعر القطرين خليل مطران يعزي صديقه العالم الملم الذي له السبق في دولة القلم الشيخ عبد العزيز البشري بوفاة المرحوم والده الشيخ سليم البشري شيخ الاسلام في الديار المصرية فأردنا ان نتحف بها قراءنا . قال :

ايها الاستاذ العزيز

ما كان اجدرني وانا بحيث اقربت نفسي من ودادك ان ابتدرك بالتأساء . واقوم الى جانبك مشاطراً اياك جزع الرزيئة وألم البأساء . ولكن امراً خاصاً نابني فعاقني عن اداء واجب التعزية لك كما تعوق ذا النجدة جذوة النار وقد لذعته واشتد به وجعها عن النهضة لمشاركة صديقه في مصابه ولو ان مصاب صديقه قد شمل البلاد وشغل العباد

على اني كنت وانا في عجز عما يتقاضاني لك الوفاء أنظرك بعيني قلبي فارى العلم يباكيك والفضل يشاكيك في خطبك الاليم بوالدك العظيم وناهيك بالخطاب شاطرك المشرقان احزانه وقاسمك الخافقان اشجانه بل ناهيك بالخطب جزع لهوله الاسلام وما اجدره بالجزع على من كان قلبه سمحاً سماحة الشرع الشريف واسفت من جرائه النصرانيــة وما اخلقها بالاسف على من كانت محامده كالقيرات في سماء الخلق المنيف

فاما ولي من العذر ما قد تقدم بالذكر فاني لارجو أن يكون لدى اخائك مقبولا ثم اني لادعو الله ان يتغمد وحيد الدهر المغفور له والدك الجليل بالرحمــة والرضى عداد فضائله وحسنت عند الله شفيعاً انه كان خيراً مجيباً وخيراً سميعاً

خليل مطران

مجنون من ... ؟

— ١ —

الزواج هو الحب والحياة !

مجنون من لا يحب ويتزوج !

* * *

ها أنا جالس أمام موقد النار

زوجتي بجانبي مضطجعة على مقعد من المخمل الاخضر

عيناها البراقتان تنظران الي ّ بانعطاف

ينبعث منهما بريق ينير اعماق نفسي .

نظراتها ريشة عود تضرب على اوتار قلبي

وجنتاها جمرات النار الملتهبة امامي

خداها يلمعان من اشعة النار فاخال اللمعان ناتجاً عن انعكاس اشعة العيون

شعرها الطويل كغمامة سوداء على رأس جبل ابيض

قلبها الرقيق يخفق بالحب الصامت السامي

اسمع نبضاته المتوازنة فاخالها نغمات موسيقى تملأ فضاء روحي

ما أشد حرارة ذلك القلب ! من اين لهذه الجمرات المشتعلة مثل هذه الحرارة المنعشة القوية ؟

عاذا اشبهه ؟

أأشبهه بالذهب ؟

لكن من أين للذهب الوهاج ما لقلبها من الحرارة والنور ؟ أراها تبتسم ! — أتشعر بما لهذه الابتسامة من التأثير في أعماق قلبي ؟ لقد انفصلت شفتاها الرقيقتان.. ليتها لا تتكلم فاظل معتقداً انها صنم جميل واني مجوسي احرق النار امام المعبودة المحترمة

ها طفلها قد استفاق باكياً . انني شديد الغيرة حتى من ابننا الطفل
لقد ذهبت تهتم به . ما اطول هذه الثواني ! لماذا لا اتبعها الى غرفتها ؟
فانا أشد احتياجاً اليها من الطفل - انا طفلها البالغ الرشد -
لا حاجة لجمرات النار فالحرارة والنور حيث تكون هي
أين أصرف هذا المساء - ؟ وهل في العالم كله مكان آخر أجد به حياة لنفسي ؟ لقد أقفلت محل أشغالي باكراً لآتي سريعاً الى البيت حيث أجد سعادتي وحياتي
اهذا هو الزواج ؟ أهذه هي بركة الحب ؟
اذاً فالزواج هو الحب والحياة !
مجنون من لا يحب ويتزوج !

— ٢ —

الزواج هو الشقاء والتعاسة !
مجنون من يتزوج ليشقى ويتعس !

* * *

ها انا جالس بجانب موقد النار
زوجتي متكئة على مقعد خشبي قديم
انها لا تزاحمني على الجلوس بجانب النار التي تكاد تنطفىء وغلاء الوقود الفاحش يمنعنا عن مشترى فحم لهذا المساء
ما أشد هذا البرد القارس !
نظراتها تزيدني برداً
عيناها الضعيفتان تذبلان قبل انطفاء هذه الجمرات
جبينها متجعد تحت أثقال الايام وعذاب الدقائق التي تمر بالجدال والخصام
تخالها في الخمسين مع انها لم تبلغ العشرين
نبضات قلبها المضطرب دقات حزن تذكر بالموت

انقبضت عضلات فمها الى حد انها لو شاءت أن تبتسم لا تقدر

وجهها العابس كجبل ناري وشعرها الاسود المشوه كدخان يتصاعد من رأس ذلك الجبل

يالها من « شيء » تافه ! أتراها تشعر بشدة كرهي لها ؟ ويلاه ! أتراني أشعر بشدة احتقارها لي ؟ لقد ضربتني أمس ولا أزال اشعر بالم في ذراعي

اريد أن اقضي المساء عند احد معارفي . لكن نظراتها الوحشية تهددني بهبوب العاصفة فلن افعل

لقد كنت آخر رجل اقفل دكانه . ايتها السماء ! متى يطلع الصباح فاسرع الى محل اشغالي

ليت طفلتها تفيق الآن باكية فتقوم هذه التاعسة عني

لماذا نسكن معاً في هذا البيت الفارغ من كل شيء سوى « انا وهي »

ما الذى يربطنا معاً ـ الشقاء ؟ الفقر ؟ التعاسة ؟

كلا ـ . . . الزواج !

رباه ـ اذا فالزواج هو الشقاء والتعاسة ؟

مجنون من يتزوج ليشقى ويتعس ! توفيق مفرّج

اقوال في الزواج

لا تتزوج بغير حب . ولكن اذا تزوجت تأكد أولاً ان من تحب هو جدير بالمحبة ـ پن

تزوج ابنة والدة صالحة ـ فولر

من تزوج على عجل ندم على مهل ـ كونجريف

يكوّن نصف خلق الرجل قبل الزواج والنصف الآخر بعده ـ سيمونز

الزواج في نظر الرجل نهاية واما في نظر المرأة فانه بداية ـ ديبوي

الرجل الذي يتزوج امرأة فوق مرتبته فقد باع حريته ـ ماسنجر

متى يتزوج الرجل والمرأة تنتهي روايتهما ويبدأ تاريخهما ـ روشبرون

كتاب « الاموال »

١ ـ المؤلف

من مخطوطات المكتبة الظاهرية في دمشق كتاب نفيس اسمه (كتاب الاموال) تأليف ابي عبيد القاسم بن سلام الازدي المتوفى سنة ٢٢٣ هـ . وقد اشتغل المؤلف بالادب والحديث والفقه ، وكان متقنناً في العلوم الاسلامية والاخبار وتولى القضاء في طرسوس وألف بضعة وعشرين كتاباً في الدين والفقه والادب منها كتاب (الاموال) المذكور

٢ ـ فقد الكتاب

ان كتاب (الاموال) فقد منذ زمن طويل بدليل أن اصحاب المعاجم المتأخرين لم يذكروه في كتبهم ، ولكن توفقنا ولله الحمد الى الوقوف على نسخة كاملة من الكتاب المذكور في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم (٣١٠) من قسم الحديث . ونظن أن هذه النسخة هي الوحيدة الموجودة اليوم ويرجع تاريخ نسخها الى سنة ٥٦٧ [1]

٣ ـ وصف الكتاب

النسخة التي بين ايدينا تحتوي على (٢٧٠) ورقة بقطع الثمن مجلدة تجليداً قديماً وهي غفل من التنقيط الا اقلها خطها قديم ويرجع تاريخ نسخها الى سنة ٥٦٧ بدليل ما جاء في آول وآخر كل جزء من اجزائها اذ يقول الناسخ في اول الكتاب : (سمع جميع كتاب الاموال لابي عبيد القاسم بن سلاّم الازدي على الكاتبة فخر النساء شهده بنت احمد بن الفرج بن عمر الابري في مجالس آخرها في سنة ٥٦٧)

وهذه النسخة منقولة عن نسخة أخرى قديمة كتبت سنة ٢٨٩ حيث يقول الناسخ في آخر صفحة من الكتاب : « هذا آخر كتاب الاموال لابي عبيد القاسم

---

(١) [الهلال] ذكر صاحب السعادة البحاثة احمد تيمور باشا في مقالته «نوادر المخطوطات» المنشورة في السنة الماضية من الهلال انه توجد نسخة اخرى من هذا السفر النفيس في مصر في خزانة الاستاذ السقاء وفيها ايضاً ذيل الكتاب لعلي بن ايوب المقدسي بخط مؤلفه

ابن سلاَّم الازدي وكتبه ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي سنة سبع وستين وخمسمائة نقلاً عن نسخة كتبت سنة تسع وثمانين ومايتين بخط صخر ابن احمد وكانت صحيحة جداً »

والكتاب تام غير ناقص وهو مقسم الى كتب (فصول) وكل كتاب مقسوم الى اجزاء ومجموع الكتب التي يحتويها كتاب الاموال هي عشرة والابواب (٩٠). والنسخة الموجودة مفرقة الى اربعة عشر جزءاً ، وانني اعتقد أن تقسيم الاجزاء واقع من الناسخ ، وهذه الاجزاء كلها في مجلد واحد

وقد جاء في اول صفحة من كل جزء وآخره ما يلي :

« اخبرتنا شهدة بنت احمد بن الفرج بن عمر الابري في شهر كذا من سنة ٥٦٧ قالت اخبرنا النقيب ابو الفوارس طراد بن محمد بن علي بن الحسن الزيني قال ابو الحسن احمد بن علي بن الحسين بن الهيثم بن طهمان بن البادي (كذا) قال ابو علي بن حامد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن معاذ الهروي قال علي بن عبد العزيز البغوي قال حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام . . . »

ونجد في اول صفحة من كل جزء فهرستاً لمحتوياته يظهر من خطها انها كتبت حديثاً وقال في اوله « مجموع ابواب الكتاب ستة وثمانون باباً » والصحيح (تسعون بابا) ، لان الكاتب اغفل ذكر بعض الابواب

٤ ـ ابحاث الكتاب

يبحث الكتاب عن مالية الدولة الاسلامية وتاريخ نشأتها كل ذلك بادلة تاريخية يسندها الى رواة وفي الكتاب طائفة من الكتب التي ارسلها النبي والخلفاء الى الملوك والقبائل والعمال وأحاديث وغير ذلك مما يندر وجوده في غيره من الكتب

وقد اردنا ان ننشر صفحة منه للدلالة على ابحاثه، الا اننا اخترنا نشر الفهرست، وبه تتضح أهمية هذا الكتاب

فهرس الكتاب

الجزء الاول : مذكور فيه من الابواب تسعة

١ ـ باب حق الامام على الرعية وحق الرعية على الامام

٢ ـ « صنوف الاموال التي تليها الائمة للرعية وأصولها في الكتاب والسنة (كتاب الفي ووجوهه وسبله)

(كتاب مخارج الفي ومواضعه التي يصرف اليها ويجعل فيها)

الجزء السادس : مذكور فيه من الابواب تسعة وبعض باب

(كتاب احكام الارضين في اقطاعها واحيائها وحماها ومياهها)

الجزء السابع : مذكور فيه بعض باب وستة ابواب

(كتاب الخمس واحكامه وسننه).

الجزء الثامن : مذكور فيه سبعة ابواب

وغسل الجنابة مع جميع ما جاء ذكره في الحديث من الكاييل كلها
(جماع ابواب صدقة الاموال التي يمر بها على العاشر من أهل الاسلام والذمة والحرب)
٧٤ ـ باب ذكر العاشر وصاحب المكس وما فيه من الشدة والتغليظ
٧٥ ـ باب ما يأخذ العاشر من صدقة المسلمين وعشور اهل الذمة والحرب
٧٦ ـ « العشر على بني تغلب وتضعيف الصدقة عليهم

الجزء الثالث عشر : مذكور فيه ثلاثة ابواب

(جماع ابواب مخارج الصدقة وسبلها التي توضع فيها)
٧٧ ـ « ذكر أهل الصدقة الذين تطيب لهم أخذها وفرق ما بين من تحل له الصدقة او تحرم عليه
٧٨ ـ « ادنى ما يعطى الرجل الواحد من الصدقة وكم اكثر ما يطيب له منها
٧٩ ـ « دفع الصدقة الى الامراء واختلاف العلماء في ذلك

الجزء الرابع عشر : مذكور فيه من الأبواب احدى عشرة

٨٠ ـ « تفريق الصدقة في الاصناف الثمنية واعطائها بعضهم دون بعض
٨١ ـ « دفع الصدقة الى الاقارب ومن يكون لها منهم موضعاً او لا يكون
٨٢ ـ « اعطاء المرأة زوجها من صدقة مالها
٨٣ ـ « تعجيل الصدقة واخراجها قبل اوانها
٨٤ ـ « قسم الصدقة في بلدها وحملها الى بلد سواها ومن اولى بأن يبدأ به منها
٨٥ ـ « الرجل يخرج صدقته فتضيع او يدفعها الى غني وهو لا يشعر
٨٦ ـ « سهم الفقراء والمساكين من الصدقة والفصل بينهما في التأويل
٨٧ ـ « سهم العاملين على الصدقة والمؤلفة قلوبهم
٨٨ ـ « سهم الرقاب والغارمين في الصدقة
٨٩ ـ « « الغزاة في سبيل الله وابن السبيل
٩٠ ـ « اعطاء اهل الذمة من الصدقة وما يجري من ذلك مما لا يجري . اه

ونكتفي بهذا القدر من وصف الكتاب ومحتوياته . ولعل اصحاب الغيرة يهتمون بطبعه ونشره فتعم فائدته والسلام

دمشق الصحافي المحجوب

انواع الادب عند العرب

الادب اربعة : أدب لسان وادب جنان وادب زمان وادب ايمان . فادب اللسان الفصاحة والبلاغة وذكر ما صدر عن اربابهما . وادب الجنان الانقياد والسهولة والتزين بهما . وادب الزمان سيرة كبراء أهله في مخاطباتهم وتصرفاتهم وحفظ اخبارهم . وادب الايمان ما جاء به الشرع من المحاسن المكملة في الاخلاق والاقوال والافعال

احدى عجائب العلم

الفيزيوفون او الآلة التي تسمع الصم

يظهر ان عجائب هذا العصر الذي نحن فيه سلسلة لا تنهي فكل يوم نقرأ في صحف اوربا واميركا خبراً او تفصيلاً لاختراع جديد . وما خطر لنا أن العلم الحديث يمتع الاشخاص الصم بالالحان الموسيقية حتى قرأنا في احدى المجلات المختصة بالمخترعات



صم يرقصون وفقاً للرجات الكهربائية في أجسامهم

الكهربائية تفصيل اختراع بهذا الشأن تنقل به التأثيرات الصوتية الى الدماغ عن طريق الاعصاب العضلية الحساسة لا عن طريق العصب السمعي . وهو من أعجب وأغرب ما توفق اليه عقل مفكر . ويقول المخترع أنه تنبه الى ذلك من قشعريرة او رجة كهربائية شعر بها عند لمسه عرضاً أحد أسلاك التلفون فجعل يزاول نقل الرجات الكهربائية الصادرة بفعل الصوت الى العصب البشري حتى استطاع أن ينقل الكلام

والالحان بهذه الطريقة ويدع الدماغ يشعر بالاصوات كما لو اتت اليه عن طريق طبلة الاذن . واليك مجمل وصف اختراعه :

فاول ما فعله أنه نقل صوت الفونوغراف بواسطة سلك كهربائي يمر في طبلة الفونوغراف وطرف السلك في يدي مستقبل الصوت . ولاجل ذلك صنع طبلة الفونوغراف من الكربون بدل الطبلة العادية المصنوعة من مادة الميكا وملأ الفراغ الذي وراء الطبلة كريات كربونية . ثم وصل سلكاً وارداً من بطرية ذات ٦ فولتات بالطبلة الكربونية نفسها ثم وصل سلكاً آخر بالكريات الكربونية واطلق طرفه الآخر كما انه اطلق طرف سلك البطرية الآخر . فاذا امسك شخص بيمناه طرف أحد هذين السلكين المطلقين وبيسراه طرف السلك الآخر كان التيار الكهربائي يمر على هذا النحو : من البطارية الى الطبلة الكربونية ومن هذه الى كريات الكربون التي وراءها ومن هذه الى السلك الممتد منها الى يد الشخص ومن يده تمر في جسمه الى يده الاخرى ومنها الى السلك الاخر الذي يعود الى البطرية وهكذا تتم الدائرة

ومتى فهمت ذلك جيداً بقي أن تفهم كيف ينتقل الصوت . ولاول وهلة لا ترى الا أن تياراً كهربائياً دار فكيف ينتقل الصوت ؟ اليك التعليل :

من طبيعة كريات الفحم انها اذا كانت مضغوطة تقل مقاومتها لمرور التيار الكهربائي فيها واذا كانت قليلة الانضغاط تكثر هذه المقاومة . فاذاً تشتد الكهربائية او تضعف بقدر انضغاط الكريات الفحمية كثيراً او قليلاً . فمن أين يحدث انضغاط هذه الكريات ؟

لاحظ ان الطبلة التي تتصل بها ابرة الفونوغراف ترتج بحسب ارتجاجات الصوت. وبارتجاجها تضغط على الكريات الفحمية التي وراءها كثيراً او قليلاً بحسب الارتجاجات الصوتية المحدثة لها وباختلاف انضغاط الكريات الفحمية يختلف التيار الكهربائي السابق وصفه الذي يعبر في جسم القابض على طرفي التيار الكهربائي . فاذاً اختلاف شعور الشخص بذلك المجرى مطابق لاختلاف النبرات الصوتية التي تنقلها ابرة الفونوغراف للطبلة

ويقول المخترع ان الامر الذي يدهش هو ان هذا الشعور الذي أحدثه المجرى الكهربائي المحاكي بتنوعه لتنوعات نبرات الصوت في طبلة الفونوغراف ينقله العصب

فسيولوجياً الى الدماغ محاكياً للصوت . وبمزاولة قليلة يشعر الشخص انه يسمع الصوت نفسه ان كان لحناً فلحناً أو كلاماً فكلاماً حتى انه يميز الاصوات البشرية وأصوات الآلات المختلفة ولو كان بعيداً عن الفونوغراف بحيث لا يسمع صوته باذنيه

قال المخترع : وقد جعلت الفونوغراف في غرفة ومددت السلكين الى غرفة أخرى بعيدة بحيث لا يسمع فيها صوت الفونوغراف . وجعلت في هذه الغرفة آلة (كآلة التلفون تسمى البوق الصائت) تعيد الصوت . فاذا وصلت السلكين بهذه الآلة سمع الصوت طبعاً ثم مددت السلكين منها ودعوت أشخاصاً لاجراء الامتحان فامسك بعضهم بطرفي السلك فاذا كان التيار الكهربائي ماراً بالبوق الصائت سمعوا الصوت ولكن اذا قطعت التيار عن هذا البوق وحوّلته الى الشخص القابض على طرفي السلك لم يعد البوق الصائت يعيد الصوت ولكن الشخص يبقى يشعر بسمع الصوت ويستمر وقعه في ذهنه كما كان يسمعه من البوق الصائت . وكان في امكانه أن يغني مجارياً الغناء الذي يحس به أو يصفر صفيراً موافقاً لذلك الغناء

ولا يخفى أن أعصاب الناس تختلف ولهذا لا يتساوون بهذا الشعور ولكن ثبت بالاجمال ان الاشخاص الذين كان الذوق الموسيقي ضعيفاً فيهم كانوا يميزون الاصوات الموسيقية

وفي امتحان آخر أبدل المخترع بوقاً محتوياً على جهاز كجهاز طبلة الفونوغراف وجعل شخصاً يغني بازاء هذا البوق كانه يقوم مقام أبرة الفونوغراف فانتقل صوته على نحو ما تقدم كما انتقل صوت الفونوغراف

وفي امتحان آخر أيضاً جعل ثلاثة ابواق كهذا البوق تستقبل الصوت من خزانة الفونوغراف وبذلك امكن ٣ اشخاص أن يحسوا بصوت الفونوغراف من بعيد بالطريقة الفسيولوجية التي نحن شارحوها . ولكن كان الصوت ضعيفاً بهذه الطريقة

ولكن ما الغرض من هذا الاختراع وما هي فائدته ؟ ليس الناس في حاجة الى أن تترجم الاصوات موسيقية أوغير موسيقية الى نظامهم العصبي بالطريقة الفسيولوجية! ولكن الصم اذا ترجمت الاصوات الى شعورهم العصبي انفتح لهم باب من أبواب مشاعرهم كان موصداً لهم ايصاداً ابدياً وكانوا في حسرة لانهم دون غيرهم خاسرون حاسَّة خطيرة الشأن . فليست مزية الاختراع في نقل الكلام الى أذهانهم لان الكلام أصوات اصطلاحية لا يفهمونها الا بمزاولة طويلة ولكن مزيته في نقل الالحان

الموسيقية الى شعورهم بحيث يمكنهم استلذاذها بعد مزاولة قصيرة جداً لان الانسان موسيقيٌّ بالوراثة الطبيعية

وليس المعنى من ذلك ان الاصم يسمع اللحن الموسيقي كما نسمعه نحن تماماً وانما يشعر بالوقع الموسيقي ويتأثر به تأثراً ساراً كما لاحظ ذلك المخترع . ومما لاحظه أن الاصم الذي كان يجرب الاختراع بمكان يقدر أن يميز بين لحن ولحن وبين آلة موسيقية وآلة أخرى

ولا غرو أن الاصم يجب ان يمارس السماع الفسيولوجي هذا ويزاوله متمرناً على الاصوات المختلفة لكي يتعود تمييزها في الحال . ذلك أمرٌ طبيعي لابدَّ منه لانه لو فرض ان اصمَّ عاد اليه سمعه فهل يستطيع أن يميز الاصوات والالحان حالاً . كذلك الاعمى لو أبصر لا يقدر أن يميز الاشياء والابعاد والالوان في الحال ما لم يتعودها تدريجاً . فلا بدع أن يستطيع الاصم أن يفهم جيداً جميع الاصوات بعد مزاولة السماع الفسيولوجي برهة . ففي أول الامر يجب ان يتمرن على الايقاع الموسيقي ونبرات الصوت . ثم يسهل عليه ان يميز بين أصوات البشر وأصوات المغنين وأصوات الآلات

والمخترع يتنبأ بامكان استعمال الصم جهازاً صغيراً تاماً من هذا الاختراع يحمله حيثما شاء حتى اذا وجه بوقه الذي يستقبل الاصوات الى من يخاطبه امكنه بواسطة الرجات الكهربائية أن يفهم كلام مخاطبه متى مارس تفهُّم الكلام

وقد تمادى المخترع في نبوءته وقال بامكان استخدام الاصم هذا الاختراع للرقص وذلك بان يكون الجهاز في السقف وتبلغ اليه أصوات الفونوغراف بواسطة أسلاك بينهما ثم يدلى من الجهاز أسلاك طويلة يقبض عليها الاصم حتى متى عزف الفونوغراف أدرك اللحن الموسيقي المرقص وجعل يرقص حسب وقع اللحن

حتى ان غير الصم يستطيعون أن يتمتعوا بالموسيقى من طريقين معاً طريق الاذن والطريق العصبي الفسيولوجي . وفي ذلك مضاعفة للذة والفائدة . وقد أجري امتحان من هذا القبيل اذ جعلت فيزيوفونات تستقبل الاصوات مواجهة للجوقة الموسيقية وثم مدت فيها أسلاك الى الحضور يمسكونها بايديهم فكانوا يسمعون الالحان باذانهم ويشعرون بها بواسطة اعصابهم

عش رجباً تَرَ عجباً

العائلة والمنزل

الدسبيبسيا

او عسر الهضم

يستعمل العامة — والاطباء ايضاً — هذه الكلمة للدلالة على امراض المعدة المزمنة بوجه الاجمال . وهي وان تكن لا تدل على مرض معين من امراض المعدة غير انه لا بأس باستعمالها لعدم وجود كلمة أصلح منها تفي بالمعنى المطلوب . فقد يدمن الانسان الخمر حتى يتلف غشاء معدته فيشكو من عسر الهضم ويقال انه مريض بالدسبيبسيا . وآخر يكثر من أكل اللحوم ويهمل الرياضة فتكثر الاملاح في دمه وهذه تؤثر على كل أعضائه ومنها المعدة فيقال انه مصاب بالدسبيبسيا . وثالث يتلف جهازه العصبي بكثرة اشغاله العقلية والبدنية ليلاً ونهاراً فيضعف هضمه ويقال انه مريض بالدسبيبسيا . وقد تكون المعدة سليمة وليس بها أقل ضرر غير ان ما بها من ضعف الهضم هو عرض من أعراض مرض في عضو آخر من الجسم فيقال عن هذه الحال ايضاً انها دسبيبسيا . فيتبين لك من ذلك ان الدسبيبسيا مختلفة الانواع والاسباب . وبناء عليه يمكننا ان نقسم الدسبيبسيا او عسر الهضم على وجه الاجمال الى قسمين : الاول الدسبيبسيا الناتجة عن مرض المعدة ذاتها والثاني الدسبيبسيا الناشئة عن امراض في أعضاء اخرى من الجسم وما عسر الهضم في هذه الحال الا من أعراض ذلك المرض مع كون المعدة سليمة

ما هي أعراض الدسبيبسيا ؟ يشكو المصاب بها من ضعف الشهية وعدم الميل للاكل عموماً الا مأكولات خصوصية تعود عليه غالباً بالضرر . ويشكو عادة بعد كل أكلة من مضايقة وانتفاخ في معدته قد يكونان مصحوبين بحرقة او ألم مستمر (يدعوها العامة « حرقان في القلب ») ويكثر التجشؤ (التكرع) مع بعضهم وقد يتقيأون مواد حامضة محرقة في الزور والحلق . وعند مدمني الخمر من هؤلاء المرضى يكثر القيء صباحاً . وعلى الغالب يشكو المريض من امساك مستعص قد يتناوب مع أسهال خصوصاً اذا وصل التعب الى الامعاء . واذا استمرّ المريض على هذه الحال من دون معالجتها يضعف جسمه وتظهر عليه مظاهر ضعف العصب فيشكو من الالم في الرأس وتتغير اطباعه

الهيئة الى عكسها ويقل صبره على العموم ويشعر بتعب لاقل عمل عقلي وغير ذلك من الاعراض النورستينية التي تصحب غالباً الدسبيسيا

وقبل ان نذكر معالجة هذه الحالة يجب علينا ان نعرف سببها لتجنبه . فالنوع الاول أي الدسبيسيا الناشئة عن أمراض خارج المعدة يشفى بمعالجة تلك الامراض فاذا شفي منها الانسان شفي من الدسبيسيا أيضاً . وأهم هذه الامراض مرض الكبد والحمى الملاريا والزهري والسل وكثرة الاملاح في الدم والامراض الجلدية المزمنة والانيميا ومرض السكر وأمراض اعضاء التناسل في النساء والكلى وامراض الاسنان

اما النوع الثاني وهو الناشيء عن مرض في المعدة ذاتها فينتج غالباً ولا سيما في الشرق من كثرة الاكل والشرب . والمشهور عن الشرقي أنه يأكل ويشرب أكثر من حاجة جسمه . وكثرة الاكل والشرب تنتهي غالباً بتمدد في المعدة وهو من أكبر أسباب عسر الهضم . ومن اسبابه أيضاً كثرة ما نستعمله من المقبلات قبل الاكل او معه وما نضعه من البهارات في الطعام وما نتناوله من الماء المثلج . وكذلك الافراط في الخمر وشرب الشاي والقهوة والتدخين وأكل الحلويات الكثيرة خصوصاً في غير مواعيد الطعام — كما هو مألوف في الزيارات والحفلات العمومية — وعدم المحافظة على مواعيد الطعام وتعرض المعدة للبرد في الليل ولا سيما أثناء النوم

وقد أضافت نساء هذا العصر وعلى الاخص الآنسات منهن عوامل جديدة الى قائمة اسباب عسر الهضم بل قائمة العوامل المتلفة للمعدة طلباً لانحلال أجسامهن نخص بالذكر منها شرب الخل والاكثار من شرب الشاي وتقليل الاكل الى حد لا يتفق مع الصحة وتعاطي بعض العقاقير الشديدة الفتك بالمعدة وبالجسم وهي تعود عليهن باشد الندم

اما معالجة الدسبيسيا الناشئة عن مرض المعدة ذاتها فتختلف باختلاف الاسباب ونوع المرض ومزاج المريض فما ينفع المريض الواحد قد لا يفيد غيره . ولذلك يجب على المريض قبل كل شيء أن يراقب نفسه ويدرس حالة مرضه ليقف على ما في طريقة معيشته من الافراط او عدم الانتظام سواء كان في الاكل او الشرب او العمل الخ . وأول نصيحة نذكرها لمنع الدسبيسيا هي معالجة الاسنان فانها عندنا في المنزلة الاولى . وليس القصد من معالجة الاسنان جعلها صالحة للمضغ فقط فقد تصلح للمضغ ويكون بها مع ذلك تعب بسيط في عرف العامة ولكنه يؤدي الى متاعب

كثيرة في المعـدة . مثال ذلك انه قد يكون بين أسنان المريض سن واحد في حالة التلف او به خراج أو قروح في لحمته فينشأ عن ذلك عسرهضم شديد لان الخراج او الناسور في أحد الاضراس مهما يكن صغيراً وغير مؤلم قد يفرز مدة او صديداً يمتصه الجسم فيتسمم من جرائه مع مرور الايام ويكون ضعف المعدة من أهم نتائج هذا التسمم . ونذكر مثالاً لذلك ان أحد الاغنياء اصيب بعسر هضم شديد حار في علاجه الاطباء فذهب اخيراً الى اوربا للاستشفاء بمياهها المعدنية ثم عاد كما ذهب بدون أدنى فائدة ولم يتسن شفاؤه الا عن يد طبيب الاسنان اذ وجد تحت اضراسه خراجين صغيرين فبخلع الضرسين زال الخراجان وشفيت الدسبيسيا تماماً . هذا مثل من امثلة كثيرة اخرى يضيق المقام عن ذكرها فنكرر ضرورة فحص الاسنان عند طبيب ماهر قبل معالجة المعدة

وبعد معالجة الاسنان معالجة تامة يجب الالتفات الى ضرورة مضغ الاكل مضغاً جيداً أكثر مما تفعل عادة . فان جميع من عرفناهم لا يمضغون الاكل المضغ اللازم

ومما يجب على المصاب بالدسبيسيا الابتعاد عنه شرب الماء المثلج . ويجب عليه أيضاً الاقلال من شرب الماء على العموم وأثناء الاكل خصوصاً . وافضل ما يعمله من هذا القبيـل الامتناع عن شرب الماء بتاتاً أثناء الاكل . تلك عادة يسهل تعودها مع تمرين الارادة قليلاً . ويستعاض عن الشرب أثناء الطعام بتناول كاس ماء قبل ميعاد الاكل بساعة وباتباع هذه الطريقة يشعر الانسان براحة تامة بعد الاكل ويتخلص من الشعور بالانتفاخ الذي يضايقه بعد الطعام في ايام الصيف على الخصوص

وعند ما تستيقظ من القيلولة بعد الظهر لا تهرول الى شرب الماء كما هي العادة . فان ذلك الشرب يزيد ما بك من عسر الهضم بل اشرب فنجاناً من مغلي البابونج أو التيليو أو الشاي الخفيف فتشعر حالاً براحة في معدتك . ويستفيـد كثيرون من شرب هذا المغلي بعد كل أكل مباشرة

أما طعامك فتجنب فيـه ما تشعر بعده بتعب وابتعد خصوصاً عن البهارات والمقبلات وكذلك الحلويات فانها سريعة التخمر في المعدة . وافضل أن تأكل خمس مرات كل يوم كميات صغيرة من ان تأكل ثلاث مرات كميات كبيرة

واذا كانت وظيفتك تستدعي كثرة الجلوس وقلة الحركة فلا تنس انك في احتياج الى الرياضة البدنية المعتدلة يومياً في الهواء الطلق . خفف التدخين واجتنب الاماكن

المقفلة التي يكثر فيها المدخنون . اعتدل في شرب الخمرة والشاي والقهوة والافضل تركها بالمرة

حافظ على مواعيد الطعام وعلى مواعيد قضاء الحاجة . ويستفيد الكثيرون من تدليك المعدة (المسّاج) من اعلى الى أسفل بقبضة اليد مدة ربع ساعة في صباح كل يوم

ويحسن ان تأخذ كل صباح على عدة ايام (وخصوصاً اذا كنت تشكو الامساك) ملعقة صغيرة او ملعقتين من سلفات السودا مذوبة في نصف كأس ماء ساخن

هذا ما يسمح المقام بذكره في هذا الموضوع ورجائي ان يكون من مطالعته بعض الفائدة للقراء

الدكتور ميشيل سمعان

المشي على اصابع الاقدام

اسهل أنواع الرياضة البدنية واقربها

لقد اكثر الكتاب من الكلام عن الرياضة البدنية وبينوا فوائدها الجمة ومع ذلك نجد الكثيرين من الناس يقضون حياتهم من دون أن يعنوا بها او يلتفتوا اليها وهم يعتذرون عن ذلك الاهمال غالباً بكثرة الاشغال والمهام. هذا هو السبب الذي حمل احد الاطباء على التذكير بنوع من الرياضة سهل المنال كثير الفائدة تسهل معاطاته على كل واحد منا مهما تكن اعماله . قال : ان الانسان بمشيه الاعتيادي لا يحرك الا عضلات معينة من جسمه فاذا عود نفسه على المشي بضع دقائق في اليوم على اصابع قدميه حرّك عضلات واعضاء أُخرى قلما يتاح لها التحرك . ومن فوائد هذا المشي انه يقوم السلسلة الفقرية والعنق ويساعد على التنفس الصدري العميق . فان الانسان اذا تنفس وهو واقف وقفته المعتادة على عقبي حذائيه تحرك القسم الاسفل من رئتيه فقط . اما اذا تنفس وهو واقف على اصابع قدميه فان التنفس يتناول مقدم الصدر. وهذا الفرق يمكن القارىء استبانته بتجربته الشخصية . هذه هي النصيحة السهلة التي قدمها ذلك الطبيب وقد وافقه عليها الكثيرون . فليجربها القارىء الكريم وليكرس دقائق قليلة كل اليوم المشي على هذه الصورة فيقوم ببعض الواجب عليه نحو جسمه وصحته

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء . فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا اصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي ان تذكر مع الاسئلة اسماء مرسليها على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بحرف او بكلمة عند النشر

الاحتضار

﴿ القناطر الخيرية . مصر ﴾ عزيز عزت

يقال ان كثيرين من المحتضرين يتألمون آلاماً شديدة فهل هذه الالام ناشئة حقيقة عن مفارقة الروح او هم لا يتألمون ؟

﴿ الهلال ﴾ لقد أثبت الطب الحديث ان الاحتضار في ذاته غير مؤلم ولكن الآلام تنشأ عن الامراض التي قد يكون المحتضر مصاباً بها . اما مفارقة الروح وكيفية ذلك فلا يستطيع العلم ان يقول فيه كلمة

العلوم الرياضية والطب

﴿ الجيزة . مصر ﴾ احمد الحيشي

تشترط مدارس الطب على من يريد الالتحاق بها ان يكون ملماً بالجبر والهندسة . فهل يراد بذلك مجرد التثبت من سعة المدارك او ان هناك تلازماً بين الهندسة والجبر من جهة والطب من جهة أخرى ؟

﴿ الهلال ﴾ لا علاقة مباشرة بين الطب وهذين العلمين وأنما المراد من ذلك الاشتراط ان يكون طالب الطب قد روّض عقله ومرّن ذهنه على الدقة والضبط المطلوبين في العلوم الرياضية

عملة تونس ومراكش

﴿ ريوجانيرو . البرازيل ﴾ جبرائيل ورود

هل توجد عملة خاصة لتونس ومراكش ؟

﴿ الهلال ﴾ كان لتونس قبل سنة ١٨٩٠ عملة وطنية قوامها القرش . ولكن فرنسا في تلك السنة غيرتها وصكت لتونس عملة مقابلة للعملة الفرنسية اي على حساب الفرنكات . والكتابة على تلك العملة منقوشة بالعربية والفرنسية

اما مراكش فلا تزال تعتمد على عملتها القائمة على القرش الفضي ولكن العملات الاخرى ولا سيما الاسبانية والفرنسية تسري فيها أيضاً

اسم النيل

﴿ بسيكريما . غينه الفرنسية ﴾ ش . شعيا

ما أصل اسم النيل وما اشتقاقه ؟

﴿ الهلال ﴾ ان كلمة « نيل » العربية مأخوذة عن اسم هذا النهر في اليونانية واللاتينية . اما اصل هذه الكلمة في هاتين اللغتين فغير معروف تماماً . ولما أتى العرب الى مصر وجدوا هذا الاسم فاحتفظوا به . وقد كان للنيل على زمن الفراعنة أسماء مختلفة غير اسمه الحاضر

عجائب العالم السبع

﴿ اطوا . كندا ﴾ جريس الصميلي

ما هي عجائب العالم السبع ؟

﴿ الهلال ﴾ هاك العجائب السبع التي اشتهرت عند الاقدمين :

(١) اهرام الجيزة

(٢) منارة الاسكندرية

(٣) حدائق بابل المعلقة

(٤) هيكل ديانا في افسس

(٥) تمثال جوبيتر صنع فيدياس في اوليمبيا

(٦) قبر أرتميزيا (المعروف بالموزوليوم) في هاليكرناس

(٧) تمثال ابولو في رودس (المعروف بالكولوسوس)

عاصفة غريبة

﴿ واشنطن . بنسلفانيا . الولايات المتحدة ﴾ ديب الياس

في يوم من ايام الخريف المقمرة حين كنت في قريتنا في سوريا سنة ١٩٠٨ حضرت الحادثة الآتية بنفسي : عند اول ظهور القمر من الشرق أخذت تتساقط من السماء حجارة وعظام واشياء مختلفة على الاهلين فتعالى الصياح وما لبث ان ازداد تساقط هذه الاجسام الغريبة على الناس ودام مدة طويلة . والغريب انه لم يصب احد باذى من تلك القذائف . فكيف تعللون هذا الحادث الغريب ؟

﴿ الهلال ﴾ ان تساقط اجسام غريبة من السماء ليس بالامر النادر الحدوث فقد رويت حوادث كثيرة من هذا القبيل بل كانت اغرب مما ذكرتموه . فمن ذلك انه في سنة ١٨٨٣ حدثت في اميركا زوبعة حملت آلة حديدية وزنها ٦٧٥ رطلاً مصرياً (الرطل المصري ١٤٤ درهماً) الى مسافة ٩٠٠ قدم . وفي مرة اخرى حدثت زوبعة اقتلعت برج كنيسة في اميركا ايضاً وقذفته الى بعد ١٧ ميلاً . وقد نشرنا في احد الاجزاء الماضية نبذة في هذا الشأن تحت عنوان « امطار غريبة فيها اسماك وضفادع ودود الخ ... » (راجع سنة ٢٦ صحيفة ٢٣٨) . فمن السهل اذاً تصور هبوب عاصفة شديدة تحمل معها حجارة واجساماً اخرى . أما تساقط العظام في الحادث الذي ذكرتموه فيعلل بهبوب العاصفة على مقبرة او نحو ذلك . واما عدم اصابة احد باذى فاذا ثبت ذلك فلا تعليل له الا المصادفة اذ لا يعقل أن يتلاشى زخم الحجارة وقوة سقوطها لسبب من الاسباب

اللبن الحليب

﴿ الريو كوارتو . الارجنتين ﴾ امين سركيس

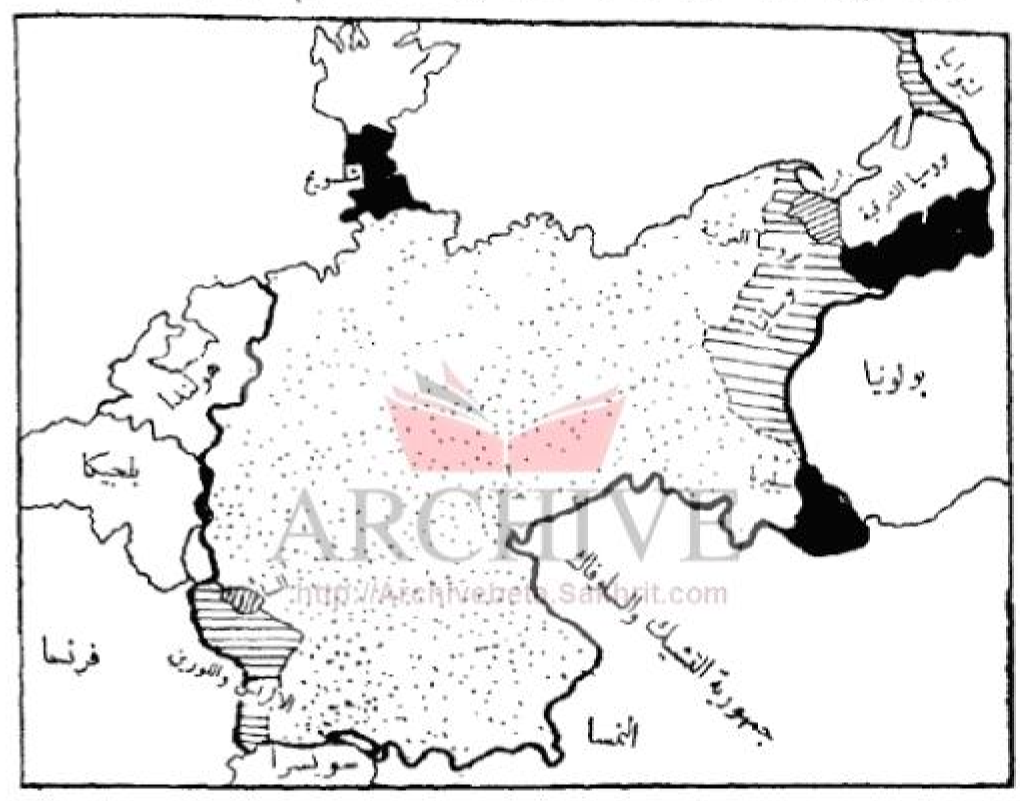
هل من ضرر من تناول الحليب ؟ فقد اطلعت في احدى الجرائد هنا على هذه الجملة وهي : « لا تتناول الحليب مطلقاً » فهل هذا صحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ ان اللبن الحليب هو بلا ريب أتم الاطعمة وأكملها لاحتوائه على جميع العناصر اللازمة للغذاء بالنسب المطلوبة . على أنه قد يكون ملوثاً فيسبب بعض الامراض . أما اذا كان مطهراً فلا خوف من تناوله

خريطة اوربا الحالية

وما استجد فيها من الدول بعد الحرب

يجدر بنا الآن وقد غيرت المعاهدات وجه اوربا أن نلقي نظرة اجمالية على تلك القارة لنتبين شكلها الجديد وما يختلف به عن شكلها القديم من دول استجدت



خريطة المانيا الجديدة : البقع السوداء هي التي يقرر مصيرها بالاقتراع والخطوط الافقية تشير الى الجهات المسلوخة

ودول اتسعت ودول بترت او قسمت الى غير ذلك من التغييرات الناجمة عن الحرب العالمية . على انه لا بد لنا من الاشارة الى انه لا تزال الى هذا اليوم مسائل معلقة لم يبت في أمرها ولكنها قليلة الاهمية لا تؤثر كثيراً في شكل اوربا الجديد

في الغرب

في الجهة الغربية من اوربا كان أهم تغيير ضم الالزاس واللورين الى فرنسا .

وتبلغ مساحتهما نحو ٥٦٠٠ ميل مربع وسكانهما ١٨٠٠٠٠٠ نفس . ولهما شأن كبير من الجهة الاقتصادية ففيهما مناجم فحم وحديد وبوطاس فضلاً عن الاراضي الزراعية في وادي نهر الرين الشهير . ويقدر عدد الالمان من أهلهما بنحو ٣٠٠٠٠٠ نفس حاز ١٢٠٠٠٠ منهم الجنسية الفرنسية . ولا تزال اللغة الالمانية منتشرة بين الاهلين فان اكثر من ثمانين في المئة منهم يتكلمونها . ومما يزيد قيمة تينك المقاطعتين ان نهر الرين يمر بهما وهو من أهم طرق المواصلات الى اوربا الوسطى

ونصت معاهدة فرسايل على انتزاع وادي السار من المانيا (وهو يقع قرب دوقية لكسمبرغ ومساحته ٧٠٠ ميل مربع) ووضعه تحت حكم لجنة من الحلفاء الى يناير سنة ١٩٣٥ اذ يخير الاهالي بالتصويت العام بين الجنسيتين الالمانية والفرنسية . على أن مناجم الفحم فيه تظل ملكاً لفرنسا

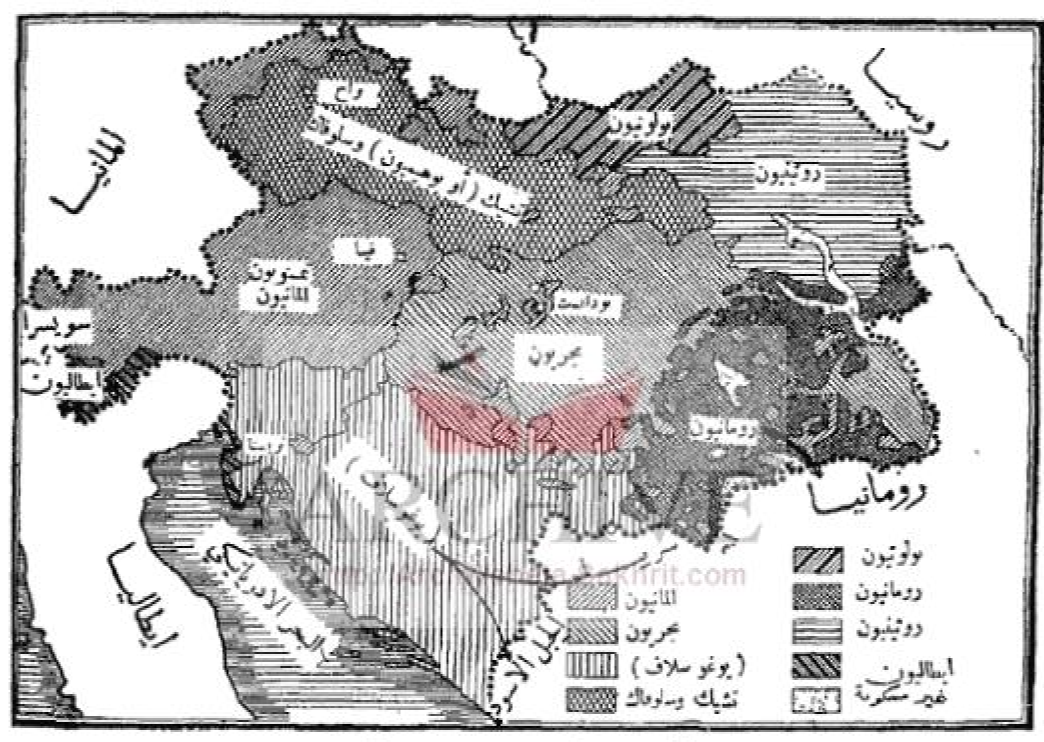
وقد ربحت بلجيكا ثلاث مقاطعات صغيرة وهي مقاطعات مورسنت واوبن وملميدي التي كانت تابعة لبروسيا . فان معاهدة فرسايل نصت على تخيير أهالي تلك المقاطعات في الجنسية التي يؤثرونها بتصويت عام في خلال ستة أشهر ابتداء من ١٠ يناير سنة ١٩٢٠ وقد تم هذا التصويت فكانت رغبة الاهالي الانضمام الى بلجيكا

ومع ان الدانمرك لم تدخل الحرب الاخيرة فقد جنت ربحاً غير يسير . فلا يخفى ان المانيا كانت قد انتزعت من الدانمرك في سنة ١٨٦٤ مقاطعة سلزويج . فقد نصت المعاهدة على تخيير أهالي تلك المقاطعة في مصيرهم وقسمت لاجل التصويت الى ثلاثة أقسام اختار القسم الاول وهو الاقرب الى الدانمرك الرجوع اليها . واختار القسم الثاني البقاء تحت الحكم الالماني . ولم تؤخذ الاصوات في القسم الثالث لانه لم يحتمل اختياره غير الجنسية الالمانية . وقد امضيت معاهدة بين الحلفاء والمانيا والدانمرك بتاريخ ٥ يوليو سنة ١٩١٩ تعين الحدود الفاصلة بين المانيا والدانمرك

اوربا الوسطى

ان أعظم تغيير طرأ على خريطة أوربا هو زوال الامبراطورية النمسوية المجرية وقيام ثلاث جمهوريات مكانها . وهي : تشيكوسلوفاكيا والنمسا وهنغاريا (وقد انضمت أجزاء اخرى من الامبراطورية الزائلة الى دول مجاورة مما سيأتي ذكره بعد) . وفيما يلي كلمة وجيزة عن كل من تلك الجمهوريات الثلاث

﴿ تشيكوسلوفاكيا ﴾ هي خليفة مملكة بوهيميا القديمة التي كان لها شأن كبير في التاريخ مساحتها ٦٠٠٠٠ ميل مربع وسكانها ١١٠٠٠٠٠٠ نفس وعاصمتها مدينة براغ . وقد أعلنت الجمهورية في تلك البلاد منذ ١٨ اكتوبر سنة ١٩١٨ وانتخب الدكتور مساريك رئيساً اولاً لها ولا يزال في منصبه . وهي من أهم المراكز الصناعية في اوربا (ولاسيما في الفحم والحديد وسكر البنجر ووسائل النقل) وخمسون في المئة من مساحتها أرض زراعية . وليس لهذه الجمهورية ميناء بحري

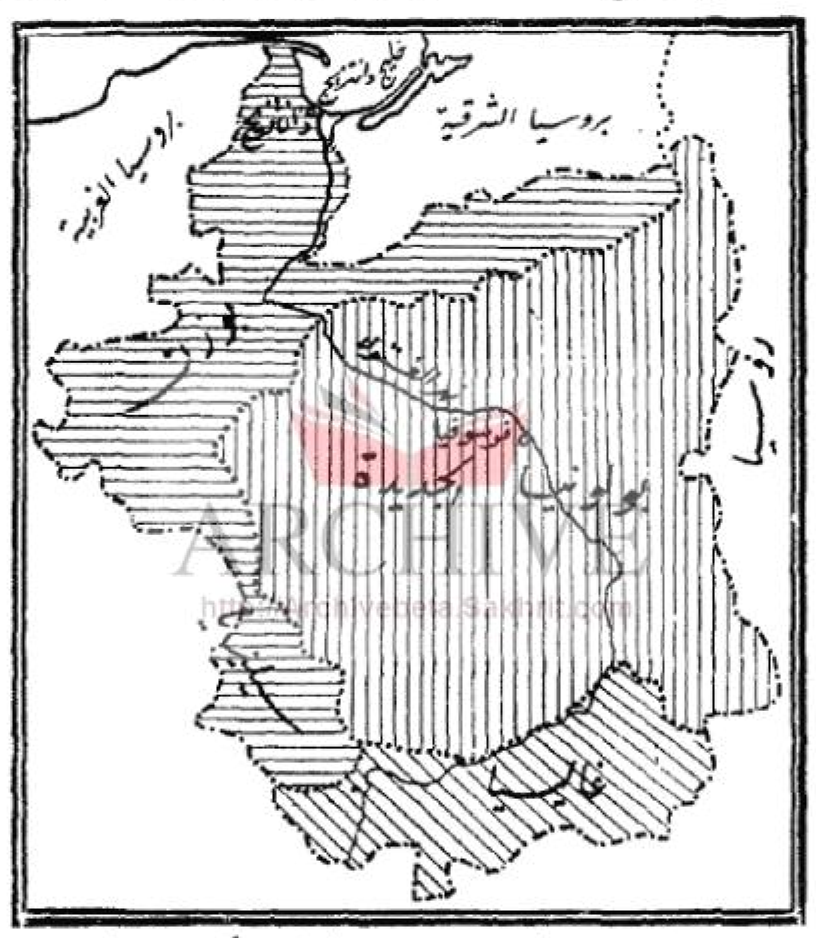


النمسا قبل الحرب باعتبار شعوبها المختلفة

﴿ النمسا ﴾ لقد قضت الحرب على الامبراطورية النمسوية المجرية فتقلص ظلها ولم يبق للنمسويين من ذلك الملك الواسع الا الجهات التي يقطنها الشعب النمسوي الصرف . مساحتها الآن ٣٠٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها نحو ٦٠٠٠٠٠٠ نفس وعاصمتها فينا . وقد فقدت النمسا بمقتضى المعاهدة النمسوية مقاطعة ترنتينو المنضمة الى ايطاليا ولكن أضيفت اليها قطعة صغيرة كانت تابعة لهنغاريا . وقد أعلن استقلال النمسا في ١٢ نوفمبر سنة ١٩١٨ وفي فبراير سنة ١٩١٩ انتخب مجلس وطني للنظر في أحوال

الامة . ولم يبق للنمسا الآن الا قليل من الاراضي الزراعية . ولكن فيها مناجم رصاص وزنك وغرانيت وملح . ومن أشهر مصنوعاتها الزجاج وسكر البنجر

﴿ هنغاريا ﴾ تبلغ مساحة الجمهورية الهنغارية أو المجرية اليوم ٤٥٠٠٠ ميل مربع وسكانها نحو ٨٠٠٠٠٠٠ وعاصمتها بودابست . وقد خسرت هنغاريا بمقتضى المعاهدة الهنغارية أراضي متسعة ضمت الى تشيكوسلوفاكيا من جهة الشمال والى رومانيا



بولونيا والاقسام التي تكونت منها : القسم المخطط افقياً سلخ من المانيا . والقسم المخطط عمودياً من روسيا . والقسم المائل التخطيط من النمسا

من جهة الشرق والى يوغوسلافيا من جهة الجنوب . ويقدر ما خسرته من أرضها الزراعية بنحو ٦٠ في المئة . وقد أعلنت في هنغاريا جمهورية اشتراكية في ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٨ ثم قامت فيها حكومة بلشفيكية لم تدم طويلاً ثم تألفت جمعية وطنية في يناير سنة ١٩٢٠ وانتخب الاميرال هورثي وصياً على الجمهورية

بولونيا

لعل اكبر مملكة خلقتها او بالحري بعثتها الحرب هي بولونيا فان مساحتها تبلغ ١٢٠ ٠٠٠ ميل مربع وسكانها ٢١ ٠٠٠ ٠٠٠ وهي مؤلفة من ثلاثة اشطار شطر الماني وشطر روسي وشطر نمسوي . ولا يزال الحد الشرقي من جهة روسيا وليثوانيا عرضة للتغيير . وقد قام جدال طويل بين بولونيا وتشيكوسلوفاكيا على حق امتلاك مقاطعة تشن الغنية بمناجمها الفحمية واخيراً عين الحدود مجلس السفراء في باريس بعد تفاهم الحكومتين صاحبتي الشأن . وقدجعلت مدينة دنتزيغ وهي منفذ بولونيا الطبيعي الى البحر ميناء حراً تحت حماية جمعية الامم وقد ضمنت المعاهدة لبولونيا حق استخدام هذا الميناء . ويفكر البولونيون الآن في بناء ميناء جديد خاص بهم . ولبولونيا ثروة طبيعية كبيرة ففيها الغلال والاخشاب والزيوت والملح . ويقدر الفلاحون فيها نحو نصف مجموع الاهلين

البلطيق

لقد انشئت على شواطىء البحر البلطيق اربع جمهوريات مستقلة كانت تابعة لروسيا ولكن سكانها غير روسيين وهي ابتداء من الجنوب الى الشمال :

(١) ليثوانيا مساحتها ٤٥ ٠٠٠ ميل مربع وسكانها ١ ٩٠٠ ٠٠٠ وعاصمتها مدينة كوفنو

(٢) لاتفيا مساحتها ٤٠ ٠٠٠ ميل مربع وسكانها ١٨٠٠٠٠٠ (عاصمتها ريغا)

(٣) استونيا مساحتها ٢٥ ٠٠٠ ميل مربع (عاصمتها ريفال)

(٤) فنلندا مساحتها ١٢٥ ٠٠٠ ميل مربع وسكانها ٣ ٣٠٠ ٠٠٠

وقد تمكنت هذه الجمهوريات الاربع من مقاومة البلشفيكية من الداخل ومن الخارج واعترفت بها حكومة السوفيت الروسية . وهي بلاد غنية بغاباتها وتصدر الخشب والمنسوجات والجلود

روسيا

قل ما يستطاع ذكره الان عن روسيا فلا تزال اخبارها قليلة غيرموثوق بصحتها وقد قامت بعض المقاطعات الروسية واعلنت استقلالها ولكن مصيرها عرضة للطوارىء

البلقان

لقد أحدثت تغييرات جسيمة في شبه جزيرة البلقان بمقتضى المعاهدات المنغارية والبلغارية والتركية . ولعل أهم ما حصل من ذلك تكبير مملكة سربيا وقد تغير اسمها الآن فاصبح ﴿ يوغوسلافيا ﴾ أي بلاد سلاف الجنوب وهم السربيون والكروانيون والسلوفينيون والعاصمة بلغراد ويبلغ مساحة يوغوسلافيا الان ٧٥ ٠٠٠ ميل مربع وسكانها ١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ وهم موزعون في ٧ مناطق : سربيا وكرواتيا وسلافونيا وسلوفينيا والبوسنة والهرسك والجبل الاسود . وقد تدرجت هذه الاقوام في سبيل الاتحاد والاندغام فكانت الخطوة الاولى اتفاق كورفو في يوليو سنة ١٩١٧ وتبعته معاهدة رومية في ابريل سنة ١٩١٨ ثم اعلان الاتحاد في ديسمبر سنة ١٩١٨ . وقد عقدت يوغوسلافيا أخيراً معاهده مع ايتاليا لتعيين الحدود بينهما ولكن المتسئلة لا تزال محفوفة بالمشاكل بسبب سلوك الشاعر دنونزيو في ميناء فيوم . ونحو ثمانين في المئة من أهل يوغوسلافيا من الفلاحين اصحاب الاملاك الصغيرة

وفي سنة ١٩١٩ منحت ايطاليا انتدابا على ﴿ البانيا ﴾ ولكن الالبانيين يطالبون بالاستقلال وقد انشأوا حكومة وطنية في مدينة تيرانا

أما ﴿ بلغاريا ﴾ فقد سلخ جانب من املاكها . فبعضه اعطي ليوغوسلافيا والبعض الآخر لليونان

وقد تضاعفت مساحة ﴿ رومانيا ﴾ الان فاصبحت ١٠٠ ٠٠٠ ميل مربع وسكانها ١٣ ٠٠٠ ٠٠٠ نفس فقد ضمت اليها ترنسلفانيا وبوكوفينا وبسارابيا وبانات . وقد حمت المعاهدة الاقليات القاطنة تلك الاراضي كالمجر والزكلر والسكسون واليهود والروثينيين . وفي رومانيا موارد عظيمة من الغلة والزيت والخشب

أما ﴿ اليونان ﴾ فقد كبرت واتسعت بحيازتها شاطىء بحر ايجه من بلغاريا وتراقية من تركيا وجزر الدوديكانيز التي كانت تحتلها ايطاليا (ما عدا رودس)

ولم يبق من ﴿ تركيا ﴾ في اوربا الا الاستانة وضواحيها وقد وضع الدردنيل وبحر مرمرة والبوسفور تحت سيطرة جمعية الامم

* * *

هذا أهم ما تم من التغيير في خريطة اوربا . بقي أن نرى الى كم من السنين يثبت هذا التغيير وهو ما ستبئنا به الايام

النواره
أو
زهرة المرغريت[١]

لخليل مطران

أراجع نفسي هل انا ذلك الذي عهدت بامسي أم انا رجل ثاني
علمت صنوف العلم درساً وخبرة فما لي بلغت الجهل في منتهى شاني
أراني بعد الشيب عاودني الهوى فرد صبي الدنيا عليَّ وأصباني
غدوت كأني ما عرفت حقيقة وهل انا ان يدعُ الهوى غير انسان
فيا لي من كهل يرى وهو جاثم كطفل على شيء يقلبه حاني
بكفي من النوار ذات أشعة لها قرص شمس زانه تاج ألوان
لظنٍ وحسبان تخالت قطفها وأبعد بظنٍ عند غيب وحسبان
فلما أجلتُ الطرف في قسماتها وثَمَّ فنون من جمال واتقان
اذا أنا للتاج المنظم ناثر تباعاً ولي في ذلك ترديد صبيان
اسائل اوراقا ـ وياليت شعرها ـ أتهواني الحسناء ام ليس تهواني

٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٠ خليل مطران

---

(١) المرغريت ضرب من الزهر يسمى بالنوار في اصطلاح بعض الاقاليم العربية . جرت عادة الفرنجة ومن تابعهم على ان الفتى او الفتاة اذا وجدا زهرة من المرغريت نثرا تاجها يقولان عند انتزاع احدى الورقات « يحبني » والضمير عائد الى معشوق يفكران فيه ويقولان عند انتزاع الورقة التالية « لا يحبني » وهكذا دواليك الى أن يبلغا آخر ورقة وقولها الفصل فان كانت تقابل لفظة « يحبني » تفاءلا بالخير والسعادة والا تشاءما وكم يكون الشؤم عند التشاؤم . فهذه العادة هي التي يشير اليها الشاعر

روح السياسة

وقيمة المعاهدات

ليس في اوربا قانون دولي ... لحيازة
السيادة سر واحد وهو القوة ! ... نابوليون

للسياسة أخلاق وصفات لم تتغير تغيراً كبيراً منذ أقدم الازمنة الى هذا اليوم . وانما تغيرت الالفاظ والتعابير التي استخدمها رجال السياسة . فكانت الشعوب تقوم من أجلها وتقعد بل كانت ولا تزال تبذل في سبيلها كل مرتخص وغال . فان لبعض الكلمات الساحرة (كالحرية والاستقلال والمساواة وحقوق الشعوب وتقرير المصير ونحوها) أعظم تأثير في تاريخ بني البشر — وقلما نجد ثورة او انقلاباً أو حرباً بلا عنوان من هـذه العناوين المنمقة التي تستهوي الجماهير وان ندر من يعنى بتحليلها وتشريحها وادراك كنهها

بل ان لرجال السياسة قاموساً خاصاً وأساليب خاصة . وهم يخترعون كلما اقتضى الحال كلمة أو عبارة جديدة لتبرير فتوحاتهم كاختراعهم حديثاً مبدأ القوميات . وحبذا لو عني أحد المفكرين في كتابة فصل بهذا الشأن يجعل عنوانه « لغة السياسة » . وانه ليكفيه أن يراجع خطب السياسيين الحاليين وتصريحاتهم وقراراتهم ليستخرج منها الف الف شاهد على ما يريد

على ان المتبصر في حقائق الامور لا يلبث ان يطرح عبارات السياسة جانباً ليستكشف ما يختبيء خلفها من الدوافع والاغراض الحقيقيـة . فالعاقل لا يحسب حساباً لـكلام السياسيين وانما ينظر الى اعمالهم . ولا ريب ان اول ما يتضح له من نظره هـذا هو تلك الحقيقة الاساسية البسيطة — التي كثيراً ما نخطىء في ادراك خطورتها — وهي ان الدول انما تسعى لمصالحها . فما السياسة الدوليـة في المقام الاول الا جراً للمغانم ودفعاً للمغارم

لسنا ننكر مع ذلك ان في العالم اغراضاً سامية ومساعي خيرية واعمالاً يقصد اصحابها نفع الغير ولـكننا نعتقد ان شأن هذه المنازع العليا لا يزال ضئيلاً في المجتمع البشري ولا سيما في السياسة الدولية حتى انه ليجوز اغفالها في هذا المقام

* * *

ومن الثابت ان آداب السياسة واخلاق الحكومات أحط من آداب الافراد واخلاقهم . بل ان رجل السياسة قد يكون من أشد الناس صدقاً واستقامة في حياته الفردية فاذا انتقل الى عمله السياسي استخدم الكذب والافتراء والاخلاف وعد ذلك منه حذقاً ومهارةً . ولله در من قال : « كذب الكبير يسمى سياسة »

وعلة انحطاط الاداب السياسية انه ليس في العالم مرجع أعلى يقضي بالعدل بين الدول ويقدر على تنفيذ احكامه — كما هو الحال بين الافراد . فاذا تخاصم فردان تقاضيا الى محكمة تحكم في الخصومة وتتعهد الحكومة بتنفيذ الحكم . اما بين الدول فلا حاكم ولا منفذ ولا تزال « حجة القوي أقوى الحجج »

اجل ان هناك قوانين دولية صنفها بعض المشترعين ولكنها غير مسندة بقوة فعلية تكفل تطبيقها وتنفيذها ولذلك لا تعبأ بها الدول متى وثقت بقوتها ولم تخش بأساً من اغفالها

***

ومن الحقائق البينة ان شعور شعب بقوته يحمله على استخدام تلك القوة والاستفادة منها الى الحد الاقصى . انظر الى ما يحدث بين الدول من المجادلات السياسية فان حجة كلٍ منها يختلف وقعها باختلاف ما لديها من القوة التي تعتمد عليها عند الاقتضاء . فالكلمة الفاصلة للاقوى . واذا تبصرت بالسياسة الدولية الحاضرة وجدت ان كلمة انكلترا اليوم أشد وقعاً من كلمتها قبل الحرب وما ذلك الا لانها قد اصبحت أقوى الدول الاوربية

لذلك يكره المفكرون النزعة العسكرية . فان مجرد وجود جيش كبير واسطول ضخم ومعدات وذخائر ونحوها يؤدي بطبيعة الحال الى استعمال تلك الوسائل والاستفادة منها . ولعل وجود الجيش الالماني المعظم وشعور قادة الالمان بقوة ذلك الجيش كانا في مقدمة العوامل التي دفعت المانيا الى خوض غمار الحرب

ولا يقتصر هذا المبدأ على الحكومات والشعوب بل يصح تطبيقه أيضاً على كل طبقة او فئة او جماعة من البشر . خذ مثلاً العمال وما يقومون به من الاعتصابات المتكررة. فما ذلك الا نتيجة شعورهم بقوتهم . بل ان هذا الشعور قد زادهم سعياً وراء السلطة — لا السلطة الاقتصادية وحدها بل السلطة السياسية أيضاً . فبعد ان كانت نقاباتهم ترمي الى تحسين أحوالهم وزيادة أجورهم ونحو ذلك أصبحت الان ترمي الى

احتياز السيادة الفعلية على الشعوب . فجماعة البلشفيكيين الذين قاموا لنصرة الضعفاء ومقاومة المستبدين لم يلبثوا ان حازوا السلطة في ايديهم حتى أصبحوا أشد استبداداً من اعتى القياصرة . ورجال الدين انفسهم لم يخرجوا عن هذا الحكم . فقد كان للاكابروس في القرون الوسطى سلطة عظيمة على الارواح والاموال وكثيراً ما كانوا يسيئون استعمال تلك السلطة كما يثبت ذلك التاريخ

* * *

فنرى من ذلك ان السلطة بلية على البشر . وان عدو العدل انما هو القوة والشعور بالقوة. ولا قيمة لحق ما لم تدعمه قوة تذود عنه وتظهره للملأ . ولهذا السبب لا يرجو المفكرون خيراً كثيراً من جمعية الامم بشكلها الحاضر لانه ليس لها قوة تنفيذية تدعم قراراتها وأحكامها . وقد جاءت عدة حوادث تبين عجز تلك الجمعية عن القيام بمهمتها مثل مسئلة فيوم والحرب البولونية وغير ذلك كثير

ويجدر بنا الآن أن نشير الى أمر عظيم الشأن قد يخيل الى القارىء لاول وهلة انه يهدم نظريتنا ولكنه في الحقيقة يدعمها . وهو اننا نرى أحياناً ميلاً من الاقوياء الى التساهل مع الضعفاء واستعداداً لقبول مطالبهم . فكيف نعلل ذلك ؟

ان تعليله سهل لمن تبصر في العوامل الحقيقية التي تدفع رجال السياسة الى اتباع هذا المنهج . فانهم يعلمون حق العلم — او على الاقل الحاذقون البارعون منهم يعلمون — ان الاستياء الكامن والحقد المختمر وشعور الانسان بحقه المهضوم — كل ذلك يولد في النفس قوى لا يستهان بها، بل يولد قوى أعظم شأناً من القوى المادية الجبرية. فان من المتعذر ارغام شعب زمناً طويلاً . فاذا كانت لديه الارادة الثابتة والعزيمة الصادقة فليس من قوة تستطيع الوقوف حياله

هذا هو السر فيما يبدو لنا من التساهل السياسي احياناً . فقد أدرك رجال السياسة اليوم ان الصواب في الاسد وليس دائماً في الاشد وان الاستياء هو أعظم عدو للسلطة الحاكمة وان الحاكم اذا أساء التصرف لا يلبث ان يولد في الشعب قوى وعوامل ودوافع شديدة. فالقصد من التساهل أضعاف هذه القوى او اخمادها

* * *

وعلى أساس « توافق المصالح » تعقد الدول فيما بينها معاهدات يستفيد منها عاقدوها فجامعة المنفعة هي بلا ريب اقوى الجامعات . ولو كان بين دولتين نفع مشترك وليس

بينهما معاهدة لكان ارتباطهما مع ذلك أوثق وأشد من ارتباط دولتين تباينت مصالحهما مهما يكن بينهما من المعاهدات

فعند نشوب الحرب الاخيرة لم يكن بين انكلترا وفرنسا معاهدة ومع ذلك دخلت انجلترا في المعمعة مدفوعة بدافع المصلحة . وبعكسها ايتاليا فانها كانت مرتبطة بمعاهدة مع المانيا والنمسا ولكنها احجمت مدفوعة بالدافع ذاته

والباعث الصحيح لكل معاهدة تعقد بين دولتين هو « تبادل المنفعة » . وثبات تلك المعاهدة انما يتوقف على دوام ذلك التبادل . فاذا تبدلت الاحوال ولم يعد من مصلحة احداهما العمل بمقتضى تلك المعاهدة فانها لا تعدم سبيلاً للاخلاف والتخلص من تعهداتها فتنتحل الاعذار للوصول الى غرضها وتتفنن في التفسير والاستنتاج حتى لا تفسد سمعتها الدولية

فلا قيمة لمعاهدة في نظر احدى الدول ما لم تؤيد مصلحتها . على أن تلك المصلحة قد تتغير بتغير الاحوال وانقلاب وجه السياسة الدولية ولا سيما في حالة الفوضى السياسية الحاضرة. فكل حادث جديد أو طارىء غير منتظر — وما اكثر ما يحصل اليوم من ذلك — يقضي على الدول باتخاذ مواقف تتفق مع مصالحها ومن ثم ما يحدث بينها من التباين في السياسة

وكل اتفاق أو معاهدة — مهما يكن نصها وموادها — تعد في حكم الملغاة حالما تقضي مصالح احد عاقديها بالغائها . هذه دول الحلفاء التي كانت على اشد الارتباط بالامس حين كان يهددها عدو واحد جبار قد انفرط عقدها وانتحت كل منها منحىً خاصاً — بالرغم مما يدعيه رجالها من الاتفاق على أثر اجتماعاتهم ومؤتمراتهم . فالحقيقة الناصعة التي لا تخفى على البصير اللبيب هي أن ذلك التحالف قد انقضى عهده من يوم انكسار المانيا اذ زال الداعي اليه واصبحت كل دولة تعمل منفردة مدفوعة باغراضها الخاصة ومخاوفها الخاصة . فهمّ فرنسا الاول — مثلاً — انما هو حفظ كيانها وتأمين مستقبلها في حين أن انكلترا ترمي اولا الى الانتفاع الاقتصادي . ولذلك رأينا فرنسا تقاوم المانيا وروسيا وتحول في سبيل نهوضهما وتقدمهما بخلاف انكلترا التي تود أن تعيد العلاقات التجارية بينها وبين هاتين الدولتين العظيمتين لما ترجوه من النفع المادي من جراء ذلك . هذا مثل واحد من امثلة عديدة تتضح لكل متبصر في السياسة الدولية الحالية

فلا يخدع القارىء بقيمة الاتفاقات الدولية ولينظر اولاً الى مصالح الدول الحقيقية ومراميها واغراضها قبل أن ينظر الى نصوص الاتفاقات والمعاهدات . فالرابطة الحقيقية ليست تلك المواد والنصوص التي يتفق على تدوينها المجتمعون حول الموائد الخضراء بل ما بين الشعوب من الغايات المتوافقة والمصالح المشتركة

ومن رأى العلامة الدكتور غوستاف لوبون ان الابطاء في امضاء معاهدة الصلح جلب ضرراً جسيماً على فرنسا. ولو امضيت حالا على أثر الهدنة لغنمت فوائد كثيرة لان تلك الفترة التي انقضت بين اعلان الهدنة وامضاء المعاهدة كانت كافية لتطرق الخلاف الى صفوف الدول المتحالفة ووضوح ما بينها من التباين في الاغراض

***

وان بين العقود التي يمضيها الافراد والعقود التي تمضيها الدول فروقاً خطيرة يجدر بنا أن نستجليها حتى لا نغتر بالظواهر أو نخدع بالتشابه السطحي بين النوعين . فانك عندما تتفق مع احد عملائك على امر تعمدان معاً الى تدوين هذا الاتفاق في شروط وبنود معينة . فاذا اخل احدكما بشرط من تلك الشروط او اختلفتما على تفسير احد البنود تقاضيتما الى الهيئة القضائية المختصة فتدرس الخلاف في ذاته اي بقطع النظر عما لكما من المقام والثروة والمركز الاجتماعي ونحو ذلك وتبت فيه . أما بين الدول فلا أثر لذلك التساوي اذ لا محكمة خالية الغرض تحكم بينها ولا سلطة تنفذ ما قد تصدره من الاحكام . وعلى ذلك اذا استعصى حل الخلاف تلجأ كل دولة لاحقاق حقها (أو ما تظنه حقاً لها) الى جيوشها وأساطيلها . فمن فوهة المدفع تصدر الكلمة الفاصلة فيما يقع بين الدول من الاختلافات

هذه حقائق لا ينكرها احد ولا يلطف شدتها ما ادعاه السياسيون وطنطنت به الصحف من انعقاد جمعية امية وانشاء محكمة دولية ونحو ذلك . فما زالت تلك الجمعية وهذه المحكمة على شكلها الحالي فلا قيمة لهما بل انهما تزيدان المقتنع اقتناعاً بفشل السياسة والمتشائم تشاؤماً بمستقبل البشرية

فلا ريب اليوم ان قيمة كل معاهدة تمضى بين دولتين تتوقف على حالتيهما وتختلف باختلاف مالهما من القوة لدعمها. فاذا كانتا متكافئتين كانت المعاهدة متساوية القيمة من الجهتين . اما اذا كانتا متفاوتتين فانها تكون قوية من جهة القوي وضعيفة من جهة الضعيف . ومن أنعم النظر في المعاهدات التي تمضى بين دول قوية ودول

ضعيفة يجد أنها ليست في الحقيقة الا شروطاً تمليها الاولى على الثانيـة . فلا مساواة حقيقية في تبادل المنافع بين الجهتين كما انه لا مساواة في مقدرتهما على ضمان التنفيذ

* * *

هذه حالة السياسة الدولية كما تبدو لمن لا تخدعه الظواهر . ومن ذا الذي لا يزال الى اليوم يخدع بتلك الـكلمات المنمقة والعبارات الجميلة التي تخفي حقائق مرة شنيعة ؟ ان من نعم الحرب على البشر - وما اقلها بجانب ويلاتها - انها جعلتنا اكثر تبصراً في الامور وارتكاناً الى الحقائق . وقد اصبح التلميذ من اهل هـذا الجيل يدرك من مسائل السياسة اكثر مما كان يدرك الشيخ من اهل الجيل السالف

ولعل القارىء يقول الآن « وما الفائدة من هـذا المقال الطويل ؟ ما هي النتيجة التي نستخلصها نحن معاشر الشرقيين من هذا البحث ؟ وما الذي نستفيده منه في بلوغ مرامينا ونحن في عالم هذه حالته ؟ » اجل لا يستفيد السياسي شيئاً من الاسترسال في التأملات الفلسفية وانما عليه ان يقدر جميع الاحوال والعوامل التي تكتنفه فيحسب لـكل امر حسـابه الصحيح . وقد يجد حلولاً مختلفة لا يراها في جانب العدل والانصاف ولـكنه لا يسعه الا ان يختار اهون الشرور اي اقل الحلول حيفاً وظلماً . ولا يبرح من الذهن ان القوة على نوعين قوة مادية وقوة معنوية والاخيرة اخطر شأناً من الاولى . وهي ايضاً اقرب منالاً . فالاتحاد والثبات وتراص الصفوف وبث الروح الاستقلالية - هذه قوى عظيمة الشأن لمن عرف كيف يولدها ويستخدمها

* * *

والخلاصة ان ما قاله توسيديدس اليوناني منذ اربعة وعشرين جيلاً وهو « ان من طبيعة الانسان ان يظلم من يذعن له وان يحـذر من يقاومه » لا يزال حقيقة ثابتة . فلا ريب ان التاريخ وليد الغرائز والاهواء البشرية . وليس للفكر تأثير جسيم في مجراه . ومن سوء حظ بني الانسان ان تقدمهم في العلم والمدنية لم يرافقه شيء من التقدم والتلطف في غرائزهم واهوائهم

نشيدان وطنيان

لشاعرين كبيرين

[الهلال] الشعر مرآة تتجلى فيها حياة الشعوب وقد كان من ثمار النهضة الوطنية الحاضرة ان قام نفر من الشعراء المجيدين لعمل نشيد وطني تتخذه الامة نبراساً تهتدي به في طريق الحياة . فقد اقترحت لجنة ترقية الاغاني القومية تحت رئاسة صاحب المعالي جعفر ولي باشا على الشعراء أن يتباروا في هذا الميدان فعرضوا عليها عدة اناشيد قررت اللجنة بعد فحصها « ان اكفاها كلها واوفاها بالغرض وأجمعها للمزايا التي ينبغي أن تتوافر في نشيد قومي مصري هو النشيد الذي نظمه صاحب السعادة احمد بك شوقي » وقد اجتمع رأيها كذلك على أن ثاني الاناشيد هو ذاك الذي قدمه حضرة الاديب محمد افندي الهراوي الموظف بدار الكتب السلطانية . على أن الشاعر المشهور مصطفى صادق الرافعي كان قد نشر نشيده قبل صدور حكم اللجنة المتقدم ذكرها فلم تنظر فيه . وقد رأينا ان نتحف القراء بنشيد أمير الشعراء ونشيد الرافعي . وفي كليهما محاسن رائعة وآيات بلينة يصح أن تنقش على الصدور

نشيد احمد بك شوقي

بني مصر مكانكمو تهيا ... فهيا مهدوا للملك هيا
خذوا شمس النهار له حليا ... ألم تك تاج أولكم مليا

* * *

على الاخلاق خطوا الملك وابنوا ... فليس وراءها للعز ركن
أليس لكم بوادي النيل عدن ... وكوثرها الذي يجري شهيا

* * *

لنا وطن بأنفسنا نقيه ... وبالدنيا العريضة نفتديه
اذا ماسيلت الارواح فيه ... بذلناها كأن لم نعط شيا

* * *

لنا الهرم الذي صحب الزمانا ... ومن حدثانه اخذ الامانا
ونحن بنو السنا العالي نمانا ... أوائل علموا الامم الرقيا

* * *

تطاول عهدهم عزاً وفخرا فلما آل للتاريخ ذخرا
نشأنا نشأة في المجد أخرى جعلنا الحق مظهرها العليا

* * *

جعلنا مصر ملة ذي الجلال وألفنا الصليب على الهلال
وأقبلنا كصف من عوال يشد السمهريُّ السمهريا

* * *

نروم لمصر عزاً لا يرام يرف على جوانبه السلام
وينعم فيه جيران كرام فلن تجد النزيل به شقيا

* * *

نقوم على البناية محسنينا ونعهد بالتمام الى بنينا
نموت اليك مصر كما حيينا ويبقى وجهك المفديُّ حيا

نشيد مصطفى صادق الرافعي

الى العلا الى العلا بني الوطن الى العلا كل فتاة وفتى
الى العلا في كل عصر وزمن فلن يموت مجد مصر . لا ولن

* * *

بعزم مصر غلب الدهر الهرم وشمس مصر تضرم الذكا ضرم
ونيل مصر يملأ النفس كرم وخصب مصر يخلق الخلق الحسن

* * *

رسا أبو الهول ركيناً وربض ربضة جبار على الارض قبض
فالفزع الاكبر يوماً لو نبض ومسه صبر ابي الهول اطمأن

* * *

الصبر في المصري صبر وجلد خلت خصوم ارضه وهو خلد
وما كمصر في البلاد من بلد تراه للطاغي والباغي كفن

* * *

الى الامام للامام للامام   فهمة الانفس تدفع الهمام
نحن بنو مصر بنو نهر الغمام   بنو ابي الدهر بنو ام الزمن

* * *

بنو العلوم والفنون من قدم   أيام لم تثبت لدولة قدم
أيام علم غيرنا دمع ودم   وما سوى توحش العالم فن

* * *

هيا بنا هيا بنا الى العلا   يا مصر لا نفسي ولا مالي ولا
أهلي ولكن أنت أنت أولا   وانت أنت لك سري والعلن

* * *

يا مصر كانا لمجدك الفدا   ما شئت منا منجداً ومسعدا
فلن تراعي يا بلادي أبدا   لا عاش من بروحه عليك ضن

* * *

في الجد لا نعرف ضعفاً أو ضجر   خلق من الحديد او من الحجر
هيهات ما الاطواد في قيد تجر   فمن اذن يقيد الاحرار من

* * *

حرية البلاد عزة الامم   ان قدسها امة عاشت رمم
فدا النفوس حرة فدا الذمم   فدا بلادي انا روحاً وبدن

* * *

ايماننا كنيسة ومسجدا   وكل ما في القلب حباً وهدى
وكل ما في العمر يوماً وغدا   وكل ما نملك للمجد ثمن

* * *

فلنحي في اعمالنا اجدادنا   ولنحي في آمالنا أولادنا
ولنحي مصريين مهما اعتادنا   ولنحي مصريين وليحي الوطن

قيادة البشر

آراء أعظم قائد عرفه التاريخ - نابوليون

(على ذكر مرور مئة سنة على وفاته)

[الهلال] ان قيادة الناس أصعب الفنون وأدقها . ولم يعرف التاريخ رجلاً برع في هذا الفن مثل نابوليون العظيم . فقد كان عليماً بطبائع البشر وأخلاقهم محيطاً بالعوامل التي تؤثر فيهم وتستهويهم وتدفعهم الى القيام باخطر الامور . وفي رأينا ان الذي ينقص العالم اليوم انما هو زعماء يعرفون كيف يسيرون بالشعوب في طرق السلام والفلاح . فهذا النقص يشعر به الغربيون والشرقيون على السواء . ويرى أحد الكتاب السياسيين ان السبب الاول في فشل مؤتمر الصلح - وهل من يشك بعد في فشله بمهمته التي انعقد لاجلها ؟ - انما يرجع الى ضعف رؤساء الحكومات وممثلي الدول وقصر نظرهم وعجزهم عن القيام بوظيفة الزعامة حق القيام . فجدير برؤسائنا ومترئسينا ان يمعنوا النظر في اختبارات ذلك العبقري الفريد الذي كان يحرك الجماهير والشعوب كما يحرك اللاعب حجارة الشطرنج . فان فيها فائدة المستفيد وعبرة المعتبر

وقد أصبح درس عقلية الجماعات في الوقت الحاضر في مقدمة ما يعنى به المصلحون ورجال السياسة . ولهذا العلم الآن كتب ومباحث مستفيضة - وان لم تكن تامة - مما يهون على طالب الزعامة النجاح في مهمته . ولم يكن لنابوليون من معين الا نظره الثاقب وذهنه الحاد وذكاؤه العجيب . ويسرنا ان يكون نشر هذا المقال عند فاتحة السنة التي يحتفل فيها العالم بمرور مئة سنة على وفاة نابوليون . وفي ذلك ما يجعل لهذه الخواطر قيمة خاصة لدى القراء

خواطر نابوليون

على صاحب القيادة ان يجمع بين الاخلاق والذكاء . فلا يصلح لها من كان كثير الذكاء ضعيف الاخلاق فانه أشبه شيء بسفينة فاقدة التناسب بين شراعها وثقلها . وخير للقائد أن يكون قوي الاخلاق قليل الذكاء

***

ليس البشر بشراً في نظر مؤسسي الممالك بل هم آلات توصلهم الى أغراضهم

* * *

على من يطلب تولي الحكم ان يخاطر بحياته وان يعرض نفسه للقتل عند الاقتضاء

* * *

ليست العروش الا الواحاً خشبية مغطاة بالمخمل

* * *

انما الحذق في السياسة اقناع الشعوب بانها حرة ... والشعب واحد في كل مكان. فهو اذا ذُهّبت سلاسله لا يكره العبودية ولكن اذا انكشفت له من خلال خرق شقائه يتململ ويتذمر ويهب لكسرها فينجح بقحة ويقضي مطامعه على الملوك

* * *

ان التردد للحكومة كالشلل لاعضاء الجسم

* * *

أساس السلطة فائدة الخاضعين لها

* * *

اول ما يجب تجنبه ليس ارتكاب الخطأ بل التناقض في الخطط . فانما تضيع السلطة بالتناقض

* * *

ليس بين الفوز والفشل الا خطوة واحدة

* * *

لقد وجدت في اخطر الاحوال ان أعظم النتائج قد تتوقف على اتفه الامور

* * *

على رجل السياسة أن يضع قلبه في رأسه

* * *

اذا حللت الحرية السياسية وجدت أنها قصة يخترعها الحكام للمحكومين

* * *

لا يستطاع إيقاف الشعوب متى اندفعت الى الامام

ان اعاظم الرجال الذين غيروا وجه الارض لم يتوصلوا الى ذلك بالتأثير على الخاصة بل باستهواء الجماهير

* * *

الرجل الذي يقود حزباً ضعيفاً اثناء الاضطرابات يلقب بزعيم العصاة . فاذا فاز واتى أعمالاً عظيمة ونهض بقومه وبلاده فانه لا يلبث ان يسمى قائداً او ملكاً . . . أما اذا فشل فانه يظل ذلك الزعيم القائم على السلطة وربما انتهت حياته بالاعدام

* * *

ان خلاص الشعوب يستلزم أموراً لا يستلزمها خلاص الافراد

* * *

قد تموت السلطة من التخمة

* * *

في الحرب كما في السياحة لا تستعاد الفرصة المضاعة

* * *

ما اعظم سلطان الخيال على الانسان ! فان هؤلاء البحارة الانكليز (في جزيرة القديسة هيلانة) لم يعرفوني ولم يروني في حياتهم ولكنهم سمعوا عني فقط ومع ذلك ما كان اشد حماسهم واستعدادهم لاتيان اي شيء من اجلي لو استطاعوا . . . اجل لا ريب ان الخيال يحكم العالم

* * *

الرجل العظيم يظل رابط الجأش فسواء أمدح او ذم فانه يوالي سيره في طريقه

* * *

ليس أصعب من التوصل الى القرارت الفاصلة

* * *

العبقرية لا تنتقل بالوراثة . فمنذ وجد العالم لم اسمع عن شاعرين عظيمين او رياضيين عظيمين او فاتحين عظمين او ملكين عظيمين احدهما كان ابن الاخر

* * *

لا يتقدم الرجل في الحياة ما لم يسيطر على خلقه الذي منحته اياه الطبيعة او ما لم

يكوّن له خلقاً بتربية نفسه وتهذيبها وتعويدها التكيف بحسب الاحوال

* * *

على القائد ان يعرف جميع الاديان وطرق ممارستها . فعليه أن يكون مسلماً في مصر وكاثوليكياً في فرنسا ـ اعني بذلك ان يحمي كلا الدينين

* * *

اسهل ان تحكم البشر عن طريق رذائلهم من ان تحكمهم عن طريق فضائلهم

* * *

لا يجيد الانسان الا ما يصنعه بنفسه

* * *

من أعطى عن جدارة فقد احسن ولكن من أعطى بلا حساب فقد أفسد

* * *

خير طريقة لحفظ كلمتك هي أن لا تعيدها قط

* * *

ليس من الحكمة مقاومة العادات غير الضارة وان تكن مستهجنة

* * *

الصفح واجب فلا يحسن بالانسان ان يحفظ الحقد والضغينة في صدره بل يجدر به أن يعرف ضعف الطبيعة البشرية ويغض الطرف عنها بدلاً من ان يحاربها

* * *

اني احتقر نكران الجميل واعده اسفل صفات القلب

* * *

اني احب السلطة . ولكني احبها كما يحب صاحب الفن فنه ـ أحبها كما يحب الموسيقي آلته ليستخرج منها انغاماً والحاناً متوافقة

* * *

لا قيمة للجيش الا برأسه

* * *

ان اشارة يأتيها قائد محبوب خير من ابلغ الخطب

* * *

وجود القائد أمر ضروري . فانه رأس الجيش بل هو الجيش كله . فالذي اخضع فرنسا ليس الجيش الروماني بل يوليوس قيصر كما ان الرعب الذي استولى على رومية لم يحدثه الجيش القرطاجني بل هنيبال

* * *

ليس ما هو أهم في الحرب من وحدة القيادة . فمتى كان العدو واحداً وجب ان يقاتله جيش واحد على خط واحد تحت قيادة رئيس واحد

* * *

قائد رديء خير من قائدين حاذقين

* * *

ان الصفة الاولى التي يجب ان يتحلى بها القائد هي رباطة الجأش . . . فعلى القائد أن يكون ذا عقل هادىء يتلقى التأثيرات الخارجية برزانة ويقدرها تمام قدرها فلا تبطره الاخبار الطيبة ولا تذهله الاخبار السيئة بل يضع كلاً منها موضعه بلا زيادة ولا نقصان

* * *

حق الذكاء مقدم على حق القوة بل لا قيمة للقوة بلا ذكاء . ففي الازمنة الاولى كان الاقوى يتولى القيادة أما في العصور المتمدنة فانما يتولاها الاذكى

* * *

القائد الذي لا ينظر الى ساحة القتال بعين جافة يسبب قتل الكثيرين عبثاً

* * *

لن تجد عملاً من الاعمال العظيمة المستدعة ناشئاً عن الصدفة او البخت وانما تتأتى تلك الاعمال عن العبقرية وحسن التدبير . وقلما يفشل أعاظم الرجال حتى في اخطر مقاصدهم . انظر الى الاسكندر وقيصر وهنيبال وغيرهم فهل اصبحوا عظاماً لان التقادير مهدت لهم سبيل العظمة ؟ كلا . بل لان عظمتهم هي التي حكمت على التقادير

* * *

الرجال كالارقام تختلف اقدارهم باختلاف مواضعهم

* * *

ليست الثورة الا فكرة وجدت أسلحة تخدمها

اسرار السينماتوغراف

كيف تصوَّر المواقف الخطرة والمشاهد الغريبة

لقد ساءلت نفسك بلا ريب ايها القارئ وانت في معرض الصور المتحركة عن الطرق التي يستخدمها أهل هذا الفن الحديث لتمثيل بعض المواقف والمشاهد العجيبة وتصويرها على الشريط الحساس . فقد تقدم هذا الفن تقدماً عظيماً وبرع فيه المؤلفون والممثلون والمصورون وابتكروا طرقاً جديدة غريبة لاجتذاب الجماهير العظيمة التي تذهب في كل يوم الى معارضه لتقضي فيها حصة اللهو من ساعات النهار . فقد قدر عدد هذه المعارض في العالم كله باكثر من ٦٠٠٠٠ معرض وقدرت رؤوس المال الداخلة في تلك الصناعة باكثر من ١٥٠٠٠ مليون فرنك . ويكفي برهاناً على تقدم هذا الفن وانتشاره ان شركة « غومون » الفرنسية وحدها تستطيع تجهيز ٥٠٠٠٠ متر من الشريط في كل يوم من أيام السنة . فتأمل !

ومع تقدم هذا الفن تطور ذوق الجمهور فاصبح ميالاً الى ما يحدث في النفس انفعالاً من مشاهد مفجعة ومواقف مؤثرة وحركات بهلوانية محفوفة بالاخطار الى آخر ما هنالك مما أصبح شائعاً معلوماً لدى الجميع . فقد الف الجمهور اليوم أن يرى لصاً يقفز من سيارة الى أخرى وهما في أسرع جريهما ، أو ممثلاً يمشي على سلك رفيع ممدود بين بنايتين مرتفعتين كأنه معلق بين الارض والسماء ، أو رجلاً يتسلق بسرعة جدار منزل عال حتى يصل الى سطحه ، أو سفينة تحترق في وسط البحر أو نحو ذلك . وقد أصبح همّ أرباب السينماتوغراف ايجاد الوسائل التي بها يتمكنون من بهر عيون الذين يتقاطرون الى دورهم في كل يوم

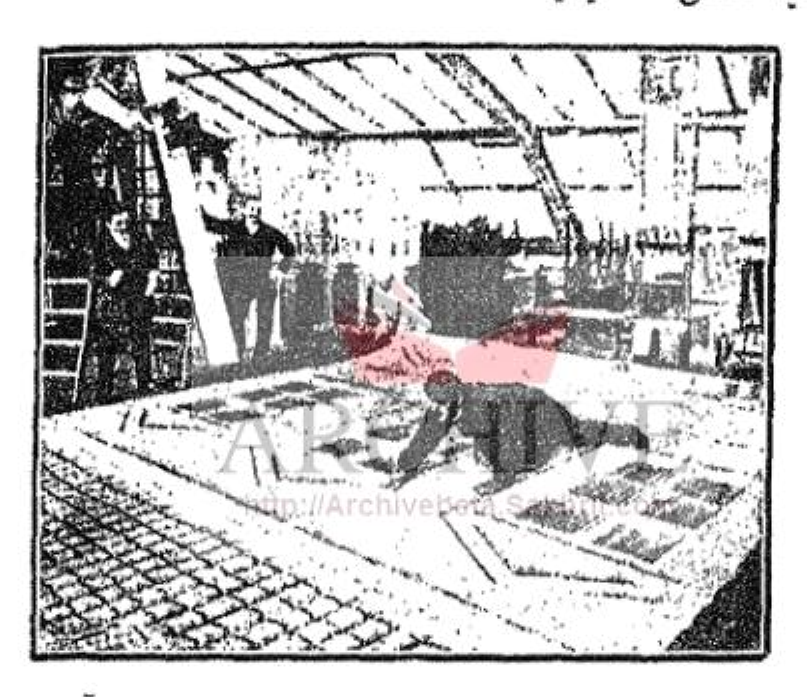
وهناك مسائل أخرى كثيرة يدهش لها الناظر ويحار في تعليلها مثل السكين التي تحرك وتقطع الخبز بنفسها ، ومثل الملابس التي تثب وتكسو صاحبها من تلقاء نفسها ، ومثل السيارة التي تخترق الحيطان من دون أن يصاب راكبوها باذى وغير ذلك كثير

فكيف يتمكنون من تصوير هذه المناظر وأي الاساليب المستحدثة يستخدمون للوصول الى تلك النتائج العجيبة ؟

هذا ما نود استجلاءه في هذا المقال وسيرى القارىء ان معظم تلك المناظر التي تخطف لبه وتبهر بصره وتزيد خفقان قلبه تُصوَّر بطرق سهلة بسيطة

* * *

نبدأ أولاً بوصف اجمالي للمسرح أو الملعب الكبير الذي تمثل فيه معظم الروايات السينماتوغرافية . فقد زار أحد الكتاب محل « غومون » الشهير في باريس ووصفه وصفاً دقيقاً نلخص منه ما يأتي :



رجل يزحف على ستارة تمثل واجهة بيت والمصور فوقه يدير الآلة فيتوهم المتفرج ان الرجل يتسلق واجهة قائمة

يجد الداخل الى هذا الملعب العظيم مناظر مختلفة على طول جدرانه : هنا غرفة نوم على الطراز الحديث وهناك غرفة استقبال ترجع الى القرن الثالث عشر . وفي جهة أخرى مرقص وفي جهة غيرها غرفة أكل الخ . ويدرك القارىء اتساع ذلك المكان متى علم ان بعض المشاهد قد استلزمت وجود ١٥٠٠ او ٢٠٠٠ ممثل دفعة واحدة بين جدرانه

ولا يلبث زائر هذا الملعب ان يلحظ امام كل مشهد رجلين أحدهما جالس يصدر بعض التعليمات والآخر واقف بقرب صندوق راكز على ثلاث أرجل يدير جهازاً متصلاً بالصندوق . فهذان الرجلان هما منظم المشاهد والمصور بالآلة السينماتوغرافية .

ومعظم العمل على الاول فانه هو الذي يشرح للممثلين كيف يجب عليهم ان يقوموا بادوارهم الصامتة ويراقب حركاتهم وتمثيلهم فمتى اقتنع بأنهم قد اتقنوا أدوارهم يأمر صاحب الآلة السينماتوغرافية فيكتفي هذا بتدويرها الى أن يؤمر بالوقوف. وكثيراً ما يضطر الممثلون الى اعادة تمثيل الفصل مرة أو غير مرة لطارىء طرأ أو أمر نسي أو اشارة غير مستحسنة او نحو ذلك

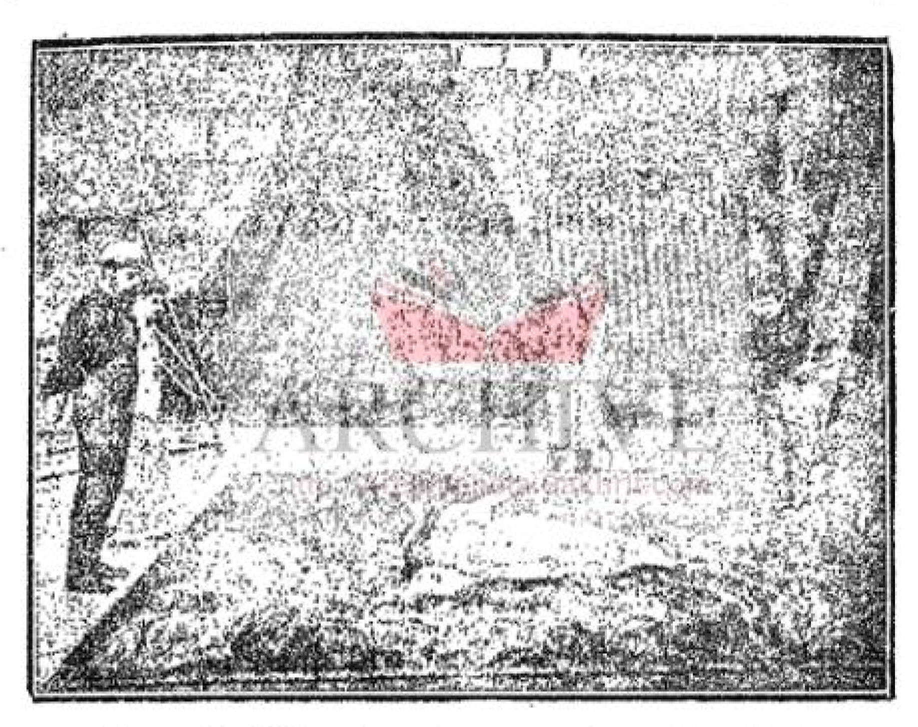
ومن الامثلة على ذلك ان دور أحد الممثلين كان يقضي عليه بان يغضب فيمسك قنينةً ويكسرها على مائدة رخامة . فقام هذا الممثل بدوره على ما يرام الى أن رمى القنينة على المائدة فلم تنكسر وانما انكسر الرخام وقد اضطر الى اعادة التمثيل ثلاث مرات

ويعترض أرباب هذا الفن صعوبات كثيرة فنية وغير فنية . ومن جملة هذه الصعوبات ان على صانعي الصور المتحركة أن يراعوا قوانين دول كثيرة . فان المراقبة في كل منها تحرم تمثيل مشاهد معينة ففي بعض الجهات لا يجوز تمثيل شنق او جنون او انتحار او اي مشهد يحدث انفعالاً زائداً في النفس وفي غيرها لا يسمح بتمثيل صراع الثيران وفي غير هذه أيضاً لا يؤذن بتمثيل ادوار الخيانة الزوجية او ادوار السرقة المصحوبة باعتداء . وفي اميركا لا يجوز تمثيل امرأة تدخن على لوحة السينماتوغراف وفي انكلترا لا يجوز ظهور رجل وامرأة بملابس الليل في غرفة نوم . وقس على ذلك أمثلة كثيرة لا تخطر بالبال . ولكنهم لا يعدمون طريقة لتخفيف وطأة القوانين واذا اقتضى الحال يمكن قطع الجانب المشتبه به من الشريط والاستعاضة منه بجملة تكتب على الشريط او نحو ذلك من الحيل

واصعب من ذلك تدبير بعض المشاهد المؤثرة كاحتراق بيت او غرق باخرة مثلاً . فلا يخفى ما تكلفه هذه المشاهد حين تمثل خصيصاً للسينماتوغراف ولكن الشركات الكبرى لا تحجم عن بذل المبالغ العظيمة لاحداث التأثير المطلوب في الجمهور. وان من غرائب هذا الفن ما بين النفقات الهائلة التي يتكبدها الصانعون والقيم الضئيلة التي يدفعها المتفرجون من البون الشاسع والفرق العظيم . فقد مثلت احدى الشركات فاجعة « التيتانيك » فاستخدمت باخرة كبيرة لهذا الغرض طولها ٣٠٠ متر اقام فيها ٣٠٠ بحري و ٥٠٠ ممثل مدة يومين وفي اليوم الثالث اغرقت السفينة . واعظم من هذه النفقات ما يستدعيه تمثيل بعض الروايات التاريخية فانها تتطلب عدداً عظيماً من

الممثلين كما تتطلب أيضاً اقامة بعض الآثار التاريخية من قصور وابنيـة وتماثيل ونحو ذلك وتمثيل ملابسهم ومنازلهم وسفنهم وعرباتهم وسائر طرق معيشتهم

وبعد ان تنظم المشاهد وتدبر لوازمها يبقى أمر الممثلين . وهم كثيرون اليوم حتى ان مشاهير الممثلين المعروفين في اوربا قد أقبلوا على السينماتوغراف وانخرطوا في سلك مريديه بعد ان كانوا ينظرون اليه نظر الاحتقار . على ان ساره برنار الممثلة الطائرة الصيت قد بينت صعوبة التمثيل للسينماتوغراف في خلال حديث دار بينها وبين صحافي



امرأة تتخبط على ستارة مموجة فتظهر على اللوحة كأنها غائصة في الماء

استطلعها رأيها . قالت : « ان السينماتوغراف لا يستخدم الا الحركات في حين ان الممثل الذي يستعين بالكلام والحركات معاً يجد مشقة في تأدية المعنى المطلوب واجادة تمثيله . فكيف بمن يقتصر على احدى الوسيلتين ؟ » ومع ذلك فان من مميزات السينماتوغراف وحسناته أنه يستخدم الطبيعة ومناظرها وحوادثها الحقيقية من اشجار وحيوانات واشخاص الخ . . . في حين يضطر الممثلون على المسارح الى استخدام ستائر والواح مصورة لا تقوم مقام الطبيعة الحقيقية

* * *

وحين ينضب مورد المشاهد المنقولة عن الحوادث الطبيعية يلجأ صانعو الحكايات السينماتوغرافية الى الخيال والاختراع . فتارة يمثلون أرواحاً نافقة وأشباحاً غاضبة وطوراً يمثلون تذكارات قديمة وحوادث ماضية تمر مر السحاب الى غير ذلك . فكثيراً ما يشاهد المتفرجون رجلاً جالساً يستعيد سالف حياته فتظهر على اللوحة أهم الحوادث التي حدثت له والادوار التي مرت به

أما الحيل التي يستخدمونها ويتمكنون بها من تمثيل أخطر المواقف وأغرب الحوادث فكثيرة نذكر أهمها فيما يلي ويمكن القياس عليها :

من أسهل الامور لدى اهل هذا الفن مضاعفة سرعة المشي والتحرك اجمالاً فانه يكفي لذلك ان يخفف المصور سرعة آلته فبدلاً من أن تصور احدى الحركات في ثماني أو عشر صور متتابعة كما هي العادة تحصر في نصف هذا العدد . فاذا لم تتغير سرعة القاء الصور على اللوحة خيل الى المشاهد ان تلك الحركة تمت بسرعة مضاعفة

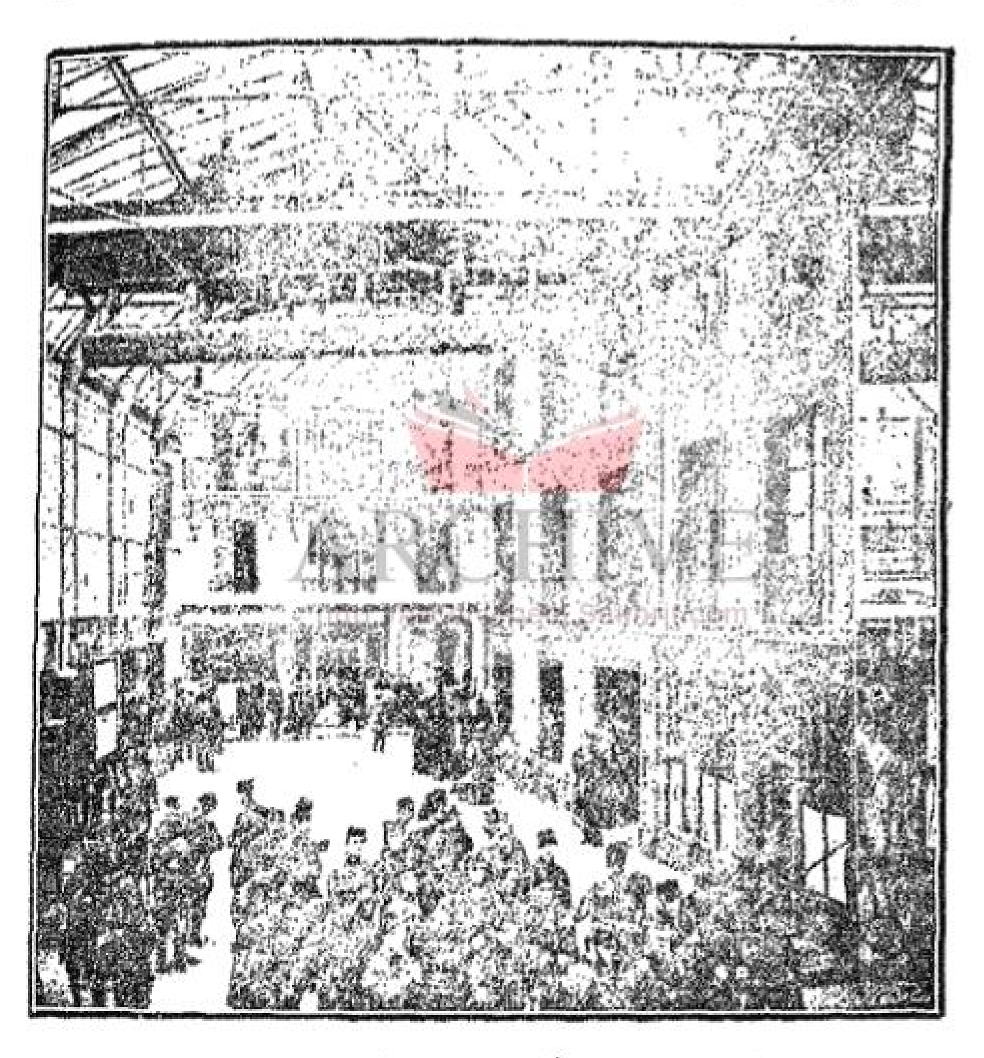
فبمثل هذه الطريقة يتمكنون من تضليل المتفرجين وخدع أبصارهم واذهانهم . فان من التافه بلا ريب في نظرك أن يقفز رجل من نافذة وان يخلع آخر ثيابه ويبعثرها حوله وان يتدحرج برميل على سطح منحنٍ وان يقذف جسم من خلف حائط . أجل هذه أمور تافهة ولكن هل خطر لك انه يكفي عند تمثيل هذه الحوادث على اللوحة أن يبدأ باخرها بدلاً من أولها حتى تظهر لك أعجب الاشياء ؟

فالرجل القافز من النافذة الى الارض يظهر واثباً من الارض الى النافذة . والثياب التي خلعها ذلك الرجل ورماها حوله تظهر كأنها تطير نحوه فتكسوه من تلقاء نفسها . والبرميل المتدحرج يظهر صاعداً لوحده على ذلك السطح المنحني . والجسم المقذوف من خلف الحائط الى الارض يظهر واثباً من الارض فوق الحائط وقس على ذلك أمثلة كثيرة

فانه يكفي أن يعكس الشريط عند القاء الصور وان يبدأ بآخره حتى تتأتى هذه العجائب وأمثالها مما يذهل له المتفرجون ويحارون في تعليله

وأسهل من ذلك تمثيل رجل يتسلق جدار منزل حتى يصل الى سطحه . فكثيراً ما يهرب أحد اشخاص الرواية فلا يجد له خلاصاً الا بالوصول الى سطح منزل فتراه يصعد من الارض بسرعة عجيبة فينتقل من دور الى دور حتى يبلغ السطح . وفي

الغالب يلاحقه بعض أنفار الشرطة أو غيرهم فيفعلون مثل ما فعل . أتدري أيها القارىء كيف تصور هذه المشاهد ? ان في احدى الصور المدرجة هنا شرحاً وافياً لها فان ذلك الرجل الذي خيل اليك أنه يتسلق الجدران لم يأتِ أمراً صعباً بل اكتفى بأن يزحف بيديه ورجليه على ستارة رسمت عليها واجهة البيت والمصور من



الاستعداد في الملعب لتمثيل فرقة من الجند تمر في شارع

فوقه يدير آلته ... ومن هذا القبيل ما يشاهد أحياناً من صور أشخاص غائصة في الماء . فبالنظر الى احدى الصور المتقدمة أيضاً يدرك القارىء سر ذلك . اذ ترى امرأة تخبط على ستارة مموَّجة تؤدي الى النظر شكل الماء . وبهذه الطريقة تظهر المرأة عائمة على الشريط ومن ثمَّ على اللوحة السينماتوغرافية

ولعل أحد القراء يقول الان : لقد فهمنا تعليل المشاهد المتقدمة وأدركنا الحيل المستخدمة لتلك الاغراض . ولكن كيف يمثلون مثلاً سكينة تقطع الخبز وحدها أو شريطة حذاء تربط من تلقاء نفسها ؟

ان تعليل ذلك ليس بأصعب من تعليل ما تقدم . فانهم يستعملون آلة تصوير بطيئة جداً بحيث يتمكن أحد الحاضرين ـ بين الصورة والصورة ـ من أن يضغط السكينة على الخبز أو ان يربط جانباً من الحذاء ثم يسحب يده . وهكذا يقطع الخبز ويربط



مرور الفرقة كما يراها المتفرج

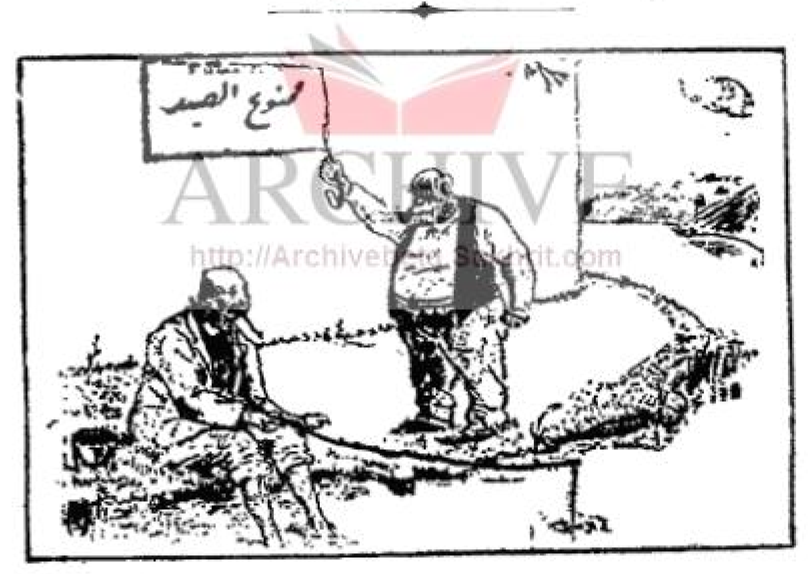
الحذاء بالتدريج . وعند القاء الصور على اللوحة تدار الالة بالسرعة الاعتيادية فتظهر السكينة كأنها تقطع الخبز وحدها وتظهر الشريطة كانها تربط على الحذاء من تلقاء نفسها

وقد نشرنا مع هذه المقالة صورتين توضحان كيف يمثل مرور فرقة من الجند في أحد الشوارع . ففي الصورة الاولى يرى القارىء الاستعدادات التي يقوم بها ملعب السينماتوغراف لتأدية التأثير المطلوب . فانهم يقيمون واجهات بيوت (لا بيوت

كاملة) في داخل الملعب ويجيدون تقليد منظر أحد الشوارع من دكاكين وأبواب ومارة ونحو ذلك ثم يؤتى بالممثلين فيمرون صفوفاً . والصورة الثانية تبين كيف يرى المتفرجون ذلك المنظر بعد انجازه

* * *

ولا يبرح من ذهنتا في الختام ان للسينماتوغراف فوائد كثيرة اليوم غير التسلية واللهو . فانه يستعمل في المختبرات لدرس حياة الميكروبات وغيرها وفي المدارس لمعاونة المعلم على تنوير التلاميذ . وجميع الدلائل تدل على أن استعماله في هذا الباب سينتشر انتشاراً عظيما في السنين الآتية . ومتى أتقن السينماتوغراف الملون وأحكمت المطابقة بينه وبين الفونوغراف بحيث تتحرك الصور وتتكلم على شكل طبيعي غير مفتعل ــ اذ ذاك يبلغ هذا الفن الذروة العليا من الرقي والكمال . والتجارب الحديثة تؤملنا بان ذلك الحلم الجميل ليس ببعيد التحقيق باذن الله



لغة السياسة

(تابع لمقالة « روح السياسة »)

— ألا ترى أن الصيد ممنوع هنا ؟

— ولكني لا اصطاد

— وماذا تعمل اذاً ؟

— اني اعلم هذه الدودة السباحة

العلوم الشرقية

في مدارس اوربا

في خريف كل عام تنقل البواخر الى القطرين المصري والشامي ، عدداً من الاساتذة والمدرسين الغربيين ـ واخصهم انكليز واميركيون وفرنسيون ـ لتعليم الناشئة قواعد اللغات الانكلوسكسونية وفروع اللاتينيـة ، ولتلقينهم اصول المدنية الغربية ومبادىء فلسفة الحياة فيها . هذا أمر معروف مختبر . ولكن الامر الذي قلّ من يعرفه هو ان سير العلم ليس من الغرب الى الشرق فقط بل من الشرق الى الغرب أيضاً ، وان الاول حديث العهد في حين أن الثاني قديمه . ولا فرق بين الاثنين سوى أن القائمين بحركة ادخال العلوم الغربية هم من أبناء الغرب نفسه ، بينا نجد أن دعاة العلوم الشرقية في اوربا هم اوربيون دخيلون

احتكاك الغرب بالشرق في الاجيال الوسطى

﴿ العرب في الاندلس ﴾ ان الحلقة الاولى من سلسلة الحوادث التي نجم عنها دخول علوم الشرق الى البلدان الغربية هي ولا شك فتوحات العرب في الطرف الجنوبي الغربي من القارة الاوربية واقامتهم في الاندلس قروناً طويلة حيث نبغ منهم افراد كثيرون كابن رشد وابن خلدون وغيرهما ممن قربوا مرامي الفلسفة العربية الى افهام الاسبانيين والفرنسيين ومنهم الى غيرهم على ما هو مشهور متعارف. ثم ان وجود العرب في أوربا قد سهل السبيل أيضاً لترجمة الكثير من تآليف علماء الاسلام في بخارى والجزيرة وبر الشام ونشرها في أنحاء أوربا . ويكفينا الاستشهاد بقانون ابن سيناء الذي اتخذه ابناء اوربا دليلاً طبياً من القرن الثاني عشر الى القرن السابع عشر. فقد تُرجم القانون الى العبرانية في نابولي سنة ١٤٩١ وطبع بالعربية في رومية سنة ١٥٩٣ ثم ترجم الى اللاتينية ، وتُرجم غيره من تاليف ابن سيناء في المنطق والفلسفة الطبيعية . وكذلك تُرجمت قبل ذلك معظم تاليف ابن رشد الى اللاتينية ، الا ان ترجمات ابن رشد جاءت همجية التركيب بعيدة عن الضبط والاحكام

ويجب ألا ننسى أن عدداً من الفلاسفة والعلماء اليهود كابن حيوج والكمخي

اللفويين وابن جيرول الشاعر ، وميمونيدس (ابن ميمون) الفيلسوف ، نشأوا في الاجيال الوسطى في اوربا ، وكانوا عاملاً قوياً على تنبيه الخواطر وتوجيه الافكار الى المعارف والفنون السامية . فابن جيوج ولد في مراكش (٩٥٠) ولكنه توطن قرطبة Cordova وهو الملقب بابي النحو العبراني . كذلك عاش ميمونيدس (١١٣٥ ـ ١٢٠٤) في قرطبة . وكلا ابن جيرول والكمخي عاشا في جنوبي اسبانيا ، الاول من سنة ١٠٢١ الى ١٠٧٠ والثاني في اثناء القرن الثاني عشر . واكثر علماء اليهود في ذلك العصر كتبوا ما كتبوه باللغة العربية ، بحروف عبرانية ، وآثار المدنية العربية ظاهرة بيّنة في كتاباتهم

على ان تأثير علماء العرب على الفكر الاوربي في الاجيال المتوسطة امر بالغ في تقديره الكثيرون من الكتبة الشرقيين والمستشرقين ، حتى أن بعضهم أرجع معظم اصول المدنية الغربية الى مبادىء عربية . ومن جملة المبالغين الاميركين الاستاذ وينر Wiener من جامعة هارفرد الذي أصدر حديثاً مجلدين حاول أن يثبت فيهما ان جانباً كبيراً من المدنية الغوثية عربي الاصل ، ورد اشتقاق عدة كلمات في الغوثية ، وبالتالي الالمانية والانكليزية ، الى مصدر عربي ، فكان الاستاذ حسب كل تجانس لفظي بين كلمات لغتين أو أكثر من اللغات دليلا على وجود علاقة فيلولوجية بينها

﴿ الحروب الصليبية ﴾ ان الحروب الصليبية مع كل شرها لم تخل نتائجها من بعض الخير. ففائدتها الروحية كانت انها عرّفت الاوربيين لاول مرة بما لابناء الشرق الادنى من ذخائر العلوم الرياضية والفلكية والطبية والفلسفية، وسهلت على الكثيرين من الافرنج أمر اقتباسها . فالمراكب التي نقلت المقاتلين شرقاً عادت ناقلة المصنوعات والبضائع الشرقية غرباً . وعلى السبيل الذي تجتازه التجارة تسير دائماً العلوم تابعة لها ـ فالمقاتل أولاً ، ثم التاجر ، ثم العالم . تلك هي الخطوات التي تمشي عليها الحوادث في تاريخ علائق البشر

﴿ سقوط الاستانة ﴾ كان من نتائج تغلب الاتراك على البزنطيين في أواسط القرن الخامس عشر انجلاء كثيرين من علماء اليونان الى داخلية القارة الاوربية حيث نقلوا معهم كتباً ومجلدات لا تحصى . وكان قبل ذلك كثيرون من ادباء الايطاليين وغيرهم يؤمون الاستانة وأثينا لتتميم علومهم العالية. وبذلك تولد في المتأدبين الاوربيين ميل جديد الى الفلسفة اليونانية ، ورفيقتها الفلسفة الشرقية ، وميل الى الاطلاع

على علوم الشرق الادنى وعلى أسباب تفوقه ورقيه . تلك هي واسطة الاتصال الثالثة في تاريخ علاقة علوم الشرق بالغرب

﴿ النهضة الفكرية العظمى ﴾ في أواخر القرن الخامس عشر بدأ العالم الفكري الاوربي يتمخض بحركة فريدة عنيفة غايتها التملص من الاعتقادات والتقاليد الدينية البالية والفلسفات الرثة والرجوع الى العلوم اليونانية والرومانية . تلك هي النهضة الفكرية المعروفة بال Renaissance وهي نتيجة بعيدة لعوامل رئيسية ثلاثة هي : فتوحات العرب في اسبانيا ، والحروب الصليبية ، وسقوط الاستانة . وفي الادوار الاخيرة من هذه الحركة ازداد ميل القوم في أوربا الى معرفة ماضي الشرقيين وطرق تفكيرهم ، اذ ان بين اليونان والرومان وبين بني الشرق صلات دموية وعلاقات روحية ادبية ، ويصعب فهم فريق دون فهم الفريق الآخر . فجاء الانتقال من العلوم اليونانية اللاتينية Classics الى العلوم الشرقية[1] سهلاً طبيعياً

البواعث

﴿ العاطفة الدينية ﴾ ربما كان الباعث الاول الذي حمل الاوربيين على خوض الدروس الشرقية العاطفة الدينية فان كثيرين منهم ، واخصهم من الاكليريكيين ، عكفوا على هذه العلوم كيما يتمكنوا من طبع كتب مختصة بالطقوس الدينية كما يمارسها ابناء الشرق أو من القيام بالحملات التبشيرية . واول مدرسة انشئت في هذا السبيل هي مدرسة الجمعية المقدسة لانتشار الايمان Sacra Congregatio de Propagahda Fide اسسها البابا غريغوريوس الخامس عشر سنة ١٦٢٢ . وعقبتها الكلية التي شادها البابا اوربانوس الثامن سنة ١٦٢٧ باسم Collegium Urbanum de Propaganda Fide وكان الغرض من كلتيهما تهذيب المرسلين وطبع الكتب الدينية للكنائس الشرقية

﴿ الاستعمار والتجارة ﴾ أما العوامل القوية التي هيأت العقول لاستقبال معارف الشرق ترجع الى السياسة والتجارة

فللحكومة الفرنسية منذ القدم عطف خصوصي على مسيحيي البلدان المقدسة ، وطالما شجعت ابناءها على التوسع في الدروس الشرقية . وكانت ترسل الى الشرق

[1] اطلقنا هذه اللفظة في بحثنا هذا على كل ما كان خارجا عن دائرة العلوم الاوربية والاميركية ولكننا توسعنا فيما كان له علاقة باللغة العربية

الادنى في اثناء القرن الثامن عشر—وربما قبل ذلك ايضاً— شبانا Jeunes de langue يدرسون تاريخه ولغاته ودياناته على ما يستنتج من جملة واردة في مقدمة الغراماطيق العربي الذي ألفه سافاري De Savary سنة ١٧٨٤ وقدمه الى الحكومة للطبع تحت اسم Grammatica Linguae Arabicae Vulgaris recnon Litteratis ولكن الكتاب لم يظهر حتى سنة ١٨١٣

فالرابط التاريخي والولاء التقليدي بين الشعب الفرنسي والشعب السوري حملا الكثيرين من الفرنسيين على اتقان العلوم العربية ، بخلاف الحكومة الانكليزية فانها بالرغم من سعة انتشار أملاكها وكثرة علائقها بالشعوب الاسيوية والافريقية ، وبالاخص الاسلامية ، لم تهتم قط بايجاد مستشرقين من رعاياها ولم تكتنفهم برعايتها ، ولم نسمع عن حادث اشترك فيه المستشرقون الانكليزيون مع وزارة الخارجية او الحربية الانكليزية بالرأي والمشورة الا في الحملة الاخيرة في فلسطين بقيادة الجنرال اللنبي . فان فريقاً من علماء الانكليز رافق تلك الحملة وكانت القيادة الحربية تستشيرهم وتستفيد من علمهم

اما اهتمام الالمان بشؤون الشرق فيختلف عن اهتمام غيرهم بانه جاء من الاول منظماً مرتباً مقصوداً به أمر معين ، وهو الاستثمار والانتفاع . وأما في روسيا والنمسا فلكون الاهلين نصف شرقيين ، ولكون الحدود متاخمة للبلدان الشرقية لم يكن ثمت بد من عنايتهم بالعلوم الشرقية وازدهار بعضها بينهم

الوسائط

﴿الافراد﴾ لم يخلُ عصر، بعد الالف من الميلاد ، ولا بلد من البلدان الاوربية ، من وجود فرد أو أفراد استهوتهم لغات بني الشرق وتنائج تفكيرهم فشغفوا بطلبها وكرَّسوا حياتهم للاستفادة منها ، اما لهوس او لغاية . يكفينا من هؤلاء على سبيل الاستشهاد ذكر مثالين أحدهما حديث والآخر قديم

ففي ايطاليا اليوم أمير ذو جاه وثروة وعلم قام بخدمة العلوم الاسلامية خدمة قلَّ من قام بمثلها . هو البرنس ليون كيتاني Leone Caetani. فقد أصدر هذا المستشرق سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩٠٨ ثمانية مجلدات ضخمة مصورة في التاريخ الاسلامي Annalli dell Islam لامثيل لها ، ليس فقط فيما يتعلق بالتاريخ الشرقي، بل في أي تاريخ كان.

فان المؤلف ذكر كل سنة ورتب جميع الحوادث المهمة التي حدثت فيها ، مترجمة عن أهم المصادر العربية القديمة ، وعلق عليها حواشي مأخوذة عن أهم الثقات الاقدمين والحديثين وزين كل ذلك بالرسوم والخرائط . ولولا ان هذا الاثر النفيس باللغة الايطالية التي قلّ من يفهمها من طلاب العلوم الاسلامية لكان أفيد كتاب في بابه وأصبح حجة الطلاب والدارسين

وفي القرن الثالث عشر بعد المسيح عاش في ولاية كتالونيا Catalonia من أعمال اسبانيا راهب اسمه ريمون لل Raimon Lull كرس قواه ووقته لدرس العربية وللتبشير بضرورة انشاء كراسي لاساتذة يدرسون العربية في المدارس بقصد اخراج مرسلين مسيحيين للبلدان الاسلامية . فريمون هذا درس العربية تسع سنوات وعلمها عدة سنوات في دير الفرنسيسكان في ميرمار Miramar . ومن يطالع كتابه Libra de Maravelles (١٢٨٦) يجد فيه آثاراً بيّنة من كتاب كليلة ودمنة . وقد قصد رومة وحاول اقناع البابا كليمنضوس الخامس وبنيفاس الثامن بضرورة انشاء مدارس تبشيرية لتعليم العلوم الشرقية . ثم زار باريس ومنتبلير وجنوى وقبرص ولكن بلا جدوى

﴿ الجمعيات ﴾ في معظم بلدان اوربا اليوم جمعيات على شاكلة الجمعية الاسيوية الملوكية ، والجمعية الاسيوية الفرنسية ، تضم المستشرقين من أبناء الممالك الغربية والشغفين بعلوم الشرق منهم . وغاية هذه الجمعيات الاهتمام بالمباحث الشرقية من لغوية وفلسفية وتاريخية ودينية ، وتوسيع نطاق معارف اعضائها بالقاء المحاضرات ونشر المؤلفات . ونكتفي هنا بالاشارة الى وجود هذه الجمعيات لان بحثنا في هذا المقال يتناول على الخصوص المدارس

﴿ علماء الموارنة ﴾ نعم ان عرب الاندلس والصليبيين والبزنطيين كانوا واسطة لنقل علوم الشرق الى الغرب ولكن لا ريب ايضاً في ان المستشرقين الاوربيين الحديثين هم ابناء روحيون لآباء غير اولئك العرب . فان علماء اوربا المستشرقين هم سليلو الاعلام الموارنة اللبنانيين الذين ادخلوا الى ايطاليا وفرنسا في القرن السادس عشر وما بعده معرفة العربية والسريانية ، ونشروا مبادىء الفلسفة والتاريخ والديانة الشرقية ، وولّدوا في ابناء الغرب رغبة في استطلاع افكار ابناء الشرق الادنى . فاللبنانيون هم الذين كشفوا علوم المشرق لابناء الغرب واليهم يعود الفضل الاكبر

واول استاذ للغة السريانية في اوربا هو الخوري يوسف الذي اوفده البطريرك

سمعان الحدثي الى رومية عام ١٥١٥

واول كتاب في النحو السرياني وضع في اوربا هو الكتاب الذي ألفه اللغوي جرجس ميخائيل عميره أحد متخرجي الكلية المارونية في رومية

وأول من لخص تاريخ الفلسفة الشرقية في اللغة الفرنسية هو ابراهيم الحاقلاني المنسوب الى حاقل بلبنان والمعروف باللاتينية باسم Ecchelensis . وكان الحاقلاني استاذ اللغتين العربية والسريانية في رومية وفي الكلية الملوكية بباريس، وتوفي في رومية سنة ١٦٦٤ عن اربعة وستين مؤلفاً في التاريخ الشرقي والفلسفة واللغات السامية

وأول من وضع تاريخ الموارنة باللاتينية هو مرهج نمرون Faustus Naironius من بان في لبنان . وقد توفي عام ١٧١١ بعد أن شغل مركز خاله ابراهيم الحاقلاني في كلية الشابنزا برومية

وممن درسوا في الشابنزا العلامة جبرائيل الصهيوني Sionita الذي ولد في اهدن عام ١٥٧٧ وتوفي في باريس عام ١٦٤٨ بعد أن كان استاذاً في رومية ثم ترجماناً للملك لويس الثالث عشر ثم استاذاً للغات السامية في الصوربون Sorbonne واحد المساعدين في ترجمة التوراة المتعددة اللغات polyglot. وكان من العاملين معه في ترجمة التوراة رفيقه يوحنا الحصروني

معظم هؤلاء العلماء تخرجوا في الكلية التي اسسها عام ١٥٤٨ البابا غريغوريوس الثالث عشر للطلبة المارونيين . ولا شك في أن تلك الكلية كانت من أهم العوامل في نشر اللغات والمعارف السامية في ايطاليا وفرنسا وسائر بلدان اوربا

اما الرجل الذي يصح أن يقال فيه ان حياته جاءت حلقة اتصال بين علوم الشرق وعلماء الغرب فهو يوسف سمعان السمعاني Assémani ابو العلوم الشرقية واكبر عالم انجبته سوريا الى اليوم . ولد السمعاني في طرابلس سنة ١٦٨٧ ومات في رومية سنة ١٧٦٨ . وقد اوفده البابا الى سوريا مرتين لجمع مخطوطات وكتب شرقية وعينه كليمنضوس الثاني عشر مديراً ثانياً لمكتبة الفاتيكان ، فنشر وطبع عشرات من المخطوطات السريانية والعربية والحبشية والارمنية والفارسية والعبرانية واليونانية .واهم مؤلفاته المكتبة الشرقية Biblioteca Orientalis التي لا تزال الى يومنا هذا قبلة المستشرقين وأهم المصادر التي يستقون منها

(البقية في الجزء الآتي)

الدكتور فيليب حتي
الاستاذ في جامعة كولمبيا بنيويورك

على ضفاف السين

للاستاذ انيس الخوري المقدسي م . ع .

السين نهر باريس عاصمة فرنسا الجميلة . وهو مشهور بما حدث على ضفافه من الحوادث العظيمة وأهمها الثورة الفرنسية التي كان لها تأثير كبير على تاريخ أوربا الحديث . زار الشاعر هذا النهر ووقف يتأمل مياهه والحوادث التي جرت عليه ثم نظم الايات التالية تذكاراً له قال :

* * *

يجري ويجري المجد فوق مياهه — وتفيض منه حوادث الايام

واليه يقبل كل جيل ظامئاً — فيعود منه راوياً لأوام [1]

كم ضاء فوق ضفافه من كوكب — متألق في داجيات ظلام

سل قبر نابوليون عن امجاده — واسأل هناك بوالي الاعلام [2]

واسأل عظاماً من عظام اصبحت — طي الرموس محجة الآنام [3]

من كل ذي قلم يسيل بلاغة — ويتيه مختالاً على الاقلام

من كل ذي سيف تسيل ظباته — مثل الغيوث سواكباً وهوامي

الثورة الكبرى التظت اذ اضرمت — من فوق ماء السين اي ضرام

وعلى جوانبه تفاقم شرها — وتراكمت عبر هناك دوامي [4]

فاهتزت التيجان فوق مفارق — والرعب شل ايادي الحكام

(١) الاوام العطش

(٢) بوالي الاعلام أي الاعلام التي ربحها نابوليون وقد اصبحت الان بالية لتقادم الزمان

(٣) العظام الاولى عظام الجسم والثانية عظماء الرجال . وطي الرموس أي في البانتيون حيث قبور العظماء

(٤) عبر أي حوادث يتعظ بها . ودوامي أي دامية فظيعة

والناس اصبح امرهم فوضى فما لشريعة امر ولا لنظام
شر عظيم إنما خير به ولرب خير من شرور نام

* * *

باريس عاصمة الجمال . فنهرها تاريخ اوروبا يسيل امامي
كم في متاحفها البديعة آية وصناعة دقت على الافهام
تمشي بنا الذكرى ونحن بها لدى متتابع الاحقاب والاعوام
أمم طواها الدهر لكن ذكرها فيها يظل الى مدى الايام

* * *

أعروس اوربا تحية شاعر يشجيه ذكرى ثغرك البسام
جوّاب آفاق لكي يحظى بما يجري عليه مجاري الالهام
يهوى الطبيعة والجمال فحيثما حلّ اقام هناك خير قيام
من برج ايفل (١) مطلق اشعاره فوق الرياح وساريات غمام
للشرق يرسلها رسالة مغرم ببلاده يدعو لها بسلام
تلك البلاد عزيزة لكنما لسوى ابنها تحلو من الاقوام
ما اجمل الاوطان ان خفقت لنا فيها بنود العز والاكرام

انيس الخوري المقدسي

(١) برج ايفل برج مشهور في باريس

حكم عربية

اذا أصابتك مصيبة فاعلم انه قد يكون أجل منها فلتهون عليك مصيبتك
اذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه ضاعت الامور
اذا عدم الانسان العقل والتوفيق لم يصلح له شيء من أمره
من خوفك لتأمن خير ممن امنك لتخاف
من رضي من صلة الاخوان بلا شيء فليؤاخ أهل القبور

الملكية

في الماضي والمستقبل

ان العامل النفسي لحيازة الاشياء وتملكها الشعور بالجوع ورسوخ ألمه في النفس وحب الابتعاد عنه في المستقبل والاستزادة من التنعم والتلذذ . وبعبارة أخرى لا يدرك معنى الملكية الا حيوان له ذاكرة يعرف بها الماضي وما مرَّ عليه من شقاء ونعيم ومخيلة يتصور بها المستقبل و ما عساه أن يحصل فيه

والانسان ليس بالحيوان الوحيد الذي يدرك معنى الملكية بل توجد حيوانات أخرى تشابهه في هذا الادراك . منها الكلب والنمل والنحل فان الكلب اذا عهد اليه سيده بحراسة أمتعته دافع عنها ومنع عنها كل تعدٍّ . والنمل يحرص على ذخيرته والنحل يضن بعسله ويلدغ كل من يحاول أن يسلبه اياه

وقد اعتاد الاجتماعيون على تقسيم الملكية الى نوعين ملكية فردية وملكية مشتركة . فالملكية الفردية هي أن يختص الفرد دون الجماعة بملكية الاشياء - والملكية المشتركة هي أن تكون العائلة أو القبيلة أو الامة المالكة على الشيوع وليس للافراد الا حق الانتفاع

وأي النوعين اقدم وأسبق في الوجود الملكية الفردية أو الملكية المشتركة ؟

ان الرأي الشائع هو أن الملكية المشتركة اقدم وان الانسان الاول يجهل الملكية الفردية كل الجهالة ولا يعرف عنها شيئاً . وهذا خطأ فان الانسان الاول مهما كان منحط الادراك ارقى من الكلب واذكى منه . وقد رأينا أن الكلب يعرف الملكية الفردية فلا يعقل أن الانسان الاول يجهلها . وكل ما يمكن أن يقال ان الانسان الوحشي لا يحترمها وان للقوي أن يغتصب مال الضعيف بدون حرج كالبوشمن فان الادوات والاسلحة وسائر المنقولات المعروفة لديهم ملك للافراد وليست ملكاً مشتركاً للجماعة . انما يجب على الضعيف أن يتنازل عن ملكيته لها بل عن امرأته واولاده اذا طلب منه ذلك وان امتنع يعرض حياته للمهالك

ان الملكية الفردية معروفة لدى النوع الانساني من قديم الزمن ولكنها كانت خاصة في أول الامر بالمنقولات لسهولة حيازتها والاحتفاظ بها . أما العقار

فكانت ملكاً مشتركاً للعائلة أو القبيلة وذلك لاستحالة الانتفاع بالعقارات على التخصص والافراد اذ لا يوجد لدى الوحشيين من الادوات ما يمكنهم من مقاس الارض وقسمتها وتحديدها بل لا يمكنهم الانتفاع بها اذا قسموها فانهم يعيشون عادة من الصيد أو من رعاية الماشية . والحياة على هاتين الطريقتين تقتضي التنقل والرحيل لاستنفادها موارد الصيد واستئصالها العشب بسرعة اذا استقرت القبيلة في مكان واحد . وأي فائدة يجنيها الفرد من حيازة أرض جرداء لا نبت فيها ولا حيوان ! وهل يمكن الدفاع عنها والاحتفاظ بها اذا رحلت القبيلة الى ناحية أخرى ؟

ان الفضاء عظيم والارض واسعة وعدد السكان كان ضئيلاً جداً لا يدعو الى التنافس والتزاحم على تملك الارض . والى وقتنا هذا توجد في مجاهل استراليا قبائل لا تحرم على غيرها صيدها ومراعيها وذلك لاتساع الارض عندها أو زيادتها عن حاجتها

ولم تنتقل ملكية العقارات من الجميات الى الافراد الا بعد انتهاء دور البداوة وانقطاع القبيلة عن الرحيل وقرارها في بقعة من الارض وعدولها عن الصيد ورعاية الماشية الى الاحتراف بالزراعة . وما دامت القبيلة عائشة على البداوة فملكية الافراد للارض تظل مجهولة وتخلو لغة هذه القبيلة من لفظ يعبر عنها كاللغة العبرية فانها عاطلة من كلمة تؤدي معنى الملكية العقارية وذلك لان العبرانيين كانوا رعاة لا يفقهون للملكية الفردية معنى

غير أن الملكية المشتركة لم تنقرض ولم يعف أثرها بمجرد الاحتراف بالزراعة والعدول عن الصيد والرعاية بل ظلت بعد ذلك مدة طويلة على الرغم من تلاشي أسبابها . بل لا تزال أطلالها باقية في بلاد كثيرة وعريقة في المدنية مثل لمبارديا وجبال سويسرا الالمانية حيث توجد في كل قرية كروم وارض زراعية ملك القرية لا يختص بها انسان

والاسباب في بقاء الملكية المشتركة مدة طويلة بعد زوال عللها كثيرة منها أن الملكية المشتركة بتوالي الازمان أصبحت عادة محترمة لها سلطان على النفوس مستمد من احترام الاسلاف وحب التشبه بهم والتخلق باخلاقهم . ومنها اتساع الارض على الافراد وعجزهم عن الدفاع عنها اذا اختص كل منهم بقطعة . ومنها أن الزراعة في أول نشأتها كانت ساذجة بسيطة للغاية وخالية من الوسائل التي تعوض الارض

ما تفقده من خصوبة . فكان التلف يتسرب الى الارض ويدركها العطب بسرعة فلا يحتفظ بها الافراد طويلاً بل يتركونها الى قطعة أخرى وهكذا . ومنها أن الوحشيين لا يعقلون للملكية معنى الا اذا كان الشيء المملوك من صنع المالك وعمل يده والارض ليست من صنع الانسان فلا يفقهون لتملكها معنى خصوصاً وان عملهم فيها ضئيل جداً لا يزيدها خصوبة ولا يعوضها شيئاً مما يستنفده الزرع

وكانت الارض المشتركة تستثمر على طرق مختلفة . لكل بلد طريقة تلائمها وتتفق مع عادات اهلها وطبيعة ارضها وضرورات الحياة فيها . ففي دمارالاند حيث يعيش سكانها من رعاية الماشية يحمل كل انسان لبن قطيعه الى ملبنة القرية وتجمع الالبان مع بعضها ويأخذ كل فرد ذكر وانثى ما يكفيه لطعامه والباقي بعد ذلك يوزع على الذكور خاصة بنسبة ما يملكونه من البقر . وفي الكنجو تزرع الارض على الشيوع وبعد الحصاد تجمع الغلة على بعضها كل نوع منها على حدة . وبعد ذلك يأخذ الرئيس نصيبه اولاً ثم يستبقي ثانياً قدراً مخصوصاً لبذر الارض في العام التالي وما يفيض بعد ذلك يقسم على الاكواخ بنسبة عدد افراد كل كوخ

وكيف انتقلت ملكية الارض من الجماعات الى الافراد ؟ وما هي العوامل التي دعت الى هذا التغيير ؟

ان العوامل كثيرة أهمها القوة وشن الغارات وظهور الرئاسة بحالة دائمة مستمرة . وذلك أن الافراد الذين يفوقون غيرهم قوة وشجاعة يتخذهم الرئيس اعواناً ويخصهم بالمنح والهدايا ويغمرهم بالنعم استمالة لهم وتأليفاً لقلوبهم ولينصروه اذا ثار عليه بعض اتباعه أو وقع في حرب مع اعدائه . والارض خير هدية يقدمها الرئيس لانصاره . فمن آن لآخر يقطعهم جزءاً منها . واذا غزا عدواً له وانتصر عليه ودخل بلده فاتحاً يفرق بعض الاسلاب ومن ضمنها الارض على اعوانه . وهؤلاء يعطون جزءاً مما أخذوه أو سلبوه الى اتباعهم . ومما يؤيد هذه النظرية أن الملكية المشتركة اطول عمراً وارسخ قدماً في البلاد الهادئة الساكنة البعيدة عن الحروب لمناعتها الطبيعية كجبال سويسرا حيث يوجد فيها الى الآن نوع من الملكية المشتركة كما سبق بيانه . أما البلاد المعرضة للحروب والغارات أو التي فطر سكانها على حب القتال فتنشأ فيها طائفة حربية تمتلك الرقاب والاموال وتستبد بكل شيء كالحبشة فان الارض ومن عليها من السكان ملك (للرؤوس) يتصرفون فيها كما يشاؤون . والملك في الكنجو هو

المالك الوحيد لكل شيء له أن يمنح ويسلب ما يريد ومن يريد . ونقل المقريزي أن الحكومة كانت تملك جميع الاراضي المصرية وكانت تؤجرها قبل الفيضان من كل سنة للافراد بطريق المزايدة . ومن يرسو عليه المزاد يزرع الارض . وبعد تمام الزراعة ينطلق المساحون لقاس الارض المزرعة ويقيدونها في دفاترهم تحت عنوان (قبالة فلان) . واستمرت الارض ملكا للحكومة لا يملك الافراد منها غير المنفعة الى ان حكم البلاد محمد علي الذي اخذ في توزيع الارض البعيدة والمهملة على اعوانه من الاتراك والبشوات فكان يعطيهم مساحات عظيمة تطلق عليها أباعد أو شفالق . وتبعه في هذه السنة خلفاؤه الخديويون . اما الاراضي الاخرى المسماة بالخراجية فقد ظلت منفعتها في يد الاهالي مع بقاء رقبتها للحكومة الى ان صدرت اوامر عالية بجعل جميع الارض ملكا للافراد . وآخر امر من هذا القبيل صدر في ١٥ ابريل سنة ١٨٩١

وهناك عوامل أخرى دعت الى اهمال الملكية المشتركة ولكن هذه العوامل غير عامة بل خاصة ببعض البلاد مثل سويسرا الالمانية وبعض المدن اليونانية القديمة وذلك ان الارض المشتركة في هذه البلاد لا تزرع على الشيوع بل توزع على الافراد سنوياً . وبتوالي الزمن مع الاهمال والتراخي من جانب الضعفاء وتمسك الافراد المجدين بالقطع التي اعتادوا على زراعتها واحيوا مواتها تأخذ عادة التوزيع السنوي في التلاشي والانقراض حتى تنعدم ويستقر كل انسان مالكاً للارض الواضع يده عليها

بعد هذا يجدر بنا أن نتساءل هل الملكية الفردية أقصى ما تصبو اليه الانسانية وارقى نظام لاستغلال الاموال وآخر درجة يصل اليها التطور الاقتصادي أم هي مرحلة من التاريخ الاجتماعي سيغادرها الانسان قريباً او بعيداً الى نظام آخر ؟

ان التطور قانون عام وشامل لجميع الكائنات والانظمة الموجودة في هذا العالم. وقد رأينا أن الملكية لم تشذ في الماضي عن هذه القاعدة حيث لم تصل الى حالتها الحاضرة الا بعد ان تقلبت في أدوار عديدة حسب مقتضيات الزمان والمكان ولن تشذ في المستقبل ما دامت العوامل الفعالة فيها لا تستقر على حال من التغيير والتبديل. وبوادر الاحوال تدل على ذلك . فان القلق الاقتصادي سائد في جميع انحاء العالم المتمدن والعمال ثائرون في كل مكان لا ينفكون عن الاضراب عن العمل الا ريثما

يستعيدون قواهم لمعالجة الاضراب ثانية واسقاط أصحاب الاموال من عروشهم .
وهؤلاء تارة يستلينونهم بزيادة الاجور وانقاص ساعات العمل وبناء مساكن صحية فلا يلينون وطوراً يناجزونهم القتال ويقفلون في وجوههم المعامل فلا يرتجعون والحكومات حيرى لا تدري خلاصاً ولا تجد الى التوفيق بين الفريقين سبيلا ولا تجرأ أن تعالج الداء الحقيقي فتصلح النظام الاقتصادي الحالي اما جهلا منها بالداء أو خوفاً من أن تمس يدها البناء الاجتماعي فيخر على عروشه ويدفن تحت انقاضه كل قانون ونظام فتعم الفوضى ويضطرب الامن والسلام

وستظل هذه الثورة الاجتماعية قائمة هائجة حتى يتم التطور حلقته التي ابتدأها من زمن غير بعيد واستزادتها الحرب الاوربية الكبرى قوة وحدة ويصل بالعالم الى نظام ترضاه جميع الطبقات ويحتفظ التوازن بينها الى اجل

وماعساه أن يكون هذا النظام ؟ هل يتبع العالم مبادىء كارل ماركس الاشتراكية أو يتخذ نوعاً آخر من الفردية ؟

أجابت روسيا على هذا السؤال فاتخذت الاشتراكية نظامها الاجتماعي والاقتصادي وطفقت تبث دعواها البلشفية في جميع انحاء العالم على أمل تعميمها . ولكن لم تقتد بها امم أخرى كثيرة . ولا يمكننا أن نتنبأ بمستقبل البلشفية لا في روسيا ولا في غيرها حيث لم يمض عليها من الوقت ما يكفي للقول بصلاحها أو فسادها . وكل ما يمكننا أن نقوله في هذا الصدد هو أن العالم سائر في طريق مخصوص ونحو غاية مخصوصة . هذه الغاية هي توزيع العمل وتجزئته وتوزيع الصنائع والحرف مع توحيد المصالح بحيث ان العالم يصبح شبكة من خيطان دقيقة عديدة ومرتبطة بعضها تمام الارتباط وأن النظام الاقتصادي المستقبل لا بد ان يكون ملائماً لهذا التيار ومساعداً له على جريانه

عبده البرقوقي
دكتور في الحقوق

خير هدية

تقدمها الى قريبك أو صديقك او زميلك هي اشتراك في الهلال باسمه فتصله اجزاء السنة وملاحقها شهراً بعد شهر فيذكرك ويذكر لك فضلك

ضلال التاريخ

من قصيدة لمعروف الرصافي

أقول وطرفي في المحال محدّق ... أبالدهر مسّ أم باهليه أولق
أما للغباء الزمان مفسر ... فقد حار فيها الالمعيّ المدقق
لقد خامرتني في الزمان وأهله ... شكوك عليها يعذر المتزندق
أرى الدهر في أمرين يعمل دائباً ... صَناع اليدين فيهما يتأنق
يجدد للموتى مناقب لم تكن ... لديهم وللاحياء يُبلي ويخلِق
فكم من قبور عظَّم الناس أهلها ... بما لم يكن عند النهى يحقق
ورب امرىء قد عاش يستقطر الثنا ... فلما قضى سال الثنا يتدفق
سقى الدهر للاموات غرس مناقب ... بعين فظل الغرس ينمو فيبسق
أرى كل ميت ما تقادم عهده ... تقام له سوق الثناء فتنفق
فاقربهم عهداً أقل غضاضة ... واقدمهم عهداً اغضّ واسمق
كان كرامات الفقيد بواسق ... يؤبرها كرّ القرون فتعذق
اذا شط جيل خط من جاء بعده ... اكاذيب عنه بالثناء تزوّق
فما كُتُب التاريخ في كل ما روت ... لقرائها الا حديث ملفق
نظرنا لامر الحاضرين فرابنا ... فكيف بامر الغابرين نصدّق
وما صدقتنا في الحقائق أعين ... فكيف اذن فيهنّ يصدق مُهرق
وهل قد خصصنا دون من مات قبلنا ... بخبث السجايا شذّ ما تحمق

معروف الرصافي

الغرس والجني

من حكمة العرب :

من غرس العلم أجتنى النباهة . ومن غرس الزهد اجتنى العز . ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة . ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة . ومن غرس الوقار اجتنى المهابة . ومن غرس المدارة اجتنى السلامة . ومن غرس الكبر اجتنى المقت. ومن غرس الحرص اجتنى الذل . ومن غرس الطمع اجتنى الخزي . ومن غرس الحسد اجتنى الكمد

ولوع الملوك والعظماء بالحيوانات

ونوادرهم الغريبة في التاريخ

(على ذكر حادثة مقتل ملك اليونان من عضة قرد)

وافتنا الانباء البرقية بوفاة ملك اليونان الشاب (المرحوم الملك اسكندر) على أثر عضة قرد ، فكان لموته وقع شديد في انحاء العالم ، وتلته حوادث خطيرة في تاريخ اليونان الحديث قامت لها أوربا وقعدت ، فسقطت بسببه وزارة فنيزيلوس وسياسته فلجأ الى فرنسا وتشتت أعوانه وأنصاره وقام الشعب اليوناني يطلب ملكه السابق قسطنطين والد الملك المتوفى بالرغم من معارضة الحلفاء . وتطورت بذلك السياسة في اوربا والشرق ، ولا تزال حوادث « هذه الرواية العظيمة » تمثل على مسرح اليونان وتتأثر بها سياسة اوربا والعالم أجمع ،

أما تفصيل هذه الحادثة فاصح ما روي عن أسبابها هو ما نشرته جريدة (هستيا) اليونانية التي تصدر في إثينا وهذا تعريبه الذي جاءتنا به الانباء : « بينما كان الملك اسكندر يتنزه في قصره في (توتوى) ومعه حاجبه استرن اقترب من مكان فيه قردة مربوطة . وكان مع الملك كلبه فرتز الذي اعتاد استصحابه فلما رأى الكلب القردة انقض عليها ونشبت بينهما معركة شديدة وكانت القردة مربوطة فلم تقدر على الهرب ولم تستطع الدفاع عن نفسها . وبينما كان الملك وحاجبه يحاولان الفصل بين الحيوانين المتقاتلين اذ فاجأهما ذكر تلك القردة آتياً من بين الاشجار ليذب عن اناه . وكان أول ما فعله أن هجم على الملك وعضه في فخذه اليسرى فجرحه جرحاً بليغاً . وفي الوقت ذاته تطاير بعض الخدم الى مكان الحادثة فأقصوا القرد وطردوه الا انه عاد ثانية فعض يد الملك وأحدث فيها جرحاً آخر مثل الجرح الاول . وقد خشي بعض الاطباء أن يكون القرد مصاباً بالكلب فقتل وأخذ دماغه لفحصه ، وقد كانت النتيجة ان الجرحين اللذين أصابا الملك سببا وفاته »

فلهذه المناسبة رأينا أن نذكر للقراء بعض ما يرويه التاريخ من هذا القبيل ، وفيما يلي امثلة من أعجب ما حفظه التاريخ العربي عن ولوع الخلفاء والملوك والعظماء باقتناء الحيوانات ومغالاتهم في العناية بها وبتعليمها وتربيتها وبيان مقاصدهم ومذاهبهم ومختلف

ميولهم (غاياتهم) المدهشة وتفننهم فيها . وما يتخلل ذلك من غرائب الاخبار وطرف التاريخ فنقول :

ان الولوع باقتناء الحيوانات من الملاهي المألوفة (والغيات) الشائعة المحبوبة لدى الملوك في الشرق والغرب منذ أقدم أزمنة الحضارة القديمة الى هذا العصر . ويتشابه الملوك والعظماء في اكثرها (على اختلاف انواعها) لتشابه مرادهم منها ، فهم يتخذونها أما للهو بالعابها ومشاهدة غرائب أطوارها وطبائعها في ساعات الفراغ او لترويض عقولهم بها وبحركاتها بعد تذليلها وتعليمها كما كانوا يفعلون بالقردة والكلاب والغزلان والحمر الوحشية وغيرها أو يتخذونها للصيد والقنص ، ولهذه خاصة شأن كبير عند الملوك لاهتمامهم بالصيد ورياضته فتفننوا في تربية الجوارح والكلاب والفهود وبالغوا في اتقانها وبذلوا الاموال في اقتنائها وتربيتها

أما الحيوانات المفترسة وولوع الملوك بارتباطها بقصورهم وعنايتهم بجمعها فيرجع الى ميولهم والى مقاصد لهم في ذلك : منها اللهو واظهار القوة والقدرة وابهة الملك واثبات الهيبة في القلوب . فمن ملاهي الخلفاء والملوك مثلاً ارتباط الاسود والنمور والفيلة وغيرها لاثبات الهيبة في قلوب الرعية حتى أن بعضهم قد ارتبطها في مجلسه تهويلاً بذلك على الناس وترويعاً لهم كما سيأتي . ولهم في كل ما تقدم غرائب ونوادر كثيرة :

فأول من دوّن له التاريخ من الخلفاء والملوك في الاسلام ذكراً في ذلك يزيد ابن معاوية ، فهو أول من ولع منهم باقتناء الحيوانات وكان أشد الناس كلفاً بالصيد فاتخذه للهو وليس للرياضة . وكان صاحب قرود وفهود وكلاب وجوارح ، قال عنه ابن طباطبا في كتابه الفخري : « وكان يلبس كلاب الصيد الاساور من الذهب والجلال المنسوجة من الذهب ويهب لكل كلب عبداً يخدمه » !! وقد أورد له ابن طباطبا حكاية ظريفة في ذلك كنا نأتي عليها لولا أنها مطولة فليراجعها من شاء [١]

ومن غريب ما ذكروه ليزيد بن معاوية قرده الذي كان يكنى « بابي قيس » فقد كان يحضر مجلس منادمته ويجلس معه ويسابق الخيالة والفرسان في السباق وهو على أتان وحشية وعليه الثياب الثمينة الفاخرة الى غير ذلك من الامور المضحكة العجيبة، قال المسعودي في مروج الذهب : « وكان له قرد يكنى « بابي قيس » يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ . وكان قرداً نبيهاً خبيثاً ، وكان يحمله على أتان وحشية قد

---

(١) انظر الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ص ٤٩ و ٥٠

ريضت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل « يوم الحلبة » ، فجاء ابو قيس في بعض الايام سابقاً فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى ابي قيس قباء من الحرير الاحمر والاصفر مشهر وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات الوان بشقائق وعلى الاتان سرج من الحرير الاحمر منقوش ملمع بانواع من الوان ، فقال في ذلك بعض شعراء الشام :

تمسك أبا قيس بفضل عنانها   فليس عليها أن سقطت ضمان
ألا من رأى القرد الذي سبقت به   جياد أمير المؤمنين أتان » (١)

واشتغل بذلك كثير من خلفاء بني امية وبني العباس على تفاوت ميولهم في ذلك وعلى الاخص لما تحضروا واخذوا باسباب المدنية واخلدوا الى النعيم والترف فقد غالوا في اقتناء هذه الحيوانات والاستكثار منها وتفننوا في تزيينها بالحلي والحلل واقتدى بهم الامراء والعظماء في الدولة فبالغوا في اتخاذ الكلاب والفهود والقردة ونحوها حتى ان النساء أيضاً لم تنج من ذلك، فقد ذكروا انه كان عند زبيدة ام جعفر زوج الرشيد قرد يخدمه ثلاثون رجلاً وكانوا يلبسونه لباس الناس ويقلدونه السيف واذا ركب ركبوا في خدمته واذا دخلوا عليه قبلوا يده !! فجاء يزيد بن مزيد يوماً الى ام جعفر ليودعها قبل سفره فاتوا اليه بالقرد وامروه ان يقبل يده فشق عليه ذلك وجرد السيف وقطعه نصفين وانصرف . فبعث اليه الرشيد وعاتبه فقال : « يا أمير المؤمنين أبعد ان اخدم الخلفاء اخدم القرود ! لا والله ابداً » فعفا عنه ! وقس على ذلك القول في سائر الخلفاء العباسيين والفاطميين والأمويين بالأندلس وغيرهم من الملوك كالسلاجقة والايوبيين ، فقد ذكر ابن طباطبا أن السلطان مسعود السلجوقي « كان يبالغ أيضاً في ذلك ، ويلبس الكلاب الجلال الاطلس الموشاة ويسورها بالاساور الذهب . وكان يقلل في بعض الوقت الالتفات الى امين الدولة ابن التلميذ الطبيب النصراني وكان فاضلاً ظريفاً فقال :

من كان يلبس كلبه   وشياً ويقنع لي بجلدي
فالكلب خير عنده   مني وخير منه عندي » (٢)

اما عادة ارتباط الاسود والنمور والفيلة بباب الملوك التي قلنا أنها من ملاهي الخلفاء والملوك التي مالوا اليها لاثبات الهيبة في قلوب الرعية واظهار أبهة الملك وقوة السلطان

(١) مروج الذهب ص ٦٨ ج ٢   (٢) الفخري ص ٥٠

والقدرة ، فأول من اتخذها العباسيون فقد كان الخليفة المنصور شديد الاهتمام كثير العناية بجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة من الهنود والفرس لها وكان للرشيد اقفاص فيها الاسود والنمور وغيرها (١)

وما زال شأن الخلفاء وأهلهم على ذلك حتى ملئت دار الخلافة بالسباع والنمور والكلاب على اختلافها . فلما تولى الخليفة المهتدي وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز في الزهد والتقوى أمر بقتل هذه السباع ، قال ابن الاثير في حوادث سنة ٢٥٥ هـ : « امر المهتدي العباسي باخراج المغنين من سامرا ونفاهم عنها وأمر ايضاً بقتل السباع التي كانت بدار الخلافة وطرد الكلاب » (٢) لكن هذا المنع لم يدم طويلاً فلما مات المهتدي عادوا الى المغالاة في اقتناء هذه الحيوانات المفترسة حتى ارتبطها بعضهم في مجلسه ، ولا سيما أن الفكرة السياسية الشائعة في تلك العصور كانت اقامة الهيبة واثباتها في صدور الرعية ، وحفظ ناموس المملكة بهذه الوسائل ، واليك كلام ابن طباطبا في شرح هذه النظرية السياسية قال : « الهيبة وبها يحفظ نظام المملكة ويحرس من اطماع الرعية وقد كان الملوك يبالغون في اقامة الهيبة والناموس حتى بارتباط الاسود والفيلة والنمور وبضرب البوقات الكبار والدبادب ورفع الالوية على رؤوسهم كل ذلك لاثبات الهيبة ، فقد كان عضد الدولة بن بويه اذا جلس على سريره احضرت الاسود والفيلة والنمور في السلاسل وجعلت في حواشي مجلسه تهويلاً بذلك على الناس وترويعاً لهم» (٣)

وقد انتشرت هذه الفكرة وذاع اتخاذ هذه الحيوانات في الممالك العربية في الشرق بل في الاندلس ايضاً ، قال المقري : « وقد اتخذ الخليفة الناصر الاموي في مدينة الزهراء محلات للوحوش والسباع واسعة الارجاء متباعدة السياج » (٤)

واعجب من ذلك ولوع خمارويه بن احمد طولون باقتناء هذه الوحوش الضارية وعنايته بتذليلها وتعليمها حتى بنى لها داراً خاصة تعرف « بدار السباع » وصفها المقريزي وذكر ما احتوت عليه من النظام وصفاً بديعاً بقوله : « عمل فيها بيوتاً بآزاج كل بيت يسع سبعاً ولبؤته وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها

---

(١) العقد الفريد ص ١٥٠ ج ١ (٢) الكامل لابن الاثير ص١٣٧ ج ٧ طبعة اوربا
(٣) الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ص ٢٠ (٤) نفح الطيب ص ٢٧٤ ج ١

بحركات ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يفرشه بالزبل وفي جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء ، وبين يدي هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها ، وفي جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء ميزاب كبير . فاذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف بيته أو وضع وظيفة اللحم التي لغذائه رفع الباب بحيلة من أعلى البيت وصاح بالسبع فيخرج الى القاعة المذكورة فيردّ الباب ثم ينزل الى البيت من الطاق فيكنس الزبل ويبدل الرمل بغيره مما هو نظيف ويضع الوظيفة من اللحم في مكان معد لذلك بعد ما يخلص ما فيه من الغدد ويقطعه لها ويغسل الحوض ويملاء ماء ثم يخرج ويرفع الباب من اعلاه وقد عرف السبع ذلك فحالما يرفع السائس باب البيت يدخل اليه الاسد فيأكل ما هيء له من اللحم حتى يستوفيه ويشرب من الماء كفايته ، فكانت هذه البيوت مملوءة من السباع ، ولهم أوقات تفتح فيها سائر بيوت السباع ، فتخرج هذه السباع كلها الى القاعة وتتمشى فيها وتخرج وتلعب ويهارش بعضها بعضاً فتقيم يوماً كاملاً الى العشي فيصيح بها السوّاس فيدخل كل سبع الى بيته لا يتخطاه الى غيره » (١)

وكان لخمارويه سبع من هذه السباع قد استأنس به يسمى « زريق » فكان يحرسه اذا نام ويسير مطلقاً في الدار لا يؤذي أحداً ، قال المقريزي : « وكان من جملة هذه السباع سبع أزرق العينين يقال له زريق قد أنس بخمارويه وصار مطلقاً في الدار لا يؤذي احداً ويقام له بوظيفته من الغذاء في كل يوم ، فاذا نصبت مائدة خماوريه اقبل زريق معها وربض بين يديه فيرمي اليه الدجاجة بعد الدجاجة والفضلة الصالحة من الجدي ونحو ذلك مما على المائدة فيتفكه به . وكانت له لبوءة لم تستأنس كما أنس هو فكانت مقصورة في بيت ولها وقت معروف يجتمع معها فيه . فاذا نام خمارويه جاء زريق ليحرسه فان كان قد نام على سرير ربض بين يدي السرير وجعل يراعيه مادام نائماً ، وان نام على الارض بقي قريباً منه ويفطن لمن يدخل ويقصد خمارويه لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان على ذلك دهره ، وقد الف ذلك ودرب عليه وكان في عنقه طوق من ذهب ، فلا يقدر أحد أن يدنو من خمارويه

(١) المقريزي ص ٣١٧ ج ١

ما دام نائماً لمراعاة زريق له وحراسته اياه ، حتى اذا شاء الله انفاذ قضائه في خمارويه كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر» (١)

فترى انه لم يكن عندهم ذلك الميل البسيط لاقتناء الحيوانات المفترسة فقط بل كان لهم أيضاً فوق ذلك ميل شديد لتربيتها وتذليلها حتى تعتاد على نظام خاص او تستأنس ، وكانت لهم عناية في ذلك حتى اتخذوها لاغراض ومقاصد لهم كاثبات الهيبة او اظهار ابهة الملك وقوة السلطان او الحراسة وغيرها مما بيناه من المقاصد التي قد يقبلها العقل. ولكن الذي يدهش له العقل لغرابته وندرة حصوله ما ذهب اليه البعض منهم من اقتناء الهوام والحشرات والولوع بها ! وهذا أعجب أنواع الامراض التي اصيب بها العظماء في هذا الشأن ودون التاريخ اعراضها ومضحكاتها معاً . فقد روى المقريزي في الخطط والصلاح الكتبي في فوات الوفيات أن الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات وزير مصر للاخشيد المعروف بابن حنزابه « كان يهوى النظر الى الحشرات من الافاعي والحيات والعقارب وام أربعة واربعين وما يجري هـذا المجرى وكان في داره بمصر قاعة لطيفة مرخمة فيها تلك الحيات بالسلال ولها قيم وفراش وحاو يستخدمون برسم نقل تلك الحيات وحطها، وكان كل حاو بمصر يصيد ما يقدر عليه من الحيات ويتناهون في ذوات العجب من أجناسها وفي الكبار والغريب منها، وكان يثيبهم على ذلك أجل ثواب ويبذل لهم المال الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها ، وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة فيدخل المستخدمون والحواة فيخرجون ما في تلك السلل ويطرحونه على ذلك الرخام ويحرشون بين الهوام وهو يستعجب من ذلك ويستحسنه ! ! »(٢)

وقد وقفنا لهذا الوزير على نادرة من أفكه وأعجب ما يذكر في هذا الباب وهي تبين درجة ولوعه وشدة شغفه قال المقريزي : « فلما كان ذات يوم أنفذ الوزير (ابن الفرات) رقعة الى الشيخ الجليل ابن المدبر الكاتب وكان من أعيان كتاب أيامه ودولته وهو عزيز عنده وكان يسكن الى جوار داره (دار ابن الفرات) يقول له فيها : « نشعر الشيخ الجليل أدام الله سلامته أنه لما كان البارحة عرض علينا الحواة الحشرات الجاري بها العادات ، انساب الى داره منها « الحية البتراء » و « ذات القرنين الكبرى » و « العقربان الكبير » و « أبو صوفة » وما حصلوا لنا الا بعد عناء طويل ومشقة وبجملة بذلناها للحواة ، ونحن نأمر الشيخ وفقه الله تعالى بالتقدم

(١) المقريزي ص ٣١٧ ج ١ (٢) فوات الوافيات ص ١٠٣ ج ١

الى حاشيته وصيته بصون ما يوجد منها عنده الى أن تنفذ الحواة لاخذها وردها الى سللها » . فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها : « أتاني أمر سيدنا الوزير خلد الله نعمته وحرس مدته بما أشار اليه في أمر الحشرات ، والذي يعتمد عليه في ذلك ان الطلاق يلزمه ثلاثاً ان بات هو وأحد من أهله في الدار والسلام » [١] !!

وهناك أمثلة عديدة في التاريخ على ولوع الملوك والعظماء بالحيوانات على اختلاف أنواعها بل هناك من ولع بها جميعاً فجمع في شخصه مختلف ميول من تقدموه ، فقد ذكر ابن خلكان ان الخليفة العزيز بالله الفاطمي صاحب مصر « قد اجتمع عنده من غرائب الحيوانات ما لم يجتمع عند غيره وذكروا بينها العنقاء ؟ » [٢] . وهناك غير ذلك مما لا يتسع المقام لذكره

وفي التاريخ الاوربي كثير من أمثال هذه الحوادث ، فقد كان اقتناء الحيوانات النادرة والوحوش المفترسة الغريبة عادة شائعة بين الملوك والامراء والوزراء ، فمن ذلك ولوع هنري الاول ملك انكلترا بجمعها حتى انشأ لها مكاناً عظيماً عني به بعض خلفائه فوسعوه وجعلوه معرضاً ، وكان لفيليب السادس ملك فرنسا مثل هذا الميل فخصص لحيواناته مكاناً في قصر اللوفر ، وكذلك لويس الرابع عشر الملك العظيم فقد انشأ لها مواضع في قصر فرسايل واستقدم كثيراً من الحيوانات الغريبة من القاهرة

أما في الشرق فمن اغرب ما يروى انه في الوقت الذي يعمل فيه على استئصال شأفة الحيوانات المفترسة في أوربا وآسيا وغيرهما ليأمن الانسان شرها نرى الامر على عكس ذلك في بعض الاقطار ، فالاسد مثلاً قد تمكنوا من افنائه في بلاد الهند الا انه لا يزال موجوداً في جزيرة (خاتيفار) في غربي الهند ويرجع السبب في بقائه حتى الان بتلك البلاد الى رغبة بعض أمراء الهند في المحافظة عليه بمتلكاتهم للصيد ، وهم يعهدون الى بعض الموظفين بعملية أحصاء الاسود ولا يسمح لاي انسان أن يدخل الغابة التي يسكنها الاسود الا بتصريح خاص من الامير صاحبها

عبد الفتاح عباده

---

(١) المقريزي ص ٣١٩ ج ٢ (٣) وفيات الاعيان ص ٢٦٧ ج ١

وعلى الارض السلام

كتبت لعيد ميلاد سنة ١٩٢١

يوم ميلاد ملك السلام رأيت الملائكة تهبط صامتة نحو بني البشر ، ثم رأيتها ترتفع الى السماء وفي قلوبها غصة اذ لا تجاسر أن تهمس في آذان الكون كعادتها في كل عام : « وعلى الارض السلام »

ذلك لان السلام مات من الارض ، ودفن في ظلال فساد البشر

لقد هرب من وجه المدفع بعد أن سمع باذنيه صليل السيوف وأنين الضحايا

لقد طرده الناس فعاد الى السماء ، اذ لم يجد على الارض مكاناً يلتجيء اليه

* * *

بالامس رأيتك في بيت لحم يا ابن مريم — طفلاً صغيراً وملكاً عظيماً

رأيتك هارباً الى مصر من وجه السكين التي قطعت اعناق الاطفال في ذلك الجيل . اما اليوم فالى اين تهرب والمناجل الدموية تقطع اعناق الرجال — ليس في اليهودية فقط — بل في العالم الواسع الكبير أيضاً

التجأت الى داخل نفسي فاذا بها ثائرة مضطربة كبركان يلتهب ، والتفت الى العالم فاذا به شعلة من غضب ونار فوقفت لا ادري الى أين امضي

بالامس مشيت بجانبك على ضفاف بحيرة الجليل الهادئة . واليوم اقتربت منها فاذا هي بحيرة من دماء

رأيتك وانت تأمر امواج البحر بالسكينة والهدوء فتطيعك خاضعة صاغرة ، والتفت الى امواج العالم المضطربة فابصرت قارب خلاصك يتحطم على صخوره وقد ضاع بين طيات الامواج الثائرة

رأيتك نازلا من صفد الى كفرناحوم — ابصرت آثار قدميك الناعمتين على رمال شاطيء البحيرة . اما آثار تعاليمك الجميلة السامية فلم اجد لها اثراً في طيات عقول البشر الذين يدعونك بالمعلم الصالح

رأيتك بالامس تشبع الجموع فصحت من اعماق قلبي : تعال الآن ايها المعلم واشبع الجموع فهي اليوم اشد جوعاً منها بالامس. فلقد تسلط عليها جوع النفس وجوع الجسد معاً

لقد عشنا خمس سنوات على خمسة ارغفة من الخبز. وفي ختام ذلك الفصل المفجع رفعنا الفضلات كما رفعتها انت قبلنا ، واذا بها قفف كثيرة من عظام واشلاء ضحايا الجوع ـ عظام ابناء واحفاد الذين رفعت من فضلات طعامهم سبع قفف ممتلئة

فتشنا عن تلك الفضلات الكثيرة المشبعة فوجدناها مذخورة في تعاليمك ، لكننا رأيناها طعاماً قديماً بائتاً لا يوافق معد هذا العصر ولا تلائم طعمته الحلوة اذواقنا المرة القاسية

رأيتك تمد يدك فتشفي الاعمى والابكم والمفلوج ، فوددت لو تمد اناملك الآن لتشفي البشرية العمياء المفلوجة المنهوكة الروح

ان الراعي اليوم لا يستطيع التمييز بين الغث والسمين ـ لا يمكنه أن يذهب ليفتش على الخروف الضال فان القطيع جميعه قد ضل وزاغ

ان ديك بطرس لا يزال يصيح في كل فجر ـ والبشرية لا تزال تنكرك كل يوم وكل ساعة . واذا جئت اليها من جديد فانها تصلبك من جديد ايضاً

* * *

لا اصدق الملائكة لو سمعتها تنشد « وعلى الارض السلام » لكنني اصدق تعليمك يا معلم حين قلت « ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً »

لقد صدقت نبوتك واشتعل السيف بالبشر

انظر من علوك الى قلوب الامهات الحزينات المتشحات بالسواد الجالسات بجانب موقد النار يوم عيد ميلادك : جميعهن راحيل تبكي على اولادها . ان في رأس السنة الجديدة تذكارات مفجعة مؤلمة دامية لعواطفهن . ما اسلم قلوب اولئك الامهات ! انهن يعمدن الى عزاء واحد ولكنه عزاء كاذب يا معلم . فعزاؤهن

الوحيد ان فلذات اكبادهن استشهدت في سبيل انتصار مبدأ ـ مبدأ السلام والحق . يا لتعاسة اولئك الامهات اين هو السلام واين هو الحق ؟

* * *

يا لهم من فريسيين يا معلم ـ يبلعون الجمل ويتغاضون من الابرة

قم يا معلم . فالهيكل البشري الاعظم قد امتلأ بالصيارفة والدجالين وباعة الاثمار المضرة المنتنة . لقد تعالت روائح العفونة من جميع انحاء الارض ، والعالم اليوم يحتاج الى سوطك لطرد الذين يعبثون بهيكل الحق والسلام

* * *

ان العواصف السياسية الهائلة تهب بشدة على العالم . ولكننا نكاد نتناسى هياجها امام الزوابع الاجتماعية التي تتهدد سلامة الكون وراحة البشر

ان وميض نيران الحروب يلمع وراء بنود شروط الصلح

لقد خرجت جميع الشعوب من هذه الحرب غاضبة ناقمة : الظافر والمنكسر كلاهما غير راض ، كلاهما ينتظر حين تدق الساعة معلنة نشوب حرب اخرى ، وقلوب البشر واجفة خائفة لانها تكاد ترى العقرب الكبير يرتعش كأنه يريد ان يتحرك

* * *

بالامس قام شيخ جليل اسمه تولستوي فاراد ان يقلدك يا معلم

هجر بيته واهله ، وعاف ماله واملاكه ، وطاف يبشر في الناس ويعلم الجموع

ان تعاليمك المقدسة خفيت على اليهود فصلبوك

اما اولئك الاقوام فقد خفيت عليهم تعاليم فيلسوفهم فصلبوا انفسهم على خشبة اسمها « البلشيفيكية »

* * *

ان العقلاء في كل مكان ينظرون ويتألمون

انهم يسكبون دموعاً كثيرة

ذلك يذكرني بالدمعة التي سكبها ملك المجد

« بكى يسوع » تلك الدمعة التي تحدرت مع الاجيال كانت الاساس المتين لكل ما بني في النفوس من التسامح والتساهل والمحبة والايمان والاحترام

نحن لا ننسى دموعك لاجلنا يا معلم

تلك الدموع هي السلسلة الذهبية التي تربط السماء بالارض

هي البحر الواسع الذي يغسل جميع الذنوب ويظل طاهراً نقياً

هي أشرف ما امتص الهواء واقدس ما شرب التراب

أنت سفكت الدماء في سبيل الغير، فلا بدع ان سكبت الدموع

لكن ما الذي دفعك الى البكاء ذلك الحين ؟ من هو السعيد الذي بكيت لاجله يا معلم ؟

هل امتلأت روحك الشاملة بالحزن الفكري العميق على المجموع التاعس الاعمى فنزلت رحمتك من العيون دموعاً ؟

ان انتصارك العظيم كان مغلقاً بروح حزنك الفكري الخالد – ذلك الحزن الفكري الذي يمنح الوجه كمالاً والروح جمالاً

ليس في ذلك الانتصار الابدي شيء من غلبة يوليوس قيصر ولا من بطش نيتش الالماني

انه انتصار الهدو والسكون والسكوت

ان الحزن الفكرى الذي تجلى في دموعك كان أعظم امثولة من الاله الى الانسان – انه رمز لاسمى أمنية تحدرت مع همس الالهة الى أبناء التراب

* * *

أنت لم تأت لتبني يا معلم ، بل جئت لتهدم

الاساس فاسد متساقط لا يقوم الا بهدم البناء واعادة بنائه

لقد هدمت وأنت مطرودٌ محتقرٌ على الارض ، وبنيت وأنت مهانٌ مرتفع على الصليب

لقد سكبت البشرية كل جريمتها في صدرك الواسع ، وأنت غفرت لها
فلماذا عاد الشر الى الارض والشقاء الى البشر ؟
ان الانسانية اليوم سفينة محطمة تتقاذفها الامواج وتتلاعب بها الارياح فلا
تجد ميناء اميناً تلقي مرساتها فيه

* * *

ورأيتك على صليب من خشب في اهيب مواقفك يا معلم
وكان الصليب طريقك الى السماء والمجد
واليوم أرى البشرية على الصليب أيضاً ـ صليب من ذهب
لكنه طريقها الى الخراب والموت

مصر — توفيق مفرّج

انا غريبان ههنا

للشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي

لقد كنت في درب ببغداد ماشيا ... وبغداد فيها للمشاة دروب
فصادفت شيخاً قد حنى الدهر ظهره ... له في الصراط المستقيم دبيب
عليه ثياب رثة غير أنها ... نظاف فلم تدنس لهن جيوب
يسير الهوينا والجماهير خلفه ... يسبونهُ والشيخ ليس يجيب
له وقفة يقوى بها ثم شهقة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب
تدلّ غضون في وسيع جبينه ... على انه بين الشيوخ كئيب
فساءلت من هذا فقال مجاوب ... هو الحق جاء اليوم فهو غريب
فجئت اليه ناصراً ومؤازراً ... ودمعي لاشفاقي عليه صبيب
وقلت له « انا غريبان ههنا ... وكل غريب للغريب نسيب »

جميل صدقي الزهاوي

نظرية الاسعار والمسعرات

ونسبة بعضها الى بعض

ما هو معنى الغلاء

مهما تنوعت أحاديث الناس فحديث الغلاء عندهم دائماً مستطرف لانه يصيب كبد مصالحهم الجوهرية ويحك على جرب معائشهم . وما تحدث أحد بهـذا الموضوع الا جعل يقارن الاثمان الحاضرة بالاثمان الغابرة ويستخرج من هذه المقارنة مقدار الغلاء . ولكن حتى الآن لم يمكن اجماع السواد الاعظم من الناس على تعيين مقداره

فبعضهم يقول أن الاسعار تضاعفت ضعفين . وبعضهم يقول بل تضاعفت ثلاثة أضعاف الى غير ذلك من التخمينات . فاختلاف الناس في التقدير حتى لا يكاد اثنان يتفقان عليه يدلك على ان تقدير مقدار الغلاء من المسائل العويصة وان كان الغلاء شيئاً محسوساً عند الجمهور وأبسط الناس يعلمه ويتحدث به . ومن أغرب الامور ان يجهل عامة الناس حقيقة لها مساس شديد بكل فرد منهم

اول ما يشكوه عامة المتذمرين من الغلاء قولهم : كان اردب القمح بجنيه فاصبح باربعة . كان متر البفتـة بقرشين ونصف فاصبح بعشرة . كان رطل اللحمة باربعة قروش فاصبح باثني عشر . كان رطل السمن بخمسـة فاصبح بعشرين . وهلم جراً فكأن الاشياء زادت أثمانها اربعة اضعاف

فيعترض آخر ويقول :ـ ولكن لم تزد كل الاشياء على هذا النحو . فان كثيراً منها لم يتضاعف ثمنه اكثر من ضعفين . كانت البيضتان بنصف قرش فاصبحت الواحدة بنصفه . وكانت اجرة المنزل بخمسة جنيهات مثلاً فصار بسبعة ونصف . وكانت اجرة المركبة بثلاثة قروش فصارت بستة . وكانت اجرة الغرفة في الفندق بريال فصارت بريالين وهلم جراً . فبعض الاشياء تضاعفت أربعة بل خمسة اضعاف وبعضها تضاعف ضعفين وبعضها ثلاثة . فمعدل الزيادة نحو ثلاثة اضعاف

فيعترض ثالث ويقول :ـ ان ارتفاع الاسعار امر ظاهري فقط وما هو حقيقي . لانا اذا التفتنا الى دخل الناس وايراداتهم رأينا ان المكاسب زادت بقدر ازدياد الاسعار تقريباً . فكأن الاسعار لم ترتفع او كأن الايرادات لم تزد ما دامت النسبة بين ارتفاع

المكاسب وارتفاع الاسعار متقاربة . خذ الزارع فانه يبيع غلة ارضه باربعة أضعاف ثمنها في حين انه يشتري حاجياته باربعة أضعاف أثمانها . فاذاً لم يتغير شيء من حاله . وقس عليه التاجر . وكأن الاشياء لم تغلُ ولكن النقود رخصت

فيعترض رابع ويقول : — لا . لا . ليس التاجر كالزارع فانه معرض للخسارة اكثر من تعرض الزارع للمحل . واما العامل من فاعل او مستخدم فلم يزد ايراده بقدر زيادة الاسعار . لم يتضاعف ايراده اكثر من ضعفين مطلقاً بل دون الضعفين على الغالب ولكنه يدفع على الاقل ضعفي الثمن بعض الحاجيات واكثر من ضعفيه لبعضها الآخر. فليس الناس سواء باعتبار نسبة الفلوس الى الاشياء . ولا يصدق كل الصدق القول ان الاشياء لم تغلُ بل الفلوس رخصت

فيعترض خامس ويقول : — نعم ان الفلوس لم ترخص بنسبة غلاء الاشياء ولكن لا ريب انها غلت بعض الغلاء بدليل ان الجنيه الذهبي يساوي تقريباً ضعفه ونصف ضعفه . وبدليل ان النسبة بين النقود الدولية اضطربت فالفرنك الفرنسي خسر بالنسبة الى الجنيه نحو خمسيه وبالنسبة الى الريال الاميركي والريال السويسري والروبية الهندية نحو ثلاثة اخماسه

وهكذا كيفما نظرت الى نسبة الاشياء بعضها الى بعض من حيث الاثمان وجدتها تختلف باختلاف هذه الاعتبارات . وكأن هذه المسألة الاقتصادية شبيهة بالظواهر الجوية المتوقفة على عدة اعتبارات في وقت واحد فلا تكاد تجد لها ضابطاً . فجميع هؤلاء المعترضين مصيبون في بعض الوجوه دون البعض

فلنبحث في أعماق المسألة من وجهة اقتصادية علمية بحتة عسى أن نهتدي الى القاعدة الاساسية لما نعده ثمناً او سعراً حتى نعرف ما هو الغلاء وكم هو . وتمهيداً لذلك يجب ان نبحث عن أركان هذه القضية

اركان النسبة بين الاسعار والمسعرات

الاصل ان الانسان يعمل لكي يعيش ويتمتع . والغالب أن يعمل بقدر ما يريد ان يتمتع . فان عمل اكثر من حاجته للمعيشة والتمتع او ان تمتع أقل مما يعمل فضل عنده فضل كنزه او ادخره الى حين الحاجة كالمحل او العجز او الراحة الخ . والمجتمع الانساني برمته كالانسان الفرد من هذا القبيل

على أننا في هذا المقال نضرب صفحاً عن اعتبـار ما يفضل ويكنز ونفترض أن المجتمع يتمتع بقدر ما يعمل . فلنا من ذلك الاركان التالية

« تمتع » العامل ينشىء قوة فيه « للعمل »

وقيمة « العمل » يُعبر عنها « باجرة »

و « الاجرة » تمثل « بنقد »

« عمل » العامل ينتج « سلعة » صالحة « للتمتع »

وقيمة « السلعة» يعبر عنها « بثمن » . . .

« والثمن » يمثل « بنقد » . . . . . .

« النقد » الممثل قيمة « العمل » وقيمة « السلعة » يبدل بلوازم « التمتع »

فاذاً للقضية ٦ اركان

• ٣ أركان اساسية : ـ التمتع = العمل = السلعة

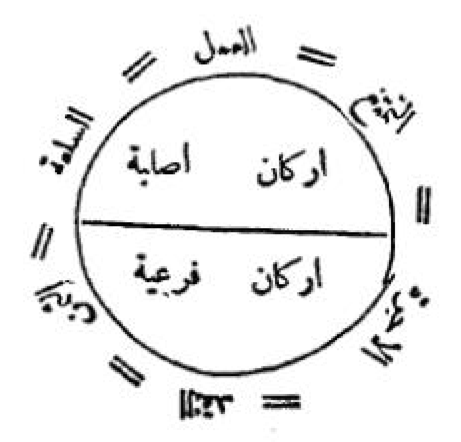
و ٣ اركان فرعية : ـ الثمن = النقد = الاجرة

وهاك مقامات هذه الاركان :

« عمل » العامل { من ورائه « تمتع » العامل في معيشته
من أمامه « السلعة » التي هي نتيجة عمله

« النقد » . . . { من ورائه « ثمن » السلعة لانه جاء بدلاً لها
من امامه « اجرة » العامل لانه يدفع بدلاً لها

فاذا كان الجو الاقتصادي صافياً وهادئاً كانت هذه الاركان متوازنة متعادلة (وهو ما يسمونه بالحالة الطبيعية Normal Conditions هكذا : ـ



واذا كان الجو الاقتصادي مضطرباً كانت هذه الاركان غير متوازنة ولا متعادلة وهو ما يسمونه بالحالة غير الطبيعية Abnormal Conditions

ولايضاح الحالتين نورد الامثلة التالية على اعتبار أن النقد قاعدة التسعير كما هو الاعتقاد الشائع

١ ـ فلنفرض على سبيل المثال انه في العقد الاخير من القرن الغابر كان الجنيه يشتري أردب غلة أو ٥٠٠ بيضة او ٤٠ رطلاً من اللحم أو عشرين فرخة أو أجرة عشرين فاعل في يوم الخ

٢ ـ وفي العقد الاول من هذا القرن صار الجنيه يشتري ⅔ أردب قمح أو ٤٠٠ بيضة أو أقل او ٢٥ رطلاً من اللحم أو ١٥ فرخة أو أجرة ١٠ فعلة في يوم الخ

فالظاهر ان اشياء العقد الاخير كانت أغلى من أشياء سابقه على العموم نحو ٤٠ بالمئة اذا كان الجنيه قاعدة للاسعار

٣ ـ والآن الجنيه يشترى ½ أردب غلة او ٢٠٠ بيضة أو ١٠ أرطال من اللحم أو ٥ فراخ او اجرة ٧ فعلة الخ

والظاهر ان الاشياء الآن أغلى نحو ٤ أضعافها في العقد الاول من هذا القرن اذا اعتبرنا الجنيه قاعدة الاسعار

ولكن اذا انعمت النظر قليلاً في هذه الامثلة الثلاثة المفروضة جميعاً أدركت ان الاشياء كانت في المثل الثاني أرخص منها في المثلين الاخرين لان الفاعل صار يكسب الجنيه في عشرة أيام بعد أن كان يكسبه في ٢٠ يوماً . نعم ان الجنيه لم يعد يكفي ثمناً لاردب القمح بل لثلثيه . ولكن شغل ١٥ يوماً صار يكفي لشراء الاردب بعد أن كان شراء الاردب يستلزم شغل ٢٠ يوماً . وعلى هذا قس سائر الحاجيات . وزبدة القول انه وان كانت الاسعار قد ارتفعت نحو ٤٠ بالمئة فان عمل الفاعل صار يساوي من الحاجيات أكثر

ولكن الحالة في الوقت الاخير ليست كذلك بل بالعكس أي ان عمل العامل لم يعد يكفي لاقتناء نصف ماكان يقتنيه قبلاً لان أسعار معظم الحاجيات تضاعفت ٤ أضعاف في حين أن اجرة الفاعل لم تتضاعف أكثر من ضعفين

العمل قاعدة الاسعار

فاذاً ما هي قاعدة الاسعار الحقيقية ؟

هل يصح أن يكون « النقد » أي الجنيه قاعدةً ؟

لا يخفى أن النقـد ليس ذا قيمة بذاته الا اذا كان من مادة ذات قيمة كالذهب والفضة الخ وحينئذٍ يعتبر معدنه كسائر السلع وتكون قيمته عرضة للصعود أو الهبوط كسائر المواد . ولهذا ترى جنيه الذهب الآن يساوي من القروش أكثر من ضعف قيمته الاسمية لان سعر معدن الذهب ارتفع بعض الارتفاع . والجنيه الورقي لا يكاد يساوي جزءاً من الف من قيمته الاسمية ، فقيمة النقد اسمية . فان كانت مادته أقل قيمةً من قيمته الاسمية كالورق مثلاً لزمته ضمانة كضمانة الحكومة مثلاً

فالنقد اذاً ليس الا ممثلاً لكل ما هو ذو قيمة . والغرض من وظيفته هـذه تسهيل المقايضة. وما هوالا صورة النسبة بين السلع والاعمال. فاذا قلنا ان الجنيه يشتري أردب قمح ويكفي أجرة ٢٠ فاعلاً ويشتري ٢٠ فرخة كان المعنى ان أردب القمح يساوي عمل ٢٠ فاعلاً و٢٠ فرخة الخ بمعنى أن العامل يمكنه أن يقايض شغل يومه بفرخة أو بنصف عشر الاردب

ولهذا السبب اذا ارتفعت أسعار الأشياء والأجور كلها معاً على نسبة متساوية كقولك ان الجنيه يشتري نصف أردب وعشرة فراخ ويكفي اجرة عشرة عمال لم يكن بالحقيقة من ارتفاع في الاسعار وانما تكون قيمة الجنيه قد انحطت الى النصف فلم يعد الجنيه يشتري الا نصف ما كان يشتريه قبلاً

فترى مما تقدم ان النقد لا يصح ان يكون قاعدة الاسعار لان قيمته الاسمية نسبية ولا بد من البحث عن قاعدة ثابتـة القيمة . اما السلعة فلا تصح ايضاً ان تكون قاعدة لمعرفة درجة الغلاء او الرخص لانها غير ثابتة القيمة كما ترى. وما هي الا نتيجة عمل. فقيمتها الحقيقية تابعة لقيمة عملها . وكذلك الاجرة فما هي الا تمثيل لقيمة العمل كما ان الثمن تمثيل لقيمة السلعة

يبقى عندنا العمل نفسه والتمتع فالنسبة بينهما هي قاعدة الاسعار : فاذا كان التمتع والعمل متساويين لم يكن رخص ولا غلاء بل اعتدال في الاسعار . واذا اربى التمتع على العمل كانت الاشياء أرخص. وان أربى العمل على التمتع كانت الاشياء اغلى

وباوضح عبارة : اذا كان ما يناله العامل من اجرة عمله يكفي ثمناً لما يلزمه لتمتعه في معيشته كانت اسعار الاشياء معتدلة فان زاد كانت رخيصة وان نقص كانت غالية

فالقيمة الحقيقية التي يصح ان تعد أساساً للاسعار هي قيمة العمل لان العمل مصدر كل ذي قيمة . ومتى شئنا ان نعلم ان كانت الاشياء غالية او رخيصة قسناها على قيمة العمل لا على قيمة النقد بل وجب أن نعرض كل الاعراض عن النقد لانه يضللنا عن الحقيقة . ولكن كيف نعرف قيمة العمل نفسه او كيف نحدد قيمة العمل لنجعلها قاعدة التسعير أو الاسعار والاثمان ؟

وجب أن نقارنها بالتمتع ونجعلها مساوية له فان نقصت أجرة العمل عن ثمن التمتع قلنا أن الاشياء غالية وان زادت قلنا ان الاشياء رخيصة

واذا شئت أن تقول في الحالة الاولى أن اجرة العامل ارتفعت أو هبطت بالنسبة لاثمان الحاجيات فكأنك جعلت قيمة العمل كقيمة السلع قابلة للهبوط والصعود . وحينئذ يصبح التمتع هو القاعدة الاساسية . ولعل هذا هو الاصح لان التمتع هو المحرك الاول للعمل وهو اول السلسلة الاقتصادية التي نحن بصددها

والمراد بالتمتع هنا هو مقدار ما يستهلكه المرء من نتائج العمل لاجل معيشته ولذاته الضرورية . وهذا المقدار تحدده العادة والتربية والوسط . فاذا كان العامل بعد أن ينفق على حاجياته المعيشية اللازمة يفضل عنده شيء من اجرة عمله قال أن الاشياء رخيصة والدنيا في خير . وان وجد نفسه بعد ذلك مديناً أو انه اضطر ان يحرم نفسه بعض حاجياته لكي يساوي دخله خرجه قال ان الاشياء غالية والمعيشة صعبة

الى الآن جعلنا عمل العامل اساساً وقاعدة . ولكن العاملين اصناف مختلفة واجورهم متفاوتة . فاي العاملين هم القاعدة الحقيقية ؟

نقول لا فرق بين الفاعل والكاتب والموظف الخ ما دامت النسبة بين قيمة العمل والتمتع هي القاعدة الاولى الاساسية لان تمتع كل واحد من هؤلاء مساو لدخله أي انهم متفاوتون في شعورهم بمقدار الحاجة الى التمتع كتفاوتهم بمقدار قيمة العمل أو اجرته . والبيئة العملية تحفظ النسبة بين العاملين وبين تمتعاتهم وان اختلت هذه النسبة احياناً فاختلالها قليل جداً ولا يدوم طويلاً

ولما كان العاملون هم سواد الشعب كانت نسبة تمتعهم الى عملهم قاعدة صحيحة ثابتة

للتسعير ، ولما كان التجار والمضاربون ونحوهم ممن لا يمشي دخلهم على سنة الكسب المساوي للتعب بل على الاحوال الاقتصادية المتقلبة كانوا خارجين او شاذين عن قاعدة الاسعار التي نحن بصددها . ولهذا نرى أنهم احياناً يكسبون مكاسب باهظة في أوقات الغلاء وتربو مكاسبهم على مقادير تمتعهم اضعافاً . واحياناً تنقلب الآية معهم. فعمل التجار واضرابهم لا يمكن أن يعد قاعدة لانه عمل غير محدود القيمة

وحاصل القول أن معنى الغلاء هو أن تكون اجرة العمل اقل من ثمن حاجيات المعيشة . والرخص عكس ذلك . ففي حالة الغلاء يتعب العامل اكثر مما يتمتع ويكون قسم من تعبه ذاهباً الى غيره . وفي حالة الرخص بالعكس يتمتع اكثر مما يتعب او يكون عنده فضل على تمتعه يدخره

في هذه المقالة اقتصرنا على البحث في نظرية الغلاء . وفي مقالة أخرى في العدد القادم نبحث في مقدار الغلاء وسائر الاعتبارات المختصة به

نقولا الحداد

نشيد الكشافات

نظم خليل مطران

[الهلال] نشرنا في الهلال الماضي مقالة عن انشاء فرقة للكشافات المصريات وقد عني الشاعر الكبير خليل مطران بنظم نشيد لها جاء آية في الحسن والرقة والبلاغة . قال :

نحن منائر الفطن   نحن بشائر الزمن
نحن طلائع الوطن

بالعلم والفضائل   بالنبل في الشمائل
نحن طلائع الوطن

بالطهر قلباً وفماً   بالخلق الذي سما
بما نعد للحمى   من القوى ليعظما
نحن طلائع الوطن

يبذلنا الروح فدى   له ليحيي سرمدا
حراً عزيزاً ابدا   مشرفاً موطدا
نحن طلائع الوطن

هل انت سليم الجسم؟

افحص نفسك بنفسك لتعرف ما أنت عليه من الصحة

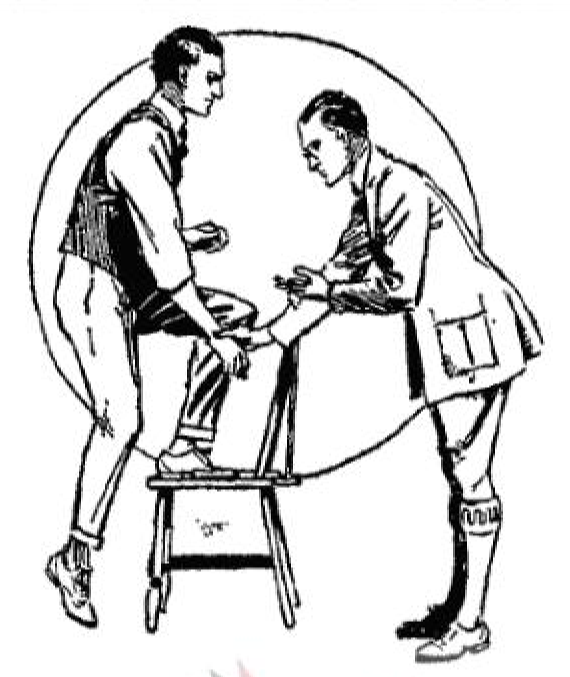
ان رجال الاعمال في هذا العصر قلما يعنون العناية الحقة باجسادهم فتراهم ينهمكون في مشاغلهم وقلما يفكرون بما لاجسادهم عليهم من الحقوق بل قلما يدركون مبلغ التأثير الذي لصحتهم على نجاحهم في أعمالهم . فيجدر بكل واحد منا أن يسائل نفسه من حين الى آخر : « هل انا محافظ على صحة جيدة ؟ وهل انا قائم بواجبي نحو جسدي ؟ وهل أتلف فيَّ عضو من الاعضاء او اعتل او ضعف ؟ »

ولا يكفي ان يلقي الانسان على نفسه هذه الاسئلة بل يجب عليه أن يحاول الرد عليها رداً قريباً الى الحقيقة . فكيف يفعل ذلك ؟ فقد لا يتيسر له عرض نفسه على طبيب بارع او قد لا يجد الوقت اللازم لمثل هذا الفحص او لا تكون له الهمة الكافية. ففي هذه الحال يمكنه فحص نفسه بنفسه او بمساعدة صديق له على أهون الطرق وهذا لا يكلفه مالاً ولا مشقة

وطريقة الفحص الآتية مستخلصة من طرق الفحص التي تستخدمها الحكومة الانكليزية لاختبار قوة الراغبين في الانخراط في سلك الطيران وقياس مقدرتهم وكفاءتهم وتوافر الصفات اللازمة فيهم

ومن الاوهام الشائعة أن العضلات الضخمة الغليظة تدل على الصحة والقوة ولكن الحقيقة بخلاف ذلك . فالامر ذو الشأن ليس حجم العضلات بل نشاطها وحالتها العامة

ولعل اول ما يدل على الحالة الجسمية النبض . ويمكن ايّاً كان فحصه بسهولة وانما يقتضي ذلك الاستعانة بصديق واليك الطريقة : قف بجانب صديقك ودعه يجس نبضك ويدون على ورقة عدد النبضات في الدقيقة وانت واقف بلا حراك . ثم احضر كرسياً ودع صديقك يمسك بيدك ثانية وضع احدى قدميك على الكرسي وثبتها ثم ارفع جسمك الى علو الكرسي خمس مرات في ١٥ ثانية من دون أن تزحزح قدمك عن الكرسي (وينبغي لصديقك أن يتولى ضبط حركاتك ومراقبة ارتفاعك وهبوطك حتى تنفذ التعليمات المتقدمة بدقة) . فحالما تم العدد المطلوب من الحركات يجب



لمس النبض بواسطة صديق

على الصديق أن يدوّن سرعة نبضك . ثم ينتظر ثلاثين ثانية ويجسه مرة أخرى ويدونه . فاذا كنت سليماً عاد نبضك بعد الثلاثين ثانية الى سرعته العادية . ولزيادة الايضاح نقول :

ان سرعة النبض العادية لشخص مكتمل النمو تتراوح بين ٧٠ و ٧٥ نبضة في الدقيقة . فلنعتبر المعدل في هذا المقام أي نحو ٧٢ فاذا كنت سليماً تأثرت من الحركات التي سبق وصفها كما يلي :

١ ــ النبض قبل الحركة ٧٢

٢ ــ ازدياد سرعة النبض اثناء الحركة ٢٤ نبضة في الدقيقة أي أن المجموع ٩٦

٣ ــ رجوع النبض الى سرعته الاصلية بعد استراحة ثلاثين ثانية أي ٧٢

فاذا لم يستعد نبضك سرعته الطبيعية بعد ثلاثين ثانية فان بجهازك العصبي علة تحتاج الى العلاج

ومن مساوىء المدنيـة الحديثة ان أهل المدن على الاجمال يصابون بتلف في اجهزتهم العصبية يتفاوت مقداره بتفاوت نوع المعيشة التي يعيشونها . وقد زاد الاختلال العصبي من جراء الحرب الاخيرة اذ كان تأثيرها شديداً في الاعصاب على الخصوص بحيث أصبح من النادر في الوقت الحاضر العثور على شخص متوازن القوى هادىء

الحركات تام السيطرة على جسمه . واليك ثلاث طرق يمكنك أن تعرف بها مبلغ سيطرتك على أعصابك

(١) قف مغمض العينين مدلى اللسان ممدود الذراعين مفتوح اليدين ثم دع صديقك يراقبك جيداً او بالحري يراقب اصابعك وجفونك ولسانك فاذا وجد فيها او في بعضها هزة او رعشة فجهازك العصبي غير سليم . ويختلف مبلغ تلفه باختلاف درجة الاهتزاز او الارتعاش . اما السليم الاعصاب فلا يبدو منه شيء من ذلك

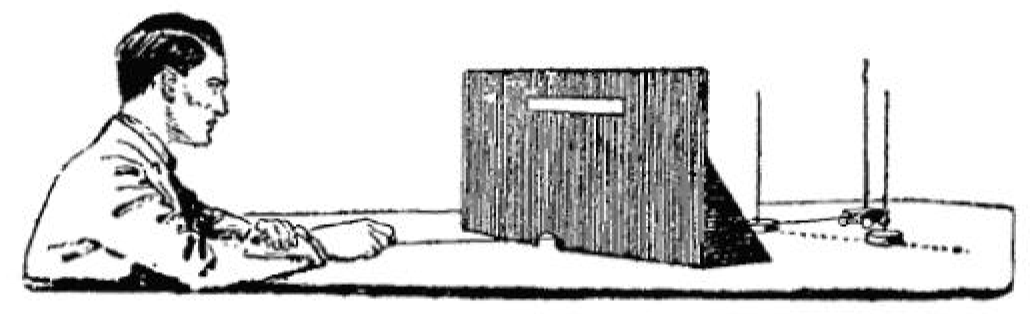
(٢) قف على رجلك اليمنى فقط واطو رجلك الاخرى الى خلف (ويجب ألا تتلامس ركبتاك وان تغمض عينيك وان تدلي يديك على جنبيك) . قف على هذه الصورة بقدر ما تستطيع وليحسب صديقك الوقت الذي تقضيه واقفاً . ويجب على هذا الصديق أيضاً أن يراقب موازنتك لجسمك فيذكر لك هل كنت ثابتاً في موقفك او مزعزعاً او بين بين. والجسم السليم يستطيع ان يبقى واقفاً ثابتاً ١٥ دقيقة على الاقل

(٣) اما الاختبار الثالث فكما يأتي : ضع لوحة كرتون او كتاباً ذا جلدة سميكة على مائدة وأتِ بقلم رصاص واوقفه على احدى زوايا اللوحة او الجلدة ثم امسكها بيدك من الطرف الآخر وجرب ان ترفعها الى علو كتفك من دون ان يقع القلم ثم اعدها الى المائدة . واعمل ذلك ايضاً باليد الاخرى . فالنجاح في هذه التجربة دليل على سلامة الاعصاب والعكس بالعكس

بقي أمر البصر وهو ذو شأن فكثيراً ما تفقد عضلات العين توازنها فتعجز العينان عند انعام النظر عن التوفيق بين حركتيهما . فاذا كان هذا حالك فانك تخطىء في تقدير المسافات . وهو ما يمكن معرفته بالاختبار التالي :

اجلس أنت وصديقك الواحد امام الاخر وليأت الصديق بقلم ويرفعه بيده عمودياً على بعد قدم من عينيك بحيث يكون طرفه ازاءهما تماماً . ثم حدق في القلم وليحركه صديقك بالتدريج نحو عينيك الى ان يلامس انفك . فاذا ظللت محدقا فيه بعينيك معاً الى النهاية كانت عضلاتهما سليمة . وبخلاف ذلك اذا عجزت عن التحديق او تعب بصرك فتراجعت الى خلف او لم تتمكن من التحديق بالعينين معاً او تراءى لك ان القلم مزدوج

ويمكن الاستعاضة عن هذا الاختبار باختبار آخر يسهل فهمه عليك اذا استعنت بالصورة المدروجة هنا : ركز إبرتين على دائرتين من الفلين واجعل المسافة بينهما ٦



فحص حالة العينين

اقدام ثم استقدم لعبة او جهازاً راكباً على بكر بحيث يمكنك جره بخيط دقيق وركز عليه ابرة ثالثة. ثم ضع بينك وبين الابر الثلاث حاجزاً ذا نافذة صغيرة (كما في الصورة) ترى منها أطراف الابر فقط ثم جر الابرة الثالثة الى منتصف المسافة بين الابرتين بحيث تكون الابر الثلاث على خط مستقيم واحد . فاذا تمكنت من احكام وضع الابرة الثالثة بين الابرتين كنت سليم البصر والا فلا

هذه بعض الاختبارات التي يمكنك اجراؤها لمعرفة حالتك الصحية والعصبية وهي كما ترى سهلة قريبة المنال فلا تهملها بل اعمل بها حالما تسنح لك الفرصة فتفيد نفسك اجل فائدة

لا

لا تكن ممن يلعن ابليس في العلانية ويطيعه في السر

لا يحملنك الخروج من امر تخلصت منه على الدخول في امر لعلك لا تخلص منه

لا خير في لذة تعقب ندماً

لا تحقرن الرأي الجليل وان اتاك به الرجل الحقير فان اللؤلؤة الفائقة لا يستهان بها لهوان من اخرجها

لا تقطع أخاك على ارتياب ولا تهجره دون استعتاب

لا تشاتم رجلا ولا ترد سائلا فان هو كريم تسد خلته او لئيم تشتري عرضك منه

لا تعمل شيئاً من الخير رياء ولا تتركه حياء

لا تعد الشحيح اميناً فانه لا عفة مع الشح ولا تعد الكذاب حراً فانه لا مروءة مع الكذب

العائلة والمنزل

بؤر التقيح في الاسنان

وما ينتج عنها من الامراض في الجسم

قد يدهش القارئ حين يسمع ان مريضاً بالروماتيزم شفي من مرضه بخلع أحد اضراسه او بعضها . وان مريضاً بحمى مستمرة حار في معالجتها اطباء كثيرون شفي بخلع احد اضراسه ايضاً . بل ربما زادت دهشته اذا ذكرنا له ان بعض امراض الاسنان وتقيحاتها قد تسبب مرض الكلى والمصران الاعور (الابنديسيت) وامراض اخرى كثيرة

وقد ذكرنا في مقالتنا عن الدسبيسيا في الجزء الماضي أن اول ما يجب الالتفات اليه في معالجة الدسبيسيا هو الاعتناء بالاسنان لازالة ما يمكن أن يكون فيها من الخراريج او التقيحات لان هذه تفرز مواد سامة يمتصها الجسم فتؤثر في المعدة وباقي اعضاء الجسم ولكون هذه البؤر منابت لميكروبات مختلفة

وقد عرف الاطباء من زمن بعيد هذه الحقيقة وان كل بؤر التقيح في الجسم مهما يكن نوعها كالتقيح في الاسنان واللوزتين والدمامل المهملة والامراض الجلدية المزمنة والنواسير المختلفة الخ تسبب بعض الامراض في الجسم غير انهم قلما اكترثوا لها اذ لم يقدروا مبلغ ضررها ولم يعرفوا شدة وطأتها واحتياجها الى اهتمام خصوصي. ولكن في اوائل القرن الحالي وخصوصاً في السنوات العشر الاخيرة قام الاطباء للبحث في امراض الاسنان وعلاقتها بالامراض الجسمية فهالهم ما وجدوه من كثرة الامراض المسببة مباشرة عن تقيحات الاسنان واللوزتين واصبح من اول واجبات طبيب الجسم ان يكون عالماً بحالة اسنان مريضه قبل معالجته

وقد اطلعنا أخيراً على مقالة في المجلة الطبية المصرية في هذا الشأن ترجمها الدكتور دلاور سليمان وهي خير ما كتب في هذا الموضوع فاعتمدنا عليها في كتابة ما يأتي لاعتقادنا بفوائدها الكثيرة للقراء

اصيب رجل في الخمسين من عمره بآلام شديدة في عضلات ظهره في الجهة

اليمنى كانت تستدعي اعطاءه المورفين لتسكين الالم وبعد معالجات طويلة قرر اطباؤه ان به حصواً في المرارة ونصحوا له اجراء عملية وفحص صدره وبطنه وباقي أعضاء جسمه جيداً . ولكنهم لم يجدوا به مرضاً ولم ينفع دواء في معالجته . وبفحص اسنانه وجد خراجان في رؤوس جذور سنين وبعد خلعهما شفي المريض شفاء سريعاً ولم تعد اليه الاعراض مطلقاً

وكان آخر وهو في الخامسة والثلاثين من عمره يشكوا ألماً غير حاد في كتفيه ولم يكن للالم علاقة بالمفاصل وكانت اعضاؤه كلها سليمة وعولج كثيراً فلم تنجح فيه المعالجة . وأخيراً وجد بان اللوزتين مصابتان بتقيح فعملت له عملية استئصال اللوزتين فشفي في الحال ولم يعاوده الالم وزاد وزنه اثني عشر رطلاً

فهذه الآلام التي ذكرناها كانت نتيجة امتصاص الجسم للمواد الصديدية (القيح) الموجودة في الاسنان واللوزتين وباستئصالها زالت الالام تماماً

غير ان امتصاص الجسم لهذه المواد الصديدية قد لا ينتج آلاماً بل اعراضاً اخرى كالحمى مثلاً . فقد اصيب البعض بارتفاع مستمر في درجة حرارتهم وفي بعض الحالات كان العرق يتصبب في الليل من اجسامهم فكان ذلك يشبه حمى المسلولين مصحوبة بضعف عمومي . ولم تنجح في شفاء هذه الاعراض معالجة . ولكن تيسر ذلك اخيراً بمعالجة الاسنان . واليك حادثة من هذا القبيل : رجل في الرابعة والاربعين من عمره أصيب بحمى مصحوبة بانحراف في الصحة مدة اربعة اسابيع . واحياناً كان يتصبب منه العرق ليلا ونقص وزنه قليلاً وكانت درجة حرارته تصل الى ٣٨ بعد الظهر . وبفحص قلبه ورئتيه وبطنه ودمه الخ لم توجد بها علة غير ان المريض كان يشعر بالم خفيف عند الضغط على احد اضراسه فاخذت صورة الفك باشعة رنجن ووجد خراج في جذر ذلك الضرس . وبخلعه زال ارتفاع الحرارة حالاً واستمرت الحرارة طبيعية وكسب المريض ما فقده من وزنه . وكذلك باستئصال لوزتين متقيحتين لسيدة في الثامنة والعشرين من عمرها شفيت من صداع كان يصيبها كثيراً مدة سنتين وعادت اليها صحتها تماماً

وقد وجد اخيراً ان اشخاصاً كثيرين من الذين يشكون هبوطاً عاماً في صحتهم مصحوباً بالنحافة والضعف وفقر الدم وهم في مقتبل العمر كانت حالتهم هذه مسببة عن تقيحات في لثة الاسنان . وقد فشل في معالجتهم كل علاج الى ان عالجوا اسنانهم فتحسنت

صحتهم وعادت اليهم قواهم

وهناك ايضاً حوادث كثيرة جداً من آلام في البطن مع تولد غازات وامساك مستمر وأوجاع روماتيزمية والتهابات كاوية وبعض امراض القلب وخلافها نتجت عن تقيحات في الاسنان او اللوزتين . فكل هذا يدلك على وجوب اعتنائك بالاسنان ونزع بؤر التقيح منها ومن اللوزتين سواء كانت حديثة او مزمنة . وقد ثبت ان الامراض التي ذكرناها تنشأ فعلاً عن بؤر التقيح من الاستنتاجات التالية :

(١) عدم وجود اي سبب آخر لتلك الاعراض او الامراض

(٢) عدم شفائها بكل طرق العلاج الاخرى

(٣) الشفاء السريع وعدم رجوع الاعراض بعد استئصال بؤر التقيح سواء كانت في الاسنان او اللوزتين

الدكتور

ميشيل سمعان

الدفأ في الشتاء

يخشى الكثيرون برد الشتاء لانهم لا يستطيعون ان يدفئوا انفسهم الدفأ الكافي وهم في اسرتهم فينجم عن ذلك انهم يقلقون ويضطربون فيؤثر ذلك في نشاطهم ومقدرتهم على العمل . ويلجأ البعض الى الاكثار من الاغطية واستخدام قناني الماء الساخن ونحو ذلك مما لا يأتي بالفائدة المرغوبة . فانما المطلوب تنشيط الدورة الدموية وهذه الدورة دون غيرها تحدث الدفأ الداخلي المنشود

فلكي تدفأ حرك جسمك قبل النوم . امش ذهاباً واياباً او انزل ثم اصعد على سلالم منزلك بضع مرات او قم ببعض التمرينات او ادلك جسمك ورجليك — افعل ذلك نحو عشر دقائق قبل ذهابك الى الفراش ثم نم وجسمك ممدود حتى تأخذ الدورة الدموية مجراها . فهكذا تنال الدفأ المطلوب . ولا تعمد الى اخفاء رأسك تحت الاغطية

الغذاء والماء والاكسيجين — تلك هي الوقود التي تحرك الآلة البشرية

من عاش ليأكل مات من الأكل

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء . فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا اصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي ان تذكر مع الاسئلة اسماء مرسليها على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بحرف او بكلمة عند النشر

أشهر المواقع الحربية

﴿ دمشق الشام ﴾ ز . ج .

نرجو أن تفيدونا عن أسماء أشهر المواقع الحربية التي كان لها تأثير كبير في مجرى التاريخ البشري مع ذكر سني حدوثها والمتحاربين فيها

﴿ الهلال ﴾ ألف أحد الخبيرين الحربيين كتاباً عن أعظم المواقع التاريخية فذكر المواقع التالية في المقام الأول من الاهمية والتأثير في أحوال البشر وهي :

(١) معركة ماراثون سنة ٤٩٠ ق . م . بين اليونان والفرس فاز فيها اليونان

(٢) معركة سيراقوزة سنة ٤١٣ ق . م . بين الاثينيين وأهالي صقلية فشل فيها اليونان

(٣) معركة اربلا سنة ٣٣١ ق.م. بين الاسكندر المقدوني ودارا ملك الفرس انتصر فيها الاسكندر

(٤) معركة ميتوروس سنة ٢٠٧ ق . م . بين القرطاجنيين والرومان فاز فيها الرومان

(٥) معركة ارمينيوس سنة ٩ م . بين الجرمان بقيادة ارمينيوس والرومان فاز فيها الجرمان

(٦) معركة شالون سنة ٤٥١ م بين الرومان و « الهون » بقيادة اتيلا وقد انكسر فيها اتيلا

(٧) معركة تورس سنة ٧٣٢ بين الفرنك (بقيادة شارل مارتل) والعرب وقد كسر فيها العرب
(٨) معركة هاستنكز سنة ١٠٦٦ بين الانكليز والنورمنديين فاز فيها النورمنديون
(٩) معركة اورليان سنة ١٤٢٩ بين الانكليز والفرنسيين وقد خرج منها الفرنسيون فائزين بقيادة جان دارك
(١٠) معركة «الارمادا» البحرية (والارمادا اسم الاسطول الانكليزي) سنة ١٥٨٨ وقد انتصر فيها الانكليز على الاسبان
(١١) معركة بلنهيم سنة ١٧٠٤ بين الانكليز والفرنسيين و (معهم البافاريون) وقد انتصر فيها الانكليز
(١٢) معركة بلتوفا سنة ١٧٠٩ بين الروس والاسوجيين انتصر فيها بطرس الاكبر على شارل الثاني عشر
(١٣) معركة ساراتوجا سنة ١٧٧٧ بين الاميركيين والانكليز انتصر فيها الاميركيون
(١٤) معركة فالمي سنة ١٧٩٢ بين الفرنسيين والبروسيين انتصر فيها الفرنسيون
(١٥) معركة واترلو سنة ١٨١٥ بين نابوليون والدول المتحالفة عليه وقد كسر فيها نابوليون

معالجة الحصبة

﴿ وجه الحجر . مصر ﴾ حنا نسيم عساف

داء الحصبة منتشر كثيراً بيننا فنرى بعض الاطباء يصفون للمصابين به المشروبات الحارة والبعض المشروبات الباردة . فايهما افضل واي الطرق افضل لمعالجة هذا الداء ؟

﴿ الهلال ﴾ المشروبات الحارة تلائم المصابين بالحصبة لانها تساعد على ظهور الطفرة . ولا علاج للمرض نفسه ولكن تعالج اعراضه والمهم ان يحفظ الجسم دافئاً للوقاية من ذات الرئة والاسهال وهما من مضاعفاته . والحصبة سهلة الانتقال بالعدوى فيجب الابتعاد عن المصاب وعدم لمس شيء من الاشياء التي يلمسها

تقوية الذاكرة

﴿ محله نظر كنج . بهوبال . الهند ﴾ السيد محمد احمد

هل في الامكان زيادة قوة الحافظة في الانسان؟ وما سبب التفاوت في هذه القوة ؟

﴿ الهلال ﴾ الحافظة والذاكرة اسمان لمظهري قوة واحدة في العقل . فالحافظة هي المقدرة على حفظ الاشياء والحوادث والصور في الذهن والذاكرة هي المقدرة على ذكرها عند الاقتضاء . وقد كان الاقدمون يعتقدون أن هذه القوة مستقلة لا علاقة لها بسائر قوى العقل ولكن علم النفس الحديث قد قرر انها تتوقف على عاملين اساسيين : أحدهما فيسيولوجي وهو مرونة المادة الدماغيـة وسهولة انطباع الصور فيها والآخر بسيكولوجي وهو تقارن الافكار وتصاحبها . فقوة الذاكرة هي نتيجة تقارن الافكار وثباتها في الدماغ. والناس يختلفون في هذين الاعتبارين ومن ثم التفاوت بينهم في جودة الذاكرة . فان بعض الادمغة بطبيعتها أقدر من غيرها على حفظ التأثيرات كما ان بعض الاشخاص أقدر على ربط الاشياء والحوادث والصور المقارنة لحادث معين . فكلما تعددت المقرونات وتكرر ربطها سهل تذكر الحادث . فسر الذاكرة الجيدة انما هو ربط الامر المراد حفظه بكل ما يستطاع ربطه به من الحوادث والصور والافكار

ومما تقدم نستنتج نتيجة خطيرة الشأن وهي انه لا تمكن تقوية الذاكرة على الاجمال وانما تمكن تقويتها في موضوعات مخصوصة . فحفظك للاشعار مثلا لا يقوي ذاكرتك في التاريخ وقس على ذلك . او بعبارة اخرى انه ليس للانسان ذاكرة واحـدة بل ذاكرات متعددة كما قال وليم جيمس الفيلسوف الـكبير . فمعظم النـاس يتذكرون بسهولة الاشياء المتعلقة باشغالهم وقد لا يتذكرون ابسط الامور الخارجة عنها . بل ان بعض العلماء كداروين وسبنسر كانوا شديدي الحفظ لادق التفـاصيل المتعلقة بمباحثهم وفيما سوى ذلك كانوا دائماً مشتتي الافكار عادمي الذاكرة . وتعليل ذلك انهم ما برحوا منـذ حداثتهم يجمعون المعلومات المتعلقة بتلك المباحث فاصبح دماغهم كالمخزن الواسع المنظم اذا اتاه حادث او تفصيل جديد عرف موضعه وادرك علاقته بالحوادث الاخرى فيحل في مكانه مرتبطاً بكل ما حوله

الراديوم واين يوجد

﴿ ومنه ﴾ في أي مادة معدنية يوجد الراديوم وهل يوجد في امريكا فقط ؟

﴿ الهلال ﴾ يوجد الراديوم في الطبيعة بكميات صغيرة جداً ممزوجاً بمواد مختلفة ومن ثمَّ صعوبة استخلاصه منها . والمواد الحاوية للراديوم موجودة في جهات مختلفة من الكرة الارضية ولكن اميركا سبقت سواها في استخراجه . ويسهل على القارىء ادراك السبب في غلاء هذا المادة العجيبة حين يعلم ان استخلاص غرام واحد منها يستدعي معالجة ٢٥٠٠٠٠ كيلوغرام من المادة المعدنية الممزوج بها (واسمها كارنوتيت Carnotite) أي ما يملأ ثماني عربات من عربات السكة الحديدية

الذكاء والاقليم

﴿ طول كرم . فلسطين ﴾ خليل صباغ

اختلف اثنان في بحث موضوعه ، ايهما أذكى سكان المناطق الحارة او سكان المناطق الباردة . فنرجو ان تبدوا رأيكم في ذلك على صفحات الهلال

﴿ الهلال ﴾ يتعذر الرد على هذا السؤال في جملة ولا بد أولاً من تحديد المراد تماماً من كلمة ذكاء . ومع ذلك يمكننا أن نقول بوجه الاجمال ان الاقليم والحالة الجوية والمناظر الطبيعية كل ذلك يؤثر في أذهان الشعوب تأثيرات مختلفة . فحيث تكون الطبيعة رهيبة قاسية مثلا تتغلب المخيلة على العقل . فالشعوب التي تعيش في مثل تلك البيئة تكون أكثر توسعاً في الخرافات وأشد ميلاً الى البحث فيما وراء الطبيعة وما بعد الحياة . وبخلافها الاحوال الطبيعية الهادئة الساكنة . فان الانسان يشعر فيها بذاتيته وتزداد ثقته بنفسه . فبناء على ذلك يمكننا القول بان تنوع الحالة الطبيعية ينوع الذكاء ويجريه في مجار مختلفة . والذي نراه ان الطبيعة أشد تأثيراً في الاخلاق من تأثيرها في الذكاء . ومن تتبع مجرى التاريخ يجد ان الحضارة تقدمت تقدماً حثيثاً نحو المناطق الباردة فقد نشأت في مناطق حارة لان الطبيعة فيها اسخى منها في الباردة . ثم تدرجت نحو المناطق الباردة لان شأن الطبيعة في حضارة الانسان قل بالتدريج واصبح الاعتماد الاول على ثبات الانسان ونشاطه واقدامه . وهذه أخلاق أكثر توافراً في المناطق الباردة

التقريظ والانتقاد

محاضرات الفلسفة العامة وتاريخها
والفلسفة العربية وعلم الاخلاق
لجناب الاستاذ الكونت دي جلارزا

لئن كان للاديب الذي يعنى بلغته فضل ففضل الاجنبي الذي يكتنفها برعايته مضاعف . ولقد قيض الله للغة العربية نفراً من الادباء من غير ابنائها منحوها من عطفهم وعلمهم واطلاعهم قسطاً وافراً فساعدوا على انهاضها ورقيها . وفي مقدمة هذا النفر الصالح جناب العلامة الاستاذ الكونت دي جلارزا الذي يعد عن جدارة واستحقاق احد اركان النهضة العلمية الحديثة واليه يرجع الفضل في تثقيف عدد كبير من ابناء هذا القطر في العلوم الفلسفية والاخلاقية بما القاه من المحاضرات النفيسة في الجامعة المصرية منذ تولى دراسة هذه العلوم فيها . ولكن فضله لا يقتصر على تلاميذه ومستمعيه فقد رأى جنابه ان يطبع محاضراته السنوية ليستفيد منها جمهور القراء في جميع الاقطار العربية . وهو فضل نسجله له مقروناً بالشكر الجزيل متمنين ان يداوم عمله الجليل فينفع هذه اللغة اجل نفع ولاسيما ان تلك المحاضرات جاءت تسد فراغاً عظيماً في عالم المطبوعات

ولا يخفى ما يلقاه الكاتب في المباحث الفلسفية والنفسية والاخلاقية من الصعوبة في تأدية المعاني الدقيقة والاصطلاحات الخاصة. وقد وفق جناب الكونت دي جلارزا بما اوتيه من العلم والاطلاع الواسعين في اللغات الاوربية من جهة واللغة العربية من جهة اخرى الى بلوغ الغاية المنشودة فخاض اغوص الموضوعات بلغة واضحة واسلوب قريب سهل المنال

ومجموعة المحاضرات التي بين ايدينا اليوم مقسومة الى ثلاثة اقسام :

(١) قسم الفلسفة العامة وتاريخها ويشتمل على مذهب باسكال ومالبرانش وجزء مهم من مذهب اسبينوزا

(٢) قسم الفلسفة العربية ويشتمل على درس حياة ابن سينا ومؤلفاته

(٣) قسم علم الاخلاق ويشتمل على مذهب كانت الفيلسوف الالماني

وقد توخى جناب الاستاذ الانصاف في شرحه للمذاهب الفلسفية . وقد قال في المقدمة :

« ... ولنحب كل مفكر في العالم مهتدياً او ضالا فالضال يحب الشفوق المتألم معه والمهتدي يحب المسرور بسرور اخيه . ولا نستنكف من البحث في أي مذهب من المذاهب فان صدر الحكمة رحب ورحمتها عظيمة مثل فكرها الجامع لانواع الاضداد التي دبرتها هي ... »

ومن احسن ما في هذا المؤلف افكار لباسكال الفيلسوف الفرنسي الشهير مترجمة الى العربية نقتطف منها ما يأتي :

افكار لباسكال

* ليس هذا العالم المرئي كله الا أثراً خفيفاً لا يكاد يرى في حضن الطبيعة الواسع . انه كرة لا نهائية مركزها في كل مكان وليس اطارها في اي مكان . يضل تصورنا بتلك الفكرة ، وذلك اكبر آية محسوسة تدل على قدرة الله على كل شيء .

* هل الانسان شيء في اللانهاية ؟ دعه ينظر الى اصغر الاشياء كالعثة فاني اريه فيها هاوية اخرى وعوالم لا نهاية لها كل عالم منها له افق وكواكب وارض وابعاد تحاكي ابعاد العالم المرئي ، فاذا نظر الى ارض اي عالم وجد فيها حيوانات وعثاثاً وفي تلك العثاث يرى ثانياً مثل ما رآه في العالم الاول ، فاذا أعاد النظر رأى كما رآه اول مرة وهكذا الى ما لا نهاية ولا توقيف ، فيتيه في تلك العجائب الصغيرة كما تاه قبلا في العجائب الممتدة الكبيرة . كيف لا يستغرب الانسان اذا ادرك ما سبق من كون جسمنا حينئذ كائناً عظيماً هائلاً وعالماً بل مجموع عوالم بالنسبة الى العدم الذي لا يوصل اليه مع انه كان آنفاً شيئاً صغيراً كاد لا يحس به في حضن كلية العالم ؟

* يكفي الهواء او الماء القليل لاماتة الانسان ولكنه هو أشرف مما يقتله دائماً ، ولو قام العالم كله عليه ليهلكه لكان هو أشرف من مهلكه لانه يعرف انه يموت بخلاف العالم الذي لا يعرف شيئاً . شرفنا كله هو في فكرنا فلنطلب فيه مقاماً ولا نطلبه في الحيز أو في الدوام اللذين لا نستطيع أن نملأهما ولنسع في تحسين فكرنا ، ذلك مبدأ

الاخلاق. يحيط بي العالم بحيزه ويغرقني كأني نقطة ولكني أحيط به بالفكر. لا يجب أن يبين للانسان شرفه من غير ذله فهذا خطير ولا ان يبقى في جهلهما فهذا اشد خطراً بل من المفيد جداً أن يدل على هذا وذاك

* عيشة الناس غرور دائم لبس الا. فهم يغشون ويمدحون بعضهم بعضاً دائماً. لا يتكلم أحد في حضورنا كما يتكلم في غيبتنا. ليس لوفاق البشر أساس غير هذا الغش المتبادل. ليس الانسان الا زوراً وكذباً ونفاقاً في نفسه وبالنسبة الى الآخرين. لا يريد ان يسمع الحقيقة ويحذر قولها، وتلك الخصال مع بعدها عن العدل والعقل مغروزة طبيعياً في قلبه

THE FORERUNNER

by Kahlil Gibran

ان هذا الكتاب (ومعنى اسمه السابق او الرائد) الذي وضعه الكاتب النابغة جبران خليل جبران هو شقيق لكتابه « المجنون » The Madman الذي صدر منذ نحو سنتين في اللغة الانكليزية فكان له اعظم وقع بين ادباء الغرب وكتابه وعني بترجمته غير واحد الى اللغات الاوربية. وانا لنفتخر اذ نرى اديباً شرقياً يحوز عن جدارة ذلك المقام الرفيع في عالم الادب الغربي

وهذا الكتاب مثل شقيقه البكر يحوي قصصاً رمزية ذات مغاز بعيدة يستخلصها القارىء اللبيب من بين السطور. وقد رمى المؤلف من وراء هذه القصص الصغيرة الى انتقاد العادات والتقاليد وسائر ظواهر الحياة الاجتماعية. وفي الكتاب تأملات سديدة وآراء مصيبة يطرب لها كل فكر متحرر وعقل مستنير

وحبذا لو عني المؤلف بترجمة كتابيه الى اللغة العربية فلا يحرم جاهلو اللغة الانكليزية من مواطنيه مطالعة نفثات قلمه والتلذذ بنتاج قريحته

حول الكرة الارضية

لحنا خباز

غادر الاستاذ حنا خباز هذا القطر منذ بضع سنوات فاتجه شرقاً عن طريق البحر الاحمر الى الهند فالصين فاليابان فجزر الفيلبين فاميركا. فكان حيثما حلَّ يدون مايبدو

له من الملحوظات ويجمع ما يتيسر له جمعه من الفوائد والمعلومات بقصد تدوين رحلته حول الكرة الارضية . وقراء الهلال يعرفون الاستاذ حنا خباز بما نشرناه له من المقالات والمباحث مدة اقامته في مصر وأثناء سياحته التي نحن بصددها . وقد جاءنا اليوم من أميركا الجزء الاول من كتابه حول الكرة الارضية وهو يشمل تاريخ سياحته الى اليابان . والكتاب ضخم يقع في ٣٥٠ صفحة كبيرة وهو متقن الطبع وفيه صور كثيرة

وهذا الكتاب في نظرنا من افيد الكتب التي صدرت في الآونة الاخيرة . انه مفيد لنا نحن معاشر الشرقيين على الخصوص في نهضتنا الحاضرة . لاننا الآن أحوج منا في أي وقت آخر الى معرفة احوال الشعوب والامم واخلاقها وعاداتها وكل ما يتعلق بحياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . واول الدول التي ينبغي لنا درسها دولة اليابان فانها القدوة الصالحة لكل شعب شرقي يريد النهوض والتقدم . وفي كتاب حول الكرة الارضية معلومات كثيرة عن تلك الدولة واحوالها ومظاهر ارتقائها الحديث

ولم يكتف الاستاذ حنا خباز بتدوين ما رآه في سياحته وما وفق الى جمعه من الفوائد بل افاض في وصف الاحوال الاخلاقية وابداء الملاحظات الفلسفية والاجتماعية واستخلص مما رأى فوائد واستنتاجات جديرة بالنظر . هذا غير ما ضمن كتابه من النوادر والحوادث مما تلذ مطالعته لكل قارىء وخير الكتب ما جمع بين التسلية والفائدة

فنشكر للاستاذ هديته وعسى ألاَّ يكون صدور الاجزاء التالية بعيداً حتى تتم الفائدة المطلوبة فيكون لدى قراء العربية كتاب سياحة واف يعرفون بواسطته ما في العالم من الشعوب والعادات والاخلاق

THE DAWN OF A NEW ERA IN SYRIA

by Margaret Mc Gilvary

ان ما يعرفه السوريون الذين عاشوا خارج سوريا في سنوات الحرب عن حقيقة حالتها في ذلك العهد وما انتابها من المصائب والارزاء لا يزال مفتقراً الى التفصيل والتدقيق من أوجه كثيرة . وقد صدرت عدة كتب في هذا الموضوع

ومع ما في بعضها من الفوائد والمعلومات العظيمة الشأن فالمجال واسعٌ لزيادة التحري والبحث . وقد صدر أخيراً في اللغة الانكليزية كتاب عنوانه « فجر عهد جديد في سوريا » للكاتبة مرغريت ماك جيلفاري يحوي اموراً كثيرة لم تنشر في الكتب السابقة . وفي كل صفحة من صفحات هذا الكتاب تبدو عناية المؤلفة في تحقيق الحوادث واعتمادها على المصادر الوثيقة

والكتاب يقع في نحو ٣٠٠ صحيفة وفيه صور ورسوم كثيرة ومع كونه كتب للجمهور الاميركي فان الشرقي يجد لذة عظيمة في مطالعته فقد أحاطت المؤلفة الفاضلة بالموضوع من كل جانب فوصفت الحالة في سوريا وفي تركيا عموماً عند نشوب الحرب وفي اثنائها وافاضت في تحليل الحالة النفسية والاقتصادية والاجتماعية معتمدة في كل ذلك على ما شاهدته بعينها او خبرته بنفسها او ما اتصل بها من الثقات الذين يركن الى آرائهم . وانه ليكفي القارىء أن يطلع على عنوانات الفصول التي يتألف منها الكتاب حتى يدرك قيمته وفائدته وبراعة كاتبته فهاك أهم الفصول :

اضمحلال سوريا . التجنيد. الغاء الامتيازات الاجنبية . مساعدة الصليب الاحمر الاميركي . مساعدة السوريين من الخارج . رجال الحكومة . تأثير دخول اميركا الحرب على سوريا . سنة الاهوال (١٩١٧) . الساعة المظلمة قبل الفجر . تحرير سوريا . . .

على أن القارىء لا يدرك الا قليلاً من أهمية هذا المؤلف بالوقوف على قائمة مواضيعه فلا بد من مطالعته كله حتى يعلم ما يتضمنه من الفوائد الكثيرة

التزوير الخطي – فني عملي

لنجيب بك هواويني

يسرنا على الخصوص من الكتب التي تطبع في العربية ما طرق منها مبحثاً او فناً جديداً ليس له مرجع يرجع اليه الطالب . هذا شأن كتاب التزوير الخطي الذي اصدره أخيراً نابغة الخط العربي المحامي نجيب بك هواويني خطاط عظمة السلطان . وكل من عرك الحياة القضائية يعرف شأن التزوير ومضاهاة الخطوط والاختام فيها . ولذلك كان لهذا الكتاب شأن خاص يمتاز به عن سائر الكتب الجديدة . فانه أول

كتاب في هذا الفن ولطالما شعر القضاة والمحامون والخبراء وطلبة الحقوق بافتقارهذه اللغة الى كتاب يوفي هذا الموضوع حقه من البحث . فجاء كتاب نجيب بك هواويني كافياً وافياً لا يبقي زيادة لمستزيد . ولا غرابة في ذلك فان المؤلف ـ فضلاً عن نبوغه في الخط وخبرته في مضاهاة الخطوط والاختام ـ كاتب ومحام معاً . فهو جامع لكل الصفات اللازمة لتأليف مثل هذا السفر النفيس

وقد توسع المؤلف في موضوعه فلم يقتصر على « التزوير الخطي » كما يتبادر الى الذهن من مطالعة العنوان ولكنه جعل هذا البحث الفني نواة نسج حولها فوائد جمة ومعلومات مختلفة باسلوب قريب طلي بحيث يلتذ بمطالعته كل قارىء من غير أهل الفن . والكتاب مطبوع طبعاً جميلاً وفيه مئات من الامضاءات والاختام لتطبيق الفن عليها



ذكرى

محمد بك فريد

اهدانا حضرة الاديب فرج افندي سليمان فؤاد صاحب كتاب الكنز الثمين لعظماء المصريين بدار المؤيد بشارع محمد علي بمصر كتاباً جليل الشأن لذكرى فقيد الامة والوطن المرحوم محمد بك فريد استرعى انظارنا لحسن تنسيقه وجمال تبويبه وجودة طبعه وقد سرد فيه جميع المراثي والتأبينات التي قيلت في حفلات الفقيد كما زينه بصورة الفقيد وصورة نجله وصور عديدة لتشييع الجنازة بمصر والاسكندرية وكذا صور اصحاب المعالي والسعادة والعزة رئيس واعضاء الوفد المصرى واللجنة المركزية . وقد وقع في ثلثماية صفحة من القطع الكبير . وجعل ثمن النسخة المجلدة تجليداً افرنجياً خمسين قرشاً صاغاً والمجلدة بالكرتون ثلاثين قرشاً صاغاً عدا اجرة البريد وقدرها ثلاثة قروش صاغ . فنثني على همة المؤلف ونحث حضرات القراء الكرام من مريدي الفقيد على المبادرة الى اقتناء هذا السفر الجليل

كيف قتل القيصر واسرته

تفاصيل وثيقة عن أفجع جناية عرفها التاريخ



القيصر والقيصرة في احدى هيئاتهم الرسمية

في اطراف جبال اورال - على حدود سيبيريا الواسعة الارجاء - تقع مدينة ايكاترنبورج التي سيذكر اسمها التاريخ كما يذكر اعظم المدن التي جرت فيها اعظم الحوادث . في منزل صغير من منازل هذه المدينة مثلت الفاجعة التاريخية

التي ذهبت بحياة قيصر « جميع الروسيين » وعائلتـه التاعسة . ومن بزر تلك المدينة في هذه الايام يشاهد ـ كما قال مكاتب جريدة التيمس ـ رجلاً اسرائيلياً كان بالامس صاحب دكان صغير فاصبح اليوم مفتش السوفيت الرسمي لضمانة الحياة في ولاية ايكاترنبورج

هذا هو يوروفسكي ـ هذا هو السفاح الذي اطلق من يده الرصاصة العمياء التي خرقت دماغ القيصر المنكود الحظ ثم لوى هو ورفاقه على بقية اعضاء العائلة المؤلفة من الامبراطورة ، وولدها الوحيد المريض وبناتها الصبايا والطبيب الخاص والخادمة الامينة فنفذوا فيهم حكم الاعدام بفظاعة تقشعر منها الابدان

ان اشد اعـداء قيصر الروس واخصامه الذين كانوا يتمنون له الهلاك لم يتمالكوا عن التأثر حين بلغتهم الاخبار عن مصرع ذلك الرجل وزوجته وبناته وولده المريض ، وعن المعاملة الفظة الجائرة التي عوملوا بها ، وعن الهوان الذي نالهم ممن نيط بهم امر حراستهم ، وعن نظرات الكره والبغض التي كانت تتساقط على الامبراطورة وبناتها ، وعن الكلام البـذيء والمناظر الشنيعة التي كانت تمزق آذان تلك العائلة التعسة وابصارها ـ وعما اظهرته هي من كرم الاخلاق وكبر النفس وطول الأناة والصبر وما احتملته من الذل والعذاب الى ان مشت اخيراً الى الموت بابتسامة الابطال . فقضى افرادها كما قضى شهداء الثورة الفرنسية ـ نبلاء كانوا ونبلاء ظلوا الى النهاية

واليك الآن تفاصيل هذه الحادثة المحزنة التي لم يرو مثلها التاريخ منذ سيق لويس السادس عشر الى الاعدام ـ ننقلها عن اهم المصـادر التي بذلت الاموال الطائلة للوصول الى هذه الحقائق خدمة للتاريخ :

خيانة القيصر

في اوائل سنة ١٩١٦ اذ كانت الجيوش الروسية العظيمة تتقدم منتصرة على جبال الـكربات انتشرت في روسيا اشاعة مؤداها ان القيصر وزوجته القيصرة يفاوضان الالمان سراً . وقد تسربت هذه الاشاعة بسرعة غريبة الى جميع انحاء

روسيا حتى بلغت كل فلاح بل كل تلميذ مدرسة

وقد كان موقف العائلة المالكة مهدداً في ذلك الحين وتقاطرت اللعنات على رأس القيصرة من جميع اطراف المملكة بتهمة ميلها بل تعبدها للراهب راسبوتين الداهية الذي هدم بيده الحجر الاول من ذلك البناء الفخم . وكان تأثير الامبراطورة على الامبراطور عظيماً مثلما كان تأثير راسبوتين عليها . فلم تلبث أن اقنعت القيصر بوجوب فصل الغراندوق نقولا عن القيادة العامة كي يتولاها هو بنفسه . فاضطر القيصر ان يجيبها الى ما ارادت وترك تسارسكو سيلو محل اقامته وسافر الى مركز القيادة العامة حيث أصبح بعيداً عن نفوذ القيصرة وتأثير راسبوتين . فان راسبوتين هذا كان في نظر الامبراطورة الكسندرا قديسا عظيماً . وهذا الاعتقاد الهستيري كان المعول الذي هدم عرش آل رومانوف وقضى عليه الى الابد . فلما أصبح الامبراطور بعيداً عن زوجته أخذ يصغي الى الشكاوي الكثيرة الموجهة ضد الراهب ثم عزل الوزير ستورمر الذي كانت تعضده الامبراطورة فأثر فيها ذلك اسوأ تأثير . وزاد في الطين بلة مرض أولادها وتفاقم حالتهم. ثم كثرت الاشاعات عن نشوب الثورة في جهات مختلفة من المملكة وعن وجوب تنازل الامبراطور عن العرش فكادت الامبراطورة تجن وعبثاً حاولت الوصول الى زوجها لتقنعه بعدم التنازل . ولكنها لم تلبث أن تحققت مخاوفها . ففي ٢١ مارس سنة ١٩١٧ جاءها الجنرال كورنيلوف واخبرها أن مجلس الوزراء قرر القاء القبض عليها . وبعد ايام وصل القيصر مخفوراً الى عائلته فقابل زوجته وتعانقا عناقاً يفتت الاكباد . وكان قد القي عليه القبض بتهمة مفاوضة الالمان بالاتفاق مع زوجته . على ان الثورة الروسية لم تكتف باستعفاء القيصر وتنازله بل حكمت عليه بان يخسر شرفه وحبه وعائلته لكي لا يقوم بعده من ذريته من يضع يداً على العرش . وهكذا كان

الى المنفى

الى سيبيريا ـ الى بوسفور آل رومانوف ـ الى حيث لا يعود من يذهب

قضى القضاء على القيصر وعائلته ان يسافروا بعد أن سجنوا خمسة أشهر في تسارسكو سيلو ذاقوا في خلالها من أنواع العذاب والاضطهاد ما يعجز القلم عن وصفه . فقد كانت الجواسيس تحيط بهم من كل جانب والجنود التي كانت بالامس تسابق الى اظهار عواطف التعظيم والتكريم أصبحت تترفع عن أن ترمق القيصر بنظرة شفقة أو عطف أو احترام . فكانوا يتبعون القيصرة وبناتها كيف يسرن



العائلة المالكة

ويجتهدون في اغاظة الولد المريض بتكسير لعبه . أما القيصر فكان لطيفاً بشوشاً بسيط القلب حسن النية كما يعهده كل من اطلع على تاريخ ذلك العاهل المسكين . فقد كان يحيي الجنود وكثيراً ما لم ترد تحيته أو ترد بهذه الكلمات « ليمت الخائن » وحدث مرة ان القيصر مدّ يده ليصافح أحد الجنود فارجع الجندي يده بغضب الى وراء ظهره الامر الذي آلم القيصر وأثر في نفسه أشد تأثير . فنظر متألماً وسأل الجندي « لماذا ? » . أما الجندي فاجاب بشراسة : « اني من الشعب . وحين مدّ

الشعب يده اليك ليصافحك رفضت ولم تمد يدك » ولعل اقسى ما في هذه العبارة الحقيقة الهائلة الممزوجة بها

صدرت ارادة الحكومة الموقتة بوجوب انتقال العائلة المالكة من تسارسكو سيلو في اواخر يوليو . واجتهد رجال السوفيت في بتروغراد وكرونستاد للحصول على المسجونين فلم يفلحوا . ثم سعوا لحجزهم في قلعة القديس بولس وبطرس في بتروغراد فقاومتهم فئة من الحكومة الموقتة كانت لا تزال في قلبها عاطفة شفقة على العائلة التعسة . وقد حاول كرنسكي اعلان تبرئة القيصر فلم ينجح . وخشي وقوعه في قبضة أعداء الثورة فارتأى ان يقنع الحكومة بوجوب ارساله الى توبلسك في سيبيريا لبعدها عن نقطة الحكومة المركزية . وكان كذلك . اما القيصر وعائلته فكانوا يجهلون مصيرهم . وطلب الى القيصر أن يختار الحاشية التي يريد أن ترافقه فانتخب الدكتور بوتكن وايليا ليونيدوفتش تاتيشف والبرنس فاسيلي الكسندروفتش والكونتس اناستاسيا الشابة ومدام شنيدر مربية الاطفال وفريقاً من الخدم والحشم

وحدث أن يوم ميلاد ولي العهد الطفل الكسيس وقع قبل سفرهم بقليل فاظهرت العائلة من السرور والابتهاج ما دهش له المكلفون بامر الحراسة . ولم ينسوا اقامة الصلاة . ثم استعدوا للسفر في الطريق المجهول الممزوج بالخوف والرجاء ... وجاء كرنسكي لتوديعهم فى منتصف ليلة ١٣ اغسطس وخاطب الجنود المنوط بهم مرافقتهم قائلاً : « لقد حافظتم على العائلة المالكة هنا فحافظوا عليها في كل مكان تصلون اليه . تذكروا انه من العار أن يضرب الرجل الذي يسقط الى الارض . كونوا معهم رجالاً لا انذالاً » . ثم اختلى بالقيصر دقائق معدودة وحضر هذا الاجتماع الاخير شقيق القيصر الغراندوق ميشيل الذي كتب له القضاء ان لا يرى وجه اخيه فيما بعد

السفر الى توبلسك

ونزلت العائلة في منتصف الليل الى المحطة وركبوا القطار المعد لنقلهم . لكن

القطار توقف الى الساعة السادسة صباحاً لان العمال اعتصبوا حين علموا ان القيصر سينقل من تسارسكو خشية ان يكون في تسفيره مكيدة . وكان القيصر مضطرباً في تلك الاثناء ولا سيما حين سمع عن سبب تأخير رحيله . ولا بدع ان يخامره الخوف فسيبيريا هي شبكة الموت التي لا ينجو منها من يصل اليها . وقام القطار بعد الاخذ والرد الى ان وصل الى مدينة تيومن حيث كانت باخرة بالانتظار لنقل القيصر وحاشيته الى توبلسك . ومرت السفينة في طريقها بقرية بوكروفسكو التي ولد فيها الراهب راسبوتين . فما كان من الامبراطورة الكسندرا الا ان وقفت مذهولة أمام تلك القرية الحقيرة وعدت المرور بها اشبه شيء بسياحة الى اورشليم بل خيل اليها ان الصدفة العجيبة التي اتاحت لها المرور بقرية الراهب الذي قضى على حياتها بركة سماوية وبشرى بخلاص قريب . ونادت اولادها بدموع الفرح ليبصروا الساقية الصغيرة التي كان يلعب بقربها راسبوتين في طفولته والاشجار التي كان يتسلقها . ثم ركعوا جميعاً امام تلك المزرعة الحقيرة وصلوا صلاة حارة . ووصلت العائلة في التاسع عشر من اغسطس الى توبلسك فاضطرت الى البقاء اسبوعاً كاملاً على السفينة الى ان تم تجهيز المنزل الذي هيء لهم . وأخيراً في ٢٦ اغسطس داست اقدامهم ارض سيبيريا

وكان البيت الذي اعد لسكنهم قائماً امام الشارع العمومي وكان قبلا مسكناً لحاكم المقاطعة . فاقام القيصر وعائلته في الطبقة العليا واقامت الحاشية في السفلى . وكان خلف البيت بستان واسع محجوب عن الشارع العمومي فأصبح المتنزه الوحيد للقيصر وعائلته . في هذا البستان كان امبراطور جميع الروسيين يشتغل بقطع الاخشاب من الصباح الى المساء وقد بنى فيه كوخاً جميلاً كانت تلجأ اليه العائلة في بحر النهار ولا يزال قائماً حتى الآن

اما اهالي المدينة فكانوا يتشوقون الى رؤية افراد العائلة المالكة . فاذا مرّ احدهم بجانب البيت حنى رأسه او رسم علامة الصليب على وجهه احتراماً . وكانت المعيشة ضمن جدران ذلك البيت بسيطة للغاية فكان اليقصر ينهض هو

واولاده الساعة السادسة صباحاً . اما الامبراطورة فقد اشتد مرض قلبها فكانت تضطر غالباً الى البقاء في فراشها الى الظهر . وقد وجدت الامبراطورة عزاء عظيماً لم تحصل عليه وهي في سجن تسارسكو وذلك أنهم سمحوا لها ولبناتها بالذهاب الى الكنيسة . لكن هـذا العزاء لم يطل لان الاب فازلياف تجاسر مرة وذكر



القيصر وولي عهده أثناء الحرب

القيصر في أثناء القداس فحرمت العائلة من الدخول الى الكنيسة

ولم يقف اضطهاد العائلة المالكة عند هـذا الحد اذ حدث ما لم يك في الحسبان . فقد جاء من قبل الحكومة الروسية وفد خصوصي نيطت به مراقبة الامبراطور وعائلته . وقد كان رئيس الوفد بانكراتوف الذي صرف خمس عشرة

سنة في السجن في روسيا وعشرين سنة منفياً في سيبيريا . ورغم كونه من الفوضويين المشهورين في روسيا فقد اظهر شفقة وانعطافا على الطفل الصغير وشقيقاته البنات . بخلاف رفيقه نيكولسكي فقد كان فتى فظ الاخلاق مستبدا منتقما يجد لذة خصوصية في تعذيب ولي العهد المريض ومشاكسته . حتى انه لم يسمح مرة للخادم بمناولته الدواء بل اخذ القناني وكسرها عند مدخل الغرفة . ومن هذا الحين دخلت العائلة المالكة في طور جديد من المعاملات البذيئة التي سحقت عواطفها وكبرياءها . فان الجنود كانوا يسيرون وراء الغراندوقات ويسمعونهن من الشتائم والالفاظ ما تقشعر له الابدان بل كانوا يرسمون رسوماً قبيحة في كل مكان يجلسن فيه حتى على ابواب غرفهن . وقد ارغموا القيصر على نزع رتبته العسكرية ولم يبق للقيصر العظيم من اشارة تدل على علاقته بروسيا سوى صليب القديس جورجيوس

وأصبحت العائلة المالكة في حالة محزنة من الشقاء والفقر والعذاب والذل . وعرفت الامبراطورة الحرج أوقات الضيق فكانت منهوكة القوى منهوكة الروح لا تكاد تجاسر أن ترفع نظراتها الى اوجه بناتها التاعسات المعرضات لكل انواع القباحة والبذاءة . ومما زاد في حراجة ذلك المركز ان النقود فرغت من جيب القيصر وشعرت العائلة باجمعها بقبضة الفقر . واضطرت الامبراطورة ان تستعين بالخادمات اللواتي انفقن آخر فلس لديهن في سبيل سيدتهن العظيمة . وزاد الضيق حراجة فاستدانت العائلة من بعض اهل المدينة . وما عتم أن جاء الامر من حكومة السوفيت بانه ليس بالامكان تقديم شيء للقيصر وعائلته سوى الطعام الذي يقدم للجنود المنوط بهم أمر الحراسة فاذا لم يكفهم ذلك فما عليهم الا أن يشتغلوا ليحصلوا على ما يحتاجونه . فاضطر القيصر الى صرف معظم خدمه لانه أصبح مع عائلته في حالة ضيق شديدة

موقف جديد

وفي أواخر مارس سنة ١٩١٨ اشتد المرض على ولي العهد الكسيس فلازم

الفراش غير قادر على القيام . وفي هذه الاونة الحرجة وصلت بعثة سرية من قبل اللجنة التنفيذية المركزية في موسكو برئاسة يكوفلف أحد ضباط الاسطول البحري ومن اشراف الروسيين وكان ممن حكم عليهم بالنفي السياسي فقضى سنين عديدة يتجول في بلاد الالمان . وصل يكوفلف في مساء ٢٢ ابريل ومعه ١٥٠ فارساً وقابل الكولونل كوبلنسكي المقيم مع العائلة وابرز له الامر الذي يحمله من اللجنة التنفيذية المركزية بامضاء رئيسها سفردلف وهو يأمر كل موظف روسي بالطاعة وباجراء جميع ما يقرره يكوفلف . ثم ابرز أمراً آخر للحرس والجنود يخوله حق تنفيذ الاعدام في من يعارضه في أي مأمورية يريد اجراءها . ولكي لا يحدث شغب بين الجنود بشرهم بان معاشهم اليومي قد زيد بأمر الحكومة

وكان يكوفلف يتردد على العائلة ويدخل غرفة الولد المريض ويتأمله ملياً . وفي ليلة ٢٤ ابريل ذهب الى ادارة التلغراف وابلغ اللجنة المركزية انه من المحال احضار الولد او نقله فجاءته الاوامر ان يأتي بالقيصر حالا ويترك الولد مع العائلة . فجاء الى القيصر واراد الاختلاء به فدخلت القيصرة بعيون محمرة من البكاء وسألته باي حق يريد ابعاد زوجها عنها . اما هو فلم يجبها ووجه خطابه الى القيصر موضحاً الاوامر التي بيده . فاجاب القيصر رافضاً السفر الى موسكو . فبين له يكوفلف انه لا مفر من ذلك والا اضطر الى استعمال القوة او الاستعفاء في الحال ولا تكون نتيجة ذلك الاستعفاء الا ارسال مأمور آخر ان تجد العائلة من حسن معاملته ما رأته منه هو . وامن الامبراطور على نفسه مقسما بشرفه وحياته . ثم طلب الى القيصر ان يستعد للسفر في الساعة الرابعة مساء . وخرج دون ان يلتفت الى الامبراطورة

قرار القيصرة

اذ ذاك خاطب القيصر من حوله قائلاً : « الى اين يريدون ان يأخذوني ؟ لعلهم يريدون ان يأخذوني الى موسكو لامضي معاهدة برست ايتفسك . لكني اقطع يدي قبل ان افعل ذلك » وقالت القيصرة لحاشيتها : « وانا ايضاً يجب ان اذهب

معه . أنهم بلا شك يجعلونه يمضي ما لا يجب امضاؤه . وقد فعلوا ذلك قبلاً »
(مشيرة الى تنازله عن العرش)

ومرت الساعات والقيصرة بين واجب الحب لزوجها و واجب البقاء مع ولدها المريض . واخيرا قررت الذهاب مع الامبراطور ثم جمعت ما ارادت أخذه ونادت ابنتها الغراندوقة تاتيانا التي كان لها ولع خصوصي بها فعانقتها عناقا طويلا



القيصر في منفاه

وبكتا بكاء مراً ثم قالت الامبراطورة :

« ان الالمان يعرفون أن معاهدتهم مع الروس تعد ملغاة ما لم يمضها القيصر . ولذلك يريدون أن يفصلوه عن عائلته ليجبروه على امضاء معاهدة تعود علينا بالعار الابدي . وقد يفعل اذا كنا بعيدين عنه » ثم صاحت القيصرة واقفة كاللبوة على أقدامها : « يكفي ! سأذهب معه . فلن يمضي وحده ولن يمضي معاهدة مع الالمان . ماذا يقول حلفاؤنا عنا لو سمعوا بذلك ؟ »

هذه هي كلمات القيصرة التعسة التي اتهمها الحزب المعارض بمفاوضة الالمان سراً . وقد زاد مكاتب التيمس على ذلك قائلاً أنه حين اتصل بالامبراطورة ان في بنود معاهدة برست لتيفسك بنداً يضمن سلامة العائلة المالكة صاحت باللغة الفرنسية قائلة : « خير لي ان اموت في روسيا من ان انجو بواسطة الالمان » ومن البينات والوثائق التي ظهرت بعد ذلك تبين ان حكومة السوفيت باجمعها في ذلك الحين كانت تعمل وفقاً للاوامر التي تتلقاها من الكونت فون مرباخ سفير المانيا في روسيا الذي كان في موسكو - قبل ان اغتاله الجنود - بمنزلة حاكم مطلق يسير سفينة السياسة الروسية كما يحب . وكانت الغاية من احضار القيصر الى موسكو ان يمضي المعاهدة المذكورة كما خطر للامبراطورة . لكن هذه الغاية لم يعرفها رجال السوفيت انفسهم فان زعيمهم سفردلف لم يكن سوى آلة بيد الكونت فون مرباخ الذي نشر بنفسه الاشاعة الكاذبة عن مفاوضة القيصر والقيصرة مع الالمان

وقر القرار على ان تذهب القيصرة مع القيصر وتصطحب اثنتين من بناتها والطبيب الخاص وبعض الحاشية وتبقى الفتاتان مع التكسيس للاعتناء به . ولم يعارض يكوفلف في ذهاب هذه الحاشية مع القيصر لان الغاية التي جاء من اجلها انما كانت الاتيان بالقيصر الى موسكو

الجنود الحمر والعائلة المالكة

واعدت المركبات لنقل القيصر والقيصرة الى تيومن ليركبا منها القطار الى موسكو . اما تلك المركبات فكانت على غاية الخشونة ومقاعدها من القش فجلس القيصر في العربة الاولى وبجانبه يكوفلف الذي اصر على الجلوس معه ووراءهما القيصرة وابنتها الغراندوقة ماري . وقد كانت تلك المسافة محفوفة بالمشاق والمتاعب لوعورة الطريق مما ارغم القيصر وزوجته وابنته على النزول مراراً عديدة من المركبات والسير على الاقدام . وكان يكوفلف يدفع المركبة باشد سرعة تستطيع ان تسير بها كأنه يوجس وقوع شر قريب . فقد كانت جنود البولشفيك منتشرة

في كل قرية ومزرعة وخشي يكوفلف ان يوقفوه لو عرفوا انه ذاهب بالقيصر الى موسكو

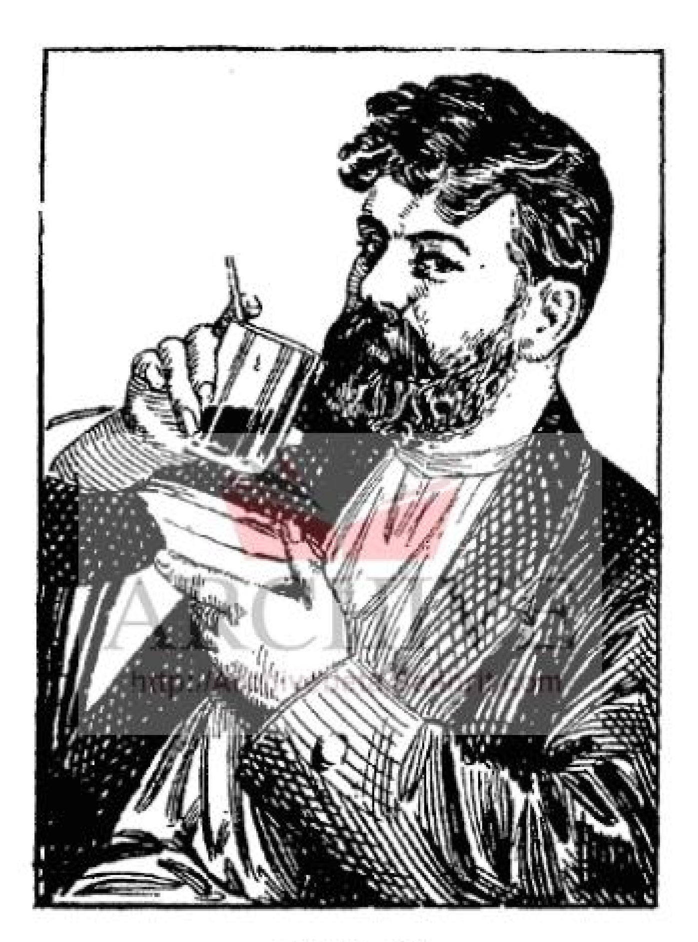
ووصلت القافلة في الساعة التاسعة صباحاً الى تيومن وركبوا القطار المعد لهم فسار بهم مجداً الى جهة الغرب . لكن سرعان ما تحققت مخاوف يكوفلف فان الجنود الحمر في محطة ايكاترنبورج كانوا اعدوا العدة لتوقيف القطر والقبض على العائلة المالكة وعدم السماح لها بالرجوع الى روسيا . فلما عرف يكوفلف بالمؤامرة امر سائق القطار ان يعود بهم شرقاً الى محطة اومسك ليأخذ خطا آخر الى موسكو . لكن الجنود الحمر المرابطين في ايكاترنبورج شعروا بتأخير القطار وادركوا حيلة يكوفلف فثار ثائرهم . وطيرت اللجنة المركزية نبأ برقياً الى محطة اومسك فاحتشد الجنود الحمر هناك وأوقفوا القطار في كيلومزينو . اما يكوفلف فنزل من القطار وذهب الى اومسك حيث خابر تلغرافيا سفردلف في موسكو

ان مراسل التيمس الذي كان له الفضل الاكبر في اكتشاف هذه الحقائق التاريخية يؤكد ان سفردلف الذي كان قابضاً على زمام سياسة روسيا في ذلك الحين أوعز الى يكوفلف أن يأتي بالقيصر الى موسكو عن طريق ايكاترنبورج مع علمه اليقين بان رجال السوفيت فيها سيفتكون به ولا يسمحون بعودته ثانية الى روسيا . ولا يبعد أن يكون هو الذي أوعز سراً الى سوفيت ايكاترنبورج بتدبير هذه المكيدة

وجاء الحرس الاحمر الى المحطة والقى القبض على القيصر وحاشيته . وقد بكت الامبراطورة بكاء مراً لانها لاول مرة منذ خرجت من روسيا الاوربية شعرت أن خطراً حقيقياً يتهدد حياتها وحياة زوجها معها ولا سيما ان ولدها الوحيد المطروح على فراش المرض كان لا يزال مع شقيقتيه في توبلسك فبكته بكاء أم تخاف أن لا تجتمع بولدها مرة أخرى

وطلب الحرس السوفيتي من يكوفلف تسليم القيصر وزوجته وابنته رسمياً فلم يجد مفراً من الاذعان ولا سيما أن الحكومة البلشفيكية كانت قد أرسلت معه

شخصاً آخر وظيفته التجسس عليه أثناء وجوده مع العائلة المالكة فهذا الرفيق حين شعر بعطف يكوفلف ورغبته في تخليص القيصر تقدم الى زعماء السوفيت رافعاً شكواه متهماً اياه بخيانة الشعب وشهد بذلك فلاح آخر اسمه فديوف مقوياً



يوروفسكي قاتل القيصر

دعواه . فاضطر يكوفلف الى تسليم القيصر وحاشيته وأخذ وصلاً خطياً وهو كما يأتي:

حكومة جمهورية السوفيت الروسية ٣٠ ابريل سنة ١٩١٨

هيئة نواب مقاطعة الاورال

انا بيلو بورودوف رئيس نواب مقاطعة الاورال استلمت من الزميل يكوفلف العضو في السوفيت المركزي العام القيصر السابق نقولا رومانوف وزوجته

القيصرة السابقة الكسندرا فيدورفنا والغراندوقة السابقة ماري ابنتها ومن معهم من الحاشية وجميع هؤلاء موقوفون تحت أشد المحافظة

بيلو بورودوف

رئيس مندوبي مقاطعة الاورال

ثم أخذ القيصر وزوجته ومن معهم الى بيت اباتياف في ايكاترنبورج وتولى أمر حراستهم عيسى كولوشكين صديق سفردلف الحميم . فلما وصلوا الى الباب اشار الى القيصر قائلا : « ادخل ايها المواطن رومانوف » واعاد ذات العبارة على زوجته وسائر الحاشية . ومن تلك الدقيقة اصبح القيصر وزوجته واولاده في قبضة العمال الروسيين المعروفين بالحمر واصبحت حياتهم بين مخالب البلشفيكية الفاغرة فاها لابتلاعهم جميعاً

المجيء من توبلسك الى ايكاترنبورج

وقاست بقية العائلة التي ظلت في توبلسك من العذاب والاضطهاد ما يعجز القلم عن وصفه . فقد ذكرنا ان الغراندوقتين الصغيرتين بقيتا مع اخيهما الكسيس المريض للاعتناء به . وكان يجد الحراس لذة خصوصية في تعذيبهما حتى انهم لم يسمحوا للفتاتين باقفال غرفة نومهن . وكان رودينوف (وهو من الموفدين الى توبلسك) يغمض احدى عينيه ويبتسم ابتسامة شيطانية للغراندوقة الصغيرة قائلا: « اياك ان تقفلي الباب فان لي الحق أن ادخل غرفة نومك في أي وقت اشاء »

ودام الحال على هذا المنوال الى ان قرر السوفيت احضار بقية العائلة الى ايكاترنبورج . وكان قد ورد على الغراندوقة الصغيرة كتاب سري من الخادمة الامينة دميدوفنا تقول لها فيه : « اطرحي جميع الادوية بحسب الاتفاق » وقد عنت بذلك جواهر العائلة التي تبلغ قيمتها مليون روبل ذهب وكان تم الاتفاق بين القيصرة وبناتها على طريقة لاخفائها في الثياب فيما اذا قضت الظروف بالانتقال من مكان الى آخر . ولهذه الجواهر يرجع الفضل الاكبر في اكتشاف الجريمة التي قتلت بها العائلة المالكة . اما الغراندوقة فجلست بحسب أوامر والدتها وخاطت

الجواهر في بطانة قبعتها وقبعة أختها وتحت ازرار اثوابهما خشية ان يلاقيا من ادارة التفتيش ماحدث لأمهن وشقيقتهن الغراندوقة ماري يوم نقلتا من توبلسك .
وفي ٢٠ مايو صدرت الاوامر الى الفتاتين وشقيقهن الصغير بالرحيل الى ايكاترنبورج فوصلوها بعد يومين وانزلوا مع والديهم في بيت اباتياف

بيت اباتياف

بنى هذا البيت تاجر رومي ودعاه باسمه وقد كان مؤلفاً من طبقتين وتحيط به جنينة صغيرة وهو مواجه لكنيسة الصعود وكان له قبو يكاد يكون تحت الارض كما هي العادة في اكثر بيوت الاوربيين . وقد خصصت ثلاث غرف من هذا البيت للعائلة المالكة وحاشيتها فسكن القيصر والقيصرة وولدهما ولي العهد في غرفة بعيدة عن مدخل البيت وخصصت غرفة بجانبها للغراندوقات . وقسمت غرفة أخرى بين الطبيب الخاص وبقية الخدم والحاشية . ثم ان رجال السوفييت أقاموا في الحال حاجزاً رفعوه حول البيت من الجهات الاربع ودُهن زجاج النوافذ كي لا يبصر الناظر منها شيئاً . واقام السوفييت حراساً من العملة على باب كل غرفة وبجانب كل نافذة وفي زاوية كل ممشى وعلى كل مدخل حتى على باب غرفة الماء . ثم ركزت المدافع الصغيرة حول البيت فاصبحت العائلة المالكة في شبكة جهنمية يستحيل التخلص منها . واظهر الحرس كل ما عندهم من سفالة الاخلاق والانحطاط الادبي خصوصاً مع الغراندوقات بنات القيصر فانهم لم يراعوا معهنّ حرمة الادب والشرف . يا لها من ليال وساعات مرت على آل رومانوف كانت تتزاحم فيها أشباح الخوف والذل والشقاء . لكن العائلة النبيلة احتملت كل ذلك بشهامة وانفة وكبرياء كأنها تحسب ان كثرة المصائب ستؤدي الى فرج قريب غير دارية بما يخبىء لها الدهر من الرزايا

معيشة العائلة

وتعين افدياف قومنداناً خاصاً لحراسة البيت الذي اصبح سجناً للقيصر وعائلته وكان معه من المساعدين والحراس رهط من العملة الجهال الاغبياء الذين

احتلوا البيت بحجة حراسته فاظهروا من سوء المعاملة وقلة الحياء ما يستحيل ان تتحمله عائلة نبيلة . وكأن من مستلزمات الثورات حين تنشب ان يكون امثال هؤلاء من قوادها وزعمائها واصحاب اليد القوية النافذة فيها . فمن هذه الفصائل الحيوانية انتخبت حكومة السوفيت من ناطت بهم امر حراسة قيصر جميع الروسيين وزوجته القيصرة وبناتهما وولدهما الذي لولا نشوب الحرب الكبرى لاصبح يوما امبراطوراً على مئة وخمسين مليونا من النفوس

هؤلاء العملة الذين وكلت اليهم حراسة العائلة المالكة كانوا اكبر جرعة شقاء تجرعها الامبراطور المنكود الحظ . فقد كانوا يدخلون الى غرفته وغرفة زوجته وبناته وهم في اشد حالات السكر والعربدة تتصاعد منهم روائح الاوساخ والمسكرات متبخرة عن اثوابهم وافواههم . بل كانوا يجلسون على المائدة بين القيصر والقيصرة والغراندوقات — يا لهن من فتيات طاهرات وقعن فرائس في براثن ذئاب كاسرة . ثم ان جدران الغرف جميعها لم تلبث أن ملئت برسوم وتصاوير قبيحة تخجل منها العذراء بل يحمر لها وجه الفتى مهما يكن فاسداً

وصدرت الاوامر بان لا يسمح للعائلة بالخروج من جدران البيت لاستنشاق الهواء النقي سوى ربع ساعة في كل يوم . وسدت ابواب العالم باجمعه في وجه العائلة التعسة ولم يعد لها من عزاء سوى رفع ابصارها نحو السماء والالتجاء الى الدين الذي سماه رجال السوفيت على أعلامهم الرسمية « افيون الشعب »

رحمة في قلب الجنود

ان العذاب والاضطهاد اللذين احتملتهما العائلة بهدو وسكينة اثرا تأثيراً عظيماً في اخلاق الجنود رغم جميع ما وصفناه من قساوتهم وشراستهم . فما لبثوا أن شفقوا على القيصر وزوجته وبناته . فالروح الروسية كما يشهد لها المؤرخون قريبة الى التدين والشفقة والحنو ورغم جميع ما تتصف به من الجهل والانحطاط قد ترتفع أحياناً وتسمو كما لو مست بنور الهي . فمن ذلك ان احد الحراس الروسيين اشتهر بكره القيصر وعائلته — وكان فوضوياً غاية امانيه أن يضغط باصابعه على عنق

القيصر الذي كان يدعوه « شارب دم الشعب » ـ التفت مرة فابصر القيصر يتمشى في فسحة بيت اباتياف ويحادث الحراس الواقفين بجانبه ببساطته المشهورة فصاح : « ما هذا برجل رديء شرير » كأن بغضه مات بلحظة حين ابصر القيصر العظيم بالامس واقفاً موقف الضعف اليوم . وقال لرفاقه : « انه من العار أن يقتل القيصر او أحد من عائلته . فاذا كانت زوجته قد أخطأت فقد



هيئة مجلس السوفيت الذي حكم على القيصر بالاعدام

تعذبت ايضا . وان وجهها الشاحب اصبح مرآة لكل تعاسة وشقاء » . ولم يطل الوقت حتى أصبح جميع الحراس الروسيين على غير ما كانوا عليه بالامس من كره القيصر والقيصرة بل اصبحوا يعطفون على مسجونيهم . وسعى مطران ايكاترنبورج سراً للتوصل الى العائلة المالكة فخاب مسعاه . لكن رئيس الحرس الروسي أشفق على العائلة وسمح لبعض راهبات الدير باحضار بعض مواد الطعام اليها . وقد تمكنت اولئك الراهبات من احضار ما كانت تتوق القيصرة وبناتها للحصول عليه

حتى انهن احضرن ايضاً تبغاً للقيصر . وهكذا لاح بارق امل جديد للعائلة التعيسة الا انه كان برقاً خلباً عقبته الفاجعة

فان زعماء السوفيت لما رأوا ان الرحمة قد تسربت الى قلوب الحراس استبدلتهم بحراس آخرين لا يمكن ان تعرف الشفقة طريقاً الى صدورهم . وكان زعيمهم يوروفسكي القاتل الذي طارت من مسدسه الرصاصة التي صرعت القيصر

في طريق الموت

وكان يوروفسكي يراقب فريسته منتظراً ساعة الانتقام الجهنمي . فقد اعدّ العدة لذلك العمل الفظيع واصبح على ثقة تامة بانه لا يوجد بين حراس العائلة المالكة جندي روسي واحد . وفي الخامس عشر من شهر يوليو اصدر اوامره بان لا يسمح للراهبات باحضار شيء الى المسجونين . وفي اليوم التالي امر بنقل ليون سادليف الولد الصغير الذي كان سميراً لولي العهد . وقد اختفى ذلك الولد التعس من ذلك الحين ولم يسمع عنه شيء

وفي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم امر يوروفسكي رفيقه مدفيدوف ان يجمع جميع المسدسات التي مع الحرس ويأتي بها الى غرفته . ثم اطلعه على قصده الجهنمي وهو الفتك بالعائلة جميعها من غير أن يبقي على أحد منها

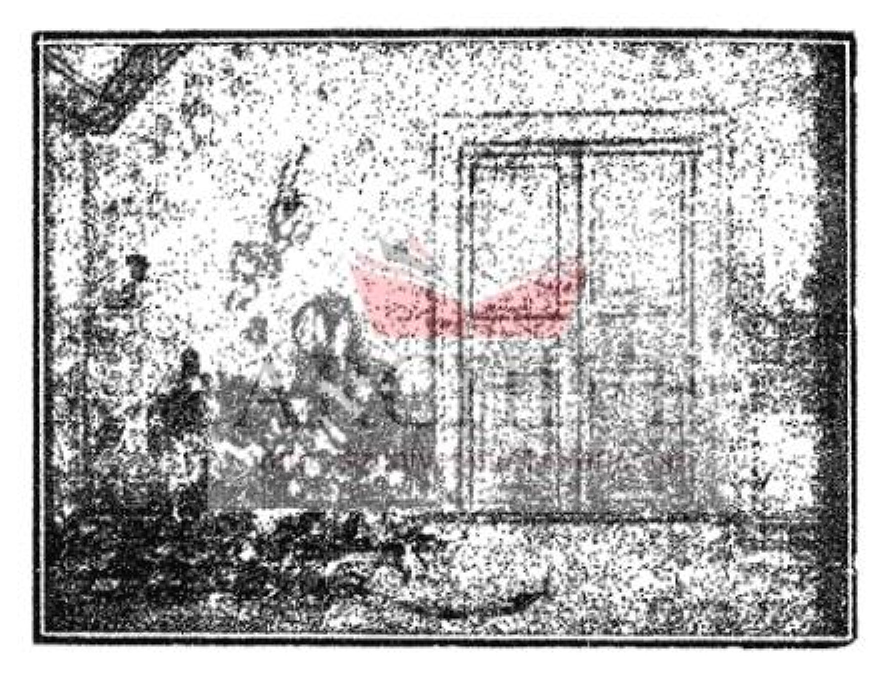
وفي منتصف الليل رفع الستار الدموي عن الفصل الاول من تلك المجزرة البشرية المخيفة

وكانت العائلة المالكة مستغرقة في النوم فدخل يوروفسكي وايقظ القيصر وقال له بصوت خافت : « انهض فالثوار على مقربة من المدينة وقد ينشب القتال بعد ساعات في الشوارع فخير لك ولعائلتك يا مولاي أن تغادروا هذا المنزل الى مكان آمن منه فاسرع بلبس ثيابك ولا تخف . وانا بنفسي سأوقظ بقية العائلة»

واستفاقت القيصرة وفتح ولدها ولي العهد عينيه فاسر لهما يوروفسكي ما اسره للقيصر قبلها وفعل مثل ذلك مع الغراندوقات فاسرع الجميع الى لبس ثيابهم والاستعداد للسفر. ثم نزل يوروفسكي وبعد قليل رجع لملاقاة القيصر فوجده بانتظاره . وسأله القيصر

بلطفه المعهود : « وهل يصلون الى المدينة بهذه السرعة الغريبة ؟ » ثم مد يده شاكراً يوروفسكي على اعتنائه به وبعائلته

وخرجت العائلة من غرف النوم والجميع بلباس السفر وسار يوروفسكي في مقدمة الجميع ومشى وراءه القيصر والقيصرة واولادهما (وكانت الغراندوقة اولغا تحمل اخاها المريض على صدرها) فالطبيب الخاص وفي آخر الجميع الطاهي والخدم الذين كان من الممكن نجاتهم لولا الامانة والاخلاص اللذين اظهروهما لاسيادهم .



الغرفة التي نفذ فيها الاعدام وآثار الرصاص على جدرانها

يا له من موكب محزن يمشي الى الموت ! فقد كان مؤلفاً من نساء تاعسات بلا سند ولا معين وولد مريض وفتيات لم تبلغ صغيرتهن الرابعة عشرة من العمر . وقد كانت احداهن تاتيانا من اجمل بنات عصرها وكانت تتناقل المجالس السياسية انها ستكون ملكة بريطانيا العظمى في مستقبل الايام . وقد أفاض مكاتب التيمس في وصف جمال هؤلاء الفتيات وما اتصفن به من الطهارة والبساطة والنشاط مما يضيق المقام عن سرده

ونزل يوروفسكي في سلم ضيق الى أن وصل الى الطبقة السفلى فدخل الى غرفة

هناك وأمر العائلة بالانتظار . ورفعت الامبراطورة عينيها واذا جدار تلك الغرفة مملوء برسوم وصور سافلة . يا لها من ملكة تعسة ! ان تلك الرسوم لم تمثل الا علاقتها مع راسبوتين بشكل لا يتصوره الا دماغ جهنمي

مجزرة العائلة المالكة

وظهر يوروفسكي في الباب وبيده ورقة صغيرة ووراءه خادم يحمل نوراً ضئيلاً ودخل وراءهما اثنا عشر جندياً. وتقدم يوروفسكي الى وسط الغرفة واخذ يقرأ ما في تلك الورقة بصوت عال وهو يتظاهر بانه يستعين على قراءتها بنور الفانوس رغم كونه يعرفها كلمة كلمة فانه منذ ساعة واحدة كان قد كتبها بيده مع رفاقه واهم ما فيها ما يأتي :

« لقد اجتهد اقرباؤكم أن يخلصوكم فلم يفلحوا ولذلك فقد اضطررنا أن نعدمكم الآن جميعاً »

ورسمت القيصرة علامة الصليب على وجهها وفعل مثل ذلك بناتها ثم ركع الجميع على الارض . الا القيصر فقد ظل وحده واقفاً واراد أن يمد يده لا الى الله ليطلب المغفرة والصفح بل الى أخيه الانسان يوروفسكي ليطلب الرحمة والعفو - ان لم يكن عن نفسه فعلى الاقل عن ولده الوحيد المريض وبناته البريئات . ان منظر القيصر والدموع تنسكب من عينيه ويداه ممدودتان الى ذلك المتوحش لمنظر يفتت الاكباد. وقد خشي يوروفسكي حين رأى القيصر يبكي متضرعاً أن تلمس الشفقة قلب أحد جنوده. ولكن كيف يتأتى ذلك ولم يكن بين جميع هؤلاء القتلة روسي واحد . وفي الحال رفع يده وسدد مسدسه الى رأس القيصر فاصاب مقتلاً من دماغه فلوى امبراطور جميع الروسيين وسقط الى الارض بلا حراك . وقد كانت الرصاصة الاولى التي أطلقها يوروفسكي في رأس الامبراطور نقولا اشارة الى بقية الجنود ففرغوا مسدساتهم حالاً في صدور ورؤوس بقية العائلة . ولم تطل مجزرتهم أكثر من دقيقتين فسقط الجميع دون أن ينطقوا بكلمة الا الغراندوقة تاتيانا الجميلة فقد جرحت جرحاً بليغاً ولم تسقط . فهجمت على قاتلها مدفوعة بما في صدرها من

نبض الحياة تريد أن تدافع عما بقي فيها من الرمق فاتتها رصاصة عمياء رمتها في مكانها. وكان كلبها الصغير قد ملأ الغرفة صياحا ونباحا كأنه يحتج امام الارض والسماء على هذه المجزرة الدموية المفجعة. ولما سقطت سيدته الجميلة الى الارض قفز واقفا على صدرها المفتوح وهو يزيد نباحا كأنه يريد أن يمنع رصاص اولئك الجبابرة عنها. وقد ساء ذلك المنظر أحد الجنود فسدد مسدسه الى الكلب فاخترقته رصاصة الى صدر سيدته الجميلة وكان النور الضئيل المعلق على جدار الغرفة قد انطفأ من كثرة اطلاق الرصاص في فضائها

هكذا انتهت حياة عائلة رومانوف رجالاً ونساء. أما يوروفسكي ورفاقه فهربوا حالاً من الغرفة المظلمة كأنهم شعروا أنه وان يكن مجلس السوفيت قد أجاز قتل هذه العائلة فالشعب لا يجيزه ولا يقبله. وكانت الجثث تسبح في بحر من الدماء. وكان اوتوموبيل الشحن الكبير واقفا في الخارج لنقل تلك الجثث الى حيث تقرر اخفاؤها

اخفاء جثث العائلة

وتهيجت عصبية يوروفسكي فاصبح بعد تلك الجريمة كالمجنون لا يدري ماذا يفعل. واخيراً امر جنوده فاحضروا الاغطية التي كانت تتغطى بها العائلة التعيسة ولفوا كل جسم بغطائه ونقلوا الجميع الى السيارة. فقامت الساعة الثالثة صباحاً الى غاب واسع كثيف يبعد ١٢ ميلاً عن ايكاترنبورج وسار معها يوروفسكي وبعض رفاقه. وانزلوا الجثث في حفرة واسعة يعرفها الفلاحون باسم منجم اساتسكي. ووزعت الجنود في صباح ذلك اليوم على طول حدود الغاب فاوقفوا العمال ومنعوا الفلاحين من التجول والحطابين من الدخول الى الغاب

ثم تقدم يوروفسكي ورفاقه فجردوا الاجسام من الثياب وجمعوا كومة كبيرة من الحطب والقش ليضعوها عليها. ثم اتوا بحامض الكبريت ودلقوه على اوجه تلك الجثث حتى تتشوه ولا يعود في الامكان تمييزها. واخيراً جاؤوا ببعض صفائح ملأى بالبترول وفرغوها على الجثث ثم اشعلوا فيها النار فارتفع لهيبها الى

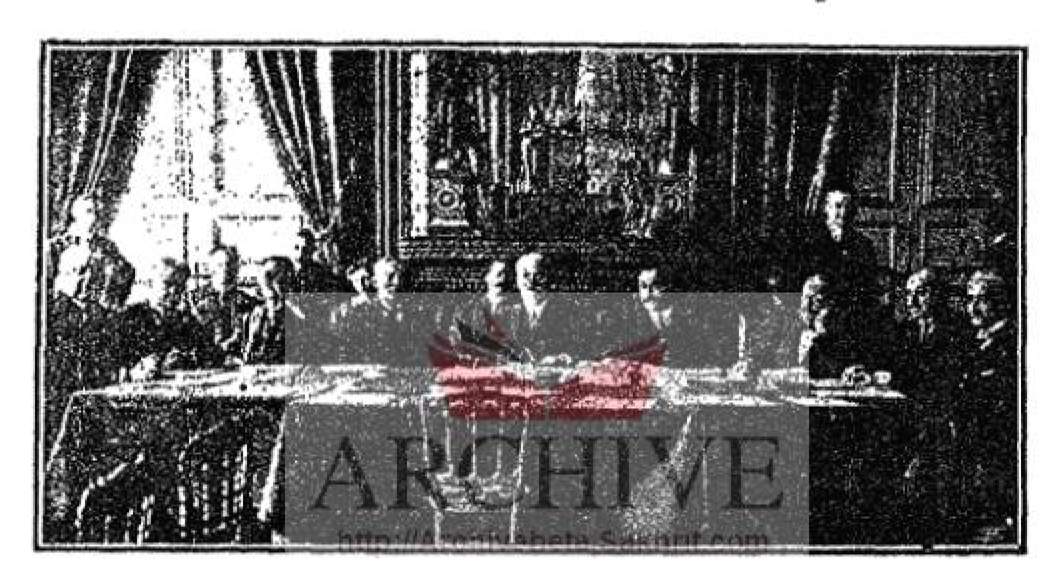
علو عشرين قدماً . وظلت النار تشتعل حتى اصبح قيصر روسيا وجميع افراد اسرته رمادا في رماد . وجاء القتلة وفي مقدمتهم يوروفسكي ينظرون في الرماد فابصر يوروفسكي جمجمة لحظ ان في جانبها الايمن جرحاً عميقاً (وهو الجرح الذي اصاب القيصر نقولا اثناء وجوده في اليابان) فعرف انها للامبراطور فتناول فاساً غليظة وسحق تلك الجمجمة سحقا كي لا يبقى اثر يدل على الجريمة . ثم جاؤوا بالثياب فاحرقوها جميعاً بعد ان سرقوا بعض الجواهر التي وجدوها في بطانة اثواب الغراندوقة اولغا . اما القسم الكبير من هذه الجواهر فقد ضاع وفقد بين الرماد الى ان مرت الايام فاصبح اولاد الفقراء والفلاحين من القرى المجاورة يأتون فيجدون أثناء لعبهم هناك جواهر ومصاغات مما كان للقيصرة او بناتها

لكن الايام اظهرت الحقيقة كما ذكرناها في هذه الرواية رغم جميع مجهودات السوفيت لاخفاء الجريمة . فان العالم المتمدن اليوم قد عرف كيف قتل القيصر وزوجته وبناته وولده الوحيد في غرفة كائنة في اسفل بيت صغير في مدينة من مدن سيبيريا . وللتاريخ وحده ان يحكم الآن على الذين قاموا بتلك المجزرة البشرية التي تلونت صفحاتها القليلة بين مجلداته الضخمة بلون احمر فان تميزاً لها عن كل حادثة اخرى

جمعية الامم

ما عملته وما لم تعمله

في شهر يوليو الماضي ابرق رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية الرسالة الآتية وهي :



اجتماع للجنة جمعية الامم

« بناء على طلب اللجنة التنفيذية لجمعية الامم ان ادعو للانعقاد مجلس الجمعية العام لي الشرف عملاً بالمادة الخامسة من دستور جمعية الأمم ان أدعو ذلك المجلس للاجتماع في مدينة جنيف مقر الجمعية يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٠ الساعة الحادية عشرة ـ ودرو ولسن »

ففي اليوم المعين اجتمع في جنيف ٢٤١ مندوباً يمثلون ٤٢ مملكة يبلغ مجموع عدد سكانها ١١٠٠ مليون نفس للشروع في تنظيم العالم على اسس العدل والسلام

فيحسن بنا في هذا المقام ان نراجع ما عملته تلك الجمعية من يوم انشائها الى هذا اليوم واين اعمالها هذه مما امله الناس على اثر انشائها

اعمال اللجنة

لا يخفى أن جمعية الأمم تقوم على ركنين اساسيين وهما :

(١) لجنة تنفيذية مؤلفة من ٩ أعضاء ٥ منهم يمثلون الدول العظمى و ٤ يمثلون الدول الصغيرة

(٢) مجلس عام يمثل جميع الاعضاء

هذا غير السكرتارية العامة واللجان المختلفة التي عينت للقيام بمهام مخصوصة

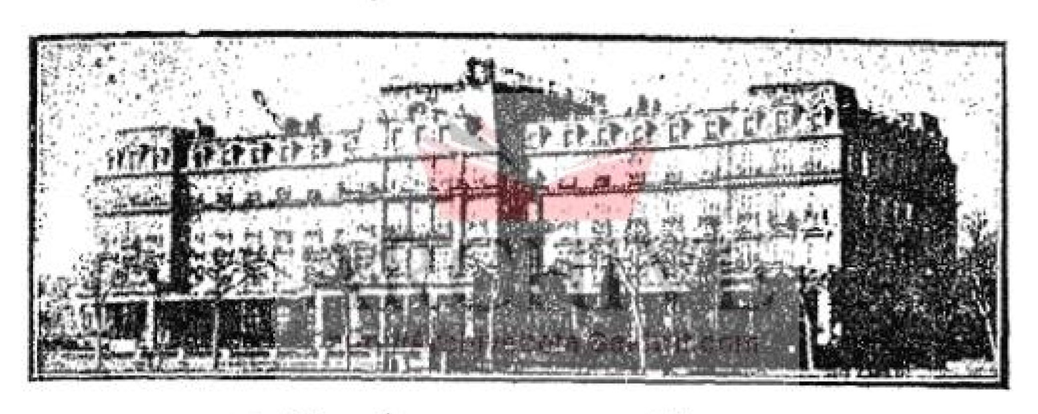
وقد كان اجتماع المجلس العام لاول مرة في جنيف كما تقدم . اما اللجنة التنفيذية فقد اجتمعت قبل ذلك اثنتي عشرة مرة كان أول اجتماع منها في ١٦ يناير من السنة الماضية وقد تكررت بعده الاجتماعات في المدن التالية : باريس ولندن وبروكسل وسان سباستيان

وقد قررت اللجنة في هذه الاجتماعات عدة أمور ذات شأن . فمن ذلك : تعيينها هيئة من قبل جمعية الامم لادارة وادي السار . وتقريرها امر مدينة دنتزيغ الميناء الحر . وضمانها حقوق الاقليات في معاهدتي الصلح النمسوية والبلغارية . ثم أنها توسطت في الخلاف بين فنلندا واسوج على جزر آلند . وعينت مندوبا للاستانة من قبلها لحماية الاقليات في تركيا . واتخذت الإجراءات اللازمة لرجوع اسرى الحرب الى اوطانهم . وطلب اليها المجلس الاعلى ان تتولى الانتداب الى ارمينيا فرفضت هذه المهمة بحجة أنه ليس لديها الموارد والقوة اللازمة لذلك . وقد قبلت اللجنة مهمة التوسط بين ليثوانيا وبولندا وتعيين الحدود الفاصلة بينهما . ولما خالف الجنرال زليكوفسكي البولوني قرارها طلبت الى بولونيا ان تتبرأ من عمله ففعلت

ومن اعمال اللجنة ايضاً انها عاونت جمعية الصليب الاحمر على مقاومة مرض التيفس في شرقي أوربا . ودعت في الخريف مؤتمراً عظيم الشأن انعقد في مدينة بروكسل للبحث في حالة أوربا المالية

وقد عينت لجاناً مختلفة للبحث في المسائل الخطيرة وتقديم التقارير عنها كما أنها دعت عدة مؤتمرات دولية للانعقاد غير المؤتمر المالي المتقدم ذكره كمؤتمر العمل في واشنطن ومؤتمر رجال البحر في جنوا ومؤتمر رجال القانون الدولي في هولندا والمؤتمر الدولي للصحة في لندن ومؤتمر الموانئ والطرق المائية في باريس

ثم أن اللجنة اهتمت بانشاء مقر رسمي لجمعية الامم في جنيف فاشترت « الاوتل ناسيونال » بقيمة ٥٥٠٠٠٠٠ فرنك سويسري واشترت أرضاً بقربه قيمتها ٥٠٠٠٠٠ فرنك واطلق على هذا النزل اسم « قصر الامم » وستدخل عليه اصلاحات كثيرة . وقد كانت سكرتارية جمعية الأمم مقيمة موقتاً في لندن فانتقلت



مقر جمعية الامم في جنيف وقد سمي « قصر الامم »

في أواخر اكتوبر الى مدينة جنيف حيث أعدت لها حكومة سويسرا نزلاً فخما كما انها وضعت تحت تصرفها مكاناً واسعاً للاجتماع فيه

وعملاً بالمادة ١٨ من دستور جمعية الامم شرعت الدول الداخلة فيها في ارسال المعاهدات التي تبرمها الى السكرتارية لتحفظ فيها والغرض من ذلك القضاء على المعاهدات السرية . ومع ان المانيا لا تزال خارج الجمعية فقد ارسلت عدة معاهدات ابرمتها لتحفظها السكرتارية

وقد قدرت اللجنة نفقات الجمعية لسنة ١٩٢١ على لجانها وفروعها وسائر اعمالها بنحو ٨٠٠٠٠٠ جنيه

المجلس العام

انعقد المجلس العام في جنيف بضعة اسابيع من شهري نوفمبر وديسمبر الماضيين فكان أهم ما أتاه انشاء محكمة دولية . وقد كانت أعماله تتم عن يد ست لجان كل منها مؤلفة من ٤٢ عضواً يمثلون الدول الداخلة في الجمعية (لان كل دولة ألحت في أن يكون لها ممثل في تلك اللجان جميعا). وقرر المجلس قبول بعض الدول في عضوية الجمعية وأهمها النمسا التي كانت من اعداء الحلفاء . هـذا فضلاً عن بعض المسائل الثانوية الشأن كالنظامات الداخلية وعلاقة اللجنة بالمجلس وغير ذلك

وكان رئيس المجلس العام المسيو هيمنس ممثل البلجيك . وتناقش الاعضاء في امور كثيرة ذات شأن وكان أهم المتناقشين وابرعهم المسيو فيفياني ممثل فرنسا واللورد روبرت سيسل النائب عن حكومة افريقيا الجنوبية . وقد كان هذا الاخير زعيما لفئة المسالمين الراغبين في توسيع مجال العمل امام جمعية الامم

ومن الامور التي احدثت ضجة اثناء انعقاد المجلس انسحاب الارجنتين على أثر رفض اقتراحاتها . فقد قدمت الارجنتين اربعة اقتراحات ذات شأن وهي :

أولاً — أن ينتخب المجلس العام جميع أعضاء اللجنة التنفيذية (فان خمسة من اعضائها التسعة كما ذكرنا يمثلون حتماً الدول الخمس العظمى اي انكلترا وفرنسا وايتاليا واليابان والولايات المتحدة — فيما لو دخلت — ولا ينتخب الا الاربعة الباقون).

ثانياً — أن تكون المحكمة الدولية التي تنشئها الجمعية ذات صبغة اجبارية أي أن يعرض عليها حتما كل خلاف يطرأ بين الدول

ثالثاً — أن تقبل جميع الدول المستقلة في عضوية الجمعية الا اذا ارادت الاعتزال من تلقاء نفسها . والقصد من هذا الاقتراح تمهيد السبيل لدخول المانيا في الجمعية

رابعاً — ان الدول التي لم تعين حدودها بعد (كليثوانيا ولاتفيا وارمينيا وجورجيا والبانيا) تقبل في الجمعية بصفة استشارية من غير أن يكون لها حق التصويت

ولكن المجلس أعلن أنه لا يقبل تعديلاً في دور انعقاده الاول ، ولذلك انسحب الوفد الارجنتيني . ولعل القصد من تأجيل التعديلات انتظار ما يقترحه رئيس الولايات المتحدة الجديد من الشروط على جمعية الامم حتى ترضى بلاده الدخول في عضويتها

هل حققت الجمعية المؤمل منها ؟

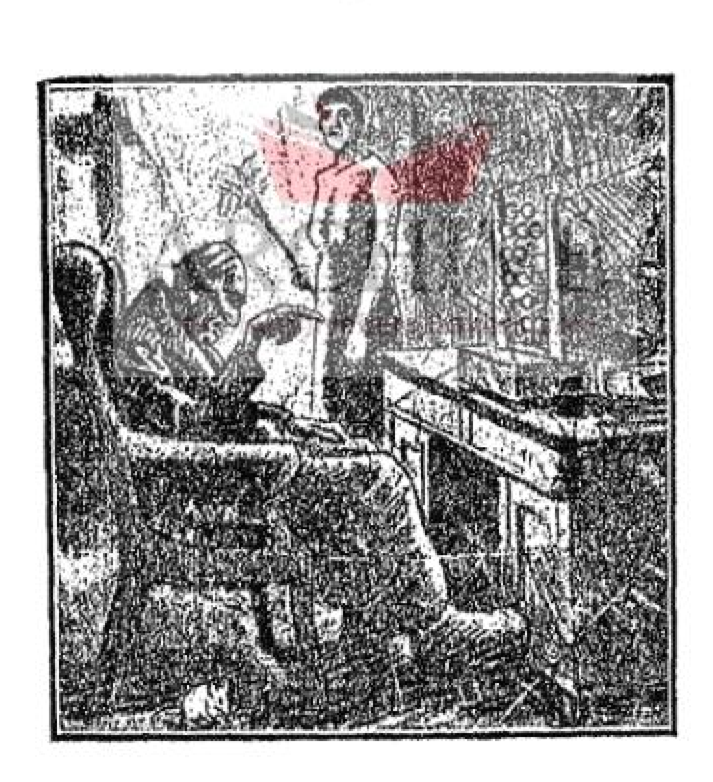
نجيب على هذا السؤال بالسلب . فان الجمعية لم تحقق المؤمل منها ـ ولا نعني بذلك الاحلام البعيدة التي دارت في مخيلة بعض المتفائلين الذين اعتقدوا ان تلك الجمعية ستقلب وجه الارض وتغير اطباع البشر بل اماني المعتدلين الذين يدركون أن التطور الاجتماعي انما يتم بالتدرج البطيء . فقد سنحت للسياسيين فرصة ثمينة لو عرفوا كيف ينتهزونها لساروا بالبشر خطوة كبيرة نحو السلام .

واول انتقاد يوجه بحق الى جمعية الامم بشكلها الحالي أنها ليست في جوهرها الا جمعية من الحلفاء الذين فازوا في الحرب . فان ثلاثاً من الدول العظمى لا تزال خارج عضويتها وهي : الولايات المتحدة والمانيا وروسيا . بل ان الدول الداخلة فيها ليست على مستوى واحد من الشأن والاهمية : فالقوة الحقيقية في يد انكلترا وفرنسا وايتاليا واليابان دون غيرها . وقد ظهر في اثناء انعقاد المجلس في جنيف خلاف بين الدول الصغيرة والدول الكبيرة . فان الاولى صاحبة الاكثرية في المجلس العام ولكنها الاقلية في اللجنة التنفيذية وفي يد هذه اللجنة معظم القوة في الوقت الحاضر . فلكي تقوم جمعية الامم على أساس وطيد يجب ادخال الروح الديمقراطي على نظامها بحيث تمثل اللجنة ارادة المجلس العام حق التمثيل والا كانت الجمعية أشبه شيء بالتحالف المقدس الذي عقدته الدول المنتصرة على نابوليون سنة ١٨١٥ فقد كان غرضه الاول المحافظة على عروش الملوك واملاكهم بغض النظر عن اماني الشعوب . بل ان الشعوب التي قامت اذ ذاك تطالب بحياة حرة مستقلة قوطعت كما قوطعت البلشفيكية في هذا الزمن

لقد استبشر الناس بجمعية الامم حين نشأتها وعدوها أعظم عامل في جانب

العدل والسلام ولكن يخشى عليها اذا استمرت في سبيلها الحالي أن تصبح عماد الروح الرجعية الاستئثارية

على اننا لا نقلل من شأن الاعمال التي عملتها الجمعية مما بيناه سالفاً . ولكن تلك الاعمال مع كونها خطيرة لا تكاد تذكر بجانب ما اغفلته او اهملته او اجلته. وفي مقدمة ذلك مسئلة نزع السلاح وتخفيضه ومسئلة الانتدابات . فاما المسئلة الاولى فلم يبت بشأنها شيء يمكن الاستكانة اليه . واما المسئلة الثانية وهي التي تهم الشعوب الشرقية فلم نسمع بخصوصها ما يكذب نبوءة المتشائمين القائلين بان الانتداب لا يختلف في شيء عن الاستعمار



المنسي

ولسن: ـ اماه ! تعالي وأدركي نقطي الاربع عشرة بعنايتك فقد تراكم عليها الغبار ونسج العنكبوت نسيجه حولها من كل جانب

العوامل الخفية

في حياة الامم

لقد كانت الحرب العالمية مدرسة عظيمة لبني البشر - مدرسة تعلم فيها السياسي والاقتصادي والاجتماعي دروساً ثمينة ما كانت لتتيسر لهم في بضعة اجيال. وانه ليكفينا أن نلقي نظرة على أحوال العالم قبل الحرب - وما أبعد ما يخيل الينا ذلك الزمن - فنقارنها باحواله الحاضرة حتى ندرك مبلغ التطورات التي طرأت على البشر في معاشهم وافكارهم وعقائدهم ونظاماتهم . فهذا التحول في حياة بني الانسان ما كان ليحدث في قرون لولا فعل الحرب العجيب

على ان هذا الفعل لم يستقر بعد على قرار بل ستظل البشرية سنوات طويلة تحت تأثير تلك العاصفة الجنونية التي هبت على بني البشر فزعزت أركان حضارتهم ونظاماتهم. وان الايام التي نعيش بين طياتها تتمخض عن حوادث جسيمة وانقلابات كبيرة في دوائر الحياة الانسانية جميعاً

ان تلك الحوادث والانقلابات - ما وقع منها وما قد يقع - هي الان الشغل الشاغل لكل عقل مفكر في العالم المتمدن . فالانسان الحكيم البصير لا يكتفي بمشاهدة ما يجري حوله بل يتوق الى التعليل والتفسير واستخراج القوانين التي تعين البشر على اصلاح امورهم وترشدهم الى الطرق التي تقرب الفوائد اليهم وتدفع الاضرار عنهم وعن ذريتهم

فاذا نظرنا هذا النظر الى الحوادث القريبة والبعيدة امكننا استخراج بعض القوانين العامة والاحكام الشاملة التي تنطبق على مسالك الناس ومنازعهم في كل عصر ومصر . فالبشر متشابهون في سجاياهم الاساسية - متشابهون في الدوافع التي تدفعهم والروادع التي تردعهم ، في الاغراض التي يسعون اليها والمخاوف التي يبغون تجنبها

* * *

ان الحوادث البشرية خاضعة في الغالب لقوى ونواميس غير منظورة يطلق عليها العلماء اسم « العوامل المعنوية » . وقد اتفق أعاظم الرجال على عدها أعظم شأناً من العوامل المادية الحسية. بل ان القوى المعنوية هي التي تسير القوى الحسية . تأمل في

الحرب الاخيرة تجد وراء تطاحن الجنود واطلاق المدافع ودوي الرصاص ارادات الشعوب المقاتلة واخلاقها وسجاياها من ثبات وعزم واقدام الى غير ذلك من القوى التي كانت تتنازع وتتصادم

قال بسمارك : « ان نجاح السياسي انما يتوقف على ادراكه للقوى والعوامل المعنوية التي تسيّر الشعوب » . وقال نابوليون : « ان شأن القوى المعنوية يفوق شأن القوى الحسية بنسبة ٣ الى ١ » فحسبنا شهادة هذين الجبارين للدلالة على شأن العوامل النفسية والروحية في حياة الشعوب . ولا ريب ان مهارة رجال السياسة تتوقف على معرفتهم أحوال شعوبهم النفسية ومقدرتهم على ايجاد بعض العواطف والتيارات الروحية ونشرها بين الطبقات في الاوقات الملائمة

***

ولذا قسنا رجال السياسة الحاليين بهذا المقياس وجدناهم مقصرين كل التقصير . فقد ندر بينهم من كان عليماً باخلاق الشعوب واطوارها محيطاً بما يؤلمها وما يرضيها من الاعمال والعوامل. ان اولئك الرجال العظام حين اجتمعوا في باريس لاصلاح شؤون العالم كانوا أشبه شيء باطفال اجتمعوا حول مائدة عليها فطير يريدون اقتسامه وليس فوقهم من رقيب . فقد نظروا الى خريطة العالم فلم يروا في اقطاره الواسعة الا المناجم والمزارع والمتاجر والمنابع فشرعوا يقتسمونها غير مبالين بمن في تلك الاقطار من الشعوب المفكرة الحساسة التواقة الى الراحة والهناء والاستقلال . فاتهم انه عند تلك المناجم والمزارع والمتاجر والمنابع اناس فعلت فيهم الحرب فعلها العجيب فاثرت في نفوسهم تلك الكلمات الساحرة التي رددت على مسامعهم وهاتيك الاماني الجميلة التي حلموا بها في سنوات الشدة والضيق . اجل ان تلك الادمغة الكبيرة التي اجتمعت في قصور اوربا لتصنيف معاهدات الصلح لم تدرك دقائق الحياة النفسية . فان اصحابها لم يروا باعين اذهانهم تلك التيارات العاطفية التي خططت حياة الامم ولم يسمعوا بآذان قلوبهم تلك الاصوات المتصاعدة من أعماق النفوس المتألمة ولم يلمسوا بانامل ارواحهم عواطف البشر الكامنة وآمالهم وامانيهم ومطامع أبصارهم

ذلك سر ما نحن فيه من الفوضى والاضطراب . ذلك هو السبب الذي جعل خاتمة الحرب فاتحة لحروب متنوعة : حروب دموية وحروب اقتصادية وحروب نفسانية . وجميع الدلائل تدل على ان تلك الحرب التي انما انتشبت – كما قالوا –

« لانهاء الحروب » لن تكون الا مقدمة لحرب افظع منها وأشنع . فان الحكومات الكبرى قد أخذت تتهيأ وتستعد في حين لا تزال أصداء المدافع ترن في الآذان، كأنها خرجت من دور التجربة لتدخل دور العمل الجدي

* * *

وغرضنا الآن ان نجول مع القارىء هنيهة في حياة الشعوب النفسية لنقف على شيء من أحكامها وقوانينها . فان للنفوس أحكاماً وقوانين ثابتة كما للاجسام . على انها اصعب استخلاصاً لانها تتناول عوامل معنوية وأموراً خفية غير حسية

لقد قرر علم النفس الحديث ان لكل شعب من الشعوب كياناً نفسياً خاصاً ومميزات نفسية تختلف عن مميزات جيرانه . فذلك الكيان وتلك المميزات هي أساس حضارته وقوام حياته ومرجع جميع أفكاره وأعماله . وهي نتيجة او خلاصة ماضيه وتاريخه وتقاليده وعاداته . ولذلك قيل ان الاموات أشد تأثيراً من الاحياء في توجيه مجرى التاريخ وأصواتهم البعيدة القرار لا تلبث ان تتعالى على جلبة أهل الزمان الحاضر

وقد يكون التفاوت الروحي بين الشعوب عظيماً حتى لقد يتعذر التفاهم بينها . فان لكل شعب منها مزاجاً نفسياً يجعله ينظر الى العالم نظراً يختلف عن نظر سواه . فالشرط الاول للتفاهم بين شعبين هو ان يدرك كل منهما ما لدى الآخر من الخواص النفسية وان يلم بعقائده وآرائه وأمياله ومشاعره فيعرف كيف يخاطبه ويستميله ويتوصل الى مراده

وأعظم خطأ يرتكبه رجل السياسة الذي يبغي معاملة قوم من غير بني جنسه أن يغفل تلك الخواص النفسية فيعامل اولئك القوم كأنهم من مواطنيه . فاسوأ طرق الاستعمار بلا ريب هي تلك التي ترمي الى تطبيق نظامات اجنبية ـ مهما تكن راقية في ذاتها ـ على شعب لم يألفها . فالمستعمر الذي يحمل معه دستور وطنه وقوانينه ولغته وعاداته يسيء الى بلاده والى البلاد التي يؤمها معاً

لسنا نقصد بذلك استحالة الاصلاح والتجديد . وانما الذي نريد بيانه ضرورة المحافظة على الاتصال بين الماضي والحاضر والمستقبل . فلا بد من رابطة بين القديم والجديد، بين الحالة الراهنة والحالة المنشودة . والا فالمآل حتماً الى الفوضى والاضطراب

* * *

ومع ان لكل شعب مزاجا نفسياً خاصاً فهناك أحكام عامة تشمل جميع الشعوب ويصح تطبيقها ـ بتحوير طفيف او بلا تحوير ـ على كل زمان ومكان . فمن تلك الاحكام ان حوادث التاريخ وليدة العواطف والاهواء البشرية . وقلما يكون للعقل والتفكير تأثير فيها . واذا تردد القارىء في الاعتقاد بصحة هذه النظرية فليسائل نفسه ماذا كان سبب الحرب الاخيرة وهل كان للفكر دخل في نشوبها

على ان الفكرة وان تكن عادمة التأثير وهي في حيز التأمل والنظر قد تتحول الى عاطفة أو عقيدة راسخة في النفس فتسيّر اصحابها وتدفعهم الى اتيان أعظم الامور . فالعقيدة ـ وان تكن على ضلال ـ أشد تأثيراً في حوادث السياسة من الحقيقة الباردة التي لم تستهو النفوس . فلكي يؤثر المفكر في الناس لا يكفي أن تكون افكاره صحيحة من حيث القياس والمنطق بل يجب عليه ان يحولها الى عقائد ثابتة في الافئدة . فتصبح اذ ذاك جزءاً لازماً من حياة الانسان لا يتنزل عنها مهما كلفه ذلك من التضحية . فالعقيدة وحدها ـ سواء كانت دينية أو سياسية ـ تحمل صاحبها على التعرض لاعظم الاخطار بلا خوف ولا مبالاة صيانة لما يعده أعز الاشياء لديه . وما الشهداء على اختلاف الاعصر والشعوب الا امثلة ناطقة بفعل العقيدة في النفس

ويندر ان ترسخ العقائد في الاذهان بوسائل القياس المنطقي والاقناع العقلي وانما تجتذب الجماهير العقائد التي توافق هوى من نفوسها وتبث آمالا في قلوبها . فالمذهب الاشتراكي مثلاً لم يحز انتشاره الحالي لكونه نظرية صحيحة بل لانه أثر في نفوس الجماهير واستهواها بما أملها به من الخيرات واللذات . وقلما تجد بين الاشتراكيين من يدرك حقيقة تلك النظرية وانما هي كلمات ساحرة تخلب الالباب وتسحر العقول

قلنا ان الشعوب لا تعتبر بالبراهين العقلية والاحكام المنطقية . ولذلك كان من المحال تحويل شعب عن عقائده او عاداته او آرائه بالكتب والمقالات مهما تكن جميلة التنسيق . فلا تتعلم الشعوب الا بالاختبار ولا توقفها في مسيرها الا الحوادث الراهنة والطوارىء المفجعة

ومن الأوهام المتسلطة على عقول البشر ان في الحرب فائدة للمنتصر . على ان هذا الوهم كان حقيقة أيام كان المنتصر يستعبد المغلوب ويستولي على ارضه وأمواله ولبناته وأولاده. أما اليوم فالحرب تضر الفريقين على السواء كما علمنا جميعاً . ولكن الوهم القديم الذي ورثه الناس عن الاجيال الغابرة ـ وقد سماه الكاتب السياسي

الكبير نورمن انجل « بالوهم الاكبر » - لا يزال كامناً في النفوس وهو الذي يدفعها الى ميادين القتال . ويعتقد بعض الكتاب الاجتماعيين ان الحروب قد تبطل بعد أجيال حين يرسخ في الاذهان ضرر الحرب على الغالب والمغلوب معاً ولا يكون ذلك الا بعد حروب متكررة يتعلم منها الناس تلك الحقيقة البسيطة

* * *

وقد لاحظ غير واحد من المفكرين أن حكم الانسان وتصرفه في حالة انفراده غير حكمه وتصرفه في حالة اجتماعه. فانه بالاجتماع يصبح أشد تأثراً واسرع انفعالاً كما يصبح أيضاً احط فكراً وأقصر نظراً . ثم ان الفرد يمكن اقناعه ببراهين عقلية منطقية أما الجمهور فانما يتأثر عن طريق غرائزه وعواطفه فيفعل فيه التأكيد والتكرار والاستفزاز والاستهواء وما كان من هذا القبيل

ومن الصفات النفسية التي تتصف بها الجماهير سهولة انتشار العدوى العقلية بينها - أي ان الفكرة لا تلبث أن تتسلط على بعض الافراد حتى تعم الجميع فاذا قام البعض لاتيان امر اقتدى بهم الباقون . ومن تلك الصفات أيضاً سرعة التقلب فقد يتحول الجمهور في لحظة من العبادة الى البغض (ويكفي في هذا المقام ذكر الرئيس ولسن وانقلاب الرأي عليه)

ولا بد للجمهور من زعيم او زعماء يتسلطون على افكاره فيسوقونه كما يشاؤون. على أنهم لا يلبثون حين يقوى التيار الذي ولدوه أن يصبحوا هم مسوقين بين طياته . فلا يمكنهم اذ ذاك توقيفه او تحويله بل ينقادون له رغم أنوفهم

فكان التفاعل بين الزعيم والجمهور يتقلب في ثلاثة أدوار :

(١) يوافق الزعيم هوى الجمهور حتى يجتذبه اليه

(٢) ينقاد الجمهور فيجري على هوى الزعيم

(٣) لا يلبث الزعيم ان يجرفه التيار الذي أحدثه فيسير فيه مرغماً

* * *

وما أكثر الامثلة التي يمكن ايرادها لبيان أهمية القواعد النفسية في السياسة . فان تلك القواعد تكاد تكون من حيث الدقة والضبط بمنزلة القواعد الحسابية . وسنقتصر فيما يلي على عدد قليل من تلك القواعد لضيق المقام :

(١) بالضغط تظهر القوى الكامنة . هذه قاعدة نفسية تنطبق على الافراد كما

تنطبق على الامم . فقد يكون الانسان مثلا مفطوراً على الذكاء والاقدام فاذا لم يلاق مقاومة وضغطاً ظلت تلك القوى كامنة فيه فيخال اليك انه بليد خامل . فاذا اعترضته عقبات ظهرت قواه ومواهبه وأتى اعمالا جليلة عظيمة . كذلك الامر في الشعوب فان ازدياد الضغط عليها يشحذ قواها ويستنهض همتها. فلولا ضغط الانكليز على الاميركيين لما هبوا للمطالبة باستقلالهم . ولعلهم لو أحسن الانكليز معاملتهم لم يفكروا قط في الخروج عليهم . وقس على ذلك امثلة كثيرة في التاريخ

(٢) ويقال مثل ذلك في الاضطهاد السياسي والديني. فان اضطهاد الزعماء يزيدهم ثباتاً في عقائدهم ويزيد عدد الملتفين حولهم المؤمنين بهم . وقد عارض كثيرون من كبار السياسيين في محاكمة امبراطور المانيا كي لا يصبح شهيداً وطنياً فيكثر مريدوه واتباعه . هذه حقيقة يسهل التثبت منها بمراجعة تاريخ الزعماء في الدين وفي السياسة فان الاضطهاد كان لهم دائماً اكبر منشط وأعظم دافع . وهكذا الشعوب ايضاً فان الاضطهاد والارهاب والتفظيع ــ كل ذلك مما يزيد ثباتها وعداءها ومقاومتها. فلا ريب ان الفظائع التي أتاها الالمان في البلجيك وشمالي فرنسا قوت البلجيكيين والفرنسيين وزادتهم تصميماً على الانتصار. وفي اول الحرب قبل التجنيد الاجباري في انكلترا كان اكبر منشط لحركة التطوع المناطيد الالمانية وما كانت ترميه من القذائف على الاهلين . بل أن المتطرفين من اصحاب المذهب الاشتراكي يعتقدون انه من مصلحتهم ازدياد الضغط على طبقات العمال حتى ينفجر بركان غضبهم فيقلبون النظام الحالي دفعة واحدة

(٣) وبخلاف ذلك ان السياسي الرشيد هو ذلك الذي يطلق الحرية للناس حتى لا يكتموا غيظهم في صدورهم خشية الانفجار الفجائي كالهواء المضغوط ان لم يجد له متنفساً يخرج منه . وقد قيل انه « لا يفكر في قلب الحكومة من لا يمنع عن الكلام والجدال »

(٤) اذا كره اثنان شيئاً واحداً اتفقا عليه واذا طلباه معاً اختلفا وتنازعا . ان هذه الحقيقة الاولية تنطبق على الافراد كما تنطبق على الدول . بل هي أساس كل ما يحدث في العالم من التحالف والتعادي . ومن ملحقات هذه الحقيقة ان الدولتين المتفقتين على عدو تكرهانه لا تلبثان ان تتنازعا حالما تبلغان مرادهما وتأخذان في اقتسام الغنيمة التي تبغيانها

(٥) في أزمنة الاضطراب - كالحروب والثورات - يخفت صوت العقلاء المفكرين ويعلو صوت الرأي العام الذي يصبح اذ ذاك تياراً شديداً جارفاً لا يمكن صده . ففي أيام الحرب الاخيرة كانت شعوب الحلفاء تصب اللعنات على رجال المانيا بلا حساب لكونهم مثيري الحرب دون سواهم . فكانت اذا قام عاقل وادعى ان هناك اسباباً اخرى وان بعض سياسي الحلفاء غير طاهري الذيل او نحو ذلك لا تلبث ان تنبذه وتضطهده (كما حصل للبعض) . وكل من تتبع الحركة المصرية الاخيرة يعلم انه حين كان تيار الشعور الوطني قوياً لم يجسر أحد ان يحيد قيد شعرة عن الرأي الغالب في الامة مع انه كان للبعض آراء خاصة في هذا الشأن

(٦) ان قلب شكل الحكومة لا يغير شيئاً من طبائع الشعب . فمعظم الثورات لم يتجاوز فعلها سطح الحياة الاجتماعية اذ لم تغير الا الاسماء والصور الخارجية . ولا يكون الانقلاب حقيقياً الا بتطور روح الامة وغرائزها وعقائدها . وهذا التطور يكون بطيئاً تدريجياً . فلا بد من زمن طويل لاحداث تغير حقيقي في حياة الشعوب . ولعل النظام البلشفيكي في روسيا أبلغ مثال لهذه الحقيقة . فمع عظم الفرق في الظاهر بين هذا النظام والنظام القيصري فان الاساليب التي كان يستخدمها عمال القيصر يستخدمها البلشفيكيون الآن . وما ذلك الا لان الشعب روسي لا يزال هو ذاته وصفاته هي ذاتها

(٧) تنتهي حالة الفوضى دائماً باستئثار أحد الاقوياء او بعضهم بالحكم . وحالة روسيا الحاضرة تثبت هذه الحقيقة ايضاً . بل تاريخ كل ثورة يثبتها . فقد كان يعقب الثورات دائماً استئثار فرد او فئة قليلة بالسلطة . وتعليل ذلك سهل : فان القائمين بالثورة اما ان يظلوا ثائرين او ان يفوزوا بالحكم فاذا حكموا فانما يحكمون على الاساليب التي الفها الشعب وتأصلت فيه مع تغير بعض الالفاظ والرسوم .

***

هذه أمثلة اوردناها بلا ترتيب لتثبت في ذهن القارىء شأن العوامل المعنوية غير المنظورة في تاريخ الشعوب حتى لا يحفل بظواهر السياسة وعباراتها وأساليبها بل يرجع دائماً الى ما وراء كل ذلك من العوامل الخفية والقوى الكامنة والاسباب الحقيقية

ساكت انت ؟

من قصيدة للناظم عند ما طال تحامل الجرائد البغدادية عليه قبل سنوات لدفاعه عن المرأة

ساكت انت والاعادي تقول ومضرٌّ بك السكوت الطويل

ومنها :

لك في الذبّ من لسانك سيف شهد الله انه مصقول
ويراع ان احجمت في مكرّ صافنات الاقلام فهو يجول
وقواف تسيل في كل واد طفحت منها دجلة والنيل
ان تسالم بها فتلك اغانٍ او تحارب بها فتلك نصول

ومنها :

انما الناس ان نظرت اليهم آكل في الحياة أو مأكول
هذه منذ كانت الناس ناساً سنة الله ما لها تبديل
ضل عن منهج الصواب بنوالشر ق وهذا الضلال خطب جليل
ان احزابهم كثير ولكن كل حزب بنفسه مشغول
ما أراد القرآن الا هداهم وكذلك التوراة والانجيل
أتراهم ثابوا الى الرشد كلاّ ثم كلاّ ما ثاب الا القليل

ومنها :

هل لذي الجهل لذة من حياة هو فيها لوهمه مفعول
يترك الممكن القريب اليه راجياً بالدعاء ما يستحيل

بغداد جميل صدقي الزهاوي

ادارة الهلال

تطلب الاجزاء ١ و ١٠ سنة ٢٦ و ١ و ٧ و ٨ سنة ٢٧ و ١ و ٢ سنة ٢٨ و٢ و٣ سنة ٢٩ والسنوات ٢ و ٧ و ٩ و١١ و ١٣ و ١٨ و٢٤ و٢٥ و ٢٦ و٢٧ و ٢٨ فمن كانت لديه كلها او بعضها فليخابر الادارة

العلوم الشرقية

في مدارس اوربا — ٢

[الهلال] ذكر الكاتب في الجزء الماضي لمحة من تاريخ احتكاك الغرب بالشرق ثم ذكر الباعث على هذا الاحتكاك واخيراً أورد الوسائط التي استخدمت في هذا السبيل فذكر اولا الافراد ثم الجمعيات ثم علماء الموارنة وبقي منها « المدارس » وهي الغرض الاول من المقالة

المدارس

ان الكلية المارونية في رومية لم تكن أهم مركز لنشر العلوم الشرقية فقط بل أنها من حيث التاريخ أقدم مركز في اوربا . فقد أسسها البابا غريغوريوس سنة ١٥٤٨ . وعقبها المدرستان اللتان اسسهما البابا غريغوريوس الخامس عشر سنة ١٦٢٢ والبابا اوربانوس الثامن سنة ١٦٢٧ لاعداد المرسلين ولطبع الكتب الدينية الشرقية ، على ما ذكرنا آنفاً . وفي القرن السابع عشر ايضاً انشئت المدرسة العربية في جامعة ليدن (هولنده) وتلتها مدرسة اكسفرد في بلاد الانكلنز . واستاذ العربية اليوم في اكسفرد هو مرغوليوث المعروف لدى قراء الهلال . وفي ليدن قامت مطبعة برل Brill بخدمة جلى لطلاب العربية في العالم قاطبة واوربا خاصة . ففيها طُبع معظم الكتب المتداولة في اوربا واميركا . ومن اساتذة ليدن المتوفين العالم ده غويه De Goeje المستشرق المعروف . وخلفه اليوم على كرسي العربية هو الاستاذ سنوك هرغرنيه Snouck Hurgronje المحسوب أقدر عالم اوربي في العربية . وحين زيارة الاستاذ لأميركا تعرفنا به فوجدناه يجيد النطق بالعربية بخلاف الاساتذة الاميركيين الذين يفهمونها ولا يحسنون التكلم بها . ولقد اكتسب هرغرنيه معرفته هذه لما زار مكة والمدينة متخفياً .

وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اقتدت اكثر الجامعات الاوربية العظمى بليدن واكسفرد ، فعينت اساتذة لتعليم العربية وغيرها من اللغات الشرقية ، حتى انك اليوم قلما تجد جامعة خالية من صفوف لتدريس اللغة العربية الفصحى المكتوبة

أما مرادنا أن نسرد فيما يلي بعض التفاصيل المهمة بشأن المدارس التي انشئت خصيصاً لتعليم اللغات الشرقية الحية ليس فقط من حيث القراءة والكتابة بل من

حيث الاستعمال والتكلم باللهجات العامية الدارجة . ولقد اعتمدنا بالاكثر فيما نقلناه على الدليل التهذيبي الالماني السنوي « منرفا » (١)

(١) لعل اول مدرسة مستقلة أنشئت في اوربا لتدريس اللغات الشرقية الحية على طريقة عملية هي مدرسة نابولي الملكية الشرقية Regio Instituto Orientale تأسست سنة ١٧٢٧ وتجددت سنة ١٨٨٨ . مدير المدرسة اليوم غويدو فيتالي Guido Vitale ولائحة دروسها تتضمن صفوفاً لتعليم الصرف والنحو واللغة الفصحى فضلاً عن اللهجات العامية . وهي تدرّس غير العربية اللغات الآتية : التركية والفارسية واليونانية والالبانية والامهارية والصينية واليابانية والمسكوبية . وتلقى فيها محاضرات موضوعها علائق ايطاليا مع الشرق

(٢) وثاني مدرسة من هذا النوع تأسست في ڤينا عام ١٧٥٤ وسميت مدرسة القناصل الامبراطورية والملكية Kaiserliche und Konigliche Konsularakademie الا انها بعد الحرب العالمية العظمى لما بطلت « مودة » الامبراطرة والملوك خلعت عنها نعوتها ، فهي تعرف اليوم باسم المدرسة القنصلية فقط . وهذه المدرسة ، كما هو ظاهر من اسمها ، غرضها اعداد القناصل والمتمدين السياسيين للخدمة السياسية في بلدان المشرق والمغرب . وهي تدرّس العربية والتركية والفارسية والصينية والمسكوبية مع الفرنسية والانكليزية والايطاليـة والالمانية . وفي مكتبتها ٨٠٠٠ مجلد . ومن آثار هذه المدرسة الدالة على اهتمامها بتعليم اللهجات العربية العامة كتاب عربي الماني وضعه سنة ١٨٦٩ احد اساتذتها حسن المصري وسماه « أحسن النخب في معرفة لسان العرب » Kurzgefasste Grammatik der Vulgärarabischen Sprachen وهو يقع في ٢٦٦ صفحة . وعلى صفحته الاولى من جهة اليمين « تأليف حسن المصري مدرّس العربي في مدرسة الالسن الشرقية بمدينة وين المحميـة » ويظهر من مطالعة الكتاب ان المؤلف توخى بالاكثر تعليم اللغة المصرية الدارجة

وقد بلغ عدد طلاب هذه المدرسة سنة ١٩١٣ ــ ١٩١٤ ، وهي السنة الاخيرة قبل الحرب ، ثلاثة وخمسين

(٣) المدرسة الثالثة من حيث القِدَم هي مدرسة باريس الشهيرة المعروفة بالمدرسة الخصوصية للغات الشرقية الحية Ecole speciale des langues orientales vivantes

(١) Minerva, Jahrbuch der Gelehrten Welt

وقد انشئت هذه المدرسة بامر خصوصي من الحكومة الفرنسية صادر في ٣٠ مارس (آذار) سنة ١٧٩٥ بقصد اعداد القناصل والتراجمة والموظفين والعلماء وأصحاب المتاجر في الشرق . وكانت تلقن في بادىء أمرها أصول العربية والفارسية والتركية ، الا انها سنة ١٨٣٢ أضافت الى لائحة دروسها اللهجات العربية العامية مع اليونانية والارمنية والسودانية والهندستانية والملية والصينية واليابانية والسيامية والانامية والجاقانية والرومانية والمسكوبية . وفي المدرسة ملقنون وطنيون répétiteurs يمرنون التلامذة على اللفظ المضبوط باللغات الشرقية وعلى القراءة بصوت عال وهي مجانية ومفتوحة الابواب للعموم . مديرها يعينه وزير المعارف لمدة خمس سنوات من اساتذة عمدتها . في مكتبتها ٧٥٠٠٠ مجلد و٧٠٠ كتاب خطي . وكان عدد تلامذتها سنة ١٩١٤ ١٢٥ منهم ٥٠ طالباً قانونياً

وقد كان أستاذ العربية الاول في مدرسة باريس المستشرق الكبير ده ساسي Sylvestre de Sacy وفي سنة ١٨١٠ طبع الاستاذ كتابه في نحو اللغة العربية Grammaire arabe à l'usage des élèves de l' École speciale des langues orientales vivantes وفي سنة ١٨٣١ أعيد طبع الكتاب فاصبح حجر الزاوية في تعليم اللغة العربية لابناء اوربا . على ان الكتاب الذي قدمه باللاتينية دم ساقاري سنة ١٧٨٤ للحكومة الفرنسية واسمه « اصول اللغة العربية العامية والفصيحة » (وقد ذكرناه سابقاً) كان هو الذي مهد السبيل لساسي. ولكن كتاب ساقاري لم يظهر حتى سنة ١٨١٣ بعد موت ساقاري وبادارة لانكلاز Langlès احد اساتذة مدرسة اللغات الحية في باريس

ومن الذين استعان بهم لانكلاز في تنقيح هذا الكتاب المهم ميخائيل صباغ أحد المدرسين في مدرسة اللغات الحية . ولقد اطلعنا على مؤلف لميخائيل صباغ في اللهجة المصرية والشامية مترجماً الى الالمانية بقلم توربكه H. Thorbecke وهو مطبوع سنة ١٨٨٦ في ستراسبورغ Strassbourg وعلى صفحته الاولى من جهة اليمين «الرسالة التامة في كلام العامة والمناهج في أحوال المدارج تأليف ميخائيل بن نقولا بن ابراهيم صباغ » وهو يقع في ٩٠ صفحة . ذكر المترجم في مقدمته الالمانية ان ميخائيل وُلد في عكا سنة ١٧٨٤ ورافق الحملة الفرنسية لمصر ، ومنها هجر الى باريس حيث توفي

سنة ١٨١٦ .وقد حسبه الاستاذ ورل الاميركي قبطياً (١)

(٤) وعقب مدرسة باريس مدرسة لازارف Lazarev الاكليريكية للغات الشرقية في مدينة موسكو. انشئت المدرسة سنة ١٨١٤ وهي تلقن لغات الشعوب الاسلامية المجاورة لروسيا اي التركية والتترية والفارسية والعربية . ووجدنا في لائحة دروسها ان استاذ العربية والشرع الاسلامي رجل اسمه Michail Osipovic Attaja وفي مكتبة المدرسة ٣٤٠٠٠ مجلد وسنتها المدرسية تبتدىء في اول سبتمبر (ايلول) وتنتهي في اول حزيران

وفي أواسط القرن الماضي كان مدرس العربية في هذه المدرسة الشيخ محمد عياد الطنطاوي . ويظهر ان المدرسة كانت جزءاً من الجامعة الامبراطورية في بطرسبرج . استنتجنا ذلك من كتاب لتعليم اللغة العربية العاميـة أصدره الطنطاوي في ليبزغ عام ١٨٤٨ بعنوان « أحسن النخب في معرفة لسان العرب ».وعلى صفحته الاولى هذه الكلمات « الشيخ محمد عياد الطنطاوي معلم العربي في مدرسة الالسن الشرقيـة والمدرسـة الكبيرة الامبراطورية في بطرسبورج المحمية » . والكتاب قدّمه مؤلفه لوزير خارجية روسيا .وعدد صفحاته ٢٩٠

(٥) ويلي ذلك المدرسة العمومية في فينا لتعليم اللغات واللهجات الشرقيـة Offentliche Lehranstilt für Orientalische Sprache تأسست هذه المدرسة سنة ١٨٥١ وأعيد تنظيمها سنة ١٨٧٣ وهي تعنى خصوصاً بتلقين اللغات من عربية وفارسـية وتركية وسربية ومسكوبية ويونانية والبانية . وكان عدد طلبتها سنة ١٩١٤ نحو ٢١٢ بعضهم سيدات

(٦) فيسنة ١٨٨٧ انشىء في برلين المكتب الشهير المعروف باسم Seminar für orientalische Sprache وهو المكتب الذي تخرج فيه معظم الاساتذة الاميركين وفيـه لائحة دروس تخوّله المقام الاول بين مدارس اوربا . ومن آثاره سلسلة من الكتب المدرسية تعوّل عليها صفوف الدوائر الشرقية في الولايات المتحدة

ورئيس هذا المكتب الدكتور زخو Sachau صاحب الرحلة المشهورة في سوريا .

William H. Worrell : "An Account of Schools for Living Oriental Languages Established in Europe " Journal American Oriental Society, June 1919

واستاذ العربية والاسلام الدكتور هارتمن Martin Hartman احد محرري دائرة المعارف الاسلامية وقنصل المانيا في بيروت سابقاً . وفي لائحة اسماء المعلمين عثرنا على اسم احمد ولي مدرّس اللغة المصرية العامية وأمين معربس مدرس الشامية

وفي سنة ١٩١٤ كان في هذه المدرسة صفوف لدرس العربية الفصحى واللهجات الشامية والمصرية والمغربية واللغة الفارسية والتركية والهندية والصينية واليابانية والحبشية الخ . في مكتبتها ٣٥٠٠٠ مجلد وعدد طلابها لسنة ١٩١٩ نحو ٤٠٧

(٧) في سنة ١٨٩١ تأسست في بودابست الكلية الملكية المجرية للعلوم الاقتصادية الشرقية Königlisch-ungarrische orientalische Handelsakademie ولكنها في الحرب العظمى تجرّدت عن لقبها الملكي، واستعاضت عنه باسم « كلية الحكومة الخ » staatt ومن توابع هذه المدرسة معرض شرقي ومختبر لدرس الصوت واحكام التلفظ الصحيح باللغات الاجنبية . عدد تلامذتها أربعون ، والمدة اللازمة لتكملة دروسها سنتان

(٨) أهم هذه المدارس الشرقية الاوربية من حيث دقة التعليم وضبط التدريس هي مدرسة همبرغ الاستعمارية Hamburgisches Kolonialinstitut التي شيدتها مدينة همبرغ الحرة سنة ١٩٠٨ مدفوعة بالدافع الاستعماري الالماني وللحال اصبحت اعوذجاً تحتذاه بقية المكاتب . وفي سنة ١٨١٩ تغير اسمها الى Hamburgische Welt - Wirtschaftsarchiv والغاية من المدرسة اعداد الموظفين والمشيرين والتجار والسياح وكل من كانت له علاقة صريحة او غير صريحة بتوسيع سلطة المانيا الاستعمارية. دوائرها ثلاث : الدائرة الاسلامية ، والدائرة الاسيوية الشرقية ، والدائرة الافريقية . ولكل من هذه الدوائر استاذ ومساعدون ومدرسون وطنيون . والدوائر كلها تعتمد على المختبر الصوتي Phonetische Labartorium بادارة العالم باللغات الافريقية المشهور مينهوف Carl Meinhof لبيان كيفية اللفظ الاصلية ولاحكام التكلم باللغات الاجنبية بدون رطانة . وهذا المختبر مجهز تجهيزاً تاماً وفيه أساتذة يعلمون الغناء والخطابة ، وأطباء اختصاصيون بما يتعلق بالحلق ، وأطباء أسنان ، وفونغرافات ، وأشعة رنتجن . ثم ان موقع همبرغ التجاري سهّل على مديري المختبر امتحان الغرباء الافريقيين والاسيويين الذين كانت المراكب تنقلهم ، والاستفادة من نطقهم ولفظهم ، وأخذ أصواتهم وادخارها في اسطوانات لتستعمل لدى الحاجة في الصفوف لتكرير الاصوات

الاصلية ومعرفة اللفظ المضبوط

وقد خدمت مدرسة همبرغ سياسة المانيا الخارجية وتجارة البلاد الاجنبية خدمة لا تقدّر ، ولا نبالغ اذا قلنا انه ليس في العالم كله مدرسة للعلوم الشرقية ـ وبالاخص الافريقية ـ تضاهي مدرسة همبرغ من حيث المعدات والتجهيزات ووسائل التدريس.
وفي سنة ١٩١٣ انشىء في هرتفرد كونكتيكت من اعمال الولايات المتحدة مدرسة على مثالها ، وهي مدرسة كندي للمبشرين [١] Kennedy School of Missions

(٩) تاسع مدرسة تأسست لتدريس اللغات الشرقية الحكية هي المدرسة الشرقية في بتروغراد . انشئت هذه المدرسة سنة ١٩٠٩ بضم الصفوف التي كانت نظمتها سنة ١٩٠٦ جمعية الدروس الشرقية الامبراطورية . وفي قائمة اساتذتها لسنة ١٩١٣ ـ ١٩١٤ وجدنا اسم استاذ سوري يدرّس العربية وهو ب . انطاكي . وفي المدرسة على ما جاء في لائحة دروسها لسنة ١٩١٩ دائرة لاعداد القناصل ، واخرى حربية وثالثة تجارية ، وفيها صفوف تتعلق بالاسلام والشرائع الشرقية . مدة التدريس فيها سنة واحدة ذات فصلين . وفي سنة ١٩١٣ كان عدد طلابها مئة واثنين

ولا بد من الاشارة بهذه المناسبة الى انه في جامعة بتروغراد دائرة شرقية يدرّس فيها استاذ روسي اصول اللغة العربية

(١٠) وآخر مدرسة انشئت لتعليم اللغات الشرقية الحكية هي مدرسة الدروس الشرقية في جامعة لندن The School of Oriental Studies, London Institution تأسست هذه المدرسة في ٢٣ فبراير (شباط) سنة ١٩١٧ « بقصد تعليم لغات الشعوب الشرقية والافريقية مع آدابهم وتاريخهم ودياناتهم وعاداتهم للذين ينوون السفر للمشرق وافريقيا سعياً وراء التجارة او بغية التنقيب والاستطلاع او متابعة المهن » . ذلك نص بعض ما جاء في صك تسجيلها

وقد حاول الانكليز مراراً فيما سلف انشاء مدرسة على هذا النمط ولكن دون أن ينجحوا . ففي سنة ١٨١٨ انشىء المنتدى الشرقي Oriental Institute تحت رعاية شركة الهند الشرقية ، وتخصص باللغات الهندية ، ولكن ابوابه اغلقت بعد ثماني سنوات . وفي سنة ١٨٢٥ أقام الدكتور موريسن Robert Morrison مكتب اللغات

---

(١) راجع ما كتبه احد اساتذتها الدكتور ورك بشأن مدرسة همبرغ في مجلة Moslem World لسنة ١٩١٤ صحيفة ٣٠٣

في لندن Longuage Institution ولم تطل حياة هذا المعهد سوى ثلاث سنوات

ومن المعلوم ان كلية الجامعة University College وكلية الملك King's College بدأتا باعطاء دروس عربية في أوائل القرن التاسع عشر . وفي كلية الجامعة دائرة يطلق عليها لقب مدرسة اللغات الشرقية الحديثة School of Modern Oriental Languages تعطي دروساً بالعربية والفارسية والسنسكريتية والهندستانية والبنغالية والمراثية والتميلية

وكان بين أساتذتها فيما مضى حبيب انطون سلموني مؤلف « قاموس عربي وانكليزي » سنة ١٨٨٩ . ونجد في الصفحة الاولى من هذا القاموس بعد اسم المؤلف « استاذ اللغة العربية في المدرسة الكلية في لندن وفي مدرسة العلوم الشرقية »

اما التآليف التي وضعت بالانكليزية لتقريب معرفة اللغة العربية لافهام ابناء الانكليزية فهي قليلة العدد وأقل منها ما كان له علاقة باللهجات العامية . ومن هذه الكتب كتاب اصول اللغة العربية المحكية الذي وضعه بالانكليزية في لندن فارس الشدياق سنة ١٨٥٦

***

هذا بعض ما تمكنا جمعه من الحقائق بشأن تدريس اللغات الشرقية الحية واللهجات العربية في مدارس اوربا ، ووعدنا أتينا في عدد مقبل على بيان حركة العلوم الشرقية في جامعات الولايات المتحدة

الدكتور فيليب حتي

الاستاذ في جامعة كولمبيا بنيويورك

حكم

لا يوجد العجول محموداً ولا الغضوب مسروراً ولا الحر حريصاً ولا الكريم حسوداً ولا الشره غنياً ولا الملول ذا اخوان

لا يفسدك الظن عن صديق أصلحك اليقين له

لا تحقرن شيئاً من الخير وان كان صغيراً فانك اذا رأيته سرك مكانه ولا تحقرن شيئاً من الشر وان كان صغيراً فانك اذا رأيته ساءك مكانه

اذا زرت منزل اخيك فلم تأكل فيه ولم تشرب فانما زرت قبره

اذا لم يكن جد ففيم الكد

اذا رأيت الرجل يمدحك بما ليس فيك فلا تأمن منه ان يذمك بما ليس فيك

التمثيل العربي

ونهضته الجديدة

خطبة لخليل مطران في حفلة افتتاح مسرح حديقة الازبكية

[الهلال] تألفت أخيراً في مصر شركة لترقية التمثيل العربي قوامها نفر من صفوة المصريين علماً وأدباً وثروة . وقد كانت باكورة أعمالها انشاء مسرح جميل في حديقة الازبكية كلف بناؤه انفاق مبلغ طائل. وقد القى شاعر القطرين خليل مطران خطبة شائقة في يوم افتتاحه (في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٠) نظر فيها نظرة الى الماضي وأخرى الى المستقبل طارقاً أهم المباحث المتعلقة بالتمثيل ولاسيما التمثيل العربي مبيناً منزلته من حياة الامة ومقصد الحكومات والسروات من القيام بنصرته ملماً بتاريخه في الاقطار العربية والاطوار التي مر بها الخ ... وان لمن حسن حظ الهلال ان يتحف قراءه بهذه الخطبة النفيسة التي يقدرها قدرها كل مريد لهذا الفن وكل عارف لشأنه في تاريخ الادب قال :

أيها السادة

انكم بحول الله تعالى تفتتحون معهداً نافعاً لمصر العزيزة كل النفع ومن أجل ذلك كان ضرورياً لها كل الضرورة ، ولا غلو في قولي كل الضرورة : لانه اذا كان في امة من الامم وجود مثل هذا المعهد له داعية واحدة هي العظة أو داعيتان اثنتان هما العظة والفكاهة ففي هذه الامة دواع جمة منها العظة على اسلوب يرضيها في آن معاً ويقومها ومنها الفكاهة التي هي من لوازم طبعها ولكل عشيرة فطرة ذات سجايا خاصة بها ومنها الدرس العلمي العملي أحوج ما كانت اليه قبلاً وأحوج ما صارت اليه اليوم وهي في بدء نهضتها الراهنة المباركة

أن المدرسة حين تشاد تبرق لها اسارير الاستقبال وأما دار التمثيل التي تبنى فالصلاح المرجو منها عاجل وطالما تبدلت بها حال بحال . ألستم تلمحون لهذه الحقيقة أثراً في نفوسكم وفي الجماهير المحيطة بكم . ألا تذكرون أنه كان لدور التمثيل بمصر على ما أعتورها الى الان من النقائص الطبيعية في مبادىء الامور فعل كبير في الاداب والاخلاق ظهرت نتائجه الطيبة ظهوراً باهراً لاول ما دعا داعي النجاح وأذن باسماع من القلوب واستجابة من العزائم « حيّ على الفلاح »

ان لدور التمثيل في كل بلد لشأناً عظيماً

أجل هو شأن عظيم لا ينقصه ولا يطعن فيه كون أناس لم يتبينوه كلا ولا يزري عليه كون طائفة من بيوت التمثيل التي خلقت للحكمة والاعتبار قد انحطت بيد المفاسد الى ان أمست بؤرات شرور وآثام وقبوراً تحلل فيها النفوس كما تحلل الجيف . فاما الذين قصر بهم حد بصرهم أوجهد بصيرتهم عن ادراك هذه الاولية وهي عظمة الشأن الذي كان وما زال لدور التمثيل في العالم أجمع منذ أقدم زمان الى هذا الاوان فليس منهم ههنا أحد واذن فما بي حاجة الى الرد عليهم اذ ان الرد لتأييد مثل هذه البديهية يكون بليداً كبلادة من يتصدى مثلا ليقرر في مثل هذا العصر « ان العلم نافع »

وأما سوء الاستعمال فلم يكن في حين من الاحيان منزلا للاحسان في موضع الاساءة ولا للاساءة في موضع الاحسان. كم من شاك في خلال تلك الحرب الشؤمى التي عصفت بالدنيا عصف أعصار من الجحيم ومشت تنقض أثبت المعالم ،وتقوض أرسخ الاركان مشي النار في الهشيم . كم من شاك شكا الذكاء وكم من ساب سب المعرفة لانهما ولدا تلك الآلات الجهنمية التي طارت العقبان في السماء وسابحت الحيتان في الماء وأتت بكل عجب عجاب من الاتلاف والاحراق وصنوف الدمار والخراب فهل من اجل ان فريقاً استخدموهما للشر لم يكونا هما سبب كل خير وآية كل عمران ومبعث كل تقدم ومنتهى كل حضارة

ذلك الشأن الجليل كان للتمثيل من أقدم الحقب واستمر يطرد على توالي الايام. يطرد ويزداد الى ان صار جزءاً غير منفصم من أجزاء الحياة القومية في كل بلاد راقية وهو الذي استفز حمية نخبة من سروات مصر العزيزة لتأسيس هذا المعهد وانفاق الاموال الطائلة عليه وبذل مجهود في سبيله لم يسبق له مثيل في الشرق

غير ان اناساً لم يرقهم انصراف فريق من كبراء رجال العمل يشنا الى انهاض التمثيل وجماع ما سمع من مؤاخذتهم يدل على انهم توهموا التمثيل لهواً ولعباً في اوله ثم لهواً ولعباً في غايته

ما أبعد زعمهم عن الحقيقة

أي لهو ولعب هذا الذي تنفق فيه عشرات آلاف الجنيهات لتأسيس شركة تعنى بترقية التمثيل وبتشييد بناء فخم وزخرفته واعداده على أحدث طراز يأخذ أصحابه على عواتقهم أموراً هي من أجدّ أمور الامم : القيام باود فرقة كبيرة من الناس تتعاطى مهنة فنية من ادق واشق المهن ، تعلية الاجور التي تؤدى لمؤلفي الروايات الى القدر

الذي يروج معه التأليف حتى يفي بحاجات من يتصدى له ، تمهيد السبيل لاختيار رهط من الاحداث النجباء وارسالهم الى اوربا بنفقة من اولئك المؤسسين ليتعلموا أصول الفن على أبرع أساتذته نظراً وتلقناً وعملاً ثم تأسيس مدرسة في مصر يجعل هؤلاء الخريجون أساتذتها أو من أساتذتها ، الى آخر الاغراض الشريفة الجليلة التي لاجلها بذل المؤسسون النفوس والنفائس . أقول النفوس وأدري ما عنيت لان الوقت والمجهود وحرمان الراحة كل اولئك أشياء من العمر تهدى وأجزاء من النفس تسدى وهذا ما يدعونه باللهو واللعب كأنه مقضي قضاء خالداً على كل شرقي ينهض بامر عظيم ان يكون من قومه المثبطون له والزارون عليه والمنقصون لقيمة فعله وان تناهى فعله في الجلال

اولئك السراة النجب اولئك الشجعان الاسخياء اولئك الوطنيون الصادقون الذين أسسوا شركة ترقية التمثيل بانية هذه الدار انما دعاهم الى تعريض المصون من مالهم وارخاص الغالي من وقتهم وعزمهم اقتناعهم بان التمثيل الذي كان عليه مدار الرقي في اوربا منذ الايام الاولى في تاريخ المدنية الى الان جدير بان يكون له نصراء من الناطقين بالضاد في بمصر التي تدنو من غاية عظيمة متى بلغتها أصبحت حاضرة الاقطار العربية ومبعث الانوار الى جميع الامم الشرقية

أيها السادة :

انني لاسرح نظري وأمتع طرفي بطرائف هذه الدار ومحاسن ما حولها فتتجلى لي عبرة من عبر التاريخ تتجلى لي وجوه شبه متعددة بين هذا المعهد الذي يشيد الآن وبين اول ما شيد من مثله في مبدأ عهد الانسانية بالتمثيل

في بلاد الاغريق أيها السادة وهم الذين خلقوا هذا الفن كان اول مكان أحدثوه للتمثيل بستاناً رسم فيه ملعب اللاعبين ومجلس الشاهدين باشجار مصفوفة لها فرج مسقوفة تظلل من الشمس صيفاً وتقي من المطر ربيعاً وخريفاً . ثم حسنوا الحال فجعلوا موضع التمثيل بنياناً من الخشب في حديقة ذات أشجار يتمشى الجمهور في ظلها مدة الانتظار . فلما أتفق ان كثر ذات مرة عدد الحاضرين وازداد الوقر على المستشرف الخشبي الذي ازدحموا فوقه فهبط بهم وأزهق أرواحاً ، بنوا داراً فخمة من الحجر متغالين في توسيعها وفي اتقانها وفي هندستها ونقوشها وفي مراعاة أحوال السماع وأسباب الصحة فيها حتى جعلوها أكمل مثال وجد الى الآن لبيوت التمثيل وقد أقاموا تلك الدار

جرياً على عادتهم في روضة فسيحة شائقة تحيط بها الاشجار احاطة الاروقة منسوقة صفين صفين

أليس لطيفاً وظريفاً أيها السادة ما يرى من التشابه بين هذا البيت المبني على أطرف أسلوب المزخرف بضروب الحلي وهو قائم في أعظم حديقة بالمحروسة وبين تلك البيوت الاولى التي هيئت للتمثيل في أثينا بادىء بدء وفي روما بعدها

في تلك الحاضرة الكبرى حاضرة العلوم والفنون بعد طيبة ومنفيس - عنيت أثينا - تغالت الحكومة في الانفاق على دار التمثيل فلم يدع بانيها آية من آيات الابداع الا أتى بها : من ذلك انه كان معداً فيها لايام القيظ أحواضاً مملوءة ماء زهر فاذا اشتد الحر اجري ذلك الماء في انابيب خافية عن الابصار ممتدة وراء التماثيل القائمة على ذرى الاروقة فترشش من عل بقطراته الدقيقة يملأ المكان رطوبة شهية وطيباً فائحاً ذكياً. أما في هذه الدار فالنسمات التي أخصرتها بركة الحديقة ومراويها وعطرتها صنوف النوار والرياحين والاعشاب الندية هي التي تهب على الاشهاد من كوى ونوافذ معدة لتأذنها بالمرور على قدر فتحيي القلوب وتروح الارواح

كان سقراط الفيلسوف وميسبكل الذي اشتهر بحكمته يحضران التمثيل ولا يجدانه لهواً ولعباً كما يزعم فلاسفة من أهل هذا الزمان المتأخر. وكان في أثينا كل تمثيل يقام ينتخب له ارخون أي رئيس يناط به الاشراف على الحفلة كما كان في روما كل تمثيل يقام يولى الاشراف على حفلته عضو من المجلس البلدي وناهيك بهذا المنصب في ذلك الوقت . فيا لكرامة اللهو واللعب

ومن أخبار أثينا ان الشعب كان يعقد اجتماعاته في دار التمثيل ويقر فيها ما يرى اقراره من امور سياسته الداخلية والخارجية . ومن أخبار رومه ان مواضع معينة بارقام في بيت التمثيل كانت تمنح الذين خدموا الامة خدماً جليلة ثم يختص بها أعقابهم بعدهم. وان أعلام العلماء كانوا يجلسون في دار باخوس دار التمثيل العظمى عندهم فيتلقى عنهم مريدوهم أسرار المعرفة. وان المبشرين بالمسيح كانوا يبثون دعوته في تلك الدار ولا يأنفون . فيا لكرامة اللهو واللعب

ثم ان داري التمثيل باثينا وروما كانتا تحت رعاية ولاة الامور في الجمهوريتين ينفقون عليها مستمرين على ذلك الى أن أصبح بذل الاموال الطائلة لسد حاجاتهما مما يتنافس فيه عظماء القوم ورؤساء الفئات المختلفة فيهم . ولتعلموا بوجه التقريب

ما كانت تلك النفقات تصوروا ان دار التمثيل باثينا كان يجتمع فيها الشعب لاصدار قراراته كما ذكرنا وأقل عدد يجب لصحة القرار ستة آلاف صوت . أما دار التمثيل بروما فكانت بالاحصاء المضبوط تسع تسعة وسبعين ألفاً

اذا تدرجنا من ذلك العصر الى العصر الذي خرجت فيه اوربا من همجيتها القديمة وطفقت تهتم بالتمثيل الفينا ان الملوك والامراء وعلية السراة في فرنسا وانجلترا والمانيا والممالك الايطالية وغيرها هم الذين قاموا بشؤون دور التمثيل ولولا امداداتهم لما بلغت الشأو الاسمى الذي وصلت اليه في هذا الوقت على أن الحكومات ما زالت الى الساعة تساعد معاهد التمثيل مساعدة منظمة وقد تعلمون ان الحكومة المصرية نفسها اقتدت بسواها فرتبت لدار الاوبرا معونة سنوية كانت سبب ارتقائها بل كانت سبب بقائها ومرجونا بعد الآن بالطبع انها لا تضن على هذه الدار التي لا تقل عن تلك اتقاناً بمثل تلك المعونة وكفى مسوغاً ان هذه أكثر ما يختلف اليها الوطنيون على حين ان تلك أكثر ما يختلف اليها الاجانب — نرجو ذلك الامداد بل نسأله بقوة من حكومتنا السنية لانه أمر حيوي للبلاد ضروري لرقي الاخلاق هذا مع اسدائنا لها خالص الشكر لتلك المساعدة التي منحتها هذه الشركة باعطائها اياها امتياز مسرح الحديقة وتأجيره لها الى مدة لا تزال قصيرة اذا قوبل بينها وبين حساب النفقات التي انفقت ولهذا مازلنا نؤمل من رجال حكومتنا بل نعتقد بالنظر الى حميتهم والى ما رأوا باعينهم من مقدار ما بذل أن يوافقوا على اطالة تلك المدة الى الحد المناسب المعقول .

فالذين انبروا لتأسيس هذه الدار لم يأتوا اذن الا أمراً نافعاً جليلاً مقتدين باسمى قدوة جاء بها التاريخ لاستصلاح الامم في حاضرها وتبصير عتيدها بغابرها ولله درهم ورضي الفضل عما فعلوا

أيها السادة

ان كان في التمثيل العربي تأخر قامت هذه الشركة لتحاول ان تدرأ عنا وصمته فمن العدل أن لا ننسى اننا ما زلنا في طفولة الفن وان الذين يعالجون التقدم به يعالجون في آن لغة ليست مستعارة من الجمهور فيسهل عليه فهمها وتبين وقائعها بل هي مستعارة له من شعب آخر كانت عيشته وبيئته وخلائقه غير عيشتنا وبيئتنا وخلائقنا وناهيكم بهذه العقبة من عقبة كؤود ، ثم هم يعالجون موسيقى لا شيء فيها يصلح للعزف الجهوري ولا للنغمات تسير بها الجيوش وتسمعها الآلاف من الناس ، ثم هم يعالجون حركات ورموزاً

قد اختلط شرقيها بغربيها وليس بميسور تمحيصها الى حين فلنصابر العاملين منا ولنعاونهم كل بقدر مجهوده ذلك خير وأبقى من تغطية قصورنا بالتشدق والتشدد فيما لا يدرك الا بميقاته من المطالب . وان زدتموني تفضلاً بالاصغاء فانني مورد لكم بايجاز منشأ التمثيل في البلاد ومنه تتبينون أين نحن من الطريق وما الذي يبقى علينا اجتيازه للدنو من الشأو ان لم أقل لبلوغه على ان تاريخ الفن عندنا انما هو تاريخ الفرق التي تولته وتوالت في القيام به. فاول من خطر له ادخال هذا الفن في لغة الناطقين بالضاد هو المرحوم مارون النقاش لخمسين سنة مضت أو تنيف . جمع فرقة من الشبان الذين استصلحهم في بيروت وعرب لهم روايات البخيل والحسود وأبي الحسن المغفل تعريباً جاء أشبه بالتأليف لحسن تصرف الرجل فيه مراعاة للذوق العربي ولم تقدم تلك الفرقة هذا القطر ولكن شدة الاشتراك المتصل بين الشام ومصر ولا سيما منذ ابتدأ هذا العصر لا تدع فرجة للفصل بينهما في تاريخ الادبيات والمعنويات ففرقة مارون النقاش لبثت حيث نشأت الى ان انحلت ولكن رواياتها البخيل والحسود وأبا الحسن المغفل جابت التخوم الى وادي النيل وما برحت من بهجات مسارحنا الى هذه الايام

أعقب مارون قريب له معروف بين أدباء المحروسة في زمانه هو المرحوم سليم النقاش وسليم هذا أول من انشأ فرقة للتمثيل بمصر باتفاق بينه وبين الحكومة اوجبت على نفسها بمقتضاه امداده بمال والترخيص له في استخدام الاوبرا زمناً معلوماً لتمثيل رواياته وأشهر تلك الروايات مي والمقامر وعائدة ثم اندروماك وهذه بقلم أقدر أدباء وقته وأشهر خطبائه المرحوم اديب اسحق

انحلت فرقة سليم نقاش بعد حين ونهض المرحوم يوسف خياط بتكوين جماعة أخرى يساعده أخوه المرحوم انطون خياط ثم تلاها المرحوم سليمان القرداحي فجمع جماعة لم تقصر تمثيلها على مصر بل تنقلت بين الشام وتونس غير مرة وأرت أهل الغرب العربي أشياء من روائع هذا الفن لاول ما رأوها

في اثناء تلك المدة كان المرحوم ابو خليل القباني قد أخذ بجمع فرقة بدمشق الشام وطفق بوحي فطرته يخلق للعربية نوعاً جديداً من التمثيل هو خليط من هزل وجد وكلام وغناء يعرف عند الافرنج بالاوبريت وابدع ضرباً حديثاً من الابداع يسميه الغربيون « باليه » واسمه عندنا رقص السماع فصادف النجاح الذي كان به خليقاً عند السواد الاعظم

حمل أبو خليل بعد قليل فرقته الى مصر ومصر يومئذ كعبة القصاد من فاقدي حرية القول والكتابة في بلادهم بل فاقدي كل نوع آخر من أنواع الحرية العمومية والفردية فشرع يعرض ما لديه والامة فرحة به مقبلة عليه

وفي تلك الايام عينها كان المرحوم اسكندر فرح وفي فرقته المرحوم الشيخ سلامه حجازي يبلي البلاء الحسن ليجلب الجمهور ويستمد للنوع الذي آثره ما يعربه أقطاب الادب في ذلك العهد منهم المرحوم الشيخ نجيب الحداد والمرحوم أخوه الشيخ أمين ومنهم الشاعران الناثران المجيدان طانيوس افندي عبده رئيس تحرير لسان الحال الان ببيروت والياس أفندي فياض المستشار في محكمة الاستئناف العليا للبنان الكبير. على انه تقد تخلل روايات هذه الفرقة ما دل على حالة لو تهيأت لكانت الامة ارغب فيها وأميل اليها: من تلك الروايات أنيس الجليس وصدق الاخاء للمحامي الشهير المرحوم اسماعيل بك عاصم

بعد ذلك تلاشت فرقة المرحوم أبي خليل القباني وقد سمعت من نادرتي زمانهما المرحومين عبده وعثمان انه على توسط صوته كان اكبر أساتذة الموسيقى علماً وانشاء وبراعة ايقاع. ثم انفصل الشيخ سلامه من اسكندر فرح وأسس فرقته التي لقيت من النجاح العظيم ما شهده اكثركم. والفضل في ذلك لهمة الشيخ وثباته وسخائه وخصوصاً لاحداثه الحاناً شائقات وتطبيقه اياها على قصائد مما تقوى به أغراض الرواية في القلوب والاذهان نهاية قوتها ويستمد به الخيال من ظاهر الحقيقة غاية التشويق والتاريب

في هذه الفرقة تخرج غير واحد من مهرة الممثلين الذين هم الآن على اختلاف الفرق التي ينتمون اليها بقية ابدال الفن وفيها تخرج معظم الذين يصفق لهم الجمهور الآن في الجماعات الاخر التي لم أتعرض لذكرها لخروجها عن النوع الذي جعلت كلامي مقصوراً عليه وفيها رأينا للمرة الاولى ظهور الاخوة العكاشيين وأخذهم بهذا الفن ذلك الاخذ الذي تطرقوا معه الى تأليف فرقتهم مستقلين ثم دخولهم في هذه الشركة المباركة على النحو الذي سأذكره لكم لما فيه من الدلالة على ما تفيده المثابرة وما تأتي به متابعة العزم من النتائج

انفصل الاخوة العكاشيون من فرقة الشيخ سلامه ارادة أن يستقلوا وما زالوا من ذلك الوقت جادين في سبيل النجاح وقد قامت الى جانبهم فرقة الاستاذ جورج

ابيض ثم فرقة الشيخ سلامه بعد اعتلاله وأبيض ثم فرقة أبيض مستقلاً للمرة الثانية وهي باقية الى الآن بين حضر وسفر كما قامت فرقة الاستاذ عبد الرحمن افندي رشدي على أثر انفصاله من فرقة أبيض وما زالت سائرة سير تقدم ونجاح

هتان الفرقتان هما اللتان تشتغلان في أيامنا هذه بالنوع الجدي وتخدمانه كما ستخدمه فرقة عكاشة وفي القطر بحمد الله متسع لاضعاف هذه الجماعات ان اتقنت وأحسنت اي ان ارادت البقاء لان البقاء للاصلح وهذه قاعدة أولية أبدتها الشواهد منذ اليوم الاول للخليقة

(ههنا ذكر الخطيب اموراً مطولة خاصة بالشركة وكيفية نظامها وما أقرته من وجوه التصرف في ارباحها واثنى ثناء لايخالفه أحد فيه على حضرة المالي القدير والاداري الحازم الشهير طلعت بك حرب الرئيس والمؤسس الحقيقي للشركة الى أن قال :)

بقي أن أذكر لكم شيئاً آخر يسركم فيما أعتقد

ان جل الذين بنوا هذا المعهد وزينوه ووضعوا كل شيء فيه مصريون محض مصريين ولهذا أرجو أن تمنحوا علامة رضاكم طائفة الذين اذكرهم في ذلك من التنشيط للحركة الاقتصادية الوطنية وللبراعة الصناعية الاهلية ما لا يخفى

أيها السادة

قد عزز العلم الحديث ما أثبته الاختبار القديم بالنظر الصادق والرأي القويم في شأن الملاهي النافعة فقال أصحابه ان الراحة على قدر تضاعف أسباب المجهودات وان الوقت الذي يظن ضائعاً بها انما هو كاسب كل الكسب خفي في الختام لتوطيد هذه القاعدة وتأييد هذه الفكرة الحكيمة أن أقول لكم ان الحياة (ساعة وساعة) كما جاء في الحديث الشريف وهتان لفظتان اليهما تنتهي البلاغة وفيهما على الايجاز أفصح بلاغ فهل بعدهما حاجة الى مزيد

ما أسعد الامة التي تتسنى لها تفكهة فيها حكمة ويتيسر لها تعليم فيه سرور وأي شيء أفضل للجماهير من فن لا يكد الذهن أدنى كد. ويجمع بين بدائع الطرب وروائع الشعر والادب فوائد لا تحد

فليحي كل قائم بعمل صالح لعظمة مصر

ولتحي مصر

خليل مطران



الامير حبيب لطف الله باشا

١٨٢٦ — ١٩٢٠

لقد فقدت الامة السورية بفقد الامير حبيب لطف الله باشا شيخها الوقور وعميدها الجليل – بل فقدت المثال المستجمع لامتن الاخلاق واصلح الخلال وأقوم المناقب. فقد كان رحمه الله رجل بناء وانشاء ، رجل جد وعمل واقدام ، رجل ارادة وادارة وتدبير ، رجل استقامة وشرف نفس وعلو همة ؛ وكان فوق ذلك كله رجل برّ وصلاح واحسان

فاذا نحن ترجمنا حياة الراحل الكريم فانما – فضلاً عن قيامنا بالواجب علينا من تدوين سير النابغين المبرزين من ابناء الشرق – نقدم لاهل هذا الجيل خير مثال يحتذونه وأفضل قدوة يقتدون بها وأصلح عبرة يسترشدون بها في طريق الحياة . فان سير أعاظم الرجال منائر تهتدي بها الامم لبلوغ ما تبتغيه من الفلاح والنجاح

ان نبوغ البشر انواع ثلاثة لا رقيّ لهم بدون أحدها : نبوغ في دائرة العاطفة والشعور ، ونبوغ في دائرة العقل والفكر ، ونبوغ في دائرة العمل والانتاج . فمن الفريق الاول الشعراء والموسيقيون ، ومن الفريق الثاني العلماء والمخترعون ، ومن الفريق الثالث أصحاب المشاريع ومنظمو المصالح ومكونو الثروة على اختلاف صورها . وقد كان الفقيد رحمه الله من أهل هذا الفريق الاخير

اسرة الفقيد

ينتسب الامير حبيب لطف الله باشا الى عائلة من أشهر عائلات سوريا وأغناها وأعرقها في الجاه والصلاح . وأوثق مصدر يمكن الاعتماد عليه في بيان أصل هذه الاسرة الكريمة « تاريخ اللاذقية » الذي وضعه المرحوم الياس صالح اللاذقي فقد جاء فيه ما يأتي :

« ان عائلة لطف الله هي من العائلات المشهورة والمعتبرة في طرابلس شام وقد أتى من أفرادها الى اللاذقية المرحوم جرجس لطف الله وصار له المقام الاول بين مسيحيي اللاذقية يشهد على ذلك ما كان من حوادث عام ١٧١٧ مسيحية الموافق عام ١٠٣٣ هجرية ايام كان احمد باشا والياً على طرابلس شام وولده مصطفى بك قائمقاماً على اللاذقية وكان وقتئذ في اللاذقية خليل افندي اسلامبولي قاضياً وعبد الرحمن لاذقي مفتياً ونيافة نيكيسفورس قبرصي مطراناً لطائفة الروم الارثوذكس

عند حصول الزلزال الذي هدم منها جملة بيوت وبعض أقسام الكنائس الخمس للروم الارثوذكس

« وبعد أن تداعت هذه الكنائس للسقوط واصبحت لا تصلح لاداء فروض العبادة حركت الغيرة والمروءة ومحبة الايمان المرحوم جرجس لطف الله فنهض بهمة لا تعرف الملل مضحياً بكل أشغاله حباً بالحصول على الفرمان السلطاني الذي يبيحه اصلاح ما كان من الخلل واتفق في ذلك الوقت ان مسنحوس افندي وهو رجل أرمني من كبار صيارفة الاستانة العلية حضر الى اللاذقية لاشغال خصوصية ونزل ضيفاً كريماً على المرحوم جرجس لطف الله بالنظر الى وجاهته وشهرته ومعرفته اللغة التركية وبواسطته حصل المرحوم جرجس لطف الله على الفرمان السلطاني . وبعد عناء طويل استغرق مدة سنة كاملة بترميم هذه الكنائس بلغ قيمة ما انفق عليها مبلغ ٧٠٠٠٠ قرش عملة تلك الايام كل ذلك حصل بهمة وعناية وكرم المرحوم جرجس لطف الله الذي زين هذه الكنائس بالايقونات الثمينة وخصصها بوقفية عظيمة لا تزال حتى اليوم تذكر فتشكر . وفي سنة ١٧٥٨ مسيحية سافرت عائلة لطف الله الموحى اليها الى جبيل ومنها الى بيروت بسبب الطاعون وفظائع تلك الايام »

ترجمته

هو ابن جرجس بن ميخائيل بن جرجس لطف الله ولد في لبنان في ٥ مايو سنة ١٨٢٦ وقضى حداثته في مدينة بيروت وكان من صغره تبدو عليه علامات الجد والنشاط والاقدام وكان ميالا الى معاشرة رجال الفضل وكبار السن وقد حضر مجالس الشيخ ناصيف اليازجي رغم حداثته . فشب في وسط صالح واقتبس الخلال الحميدة من اهله وعشرائه

وفي سنة ١٨٥٢ قدم الديار المصرية مدفوعاً بهمة الشباب وحب العمل والانتاج وكان معه رأس مال غير يسير فأخذ يستثمره ومارس التجارة فلم يلبث زمناً وجيزاً حتى امتدت تجارته بين مصر والسودان والهند وكان له محل في الخرطوم ذو فروع في أعالي السودان . وقد كان في عمله هذا شريكاً لاخيه المرحوم السيد ميخائيل

وما زال يكد ويشتغل بامانة واستقامة حتى اشتهر اسمه واتسعت دائرة أعماله اتساعا عظيما . وبعد وفاة أخيه تحول الى الزراعة فاشترى أرضاً من أملاك الدائرة

السنية فاستثمرها على أفضل الطرق الاقتصادية فأخذت أملاكه تتزايد وتحسن بفضل عنايته ورعايته واجتهاده حتى أصبح من أكبر أصحاب الاملاك الزراعية في القطر المصري

وفي سنة ١٩٠٥ تنحى عن الاعمال وسلم ادارة مصلحته الواسعة الى أولاده الامراء ميشيل بك وحبيب بك وجورج بك

وكان رحمه الله طول هذه المدة موضع الاحترام والاجلال ومقصد المعوزين والمحتاجين . وقد تولى عدة مناصب ذات شأن فكان عضواً في المجلس الملي للروم الارثوذكس . وظل ثلاثين سنة عضواً في مجلس ادارة المدرسة العبيدية (وكان مؤسسها المرحوم رفلة عبيد من اصدقائه وعشرائه) وقد دافع في أثناء هذه المدة خير دفاع عن حقوق ابناء العرب في تلك المدرسة الشهيرة . وهو أول من سعى لتأسيس جمعية خيرية للروم الارثوذكس . ولم يشرع في عمل خيري الا كان اول الساعين اليه واول العاملين فيه

وقد تقلد وظائف شرفية في قونصلاتو روسيا والولايات المتحدة واهدي عدة وسامات ونال في عهد الخديوي عباس رتبة الميرميران وفي السنة الماضية منحه جلالة الملك حسين ملك العرب لقب الامارة

اخلاقه ومناقبه

يندر ان يكون النجاح في هذا العالم صدفة . فانك اذا تأملت تاريخ الناجحين وجدت انهم اتصفوا ببعض السجايا التي مهدت لهم طريق النجاح . وترجمة الامير حبيب لطف الله باشا خير دليل على ذلك . فانه رحمه الله كان مستجمعاً لشروط النجاح الرئيسية وهي : المعرفة وحسن الاختيار ، الثبات والمثابرة ، الاستقامة

هذه هي الشروط الاساسية التي لانجاح بدونها . فاذا اضيف اليها سنوح الفرص الحسنة كان النجاح على أتمه . على ان الفرص وحدها لاتكفي فانه يندر من لا تعرض له في حياته فرصة حسنة ، ولكن العبرة في انتهازها والاستفادة منها بالطرق الصالحة وهذا ما يقصر عنه الكثيرون

أما فقيدنا فقد كان ذا معرفة وحسن اختيار فعرف كيف يستخدم المال الذي ورثه عن والده وفي أي الابواب يستثمره ويستغله ، وكان ذا ثبات ومثابرة على العمل

فلم يبال بالمشاق التي اعترضته ولم تثنه العقبات عن بلوغ مراميه بل ان المشاق والعقبات كانت دوافع له الى مضاعفة الجد والكد ، وكان أيضاً أميناً صادقاً مستقيماً في عمله حتى لقد أصبحت نوادره الدالة على سمو اخلاقه من هذا القبيل حديثاً للمجالس على اختلاف طبقاتها

فمن ذلك انه قدم مرة الى أحد معارفه مبلغاً من المال ليستعين به على أعماله فلما جاء ميعاد الاستحقاق رضي أن يؤجل تاريخ الدفع وكرر هذا التأجيل غير مرة حباً بالمساعدة . غير انه في المرة الاخيرة رفض التأجيل فحار الرجل ولم يدر سبب انقلاب الفقيد ولكنه رحمه الله أمسك بيده وقال له : « انني انما قدمت لك المال لتنفع به وتنتفع وقد بلغني أنك تقرضه بربا فاحش وانك كنت السبب في خراب بيوت كثيرة. واني لافضل ان افقد مالي من ان يستخدم في أذى الناس »

ولما أصبحت الفائدة القانونية ٩ في المئة بعد ان كانت ١٢ استدعى في الحال جميع مدينيه من تلقاء نفسه وأبدل السندات التي بيده حتى يكون أول العاملين بالقانون

ويحكي عنه انه لما وزعت أملاك الدائرة السنية جاءه يوماً المستر ويلكس وعرض عليه شراء قطعة أرض مساحتها ٢٠٠٠٠ فدان على ان يدفع جانباً من الثمن ويستهلك الباقي في خلال مدة طويلة . فرفض ذلك الاقتراح مع ما كان فيه من الفائدة قائلاً انه ليس لديه الثمن كله وهو يأبى أن يكون مديوناً جرياً على قاعدة وضعها لنفسه منذ صغره

حكم عربية

المروءة طعام مأكول ونائل مبذول وبشر مقبول وكلام معسول

المال والمروءة رضيعا لبان وشريكا عنان وغزيا حصان وفرسا رهان

ما أعطي رجل من الدنيا شيئاً الا قيل له خذه ومثله من الحرص

ما أطال عبد الامل الا أساء العمل

ما الدخان على النار ولا العجاج على الريح بادل من ظاهر الانسان على باطنه

ما أنصفك من كلفك اجلاله ومنعك ماله

ما رأيت تبذيراً قط الا والى جانبه حق مضيع

سر النجاح

رأي « اديسن » اعظم مخترعي هذا العصر



توماس اديسن حين كان يبيع الجرائد وهو في الثانية عشرة
(قارن هذه الصورة بصورته المنشورة في الجزء الثالث من هذه السنة)

قابل أحد الصحافيين كبير مخترعي هـذا العصر المستر توماس اديسن وسأله رأيه عن السبب الذي من أجله يفشل كثيرون من الشبان في اعمالهم . وقد نشر حديثه في « المجلة الاميركية » فرأينا تلخيصه على صفحات الهلال تعميما للفائدة . فان ذلك العبقري هو بلا ريب احق الناس بابداء رأيه عن النجاح وشروطه وهو الذي تدرج من بيع الجرائد الى مقامه الحاضر الفريد في العالم . فعسى ان يجد شباننا في أقواله ما يعينهم على التقدم في طريق العمل والفلاح

قال اديسن: « ان في كل انسان موهبة لنوع مخصوص من العمل واستعداداً للنجاح

في طريق دون سواه . ولكن كثيرين من الناس يقضون حياتهم من غير أن يتوصلوا الى معرفة الحرفة التي خلقوا لاجلها . وفي الغالب ليس سبب ذلك الا كونهم لا يفكرون التفكير اللازم . فكثيرون هم الذين ينقادون في أقرب الطرق التي تعرض أمامهم حتى اذا لم يفلحوا لاموا كل انسان وكل شيء الا انفسهم

« ان الدماغ كالعضلات يمكن انماؤه بسهولة لو عني الانسان بترويضه وتمرينه وتدريبه على الطرق الصحيحة

« فجوابي الوحيد على سؤالك « لماذا يفشل كثيرون من الشبان » هو لانهم لا يمرنون عقلهم على التفكير

« ... وما أعظم النجاح الميسور للافراد بل للعالم اجمع لو منح « التفكير » ما يستحقه من الشأن والعناية ! وانه يتراءى لي ان واحداً في الالف فقط من الناس يدرك خطورة النتائج المتوقفة على تعويد العقل التفكير

« ... قلت ان هناك مهنة تلائم كل شخص لو عرف كيف يهتدي اليها . وقد برهن هنري فورد (صاحب معامل الاوتوموبيل الشهيرة) على صحة هذا المبدأ فقد أنشأ في معامله مصلحة خاصة غايتها اختبار الرجال ومعرفة أسباب فشلهم في بعض فروع العمل والبحث عن اكثر تلك الفروع ملاءمة لهم فكانت النتيجة ان أصبح نادراً عزل احد المستخدمين او العمال اذ امكن ايجاد عمل ملائم لكل واحد منهم

« واني ذاكر لك مثلا آخر من اختباراتي الشخصية . وفقت يوماً في حداثتي أيام كنت أبيع الجرائد الى تخليص ولد كان على وشك الهلاك تحت عربات السكة الحديدية . فلكي يظهر لي والده امتنانه عرض عليَّ أن يعلمني فن التلغراف فتعلمته وكان ذلك بدء تقدمي في سلك الحياة العلمية . ثم ان الدهر لم يلبث أن عبس لذلك الوالد فلما تحرجت حالته جاءني وطلب اليَّ أن أساعده فقلت له في الحال : « ان مصنعاً كبيراً طلب اليَّ اختراع جهاز يقي بعمل معين . فابدأ بالعمل وجرب صنع ذلك الجهاز » فاعترض الرجل بانه لم يسبق له ان اخترع شيئاً في حياته . ولكني شجعته وقلت له ان يتقدم الى العمل ويبذل جهده ووعدته بتقديم اللازم له ولعائلته طالما هو يسعى للحل المطلوب . ففشل في بدء العمل ولكنه لم يلبث ان وفق الى مراده فنحه المصنع الذي طلب الجهاز مبلغ ٥٠٠٠ ريال مكافأة . ومن ذلك الحين

عكف الرجل على العمل ووفق الى اختراع عدة امور مفيدة – وفي ذلك ما يدل على شأن التفكير في الحياة

« . . . ولعل المرجع في فشل الكثيرين الى التعليم المدرسي . فان مدارسنا وكلياتنا لا تقوم بوظيفتها . فاما ان المعلمين انفسهم عادمو الروح العملي او ان الكتب التي توضع بين ايدي التلاميذ لا تربي فيهم الميل الى الملاحظة والتأمل والابتكار

« . . . ومتى تعود الانسان التفكير حصل على اعظم لذة في العالم . . . فاني اصبحت لا احتاج الى من يلهيني او يسليني لان لي من تفكيري خير تسلية ومثلي من هذا القبيل صديقي جون بوروز وهنري فورد فانهما يستمدان سرورهما من التفكير دون سواه »

الطائر والغصن

ومشبه بالغصن قلبي (ابن الفارض)

طير على غصن في الروض قد وقعا — اذا شدا راح في الالحان مبتدعا
مموجاً صوته في الناسمات كما — تموج النور فوق الماء فالتمعا
يقرب الفجر بالانشاد مبتكراً — ويبعد الليل بالانشاد مخترعا
اعير من بهجات الكون أوقعها — في النفس لوناً وشكلاً عنده اجتمعا
والغصن من سعده ما انفك في جذل — يحبوه اوراقه الخضراء مفترعا
ويلتوي لدنو الماء يورده — ويخرج الثمرات الغر مصطنعا
ويحمل الطير مرتاحاً به واذا — ابدى الخضوع له حباً فما خضعا
كل سعيد بما قد نال صاحبه — هذا بذاك ولا غرم لمن شفعا
لكن رأى الطير يوماً زهرة فمضى — وخالف الغصن في أوراقه جزعا
فاذبلت حسرات الغصن نضرته — ولم يزل موجساً في يأسه فزعا
ويأسه في غد لا شك قاتله — على حبيب له ولى فما رجعا
ولازم الصمت لا يشكو الى أحد — وما رأى أحد شيئاً ولا سمعا

خليل شيبوب

عكف الرجل على العمل ووفق الى اختراع عدة امور مفيدة - وفي ذلك ما يدل على شأن التفكير في الحياة

« . . . ولعل المرجع في فشل الكثيرين الى التعليم المدرسي . فان مدارسنا وكلياتنا لا تقوم بوظيفتها . فاما ان المعلمين انفسهم عادمو الروح العملي او ان الكتب التي توضع بين ايدي التلاميذ لا تربي فيهم الميل الى الملاحظة والتأمل والابتكار

« . . . ومتى تعود الانسان التفكير حصل على اعظم لذة في العالم . . . فاني اصبحت لا احتاج الى من يلهيني او يسليني لان لي من تفكيري خير تسلية ومثلي من هذا القبيل صديقي جون بوروز وهنري فورد فانهما يستمدان سرورهما من التفكير دون سواه »

الطائر والغصن

ومشبه بالغصن قلبي (ابن الفارض)

طير على غصن في الروض قد وقعا ... اذا شدا راح في الالحان مبتدعا

مموجاً صوته في الناسمات كما ... عوج النور فوق الماء فالتمعا

يقرب الفجر بالانشاد مبتكراً ... ويبعد الليل بالانشاد مخترعا

اعير من بهجات الكون أوقعها ... في النفس لوناً وشكلاً عنده اجتمعا

والغصن من سعده ما انفك في جذل ... يحبوه اوراقه الخضراء مفترعا

ويلتوي لدنو الماء يورده ... ويخرج الثمرات الغر مصطنعا

ويحمل الطير مرتاحاً به واذا ... ابدى الخضوع له حباً فما خضعا

كل سعيد بما قد نال صاحبه ... هذا بذاك ولا غرم لمن شفعا

لكن رأى الطير يوماً زهرة فمضى ... وخالف الغصن في أوراقه جزعا

فاذبلت حسرات الغصن نضرته ... ولم يزل موجساً في يأسه فزعا

ويأسه في غد لا شك قاتله ... على حبيب له ولى فما رجعا

ولازم الصمت لا يشكو الى أحد ... وما رأى أحد شيئاً ولا سمعا

خليل شيبوب

مذهب ارسطاطاليس

في السياسة والاجتماع

بقلم الدكتور طه حسين الاستاذ في الجامعة المصرية (١)

بذل ارسطاطاليس اكثر ما بذل من الجهد في تشييد فلسفته النظرية ولكن أكثر هذه الفلسفة قد مات الآن ولم يبق منه الا نظرياتٌ معدودة فيما بعد الطبيعة ذلك لان الطرق العلمية التي سلكها ارسطاطاليس كانت من السذاجة والنقص بحيث لم يكن ينتظر أن تنتهي به الى نتائج باقية . فكل ما قاله ارسطاطاليس في الطبيعة وخواص الاجسام ليس له الآن قيمة علمية تذكر . اما أصولهُ فيما بعد الطبيعة فما يزال يعتز بها نفرٌ غير قليل من أصحاب هذا القسم من أقسام الفلسفة

اما القسم الخالد الذي لم يكد يفقد شيئاً من قيمته ونفعه العالمين فهو القسم العملي يمكننا ان نقسم هذه الفلسفة العملية أربعة أقسام :

الاول البحث عن الانسان من حيث انه جماعةٌ سياسية وهو الفلسفة السياسية

الثاني البحث عن الانسان من حيث انه فردٌ من جماعة له حقوق وعليه واجبات وهذا هو علم الاخلاق

الثالث هو البحث عن الانسان من حيث انه مفكر وهذا هو علم المنطق

الرابع البحث عن الانسان من حيث انه مفكر يريد أن يعبر عما يجول في خاطره من صورة وحكم وهذا هو علم البيان

فاما القسم السياسي من فلسفة ارسطاطاليس فيمثلهُ كتاب السياسة . ولسنا في حاجة الى ان نصِفَ ما بذل ارسطاطاليس من الجهد في استخلاص ما يشتمل عليه هذا الكتاب من الثمرات . فكل الناس يعرفُ انه امتحن لذلك نُظُماً سياسية وجدت بالفعل تزيد على خمسين وثلثمائة نظام وانه قد امتحن لذلك أيضاً مذاهب الفلاسفة الذين سبقوه لا سيما مذهب افلاطون

ثم عرَضَ لنا في هذا الكتاب مناقشته للمذاهب المختلفة في السياسة ونقدهُ

(١) من مقدمة كتاب تحت الطبع عن نظام الاثينيين للفيلسوف ارسطاطاليس

للنظم السياسية المختلفة القائمة في عصره ورأيه بعد ذلك في أحسن صور الحكومة وانفعها

على أن نظرية من نظريات ارسطاطاليس تستحق أن يُعنى بها عناية خاصة لان البحث عنها بل اتخاذها مذهباً قد استؤنف في العصر الحديث . هذه النظرية هي قولُ ارسطاطاليس ان الاسرة هي الوحدة الاجتماعية أي انها هي الذرة التي لا تقبل القسمة والتي تكوّنُ مع ذرات اخرى تشبهها الجسم الاجتماعي . فالاسرة تنمو نموها الطبعي فتكوّن القرية وهـذه القرية بانضمامها الى قرى أخرى تكوّن المدينة او الدولة او الجماعة السياسية

بسط ارسطاطاليس ذلك في الفصل الاول من الكتاب الاول من سياسته وقد استأنف اوجست كونت هذا البحث الاجتماعي فلم يزد فيه على ارسطاطاليس شيئاً بل اتخذ رأيه هذا أصلاً لاحد قسمي فلسفته الاجتماعية وهو القسم الذي يسمى ستاتيك أي قسمُ الثبات

فنحن نعلم ان شيئين يكوّنان الجماعة في رأي اوجست كونت شيء ثابت لا يتغير وهو أصل الجماعة وأصل نظامها وشيء يتغير ويستحيل وهو موضوع القسم الثاني من قسمي فلسفة اوجست كونت وهو الذي يسمى الديناميك اي المتحرك

ففي الجماعة اذاً عند اوجست كونت سكونٌ وحركة او ثبات واستحالة فبفضل هذا السكون او الثبات تحفظ الجماعةُ وحدتها على اختلاف الازمنة وبفضل هـذه الحركة او هذه الاستحالة تتفق الجماعة مع ما يختلف عليها من ظروف الحياة وأطوارها المتباينة

وقد رأينا ان الاسرة التي اتخذها ارسطاطاليس وحدة اجتماعيـة قد اتخذها اوجست كونت وحدة اجتماعية ايضاً وأقام عليها القسم الاول من قسمي فلسفته . وقد اعترف اوجست كونت بفضل ارسطاطاليس وعدّه في كتابه الفلسفة الوضعية أول من أسس علم الاجتماع

ولكن شيئاً آخر لم يعترف به اوجست كونت (وما نشك في انه لم يتعمد ذلك ولم يقصد اليـه) وهو ان ارسطاطاليس هو الذي استكشف الاصل الثاني للفلسفة الاجتماعيـة وهو الحركة . بل ربما كان افلاطون قد سبق الى تصوره ووصفه بعض الشيء في الجمهورية . ولكن ارسطاطاليس قد وصفه في السياسـة وصفاً تاماً واضحاً لا يجعل للشك فيه سبيلاً

لم يكتف ارسطاطاليس بان بيَّن لنا كيف تتكوَّن الجماعة السياسية بل أثبت لنا ان هذه الجماعة اذا تكونت فهي متحركة اي خاضعة للاستحالة والانتقال من طور الى طور . فهي ملكية في اول الامر ثم ارستوقراطيـة ثم خاضعة لحكم الطغاة ثم ديموقراطية

ولا ينبغي ان نفرض ان ارسطاطاليس لم يصف لنا الا استحالة الحكومات فان الحكومة عند ارسطاطاليس صورة من صور الجماعة لا تنتقل ولا تستحيل الا بانتقال الجماعة واستحالتها

فارسطاطاليس اذاً هو الذي استكشف هذين الاصلين اصل الثبات وأصل الحركة اللذين تقوم عليهما فلسفة كونت الاجتماعية

نعم ان ارسطاطاليس لم يصفهما وصفاً علمياً مفصلاً ولم يُعطهما شكل القانون العام كما فعل اوجست كونت . ولكنه استكشفهما ووصفهما وصفاً واضحاً لا شك في أنه أعان كونت على وضع نظرياته المفصلة

فاليه اذاً يرجع الفضل في وضع علم الاجتماع

نلح في ذلك ونتشدد في اثباته لان هذا الاصل الثاني الذي لم يعترف به لارسطاطاليس هو أنفع الاصلين وأبقاهما فلم تظهر الى الآن نظرية اجتماعيـة تحاول انكار استحالة الجماعة وانتقالها من طور الى طور بل ما زال هذا الاصل نقطة التقاء علماء الاجتماع على اختلاف آرائهم ومذاهبهم

فاما الاصل الاول فليس له من البداهة نصيب مقبول . ذلك ان للاسرة نظاماً فيه شيء غير قليل من الترتيب والتنسيق . فالقول بان الاسرة هي الوحدة الاجتماعية لا يخلو من الاسراف والضعف لان التحليـل الصحيح يجب ان يستمر حتى يصل (ان كان هذا ممكناً) الى أبسط الوحدات وأشدها سذاجة وبعيد ما بين الاسرة وبين ذلك . بل نحن لا نشك في ان الاسرة كما يصفها ارسطاطاليس ليست اول طور اجتماعي من اطوار الانسان . وانما وصل اليها هذا الاجتماع بعد أنواع من الاستحالة والانتقال غير قليلة

لم يثبت ارسطاطاليس وجود هـذه الحالة الاجتماعية فحسب بل فصلها وحاول تفسيرها وأصاب في شيء كثير من ذلك فما زالت الفصول التي كتبها عن الثورات وسقوط النظم السياسية والاجتماعية لتقوم مقامها نُظُماً أخرى قيّمة جليلة الخطر

هناك شيء قد أخِـذَ به ارسطاطاليس وهو في رأينا وفي رأي كثير من المحدثين من أحسن الادلة على ما كان يمتاز به هذا العقل من قوة علمية ومن ميل الى الواقع الموجود . ذلك هو رأيه في الرق

كان ارسطاطاليس يرى ان الرق مشروع وانه نافع للعبد والسيد معاً نخيل الى كثيرمن الناس ان ارسطاطاليس كان من الدعاة الى الرق والحاثين عليه وكفى ذلك للقضاء على الفيلسوف بأنه خصم الحرية وعدوُّها . ولـكن الرجل كما قلنا لم يكن يقيم نظرياته العلمية في الهواء ولا يستمدها من الخيال وانما كان يقيمها في الخارج ويستمدها من الحقائق الواقعة . وقد كان الرق في عصره اصلا من اصول الاجتماع فلم يكن بد من الاعتراف به ولم يكن بد من تعليله لان شيئاً في هذا العالم لا يقع من غير ان تكون له علـة . وقد اعترف به ارسطاطاليس وبانه مشروع ورأى أن علة هذا الشرع هو ان طائفة من الناس قد منحت من الـكفاية المادية والمعنوية ما يجعلها أهلاً لان تأمر وطائفة أخرى قد حرمت هذه الـكفاية فهي مضطرة لان تُطيع وبان حسن الوفاق بين هاتين الطائفتين وقيام كل واحدة منها بما عليها من واجب شيء لا بد منه لحياة الاجتماع

فأي خطأ علمي في هذه النظرية وأين السبيل الى أخذ ارسطاطاليس بانه أقل من الفلاسفة المحدثين نصراً للحرية وميلا اليها . ولو أننا اردنا ان نستقصي الامر لوجدنا ان نظرية ارسطاطاليس ما زالت قائمة واقعة برغم ما كان من رقي المدنية ومن الاعتراف بكرامة الانسان .

فكل ما وصلنا اليه بعد عشرين قرناً انما هو ازالة الرق الشخصي (ان كنا قد وصلنا الى ذلك) فاما الرق الاجتماعي فما زال قائماً موجوداً والاستعمار أوضح مثال له وأقوى دليل عليه ولسنا نريد أن نعرض لاستعباد الطبقات بعضها بعضاً وان كان هذا الاستعباد صورة من صور الرق

الرق موجود وأكثر الفلاسفة عنه راضون . نعم ان هناك طائفة تنكره وتنصب الحرب له ولـكن من قرأ ارسطاطاليس عرف انه من اعداء الرق ومن الذين أعدوا لازالته والقضاء عليه . فهو يرى ان للرقيق شخصية خلقية تعدل شخصية سيده وان قتل الرقيق جناية تعدل قتل الحر وان الاساءة اليه جريمة تعدل الاساءة الى الحر . فلم يبقَ الا أن يستحيل الرقيق ويرتقي حتى يحصل من الـكفاية على ما حصل عليه سيده ليكون حراً مثله

على ان ارسطاطاليس كما قدمنا لم يدعُ الى الرق وانما اعترف به وبأنه مشروع ولو فعل غير ذلك لهدم قواعده العلمية

شيء آخر يميز ارسطاطاليس من افلاطون هو رأيه في السياسة فان حكومة افلاطون كما تمثلها الجمهورية انما هي حكومة حربيـة قبل كل شيء يرأسها الفلاسفة وتقوم على هدم الملـكية بل على هدم الزواج وجعل الاشياء حقاً مشتركا للناس جميعاً وجعل النساء شركة بين الرجال والرجال شركة بين النساء [١] وعلى الجملة هـدم الملكية ومحو صلات القرابة ومحو شخصية الفرد

ولئن كان إفلاطون قد استأنس في اقامة نظريته بشيء من النظم اليونانية الموجودة [٢] فهو قد أسرف في اتباع الخيال والانقياد له حتى اصبح كأنه قد خلق جمهوريته من لا شيء واصبحت جمهوريته غير قابلة للوجود الا في عالم الخيال

اما ارسطاطاليس فقد أراد ان يدرس الحكومة من حيث هي ظاهرة اجتماعية وأن يدرس الظواهر الاجتماعية كما درس الظواهر الطبيعية اي انه أراد ان لا يعتمد في هذا الدرس الا على الملاحظة فأثبت الملـكية ورأى أن شيوعها غير معقول التحقيق الا اذا استحالت النفس الانسانية فأصبحت فضيلة خالصة واثبت الزواج لان عليه تقوم الاسرة وعلى الاسرة تقوم المدنية . وانفق كل ما كان يملك من قوة في الجـدال والمناقشة ليهدم مذهب افلاطون وليبين عيوب الحـكومات التي اشتمل نظامها على شيء قليل أو كثير من الاشتراك

ثم استعرض صوَر الحـكومات الموجودة فوازن بينها واختار منها صورة مختلطة ليست بالملـكية التي يستبد فيها الفرد ولا بالديمقراطيـة التي تستبد فيها الجماعة ولا بالاقلية التي يستبد فيها نفر من الاشراف . وانما هي حكومة وسط تمثل جميع طبقات الشعب تمثيلا صحيحاً معقولا

وقد فصل ذلك ارسطاطاليس تفصيلاً كافياً ووضع له النظم والقواعد فمن شاء فليرجع اليها في كتاب السياسة . كل هذه اشياء لا تزال قيّمة يحتفظ بها الفلاسفة

(١) هذا رأي نراه ولا نشك في صحته وان كان غيرنا يزعم ان افلاطون قد كان يزدري النساء ويخصهن للرجال والحق فيما نعتقد انه كان يسوي بين الجنسين وانه لم يكن يريد ان يكون النساء شيئا مشتركا وانما كان يريد ان يهدم الزواج حتى لا يكون للشخص ولا للاسرة وجود امام وجود الجماعة السياسية . فالنساء شركة والرجال شركة

(٢) كنظم اسبارطة واقريطش

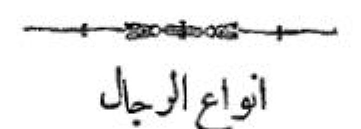
ويدرسونها . وهناك اشياء كثيرة لا تظهر فائدتها للفلاسفة ولكنها أساسية لا يستطيع التاريخ أن يستغني عنها بل لولاها لضاع قسم عظيم من اقسامه وهو التاريخ النظامي لمدن اليونان

فأنت ترى ان هذا الكتاب لا يزال جديداً قيماً مع انه قد بلغ من السن ثلاثة وعشرين قرناً ولئن لم يكن لنا أن نقول مثل ذلك في الاخلاق لان علم الاخلاق قد سلك طريقاً تكاد تغاير كل المغايرة طريق ارسطاطاليس فليس من شك في ان قسم المنطق والبيان لا يزالان يحفظان أكثر قيمتهما فقليل جداً ما اضاف العرب والاوربيون المحدثون الى منطق أرسطاطاليس . فاما بيانه وآراءه في الشعر والخطابة وفي الجدل والحوار فما زالت الى الآن قاعدة لدرس البيان الاوربي .

فكل هذا يدلنا على ان ارسطاطاليس لم يكن يشخص عصره الذي عاش فيه فحسب وانما كان يشخص الرقي الانساني من وجه عام

فآثاره العلمية تمتاز بخصلتين الاولى أنه مثل لنا تمثيلاً صحيحاً خلاصة الحياة العقلية القديمة والثانية انه وضع للحياة العقلية الجديدة أصولها وقواعدها ورسم للانسانية ما يجب أن تسلك الى الرقي من سبيل

الدكتور طه حسين
الاستاذ بالجامعة المصرية



انواع الرجال

قال الحكيم العربي :

الرجال ثلاث ـ عاقل وفاجر واحمق

فاما العاقل فالكرم شريعته والحكم طبيعته وحسن الرأي سجيته وان كلم اجاب وان نطق أصاب وان سمع العلم وعاه وان اطمأن اليه مطمئن رعاه

والفاجر ان ائتمنته خانك وان حازبته شانك وان علم العلم لم يتعلم وان ذكر بالله لم يتذكر وان وثقت به لم يرعك وان استكتم لم يكتم

والاحمق ان تكلم عجل وان حدث أوهم وان استنزل عن رأيه نزل وان حمل على قبيح ركبه وان حدث لم يفقه وان حدث لم ينبه

النبوغ المبكر

احداث دون العاشرة يأتون اعمالاً عجيبة

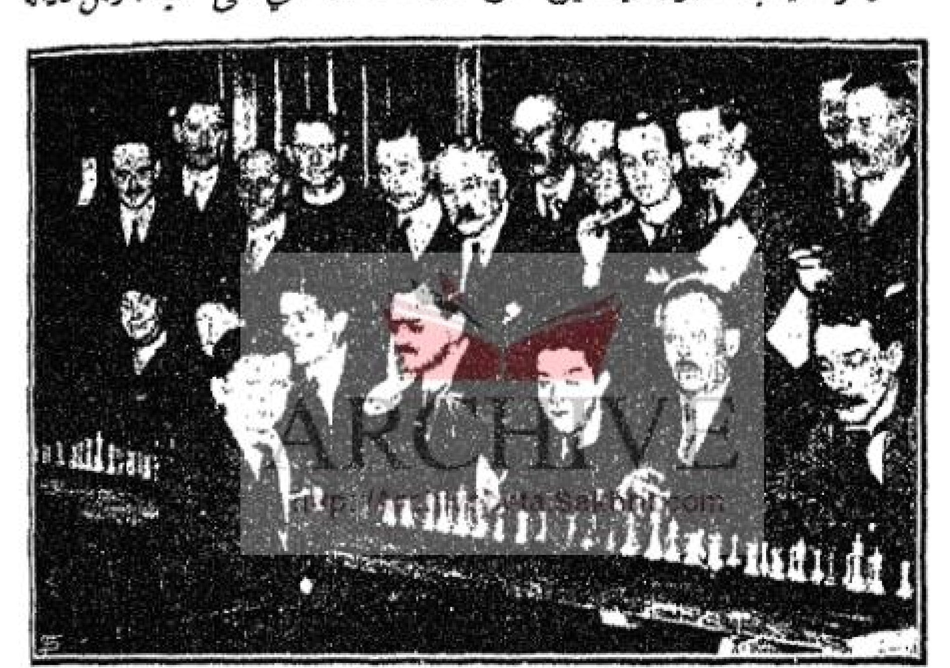
فتى في التاسعة من عمره يتنقل بين مدن اوربا وأميركا ويجتمع فيها باشهر لاعبي الشطرنج فيفوز عليهم مفردين ومجتمعين - حقاً انها لعجيبة يحار في تعليلها العقل ، فان الشطرنج كما لا يخفى احوج الالعاب الى التأمل والتفكير والبراعة فكيف يتسنى لفتى هذا عمره أن يفوز على كبار اللاعبين الذين صرفوا السنين الطويلة في أتقان هذا الفن والاحاطة باسراره وحيله

هذه هي المسئلة التي شغلت أخيراً الصحف والمجلات الغربية فنشرت المقالات عن هذا الفتى الخارق للطبيعة بقواه العقليـة . وقد عني بعض علماء النفس بتعليل تفوقه الغريب . واليك خلاصة وجيزة مما طالعناه في هذا الشأن :

عند نشوب الحرب الاخيرة كان هذا الفتى في مدينة لودز البولونية وكان والده صاحب تجارة فيها فلما أعلنت الحرب اضطر الى اقفال محله فكان يقضي جانباً من وقتـه في لعب الشطرنج مع أصدقائه . وكان ابنه - واسمه صموئيل رزيشفسكي - يراقب اللاعبين ويلاحظ خططهم بكل دقة وإمعان . فلما كان صيف سـنة ١٩١٧ وعمر الفتى اذ ذاك خمس سنوات طلب الى والده أن يأذن له بملاعبته ففعل ولم يمض اسبوع حتى فاز على والده وبعد ستة أشهر قضاها على هذا المنوال تمكن من الانتصار على أشهر لاعبي الشطرنج في بولندا . فلما عقدت الهدنة خطر للوالد أن يطوف بابنه في عواصم اوربا ويعرض مقدرته العجيبة على محبي الشطرنج . فساحت العائلة في بلغاريا ورومانيا وڤينا وبرلين والاستانة وباريس ولندن واميركا . وقد كان الفتى صموئيل يحوز الفوز أثر الفوز اثناء سياحته هذه مما دهش له الناس كل الدهشة . فانه لم يكتف بملاعبة غواة الشطرنج واحداً واحداً بل كان يجمعهم عشرة او عشرين او ثلاثين (وقد لاعب مرة خمسة وثلاثين دفعة واحـدة) وامام كل منهم جهاز كامل للعب الشطرنج فينازل الواحد بعد الآخر محركاً حجراً في كل مرة الى أن يصل الى آخرهم ثم يعود الى الاول فيدور دورة ثانية على الجميع وهكذا دواليك وكانت النتيجة في الغالب أن يفوز على الجميع الا واحداً او اثنين او ثلاثة

والغريب في هذا الفتى انه نبغ في لعب الشطرنج ولكنه فيما سوى ذلك لم يبد منه نبوغ وانما يقال عنه بوجه الاجمال من حيث جسمه وعقله انه فتى اعتيادي في التاسعة من عمره وهو لم يتعلم في المدارس ومعارفه دون معارف فتى متعلم من أهل هذا العصر ومعظم وقته يقضيه في اللعب واللهو . وأحب الاشياء اليه ركوب الدراجة والملاكمة . وخصمه في الملاكمة فتى من عمره نابغ في الضرب على الكمنجة اسمه صموئيل كرامر . وفي الغالب يكون الفائز منهما صموئيل رزيتشفسكي

وهو لا يحب الظهور ويتضايق من كثرة الاسئلة التي تلقى عليه . ومن عاداته



صموئيل رزيتشفسكي نابغة الشطرنج يلاعب بعض كبار الغواة

أثناء لعبه مع عدة لاعبين انه يأخذ في الصفير . وهو كثير التساهل مع أخصامه وكثيراً ما ينبههم الى الاغلاط التي يرتكبونها

بقي علينا أن نعلل هذه الموهبة فما السر يا ترى في هذا التفوق العجيب ? لقد عني علماء النفس في استقصاء هـذا السر وكان بعضهم قد بحث في امر فتى آخر نبغ في الشطرنج ايضاً اسمه مورفي (ولكن هذا الاخير لم يبدأ باللعب الا بعد السابعة من عمره) ومما لوحظ في امر نوابغ الشطرنج انهم في معظم الاحيان اما أن يكونوا دون الثانية عشرة او فوق السبعين ومن الغريب ان بعض النابغين في هذه اللعبة كانوا من قليلي الذكاء بل من الخاملين

ولكي نتوصل الى فهم هذا السر يجدر بنا ان نبين ما هي القوى اللازمة للبراعة في الشطرنج . فلكي يبرع اللاعب يجب أن يتوافر فيه شرطان أولان وها :

(١) أن يكون قوياً « الانتباه » يستطيع أن يحصر فكره فيما أمامه من دون أن يتنازع ذهنه عوامل خارجية وبذلك يتمكن من تصوّر مواقع الحجارة قبل أن يحركها . فكأن قوة الانتباه تسهل عليه تسبيق النظر أي تخيل الحالة أو الاحوال المتبدة بوضوح

(٢) أن يكون قوي « الذاكرة » حتى يتمكن من حفظ جميع الاختبارات الماضية وما كان من مواقف الحجارة ونتيجة بعض الحركات الخ . . وبذلك يتمكن من الاستفادة من معلوماته السالفة

فتى علمنا ذلك رأينا انه من السهل توافر هذين الشرطين في فتى دون العاشرة فان قوة الانتباه في تلك السن تكون قوية ولا تكون المشاغل والاعمال والمشاريع الكثيرة تتنازع الذهن كما هو الحال مع المتقدمين في السن . ويقال مثل ذلك في الذاكرة فانها في الصغر أشد حفظاً للحوادث والصور كما هو مشهور

***

رأينا فيما تقدم نوعاً من نبوغ الاطفال والاولاد . على ان هناك أنواعاً أخرى كثيرة وتعليلها أصعب من تعليل نبوغ الفتى المتقدم ذكره . فقد نبغ البعض في الادب ونبغ آخرون في التمثيل وغيرهم في الموسيقى الى غير ذلك . وقد نشرنا في الهلال الثاني من السنة الرابعة والعشرين مقالاً عن نبوغ الاولاد اوردنا فيه أمثلة كثيرة على الذكاء المفرط وفي مقدمتها نفرد ساكفيل ستون الفتاة التي نظمت الشعر الانكليزي وهي في الخامسة من عمرها . وأمامنا الآن عدة مقالات نشرتها الصحف والمجلات الانكليزية والاميركية ذكرت فيها اخباراً غريبة عن طائفة من الفتيان والفتيات نبغوا في الادب والفوا الكتب والقصص العجيبة وهم دون العاشرة من أعمارهم

فمن هؤلاء النوابغ الفتاة ديزي أشفورد الاميركية التي الف وهي في التاسعة من عمرها كتاباً حاز رواجاً كبيراً اسمه «الزائرون الصغار» ومثلها أيضاً هيلدا كونكلنغ. وقد ظهرت أخيراً رواية قامت لها الصحف وقعدت ألفها فتى في الحادية عشرة من

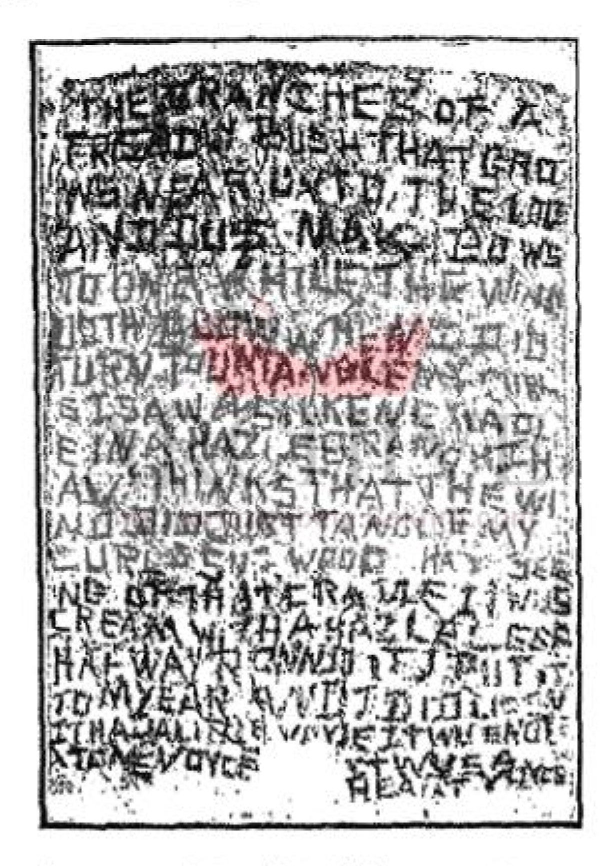


هوراس وايد
الذي الف كتاباً نفيساً في الحادية عشرة

عمره اسمه هوراس اتكيسن وايد (انظر صورته) . اما الكتاب فعنوانه « في ظل خطر عظيم » وقد قرظه كبار الناقدين أجمل تقريظ وأظهروا مزاياه الادبية الدالة على استعداد فطري عجيب

ولعل أغرب ما نذكره في هذا الصدد خبرفتاة كتبت « يومية » ضمنتها تأثرات نفسها الحساسة وهي في السادسة من عمرها وقد دهش الناس على أثر نشرها في مجلة « أتلانتيك » الامريكية وهي من امهات المجلات الادبية المعروفة . أما الفتاة فاسمها اليوم اوپال هوايلي وقد جاءت يوماً ــ منذ نحو سنة ــ الى محرر المجلة المذكورة وقدمت اليه كتاباً ألفته بغية نشره فلما اطلع المحرر على الكتاب لم يجد فيه شيئاً ذا قيمة ولكنه اعجب بذكاء السيدة وحدة ذهنها ووضوح ذاكرتها . وفي أثناء الحديث خطر له أن يسألها هل كتبت شيئاً في صغرها فأجابته: « نعم اني ما برحت منذ الخامسة من عمري اكتب يوميتي » فقال لها المحرر : « اذن فالذي يلزمني هو تلك اليومية

ولبس الكتاب الذي قدمته الي » فأجابته قائلة : « ولكن القسم الاول من هذه اليومية ممزق ــ مزقته صديقة لي على أثر خلاف قام بيني وبينها . ومع ذلك فقد حفظت القطع الممزقة في صندوق » فطلب اليها المحرر ان ترسل في طلب ذلك الصندوق فلما أتى شرعت صاحبته في تلصيق القطع لتكوّن منها صفحات وكان القسم الاول في اليومية مكتوبا بحروف كبيرة ــ كما يكتب الاطفال في أول تعليمهم (وقد نشرنا مثالا من تلك الصفحات) فلما فرغت من عملها أطلع المحرر على تلك اليومية وكان فرحه



صفحة من يومية الفتاة اوبال في السادسة من عمرها

بها عظيما لما فيها من الاوصاف الدقيقة والتأثرات الرقيقة ولاسيما تأثر تلك الفتاة من الطبيعة ومناظرها وما فيها من النبات والحيوان . وقد كانت تسمي بعض الحيوانات بأسماء خاصة وتذكر عنها القصص والنوادر الى غير ذلك مما كان له أعظم وقع في عالم الادب الانكليزي . وقد كتب اللورد غراي مقدمة للكتاب كلها اعجاب واطراء . ومن الذين احتفلوا به ايضاً المسيو بوانكاره والمسيو كليمنصو ولورد رايلي ولورد كرزن وغيرهم

وقد عرف القراء بلا ريب بواسطة السينماتوغراف فتياناً وفتيات يمثلون ببراعة فائقة أصعب الادوار التمثيلية . وفي فرنسا وانكلترا واميركا كثيرون من نوابغ التمثيل الصغيري السن يضيق المقام عن ذكرهم

كذلك لا يسمح لنا المقام بذكر شيء عن نوابغ الموسيقى والتصوير من الاحداث وهم كثيرون أيضاً [1] وانما نود أن نقول في الختام كلمة عن فتاة سورية (نشرنا صورتها هنا) بلغنا أنها كانت موضع اعجاب كل من عرفها فان هذه الفتاة واسمها بلانشت



بلانشت شويري الفتاة السورية النابغة في البيانو

شويري هي ابنة احد مهاجري السوريين الى البرازيل وأمها برازيلية الاصل وهي الآن في السادسة من عمرها وتحسن التكلم بالبورتغالية والفرنسية وقد برعت في الضرب على البيانو براعة فائقة حتى أن الذي يسمعها يخيل اليه انه يسمع استاذاً كبيراً قضى السنين الطويلة في تعلم هذا الفن

***

اوردنا فيما تقدم بعض الامثلة على النبوغ المبكر في الفن والادب . أما تعليلها فمن أصعب الامور ولا سيما بيان نصيب الفطرة من ذلك ونصيب التربية . وفي اعتقادنا ان النبوغ المبكر هو نتيجة استعداد فطري اكثر مما هو نتيجة التربية والتدريب .

(١) وقد برع البعض في الصناعة أيضا فقد ذكر سائح ان أولاد الهنود يصنعون أعجب المصنوعات قال : « أن قطعة عاج مشغولة من أغرب القطع التي رأيتها في حياتي صنعها ولد في السابعة من عمره »

القانون

نشأته وتطوره

يحافظ الوحشيون على عادات اسلافهم ولا يحيدون عنها . والمسنون منهم حملة القوانين المدنية والجنائية التي تلقوها عن آبائهم تلقيناً ويخلفونها الى ابنائهم كما ورثوها . وقد ظل العالم قروناً عديدة محكوماً بالعادات القديمة . بل لا تزال بعض القوانين الحديثة كالانكليزية خاضعة لسلطان العادات وعلى الاخص منها القانون التجاري فانه مع حداثته لا يعتمد الا على العادات المقررة

والعادات عبارة عن اعمال السلف وآرائه وحكمه على الاشياء وسلوكه في الحياة وكأني بالقوانين وهي مستمدة من العادات عبارة عن حكم الاموات للاحياء . بل ان في اتباع الاجيال المتأخرة لعادات الاجيال المتقدمة نوعاً مستتراً من عبادة السلف وتقديسه . واذا سأل سائل عن نص القانون في أمر من الامور فكأنه يسأل عن رأي آبائه وأجداده في هذا الامر

اننا لم نرث عمن تقدمونا طبائع اجسامهم ونفوسهم فقط وانما ورثنا أيضاً سننهم وشرائعهم وأوهامهم وطرائق حكمهم على الاشياء . وللقوانين المستمدة من هذه العناصر نفوذ كبير على مشاعر الوحشيين في كبح جماحهم . والاجيال المتمدنة وان ادخلت على قوانينها نصوصاً جديدة الا انها أسلس انقياداً واكثر احتراماً للقديم منها للجديد

والعادات في أول نشأتها غامضة ضعيفة قلقة غير محترمة . فاذا ما قدم عليها العهد رسخت واستقرت واندمجت في عداد القوانين فتقدست ولا يجرأ انسان بعد ذلك ان يهذبها أو يتناولها بنقد

وقد خلعت القوانين ثيابها البشرية واكتسبت اردية الهية حينما اعتقد الناس بعدم فناء الارواح وخلودها بعد الموت وتفوقها في القوة والعرفان وقدرتها على حل المعضلات

ويقول هربرت سبنسر ان بعض الارواح سمت وارتقت حتى تألهت فصارت آلهة عظيمة تعلم ما في الغيب وما تكنه العقول . وجدت بعد ذلك طرق عديدة

لاستفتاء الارواح واستنزال الوحي من الآلهة والاستضاءة بهديها . ولا يتسع المجال لشرح هذه الطرق . فاذا حدثت معضلة لا يعرف الشيوخ لها حلاً ابتهلوا الى آلهتهم وتضرعوا اليها حتى تلهمهم الصواب وتمدهم بنور من علمها . وما يوحى به في اليقظة او في المنام يعد قانوناً مقدساً وشريعة الهية كالوحي الذي تلقاه راشوتمت فرعون مصر عن والده في المنام . وجلس تحوتمس الرابع يوماً في وقت القيلولة مستظلاً بابي الهول فاخذته سنة من النوم فظهر له هذا الاله العظيم وخاطبه قائلاً : انظر اليَّ واصغ الى ما أقول واصدع بما آمرك به . . . . . الخ. وحينما صعد تحوتمس الى العرش وجلس على ملك مصر عمل بما أنزل عليه

ومن المعلوم ان اليهود تلقوا شريعتهم من عند الله . وقانون مانو لدى الهنود متصف بانه إلهي . وقدماء اليونان يعتقدون ان قوانينهم كانت موجودة في الجبل المدفون فيه جوبيتر وان أحد ملوكهم استحضره من هناك والقانون الروماني تلقاه نوماً عن الالهة أجيريا

ان القوانين الالهية أعظم سلطاناً في زجر النفوس عن غيها وتوطيد السلام العام من القوانين الوضعية وذلك لا لان الناس يرهبونها ويذوبون هولاً وفزعاً من عقابها بل لانها عقبة كؤود وحائل منيع في طريق الاستبداد وعقال متين تتقيد به سلطة الملوك والامراء اذ لا يجرأون على مخالفة القوانين الالهية ولا يستطيعون تغييرها ولا يزيدون عليها شيئاً الا في ما لم يرد عليه نص ولا يملكون منها غير التفسير والتأويل . ففي تاريخ مصر القديم نجد ان حقوق الملك وواجباته لم تكن موكولة اليه يتلاعب فيها كما يهوى وانما كانت قائمة على قواعد متينة استنتها حكمة أسلافه الاقدمين مراعين فيها رفاهية الملك وهناء الرعية . والشريعة الاسلامية كانت الحائل الوحيد في القرون المظلمة دون الاستبداد بالرعية والقلعة الحصينة التي تحتمي فيها الحقوق من ظلم الامراء الغشومين

غير أن هذه القوانين بطبيعتها جامدة لا تلينها الحوادث ولا يغيرها كر العصور ولا تستطيع متابعة الامم في تطوراتها الاجتماعية والاقتصادية خصوصاً في القرون الحديثة لان الترقي في الايام الماضية كان بطيئاً لا يدعو الى تغيير كبير في القوانين . أما الآن فالتطور سريع والحاجة ماسة الى تحوير القوانين في فترات متقاربة لتكون دائماً ملائمة للصناعة الحديثة التي قال عنها أوجست كونت وكارل ماركس انها تدعو

بطبيعتها الى الطفرة في القوانين وتستلزم قلب الانظمة فجأة لانها لا ترى فيها كمالاً بل لا تعترف بوجود الكمال

ولدرء خطر الجمود عن الشرائع الالهية يلجأ الفقهاء الى التأويل والتحريف والى ما يسمونه بالحيل الشرعية كما كان يفعل فقهاء القانون الروماني فانهم مع احترامهم له وتقديسهم اياه ومحافظتهم على لفظه توصلوا بطرق شتى لا سبيل لشرحها الآن الى نسخ بعض أحكامه وتعديل أخرى وادخال أحكام جديدة عليه . ولزيادة الايضاح نضرب مثلاً وهو أن القانون الروماني يبيح للرجل أن يوصي بجميع أمواله ويحرم أولاده من ميراثه . الا أن هذا الحكم بتداول الازمان عليه فقد ملاءمته للعباد . ولكن من المحال تغييره جهاراً فلجأوا الى الحيلة وذلك أنهم يبطلون كل وصية من هذا القبيل بحجة أن الموصي مجنون أو معتوه ولو كان في الواقع عاقلاً . وبامثال هذه الوسيلة أمكن القانون الروماني أن يرافق روما في سيرها الى أن اصيبت بالجمود وادركها الانحطاط فجمعت الاحكام وحرمت على الفقهاء أن يزيدوا عليها شيئاً لا خفية ولا جهاراً

ونهج الفقهاء بالشريعة الاسلامية الطريق الذي سلكه القانون الروماني ووصلوا بها الى نفس الغاية التي انتهت اليها الشريعة الرومانية فاستعانوا بالقياس على نحت الاحكام واستنباط القوانين ووجدوا من الاساليب القرآنية وما فيها من مجاز واستعارة ومزجها الدين والعبادات بالفقه والمعاملات خير وسيلة على قضاء مهمتهم . واذا تباين العرف والقرآن حملوا النص الشريف على المجاز أو حرفوه الى الندب والجواز . وأتوا بالاحاديث النبوية فيما لم يرد عليه حكم في كتاب الله وجعلوا سكوت الرسول عن بعض الامور رضاه منه بها وبنوا عليه أحكاماً كثيرة . والتبست بعض الحكم القديمة والامثال المأثورة والاحاديث المكذوبة بالاحاديث الصحيحة فادخلوها جميعاً في أصول التشريع . وبهذه الوسائل كانت الشريعة تسير مع البلاد الاسلامية في تطورها الاجتماعي والاقتصادي . ولكن حينما خيم الظلام على الامم الاسلامية وانتابتها الآفات السياسية والاجتماعية واستغرقت في نوم عميق جمع الفقهاء ماخلفه لهم أسلافهم المجتهدون من أحكام الشريعة وحرموا على انفسهم وعلى أعقابهم من بعدهم أن يدخلوا عليه شيئاً حتى جف معين الشريعة وفقدت مرونتها القديمة وظلت على هذه الحال الى أن زار بالبلاد نذير المدنية الغربية فاطار من جفونها النعاس واهتزت أعصابها

فزعاً وأخذت تستجمع قواها للنهوض فمدت يدها الى العلماء لعلهم يعينوها ويبودوا الى الشريعة شبابها فلم يفعلوا . ولم يسع مصر في ذاك الوقت الا أن مزقت رداء الشريعة والفقه عن كتفيها ولم تستبق منه الا الجزء الخاص بالاحوال الشخصية . وان لم يعدل الفقهاء عن جمودهم ويضعوا للاحوال الشخصية احكاماً توافق روح العصر الحديث وتتمشى معه تمزق هذا الجزء أيضاً واستعاض عنه الشارع بقانون وضعي ولا يمنعه الان عن ذلك الا حياؤه الطبيعي واعتقاده أن طلاب الاصلاح لا يمثلون الا كثرية . فاذا ما اعتقد يوماً أن تيار الاصلاح لا يرد وان سيله جارف وان الفقهاء لا يحيدون عن خطتهم اطلق لنفسه الحرية وفتح باب الاصلاح على مصراعيه

ومجمل القول أن مصادر القوانين أربعة العادة والدين وارادة الامير الحاكم والرأي العام . وقد انتهى بنا الكلام على الاول والثاني ولا نجد داعياً الى افاضة القول بالنسبة للثالث والرابع لان أمرهما ظاهر معلوم ولان في عدة مواضع استطرد بنا البحث الى التعرض لهما . ونكتفي بالقول انه لم يخل عصر من وجود قوانين سنها الملك او الرئيس بمحض ارادته واخرى اوحى بها الشعور العام واقتضته مصلحة الامة

انه لا يحسن بالرئيس ان يتمادى في املاء ارادته على الامة وخليق به ان يتريث للحوادث ويستطلع الرأي العام ويراعي ما خلفه له الماضي من ميراث أدبي ومادي ولا يسن قوانين طفرية الا لضرورة مثل ثورة سياسية يريد اطفاءها أو ضائقة اقتصادية يحاول تفريجها . فاذا أطلق لنفسه العنان وجمحت به الارادة وتحدى الماضي وابتكر قوانين لا تلتئم مع العادات ولا يقبلها الذوق العام فقد أعلن حرباً شعواء على الامة ان لم يتخذ لمناضلتها أسلحة ماضية من البطش والارهاب فالهزيمة مؤكدة له ولقوانينه

وليس أدعى الى الاستخفاف بالقانون والاخلال بالامن العام من أن تستعير أمة قانون أمة اخرى على ما بين الامتين من فروق تاريخية وجنسية وأخلاقية كما فعلت مصر في استعانتها بالقانون الفرنسي . فانه على الرغم من صلاحيته لفرنسا أخفق في مصر واضطر الشارع أن ينقح قانون العقوبات في سنة ١٩٠٤ ومع ذلك لا يزال عاجزاً عن القيام بوظيفته . فكم من مجرم افلت من يد القضاء وكم من جناية أسدل عليها الستار لعدم اكتشاف مرتكبيها . وليس أضر على السلام العام من أن يترك المجرم يتمتع بثمرة جريمته

ان الشارع غير قابض على ناصية الامة وليس بالمهيمن على تطورها يرقبها ولا يمكنه أن يتنبأ بما يكنه المستقبل وما سيصل اليه التطور الاجتماعي والاقتصادي لأن التطور لا يتبع في سيره منحنياً مركز دائرة معروف حتى يتسنى للشارع أن يحده ويقف على أسرار مستقبله وانما هو سائر على خط متعرج لا يدرى له اتجاه ولا يدرك له غاية . واذن فلا يسوغ للشارع أن يعتقد أن بتقنينه انما يقنن للحال والمستقبل وان في قدرته أن يقيد الاجيال القادمة بوثاق لا انفصام له فانه لو اعتقد هذا لجر على نفسه وامته مصائب كثيرة من ثورات سياسية واجتماعية أو جمود مميت

ويجب عليه اذا رأى قانوناً دلت التجارب على فساده وقضت عليه بالاهمال فالموت أن لا يحتفظ به في عداد القوانين وأن يسقطه منها . فما أشبه المواد القانونية بالاسلحة النارية والمجموعات القانونية بمستودعات الذخيرة بها نار مستترة تلتهم النفوس اذا انفجرت فلا يحسن تكديسها وترك المهمل منها مع المعمول به اذ من يدرينا أن الميت لا يبعث من قبره ويصلي الاحياء ناراً مستعرة

من هذا البيان التاريخي يتضح أن القانون غير قائم على فكرة العدل بين الناس فان أساسه العادة التي ترتكز في نشأتها وحياتها على القوة وتسلط فئة من الامة على الفئات الاخرى إما بكثرة عددها أو وفرة مالها أو تفوقها الحربي أو الادبي. واذا رجعنا الى القوانين القديمة وجدناها مملوءة بالاجحاف والفيناها حليفة الاقوياء وعدوة الضعفاء تنصر القوي وتخذل الضعيف ولا تعرف العدل كأنها عملت خصيصاً لتزيد الاقوياء قوة والضعفاء ضعفاً . ولا تزال هذه الصفة لاصقة بالقوانين الحديثة على الرغم من ابتعاد الانسانية عن الوحشية واكتساء قلبها بغشاء من الرأفة والرحمة. ومن الوهم الكاذب أن يعتقد الناس بعدل القانون وانهم أمامه سواء وان الضعيف قوي حتى يسترد حقه وان القوي ضعيف حتى يؤخذ منه ما اغتصبه

يحابي القانون الفئة القابضة على أزمة الحكم ويتعقب اخصامها ويمطرهم وابلاً من الظلم والاضطهاد حتى اذا ما فازوا وصعدوا الى منصة الحكم تزلف اليهم القانون وهو هو لم يتغير واظلهم بحمايته واسبغ عليهم نعمه وانقلب على الفئة الاولى سوط عذاب . فتراه ملوكياً يقدس الملوكية ويحيطها بسياج متين اذا كان على رأس الحكومة ملك وجمهورياً يصلي الملوكيين نار الجحيم ويتفانى في خدمة الجمهوريين اذا فازوا بقلب نظام الحكومة

واذا اغتصب شخص ملك غيره وظل محتفظاً مدة مخصوصة من الزمن. يحترمه القانون ويعتبره مالكاً . واذا اقترف انسان جريمة وكان من القوة بحيث لا يمكن رجال الحكومة من القبض عليه يصبح بعد سنين معلومة بريئاً لا عقاب عليه . واذا منع بقوته أو بدهائه تنفيذ حكم صدر ضده واستمر على ذلك مدة فلا ينفذ عليه أبداً

ان القانون لا يسير من تلقاء نفسه ولا يعمل الا بمحرك فاذا كان المظلوم عاجزاً عن تحريكه بان كان فقيراً لا يقدر على دفع الرسوم القضائية أو ضعيفاً لا يجد من ينتصر له ويشهد لصالحه ضاعت مظالمته وهضم حقه

ومن القواعد القانونية المشهورة أن العقد قانون المتعاقدين ومعنى هذه القاعدة أن القانون يحترم ارادة الاقوى من المتعاقدين لان العقد وان كان ظاهره يدل على انه تم برضا الطرفين غير انه في الحقيقة املاء من أحدهما على الاخر ولا يسع المضطر منهما الا الرضوخ

والمجالس التشريعية التي تسن القوانين وتشرف على النظام العام لا تعمل الا برأي الاكثرية ولا تصغي الى الاقلية وذلك لا لان الاكثرية على الحق والاقلية في ضلال وانما لان الاكثرية هي الاقوى فتصبح ارادتها قانوناً تلزم به الاقلية على الرغم منها

وقد كان حظ العمال في البلاد الاوربية ولا يزال حظهم لدينا سيئاً . وكان لاصحاب الاموال الكلمة العليا والقول المسموع في كل ما يشجر بينهم وبين العمال من خلاف لان لهم الاغلبية في مجالس التحكيم . وكان لصاحب المال أن يطرد عامله متى شاء غير ملزم بتعويض ما وان يستخدم الاطفال ويرهقهم تعباً وان ينفرد في تقدير الاجور وتحديد ساعات العمل . وكان الاضراب عن العمل جريمة يعاقب عليها القانون

ولم تحسن حالة العمال الا بعد ان أصبح حق الانتفاع عاماً وصار لهم نواب في المجالس التشريعية يدافعون عن مصالحهم ويستميلون القانون لجانبهم. ومما زاد في قوتهم وأرغم أصحاب الاموال على التساهل معهم الاعتراف لهم بحقهم في الاضراب عن العمل وتأليف النقابات الصناعية التي تعولهم وتأخذ بناصرهم كلما اختلفوا مع أصحاب الاموال وقرروا ترك العمل كسلاح يدافعون به عن مصالحهم ويكتسبون به حقوقاً جديدة . وقد أصبحت النقابات الصناعية من القوة بحيث صار لها ضلع في ادارة المعامل وأصبحت تتعاقد باسم العمال قرناً لقرن مع أصحاب الاموال بعد ان كان العامل وحده وهو أعزل من السلاح يتعاقد مع صاحب المال فيستبد هذا به ويملي عليه شروطه .

ولقد وصلت قوة العمال في ايطاليا الى انهم وضعوا أيديهم على المعامل عنوة وأداروها حينما شعروا بان أصحابها سيقفلونها ليمنعوهم من العمل بغية تجويعهم. ولم تصدهم الحكومة بل اقرتهم واعترفت باحقيتهم في ذلك

وكان شأن العمال عندنا مهملا لا تستمع لهم الحكومة ولا تنظر في أمرهم ولم تهتم بهم الا بعد ان اظهروا لها قوتهم

من المحال أن يكون القانون في موقف المنصف العادل لانه سلاح ماض يتجاذبه الاخصام ولا يأخذه الا الاقوى ليطعن به عدوه . وليس للضعيف من سبيل الى اعلاء شأنه الا بصيرورته قوياً

عبده البرقوقي

دكتور في الحقوق

يا دهر

أطلت يا دهر نحسي	متى تجود بسعدي
فقد تضاءل صبري	كما تعاظم وجدي
فان تعشقت هنداً	منحتني وصل دعد
وان تعشقت دعداً	منحتني وصل هند
أما تعوّدت الا	بان تجود بضدّ
اني أريد عدوّي	فهات بعض أوُدّي
وجُد عليَّ بوصل	فقد رضيت بصدّ
كلا فان مقالي	هزل وليس بجد
بل انت أحقر عندي	من ان تجود وتجدي
اني وان كنت أشقى	باوجه منك رُبْد
ربأت عنك بذمي	كما ربأت بحمدي
اذ لست انت بكفوي	ولست انت بندّي
لو كنت يا دهر حراً	وجئت تخدم عندي
لما ارتضيتك عبداً	ولا عبيداً لعبدي
فكيف أرضاك عبداً	وانت أوغد وغد

معروف الرصافي

ولقد وصلت قوة العمال في ايطاليا الى انهم وضعوا أيديهم على المعامل عنوة وأداروها حينما شعروا بان أصحابها سيقفلونها ليمنعوهم من العمل بغية تجويعهم. ولم تصدمهم الحكومة بل اقرتهم واعترفت باحقيتهم في ذلك

وكان شأن العمال عندنا مهملا لا تستمع لهم الحكومة ولا تنظر في أمرهم ولم تهتم بهم الا بعد ان اظهروا لها قوتهم

من المحال أن يكون القانون في موقف المنصف العادل لانه سلاح ماضٍ يتجاذبه الاخصام ولا يأخذه الا الاقوى ليطعن به عدوه . وليس للضعيف من سبيل الى اعلاء شأنه الا بصيرورته قوياً

عبده البرقوقي

دكتور في الحقوق

يا دهر

أطلت يا دهر نحسي	متى تجود بسعدي
فقد تضاءل صبري	كما تعاظم وجدي
فان تعشقت هنداً	منحتني وصل دعد
وان تعشقت دعداً	منحتني وصل هند
أما تعوّدت الا	بان تجود بضدّ
اني أريد عدوّي	فهات بعض أودّي
وجُد عليَّ بوصل	فقد رضيت بصدّ
كلا فان مقالي	هزل وليس بجد
بل انت أحقر عندي	من ان تجود وتجدي
اني وان كنت أشقى	باوجه منك رُبْد
ربأت عنك بذمي	كما ربأت بحمدي
اذ لست انت بكفوي	ولست انت بندّي
لو كنت يا دهر حراً	وجئت تخدم عندي
لما ارتضيتك عبداً	ولا عبيداً لعبدي
فكيف أرضاك عبداً	وانت أوغد وغد

معروف الرصافي

منشودتي

يا أيها الطيار فوق الغمام ... بالله هل صادفت منشودتي ؟

منشودتي تسكن قصر الصباح ... على رصيف الافق تهوى المسير
تلبس من قطن الغيوم الوشاح ... على قميص من حرير الاثير
وعندما يرخي ستار الظلام ... تلوح في الجوزاء منشودتي

* * *

يا أيها الغواص تحت البحار ... قل لي أما صادفت جنيتي

جنيتي مكنونة في الصدف ... في قاع بحر الهند تهوى المقر
لم تحوها « باريس » بين التحف ... كلا ولا « رومة » بين الصور
من نورها يشتق نور النهار ... والحسن من احسان جنيتي

* * *

يا فلكياً باحثاً في السماء ... هل لمحت عيناك حوريتي

حوريتي فوق محل الشموس ... عائمة في لجة من سديم
ترشف كالخمر اماني النفوس ... تستنشق الارواح مثل النسيم
قلب الثريا خافق في الفضاء ... وجداً ، على أقدام حوريتي

* * *

يا أيها الجراح يفري الصدور ... لي عندك البشرى بأمنيتي

امنيتي مخبوءة في القلوب ... رائعة تحت ظلال الخيال
وهي التي تلقي رداء الشحوب ... تعويذة فوق رسوم الجمال
اوصيك لا تهتك حجاب الضمير ... صونا لخدر فيه امنيتي

الشاعر القروي

ظواهر الغلاء

واضطراب النسبة بين الاسعار والمسعرات

ارتفاع النسبة

من مقارنة حالة الاسعار الاخيرة بحالة الاسعار قبل الحرب تجد ان معظم الاشياء تضاعفت أسعارها (بالنسبة الى النقد) اربعة أضعاف وقلَّ منها ما زاد ضعفين فقط او ثلاثة أضعاف وندر ما زاد ثمنه على اربعة اضعاف . أما الاجور والرواتب والماهيات فما زادت على الضعفين الا نادراً وقليلاً . وأما الارباح التجارية فلا قياس لها كما هو معلوم. هذا في مصر والارجح ان هذه المقارنة تصح في غير مصر أيضاً ولا يكون ثمت خلاف الا في مقدار تضاعف الاسعار

فينتج من ذلك أمران :

الاول ان قيمة النقد انحطت عن قيمة الاشياء وقيمة الاجور على الاقل الى نصفها ومعدل انحطاطها الى الثلث تقريباً

والثاني ان قيمة الاشياء لم ترتفع بالنسبة الى النقد فقط بل ارتفعت بالنسبة الى الاجور أيضاً وهذا هو الغلاء الحقيقي

ومعنى ذلك اولاً ان النسبة بين النقد والاشياء تغيرت عنها في الماضي . وثانياً ان النسبة بين الاشياء والاجور تغيرت أيضاً

اسباب اختلاف النسبة

ووجهتنا في هذه المقالة ان نبحث في سبب اختلاف هذه النسبة

لما شبت الحرب حدث فجاءة تطورات اقتصادية خطيرة الشأن قلبت كيان الموازنة بين الاسعار والمسعرات وبين الاشياء ذوات القيمة وجعلت بحر العالم الاقتصادي مضطرباً متلاطم الامواج . واليك بيان هذه التطورات

اولاً ان عدداً عظيماً من الرجال العاملين انقطعوا عن العمل في انتاج الاشياء ذات القيمة وانتظموا في صفوف القتال

ثانياً ان كثيراً من المعامل تحولت من معامل انتاج الى معامل سلاح وذخيرة

ثالثاً ان كثيراً من المواد (الخام) الاولية التي كانت تصنع للانتاج صنعت

للحرب اي للاتلاف والتدمير . فانعكست فائدتها الاقتصادية والعمرانية

فهذه التطورات الثلاثة افضت الى اقلال الانتاج جداً

رابعاً ان وسائل النقل كالسفن والسكك الحديدية ونحوها انشغل جانب كبير منها في نقل الجنود والمعدات الحربية الخ . ناهيك عما غرق من السفن التجارية العديدة. فمن جهة قلّ نقل الحاصلات والبضائع عن المعتاد وبالتالي تعرقلت الحركة التجارية اي تعرقل . ومن جهة اخرى لما قلّ نقل البضائع ولا سيما نقل المواد (الخام) الاولية اللازمة للصناعة تعرقلت الحركة الصناعية ايضاً حتى في البلاد غير المحاربة . وكان من نتائج هذه العرقلة وتلك ايضاً ان تعطل جانب من الايدي العاملة في البلاد المحايدة. من أمثلة ذلك أن بلاد العجم وما جاورها من البلدان التي اعتادت ان تصدر مقداراً كبيراً من السجاد الى العالم لم يعد في امكانها أن تصدر شيئاً لعدم وجود وسائل النقل فالشلت هذه الصناعة مدة خمس سنين . وقس على العجم غيرها من بلدان الشرق . فهذا سبب آخر لاقلال الانتاج . فضلا عن أسباب اخرى ثانوية ضربنا عنها صفحاً تحاشياً للتطويل . وكذلك هذا سبب آخر لحط قيمة العمل في بعض الاماكن لان العامل الذي يقفل باب مسترزقه يضطر ان يسترزق من اي باب آخر مهما كان اجره طفيفاً تفادياً الموت جوعاً

خامساً أن كثيراً من الاراضي والعقارات التي كانت تغل غلالا واجوراً للسكن تعطلت ولم تعد تغل . فبعضها تعطل بسبب الحرب نفسها اذ أصبح ميادين قتال ومواضع تحرك الجيوش وزحفها . وبعضها تعطل لقلة الايدي العاملة بسبب تعرقل الحركة العملية نفسها كما حدث في سوريا وارمينيا وسائر تركيا وبعض بلاد الشرق

فهذا وجه آخر من وجوه قلة الانتاج كما لا يخفى . وبالطبع اذا قلّ الانتاج وشحت السلع انحطت الدرجة المعاشية في العالم واشرف المعمور على المجاعة . وما انقذ العالم من المجاعة الا لأنه كان مفعماً قبل الحرب بما فضل واكتنز فيه من مصنوعات السنين السابقة وحاصلاتها زائداً عن حاجة الناس الى الاستهلاك . فكان العالم في مدة الحرب يعوض ما نقص من انتاجه مما كنزه من فضلات السنين الغابرة . ولولا تلك الفضلات لانتشرت المجاعة في معظم البلاد المحاربة وغيرها منذ ثانية سني الحرب . وعندي ان الحرب لم تنته الا لان أسواق العالم اوشكت أن تفرغ من السلع . ولو بقيت الاسواق غنية بها لطال أمد الحرب مدة بقاء غنى الاسواق

اعتقد ذلك لان حرباً هائلة واسعة النطاق كهذه كادت تشغل نصف المعمور لا تحسمها معارك فاصلة وانما يحسمها تلاشي القوة بتلاشي المؤن والحاجيات اللازمة للامم جمعاء

فبعد بيان هذه الوجوه الخمسة لا تعجب اذا ارتفعت قيمة السلع والاشياء عن قيمة الاجور . وكان من نتيجة هذا ان انحطت قيمة التمتع عن قيمة العمل حتى صار سواد الناس يقترون في نفقاتهم لكي يستطيعوا أن يعيشوا . وكذلك لا تعجب اذا اضطربت الموازنة السابقة بين « ركني » السلع والنقل من جهة وبين « ركني » العمل والتمتع من جهة أخرى

سادساً أضف الى أسباب اضطراب هذه الموازنة سبباً آخر عظيم الشأن وربما كان اهم عامل من عوامل هذا الاضطراب الاقتصادي الهائل وهو تدفق النقد في الاسواق بصورة العملة الورقية من جهة وبصورة سندات القروض من جهة أخرى. فلا يخفى ان اكتظاظ أسواق معظم الممالك ولاسيما المحاربة منها بالاوراق المالية وبالاخص العملة الورقية روَّج حركة المقايضة (البيع والشراء) بعض الترويج ولكنه من جهة أخرى أفسد نظام الاسواق التجارية اي افساد (كما سيرد بيانه) وزاد اضطراب العالم الاقتصادي اضعاف اضطرابه بالاسباب الخمس السابقة . فكان كالعاصفة التي هبت على البحر الهادىء فهاجته وجعلت امواجه كالجبال والاودية

واذا وفر النقد جداً وشح الانتاج جداً فماذا تنتظر غير ارتفاع الاسعار الفاحش ؟ وما هو معنى ارتفاع الاسعار غير هبوط قيمة النقد ؟ . لم تهبط قيمة النقد بقدر ارتفاع اسعار السلع فقط بحيث يبقى موازناً لقيمة العمل بل هبطت عن قيمة العمل نفسه نحو النصف حتى ظهر لك ان العمل أيضاً غلا . والحقيقة ان العمل رخص جداً . لأن الحاجيات ارتفعت أكثر منه . وانما النقد رخص أكثر من العمل فبان هـذا غالياً بالنسبة اليه . فوفرة النقد الورقي في السوق جاءت للاضطراب الاقتصادي ضغثاً على ابالة

ولا بدع أن يرخص النقد هذا الرخص لان النقد بحد نفسه ليس سلعة ذات قيمة لايمكن استهلاكها في سبيل التمتع بل هو شيء يمثل القيمة فقط كما هو معلوم . ولذلك فالنقود الورقية وغيرها التي تدفقت الى السوق لم تزد ثروة العالم ولا اكثرت السلع في أسواقه . وما هي بالحقيقة الا سندات ديون على الحكومات التي اصدرتها للاشخاص

الذين يتداولونها ولكي تستطيع الحكومات استخراجها من السوق واتلافها يجب ان تستردها ضرائب ، ولكي تستطيع ان تستردها ضرائب بهذه الكيفية يجب أن تجبي من الضرائب أكثر مما تنفق حتى يتسنى لها أن تتلف من الورق المجبي ما زاد عن النفقة . وبهذه الطريقة يكون الاهالي موفين هذا النوع من الدين . والا فان قيمة الورق تنحط تدريجاً حتى تكاد تقارب الصفر ويخسره متداولوه . ومن يدري كيف تفعل الحكومات حتى تتخلص من هذا الورق الذي ملأ الدنيا

فساد النظام التجاري

أشرنا آنفاً الى فساد النظام التجاري واضطراب الاسواق بسبب تدفق النقد الورقي من جهة واختلال حركتي النقل والعمل من جهة أخرى . ونحن نعني بهذا الفساد تقلقل التوازن التجاري المعروف . ففي أيام السلم واعتدال الاحوال تمشي الحركة التجارية والحركة الصناعية على قواعد ثابتة وهي أن مصادر الانتاج لا تصدر الا بقدر الطلب مخافة الكساد . والاسواق لا تطلب من الانتاج الا بقدر ما تفرغ من السلع حاصلات ومصنوعات . ولذلك تبقى الاسعار متناسبة بين المنتج والتاجر والمستهلك . ومهما اضطربت الاسعار فلا تبتعد عن المعدل المتوسط كثيراً ولا تلبث أن تعود الى حالتها الطبيعية . وهكذا تبقى النسبة بين النقد والسلع والاجور متوازنة وان تقلقلت قليلاً ولا بد أن تعود الى اعتدالها . وبناء على ذلك تكون ارباح التجار معتدلة والاجور والمكافآت متناسبة

تلك كانت الحالة في أيام السلم . ولكن لما فاجأت الحرب العالم واضطربت الحالة الاقتصادية اضطرابها المعلوم بسبب نقص الانتاج وتدفق النقد كما تقدم شرحه وهنت تلك القواعد التجارية تحت ضغط الشهوات النفسية في العالم اذ سنحت الفرصة لكل تاجر ان يغنم فرص الربح النادرة المثال . فمن كان عنده بضاعة تشبث بها وطلب ثمنها باهظاً حتى ولو كان له مناظرون فيها ومزاحمون لانه ادرك ان السوق متى فرغت من الصنف فهيهات أن تمتلىء ثانية ما دامت الحرب ناشبة . ومن كان عنده مال اندفع بماله يشتري بضاعة طامعاً بارتفاع الاسعار . حتى من لم يكن تاجراً اذا كان ذا مال صار تاجراً . وكذلك فعل المنتج من صاحب معمل أو زارع الخ . وهكذا اندفع الناس بحكم القدوة في تفضيل السلع على النقد وتهافتوا الى الشراء قبل البيع . وكانت النتيجة انه لم يعد يعرف من قاعدة للاسعار ولا من نسبة بين النقد والسلع . وضاع قياس

الربح والخسارة . فربح كثيرون ارباحاً باهظة وخسر كثيرون خسائر جمة . وبسبب ارتفاع أسعار الحاجيات وتأخر ارتفاع الاجور انضنك جانب من العامة بسبب الغلاء . اما ارتفاع الاجور فتأخر جداً عن ارتفاع اسعار الاشياء وسببه الوهم السائد وهو ان النقد لم يزل محافظاً على قيمته الاصلية . وما أدرك الجمهور أن النقد لا قيمة حقيقية له وأن قيمته اسمية فقط وان معنى ارتفاع أسعار الاشياء أنما هو هبوط قيمة النقد . هذا فضلا عن ان شدة الحاجة الى العمل لم تظهر الا متأخرة أيضاً

فترى مما تقدم ان ارتفاع الاسعار أو الغلاء الحقيقي لم يكن سببه قلة الانتاج فقط بل تسني فرص ملائمة لطمع الرابحين . ولهذا كانت الاسواق تسكن حيناً وتثور أخرى وترتفع تارة وتهبط أخرى بالرغم من اطراد الارتفاع

الغلاء الحقيقي والغلاء الظاهري

بعد بيان الاسباب الآنفة للاضطراب الاقتصادي ثبت امران جوهريان : الاول انه يوجد غلاء حقيقي بدليل ان بعض فئات الناس لا تستطيع الآن أن تعيش بدرجة معيشتها السابقة بل تضطر ان تقتر وتختصر في نفقاتها

والثاني ان هذا الغلاء الذي نراه ليس كله غلاء حقيقياً بالنسبة الى التمتع والى العمل وأنما بعضه ظاهري وهمي حدث من هبوط قيمة النقد دون قيمة العمل

وهنا يلوح في البال هذا السؤال : — ما هو مقدار الغلاء اذاً ؟ وهل هو عام أو خاص ؟ وما هي مواضعه ؟

وموعدنا بذلك العدد القادم نقولا الحداد

الى حضرات المشتركين

نظر ألما يقع احياناً من فقد أجزاء الهلال في البريد رأينا أن نلفت أنظار المشتركين الكرام الى مراجعة عنواناتهم التي يرسل الهلال عليها حتى اذا وجدوا فيها خطأ او تحريفاً تكرموا بتصحيحه واعادته الينا

فلنا وطيد الامل أن يساعدنا حضرات المشتركين في هذه المهمة حتى يضمنوا وصول جميع الاعداد اليهم

عشرون قاعدة

للزواج السعيد

ما من موضوع يهم جمهور العالم على السواء وبلا استثناء كموضوع الزواج . ومعظم بواعث الهناء او الشقاء راجعة لعلاقة الرجل بالمرأة . ولذلك قد وضع الدكتور فرانك كراين أحد مشاهير كتاب الاميركان عشرين قاعدة لضمانة الزواج السعيد . واليك ملخصها :

١ ـ اعرفا ما هي حقيقة العلاقة الجنسية

ان اساس الزواج الشعور الجنسي ـ لا تعتقدا كما كان يعتقد بعض القدماء ان الزواج شر . لولاه لم تكن عيلة ولا علاقة مقدسة بين الاب والام والاخوة والبنين . وليس معنى الطهارة البتولية . فان امك طاهرة كاخواتك

٢ ـ تعلما كيف تحافظان على الحب

الحب هو أساس الزواج ولا حاجة لاحد أن يعلم كيف يحصل عليه . وانما المسألة الصعبة هي كيف تحافظ على الحب . فيجب ان لا يذهب بعد أن تنبض النبضة الاولى بل يجب أن يتجدد مقروناً بالولاء والامانة . وكلما صدق حب الرجل والمرأة زاد ولع أحدهما بالآخر . ومن أفضل الطرق لاستدامة الحب الحصول على البنين

٣ ـ الحب هو الامانة والولاء

لا ريب ان الحب او الاحوال التي تنشىء الحب وتعوله هي تحت سيطرة الارادة. وحين نحب حقيقة نكون صادقي الود والفكر والعمل . فاذا نمونا على هذا الولاء نما الحب معنا . وبعد خمسين سنة يكون الحب بهيجاً لنا كما كان لاول نبضة فينا

٤ ـ استعملا الحكمة والتعقل

يجب ألاَّ يبرح من ذهن الزوجين أنهما من البشر وأنهما معرضان للضعف البشري . فلتتذكر الزوجة ان زوجها انسان . فاذا احبته وجب ان تستمر في حبه لاجل ما هو لا لاجل ما تنتظره ان يكون او ما يمكن ان يكون أو ما يجب ان يكون . وليتذكر الزوج ان زوجته ليست ملاكاً ولا هي فوق البشر فيجب ان يحبها كما هي. وكثيراً ما تصلب السعادة على صليب التصور الموهوم

٥ ـ حافظا على شيء من الاستقلال

مهما كان الزوجان أليفين ومترابطين فلكل منهما شخصية قائمة بذاتها . فلا تحقق في خصوصيات زوجتك ولا تستطلع مكنونات ضميرها. دعها تنمي شخصيتها . فالنفس تختنق بلا حرية . كذلك لا تبتغي ان تعرفي دخائل زوجك أكثر من اللازم. دعيه سراً مكنوناً فتحبيه أكثر واطول مدة . اجل انكما شخص واحد بالزواج وانما سروركما بهذه الوحدة يتوقف على كيف تبقيان اثنين متآلفين . دعي زوجك احياناً بعيداً عنك لكي يعلم مزية قربه منك . ودع انت لزوجتك شؤونها ومزاجها ووقتها وفلوسها بقدر الامكان

٦ ـ اظهرا عواطفكما

اظهار العواطف عادة . فتعوداها . فلا تدعا الانفة او الكبرياء تكتمان عواطفكما واحساساتكما الرقيقة . الحب هو الشيء الوحيد الذي ينبغي الاسراف فيه . وكلما اسرفتما فيه كان عندكما المزيد منه . وكلما بالغتما في اظهار عواطفكما نمت هذه العواطف . لا تعتبرا الحب امراً مفهوماً . بل اعربا عنه

٧ ـ وبالعكس لا تظهرا تنافراً او تجافياً الواحد نحو الاخر

يستحيل ان تعيش مع شخص آخر من غير ان تصادف منه نفوراً في بعض الاحيان. ففي هذه الحالة ظلا هادئين . لا يؤنب احدكما الآخر. ولا يتكلم احدكما عن الاخر بحضور ثالث . من قبائح الامور ان يتكلم أحد عن زوجته او واحدة عن زوجها لثالث باستخفاف . كما انه لا يحسن أن يغالي كل بالثناء على الآخر . وخير وسط بين الطرفين أن يتكلم كل عن الآخر بالاعتبار والاحترام ومن غير انتقاد

٨ ـ ابذلا جهدكما في أن تكونا دائماً مرتبين مقبولين

على الرجل أن يعنى بأمر مظاهره امام زوجته فيلبس مرتباً ولا يهمل شيئاً من لوائق لبسه ولا ينزع الكلفة مطلقاً . وكذلك يحسن بالمرأة ان تستقبل زوجها حين يعود من شغله كما لو كانت تستقبل غريباً أي يجب ان تكون تامة الهندام

٩ ـ لا تضعا قوانين ونظامات

ليس الزواج اصلاحية احداث . الناس يتزوجون ليعيشوا سعداء لا لكي يتربوا من جديد . ليس زوجك ولداً . وليست زوجتك تلميذة . يكفي ان تكون زوجتك فاضلة . ويكفي ان يكون زوجك طيب القلب . والشخص الذي يبتغي الطيبة في قرينه

يجب أن يكون طيباً أولا

١٠ ـ تجنبا « الصديق الحميم »

حافظ على اسرار زواجك المقدسة كما اقسمت ان تفعل حين عقد زواجك . لا ينبغي ان يعلمها احد غير الله . ان ثبات هيكل الحب يتوقف على حرمة قدس اقداس الاسرار . فضع ملاك اسرارك بحسامه الملتهب يحرس باب عدنك . فدخول الصديق في البوابة يفضي احياناً الى اللعنة

١١ ـ اجعلا وقتاً للتسلية معاً

انكما ملتزمان بالاشتراك في الاكل وتدبير المنزل وتربية الاولاد الى غير ذلك من الواجبات . فلكيلا تملاً تعب هذه الواجبات ونسق الحياة الواحد اشتركا في اللعب واللهو والتسلية ايضاً . تنزها معاً . اذهبا معاً الى اي ملهى . واذكرا ان الامر الحيوي في حبكما هو ان يحب كل منكما ما يحبه الاخر

١٢ ـ ربيا فيكما ذوقاً واحداً

بناء على ما تقدم ينبغي أن تسيطرا على اميالكما . لاريب انكما تختلفان في كثير من الاميال والاذواق . ولكل شخص أميال وأذواق خاصة اساسية يصعب عليه تغييرها . ولكن متى كان الزوجان متحابين فانهما يجتهدان في أن يستحبا شيئاً واحداً ـ ان يتشابها في الاذواق والاميال

١٣ ـ كونا صالحين ولا تعظا

في هـذا المقام يصح قول امرسون الحكيم : « ان أفعالك تتكلم بصوت عال حتى اني لا أقدر ان اسمع ما تقول » . فان أعمال الزوج والزوجة أبلغ من أقوالها والسلوك الصالح خير من الوعظ والارشاد

١٤ ـ كونا متساويين

ان السعادة الدائمة في العلائق البشرية هي ما بنيت على المساواة . وأما مبادىء السيطرة والسؤدد فشريرة . لا تدعها تتطرق الى العيلة اذا شئت سلاماً حقيقياً . هنـاك ثلاث طرق للنظر الى المرأة : يمكنك أن تنظر الى فوق وتدعوها ملاكا ويمكنك أن تنظر الى أسفـل وتعدها دونك قيمة ومكانة . واخيراً يمكنك ان تنظر اليها نظر الند الى الند والصديق الى الصديق والرفيق الى الرفيق . وفي هذه الحالة فقط تضمن السلام

١٥ ـ كونا عظيمي الثقة الواحد بالاخر

ثق بها وثقي به . الشك يجلب القلق . ولا سبيل للغيرة مع الحب . والدليل على ذلك أن معظم الغيورين لا يحبون..وأفضل الطرق لجعل غيرك يثق بك هي ان تثق به

١٦ ـ عيشا مستقلين

ابعد ما استطعت عن ذوي قرباك . فان الناموس الطبيعي هو ان الثمرة متى نضجت سقطت من الشجرة . ومتى انفصلت عن الاهل كنت اقدر على تدبير شؤونك . حبا بعضكما بعضاً . كونا امينين ومخلصين وحرين. وحينئذ لا تحتاجان الى نصيحة أحد من الاهل او مساعدته

١٧ ـ لا تأخذا كل المسائل بالجد

كثير من المسائل المعقدة تحل بالهزل اكثر منها بالجد.اعتبرا الحب امراً حاصلاً ولا تبحثا عنه لتتحققا ان كان موجوداً . لا شيء يحبب المرء بيته مثل علمه انه يجد فيه ابتساماً . ولا شيء يجمل المرأة تلتصق بجنب زوجها مثل علمها أنها تجد هناك اشراقاً دائماً

١٨ ـ تفاهما على المسائل المالية

أما نوع التفاهم فيتوقف على الاحوال . فقد يكون أحدكما اغنى من الآخر . فهما تكن نسبة الواحد الى الاخر من هذا القبيل فالتفاهم واجب . ان معظم شرور الزوجية ناجم عن المسائل المالية . والطريقة المثلى لتلافي هذه الشرور ان يكون المال شركة للزوجين وتحت تدبيرهما معاً

١٩ ـ لا تغضبا معاً في وقت واحد

كلاكما حساس وانوف وكلاكما عرضة للغضب فلا مناص لاحدكما من ان يغضب عليه الاخر في بعض الاحوال . ولكن يجب أن يكون غضب كل منكما وحده

٢٠ ـ لا تدعا مصيبة تحول بينكما

كلنا عرضة للمصائب والمشاكل والمصاعب والارتباكات . فاجعلا كل هذه بعيدة عن علاقتكما. قابلا المصاعب معاً . قفا كلاكما بازاء العالم . وما دام العداء او سوء التفاهم او الحقد لا يتطرق الى قلبيكما تستطيعان ان تصدا جميع البلايا بشجاعة

فاذا عملتما بنصائحي جنيتما ألذ ما في العالم . فان الحب هو خمر الحياة والزواج هو الكأس التي صنعها الله لتحويه

الخلافة العباسية

والدولة الفرنسية

يذكر المؤرخون الاوربيون بعثات سياسية خرجت من بلاد الفرنجة وقصدت مدينة بغداد كما ان الخلافة العباسية ارسلت وفوداً الى فرنسا . وجرت تلك الملاقات الودية بين الشرق والغرب في أواخر القرن الثامن للميلاد وفي أوائل القرن التاسع

واول وفد أتى من فرنسا الى العراق ارسله بيبن القصير سنة ٧٦٢ م أو سنة ١٤٦ ـ ١٤٧ هجرية . وقبيل ذلك التاريخ كان المنصور قد أنجز عمارة بغداد وجمَّلها حتى أصبحت عروس الشرق وجنة الارض وغرة البلاد . فشرعت تفد اليه الوفود من الروم والفرنسيس

لم يسهب المدونون الفرنسيون في اخبار تلك البعثة وغايتها السياسية بل جل ما ذكر عنها في صحف ذلك العهد ان رحلة السفراء دامت ثلاث سنوات وقد توسطوا في مبادلة الهدايا الجليلة بين الملكين

على ان العرب اغفلوا ذكر هذه البعثة السياسية في مدوّناتهم . او اننا لم نقف عليه في ما لدينا من كتب القوم المطبوعة والمخطوطة . مع ان مؤرخينا لم يضربوا صفحاً عن ذكر بطريق الروم الذي زار حاضرة العباسيين في تلك السنة عينها اي سنة ١٤٦ هـ بل استوعبوا اخبارها واحاطوا باطرافها ووصفوا وصفاً دقيقاً زيارة ذلك الوفد وما لاقاه في مدينة السلام . فان صح خبر الوفدين وفد الروم [1] ووفد الفرنسيين فلا يبعد انهما تبادلا السلام في قبة الاسلام ، وتصافحا مصافحة الاخدان في وادي دجلة

ولم يكن بيبن القصير آخر من سعى الى خطب ودّ العباسيين من بني قومه بل حذا حذوه شارلمان فارسل بعثة الى العراق سنة ٧٩٧ م مؤلفة من ثلاثة رجال جاؤا بغداد في عهد هارون الرشيد وكان بينهم اسحق اليهودي

ويقال أن الغاية من تلك البعثة كانت طلبها من الخليفة ان يعترف بحماية ملك

(١) وقد ذكر ابن الخطيب في مقدمة تاريخ بغداد ان وفداً آخر اتى من الروم الى بغداد في عهد المقتدر بالله

الفرنسيين على نصارى الاراضي المقدّسة . وقد جاء في مؤلف فرنسي قديم ان هرون الرشيد هو الذي عرض على شارلمان تلك الحماية . غير ان هذه الرواية لم تصبر على نار التمحيص والتدقيق وقد وجدها المؤلفون المتأخرون مبتسرة ولا سيما ان مدوّني سيرة شارلمان الذين سبقوا صاحب الرواية يوردون الخبر على هذا المنوال : « ان رسل شارلمان عرضوا على الخليفة رغبة ملكهم . فلم ينالوا ما طلبوا فقط بل ان الخليفة تابع تلك المطالب بمنحةٍ أخرى فانه اهدى الى شارلمان القبر المقدس وملكه اياه »

وقد اسرع هرون الرشيد واخبر شارلمان بتلك الهبات بوفدٍ خاص انفذه اليه بوساطة بطريرك اورشليم وكان مؤلفاً من راهبين الواحد من ديرٍ مار سابا والآخر من جبل الزيتون وكان معهما القس زكريا الذي كان مرسلاً من لدن البابا الى البطريرك في هذه المهمة عينها

وصلت هذه البعثة الى رومة في ٣٠ تشرين الثاني سنة ٨٠٠ م وكان الملك يومئذ هناك فسلمت اليه باحتفال شائق مفاتيح القبر المقدس وعلَم مدينة اورشليم وذخائر قيّمة . وكان لنجاح هذه السياسة الباهر صدى استحسان في الاندية السياسية والمحافل الدينية في اوربا . ويذهب بعض الكتبة الى ان البابا لاون الثالث لم يمسح شارلمان امبراطوراً على الغرب في ٢٥ كانون الاول (دسمبر) من تلك السنة الا لنجاحه في الشرق

وفي سنة ٨٠١ م بعث هرون الرشيد رسلاً الى امبراطور الغرب فالقوا عصا ترحالهم في مدينة بيزا وقابلهم شارلمان في موضع بين ايفرا (Ivrée) وفرسيل (Verceil) ومما لا مرية فيه انهم قدموا اليه النص المؤيد رسمياً حق حمايته الارض المقدسة . فاستشدهم اخبار وفده الذي كان قد أرسله الى الشرق سنة ٧٩٧ ولم يرجع اليه فاخبروه بما كانوا يعلمون

أما ما كان من امر رسل شارلمان الذين اوفدهم بادىء بدء الى العراق وسأل عنهم فان اثنين منهم لقيا حتفهما في بلاد الغربة ولم يرجع اليه الثالث وهو اسحق اليهودي الا في سنة ٨٠٢ . وكان معه هدايا نفيسة أتى بها من هارون الرشيد وبينها فيل عجيب اضحى أحدوثة ذلك العصر والمصر

ويروي التاريخ ان في سنة ٨٠٢ استأنف شارلمان امر الوفود الى خليفة المسلمين وأنفذ جماعة برئاسة راتبرت (Ratbert). وقابله هرون الرشيد بوفد ثان ومعه هدايا

نفيسة وخلع سنية وذلك في سنة ٨٠٧ وكان رسول الخليفة عبد الله وبرفقته مندوبان من قبل بطريرك اورشليم ومعهم ساعة عجيبة وخيام من كتانٍ متضاربة الالوان

كتبنا هذه الاسطر الوجيزة وغايتنا منها أن نسأل علماءنا الافاضل الذين تستنير بمشكاة علمهم أن يطلعونا على ما جاء في الكتب العربية القديمة في أمر هذه البعثات السياسية بين الغرب والشرق لما لها من الخطورة في علاقات أوربا وآسيا في تلك القرون الخالية ولما لها من المنزلة في تاريخ النصرانية والاسلام . ولهم من روّاد الحقائق خالص الثناء وجميل الشكر

واذا كان الشيء بالشيء يذكر فلا بأس ان أوردنا هنا ما حدث لنا قبل زمن في ما يخص هذا الموضوع . كنا قد نشرنا في ١١ و ١٢ و ١٣ شباط (فبراير) من سنة ١٩١٨ مقالاً ضافي الذيل بعنوان : هل يرتقي العراق ؟ وبامضاء منتحل : « ابن ذي الكنيتين » . ومما جاء فيه العبارة الآتية :

« ان العرب اخترعوا البنكامة التي بعث بها هرون الرشيد الى شارلمان امبراطور فرنسا » . فعلّقت ادارة جريدة العرب التي ظهرت فيها مقالتنا حاشية أو بالاحرى ان الذي علق تلك الحاشية هو حضرة استاذنا المفضال وصديقنا الكريم العلامة المحقق الاب انستاس الكرملي المحترم الذي كان يتولى يومئذ ادارة تلك الجريدة باسم الحكومة البريطانية في بغداد

أما مفاد الحاشية فهو : « هدية هرون الرشيد الى شارلمان مما اورده الافرنج في كتبهم لكن ذلك لم يرد في مؤرخ عربي فالظاهر ان هذه الرواية غير ثبت فاذا عثر أحد الادباء على ذكر هذه الهدية في كتب العرب القديمة تهديه الجريدة مدة سنة »

قد مضى ردح طويل على هذا الاقتراح ولم نسمع من أديب انه عثر في كتب القوم القديمة على شيء من الامر . واذ كانت تلك الجريدة لا تصل الى كل العلماء رأينا من الضروري أن ننشر هذه الفذلكة في الهلال الاغر المنتشر في أربعة أقطار العالم حباً بالوقوف على الحقائق التاريخية ورغبة في تمحيص هذه الرواية التي اكثر من ذكرها الكتبة الغربيون

بغداد يوسف غنيمة

العائلة والمنزل

ضربة الحر وضربة الشمس

أسبابهما ونتائجهما والوقاية منهما

كثيراً ما نرى في الاجتماعات الكبيرة حيث يشتد الزحام وخصوصاً في فصل الصيف أن بعض المجتمعين يشعرون بضيق صدر أو « بضيق خلق » كما يسمى حتى لقد يغمى عليهم في بعض الاحيان . وقد سمعنا غير مرة عن موت كثيرين من شدة الحر في البلدان الكبيرة كما يحصل في مدينة نيويورك في فصل الصيف

وكذلك اذا جلس الانسان بضع ساعات في قاعة فيها موقد للتدفئة قد يشعر بضجر ودوار أو نحو ذلك . وقد اغمي على كثيرين اثناء الاستحمام بالماء الساخن أو اثناء التجمهر حين يشتد فيه النزاع والزحام . فما هي هذه الاعراض وما سببها ؟

اذا تجنب الانسان وهو في حالة الصحة اجهاد جسمه فاعتدل في الاعمال العقلية والبدنية واعتنى بمأكله وملبسه وتجنب شرب الخمرة على أنواعها فان جسمه يصبح قادراً على صدمات الحر الشديد كما يستدل على ذلك من الوقادين في البواخر الكبيرة والعمال في الفاوريقات العظيمة . فان العامل من هؤلاء يقضي ساعات متوالية كل يوم أمام النار ودرجة الحرارة على أشدها ومع ذلك تجده في حالة من الصحة يحسد عليها . وكذلك الفلاحون في البلاد الحارة فانهم يقضون نهارهم في الحقول معرضين أجسامهم لاشعة الشمس المحرقة دون أن يصابوا بأدنى أذى

أما اذا أصيب الجسم بعطب كمرض القلب أو الكلى أو الكبد الخ . أو بنوع من أنواع الحميات وعلى الاخص حمى الملاريا او اذا ادمن الخمر وأكثر من الاعمال الشاقة المتعبة ولم يعنَ بلبس ما يوافق جو البلاد التي يعيش فيها من الثياب فانه يصبح شديد التأثر من فعل الحرارة ولا يمكنه تحملها حتى بدرجة خفيفة لان أعصاب القلب تكون قد ضعفت بسبب ما ذكرناه آنفاً فتتأثر سريعاً من وطأة الحر وتنتهي الحالة غالباً بالاغماء الفجائي وهذا ما يسمونه ضربة الحرارة أو ضربة الحر . وبعبارة أخرى ان ضربة الحر هي دوار او اغماء فجائي يفقد معه الانسان رشده ويصفر لونه ويسرع

تنفسه ويبرد جسمه. وهذه الحالة تزول غالباً بعد وقت قصير فيستفيق المصاب شاعراً بألم شديد في رأسه وقد ينتهي أحياناً بالموت

ومعالجة هذه الحالة في ضربة الحر هي كما يلي: ينقل المصاب في الحال الى قاعة كثيرة الهواء محجوبة عن أشعة الشمس ويلقى على ظهره فتحل ثيابه ويلطم على وجهه بالماء البارد ويشنق روح النشادر ويعطى بعض المنبهات مثل الاثير والكونياك

أما ضربة الشمس فسببها التعرض لاشعة الشمس وقتاً طويلا وهي تختلف في أعراضها عن ضربة الحر. فاول ما يشعر به المصاب هو ارتفاع في حرارة جسمه مصحوب بألم في الرأس ويشعر أيضاً بانزعاج شديد من سماع الاصوات المرتفعة وكذلك من وقع النور على عينيه وقد يتقيأ ما في معدته أو يصاب بنوبة عصبية (هلوسة). وقد يشفى المصاب في بضعة أيام. اما اذا كانت الاصابة شديدة فقد يلزم الفراش بضعة أسابيع وربما خلفت بعدها اضراراً مختلفة مثل الصمم أو فقدان الذاكرة أو تشنجات عصبية أوصداع في الرأس قد يدوم الى ماشاء الله. وهناك حوادث محزنة من هذا القبيل ادت الى الموت في بضع ساعات. ويقع كثير من هذه الحوادث في مصر وسوريا. وخير ما يتخذ من الاسعافات للمصاب بضربة الشمس ان يوضع في قاعة باردة مظلمة كثيرة الهواء وان يبعد عن كل جلبة أو صوت وأن يحلق شعره في الحال وتوضع على رأسه مكمدات باردة ويعطى مسهلاً ويغذى بغذاء خفيف كاللبن والمرق وخلاصات اللحوم. وبعد شفائه من المرض يظل المصاب مدة طويلة ضعيف الجسم والذاكرة سريع الغضب والتهيج ويشكو من آلام في الرأس توجب الانتقال الى بلاد باردة والبقاء فيها عدة شهور حتى يشفى تماماً واذا استمرت آلام الرأس وازمنت تؤخذ مركبات اليودور والبرومور مع وضع حراريق على الرقبة من وقت الى آخر. ومما يذكر مع الاسف أن بعض المصابين لازمتهم أعراض مؤلمة مزعجة طول حياتهم بالرغم من الوسائط الصحية الكثيرة التي استخدموها وهذا مايحملنا على تخصيص ما بقي من الكلام لذكر شيء عن الوقاية من ضربة الشمس وضربة الحر. وقد صدق من قال «درهم وقاية خير من قنطار علاج»

علمنا مما سبق أن ضعيفي الجسم هم أكثر الناس تعرضاً للاصابة بضربة الشمس وضربة الحر ولذا يجب على ساكن البلاد الحارة ان يحافظ على صحته بكل الوسائل المعروفة ليجعلها في أحسن حال فكلما قوي جسمه زاد تحمله لصدمات الشمس

والحرارة . واذا كان الجسم ضعيفاً فيجب تجنب اشعة الشمس والابتعاد عن الاماكن المزدحمة بالناس وعدم شرب الخمور والاعتدال في التدخين والتقليل من أكل اللحوم ومعالجة الامساك . والاشخاص المصابون بحمى الملاريا المزمنة أو امراض الكبد والكلى والقلب هم أحوج الناس الى العمل بما ذكرناه من الاحتياطات . ويجب ايضاً في البلاد الحارة الاكثار من النوم وتجنب الرياضة البدنية المتعبة في ساعات الحر. اما الثياب فأحسنها ما كان واسعاً وخفيفاً . ويجب أن يكون الملاصق منها البدن مصنوعاً من الصوف . وعند الخروج والتعرض للشمس يجب لبس قبعة كبيرة تغطي الرأس والوجه والرقبة . ولا بأس من استعمال شمسية من القماش الابيض المبطن بلون اخضر او برتقالي . وفي ساعات النهار يجب اقفال قاعات المنازل لكي تبقى مظلمة وتهوى بواسطة منافذ وشراعات

الدكتور
ميشيل سمعان

زواج طبيب عمره مئة سنة

اطلعنا في مجلة «بوبولار سيفتكز» العلمية الانكليزية على خبر غريب وهو أن طبيباً اميركياً اسمه الدكتور اندرو موريسن اقترن أخيراً (للمرة الرابعة) بالآنسة ماري أوغستا بارني وعمرها ٧٢ سنة

وقد ذكر هذا الطبيب بعض النصائح التي تمكن بواسطتها من بلوغ هذا العمر وهو لا يزال شاباً في قلبه وعواطفه وهاك بعض ما ذكر :

« أكثر من أنواع العمل حتى تجد في تنوعها لذة وسلوى فان مهنتي الطب ولكن ذلك لم يمنعني عن درس الموسيقى ولا عن متابعة مباحثي في العلوم الروحانية وعلم ما وراء الطبيعة والفلك واللغات الخ . . . فان تنوع الاشغال العقلية يجعل العقل صحيحاً موزوناً

« ومن أفضل الطرق لاطالة الحياة ان تجد في كل يوم موضوعاً يجعلك تسترسل في الضحك . وقد عودت نفسي ألا أغضب بسهولة وتراني حسن الظن بالناس على العموم . وأنا لا أتناول الا الاطعمة البسيطة المغذية مع تجنب الاكثار من المواد النشوية واللحوم . وأني أعتقد ان معظم الناس يأكلون وينامون أكثر مما يجب . وبالنظر الى ما أنا عليه من النشاط لا أرى مانعاً يحول دون أن أعيش خمسين سنة أخرى ... »

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء . فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا اصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي ان تذكر مع الاسئلة اسماء مرسليها على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بحرف او بكلمة عند النشر

اعتذار

ورد علينا في الآونة الاخيرة عدد عظيم جداً من الاسئلة ولما كان المكان المخصص لهذا الباب في الهلال لا يزيد على بضع صفحات فاننا نضطر أحياناً الى تأجيل الرد مدة. فليمهلنا مشتركونا الكرام وليثقوا أننا نبذل جهدنا في اجابتهم كلما تيسر ذلك

ونكرر بهذه المناسبة ماذكرناه غير مرة وهو أننا لا نتعرض في هذا الباب لكل ما له مساس بالمسائل السياسية والدينية

الصوم وأقصى مدته

﴿ غوايا كيل . اكوادور ﴾ ابراهيم عبد النور

جاء هذه المدينة رجل أسمه لطارا تشريني له قدرة عجيبة على الصوم . فقد نام من أول أكتوبر الى ٢٠ منه من دون أن يذوق أكلاً ولم يتناول الا الماء القراح . وقد وضع هذا الرجل في غرفة لها نوافذ زجاجية حتى يشاهده الناس وكان شرطيان يحرسانه ليلا نهاراً . فما رأيكم في هذه الموهبة وهل من حوادث تضاهي هذا الحادث

﴿ الهلال ﴾ لا غرابة في القصة التي ذكرتموها فقد عرفت حوادث كثيرة من هذا القبيل كانت مدة الصوم فيها أطول من عشرين يوماً . وآخرها كما هو معلوم حادثة محافظ كورك المستر ماكسويني الذي صام ٧٤ يوماً توفي على اثرها . ويقدر علماء الفسيولوجيا (وظائف الاعضاء) ان الجسم البشري في حالته الاعتيادية يقدر على الصوم مدة تتراوح بين ٢٠ و٢٥ يوماً . على أن بعض الاجسام أكثر احتمالاً للصوم من غيرها . وقد ذكر الدكتور شارل ريشه عدة حوادث مثبتة من هذا القبيل انتهى بعضها بالموت وفي البعض الآخر ظل الصائمون احياء واستعادوا قواهم وهاك أهمها:

حوادث ظل الصاعون بعدها أحياء

مرلاني	٥٠ يوماً	ايطالي عمره ٧٧ سنة	٣٧ يوماً
تار	٤٠ «	سوتشي	٣٠ «
براسود	٤٠ «	بوشر	٣٠ «

حوادث انتهت بالموت

مجنون في ديفلير	٧٦ يوماً	غرانيه	٦٣ يوماً
مريض في ديبارو	٦٣ «	محافظ كورك	٧٤ «
ضرير في بيرار	٤٧ «		

شجرة تبتلع الحشرات

﴿ بوسطن . الولايات المتحدة ﴾ توفيق زخريا

قرأنا في جريدة اميركية اسمها «بوسطن اميركان» بتاريخ ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٠ ان في جزيرة مدغشقر شجرة تبتلع كل ما يمسها من بشر أو حيوان . فهل هذا صحيح

﴿ الهلال ﴾ المعروف ان بعض أنواع النبات تمتص بعض الحشرات والهوام والطيور الصغيرة. ولكننا لم نسمع عن شجرة تستطيع ابتلاع انسان أو حيوان كبير. ومن أمثلة تلك النباتات نوع يسمى « مصيدة الذباب » أوراقه شراك خفية أو هي مصائد حية تنتهي كل ورقة منها بكاس منبسطة ذات اهداب حادة يصل بينها مصراع طولي وفي وسط كل من هذه الكؤوس ثلاث اشواك حولها غدد تفرز عصارة سكرية فاذا ساقت الاقدار ذبابة أو نحوها من الهوام تلتمس تلك العصارة ووقفت على الورقة هاجت الكاس وتكمشت وأطبقت أهدابها عليها كما يطبق الكتاب ولسعتها بأشواكها واذا حاولت الذبابة الفرار زادتها الكاس ضغطاً حتى تخمد أنفاسها . واذا أردت فتح الكاس بيدك عنوة تمزقت ولم تفتح ولكنها تنفتح من تلقاء نفسها متى ماتت فريستها

عدد التوائم

﴿ دمشق . سوريا ﴾ س . ع .

انقل اليكم خبراً على غاية من الغرابة وهو ان امرأة وضعت احد عشر مولوداً دفعة واحدة وظلوا جميعاً مدة في قيد الحياة . فما رأيكم في ذلك وهل سبق ان سمعتم بمثله ؟

﴿ الهلال ﴾ ان الخبر الذي بلغكم مبالغٌ فيه بلا شك فان علماء الطب لم يعثروا على حادثة ولد فيها هذا العدد من الاولاد من بطن واحد . واقصى ما اثبت من هذا القبيل ولادة ستة توائم

تأثر الحامل

﴿ واشنطن . الولايات المتحدة ﴾ انطونيوس الياس لحود

لقد سمعتم بلا ريب ما هو شائع عن الحامل انها اذا اشتهت اكلة او شيئاً ولم تحصل عليه ظهرت علامة لتلك الاكلة او لذلك الشيء في ولدها . فهل ما يثبت هذا الاعتقاد من الجهة العلمية ؟

﴿ الهلال ﴾ رأينا في هذا الاعتقاد انه غير مدعم بدليل علمي . على انه من الثابت ان اخلاق الطفل وسجاياه قد تتأثر تأثراً غير يسير من حالة الوالدة اثناء الحمل

تسجيل الاختراعات

﴿ منيارة . سوريا ﴾ توفيق مسعود

اذا سجل أحدهم اختراعاً جديداً في الولايات المتحدة الاميركية هل تحفظ حقوقه في كل جهات العالم ؟

﴿ الهلال ﴾ في ٢٠ مارس سنة ١٨٨٣ امضيت في باريس معاهدة دولية غرضها حماية حقوق المخترعين ومبدأها الاساسي ان تساوى حقوق المخترعين الاجانب في الدول التي امضت المعاهدة بحقوق المخترعين من اهلها أي ان الاختراع الاجنبي يعامل في كل من تلك البلاد كما لو كان لاحد رعاياها . وقد انشىء في مدينة برن بسويسرا مكتب دولي ليراقب تنفيذ المعاهدة المتقدم ذكرها . ومعظم الدول ذات الشأن قد امضت تلك المعاهدة

قوة الكهرباء

﴿ صيدا . سوريا ﴾ محمود الشماع

ما هي قوة الكهرباء ؟ ومن اول من سخرها ؟

﴿ الهلال ﴾ لا نستطيع ان نجيب جواباً شافياً على السؤال الاول فاننا لا نعرف ماهية تلك القوة العجيبة وانما نعرف بعض ظواهرها وخواصها . وقد لاحظ العلماء منذ القدم ان لبعض المواد حين تفرك خاصة جذب القش والتبن اليها (وكلمة كهرباء العربية فارسية الاصل ومعناها جاذب التبن) على ان أول من بحث في هذه القوة باسلوب علمي كان العالم وليم جلبرت (١٥٤٤-١٦٠٣)وهو الذي استعمل للمرة الاولى كلمة Electricity وهي أسم قوة الكهرباء بالانكليزية

أغنى الاغنياء

﴿ سوريا ﴾ عبد الرحمن الغساني

من أغنى رجل في العالم وكم تقدر ثروته ؟

﴿ الهلال ﴾ الارجح ان المستر جون ركفلر هو أغنى رجل في العالم . ولا ندري مقدار ثروته تماماً في الوقت الحاضر ولكن دخله في الغالب أكثر من ثلاثة ملايين ريال في السنة . فقد أطلعنا على أحصاء لاغنياء اميركا جاء فيه ان في اميركا الآن رجلين دخلهما يزيد على هذا القدر . وفي اميركا ايضاً ٢٨ مثرياً يزيد دخلهم السنوي على المليونين من الريالات (للواحد) . وقد قدرت الاموال التي انفقها ركفلر في سبيل الاعمال الخيرية بنحو ٤٧٥ مليون ريال

مولود عجيب

﴿ القدس ﴾ حسن صدقي الدجاني

نشرت جريدة تصدر في القدس ان امرأة يهودية وضعت معاً ولدين وببغاء فما قول الهلال في ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ لا شك في خطأ هذه الرواية فيستحيل ان تلد امرأة ببغاء . على انه قد يكون المولود عجيب الشكل مشوه الاعضاء مما يجعل بينه وبين بعض الحيوانات شيئاً من الشبه

الامبراطورية البريطانية

وتطورها بعد الحرب

من مميزات السياسة الانكليزية انها سريعة التحول والتكيف وفقاً لمقتضيات الاحوال . فان من تتبع تلك السياسة في السنوات الاخيرة لا يسعه الا الاعجاب بتطورها المستمر لماشاة احوال العالم المتقلبة على الدوام كأنها آلة شديدة الاحساس سريعة التأثر بالعوامل المحيطة بها

تكوَّنت الامبراطورية البريطانية في بضعة القرون الماضية . فجمعت شعوباً وممالك متباينة في كل شيء — في العادات والاخلاق ، والتربة والاقليم ، والصفات والتقاليد . فلما نشبت الحرب الاخيرة شعر ساسة الانكليز بضعف الروابط التي تربط تلك الامم المختلفة وتلك الاقطار البعيدة فاخذوا يفكرون في الوسائل التي من شأنها صيانة ذلك الملك الواسع المترامي الاطراف

ادرك اولئك الساسة — او سوادهم — ان الحكم لا يثبت ما لم يقم على رضى المحكومين. فشرعوا يعيدون النظر في علاقاتهم بممتلكاتهم ومستعمراتهم رغبة في توطيد تلك العلاقات على اسس ثابتة مستديمة تراعى فيها معاً مصالح الشعب الانكليزي ومصالح الشعوب الاخرى المرتبطة به بحكم موقعها الجغرافي وبحكم التاريخ وتقلباته

قال المستر هربرت جورج ولز H. G. Wells الكاتب الانكليزي الشهير في كتابه الاخير « خلاصة التاريخ » ما يأتي :

« . . . ان الامبراطورية البريطانية مزيج غريب لم يعرف له مثيل في التاريخ . وقد ضمنت السلام والامان وهذا هو السبب في بقائها بمساعدة بعض ابناء الشعوب المحكومة » . . . وهي شبيهة بامبراطورية أثينا من حيث قيامها على السلطة البحرية . فطرقها طرق بحرية ورابطتها البحرية الانكليزية

« ... وانه من الصعب اصدار حكم شامل على امبراطورية هذا اتساعها وتشعبها فانها من بعض الوجوه تستحق المدح والاعجاب ومن وجوه أخرى تحمل على النفور

والملام . ولا ريب ان تحويل كندا واستراليا ونيوزيلندا وافريقيا الجنوبية من مستعمرات الى دول محالفة مستقلة كان من أجمل مظاهر المقدرة السياسية . ولكن الحكومة الانكليزية في تلك الاقطار أنما عاملت شعوباً من جنسها ميالة اليها مستعدة للسير على نظامات موطنها الاصلي

« وأما فيما يتعلق بالشعوب الاجنبية فان تاريخ الاستعمار الانكليزي لم يكن دائماً حسن النتائج ولا سيما في بضعة العقود الاخيرة اذ اصبح اسوأ مما كان - كأن الاستعمار



العائلة المالكة الانكليزية (ما عدا البرنس اوف ويلس) وهي مؤلفة كما يأتي :
من اليسار البرنس البرت . البرنس جورج . الملكة .
البرنس هنري . الملك . البرنسس ماري

الانكليزي انحط نوعاً . فهل يستمر هذا الانحطاط أو يخلفه تحسن وتقدم ? هذه مسئلة عظيمة الشأن لا يستطاع الخوض فيها الآن . والارجح مع ذلك ان الحكم الانكليزي ليس دون أي حكم آخر من حيث معاملته للشعوب الاجنبية عنه . فان الامر الحقيق بالنظر والانتقاد ليس حكم انكلترا خاصة على تلك الشعوب بل تسلط اي شعب على شعب آخر يختلف عنه في التاريخ والمدنية .وعدم وجود محكمة عليا في

العالم تعنى بالتوفيق بين علاقات شعوب هذا شأنها »

هذا رأي احد مشاهير المفكرين الانكليز وليس من شأننا أن نتعرض لحكمه فالايام كفيلة بالافصاح عن وجهة سير الامبراطورية البريطانية . وغرضنا الان أن نلقي نظرة اجمالية على تلك الامبراطورية الواسعة الارجاء واحوالها ونظاماتها وأحكامها معتمدين في ذلك على اوثق المصادر فنقول :

اتساع الامبراطورية البريطانية

يشمل النفوذ البريطاني نحو ربع مساحة الاراضي المعروفة على الكرة الارضية ويتناول بوجه التقريب ربع عدد سكانها او اكثر بقليل واليك جدولاً يبين ذلك :

اجزاء الامبراطورية	مساحتها بالاميال	عدد سكانها
في اوربا	١٢ ٥١٢	٤٥ ٨٧٨ ٥٠٠
في اسيا	٢ ١٨٧ ٥٥٠	٣٢٣ ١٥٨ ٠٠٠
في افريقيا	٤ ٦٥٢ ٠٠٠	٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠
في اميركا الشمالية	٣ ٨٩٣ ٠٢٠	٧ ٤٥٨ ٠٠٠
في اميركا المتوسطة	٨ ٦٠٠	٥٠ ٠٠٠
في جزر الهند الغربية	١٢ ٣٠٠	١ ٧٣٠ ٠٠٠
في اميركا الجنوبية	٩٧ ٨٠٠	٣١٤ ٠٠٠
في الاقيانوسية	٣ ٣ ٠ ٠٠٠	٦ ٨٠٠ ٠٠٠
المجموع	١٤ ٢٧٢ ٧٨٢	٤٤٥ ٣٨٨ ٥٠٠

ومعظم هذه الاقطار واقعة في المنطقة المعتدلة . وفي سنة ١٩١١ كان يقدر عدد الاوربيين (ومعظمهم انكليز) في الامبراطورية كلها بنحو ٦٠ مليوناً وكان فيها أيضاً ٣١٥ مليوناً من أهل الهند وسيلان و ٤٠ مليوناً من الزنوج وغير هؤلاء اجناس وشعوب اخرى مختلفة من عرب وملايو وصينيين الخ . . .

اما من حيث الاديان ففي الامبراطورية البريطانية ٢١٠ ملايين هندوس (براهمة) و ١٠٠ مليون مسلم و ٨٠ مليون مسيحي (منهم ٦٧ مليون بروتستنتي و ١٣ مليون كاثوليكي) و ١٢ مليون بوذي و ١٢ مليون انيميست و ٤ ملايين سيخ وبارسي وربع مليون يهودي والباقون من عبدة الاصنام والالهة المتعددة

النظام الجامع

ليس للامبراطورية دستور أساسي تقوم عليه ولكن لها اجمالاً ثلاثة مبادىء رئيسية ترتكز عليها وهي : اولاً الاستقلال في الحكم الداخلي وثانياً الاستقلال في



جورج الخامس بلباسه الهندي

المالية وثالثاً الاستقلال في الدفاع . ومع ان هذه المبادىء لا تنطبق تماماً على كل اجزاء الامبراطورية فانها غالبة فيها او على الاقل هي الوجهة التي تتجه اليها في تطورها . فالمبدأ الاول اي الاستقلال في الحكم الداخلي قد نفذ منذ عدة سنوات ولا سيما في كندا

ونيوفوندلند واستراليا ونيوزيلند واتحاد افريقيا الجنوبية . ومثله المبدأ الثاني فان كلا من الاجزاء المؤلفة للامبراطورية يقوم بنفقاته ويندر بينها من يحتاج الى مساعدة من الحكومة المركزية . وأما المبدأ الثالث فانه أحدث من المبدئين المتقدمين ويقال بالاجمال انه من نتائج المؤتمر الامبراطوري الذي عقد من مدة قريبة كما سنبين ذلك. وسنتناول فيما يلي البحث في مظاهر كل من تلك المبادىء الثلاثة

الحكم الداخلي

يجدر بنا أن نقول كلمة عن الوحدات التي تتكون منها الامبراطورية البريطانية وهاك أقسامها بالترتيب :

(١) المملكة المتحدة اي انكلترا وسكتلندا وارلندا. ومعلوم ان دستور المملكة الانكليزية معظمه تقليدي ولكن اصوله معروفة وهي الحرية الشخصية وعدالة القضاء وتحصيل الضرائب بموافقة الشعب وتقييد سلطة الملك ومسؤولية الوزارة واعتمادها على اغلبية المجلس النيابي وانتخاب النواب بالتصويت العام

(٢) امبراطورية الهند ويحكمها ملك انكلترا (وهو امبراطور الهند) بمعاونة وزير انكليزي خاص بشؤون الهند يساعده مجلس يعين بمعرفته . ولا بد في بعض الامور من موافقة البرلمان على قرارات الوزير والمجلس لتكسب تلك القرارات صبغة شرعية . ويقيم في الهند حاكم عام يعاونه مجلس استشاري ومهمة الحاكم والمجلس تنفيذ القرارات والاوامر الصادرة اليهم

(٣) المستعمرات وهي أنواع مختلفة متفاوتة في السلطة المخولة لها ولكن يقال على الاجمال ان لكل من هذه الممتلكات هيئة نيابية مستقلة فيما يخص الشؤون الداخلية . على ان للحكومة الانكليزية حق المشارفة والاعتراض في بعض الاحوال

وتقسم الممتلكات من حيث نظاماتها الى اربعة أقسام رئيسية .

ا — المستعمرات الحائزة على حكومة نيابية مسؤولة وهي شبيهة كل الشبه بالدول الديمقراطية الحديثة اذ لها وزارة مسؤولة ليس ازاء الحكومة المركزية (الانكليزية) فقط بل ازاء هيئة نيابية منتخبة بالتصويت العام . وهذا القسم مؤلف من كندا ونيوفوندلند واستراليا ونيوزيلند واتحاد افريقيا الجنوبية

ب — المستعمرات القائمة حكومتها على مجلس تشريعي منتخب كله او بعضه ومجلس تنفيذي يعينه « التاج » او الحاكم الممثل للتاج . وفي هذا القسم تدخل جزر



البرنس اوف ويلس ولي العهد ورئيس الوزارة المستر لويد جورج

بهاما وبرمودا ومستعمرة غويانا الانكليزية وجامايكا ومالطه وغيرها

ج - المستعمرات التي على رأسها حاكم يعاونه مجلس تنفيذي وآخر تشريعي

وكلا المجلسين يعينهما التاج او الحاكم الممثل للتاج . ومن هذا القبيل جزيرة سيلان وجزر فالكلند وفيجي وغامبيا وسيرا ليوني وترينيداد

د ـ المستعمرات التي يجمع فيها الحاكم وحده بين السلطتين التنفيذية والتشريعية. ومن هذا النوع جبل طارق وجزيرة القديسة هيلانة وبتشواناالند وباسوتولند وزولولند وغيرها

(٤) الاقطار التي تحت الحماية . وأهم مظهر للحماية فيها كون جميع علاقاتها الخارجية تحت سيطرة الحكومة الانكليزية . وتشمل الحماية الانكليزية الآن مصر (ولا تزال المفاوضات دائرة بشأنها) ومستعمرة أفريقيا الشرقية الانكليزية وسوماليلند ونياسالند واوغندا وسوازيلند ونيجيريا

(٥) مناطق النفوذ ويمكن تحديدها بانها بلاد بسط عليها النفوذ الانكليزي بحيث لا تسعى الدول الاخرى في بسط نفوذها عليها أو فتحها او استعمارها . ومن هذا القبيل بعض امارات الشرق الادنى في خليج فارس وجزيرة العرب

(٦) الاقطار التي تحت الانتداب وهي الاقطار التي تحكمها انجلترا بصفتها منتدبة من قبل جمعية الامم لضمان الامن والنظام فيها ومساعدتها على انماء مواردها وقواها . وقد انتدبت انكلترا بهذه المهمة في بعض مستعمرات المانيا سابقاً في افريقيا وفي فلسطين والعراق

الاستقلال المالي

ان كلاً من البلدان الداخلة في الامبراطورية البريطانية ذات استقلال مالي أي أن دخلها وخرجها مستقلان عن مالية الحكومة الانكليزية ـ الا في بعض الاحوال الاستثنائية اذ تقدم الحكومة الانكليزية مساعدة مالية لاغراض معينة . ولا تفرض الحكومة المركزية شيئاً من الضرائب على أهالي المستعمرات فانما فرض الضرائب من حقوق الحكومات المحلية . عملاً بمبدأ دستوري أساسي وهو انه « لا ضريبة بلا تمثيل نيابي » . وقد ثبت هذا المبدأ الدستوري بعد استقلال اميركا من سلطة انكلترا ولم تعد الحكومة الانكليزية تتقاضى شيئاً من الضرائب من سكان مستعمراتها

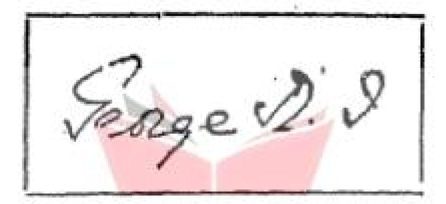
الاستقلال في الدفاع

كل مستعمرة بوجه الاجمال مكلفة الدفاع عن أملاكها المباشرة . وأما الدفاع عن الامبراطورية بصورة عامة فذلك من شأن « لجنة الدفاع الامبراطوري » التي

تنظر في الخطط العمومية وتنظم قوى الامبراطورية البرية والبحرية وجميع مواردها . وقد كان المستعمرات شأن كبير في الحرب الاخيرة كما هو معلوم

المؤتمر الامبراطوري

فيرى القارىء مما تقدم ان عوامل التشتت في الامبراطورية البريطانية تكاد تكون أكثر من عوامل الجمع والارتباط . ولذلك رأت الحكومة الانكليزية ضرورة ايجاد هيئة جامعة لتلك الممتلكات البعيدة بعضها عن بعض . وتلك الهيئة هي المؤتمر الامبراطوري الذي أصبح له شأن خطير في عالم السياسة



امضاء ملك انكلترا

ويرجع تاريخ هذا المؤتمر الى سنة ١٨٨٧ حين اجتمع في لندن رؤساء وزارات المستعمرات المستقلة لتمثيل حكوماتهم في احتفال يوبيل الملكة فيكتوريا . وقد تكرر هذا الاجتماع في سنة ١٨٩٧ و١٩٠٢ و١٩٠٧ و١٩١١ . وفي سنة ١٩٠٧ أطلق عليه اسم « المؤتمر الامبراطوري » وكان يسمى الى ذلك الحين « مؤتمر المستعمرات » وقد كان يرأسه في الاجتماعات الاولى وزير المستعمرات ثم تولى رئاسته رئيس الوزارة الانكليزية . وفي سنتي ١٩١٧و١٩١٨ سمي « مؤتمر الحرب الامبراطوري » وكان ذا سلطة واسعة . والمنتظر ان ينتظم انعقاد هذا المؤتمر في السنوات القادمة ويتخذ شكلا دستورياً ثابتاً

على أن هناك تطورات أخرى جسيمة يتوسمها المطلع على مجرى السياسة العامة. فان الدور الحاضر ليس الا دور انتقال في تاريخ الامبراطورية البريطانية ولن يستقر أمرها على قرار الا بعد عدة سنوات

أنا أم الهزار

لجميل صدقي الزهاوي

اتني والهزار فرعان من أصـ ل كلانا قـد مارس الاشعارا
وكلانا بث الصبابة الا انني قد صرحت وهو أشارا
وكلانا أجاد نظم القوافي غير اني قد فقت فيه الهزارا
فانا أخبر الانام بحبي وهو بالحب يخبر الاطيارا
انا فيه محرك ليراعي وهو فيه يحرك المنقارا
انا قد طرت في سماء المعاني وهو في جو روضه قد طارا
وجناح الهزار ريش قليـل وجناحي فكري الذي لا يجارى
اعشق الزهر في السماء فأشدو وهو في الارض يعشق الازهارا
هو في نظمه يقلد طيراً سبقته وان فيَّ ابتكارا
يصف الحب وحده ثم اني أصف الناس والهوى والديارا
وقصارى انغامه الوجد اما نغماتي فما لهن قصارى
انه شاعر يكرر ما قا ل واني لا أحمد التكرارا
شعره في الحياة وقف عليه فهو ان عاش عاش او بار بارا
وقريضي يعيش بعدي طويلا ويجوب البلاد والامصارا

وقال من قصيدة « اسماء »

اليك إلهي في بكاء اجيده قصيداً اذا ما نابني الخطب اضرع
اليك بداجي الليل في البحر ان طغى اليك اذا ما ريع قلبيَ افزع
عبدتك ما أدري ولا أحد درى أسرك أم صدر الطبيعة أوسع
قرأت اسمك المحمود في الليل والضحى اذ الشمس تستخفي اذ الشمس تطلع
فحققت ان الكون بالله قائم وايقنت ان الله للكون مبدع
وانك معنى والخليقة لفظه وانك حسن والطبيعة برقع

جميل صدقي الزهاوي

ساعة مع عيلة غريبة

بقلم الآنسة مي

الاشخاص

متاتياس ، مالي من رجال البورصة

أغابي ، زوجته يونانية الاصل تظهر اللكنة الاعجمية في لفظها

مدام سالم ، اخته الكبرى ضيفة عنده مع زوجها

الدكتور سالم ، صهر متاتياس

سميحه ، أخت متاتياس الصغرى . عزباء تسكن معه . وقد توفيت والدة هؤلاء الاخوة الثلاثة على أثر ولادة سميحه

شفيق ، طالب في مدرسة الحقوق . أديب وموسيقي . أخو متاتياس لابيه وقد توفيت والدته كذلك بعد وفاة أبيه . يصغر سميحه بعامين أو اكثر قليلا

المكان

منزل فخم في رمل الاسكندرية

الوقت

بعيد الساعة التاسعة صباحاً

— متاتياس (جالس أمام المائدة يتناول الفطور والى يمينه زوجته والى شماله شقيقتاه مدام سالم وسميحه . يتحادثون عن أشياء عادية كالمغص الذي تألم منه الولد ، والخصام بين الخدم ، والتحسر على طاولة البكارا البارحة ، وكم ربح الجيران من مدخول البوكر في الشهر المنصرم الخ . يدخل شفيق بلا تسرع ويجلس بهدوء في مكانه قرب سميحه . متاتياس يرقبه بشيء من الاستياء ثم يتنحنح ليجلو صوته، ولينذر السامعين بأنه سيقول شيئاً خطيراً . مخاطباً شفيق :) صح النوم !

— شفيق (بعد سكوت قصير) : لم أكن نائماً . أنا آت من حمام البحر

— متاتياس : من حمام البحر ؟ إذاً هذه الليلة لم تنم كعادتك ؟ (شفيق يصب القهوة

في فنجانه معرضاً) اذاً تريد أن تنتحر انتحاراً ؟ هل تظن أني سأحتمل هـذا طويلاً دون أن أدعك تشعر بأن لك من يسيطر عليك ؟ في الليل بدلا من ان تفعل كسائر الخلائق فتسهر في تياترو أو في سينما . . .

— شفيق (مقاطعاً بأدب) : وهل من شروط الخليقة ان تسهر (مفخماً اللفظة) الخلائق في تياترو أو في سينما ؟

— متانياس (دون أن يلتفت لمقاطعته) ... أو معنا نحن أهلك فانك تذهب الى مجتمعات الدعوى والكلام الفارغ والعقول المرقـعة التي تسميها أندية الادب والمناقشة والخطابة (أغابي ومدام سالم يتبادلان اشارة اسف دفين وتتنهدان عالياً جداً) وتعود بعد نصف الليل الى كتبك الشيطانية كأن نور النهار لا يكفي لاضعاف بصرك واتلاف صحتك وتقصير حياتك . . .

— أغابي (تتنهد مرة أخرى) : يا سلام !

— متانياس (ينظر اليها شزراً لجرأتها على مقاطعته . ويتابع متنيظاً) : كانت غرفتك منارة عند الساعة الثالثة فتى نمت ومتى استيقظت ؟ ألا تعلم أن الكتب لم يتاجر بها متاجر الا وجننه ، جننته وأفقرته ؟ أتريد أن تعيش مستعطياً ذليلاً ؟ ألسنا نحن أفضل من هذه الوريقات عدة ابليس . أليس مجلسنا أهلاً لك حتى تقضي الساعات مسجوناً في غرفتك وعند ما تخرج الينا لا تعطينا غير الدقائق التي تقضيها على المائدة ؟ أهكذا يصطاف الناس ، أهكذا يتنزهون ويعيشون ؟ أتعلم ان أمرك صار يشغلني الى درجة القلق ؟ ساعدك الله على حياتك كيف ستكون !

— شفيق (يحرك السكر في فنجانه بهدوء ويحتمل هذه الوعظة بتجلد كمن اعتاد سماعها . يتكلم بأدب ورصانة) : يسوءني ان أكون سبباً لازعاجك . ولكني لا أستطيع تغيير فطرتي. ثق بأني لن افعل ما يؤذيني بل أتمتع بحريتي باعتدال . أحب ان أشعر بأني حر مطلق الحرية

— مدام سالم (تشهق متمثلة التعجب والتغيظ) : اخوك يريد خيرك وينصحك وانت تقول له « انا حر » ! نجنا يا الله من أولاد الجيل الجديد دا !

— أغابي : دا ايه دا يا شفيق ؟ انت تبقى حر ازاي ؟

— شفيق (متألماً في ذكائه لمناقشة هذه الرؤوس الخاوية) : ها قد ابتلينا بموضوع جديد ! وهل كلمة « أنا حر » هذه الـكلمة التي تثبت وجود الانسان أمام الوجود ،

هل هي أثيمة الى هذا الحد ؟ ان لي ذوقي وميولي ومطالبي ورغباتي وكلها تختلف عن ذوق أخي وميوله ومطالبه ورغباته . لا يعني هذا أني أفضله أو انه يفضلني . كل طبيعة حسنة منسجمة في ذاتها . عندما ينصحني ويعنفني هو يقدّر أني مثله تماماً ، ويجردني من نفسي ولا يتصور أني أختلف عنه كل الاختلاف . فحبذا لو تفاهمنا مرة واحدة ووضعنا حداً لمثل هـذه المناقشات . لـكل منا فطرته وحريته . ولي حريتي وأريد أن أتمتع بها

— مدام سالم (وقد طفح كيل تعجبها) : يا ابني دا اخوك . يكبرك بعشرين سنة . دا رباك زيّ أبوك . دا هو احتضنك ورباك . وانت مخطىء تتبع سبل الضلال، ولما يجي ينصحك تقوم انت تتجاسر تقول له « أنا حر »

— شفيق (متتبعاً باهتمام نحي هذا المنطق الاعوج) : من يسمعك قائلة اني أسير في « سبل الضلال » يحسب أني . . . (يصمت فجأة اذ يأنف متابعة جدال كهذا ثم يقول لنفسه بشيء من المرارة) تلومونني لأني لا أطيل الجلوس معكم ، وهل من عجب وكل جلسة كهذه الجلسة ؟

— متاتياس (يتنحنح كعادته ليقول شيئاً خطيراً) وكم دفعت ثمن الارغن الذي جئت به البارحة ؟

— شفيق (بتأدب) : هذا أمر لا يخص غيري

— متاتياس(يغضب حقيقة هذه المرة) : شؤونك المالية لا تخصني ؟

— شفيق (ينجح في ان يكون هادئاً كالاول) : انها لاتخص غيري في هذا الموقف لاني ابتعتُ الارغن بما توفر لديّ من مصروفاتي الشهرية . وأنا حرّ في ان اشتري آلة موسيقية تسرني ولا تؤذي أحداً

— مدام سالم : انه « حرّ » مرة أخرى . هو « حرّ » كل مرة

— متاتياس : ألست مجنوناً ؟

— شفيق (يهز كتفيه) : قد أكون مجنوناً لاني لستُ مثل . . .

— متاتياس (متمماً فكر شفيق) : مثلنا نحن ، أليس كذلك ؟ نحن عقلاء نعمل كجميع الناس ونجتمع بالوجهاء أمثالنا ، وألعابنا ومسراتنا معقولة معتبرة كما ان أشغالنا شريفة كثيرة الارباح . اما انت فانظر الى ما تفعل واذكر من تعاشر . وأنا أريد أن اصلحك رحمة بك وخوفاً على مستقبلك فتقبل نصحي كالمجنون الاحمق

— شفيق (بهدوء حزين) : حدثني عن رحمتك . . . أني حتى الساعة لم ألمح خيالها

— متاتياس (يتكلف الشفقة المتناهية) : وماذا ينفع الذكاء والدرس ان لم يقدمها النصح والرأي . اعلم ، أيها المغرور ، انه كما قال الشاعر العربي (بفخامة وتأنٍّ في الإلقاء)

« الرأي قبل شجاعة الشجعان »

[شفيق ينظر الى أخيه بعينين واسعتين مدهوشتين وفيهما خيال الضحك . فتهمس له سميحه بسرعة : « لا تدهشنك هذه الفصاحة الفجائية ! هـذا عنوان اعلان تجاري رآه في جريدة هذا الصباح قرب أخبار البورصة » هنا ينهض متاتياس بعظمة تتبعه زوجته ومدام سالم ويتجهون نحو الباب . وعندما يصل متاتياس قرب أخيه يتهكم قائلا : « ابق على حريتك لنرَ الى أين تقودك » ثم يخرجون وشفيق مهتم بملس الزبدة على كسرة خبز في يده . وبعد أن يبتعد وقع أقدامهم يجيل نظره فيما حوله فيرى انه وحده فيحمل فوطته ويلوح بها في الفضاء كمن يطرد الذباب . فيسمع صوتاً يتكلم وراءه ويلتفت فيرى الدكتور سالم مشيراً نحو الشرفة حيث سميحة تسقي الازهار]

— الدكتور سالم (مخاطباً سميحه) : أتسمحين لي بفنجان قهوة صغير ؟

— سميحة : أسمح بفنجان قهوة كبير (تدخل من الشرفة وتدنو من المائدة)

— الدكتور : اشكر لك كرماً لن أتمتع به . يجب أن أذهب الى المدينة في الحال (مخاطباً شفيق) كيف الحال ، يا سي شفيق ؟

— شفيق : في الحياة أمراض لا يداويها الطب يا دكتور

— سميحه (بعطف أكيد) : لقد أنهكوا قوى هذا الولد المسكين

— الدكتور (يشرب القهوة واقفاً) : كذا ؟ وأي ذنب جديد جنيتَ يا كثير الذنوب ؟

— شفيق : هو الذنب الاكبر الذي لا ينتهي . وهل ينتظرك في المدينة مريض ما ؟

— الدكتور : لا تغيّر الموضوع . اخبرني عن ذنبك الجديد

— سميحه : سهر البارحة في النادي . وظلت غرفته منورة حتى الساعة الثالثة صباحاً . وابتاع ارغناً . وقال انه « حر » . هذه قائمة الذنوب الجديدة

— شفيق (لا يلتفت اليها) ذنبي الذي لا يغفر هو اني لست طفلاً . أريد ان

افكر بنفسي وأعمل لنفسي وأعتمد على نفسي . وهم يقذفون عليَّ بآرائهم ونصائحهم في كل حين. وما هي قيمة الرأي يا ترى ان لم أطلبه أنا ؟ وقد أطلبه وأسمعه دون ان أتبعه. ثم اذا استشرت غيري كل خطوة فكيف اعرك الامور فأخطىء هنا وأصيب هناك واكتسب من الفشل والنجاح اختباراً هو في الحقيقة اكبر وأقدر ما يقود المرء في هذه الحياة المتشعبة السبل ؟

— الدكتور : الرأي حسن يا شفيق عندما تطلبه وتكون في حاجة اليه

— شفيق (متحمساً) : حسن في هذه الحال وقبيح في ما عداها . عندما أقصدك مستشفياً اعلم أنك تستطيع شفائي فاذعن لاوامرك وأقبل نصائحك . وعندما أسألك رأيك اعتبرك قادراً على وضع نفسك مكاني والشعور معي ، حقيقاً بأن تقودني في طريق سلكتها واختبرتها قبلي . ولكن ما قيمة الرأي عند غير أهله ؟ كيف يرشدني في الموسيقى من لا يتقن الا النجارة ؟ كيف يصلح أغلاطي اللغوية من كان صحيحه مغلوطاً ؟ كيف يعلمني الصينية من لا يعرف عدد حروفها ؟ ثم كيف هو ينهاني عن قيادة زورق حياتي كما أريد ؟ عجباً ! ألالام لاني لا أقضي لياليَّ حول الطاولة الخضراء ولا أصرف نهاري بين سباق الخيل وصيد الحمام وحانات الرقص والشراب ؟ كنت وما زلت أعتقد ان من كانت هذه حياته حقّ عليه الملام ، وها أنا الذي أطلب الهدوء والوحدة أقابل بالشغب والعبوس . (يصمت آسفاً لانه تكلم . الا ان الكلام يعود متدفقاً من بين شفتيه) يعيرني انه رباني صغيراً . والله يعلم كيف رباني ! انه أدخلني المدرسة وهل كان بوسعه أن يفعل أقل من ذلك ! ويقول انه بمثابة الاب لي فأي حنوّ وطد هذه الابوّة ؟ كنت أقضي في المدرسة شهوراً طويلة دون أن أراه، ولما يزورني هو . . . هنّ كانوا يحملون اليَّ الحلوى واللعبات وكل ما تجلبه الدراهم ولكنهم لم يكونوا ليعطوني منهم شيئاً . الدراهم أورثنيها أبي مثل ما اورثهم . أما قلوبهم فكانت مختومة كالقبور . كنت أبكي — أتسمع يا دكتور ؟ قلت ابكي — كنت أبكي عندما أرى رفاقي في احضان ذويهم محبوبين مدللين ، أما هو فكان يأتي ويذهب بلا قبلة عطف ، بلا كلمة محبة ، بلا نظرة اهتمام لليتيم الصغير الذي كنته . وكم كنت مستعداً لأحبه ! وكم كنت أتمنى أن يتركني أحبه دون أن يجمّد قلبي ! ولو علمت اليوم انه ينصحني مهتماً مخلصاً لسعدتُ بالتنازل عن رأيي وسارعت الى اتيان ما يشتهي . ولكنه ينصحني

ليجعل لنفسه أهمية وليذلني ، ولو أذعنت لكلامه لحظة لما تأخر عن تغييره في اللحظة التالية (يتنهد) لا أستنشق في هـذا البيت غير المقت والـكظيمة . أنهم ينظرون اليَّ كدخيل مغتصب . هذه أمراض عضالة لا تستطيع معالجتها يا دكتور (تلتقي عيناه بعيني الطبيب وهو ينظر اليه طويلا بعطف يشبه الصادقة . فيهز رأسه فجأة ويحاول الابتسام) استميحك عفواً فقد مزجتُ قهوتك بالشكوى . (يهز كتفيه) ما أحقر الشكوى وما أحقر الشاكي ! (يتغلب على نفسه ويرسل زفرة عميقة) انتهى يا دكتور

— الدكتور (متجهاً نحو الباب) : نصحي اليك ، وان كرهت الناصحين ، ان تخرج من نفسك بقـدر الامكان . ان عكفك على ذاتك يزيد عواطفك رقةً وقوة وتهيجاً . احتك بالناس . اسمع ثرثرتهم . شاركهم فيها . اخرج الى الهواء الطلق ، تعاط الالعاب الرياضية . العب ، العب ، كن من أبناء جيلك لئلا تتعذب كثيراً

— سميحه (تتمز ضاحكة) : سلمني مريضك فأمرّضه يا دكتور! (الى شفيق) تعال معي الى الهواء الطلق ! تعال وكن رابع رفقائي في دور «التنس» هـذا الصباح ! (يخرج الطبيب مسلماً ويحاول شفيق اتباعه فتسد عليه سميحة الطريق قائلة:) لا تذهب هكذا . لئن ساءني ان اراك غاضباً فانه يحزنني أن أراك حزيناً . وعندما يضايقونك تتقطع أوصال صبري

— شفيق (ببرود) : يحزنك ! يسؤوك ! انك مثلهم جميعاً

— سميحه : ما أجهلك بي ! لماذا لا تنظر اليَّ ؟ لا أدري أأنت محق أم متناياس ، ولكن ميلي معك

— شفيق (بلا اكتراث ودون ان ينظر اليها) : عجائب !

— سميحه: لوعلمت أني في حاجة اليك وأني شقية في هذا البيت مثلك لما كلمتني بهذه اللهجة

— شفيق (يتكلف الاهتمام التمثيلي) : شقية أنت بين حمامات البحر ، ولعب الكرة ، والسهرات الراقصات ، والسينما ، والتياترو ، ومغـازلة ابناء الوجهاء أمثال أخيك ؟ تعزي بالأثواب الجديدة ، والقلائد الكثيرة ، والاكعاب الطويلة ، تعزّي ولا تحزني ! (ينظر الى ساعته) مضى الوقت ارجوك أن تدعيني أخرج

— سميحه (بتأن) : قلت أني في حاجة اليك

— شفيق (يخرج من جيبه مفكرة وقلم رصاص) : صحيح . نسيت . بماذا تريدين

ان احيئك من المدينة (منتظراً أن تتكلم ليكتب) بودرا ؟ خضاب ؟ عطر ؟ زهور ؟ شكولاتا ؟ أي شيء ؟

— سميحه (يظهر الحزن في وجهها . وتفسح له الطريق قائلة :) لك أن تخرج

— شفيق : (يخطو العتبة وهناك يتردد ذاكراً خشونته . ثم يلتفت ويعود نحو سميحه وينظر في وجهها متمتماً ما يشبه الاعتذار :) انك لا تنقمين عليّ ، أليس كذلك ؟

— سميحه : وماذا يهمك ؟

— شفيق : لا يهمني! لقد هنتُ على الاخرين فهانوا هم عليّ . لا يهمني شيء

— سميحه : فهمت أني لا أهمك وانك لا تريد أن تعتني بأمري . أعدتَ لتقول هذا ؟

— شفيق : عدت لاقول . . . (بتردد) أراك غير راضية

— سميحه : حقاً لست راضية . أني شقية

— شفيق : (لا يريد أن يتأثر) لست جادة

— سميحة : وهل من شقاء أوفر جداً من أن تقصد زوجة متانياس أن زوجني لاحد اقاربها واسمه خريستو بوبولاندوبولس

— شفيق : (برفع يديه كمن يغني وأسه لطمة) ياحفيظ . اما كل هذا ؟

— سميحه : كل هذا اسم واحد . (يائسة) اسم يملأ بطاقة الزيارة من أولهـا الى آخرها

— شفيق : (مؤاسياً) هوّني عليك ! وماذا يقول متانياس؟

— سميحة: وماذا ينتظر من رجل لا قيمة عنده الا للمال وكل اسمه متانياس؟

— شفيق :(يضحك) لست أدري لماذا أعطوه هذا الاسم

— سميحه : يظهر ان ابن جارة يونانية لنا كان يدعى به. وربما كان نبوءة بأنه سيقترن بامرأة يونانية من ذوي قرباها خريستو بوبولاندوبولس هذا

— شفيق : ممكن (يضحك . ثم تعود اليه هيئة التفكير شيئاً فشيئاً) اذاً تتخوفين الارغام ، أيزعجك الارشاد المتتابع ، أم في هذا القلب الصغير شيء آخر ؟

— سميحه : أنت طيب كجميع الرجال الاذكياء

— شفيق : (يتفحص وجهها بدقة) وكيف عرفت جميع الرجال لتعلمي أن الاذكياء منهم . . .

— سميحه : (مشرقة الوجه) أعرف الجميع لاني أعرف واحداً (تهز رأسها لتخفي خجلها) وانت أخبرني اسرارك . بين الكثيرات المفضلات على الكثيرات ، والقليلات المفضلات على الكثيرات ، ألا يوجد واحدة . . .

— شفيق : (يأتي اشارة مبهمة ونظره يتبع خطوط حلم بعيد) ليس هذا من شؤون الفتيات . وساروفيمك هذا من ابطال « التنس » ؟

— سميحه : ان ذكاءك لمدهش ! هو زميلي وقد غلبته مرات مع أنه لاعب ماهر

— شفيق : وقد نال حظوة في عينيك لانه لاعب ماهر أم لانه مثل دور المغلوب ؟

— سميحه : (تحلم) لست أدري . انه يجذبني خصوصاً ونحن وحدنا في الليل على شط البحر

— شفيق (متبرماً) : وحدكما على شط البحر ، وفي الليل ، ما هذه الحكاية ؟

— سميحة (تتغير ملامحها وتجللها الهيبة والعظمة) : هناك عطفة تؤدي الى الشط حيث قامت طائفة جلاميد لها صور الضواري وأشكال الكواسر . ينبسط أمامها البحر بمروجه المائية وتهده العميق الفسيح . هناك تحت عيون النجوم اجلس على مقربة منه ، اجلس في حماه ، فيتناجى هو والبحر صامتين وأظلُّ حابسة انفاسي لاستمع لنجواهما

— شفيق (مأخوذاً بهذا الشيء الجديد الذي لم يعهده فيها) : أشاعرة أنت !! حقاً ان المرأة لغز . (ولكنه يعود الى ما يشغله) ومن ذا الذي اكتشف هذه الخلوة ؟

— سميحه : ومن ذا الذي يكتشف الاعاجيب غيره ؟ اكتشفها وقال «تعالي» فذهبتُ

— شفيق (غير مسرور) : أيكفي ان يقول « تعالي » لتذهبي ؟

— سميحه (تملأ عينيها مشاهد بعيدة) : يكفي أن يقول « تعالي » لاذهب

— شفيق (جاداً) : أنصحك ألا تذهبي بعد الآن . (سكوت قصير . ثم يقول امراً وبقوة هادئة) لا أريد أن تذهبي . أتفهمين ؟

— سميحه (تعود الى خفتها الاولى . مقلدة صوته) : « نصحي اليك ألا تذهبي » « لا أريد ان تذهبي » (ثم بلهجة خطابية فخمة واشارة تمثيلية واسعة) أصغي خاشعة ، أيتها الشعوب ، فان أخا متاتياس يتكلم !

— شفيق (متغلباً على نفسه لا يريد أن يضحك) : اسمعي يا بنية . انت لا تعرفين

هؤلاء الشبان ولا تسمعين ما يتبجحون به أمام بعضهم بعضاً . يكفي الواحد منهم ان يعرف فتاةً معرفةً سطحية وان تكون علاقته بها اجتماعيةً محضة فلا تعطيه غير مجاملة تقضي بها الاصطلاحات . بل قد يكفي ان يراها مرةً واحدة ليذكرها بلهجة توهم انه واقف على جميع دخائلها . لو علمت النساء جميع التعليقات والملاحظات وأنصاف الابتسامات وانصاف النظرات وصنوف السكوت الخبيثة التي يشفع بها ذكرهن أولئك المتملقون ! آه لو علمت النساء الغافلات !

— سميحه : شرير منك ان تعمد الى الوشاية

— شفيق : هذا هو الواقع مع الاسف

— سميحه : قد يوجد بين الرجال كمن وصفتَ ولكن هو لا يشبههم

— شفيق : كل أمرأة تكبر بطلها وترفعه فوق الاخرين . أقول لك انه يكفي أن يصافحها...

— سميحه (بلهجة الغالب) : وأنا أقول لك انه لا يصافحني

— شفيق (مرتاباً) : ألا تصافحينه قبل « التنس » وبعده ؟

— سميحه : أصافحه وقتئذ وأصافحه كلما اجتمعت به في الاندية العامة كما أصافح غيره من معارفي . أما في تلك الخلوة القدسية فلا

— شفيق : أهي معاهدة بينكما ؟

— سميحه : تعاهدنا ولكن بغير كلام

— شفيق : لم تتصافحا البارحة ، أما الغد فمن يضمنه ؟ لو مدّ لك يده ، نعم لو مدّ يده وقال « ضعي يدك هنا » فماذا أنت فاعلة ؟

— سميحه (لا تريد أن تتخيل ذلك) : هذا غير ممكن . هذا يستحيل

— شفيق : ولكن هي لحظة ان المستحيل ممكن . لو مدّ يده غداً وقال (يلفظ الكلمات بتأن متعمداً) بلهجة قوله « تعالي » ، لو قال بتلك اللهجة « ضعي يدك هنا » فماذا أنت فاعلة ؟

— سميحه (حائرة حزينة) : أتركه . اهرب . ولا أعود ألتقي به . (ترفع رأسها متفاخرة) غير أن الرجل الذي احتمي بحماه لا يحرجني الى الهرب

— شفيق : كم تحبينه ! (سميحه تضطرب كأن هذه الكلمة لمست من نفسها مكاناً مؤلماً فتسبل أجفانها وتسح دموعها ببطء . شفيق يتأملها) ألى هذا الحد ؟

— سميحه (تفتح عينيها فجأة وتسأل بحرقة) : شفيق ، قل لي ! أتظن أن فتاة مثلي ، فتاةً عادية مثلي ، تستطيع أن تسعد رجلاً حادّ الذكاء ؟

— شفيق (يبسم بحلم) أرى جميع أعراض المرض بادية . . وأراك ككل امرأة تبالغين في قدر من تحبين . (يسكت متأملا) أتمنى ان يكون هذا الغلام أهلاً للكنز الذي هو أنت . (ثم معاتباً ومداعباً معاً) وهكذا أفقد أختي ساعة اجدها ! اذا سرق هو كل شيء فماذا يبقى لي ؟

— سميحه : في صدر المرأة قلوب يا فيلسوف ، وعلى كل ان يجد القلب الذي يخصه . (عائدة الى الموضوع الرئيسي) خلاصة كل هذا اني اتكل عليك في دحر متاتياس وخريستو بوبولاندوبولوس وشركائهما

— شفيق : سندحرهم ! ومعنا الدكتور سالم الذي احترمه لانه ليس على وفاق مع أختك زوجته .. . مسكين ! اما شهراتك انت على شط البحر فسيكون لك من يرقبها ويحرسها ... يا لعناد النساء اوفي ما عدا ذلك سندحرهم ولنا الفوز المبين

— سميحه : أمين ! (تمضي باحثة عن صولجان « التنس » وشبكته وتنشد) « يا ليله يا بيضا يا نهار سلطاني » (ثم تغادر الغرفة بخطوات خفيفات راقصات)

— شفيق (يخرج الى الشرفة منتظراً مرورها في الحديقة وعندما يراها ينحني قائلا) سلمي عليه !

— سميحه : (تتظاهر بعدم الفهم) أي شيء ؟ (ثم تضم أصابعها وتدنيها من شفتيها وتقول :) ما أحلى اسمك يا شفيق !

(الستار) محيّ

وصية علي بن ابي طالب

أوصى علي بن أبي طالب للحسن والحسين فقال :

تنافسوا في المعالي وسارعوا الى المكارم واكتسبوا الحمد بالجود ولا تكتسبوا بالبخل ذماً ولا تعدوا معروفاً لم تعجلوه ومهما تكن لاحدكم عند أحد نعمة لم يبلغ شكرها فالله أحسن لردها أجراً وأجزل عليها حظاً وأعلموا ان أفضل المال ما اكسب حمداً وأعقب أجراً وقد سمعت رسول الله يقول ما عظمت نعمة الله تعالى عند أحد الا كثرت حوايج الناس اليه . فمن لم يحتمل تلك الحوايج فقد عرض تلك النعمة للزوال

عهد الصبا

لمعروف الرصافي

عهد الصبا سقياً لايام الصبا ... أشبه شيء بازاهير الربى
ان الصبا كالورد في نضرته ... وعمره واللون منه والشذا
واهاً على شرخ الشباب المشتهى ... خلّف ذكراه بقلبي ومضى
لقد ذوى غصن حياتي بعده ... وكان ريان التصابي والمنى
أطيب عيش المرء في شبابه ... فان تولى فهو عيش مزدرى

* * *

ان حياة المرء ما عاش تُرى ... أحوالها مختلفات في الرؤى
كالنهر الجاري الذي تغيّرت ... اوضاعه في الارض كلما جرى
فهو لدى المنبع ضحضاح وفي ... مصبه تلقاه بحراً قد طما
يناه يجري في الثرى منعطفاً ... اذا بواديه تمطى واستوى
طوراً كاسياف الوغى منحنياً ... في الارض ينساب وطوراً كالقنا
وربما عادت مجاريه به ... راجعة من حيث جاء القهقرى
وربما صادف غوطاً فانهوى ... فيه وقد خرّ خريراً ورغا
والماء فيه قد يرى منبسطاً ... وتارة منزوياً تحت الثرى
وتارة تلقاه في مشجرة ... يجري واخرى بين أصلاد الصفا
حتى اذا أبحر مجراه به ... كان الى الدأماء منه المنتهى
وهكذا أعمار انهار الورى ... تجري فتنصب الى بحر الردى

* * *

وانما العمر شباب فاذا ... زال فحزن وشقاء وضنى
ما كان أحلا العيش لو أنّ الفتى ... لم يجد الشيب اليه مختطى
ليت الفتى كالبدر في النشأة إذ ... عاد هلالاً كل شهر فنما
او ليته كالشجر النابت إذ ... يورق في الصيف ويعرى في الشتا
أو ليت هذا الشيب ان كان ولا ... بدّ من الشيب اتى قبل الصبا
شبيبة الانسان مرآة المنى ... بدائع الآمال فيها تجتلي

والمرء فيها ان تراءى راجياً … أبدت له مبتسماً ثغر الرجا
ويح شباب فتك الشيب به … اذ لاح كالسيف عليه منتضى
بردان هذا من وقار ونهى … خيك وهذا من تصاب وهوى
لكن وقار الشيب لا يعدل ما … في طيه من لوثة ومن ونى

* * *

يا مسلياً ذا الشيب عن شبابه … بانّ وخط الشيب ازهار النهى
اقصر هذاذيك عن القول فلا … يقاس ذيالك تالله بذا
وما الصبا بمانع من الحجا … بل هو في الشيخ يكون والفتى
وليس من أصبح يمشي الخيزلى … في معرض السبق كماشي الهيذبى
وما اياة الشمس في تطفيلها … مثل اياة الشمس في رأد الضحى
وهل يطيب العيش للهمّ الذي … ان همّ بالنهضة خانته القوى
يبيت طول الليل في مضجعه … مستأنس السُعلة وخشيّ الكرى
وان ظهر الارض يستثقل من … امسى يدبّ فوقها على العصا

معروف الرصافي

نقص الضروريات في البلاد المنضنكة
(عن جريدة المانية)

— أتسمح لي يا صاح باستعمال هذا الحبل بعدك ؟

الديمقراطية

والشعوب الشرقية (١)

للمصائب مهما عظمت أوجه نفع وفائدة . فالحرب الاخيرة ـ مع كل ما جلبته على البشر من الخطوب والرزايا ـ قد خلفت بعض الآثار المحمودة ذات القيمة الدائمة . ولنذكر في مقدمة تلك الآثار يقظة الشعوب وسريان الروح الديمقراطي فيها . فان التاريخ لم يعرف عصراً مثل هـذا العصر تأججت فيه العاطفة الوطنية واشتدت رغبة كل شعب في تحسين حاله وتوطيد مركزه وتحرير نفسه من عوامل الظلم والاستئثار على اختلاف صورها

أجل . ان البشرية اليوم مسوقة في طيات تيار عظيم هائل ـ تيار الديمقراطية الذي ما برح يقوى ويتضخم جارفاً كل ما يعترضـه في طريقه . فلم يبق شعب من شعوب الارض لم تشتعل في صدره تلك النار المقدسة التي أخذت تطهر القلوب والنفوس من بقايا العصور المظلمة

ان البشرية الحاضرة متعطشة تطلب عدلاً وانصافاً ـ تطلب نظاماً يضمن لجميع أفرادها عيشاً هنيئاً شريفاً . فهي تسائل نفسها : « أتكون كل تضحياتي بلا ثمرة ؟ أتذهب سدى جميع آلامي وأوجاعي ؟ » ثم لا تلبث أن تجيب قائلة : « كلا . لا بد من وسيلة أضمن بها الراحة والسلام . وهذه الوسيلة هي نشر الروح الديمقراطي الصحيح ، روح الاخاء والعـدل والمساواة بين الافراد وبين الطبقات وبين الشعوب جميعاً »

أشبه البشرية اليوم بنـاقه قام من مرض طويل أصيب فيه بتضاعفات وتشعبات عديدة . فلا بد لها من دور تستعيـد فيـه ما فقدت وترمم ما أتلف من جسمها ونشاطها . وهذا الدور ـ كـكل دور انتقال ـ تصحبه آلام وأوجاع واضطرابات في دوائر الحياة الاجتماعية جميعاً الى أن يُسترجع التوازن العام ويوضع كل شيء في موضعه فتسير الأمور اذ ذاك في مجاريها الطبيعية

* * *

(١) محاضرة القاها محرر هذه المجلة في نادي جمعية الشبان المسيحيين بمصر

في هذا العصر المضطرب المتقلقل يحتم علينا نحن أبناء الشرق ان نتبصر في حالتنا فننظر الى ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا نظرات المعتبر المستفيد . فلقد أصبح للحياة غاية سامية في أعيننا والقيت على عواتقنا تبعات عظيمة ما كنا نشعر بوطأتها من قبل . فاي غاية أسمى من تشييد بناء القومية على أسس صالحة متينة ؟ وأي تبعة أعظم من القيام بالواجبات المفروضة علينا نحو أنفسنا أولاً ونحو مواطنينا ثانياً ونحو الانسانية أخيراً ؟ فاليكم معاشر الشبان أوجه كلمتي هذه فان الامر موكول بكم قبل سواكم وفي أيديكم مفاتيح المستقبل . فذكروا أنفسكم في كل يوم وفي كل ساعة بواجباتكم نحو وطنكم حتى ترفعوه الى المستوى الذي يليق به وبكم بين أمم العالم جمعاء

هذه شعوب الغرب قد سبقتنا في مضمار المدنية . فعلينا ان نستفيد من الاختبارات التي اكتسبتها . علينا أن ننظر الى نظاماتها وأحوالها نظر المتبصر النقاد حتى نميز الغث من السمين والضار من المفيد فنعرف ما نأخذ عن الغرب وما نهمل . فبقدر ما فيه من الاشياء التي يجدر بنا احتيازها فيه أيضاً مثلها من الاشياء التي يجب علينا تجنبها واغفالها

دعامتا المدنية الحديثة

ان المدنية الحاضرة قائمة على دعامتين عظيمتين : دعامة العلم ودعامة الديمقراطية فبفضل العلم سهلت طرق المعيشة وتضاعفت الثروة على أنواعها وقربت المسافات وزاد تسلط الانسان على الطبيعة وقواها . ولنا في كل يوم الف شاهد على نعم العلم وبركاته من اختراعات عجيبة واكتشافات ثمينة . وبفضل الديمقراطية تقوّت عاطفة التآخي بين البشر ونمت روح العدل والانصاف والمساواة

وقد كان بودي أن أتناول في محاضرتي هذه كلتا الدعامتين . ولكني مضطرّ لضيق الوقت الى قصر كلامي على الدعامة الثانية أعني الديمقراطية

الناس في الوقت الحاضر أربعة أقسام : ففي الطرف الواحد فريق الرجعيين من أصحاب السلطة والمال الذين يودون استدامة سلطتهم والتحكم برقاب العباد بوسائل العنف والاستئثار . وفي الطرف الآخر فريق المتطرفين من العمال والعامة الذين يرمون الى دك البناء الاجتماعي من أساساته حتى لا يبقى منه حجر على حجر

وبين هذين الفريقين المتطرفين فريقان معتدلان يعتقدان باستحالة الطفرة في

الاجتماع ويقولون بضرورة التدرج في الاصلاح : فريق من أصحاب الاموال والاعمال يود اشراك العمال في التمتع بثمار العمل المشترك والتلذذ بخيرات هذا العالم . وفريق من العمال يبغي تحسين حالته ورفع مستواه الاجتماعي بالتفاهم والتراضي والتعاون

فالخطر كل الخطر يخشى من استظهار المغالين المتعنتين والخير كل الخير يرجى من فوز المعتدلين المنصفين . فبينا الاولون يرمون الى تسييد فئة أو طبقة دون سواها فالآخرون يريدون تساوي الفرص السانحة للجميع واشتراك كل الطبقات في الخير العام . وهذه هي روح الديمقراطية الصحيحة

الديمقراطية وسائر ضروب الحكم

لا يزال تقسيم ارسطو لضروب الحكومات افضل تقسيم معروف الى اليوم . فقد قسمها الى ثلاثة اقسام اساسية وهي :

حكم الفرد ويسمى ملكية

وحكم فئة ويسمى ارستوقراطية

وحكم الجماعة ويسمى ديمقراطية

على ان كلاً من هذه الانواع اما ان يكون صالحاً او باطلاً اي ان كلاً منها على ضربين ضرب مستحسن وضرب مستهجن

الا ان ارسطو لم يكتف بهذا التقسيم . فقد وضع قانوناً لتطور شكل الحكومة وتحولها من نوع الى نوع ينطبق على جميع الشعوب والازمان . وهذا القانون اكبر شاهد على مقدرة ذلك الفيلسوف العبقري وبعد نظره وسعة اطلاعه . وقد جاءت حوادث التاريخ تدعمه في معظم الاحيان . قال ارسطو : ان اول حكومة طبيعية في الامة هي الملكية اي حكم رجل قوي مطلق السلطة. فاذا توفي انتقل الملك الى اولاده ولكن هؤلاء قد يتناسون العهود التي قطعها سلفهم فيعيشون بعيدين عن رعيتهم فلا يلبث حكمهم ان يتحول الى استبداد فيثور عليهم الشعب بقيادة بعض الزعماء . فاذا فاز هؤلاء الزعماء استولوا على الحكم وكانت الحكومة « ارستوقراطية » . والارجح ان يكون ذلك الحكم صالحاً في اوله اذ لا تزال ذكرى الحكم السالف في الاذهان ونقمة الشعب عليه شديدة. ولكنه مع الايام يتقهقر ويسوء حالا فتستأثر الفئة الحاكمة بالسلطة وتستبد بالرعية . واستبداد الفئة قد يكون شراً من استبداد الفرد . فيؤول

الامر الى ثورة الشعب وتوليه الحكم بيده - وهو الحكم الديمقراطي . غير ان للديمقراطية كما لسائر ضروب الحكومة دور شيخوخة تحول فيه الى فوضى واختلال . فعندئذ يقوم رجل قوي وينصب نفسه سيداً وملكا . فتمر الامة ثانية في نفس الادوار التي مرت فيها وهكذا دواليك

هذه نظرية ارسطو وهي من اجمل النظريات المعروفة . ولئن صحت في كثير من الحوادث التاريخية الماضية فلا ندري هل تتناول حوادث التاريخ المقبلة . فقد تطور العالم تطوراً كبيراً وتأصلت فيه المبادىء الديمقراطية . وهذا قد يحمل على الشك في كون التاريخ سيدور دورته التي شرحناها فيما تقدم

ومهما يكن الامر نترك الآن ذلك البحث الفلسفي البعيد ونقتصر على المثبت الراهن في عصرنا الحاضر وهو ان الشعوب عامة ما برحت تتشرب الروح الديمقراطي وان هذا الروح هو أساس الحياة السياسية في الامم الراقية جمعاء

ما هي الديمقراطية

حدد أحد الكتاب الديمقراطية بقوله : « هي الاعتقاد بان مسراتنا تتضاعف بالمشاركة » . على ان هذا التحديد على ما فيه من جمال التعبير لا يبين أساس الديمقراطية السياسية . فهو أقرب الى الخيال الشعري منه الى التحديد العلمي . فالاساس الحقيقي الذي تقوم عليه الديمقراطية هو مبدأ « سيادة الامة » ومؤداه ان الامة مرجع كل سلطة في البلاد وانها هي وحدها صاحبة القول الفصل في جميع شؤونها . فالحكم الديمقراطي ينظم لفائدة الشعب عامة لا لفائدة أسرة حاكمة او طبقة خاصة

وبعبارة أخرى ان الحكم الديمقراطي يقوم على المساواة بازاء القانون فلا امتياز فيه لاحد الا ما قد يخوله بعض أفراده للقيام بوظائف تقتضيها المصلحة العامة . وتلك الوظائف ذات الحقوق الممتازة مباحة للجميع بشرط استيفاء الكفاءة المطلوبة لها

ولكن كيف يتولى الشعب بمجموعه تلك السيادة التي هي له دون سواه ؟ كانت المدن اليونانية القديمة - وفيها بزغ فجر الديمقراطية على العالم - تعتمد على تصويت الشعب مباشرة في كل المسائل الخطيرة . فكان اهل كل مدينة يجتمعون في أوقات معينة من السنة لينظروا في شؤونهم العامة فيبتونها ويصدرون قراراتهم المعبرة عن رغائبهم

أما اليوم فالحكم الديمقراطي يقوم بالانابة او التمثيل . فقد اصبح من المحال في الدول الحديثة اشتراك الجميع في الحكم والتشريع. فهم ينيبون عنهم أشخاصاً ينتخبونهم ويضعون فيهم ثقتهم ويعتمدون عليهم في بت الشؤون العامة . ومن يتتبع تاريخ الدول الحديثة يتضح له أن حق التصويت ما برح يمتد ويتسع مجالاً حتى أصبح في الدول الراقية حقاً عاماً لجميع البالغين . بل ان بعض الشعوب قد منحت هذا الحق للنساء أيضاً كما هو معلوم

تدرج الديمقراطية وانتشارها

نشأت الحرية السياسية أولا في البلاد اليونانية ـ منبت كل فكرة عظيمة . فان صولون الشارع الاثيني كان اول من منح الشعب حق التصويت سنة ٥٩٤ ق . م .

وقد انتاب الديمقراطية من ذلك الحين طوارىء وتقلبات عديدة . فكانت تارة تخمد انفاسها تحت أقدام الظالمين وطوراً تشرق منتصرة على العالمين مما ليس هذا مقام الافاضة فيه . وانما يقال بوجه الاجمال ان البلاد الانكليزية كانت موطن الديمقراطية الحديثة فانها اعرق الدول في النظامات الدستورية التي تضمن حرية الافراد وحقوقهم

وضع أول حجر لبناء الديمقراطية في انكلترا في سنة ١٢١٥ اذ منح الملك يوحنا رعيته الوثيقة الموسومة « مغنا كارتا » أي المنشور الاعظم . وقد نمت الديمقراطية في انكلترا نمواً بطيئاً بعد ذلك فتدرجت من حادثة الى حادثة حتى عمت الحياة السياسية كلها . ومعظم هذه الحوادث كان ضئيل الشأن في ذاته كسجن أحد الرعية من غير تحقيق او تقاضي ضريبة بلا حق او منع بعض الخطباء عن التكلم او حجز بعض المطبوعات. ولكن كل حادث منها كان يؤدى الى اصدار منشور او قرار ومن مجموع ذلك تكوّن البناء السياسي الانكليزي الذي لا يزال أمتن نظام ديمقراطي في العالم لانه تم تدريجاً وقام على دعائم راكزة في نفس الشعب الانكليزي

وقد مهدت الثورتان الاميركية والفرنسية الطريق لانتشار الديمقراطية بين الشعوب الغربية . فان القرن التاسع عشر كله قد استغرقه النزاع بين الحرية والاستبداد. على انه لم يبلغ آخره حتى كانت الديمقراطية قد ثبتت وتوطدت بحيث لم يعد يخشى عليها بأس

شروط الديمقراطية

ويجدر بنا الان أن ننظر نظرة انتقادية الى النظام الديمقراطي في الدول الحاضرة لنرى هل حقق هذا النظام الآمال المعلقة به . فلا ريب أن الديمقراطية جميلة من الجهة النظرية فهل هي كذلك أيضاً من الجهة العملية؟ فما أكثر النظريات التي تتراءى جميلة طالما كانت نظريات ثم تصبح قبيحة حالما تنفذ ويعمل بها على حد المثل القائل « اسمع تفرح جرب تحزن »

وليس غرضنا من هذا البحث درس نظامات الدول الغربية وانتقادها فحسب. وانما غرضنا الاول الاستفادة من اختبارات تلك الدول والنظر فيما يمكننا اقتباسه عنها وتطبيقه على حياتنا اليومية

ان الحقيقة التي لا جدال فيها هي أن الديمقراطية - حتى في أرقى الدول الغربية وأكثرها نزوعاً الى الحرية - لاتزال في مهدها. فان النظام الديمقراطي الحقيقي لايزال مثلاً أعلى وغاية قصوى تسعى اليها الشعوب وتسير نحوها سيراً حثيثاً

فالديمقراطية الكاملة تستدعي أن تكون السلطة بالفعل في يد الشعب - في يد كل فرد من أفراده . ولكي يتيسر ذلك الغرض المنشود لا بد من شرط أساسي وهو أن يكون أولئك الافراد متعلمين مهذبين مدربين على الحياة السياسية مدركين ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات قادرين على اصدار أحكام صحيحة عادلة في الشؤون العمومية والمسائل الخطيرة . ويجب ايضاً أن يكونوا على شيء من الرفاهة المادية والسعة في الرزق فالفقر يضغط العقل ويحط الاخلاق

فالديمقراطية الصحيحة اذاً لا تتفق مع الجهل والانحطاط الادبي كما انها لاتتفق ايضاً مع الفقر والانحطاط المعنوي . فمهما يكن الشكل الظاهر للحكومة فالديمقراطية لاتثبت في بلاد هذه حالها. ولاعبرة بالاسماء والمظاهر والنظامات الخارجية. فانه طالما كان في الشعب فئة متعلمة وفئة جاهلة من جهة وفئة مثرية وفئة معدمة من جهة أخرى فالسلطة الحقيقية تبقى في أيدي المتعلمين والاغنياء ولا تتعداهم الى سائر الشعب

ومن يتأمل أحوال الدول الغربية يجد أن العلم والمال لا يزالان منحصرين في طبقات مخصوصة . فلا يزال التعلم الصحيح مقصوراً على فئات معينة. وكذلك الثروة فمعظمها في أيدي نفر محصور في حين أن السواد من الناس لا يكادون يحصلون

على كفايتهم. فاذا شاء شعب أن يوطد في ابنائه روح الديمقراطية الحقة وجب عليه أن يقيمها على اساسين :

(١) العلم – فيجعل التعليم عاماً ميسوراً للجميع

(٢) السعة المادية – فيعمل على التسوية بقدر المستطاع بين الناس بحيث لا يكون فيهم طبقة متطرفة في الغنى وطبقة متطرفة في الفقر كما هو الحال اليوم . بل يجعل أبواب الكسب الشريف مفتوحة للجميع

ومتى بلغ الشعب هذه الدرجة من الرقي تضاعف يسره وازدادت رفاهته . لان الفرص السانحة لا تلبث أن تظهر من أبناء الشعب كثيرين من أهل العبقرية الكامنة والنبوغ الخفي فيتقدم هؤلاء ويفيدون أوطانهم أجل الفوائد . لان الطبيعة لم تحصر العبقرية والنبوغ في طبقة من الناس فلكم من عظيم خرج من كوخ حقير

أخطار الديمقراطية وصلافاتها

قلنا ان الديمقراطية لا تزال اليوم بعيدة عن الكمال لان شروطها الاساسية غير متوافرة في النظام الحالي . وقد قام غير واحد من المفكرين يندوون بهذا النظام ويبينون معايبه . فجدير بنا ان نحيط بتلك الانتقادات التي ترمى بها الديمقراطية الحاضرة . ولا سيما نظام التمثيل والانابة المتبع الآن

ومن أقدر الذين انتقدوا هذا النظام عالم ايطالي اسمه سيجالي كتب في جملة ما كتب فصلاً شائقاً عن هذا الموضوع شرح فيه الحياة السياسية في البلاد الغربية ومما قاله ان النواب يندر أن يكونوا أفضل أبناء الامة او اوسعهم علماً واقتداراً . فانهم قلما يحفلون بمصالح منتخبيهم وانما يكون همهم الاول رعاية مصالحهم الخاصة . أضف الى ذلك مساوىء التحزب السياسي وما يؤول اليه من قصر النظر والالتفات الى الشخصيات وما يتخلل الانتخابات من الرشوة والتأثير غير المشروع ونحو ذلك من العوامل التي تجعل النظام النيابي منبتاً للفساد والدسائس والسفالات على أنواعها

على ان اهم انتقاد وجهه ذلك العالم الى النظام النيابي هو انه قائم على نظرية فاسدة من الوجهة العلمية . وهذه النظرية هي الاعتقاد بان بت الامور بواسطة عدة اشخاص مجتمعين افضل واصلح من بتها اعتماداً على رأي شخص واحد . فالحقيقة هي ان عقل الانسان يتحط بالاجتماع وينزل عن مرتبته . فالانسان منفرداً

ارقى منه مجتمعاً . ولذلك كان مجلس النواب بمجموعه دون معدل المقدرة العقلية التي لاعضائه . ثم ان الاكثرية التي هي مرجع النظام النيابي لا تكون دائماً في جانب الصواب وهي تتأثر بعوامل وقتية فتهب أو تخمد بفعل الكلمات المنمقة والعبارات الجذابة وقلما يؤثر فيها القياس المنطقي والبرهان العقلي

غير ان هذه الانتقادات وأمثالها مع كونها صحيحة في الغالب لا تطعن في جوهر الديمقراطية . ولو ان الدول الحاضرة استوفت الشروط اللازمة لتوطيدها لما سمعنا هذه الانتقادات او معظمها . ولكنها لا تزال متأخرة من هذا القبيل ومجال التحسين أمامها بعيد لا يكاد يحده البصر . فمتى انتشر العلم الصحيح والتربية القويمة وكان الناس في سعة من العيش تمكنهم من رفع نفوسهم وتثقيف عقولهم اذ ذاك يصعب استهواؤهم واستمالتهم والتأثير عليهم بالرشوة أو الارهاب أو غير ذلك من الطرق الواطئة كأن التربية القويمة تجهز العقل بمصفاة تستخلص الصالح وتبقي الطالح خارجاً

الديمقراطية في الشرق

بعد هذه المقدمات يسهل علينا استخلاص بعض الفوائد لنستعين بها في انجاز الواجب الملقى على عاتق كل واحد منا وواجب الخدمة والعمل على النهوض بالوطن لماشاة شعوب العالم السابقة في مضمار الرقي الاجتماعي

فقد رأينا ان الديمقراطية من حيث كونها غاية تسعى الشعوب اليها هي أفضل ضروب الحكم واكملها. ولكن لا بد من تمهيد طريقها وتذليل العقبات التي تعترض تنفيذها

فأول حائل يحول دون بلوغها هو الجهل . فلا ديمقراطية صحيحة ما لم يكن الشعب متعلماً متنوراً مهذباً تهذيباً سياسياً يمكنه من التمييز والحكم الصحيح

واذا كانت ارقى الشعوب الغربية لا تزال متخلفة في هذا المضمار فما عسى أن نقول عن هذا القطر وسائر الاقطار الشرقية ؟

أجل ان أمامنا من هذا القبيل مجالاً واسعاً للعمل والكد والاستعداد . ولنعلم ان الطفرة محال في الشؤون الاجتماعية. فمن الخطأ أن نتهافت على النظامات الغربية في حين لم تتأصل مبادئها في نفوسنا . ولا بد لنا من التدرج خطوة خطوة في سلم التربية السياسية. فنسير بخطوات ثابتة نحو نظام امثل يقوم على سيادة الامة ويرمي الى رفاهة الامة وسعادتها باذن الله ومعونته

النفاق

بقلم السيد مصطفى صادق الرافعي

والله الذي لا إله الا هو ما رأيت كالمنافق رجلاً ولا رأيت رجلاً كالمنافق الا ذلك الذي وقف يُدير وجهه بين عدة مرائي فله في كل واحدة وجه وتعدّدَ الرجل وهو بعدُ شيء واحد

يخلق الله كل شيء ليكون شيئاً على الأصل البيّن الذي خلق عليه وللامر الميسّر الذي خلق له وهو صريح واضح من جهتيه ؛ فالاشياء في الطبيعة هي ما شاء الله تضر لانها ضارة او تنفع لانها نافعة الا المنافق فهو في الانسانية مخلوق للنفع فضرٌ ، وفي الحيوانية خلق للضر فنفع ، وفي الرذيلة خلق تلويناً للرذيلة ، وعند نفسه خلق لانه خلق وكفى . . . نعرفه من جهة على قدر ما تنكره من الاخرى وان كانت الجهتان متقابلتين ؛ فهو مختلف على السر والعلانية وعلى المذهب والغاية وعلى المدخل والمخرج وعلى القول والعمل ومختلف حتى في كونه مختلفاً او مستقيماً . ولو مددت عينيك في عينيه لرأيته يخاوص باحداهما كانما هو ينظر منك في عين الشمس وان كنت على ذلك في مصنع التجليد الالهي قد خرجت من الجلد الاسود اذ تأبى احداهما على كل حال الا أن تنافق ليظهر النفاق عليها . وهو من الذين يمكرون السيئات لينتهوا منها الى الحسنات ويقاربون الذم ليخلصوا به الى الحمد ويسفلون مع الناس ليرتفعوا كما يبتدىء المقلاع دورته من الاسفل ؛ ويطأطئون رقابهم لتكون قنطرة تمر عليها اغراضهم . ومهما انتحلوا من العلل واختلقوا من المعاذير وقولهم أن ذلك سياسة ومخالقة وظرف وذوق فهم لا يأتون كل ذلك الا لان كل ذلك علم الله — هو النفاق

ولو أن علم الاخلاق كعلم الجغرافيا لكان له من وجوه المنافقين « خرائط » كثيرة ملونة . . . ولاضطر العلماء أن يجمعوا من بعض السادة والكبراء مجاميع ويقيموا لهم معارض . وتلك حقيقة لم يفطن لها علاّمة القرود الفيلسوف دارون ولو هو تنبه لها فكيف له بمجموعة أقبح ما فيها وجوه عظماء الناس . . ؟

أن المنافقين من العامة وأشباه العامة بجانب المنافقين من الخاصة وأشباه الخاصة

كالشرر يتطاير عن الجمر ان هو لذع لم يحرق وان لم يلذع انطفأ ، فان خبثت منه شرارة جهنمية وتلذعت ووقدت فيما تستوقده وأحالته حريقاً فما يجيء ذلك من كونها شرارة كبيرة بل من كونها جمرة صغيرة . فالشأن في هـذا الجمر المتسعر الذي يتلظّى بمادته لان له مادة استفادها من عناصر الارض واجتمع منها كما يفيد اولئك من المال والجاه والعلم والادب وما اليها . وان شر النفاق ما داخلته اسباب الفضيلة وشر المنافقين قوم لم يستطيعوا ان يكونوا فضلاء بالحق فصاروا فضلاء بشيء جعلوه يشبه الحق

ولعلّ النفاق هو أصغر رذائل الصغار واكبر رذائل الكبار لان للحاجة في اولئك شرعة ومنهاجاً وللضرورة حكماً وقانوناً . فالعامي حين ينافق لكبير من العظماء ويتخضع له انما يوازن بين ما يعرفه في ذات نفسه من الصغر والضعة وبين ما يتوهمه في صاحبه من الغلبة والقهر والتسلط . فهو يترقى اليـه ليدنو منه أو يترقى الى خديعته ليناله أو يترقى الى كبريائه ليأمنه . ثم هو في كل ذلك نازل على حكم الحاجة والضرورة ولو اعتبرت اثنيهما وتبينت اسبابهما لرأيت المنافق منهما من لم ينافق لان من ابتدع السنة السيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها . وما لا يخاض اليه الا في الوحل لاسبيل اليه الا من الوحل . وذلك رجل قد جعل باب نفسه من قدميه فكأنما يقول اذا أردت مفتاح هذا الباب فاخفض رأسك وانحن

غير ان نفاق الكبار للكبار شيء أكبر من النفاق وانما سمي من النفاق تسامحاً وتجوزاً أو لان اللغة تنافق هي أيضاً . . . والا فنفاقهم ان كان صدقاً فأكبر فضيلته الكذب وان كان حقيقة فأعظم أدلتها الدعوى وان كان علماً فأكبر شرفه الجهل ؛ وهو التخشع ينقلب ضرباً من العبادة، والوصف المزور يرجع نوعاً من الخلق الذي لم يخلقـه الله . وهم طبقات ولـكل طبقة نفاقها ولا تدري اعلاها اسفلها أم أسفلها أعلاها . ولـكن الشر دائماً بالجملة وهم في الجملة يتخلقون ويتصنعون بما نعرف وما لا نعرف

والـكبراء هم مواضع الفصل والوصل في نظام الاجتماع البليغ وكل رأس منهم فهو كرأس الشارع لا بد لك أن تلتوي أو تنحرف اذا أنت بلغته . فاما ارسلك من اخلاقه في طريق خير أو شر ، واذا كان هـذا فان كل واحد من كبار المنافقين ومنافقي الكبار هو على التحقيق نقطة انقلاب في اخلاق من حوله من الناس

انما مادة حوادث التاريخ هم أولئك العظماء فانك لتجد الرجل العظيم في أخلاقه العالية وسجاياه الكريمة وتأثيرهذه الاخلاق والسجايا على الناس اشبه بالفتح التاريخي المبين وبالنصر العزيز والمجد الخالد ويكون انساناً ولكنه تاريخ . وتجد الى جانبه المنافق العظيم . . . في اخلاقه السيئة وطباعه اللئيمة وتأثير هذه الاخلاق والطباع على الناس اشبه بتاريخ ضربة من ضربات الله او مجزرة من مجازر الحروب ويكون انساناً ولكنه على ذلك تاريخ

ولا أعلم في هذه الدنيا شيئاً لا يستطيع ان يوجد شيئاً آخر لان الموجودات كلها مبنية على التحليل والتركيب ، والنفاق في أصله مبني على الكذب السافل فاذا خرج منه شيء خرج منه الكذب العالي . . . فترى السياسي يبالغ في النفاق ويقال انه يتكلم بلسان التاريخ . وينافق الاديب ويقال زخرف من القول ومبالغة في البلاغة ونفاق ذي السلطة تواضع وهو من العالم مسلك من دقائق علم النفس ومن الغني مال يجذب مالاً ومن السفيه اللئيم شر يبحث عن خير . وان كان من امرأة قيل حب او من طفل قيل تحبب

وكما نرد المركبات كلها الى البسائط فان نفاق أهل الارض جميعاً يرجع الى الطفل الصغير كما ينبثق النهر العظيم على مد مجراه من المنبع وينتهي الى مصبه وقد جمع من اقذار طريقه على طول ما يمتد . فنفاق الطفل يكون في الاصل مكافأة عن محبة اهله وذويه ثم يكبر فيصير تودداً اليهم ثم يعظم فينقلب حيلة يحاول بها العقل الصغير أخضاع العقل الكبير لهيناته وهنـاته ثم لا تزال تداخله بعد ذلك الاهواء والشهوات حتى يتمصر نفاقاً فاذا هو هو

غير ان ما يكون من نفس الطفل معفوٌ عنه كأنه ليس من نفس او كأن الاطفال حين يتواثبون ويقفزون في لهوهم ولعبهم يقفزون كذلك من حدود الشرائع . . . فالرجل من كل قاعدة حد ليس وراءه اذا هو تخطاه وجاوزه الا حائط من السجن او حائط من اللعنة او حائط من جهنم . ولكن الطفل يتخطى هذا الحد وثباً ويكون قد وثب على السجن وجهنم بطبقاتها السبع ولا يقع في واحدة منها . فمهما نافق الصغير فهو ذكي خبيث ولكن نفاقه ينتهي بقبلة على خديه او بلطمه . . .

لا الصغار في مراتب العمر ولا الصغار في مراتب العمران يصلحون أن يقوم بهم النفاق لأنهم جميعاً ينسحبون على أصل واحد في الطبيعة وهو صغر النفس وانصرافها

من ذلك الى معاني الجسم دون معاني العقل . فلو انك رأيت طفلاً ينافق لطفل مثله او شهدت عامياً من الناس ينافق لرجل من قياسه المنطقي . . . لرأيت في ذينك نوعاً من الضحك الساكت وفي هذين ضرباً من الوقار الذي يضحك منه

ان عظمة النفاق هي نفسها في عظمة اهله الكبراء وكل شيء قد يصلح موضعاً للبحث والنظر والجدال الا ما يعتقد الرجل العظيم انه عظيم به ، وهنا موضع التأله الذي شرع من اجله سجود النفاق وركوعه وحمده وتسبيحه . فصغار العظماء كأنهم في حاجة الى النفاق لان فيهم شيئاً عالياً لا يظهر حد علوه الا اذا قيس من نقطة سافلة . . . فاذا أنت عرضت لهم على شرطهم فنافقت واستخزيت ونزلت عن كرامتك كنت مع ذلك منافقاً عند نفسك فقط واحتجت بعد كل هذا الى ضروب اخرى من العنت الشاق على النفس حتى يعرفوا انك منافق . . . فلا تبلغ اليهم رذيلتك حتى تصير بجملتك مجموعة من الرذائل

واني لاحسب أن النفاق هو بقية ما كان في النفوس من عهدها الاول عهد التعبد لكل ما يضر او يتوهم فيه الضرر والتقديس لكل ما ينفع او يظن فيه النفع ، وتكون أرواح الاصنام والعجول والبقر والحشرات والعواصف والزوابع والصواعق وغيرها مما كان يخص بالعبادة قديماً هي باعيانها ما تمثل فيه أرواح اولئك الكبراء الذين يثقل ظلهم ثقل الضباب ، ويتراكم تراكم السحاب ، ولا يرضون بابا من النفاق الا ان يفضي الى باب ، ثم تكون أفعال المنافقين في مصانعتهم ونفاقهم وما تتروح به ارواحهم هي في ذاتها بقايا تلك الرعدة والفزع والخوف والتمسح وتمريغ الوجوه والضراعة والذلة وما اليها مما صغرت به أحلام لتكبر به اوهام ، وكان عبادة أجسام لارواح وأرواح لاجسام

فالعظيم الذي تنافق له ولا ينكر عليك ولا يردك ثم لا يرضاك ولا ترضيه الا على هذا المذهب هو في رأيي انا رجل خرافي يحتاج الى نبي يمحوه فان لم يكن نبي فحكيم يكشف للناس عن وجه الخرافة فيه فان لم يكن فذو عزيمة يصول به او يستطيل عليه فان لم يكن فذو دين وتقوى يريه وجه السماء من فضيلته وزهده فان لم يكن فذو علم يقنعه أنه كان تراباً وسيكون عظاماً ورفاتاً . فان خلا قومه من كل أولئك فقد زين لهم « الشيطان » أعمالهم واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له

اما انه لاينافق الا الخبيث الذي يحاول أن يقتحم النفوس وهي غافلة عن ابوابها

فنفاقه من التلصص ، والا الضعيف الذي يريد أن يقوى بضعفه ويحتال على ان يأخذ القوي من اضعف مكان فيه ونفاقه من المكر والخداع ، والا الغاصب الذي يطمع ان يكون الشيء له وليس له ونفاقه من الظلم ، والا القوي متى أراد أن يسوق بقوته مساق الضعف لينال بها من غير ان يؤذي فنفاقه من الكبرياء . والخامسة ان روعة الحب في عاشق تنافق لروعة الحسن في معشوق . . .

وكذلك لا يرضى عن النفاق ولا يقره الا جاهل اكتفى من العلم قبل ان يعلم ما هو العلم ، او مستكبر عميت نفسه عما حولها وعما فوقها ، او غبي تعرف عقله في وهمه ووهمه في عقله ولا يعرف عقول الناس ، او ذوسلطان دنت محنته وأظلت ملكه النقمة فهي تسلك اليه سبلاً مختلفة منها فساد الناس ومنها النفاق . والخامسة ان يمتلىء نظر الجميلة رضا حين يمتلىء فم المحب نفاقاً في هواها . . . .

وأنت فكيف اعتبرت النفاق رأيته كذباً وخداعاً ومكراً ومصانعة في الحق فان هو فشا في طائفة من الناس ألفيتهم في جملتهم كأنما تعاهدوا بينهم على ان لا يصدقوا ولا ينصحوا ولا يأنفوا ولا يقاربوا الحق فاذا كثر هذا السواد في شعب رأيته لا يحسن الا ان يقتل نفسه ان كان قوياً ، ولا يتهدى الا الى طرق الفقر ان كان غنياً ، ولا ينفع الا اعداءه ان كان ذكياً ، ولا يعمل الا على السخرة لغيره ان كان عاملاً قنياً

وكل منافق وصاحبه الذي ينافق له رجلان لا يفهم أحدهما الآخر أو يبلغ أحدهما من بلادة الحس ان يتظاهر بانه لا يفهم ويبلغ صاحبه من غلظ النفس ان يظهر أنه غير مفهوم . وكلاهما غطاء مكفأ على حقيقة ولكن الحقائق المغطاة موضوعة أبداً على نار تتقد من عزائم المصلحين ونفوس الحكماء وقلوب الاحرار فلا تزال تغلي كلما طال بها العهد حتى تنفجر أغطيتها فاذا هي قد طاح بها ما انكفأت عليه وكان ذلك من سنة الله في اصلاح الناس وكان من سنة الله كذلك ان تجد الناس ينافقون الا مصلحاً أو حكيماً أو حراً

مصطفى صادق الرافعي

خير هدية

تقدمها الى قريبك او صديقك او زميلك هي اشتراك باسمه في الهلال فتصله اجزاء السنة وملاحقها شهراً بعد شهر فيذكرك ويذكر لك فضلك

الشتاء

لمعة الخاطر الجديد في سماء المخيله
بالغرام الذي مضى والرجاء الذي قضى
جدّدي بيننا العهود وأحفينا بيسمله
لمعة الخاطر الجديد في سماء المخيله

☆ ☆ ☆

طال يا فتنة العقول زمن الثلج والمطر
فاكسحي هذه الغيوم وأطلي على الكروم
وانفخي الروح في الحقول وابعثي الحسن في الزهر
طال يا فتنة العقول زمن البرد والمطر

☆ ☆ ☆

تتشكى لي الورود كلما عدتها ضحى
« صلّ يا شاعر الزهر صلّ للشمس والقمر »
« ذهبت حمرة الخدود ما على الجوّ لو صحا ؟ »
تتشكى لي الورود كلما عدتها ضحى

☆ ☆ ☆

منظر الزهر في ذبول منظر يبعث الاسى
كيف لا يحزن العروس كيف ترضى به « فنوس »
يا ترى نابها الافول أم ترى قلبها قسا ؟
منظر الزهر في ذبول منظر يبعث الاسى

« الشاعر القروي »

التقليد

في الانسان والحيوان

التقليد صفة أو غريزة عامة في الحيوانات العليا وبمقدار ارتقاء الحيوان في سلم النشوء تكون قدرته على التقليد . فأرقى الحيوانات هو الانسان ويليه القرد وكلاهما يفوقان العالم الحيواني في حب التقليد

ولا تكاد الحيوانات الدنيا تفهم معنى التقليد فالحشرات والعناكب والاسماك وما يلي هذه الحيوانات نزولاً في سلم النشوء لا نكاد تبين في حركاتها وخلقها العام ما يدل على أنها تقلد في سلوكها

فيتضح من ذلك أن التقليد صفة راقية اخترعته الطبيعة للحيوانات سلاحاً حديثاً تستعين به في مهام حياتها . وكأننا بذلك نثبت فائدة التقليد للحيوان . فما هي هذه الفائدة ؟

من لوازم التقليد أن يكون مصحوباً بالاحساس الذي يحس به الشخص المقلد (بفتح اللام) . فاذا رأينا شخصاً متهيجاً غاضباً وقلدناه في جميع حركاته الواعية وغير الواعية أدى بنا هذا التقليد الى احساس الغضب الذي عند هذا الشخص . واذا رأينا رجلاً يضحك فقلدناه في ضحكه وتضاحكنا أدى بنا هـذا التضاحك الى ضحك حقيقي وسرور فعلي نشعر بهما . واذا رأينا أحداً يبكي وتباكينا أدى بنا هذا التباكي المدعى الى بكاء فعلي

هذا ولكل حيوان عواطف لا تزال خافية علينا ما دامت ساكنة فاذا اهتاجت تحركت في جسم الحيوان أعضاء خاصة تدلنا على نوع العاطفة المهتاجة

ولكل عاطفة عضو او أعضاء تخدمها في تأدية أغراضها وهي في الوقت نفسه تنم عليها

على أن هناك خاصة غريبة في جسم الحيوان وهي أن تنبيه عضو ما أو تحريكه بحيث يمثل تأدية غرض من أغراض العاطفة الموكلة به والمتسلطة عليه — يؤدي الى تنبيه هذه العاطفة نفسها

فاذا وقفنا منفردين في غرفتنا وعقدنا حاجبينا وقبضنا اكفنا واستوبنا كأننا نتهيأ لقتال ـ اجتمع لنا من هـذه الحركات ما ينبه فينا غريزة القتال فنشعر للحال بالغضب والغيظ كأننا نقاتل بالفعل فتطفو الى ألسنتنا الفاظ السباب ويزداد نشاط رئتينا وتتوتر أعصابنا كأن هناك قتالا حقيقياً . ومن هنا ندرك السبب الذي من أجله ينتهي مزاح بعض الناس والحيوانات الى قتال حقيقي . فالصراع والمهارشة يؤديان احياناً الى قتال حقيقي

واذا وقفنا بهيئة خليعة تنافي الوقار او الآداب جالت في رؤوسنا للحال افكار سافلة وانتبهت فينا عواطف الدركة السفلى وهلم جرا . فالوظيفة تحرك العضو والعضو يحرك الوظيفة . فربما كنا لا نشعر بالجوع فاذا جلسنا الى المائدة وبسط الطعام كان لنا من تحريك أعضائنا تلك الحركة الآلية التي تسبق الطعام ما ينبه فينا شهوة الجوع. ومن هنا يقول المثل الفرنسي « شهوة الطعام تأتي عند تناوله »

فالضاحك كما قلنا يؤدي الى الضحك والسرور لأنه يحرك أعضاء عاطفة السرور والباكي يؤدي الى البكاء لانه يحرك أعضاء البكاء وبذا ينبه عاطفة الحزن

ومن هنا كان التقليد سلاحاً ينفع ذويه في الملمات . لاننا اذا رأينا خصمنا وهو يزيد اهتياجاً وغضباً كان لنا من تلك الخاصة التي تمكننا من تقليد حركاته أن ندرك احساساته نحونا ونستعد لمقاومته ودفعه عنا . فندفعه ونصده لا بحكم العقل والروية بل انصياعاً لوحي الغرائز والعواطف

وقد صار التقليد غريزة نؤديها على غير ارادة منا واحياناً على غير وعي منا . فالطفل الصغير يبكي على الرغم منه اذا رأى امه قد ضربت أخاه فبكى . واذا رأينا رجلاً على سطح عال قد اقترب من حافته حتى اشرف على السقوط دب في قلبنا على غير وعي منا رعب وسرت في جسمنا قشعريرة كأننا نحن على وشك السقوط والهلاك

فالتقليد وسيلة قد ابتكرتها لنا الطبيعة بغية استكناه نيات اخصامنا ولكن ليست الغاية من التقليد هذا فحسب . فقد اخترعت لنا الطبيعة العقل وسيلة للتمييز والحكم بين غرائزنا ومعرفة النافع والضار في احوال معاشنا ونحن الآن نستعمل هذا العقل في ما هو ارقى من ذلك ـ في درس الفلك والرياضة والفلسفة

وكذلك الحال في التقليد . فنحن نستعمل هذه الخاصة في اشياء لا تتناول معاشنا اليومي . فمن ذلك ان التفاهم العادي بين شخص وآخر لا يتم مع وجود اللغة الا بان

يقلد كل منهما الآخر تقليداً غير واع فيفهم أحدهما احساس الاخر ويستطيع اجابته. وليس العقل أساس التخاطب لان العقل بطيء لا يسعفنا بضالتنا من الالفاظ وانما يقوم التخاطب بالهام الغرائز وهذه تنتبه لاننا نقلد من يخاطبنا فنحرك على الرغم وعلى غير وعي منا اعضاء تماثل ما تحرك منه فنحس احساسه وموقفه بازائنا ونرد عليه بما يلائم مصلحتنا

واكثر الناس يعزون تقدم الانسان على سائر الحيوانات الى كبر دماغه وقوة عقله. وهذا خطأ. فاننا لم نصل الى مركزنا الحاضر في سلم النشوء بهذا فقط. فان قدرتنا على النطق وخفة ايدينا ثم قدرتنا على التقليد – كل هذه الخواص قد رفعتنا فوق البهيمية وتعزى اليها انسانيتنا اكثر مما تعزى الى العقل

اذ ماذا ينفع الثور ان يكون له عقل مثل عقلنا ما دامت يداه لا تستطيعان صنع الالات وما دام لسانه لا ينطق فيقيد المعاني بالفاظ وما دام لا يستطيع التقليد فيسهل عليه التخاطب ؟

وربما كان لا يخرج عن موضوعنا ان نبين ما للتقليد من القيمة الادبية والتعليمية فقد ألف أحد الروائيين الروس الذين أتوا بالمعجزات في فن القصص البسيكولوجية رواية تدل على قيمة التقليد. وبطل هذه الرواية طبيب أراد ان يقتل خصماً له من غير ان يقع في جريرته فادعى الجنون وقلد حركات المجانين حتى أتقن الحيلة واقنع الناس بجنونه ثم سنحت له فرصة فقضى لبانته وهو في أحدى نوباته المدعاة فلما قبض عليه وسجن استمر في ادعاء الجنون فنجا بذلك من القصاص ولكنه جن بالفعل. لان تقليده للجنون ومداومته على محاكاة المجانين في حركاتهم واشاراتهم ادى به في النهاية الى ان يحس احساسهم ويجن

ومن هنا كانت فائدة التعليم. فالطفل البليد الطبع الواني الحركة ينشط ويتذكى اذا قسر على النشاط والانتباه لانه يحرك اعضاء في جسمه تنبه فيه هذه الصفات. فهو يقلد حركات النشاط اولا فينتهي بان يصير هو نفسه نشيطاً. ومن هنا أيضاً كانت فائدة القدوة الحسنة والمثل الطيب. فقليل الدين يتورع اذا قسر على الصلاة مع الورعين وينتهي تورعه المدعى الى ورع حقيقي. ومما يثبت الدين في قلوب اصحابه ان تكون الصلاة جماعة وان تتكرر جملة مرات في اليوم بحركات خاصة بها.

فتحريك الاعضاء ينبه العاطفة الدينية والقدوة الحاصلة بالاجماع تحرك غريزة التقليد

ويمكننا لو أردنا ان نعمم الاداب بين التلاميذ مثلاً بان نقسرهم على مراعاة بعض الحركات التي تصحب الرجل المؤدب فينتهي بهم الحال الى ادب حقيقي

واذا شعرنا بالغيظ من أحد وثارت عليه عواطفنا امكننا أن نزيل ما بأنفسنا منه بان نذكر اسمه مبتسمين ثم نمدحه بصوت عال ونحرك اعضاءنا بحركات الوداد نحوه فتنتعش فينا عواطف الميل اليه . وهلم جرا

غير ان في التقليد مضار كما ان فيه منافع . فالقدوة الرديئة تؤثر علينا على الرغم منا وتفت في خلقنا . واذا اتهم أحد المغفلين او ضعاف العقول بتهمة ما وكان بريئاً ثم اجريت معه مراسم التحقيق ومثل ساعة أمام مدير السجن واخرى امام وكيل النيابة ثم بين يدي القضاء ادت به هذه الحركات الى ان يحسب نفسه انه مجرم حقيقي فيعترف بجرم لم يرتكبه . لان تكرار ذكر الجريمة أمامه وتقليده لحركات المجرمين في السجن والمحكمة ونحو ذلك وضعفه العقلي الاصلي ــ كل هذه الاشياء تجسم في ذهنه صورة جريمة لم يرتكبها

سلامه موسى

حكم

الموت أصدق من الحياة يرينا في مرآته المحزنة ما كان ينبغي ان نكون وما قد كنا

متى احسنت تقسيم وقتك كان يومك كالصندوق المنظم يسع كثيراً

الشغل حارس الفضيلة

كثير الكلام يقول كل ما يعرفه والطائش يقول ما لا يعرفه

لا تعمل شيئاً بدافع الحياء البشري

قد تكون لذة الانسان في جعل الغير سعداء اوفر من لذته في أن يكون هو سعيداً

لا تنفق اكثر مما يحصل لك بل اجعل نفقتك أقل من دخلك

قتل الآمال أشد من قتل الاجساد

العاقل من تدبر الاشياء كما تقتضيه لا كما يشاء . والحكيم من لم يختصم احداً لفكر او بيان بل دفع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان

لدلو . ماس . الولايات المتحدة « صموئيل »

مستقبل النسبة

بين الاسعار والمسعّرات

بحثنا فيما مضى[١] في ظواهر الغلاء واضطراب النسبة بين الاسعار والمسعرات . علاما أسباب ارتفاع الاسعار حتى انجلى معنى الغلاء الحقيقي . بقي أن نعلم مصير هذا الاضطراب الاقتصادي وكيفية استتباب الحالة في المستقبل وما ينشأ عن الاضطراب من الحالات الاقتصادية الجديدة

توزيع خسائر الحرب

لا ريب أن الغلاء عام في جميع المعمور بدليل أن العمال في كل مكان حتى في اميركا بلاد اليسر وتدفق الخيرات يصرخون الآن يريدون رفع الاجور والعامل يصرخ حين يخاف الفقر المدقع والجوع . ولا بدع أن يعم الجوع المعمور كله لان اشتباك الامم في المصالح التجارية وتوقف بعضها على بعض في التصدير والاستيراد واضطرارها الى المقايضة — كل هذه الامور أفضت بها الى توزيع خسائر الحرب أو نفقاتها العظيمة على جميع الامم بالرغم منها سواء رضيت أو لم ترض لانه ما دام لا غنى للعالم عن منسوجات انكلترا القطنية واجواخ فرنسا وفحم انكلترا وادوية المانيا وورق اسوج ونروج وغلال روسيا وبترولها وسجاد الشرق الادنى وحرير الهند وقطن أميركا ومصر الى غير ذلك مما لا يحصى فلا بد من رفع أثمان هذه الاشياء مهما طلب اصحابها من الثمن . واصحابها مضطرون ان يطلبوا الاثمان التي تسد نفقاتهم وهكذا نرى أن ديون الحرب تتكفل بها الامم الى استدانتها في الظاهر والحقيقة ان جميع الامم تتحمل هذه الديون — وهذا هو وجه آخر لقولنا ان الغلاء عام جميع الامم التي حاربت والتي لم تحارب

توزيع الغلاء

على ان الامم لا تتحمل وطأة هذا الغلاء العام على السواء بل هو موزع عليها بغير عدل . فتجد ان أمة كانت محاربة وهي مسؤولة عن نفقات حربها وسبب هذا

(١) انظر الجزئين الرابع والخامس لهذه السنة

الغلاء فلا تتحمل من مضضه أكثر من امة اخرى كانت محايدة ولا ناقة لها ولا جمل . فتوزيع خسائر الحرب على العالم لم يكن عادلاً ومناسباً للامم . وبعبارة اخرى لم يعم الغلاء العالم على السواء بل تفاوتت وطأته على الامم بتفاوت قواتها على الانتاج والتصدير وتفاوتها في الاستعداد لترويج حركاتها الاقتصادية ولا سيما حركات النقل . ومن امثلة ذلك ان انكلترا التي ملكت عنان البحر اكثر من سائر الدول استطاعت ان تروج حركاتها التجارية والصناعية اكثر من سواها فاستطاعت بهذا الرواج أن تخفف وطأة الغلاء على شعبها وتقلل ضغط الخسائر عليه بما تيسرت له من الارباح التي قلّ ما تيسرت لسواه

بعكسها النمسا أو روسيا مثلاً لتعرقل الحركات التجارية بينها وبين سائر الامم ولاضطراب حالتها الصناعية . ولذلك تقاسي من الغلاء اكثر من سواها وكأنها بذلك متحملة من خسائر الحرب اكثر من غيرها

وحاصل القول أن الغلاء عام بلا مشاحة ولكنه ليس متعادلاً عند جميع الامم على السواء . وأما تعيين مقداره في كل بلاد فيستلزم استقراء دقيقاً ويقتضي مشقة لا يقدر ان يقوم بها الا الاختصاصيون

وأما في بلادنا فيمكننا ان نقدره بوجه التقريب بين ٥٠ و ١٠٠ بالمئة بالنسبة الى قيمة العمل . وبين ٢٠٠ و٣٠٠ بالنسبة الى النقد وليس هذا التقدير هو الامر الجوهري في بحثنا . وانما غرضنا أن نوضح معنى الغلاء وأسبابه الحقيقية

التوازن المنتظر

بقي أن نعلم متى يزول هذا الغلاء ؟ وكيف يزول ؟ وكيف تعتدل النسبة بين العمل والتمتع والنقد ؟

يزول الغلاء الحقيقي متى صارت نتيجة عمل العامل او المنتج موازنة لتمتعه الذي تعوده فيما مضى اي متى صار ما يكسبه المنتج من الاجرة او الغلة او ثمن حاصل عمله يكفي لاقتناء حاجياته المعيشية وكمالياته ايضاً . ولا فرق حينئذ فيما اذا كانت قيمة النقد الاسمية بالنسبة الى السلع او الاجور مرتفعة او منحطة لان العبرة بتوازن العمل والتمتع فقط

ولكي يتم هذا التوازن ويحصل التعادل الحقيقي بين ركني الحياة الاقتصادية

(العمل والتمتع) لا بد من أن تعود اولاً حركتا العرض والطلب الى تعادلهما السابق - التعادل العام في كل المعمور . ولا يغرنك ما تراه في بعض البلاد من تفوق العرض على الطلب لا كتظاظ أسواقها بالبضائع كما هي الحال في مصر الان فان هذا التفوق خاص ببعض البلاد دون البعض وسببه أضطراب الحالة التجارية للاسباب التي نوهنا بها سابقاً . وما دام الطلب يتفوق على العرض في معظم البلاد ولا سيا البلاد المنتجة وعلى الخصوص الصناعية فاعلم ان اسواق العالم لم تملىء بعد كما كانت ممتلئة وان قوة الاستهلاك لا تزال أشد من قوة الانتاج ولذلك لم يحصل التعادل المطلوب بعد أي ان تمتع المنتج لم يعادل تعبه في العمل بعد

أما سواد العمال والمنتجين فيحاولون التوصل الى هذا التعادل والموازنة بالمطالبة برفع الاجور وهو ما شرعوا يفعلونه منذ عقدت الهدنة أو قبل عام أو عامين من نهاية الحرب . ولكن هذا الاسلوب لم يخفف وطأة الغلاء مطلقاً لانه كلما حصلوا على مزيد اجرة ارتفعت اسعار الاشياء بقدر ذلك المزيد من الاجور وما تبعها من النفقات الاخرى التي سببها ارتفاع الاجور . وكلما استزادوا اجرة ارتفعت الاسعار بلا محالة . ومعنى ذلك هبوط قيمة النقد ليس الا . لان زيادة الاجور لا تزيد الانتاج أقل من الاستهلاك فاستزادة الاجور لا تشفي غليل الغلاء بل بالاحرى تنزل قيمة النقد عن مستواه . ولا وسيلة للحصول على ذلك التعادل الا بأكثار الانتاج والا كتفاء بقليل التمتع او تحمل مضض الغلاء حتى يستوي العرض والطلب

دلائل اقتراب التوازن

والظاهر من تواتر الاخبار الاخيرة من أوربا واميركا ان الاسواق تكاد تمتلىء كعادتها . فاذا صحت هذه الاخبار كان غريباً عجيباً أن تملىء الاسواق في عامين بعد ان استغرق فراغها خمسة أعوام ولا سيا لانه لايزال جانب من العمال مشغولا بالاعتصابات ونحوها عن العمل والانتاج

ومهما كان مبلغ هذه الاخبار من الصحة والتمويه فالدلائل العمومية تدل على أن ذلك التوازن القديم بين الاركان الاقتصادية - السلعة والنقد والتمتع والعمل- لا يكون بعيد العهد على الارجح لان الاسعار مائلة الى النزول . ولايبعد أن تعود فتتصاعد ولكنها مهما تصاعدت فلا تبلغ القيمة التي بلغت اليها في العام الماضي . وكذلك لا يبعد أن

تتعاقب سلسلة صعودات وهبوطات يكون فيها الهبوط دائماً أكثر من الصعود الى أن يتم ذلك التعادل المنتظر . وفي حالة ميل الاسعار الى الهبوط يقل نجاح العمال في استزادة الاجور بل تضعف مطالبتهم بالزيادات ولذلك تكون فائدة الموازنة الحد الذي بلغت اليه الاجور وهناك تثبت قيمة النقد

والغالب أن تثبت الاجور حينئذ عند حد ضعفي الأجور القديمة بالنسبة الى النقد وثمت تصبح قيمة النقود نصف قيمتها السابقة أي أن الجنيه لا يعود يشتري من السلع والاشياء الا نصف ما كان يشتري سابقاً ولا يكفي الا نصف الاجور السابقة . وبعبارة اوجز وأفصح يصبح الجنيه كنصف الجنيه سابقاً — يصبح كذلك للبائع والشاري والمؤجر والمستأجر وللعامل ولصاحب العمل على حدٍّ سواء . ويستحيل أن تعود قيمة النقد الى حالتها السابقة لانه يستحيل أن تهبط قيمة عمل العامل والمنتج

الديون النقدية

في هذه الحالة تسقط قيمة الديون النقدية القديمة الى نصفها سقوطاً فعلياً كديون الحكومات القديمة ومن جملتها دين مصر مثلاً لان وفاء هذه الديون لا يكون الا على حساب قيمة النقد الاسمية مهما كانت قيمته الحقيقية قد سقطت . وكذلك الثروات النقدية او التي هي أوراق وسندات وما شا كلها تصبح بالحقيقية كنصفها . فلذلك اذا اهتم المصريون باقتناء سندات الديون المصرية الآن كانوا كأنهم يدفعونها بنصف قيمتها . وان امكنهم ان يشتروها الان وهي نازلة الى ثلثي قيمتها الاسمية كانوا كأنهم يدفعونها بثلث قيمتها فقط

ولا تستغرب هبوط قيمة العملة حتى الذهبية أيضاً فانه أمر مألوف في التاريخ . فاذا رجعت الى الاجيال الماضيــة الاخيرة وعلمت ان القرش كان يكفي نفقة فرد في اليوم تيقنت ان مثل هذا الهبوط في قيمة النقد الاسمية كسنة اقتصادية وانه يحدث كلما حدث انقلاب او اضطراب اقتصادي كالذي نحن بصدده . وهو امر طبيعي أن تسقط قيمة النقد الذهبي لان الذهب يستخرج على الدوام ولا يتلف منه مع الزمان عشر معشاره فكثرته بين الايدي تحط من قيمته ولاسيما لان النقد الورقي اغنى العالم عن جانب عظيم منه . ولولا استعمال الجانب الكبير منه في الحلى والزينة لهبطت قيمته اكثر جداً من قيمته القديمة

جدول يبين نسبة الاسعار الى المسعرات في ثلاثة أدوار

تضاعف القيم	الماضي	الحاضر	المستقبل
٥		اثمان السلع	
٤			
٣			
٢		قيمة النقد الفعلية، اجرة العمل	قيمة النقد الفعلية، اجرة العمل، اثمان السلع، مقدار التمتع
١	قيمة النقد الاسمية، اجرة العمل، ثمن السلع، مقدار التمتع	قيمة النقد الاسمية، مقدار التمتع	قيمة النقد الاسمية

ترى في هذا الجدول ان الاركان الاقتصادية في الماضي كانت متوازنة ثم جعلت ترتفع قيمة (بالنسبة الى النقد) حتى تضاعفت الا اثمان السلع فجاوزت الضعف الى اضعاف . وفي المستقبل ستعود متوازنة ولكنها مضاعفة على السواء

نقولا الحداد

قال البديع الاصطرلابي يهجو :

مستيقظ فاذا استضيف ... به يصير من النيام
وتراه في عدد الطغا ... م اذا رأى مضغ الطعام
تبدو مصائبه العظا ... م اوان تجريد العظام

عواملُ الضعفِ

زمانٌ شأنهُ شأنٌ غريب ... يسودُ به المملقُ والكذوب
ويحظى فيه كل أخي ثراء ... وإن ملأت حقائبهُ العيوب
ويعرجُ للمعالي كل جانٍ ... له في كل مخزيةٍ نصيب
إذا ضربت قداحُ الفسق جلّى ... له من دونها قدحٌ مصيب
عجبت وكل ما حولي عجيب ... وادواء يحار لها الطبيب
بعيشك هل ترى الاَّ غنيا ... بخيلاً قصدُ سائله يخيب
غنيًا بين أمته فقيراً ... اذا داعي الندى صاح استجيبوا
وذا جاهٍ يميلُ العطف كبراً ... له في نفسه شكٌ مريب
عظيماً بين أهليه حقيراً ... على الحاجات يغلبه الغريب
وذا علم بقلب العلم منه ... ومن آرائه ابداً ندوب
يريك جهالةً في كل ما لا ... يزنُ بجهله الرجل الأريب
طغامٌ كالبغال لها جسوم ... تغرُّ بها وليس لها قلوب
وألسنةٌ تريك القول فعلا ... وعزمٌ كلما التهبت يذوب
ألم تر أننا نثري فنكدي ... وكف الغير إن أثرى خصيب
يؤاسي قومه ويجود إما ... عرا بأسٌ أو استولت كروب
يرى في ماله حقًا عليه ... لأمته ومنع الحق حوب
فيعطي غير ممتعضٍ وانى ... وحكم البذل ان حقَّ الوُجوبُ
ونعني بالعلوم ولا ترانا ... علمنا كيف نظفر أو نصيب
ولا كيف اللقاء إذا تعاوت ... ذئاب الدهر أو كيف الهروب
وتعجبنا المراتب ممتطيها ... وإن قادت مطيتها الخطوب
أجدك هل ترى أن سوف يأتي ... على أمثالنا يومٌ عصيب
يذكر حيث لا التذكير يغني ... ولا تجدي أنابة من ينيب
اذا علق الفساد ببعض جسم ... فان الكلَّ مهلكهُ قريب

محمد حسين النجمي

سير التمدن

هل يتجه شمالاً ؟



اتجاه التفوق في التاريخ

تشير الارقام الافقية الى قرون التاريخ والعمودية الى درجة الحرارة . والاسماء التي تكتنف الخط المتعرج تبين اهم مراكز التمدن بالتتابع . والخط المتعرج يدل على تمشي التمدن بين تلك المراكز باعتبار معدل حرارتها

من أدق المباحث في الفلسفة التاريخية ما تصدّى له العلامة جيلفيلان الاميركي في مقالة نشرتها مجلة « العلم السياسي » أبان فيها ان التمدن يتمشى من الجنوب الى الشمال . وتعليله ان الحر افضل مهد لوليد التمدن كما هو خير حجر للطفل . ومتى نموا وترعرعا امكنهما أن يعيشا في طقس أبرد . فمع تقدم الانسان وزيادة معارفه وسهولة انتاجه لا يعود في حاجة الى الطقس الحار بل يستطيع أن يعيش متمتعاً ونشيطاً في العمل حيث يكون الطقس بارداً . ولذلك يعتقد هذا الكاتب ان التمدن لا يزال يتقدم الى الشمال وان صولجان القوة في المستقبل سيقع في ايدي كندا اوسكندينافيا او غيرهما من الاقطار الباردة . فلنلخص أقواله :

نشأ التمدن في مصر وهي قطر حار . ثم انتقل الى بابل وكريت وفينيقيا واشور وغيرها من أمم الشرق. وهكذا استمرت الزعامة تتجه اجمالا نحو الشمال . كما يتبين من التأمل في الشكل المنشور سابقاً . ومع ذلك قد لوحظ في التاريخ ان التمدن ارتد اربعة ارتدادات الى الجنوب ولكن كلا منهما كان ينتهي بانحطاطه . واذا صدقت هذه النظرية فسَّرت تداول الامم القديمة للزعامة في التمدن وجعلت أساساً للتنبؤ عن تداولها في المستقبل

ان التمدن كان ينشأ دائماً حيث يكون الطقس دافئاً . ويظهر ان مواطنه الاصلية او مساقط رأسه هي مصر العليا وما بين النهرين والهند وولاية شنسي (في الصين) وغواتيمالا (في أواسط اميركا) وكلها مناطق دافئة بل كلها (الا واحدة) حارّة . وتعليل ظهور التمدن في هذه البلاد هو ان الزرع في الاقاليم الحارة يكون اكثر اقبالا فيكفل وفرة الغذاء والسلامة ووفرة السكان ووفرة الايدي العاملة في انتاج حاجيات اخرى غير الطعام . فالطقس الدافء كان ضرورياً لتكوّن التمدن . ثم تناقصت أهمية الدفء بعد ذلك لان مقدرة الانسان على تحصيل عيشه زادت بما اضيف الى قوته الشخصية من الحيوانات والماشية والآلات الزراعية فضلاً عن اتساع دائرة العلم الذي يرشد الى أسهل الطرق للتحصيل واوفرها نفعاً . ثم ان اهمية الغذاء قلت بالنسبة الى تزايد شأن عوامل اخرى كالمعادن واستخدامها . وقد سهلت ايضاً مع الزمن وسائل استيراد الغذاء من البلاد الاخرى

والعامل الثاني في تمشي التمدن الى الشمال تيسر المعيشة في الاقاليم الباردة . وقد ذكر هذا العامل سبنسر وغيره من كبار الكتاب . فان ارتقاء التمدن منحنا ملابس دافئة ومساكن ذات انوار صناعية ونوافذ مقفلة بالزجاج ومواقد ونحو ذلك . وفيما كان التمدن يقلل من أهمية الزراعة كان يوسع دائرة الصناعة والاعمال اليدوية ويوفر المعامل والمصانع والاشغال الكتابية والعقلية ــ فكل هذه يمكن أن تعمل داخل الابواب المقفلة في وجه الطقس البارد . فمن ذلك ترى ان تقدم التمدن زاد المقدرة على السكنى في الشمال

ومن العوامل الخطيرة الشأن لثبات التمدن وبقائه تحمل المسأولية وتوازن الخلق . فالطقس الحار يزيد عمل الجسم الكيماوي وبالتالي يجعل القوة العاملة تربو على المطلوب منها للعمل في تحصيل المعيشة. فهذه الزيادة من القوة معما في الانسان

من العواطف والشهوات تزيد الميل الى الصخب والاجرام والانتحار والعدوان والجنون والثورات . والغالب ان هذه العوامل اكثر هدماً لمدنية راقية كثيرة الاضلاع منها لمدنية بسيطة في أول عهدها . فالاخلاق الحادة التي لأهل الجنوب تجعلهم أقل كفاءة لحمل المسأولية من اهل الشمال ذوي الطباع المتئدة الذين بكفاءتهم لحمل المسأولية وجلدهم استطاعوا ان ينشئوا ممالكهم العظمى

وقيمة الاقاليم الباردة ترجع الى تقلبات الطقس فيها من يوم الى يوم ومن فصل الى فصل فان هذا التقلب محرك للهمم ، وترجع أيضاً الى امكان الحصول على الصحة والنشاط عقلياً وجسدياً في البلاد الباردة أكثر منه في الحارة

ان التمدن الابتدائي كان يتوقف على تجميع الثروة المادية من جراء الاعمال البدنية التي كان يقوم بها القوم كله ولاسيما حرات الارض من الرجال والنساء . أجل انه كان يوجد بينهم مفكرون وفنيون واشراف وقضاة وحكام وانما سواد القوم كانوا فلاحين مجبرين على تحصيل معاشهم بالكد والتعب . اما التمدن الحديث فيتطلب عملاً عقلياً أكثر من العمل البدني . وهذا التغير قد حدث تدريجاً بتدرج التمدن نفسه

ويعتقد هذا الكاتب المتبحر ان تمدن كل امة يتقدم من الطقس الحار الى الطقس البارد فمن ذلك ان التمدن اليوناني ابتدأ في كريت وانتهى في القسطنطينية . وكذلك زعامة ايطاليا ابتدأت في صقلية وتقدمت الى رومه ومنها الى ميلان . ومدنية اسبانيا تقدمت من قادس الى مدريد فبرشلونه . والتمدن الالماني ابتدأ عند الرين ثم انتشر شرقاً فشمالاً (ويقال مثل ذلك عن التمدن العربي أيضاً)

واذا كنا قد اثبتنا فيما تقدم ان التمدن يتمشى الى الجهات الباردة في اثناء ترقيه امكننا ان نتوقع ثبوت هذه النظرية في المستقبل ايضاً . واذا كان التمدن سيترقى ايضاً وايضاً في القرن القادم وجب ان تتقدم زعامة الامم الى البلاد الاشد برداً كما كان فيما مضى

فبلاد سكاندينافيا اظهرت في العقود الاخيرة من السنين تقدماً عظيماً في العمران كأنها تستعد لقيادة العالم في المستقبل وروسيا اخذت تستيقظ من غفلة العصور الماضية . وعلى ذلك قد يكون مركز التمدن في سنة ٢٠٠٠ في الدانمرك وفي سنة ٢١٠٠ في كندا ونروج وهلم جرًّا

نوابغ ادباء العرب

في النهضة الحديثة

نتيجة المسابقة

نشرنا في الجزء التاسع من السنة الماضية من الهلال سؤالا وجهناه الى قرائنا الكرام وهو :

« ذكر اسماء الاشخاص السبعة من الكتاب والادباء والشعراء الذين هم في نظر القارىء أصحاب الفضل الاكبر على النهضة الحديثة في الاداب والعلوم باوسع معانيها – أي من ابتداء القرن الماضي الى هذا اليوم – أحياء كانوا أو امواتاً ومهما يكن موطنهم أو مذهبهم »

وخصصنا للردود المصيبة خمس جوائز وهي :

الجائزة الاولى : ٥٠٠ قرش مصري من مطبوعات ادارة الهلال

« الثانية : ٣٠٠ « « «

الجائزة الثالثة والرابعة والخامسة : ١٠٠ قرش مصري من مطبوعات ادارة الهلال

وقد كان آخر ميعاد لاستلام الردود في ادارة الهلال ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٠ ثم اجلناه الى اول فبراير سنة ١٩٢١ ليتيسر للجميع الاشتراك في الرد ولا سيما الذين يقطنون في جهات بعيدة

وقد طالعنا الردود التي جاءتنا في الميعاد المذكور ورتبنا أسماء النوابغ التي ذكرها القراء في ردودهم واحصيناها واعتبرنا في حساب الاصوات أيضاً الترتيب الذي ذكرت فيه تلك الاسماء

وقد لاحظنا أن احكام القراء كانت كثيرة الاختلاف والتباين مما يدل على ضعف الرابطة المعنوية التي تربط الناطقين بالضاد وقد تبين لنا من تلك الردود ان بعض القراء غير واقفين تماماً على تاريخ الادب العربي في الاقطار البعيدة عنهم

وقد كانت نتيجة الردود الواردة من القطر المصري والسودان كما يلي :

١ بطرس البستاني	١١٥	صوتاً	٥ ابراهيم اليازجي	٨٥	صوتا
٢ محمد عبده	١١٣	«	٦ احمد شوقي بك	٨٠	«
٣ جرجي زيدان	١٠٩	«	٧ جمال الدين الافغاني	٦٥	«
٤ ناصيف اليازجي	٩٨	«			

وكانت نتيجة الردود الواردة من سوريا كما يلي :

١ بطرس البستاني	٩٤	صوتاً	٥ محمد عبده	٤٦	صوتا
٢ جرجي زيدان	٨٧	«	٦ الدكتور يعقوب صروف	٢٧	«
٣ ناصيف اليازجي	٦٨	«	٧ أحمد فارس الشدياق	٢٥	«
٤ ابراهيم اليازجي	٦٥	«			

اما النتيجة العامة لجميع الردود التي وردتنا من كل الجهات معاً أي مصر وسوريا وجميع المهاجر والاقطار العربية فكانت كما يأتي :

١ جرجي زيدان	٣١٩	صوتا	٥ محمد عبده	١٨٧	صوتا
٢ بطرس البستاني	٢٨٨	«	٦ احمد شوقي بك	١٢٠	«
٣ ناصيف اليازجي	٢٦٧	«	٧ احمد فارس الشدياق	٩٤	«
٤ ابراهيم اليازجي	٢٣٩	«			

وقد كان الاسمان التاليان للسبعة المذكورين فيما تقدم : جمال الدين الافغاني (٩٠ صوتاً) والدكتور يعقوب صروف (٧٧ صوتاً)

ويجدر بنا الآن ذكر كلمة عليها علينا حب الانصاف . فاننا ترددنا قبل نشر هذا الاقتراح خوفاً من أن يقال اننا رمينا به الى غرض شخصي [١] . على اننا انما اردنا الاقتداء بالمجلات الغربية الشهيرة التي كثيراً ماتعرض على قرائها مثل هذه

(١) وهذا يذكرنا باقتراح نشر في الهلال قبل وفاة منشئه المرحوم كان الغرض منه ذكر افيد الكتب التي صدرت في اللغة العربية . ولما كانت الردود في مصلحة مؤلفات منشىء الهلال ابى نشر النتيجة

الاسئلة . ومع ذلك لا بد لنا من الاشارة الى أن قراء الهلال هم بلا ريب أعلم من غيرهم بمؤسس الهلال واكثرهم قد تشبعوا من كتاباته ومؤلفاته فكانوا ميالين اليه بطبيعة الحال في حين أن غيره من الكتاب ربما لم يكن معروفاً عند جميع قراء الهلال أو لم يقدروه حق قدره

الفائزون

ومن مقابلة الردود تبين انه لم يفز أحد بذكر الاسماء السبعة . ولكن الذين ذكروا ستة منها كانوا ١٤ . ولكي نميز بين هؤلاء اعتبرنا الاسم السابع الذي ذكروه فاخترنا خمسة ردود كان الاسم السابع المذكور في أربعة منها الشيخ جمال الدين الافغاني (وهو الاول بعد السبعة المختارين) وكان في الخامس الدكتور يعقوب صروف (وهو الثاني بعدهم)

وبما انه لم يكن ترتيب الاسماء في أحد هذه الردود مماثلاً للترتيب الذي حاز الاغلبية فلم نر مسوغاً كافياً للتفضيل بينها فرأينا ان نقسم الجوائز الخمس بالتساوي بينهم جميعاً أي ان لكل منهم خمس مجموع القيمة التي عيناها للجوائز الخمس . وبما أن ذلك المجموع هو ١١٠٠ قرش من مطبوعات ادارة الهلال فلكل من الفائزين ٢٢٠ قرشاً من تلك المطبوعات

وفيما يلي اسماء الفائزين حسب الترتيب الهجائي مع حفظ الالقاب :

حموده فنيره	فرنباليه (تونس)
شكري جودت	اسيوط (مصر)
الدكتور ملحم فريجي	بعلبك (سوريا)
نجيب سعيد كنعان	مصر القاهرة
نجيب فركوح	عجلون (سوريا)

فليختر حضراتهم المطبوعات التي يريدونها بالقيمة المذكورة فترسلها اليهم ادارة الهلال في الحال

بيني وبين البويجي

في كل انسان جرثومة مقدسة من روح
الله وقد تغطي مؤثرات الطبيعة في
البعض هذه الجرثومة فلا تظهر
الفيلسوف تولستوي

كان الوقت صباحاً ، والسماء صافية نقية كقلب الناسك المتعبد . وكان النسيم عليلاً والهواء بليلا . . .

في هذا الوقت المهيب خرجت من منزلي وأخذت أمشي الهوينا على شاطىء البحر عند الميناء الشرقي بالاسكندرية حتى اذا اخذ مني التعب مأخذه جلست في احدى القهوات المطلة على البحر اسرح الطرف في مايبدو لي من المناظر الساحرة ...

وما هي الا دقائق معدودة حتى وقف أمامي ولد صغير وقال : « أتود ان نمسح حذاءك ؟ » قلت : « نعم » وما أتم مسح الحذاء حتى ناولته قرشاً صاغاً والتفت الى رفيق بجانبي أحادث واياه ولكن الولد المسكين جاءني يقول : « خذ يا افندي . اعطيتني قرشاً صاغاً ونحن نمسح بقرش تعريفة فقط » قلت : « وما الذي دعاك لترجعه ؟ ألا تعلم انك خسرته ؟ » فضحك وذهب فرحاً مسروراً

فكرت في كلمات هذا الولد المسكين وتعجبت وقلت في نفسي : لو تعلم هذا الولد مع وفرة ذكائه قبل ان ينغمس في المفاسد لخرج منه الرجل الحقيقي . ما أحسن ان يكون التعليم اجبارياً ! وما احسن رعاية اولاد الطرق واصلاح أمرهم ! وهل من مشروع افيد لهذا القطر من مشروع « ملجأ الحرية » الذي مات قبل أن يولد ؟

او ليس ابن الفقر والفاقة هو الذي خدم العالم ؟ او ليس الغني الذي ينظر الى الكون من وراء نظاراته الذهبية لا يشاء ان يخدم ؟ ان النفس الكبيرة قد توجد بين اللصوص ومساحي الاحذية . . .

المحيط ! التربية ! التربية بيت القصيد . قد يكون الصغير الذي تحتقره انت كبير النفس ، حسن الاخلاق . فآه لو تعلم الكل ! ما ذا يمنع لو كان التعليم اجبارياً وتعلم مثل هذا الولد ماسح الاحذية ؟

ان من بين هذه الطبقات الوضيعة المحتقرة من الناس خرج كثيرون من العظام . ان ابن الفقر والفاقة هو الذي بنى الباستيل وهو الذي هدمه ايضاً . من المغارة خرج النور ، ومن مذود البقر امتـد شعاعه . . وهكذا قد يكون بين اللصوص وماسحي الاحذية رجال عظام ، والعظمة التي اريد وضعها فيهم هي العظمة الحقيقية ومعاذ الله ان اعني بقولي ان يكونوا عظماء حال كونهم لصوصاً وماسحي احذية . بل انما اريد ان انبه الافكار الى هذه الطبقة الحقيرة من النـاس التي تطمس الفاقة فيها العظمة وتخفيها فلا تظهر . فقد ثبت ذلك في التاريخ وخرج كثيرون من العظماء من الاكواخ ، والكهوف ، من بين اللصوص وماسحي الاحذية

انك لا تعرف قيمة الدينار الا بعد ان تحكه ، والتبر لا تعرف حقيقته الا بعد ان يستخرج من جوف الارض ، والجوهرة المطروحة في الاوساخ لا تظهر قيمتها الا بعد أن تستخلص من تلك الاوساخ ، والسيف لا يلمع ولا يقطع الا بعد ان يصقل ويجرد . ان في كل انسان جرثومة مقدسة من روح الله ولكن مؤثرات الطبيعة قد تغطي هذه القداسة فيهم فيخرج اللص ، والقاتل ، والجاهل . ولكن الجرثومة المقدسة لا تتلاشى البتة لانها الهية . ان النسمة التي نفخها الله في آدم سرت الى والى اللص ، والى القاتل ، والى ماسح الاحذية ، والى القديس ، والى الصالح . فما هو سر هذا التفاوت بين البشر ؟

ان الجرثومة المقدسـة التي غرست في قلب كنفوشيوس فكتب الشريعة التي انقذت ملايين البشر من الهمجيـة هي نفسها غرست في قلب « جسي جايمس » الذي ارجف اميركا وحكومتها بلصوصيته اكثر من ثلاثين سنة . والقوى الطبيعيـة والاكتسابية التي كانت في واشنطن محرر اميركا هي دون القوى العقلية العجيبة التي كانت في ذلك اللص الشهير . فلو احسنت تربيته منذ الصغر واحسن استعمال تلك القوى الهائلة لخرج منه الرجل العظيم الذي ينسينا كل من نعلم من الرجال العظام ولكانت الانسانية تغبط جسي جايمس بقولها انه كان من اعظم خدمتها . وهكذا قل عن مساح الاحذية : الولد الذي يقبل قدميك لينـال القرش التعريفة ويمسح حذاءك بدموعه احياناً لينال القرش الصاغ ـ هذا الولد الرث الثياب ، القـذر المظاهر الذي تخجل ان تنظر اليه ربما كان قلبه انقى من قلبك وقلبي ، وعقله اكبر من عقلك وعقلي

أجل ليست الامور بظواهرها ، وما عذر الزمان بقليل ، ان روح الكبرياء في

الانسان تنسيه هؤلاء الصغار في الانسانية وأن لهم من العواطف ما له وفيهم من القوى ما فيه . وانما جور الزمان بل ظلم الانسانية يقيد هذه الامور فيهم ويحول دون ظهورها فتحرم الانسانية نفعها ويكون الانسان قد أضر نفسه . فما النفس الا نفحة سماوية من الله تطمح دائما الى السمو ولكن هذا الجسد الفاني يقيدها ويمنعها ما تنزع اليه . ولذلك يقوم في الارض صغار وحقيرون ويقوم كبار يسقطون هؤلاء من الحقوق الانسانية ... فما احسن أن تمهد الحكومة السبيل لهؤلاء الصغار وتزيل العراقيل التي يرونها أمامهم بجعلها التعليم اجبارياً ومجانياً في المدارس الابتدائية ليخرج الرجل العظيم من هذه الطبقات كما طالما خرج منها . . .

* * *

علموهم كما تعلمون اولادكم ليتهذبوا منذ الصغر كما يتهذب سواهم . كم من المواهب خنقت قبل أن تظهر وانطفأ نورها تحت ستر الفقر والفاقة واللصوصية وما شاكل ! كم من الامور التي كان فيها أكبر نفع للانسانية فضاعت في زوايا الاهمال أو قتلها ظلم الانسان ! وكم غير ذلك من أمثال هذا مما لو أردت تفصيله لكتبت عشرين مجلداً دون أن اشذ قيد شعرة عن هذا الموضوع ! . . .

هذبوهم ، علموهم ، اجعلوا التعليم اجبارياً واعتنوا بهم . علموهم كما يريد الله ، وكما تعلم الشرائع ، وكما علم كنفوشيوس ، وبوذا ، وحمورابي ، وموسى ، والمسيح ، ومحمد . الكل يعلموننا الاخاء ، الكل يعلموننا العدل والمساواة . عليكم بالتاريخ فهو أصدق شاهد لما أقول فتشوا تروا أن كثيرين من العظماء كانوا قبل أن صاروا عظماء لصوصاً وماسحي أحذية . . .

قال « جان جاك روسو » :

« في ارتقاء الفرد ارتقاء الامة ، وفي ارتقاء الامة ارتقاء الرؤساء والحكام... »

أجل فمتى ارتقت الامة وارتقى الحكام ساد السكون والامن وقلت الشرور ، وقلّ ظلم الانسان لاخيه الانسان

ولكن من ربي على القتل لا يلام اذا قتل . ومن ربي على السرقة لا يلام اذا سرق . ولا عجب اذا رأينا أناساً يقتلون ويفتكون وليس عندنا ممن يحسنون القراءة والكتابة غير نفر قليل . . .

أليس من العدل أن يقتل القاتل ؟ نعم . ليكون عبرة لسواه . ولكن . . . أليس

من الظلم أن يقتل ونحن سهلنا له القتل لأننا لم نعلمه ونظهر له سوء عاقبة عمله ؟

منذ تسع سنوات قام دروز حوران (حوران مجموع بلاد وقرى في سوريا) وبدأوا بالسلب والنهب من أموال المسلمين والمسيحيين القاطنين تلك الانحاء وكانت الحكومة العثمانية قد طلبت تجنيدهم فأبوا فارسلت جنوداً بقيادة سامي باشا الفاروقي القائد العربي فأبلت فيهم بلاء حسناً وأتت بكثير من رؤسائهم واعدمتهم شنقاً بساحة « المرجه » على ضفاف بردى بدمشق . يا له من يوم عصيب رهيب وقف فيه هؤلاء تحت آلة الاعدام مذعورين لا يعلمون ما الذي سيحل بهم . وقفت هناك انظر اليهم وكان الناس مجتمعين والجنود والبوليس في حركة غير اعتيادية فقلت : دنت الساعة الرهيبة . وكان الجميع ينتظرون الساعة ـ ساعة الاعدام ـ والكل يودون أن يروا المجرمين معلقين انتقاماً وتشفياً . ولكنني كنت أفكر قائلاً :

اذا كانوا مجرمين يستحقون القتل فانهم لبشر يستحقون الرحمة ، واذا كان القانون يقضي عليهم بالاعدام فقانون الانسانية يقضي عليهم بالشفقة

اني أفرح لان بعض أعداء الانسانية قد نحت منهم الانسانية وأحزن لان بعض ابناء الانسانية قد جنت عليهم الانسانية . . . فانهم مذنبين في نظر الفلسفة كما هم مذنبون في نظر القانون . الجهل هو المذنب في نظر الفلسفة فيجب أن نقتله . . .

فرحت لأني رأيت بعيني موت من نهبوا وسلبوا دون رادع ضمير . وبكيت لاني رأيت بعيني قتل اخوة لي في الوطنية والانسانية . . . ابتسامة ودمعة في وقت واحد . تلك كانت حالي في المشهد . . .

رأيت المجرمين واقفين أمام العمود تحت آلة الاعدام يرتجفون . رأيتهم يلتفتون الى هنا وهنالك وينظرون الى العمود برعب كأنه آلة الاعدام ... أجل فتبكيت الضمير يوهم المجرم ان كل ما في الطبيعة عدو له وآلة للانتقام منه . . .

رأيتهم ينظرون الى ما حولهم بكل بساطة وسذاجة . وسمعتهم يجيبون على الاسئلة التي كانت تلقى عليهم بكل بساطة وسذاجة أيضاً وكلامهم ممزوج بالرعب الشديد فغصت في التأملات وتصورت هؤلاء التاعسين اطفالاً على صدر بدوية ، فأولاداً في خيمة بدوية ، فأحداثاً وراء المواشي والجمال ، في البراري والقفار ، فشباناً بين الحيوانات ، وفي الغزو والنهب والسلب والاعتداء والقتل لا يفهمون شيئاً من العالم ولا يعلمون شيئاً عن الدنيا ، فرجالا في الجرائم والذنوب والعصيان والثورات ، فكهولاً

في السجن ثم عند آلة الاعدام . كل هذه الصور مرت ببالي في لحظة ـ كما يمر النسيم على وجهك فيوقظك . وللحال أدركت موقف المجرمين الاشقياء ، وعندما اخذوا يسألونهم عن وصيتهم الاخيرة لعيالهم استولت عليّ قشعريرة لا أقدر أن أدرك ما هي فابتلت عيناي بالدموع بالرغم من محاولتي الثبات والتكتم . . .

وتالله لم يكن لمشهد الاعدام تأثير فيّ أعظم من تأثير هذه الوصايا . ولكن خشونة هؤلاء الجهلاء وغلاظة عواطفهم كانت تخفف شيئاً من فيضان عواطفي . ولما قال أحدهم ان له ١٦ ولداً فاضت دموعي وشعرت كأن ماء بارداً صب عليّ وأن شفقة عظيمة تولتني فقلت في نفسي : كيف تكون حالة تلك الارملة وهؤلاء اليتامى عندما يعلمون بالخبر الهائل ؟ وكيف يقوون على احتماله ؟ ولكن كأن هاتفاً خفياً هتف في أعماق قلبي قائلا : « أن من ربي على القتل ، لا يبالي بالقتل »

وجاءت خشونة الرجل بعدئذ ملطفة لعواطفي . . . ثم عدت ففكرت في هؤلاء المجرمين وتمثلتهم أمامي يحملون السيف والبندقية . يطاردون الجنود ويهجمون على أفواه المدافع ، أيام كانت سيوفهم تروى من دماء الابطال ، ورصاص بنادقهم يمزق صدور حماة الوطن ، أيام كانوا يصادمون الموت بكل شجاعة وكبرياء ولا يبالون ولا يرتجفون فتأججت في قلبي نار الحقد عليهم . . . وبعد دقائق رأيت أولئك الرجال الصارخين المتوسلين ثلاث جثث معلقة جامدة تقدر طيور السماء أن تنقر عيونها وأصغر الحشرات أن تقتات منها . وهكذا مات هؤلاء الافراد ليحيا المجموع وهذا عين العدل في العالم لا يقوم الكون إلا به . . . لو خرج المجرم من بين ذراعي أمه الى مدرسة راقية فالى محيط راق لما أصابه ما أصابه وربما كان من أكبر خدمة الانسانية . أما وقد خرج من المهد الى القفر والبرية فالى مسرح الوحوش والبهائم فالى السلب والقتل والنهب فكان مصيره الى آلة الاعدام . . . نعم انه غير مذنب في نظر الفلسفة لانه لم يتعلم ما هو الواجب وما هي حقوق الانسانية . فالجهل هو المذنب ولكن مماته عدل ليكون عبرة لسواه وليسلم المجموع من ضرره وأذاه

ولكن ان كنت تدعي الفلسفة فلتفطن الى هذه الحقيقة وهي ان ما تعتقده من المجرم انما هو نكبة اصيب بها وآفة ؛ وانك لو خرجت الى هذا العالم من بطن امك ولك مثل جبهته المنخفضة ، وغرائزه المسمومة ، ولو ربيت في الوسط الذي تربى فيه بين اهله الذين يدرس تاريخهم كما تدرس حياة الحيوانات المفترسة والوحوش

الجارحة لما جلست الآن على كرسي القضاء وعلى اعطافك هذا الوشاح وفي صدرك هذا الوسام تصدر الاحكام على أبناء جلدتك وجنسك

***

لست اعارض في ابادة المجرم واخماد أنفاسه . ولكن لشعوري وجهين : فوجه منه للحب والبغض . ووجه للنظر والحكم . ولو أني تركت ولنفسي لشنقت المجرم ثم تلوت ذلك بكتابة اعتذار واف عن جرمه واقامة أثر فوق قبره يكون تذكاراً لا لمحامده ، بل لمصيبته وسوء حظه ، وربما زينت قبره ببعض الرموز والعلامات كما يفعلون بقبور ذوي الصلاح والاستقامة من البشر ، ولا أحسب اني اجعل هذا الرمز صورة طائر (علامة الطهر والنقاء) بل صورة ذئب أو ضبع ، واعلم علم اليقين ان رحمة الله التي تسع الطائر والضبع تتدارك التقي والشقي على حد سواء . . .

ولكن . . اذا أردتم أن يقلّ عدد المجرمين ، بل اذا أردتم أن تزيلوا المشنقة فابنوا المدرسة

ان في كل انسان جرثومة مقدسة من روح الله ولكن مؤثرات الطبيعة تغطي في البعض هذه الجرثومة فلا تظهر . . .

الاسكندرية نقولا شكري

حكم عربية

الجاهل عبد لا يعتق رقه الا بالمعرفة

الحكمة سراج النفس فمتى عدمتها عميت النفس عن الحق

الحكمة غذاء النفس وجمالها . والمال غذاء الجسد وجماله . فمتى اجتمعا للمرء زال نقصه وتم كماله ونعم باله

كون الشخص بلا علم كالجسد بلا روح

من احب ان ينوه باسمه فليكثر من العناية بعلمه

اكذب الكاذبين من كذب بصدقه

خواطر

لجبران خليل جبران

[الهلال] لجريدة « السائح » النيويوركية مكانة فريدة في عالم الادب العربي . فانها لسان حال « الرابطة القلمية » وهي جمعية مؤلفة من صفوة أدباء المهجر الاميركي « تنزع الى جعل الادب العربي معرضاً للفكر الحي والقلب الحساس والقريحة الحرة » . وفي رأس كل سنة يصدر جزء ممتاز من « السائح » جامعاً لطائفة طيبة من الآثار الادبية التي تبدو فيها هذه النزعة باجلى بيان . وانا موردون فيما يلي خواطر مختارة لجبران خليل جبران زعيم تلك النزعة الجديدة في الادب العربي منقولة عن هذا الجزء الممتاز . وان ما نعلمه من اعجاب قراء الهلال بنفثات هذا النابغة يغنينا عن التعليق عليها

الناس رجلان ، رجل مستيقظ في الظلام ورجل نائم في النور

انا كولمبس نفسي ، وفي كل يوم أكتشف قارة جديدة فيها

الحب الذي لا يتجدد في كل يوم وليلة يتحول الى شكل من قوة الاستمرار وهذه بدورها لا تلبث أن تنقلب عبودية

أشد الناس كآبة كئيب لا يعرف سبب كآبته

حقيقة الناس ما يخفونه عنك فان شئت أن تعرف الناس فلا تصغ الى ما يقولونه بل الى ما لا يقولونه

ما أظلم من يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك

لم يعمل البشر الا بمقتضى قول القائل « خير الامور الوسط » . لذلك تراهم يقتلون المجرمين والانبياء

كان الموهوب في الماضي يفاخر بخدمة الملوك أما اليوم فانه يدعي خدمة المساكين .

يقولون لي لست والعالم الذي تسكنه سوى ذرة رمل على شاطئ بحر اللانهاية وأنا أقول لهم انا هو بحر اللانهاية وليست العوالم أجمع سوى ذرات على شاطئي

اشتاق الى الابدية لانني سأجتمع فيها بقصائدي غير المنظومة وصوري غير المرسومة

انما الانتظار سنابك الزمن

لولا جهلي ما تعرفونه لما عرفت ما تجهلونه

ما أضيق عيش من يؤثر اجتهاد النمل على انشاد الجنادب!

لو قال الشتاء « الربيع مختبىء في قلبي » فمن يا ترى يصدقه ؟

للرجل العظيم قلبان ، قلب يدمي وقلب يتجلد

كم مرة عزوت لنفسي جرائم لم أرتكبها قط كي لا أظهر أرفع ممن يجالسني من المجرمين

اجعل يارب قوة أعدائي مضارعة لقوتي كي لا تكون الغلبة الا للحق

سيأتي زمن يأبى فيه ابناؤه الانتساب الينا مثلما يأبى بعضنا الانتساب الى طائفة السعادين

بعض الناس يسمعون بآذانهم والبعض ببطونهم والبعض بجيوبهم والبعض لا يسمع أبداً

ما أشبه أرواح بعض الناس بالاسفنج فانك لا تستقطر منها الا ما امتصته منك

أبعد الناس عن قلبي راغب يمثل دور مرغوب

لو وجد رجلان متشابهان لما وسعتهما الدنيا

عندما تبلغ قلب الحياة تجد انك لست أرفع من المجرمين ولا أدنى من الانبياء

أكثر ذوي العواطف الرقيقة يتسرعون بمس عواطفك خوفاً من أن تسبقهم وتمس عواطفهم

عندما يلمس الرجل بيده يد امرأة يلمس كلاهما أذيال ثوب الابدية

ما أكثر النساء اللواتي يستعرن قلب الرجل وما أقل اللواتي يتملكنه

لو لم تكن المجرة في داخلي لما عرفت بوجودها

كل فكر استعبدته بياني علي أن أطلقه بتصرفي

جبران خليل جبران

نظام البلشفيك السياسي

رواية شاهد عيان عاد اخيراً من روسيا

حضرة محرر الهلال

اطلعت في مجلتكم (الجزء الاول لهذه السنة) على مقالة بشأن البلشفيكية الروسية ألمعتم فيها الى هيئة حكومتها المسماة بحكومة « مجالس العملة والجنود والفلاحين » والمعروفة عندهم باسم « سوفيت » . وقد رأيت في تلك المقالة شيئاً لا ينطبق على الواقع كما خبرت ذلك بنفسي فرأيت كتابة هذه الكلمة تقريراً للحقيقة

عاش كاتب هذه السطور في روسيا من سنة ١٩٠٨ الى صيف العام الماضي وقضى هناك أيام الثورة الديمقراطية الاولى وثورة البلشفيك الثانية وكان كل تلك المدة في موسكو وبتروغراد وكيف واطلع بنفسه على دقائق ما جرى هناك وكانت له معرفة بكثيرين من زعماء الحزب الكوموني (البلشفيكي) وحضر كثيراً من اجتماعاتهم وكان مستخدماً في المعارف عندهم . لذلك اذكر لكم ما رأيت وسمعت بنفسي وبعضه لا ينطبق على ما جاء في المقال الذي نشرتموه

عندما استلم السلطة الحزب الاشتراكي المتطرف المسمى بالحزب الكوموني او البلشفيكي[1] في ٧ ت ٢ (نوفبر) سنة ١٩١٧ اعلن سلطة العمال المطلقة La dictature du prolétariat فصار العامل والاجير والخادم واغلبهم من الاميين الجهلة اصحاب الحل والربط في تلك البلاد العظيمة : بواب البيت صار صاحبه والمسيطر على سكانه واجير المخزن صار وكيل الحكومة فيه . ومن كان في يده سلاح كالجندي اصبح القيم على ارواح العباد يستبقي من يشاء ويقتل من يشاء خصوصاً من اهل الثروة والجاه . فكان عاما ١٩١٨ و ١٩١٩ من هذه الجهة امر

---

(١) « بلشفيك » لفظة روسية معناها المتطلب كثيراً او المتطرف في مذهبه واصلها ان الاشتراكيين الروسيين اجتمعوا سنة ١٩٠٢ في بروكسل وانقسموا الى حزبين : الحزب الواحد كان يطلب تنفيذ المبادىء الاشتراكية عن طريق القتل والاغتصاب وسمي بالبلشفيك وزعيمه لنين . والحزب الآخر كان يطلب تنفيذ تلك المبادىء عن طريق السكينة والعمل المتواصل بدون الحاق اذية باحد وسمي بالمنشفيك . ومن زعمائه بليخانوف الشهير وكرنسكي وغيرهما

من جهم على كل ذي ادب وشرف في تلك البلاد . وكانت الحياة للجميع اشبه بحلم مرعب مزعج . وقد رأيت بنفسي بحرياً يقتل طبيباً على محطة مدينة سمولنسك لكون قبعة الطبيب لا تزال مزينة بالنسر الروسي شعار الامبراطورية ولم يجسر أحد ان يلقي القبض على القاتل . وامثال ذلك الحادث لا تحصى . وفي السنة الاخيرة خفت وطأة جرائمهم اذ لم يبق وجيه في البلاد . واذ خابت آمالهم بالثورة الكومونية صاروا يميلون الى مصالحة الشعوب الاخرى ويبثون دعاتهم هنا وهناك لنشر الحسنات عنهم . والآن اقتصر على بيان نظامهم السياسي الذي ذكرتموه في مقالتكم السابقة مرجئاً الكلام عن نظامهم الاقتصادي الى وقت آخر

يحكم البلاد مجلس أشبه بمجلس البارلمان يسمى « المجلس المركزي للعملة والفلاحين والجنود » مركزه في موسكو وكل أعضائه من الكومونيين أي المسجلين في حزب البلشفيك . واذا أرسلت اليه نقابة عضواً غير بلشفيكي ردوه أو اضطروه الى الاستعفاء . وهم بصراحة لا يقبلون أحداً من حزب المنشفيك ولا من حزب الاشتراكيين الثوري . واغلب الاعضاء من اليهود الكومونيين ومن المجرمين الذين عادوا بعد الثورة من سيبيريا والخارج . يرأس هذا المجلس اولا سفيردلوف وهو يهودي من سرانوف . وبعد وفاته انتخبوا (باشارة لنين) خليفة له كالينين احد صناع معامل بطرسبرج . وهو عندهم بمثابة رئيس الجمهورية . وفضلا عن ذلك يحكم كل مدينة مجلس خاص بها من الكومونيين . فموسكو يحكمها مجلس من هذا النوع ويرأسه كامنيف اليهودي . وبطرسبرج يحكمها مجلس آخر يرأسه زينوفيف اليهودي ايضاً . ثم يحكم كل ولاية مجلس على النحو المذكور ويؤلف غالباً من المجرمين السابقين واليهود والكومونيين من اسرى المانيا والنمسا . وقد عرفنا مجلساً في مدينة فلاديمير قوامه من المجرمين فقط . فكان يقتل وينهب حسبما يشاء بصورة يصعب على العقل تصديقها لولا اننا كنا من المشاهدين لما كان يجري . وعرفنا بنفسنا مجلساً آخر في سمولنسك كان الرجوع اليه بامر مشفوعاً دائماً بخطر فقد الحياة

ويحكم كل قضاء ومقاطعة مجلس ينتخب من العملة أو الخدام أو اصحاب الحرف الحقيرة حسب نوع السكان . والاوامر الصادرة من المركز تشدد النكير على انتخاب غير البلشفيك منهم . والبلشفيكي كما قلنا اما مجرم أو يهودي أو فقير خامل عاجز أقعده كسله عن الاعمال النافعة في الحياة

ويحكم القرية مجلس مؤلف من فلاحيها والفلاحون حتى اليوم لم يدخلوا في حزب البلشفيك ولذلك لا تراهم في غير مجالس قراهم . بل أنهم فيها ضعفاء لا يجاسرون على مخالفة أوامر مجالس الاقضية والمقاطعات . واذا لم ينفذ مجلس القرية أوامر الكومونيين الواردة اليه من المركز ترسل اليه فرقة من البلشفيك فتقتل وتنهب وتسجن حتى لا يبقى ثمة سبيل الى المخالفة . وقد صار اسم كوموني أو بلشفيكي عند الفلاحين مرادفاً لاسم الجلاد وقاطع السبيل واللص كما هو الواقع

ولدى كل مجلس في المدينة والولاية والقضاء لجان وفروع لكل نوع من الادارة كالحربية والعدلية والتموين والمعارف الخ . وهم يجتهدون في أن يكون رئيس وأعضاء هذه الفروع من البلشفيك اي الكومونيين . وعدا ذلك يوجد في كل مدينة وبلدة فرع لحزب الكومونيين وهو المرجع الاعلى لمجلس تلك المحلة وأعضاؤه اصحاب السلطة المطلقة هناك . ويكفي أن يقال فلان كوموني لتصير كلمته مقدسة غير قابلة الاعتراض في أي مجلس كان وفي أي فرع كان

وأعضاء جميع المجالس والفروع المذكورة تنتخب عادة من العملة الكومونيين ويحظر انتخاب شخص كان في خدمة الحكومة السابقة او كان تاجراً أو مثرياً أو وجيهاً . حتى ان المعلمين محرومون من ارسال مندوبيهم الى تلك المجالس مع كونهم ليسوا من « البورجوا » (أي من أهل الطبقة الوسطى) وانما يختلفون عن العامل في زيهم الخارجي وآدابهم

اذا عرفتم كل ذلك يمكن ان تتصوروا ثقل تلك اليد الظالمة الحديدية التي رفعها العامل والبطال والمجرم فوق رؤوس الجميع بلا استثناء حتى هابوهم وخافوهم . ولولا الرعبة والخوف لما بقيت حكومة البلشفيك يوماً واحداً . وقد قتل أولئك المنهوسون بايديهم الخشنة ألوفاً من الابرياء حتى لم يعد في البلاد من هو قادر على التفوه ببنت شفة ومن بقي صار من اليأس مقتنعاً بملاقاة الموت جوعاً أو برداً أو قتلاً

ولاجل القاء الرعب في قلوب الجميع واخضاعهم قسراً ومصادرة كل من ليس كومونياً أقام البلشفيك لدى كل مجلس لجنة سموها « اللجنة فوق العادة لمقاومة أعداء الثورة » . ولا تسألوا كم من المظالم والفظائع اتت هذه اللجان في الاقضية والمقاطعات والولايات والعواصم . كان يكفي أن يقال « فلان ضد البلشفيك » حتى يقتل بلا محاكمة . كانوا يسوقون مستخدمي الحكومة السابقة وأهل الوجاهة والثروة

والادب حتى النساء والفتيات والاساقفة والكهنة ويقتلونهم بلا شفقة أو يميتونهم في السجون جوعاً وبرداً . كانت رسل هذه اللجان تقتحم البيوت نهاراً وليلاً وتلقي أيديها على من تشاء وتقتله . ولا أقدر ان أصف كل الفظائع التي رأيتها وسمعت بها وانما أقول بوجيز العبارة ان حكومة البلشفيك قامت وتقوم حتى اليوم بالتهويل والارغام والقائمون بها هم المتهوسون من الاشتراكيين والمجرمون الناقمون على الحكومة السابقة واليهود المعروف تعلقهم بروسيا وحبهم لها . . . ونحن نذكر احتجاج الدول المتحايدة سنة ١٩١٨ على تلك المظالم والجرائم وجواب تشيتشرين عليه

أما عداؤهم للدين فحدث عنه ولا حرج . يصرحون في دستورهم (بند ٤) بانهم لا يتداخلون في أمور الدين ولكنهم في الواقع اقاموا حرباً ضد المسيحية وخدمها . فاقفلوا كثيراً من الاديار وطردوا منها الرهبان وصاروا يكشفون بقايا القديسين ويسخرون بها وفي كثير من المدن حولوا بيوت الاساقفة الى مجازر والكنائس الى اماكن للهو يؤمها الكومونيون. وهم يجيزون الاجتماعات اللادينية ويحظرون ما يماكسها

ثم ان نظامهم السياسي المذكور يمنع بتاتاً وجود الاحزاب الملكية والديمقراطية والاشتراكية المعتدلة ويمنع حرية المطبوعات والاجتماعات لغير الكومونيين . لذلك اذا زرتم اليوم بلاد البلشفيك لا ترون غير اجتماعاتهم ولا تسمعون سوى أقوالهم ولا تقرأون غير جرائدهم وهكذا تعودون من روسيا غير عارفين الحقيقة اذا لم تعيشوا مع الشعب وتعرفوا بانفسكم حقيقة ما يجري . اذكر أنه عند ما زار وفد العملة الانكليز في شهر أيار (مايو) من العام الماضي مدينة موسكو كان مندهشاً ومعجباً مما سمع من خطباء الكومونيين ولكن عندما دعاه حزب المنشفيك (الاشتراكيون المعتدلون) الى اجتماع خاص ، ولم يمنع ذلك البلشفيك اكراماً للضيوف ، وبدأ خطباؤه مثل تشرنوف وموراتوف وغيرهما بشرح الحقيقة قامت قيامة الكومونيين واسكتوا الخطباء بالقوة . فتأملوا !

هذا ما اكتبه الآن اليكم بالايجاز آملاً ان أعود الى الكلام عن البلشفيك ونظاماتهم في وقت آخر واذا كان ممكناً فعلى صفحات مجلتكم الغراء

طرابلس الشام — اسكندر قسطنطين يارد

[الهلال] نرحب بهذا المقال لكونه مكتوباً بقلم شاهد عيان رأى وسمع بنفسه ما يجري ويقال في تلك البلاد التعسة . أما المقال الذي نشرناه في الجزء الاول من

هذه السنة فقد اعتمدنا فيه على كتابات نفر من أصدق الملاحظين وابعدهم عن الاغراض نذكر منهم سفير الولايات المتحدة سابقاً في الدانمرك وامثاله كثيرون. على أن الروايات بهذا الخصوص لا تزال متضاربة الى هذه الساعة . ولكن الذي لا ريب فيه هو ان الثورة الروسية ككل ثورة حدثت في العالم قد تخللها كثير من الظلم وسفك الدماء مع أن بين زعمائها غير واحد من المخلصين في اعتقادهم المريدين خيراً لمواطنيهم. ولكن أطوار الشعوب لا تنقلب في سنة ولا في سنوات . وقد وجد الزعماء البلشفيكيون انه لا بد لهم من السير على نفس الطرق التي سار عليها حكام العهد القيصري

لسان حال بعض الدول

ملأنا البر حتى ضاق عنا وماء البحر نملاه سفينا
(انكلترا)

على انني راض بان احمل الهوى واخلص منه لا علي ولا ليا
(اميركا)

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا
(النمسا)

بقدر الصعود يكون الهبوط فاياك والرتب العالية
(المانيا)

لم ادر حين وقفت بالاطلال ما الفرق بين جديدها والبالي
(روسيا)

اذا لم يسالمك الزمان فحارب وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
(تركيا)

قد بعت بيتي وحماري معاً فبت لا فوقي ولا تحتي
(الجبل الاسود)

(عن جريدة الصفاء الغراء)

مخازن بلا مستخدمين

طريقة جديدة للاقتصاد على البائع والشاري

قيل عن أميركا انها أم الغرائب والعجائب ونزيد على ذلك انها أم الابتكار والاستنباط . فليس في العالم بلد أصلح منها لظهور الافكار الجديدة والطرق



مطعم بلا خدم يتناول فيه الانسان طعامه بالقاء قطع نقود في ثقوب خاصة

المستحدثة التي من شأنها تسهيل المعاش وتقريب طرقه . فما أسرع ما يهجر الاميركي السبل القديمة المألوفة ليقبل على الجديد النافع حالما تثبت له أفضليته . فهو رجل عمل قبل كل شيء وأول ما يعنى به ويوجه أفكاره اليه زيادة عمله ومضاعفة انتاجه بأقل ما يمكن من الانفاق في ماله وقوته

هذا هو المبدأ الذي يتخذه شعاراً له من أول يوم يدخل فيه معترك الحياة وهو

الذي يشحذ قريحتـه ويقدح زناد فكره لاستنباط الوسائل المؤدية الى زيادة انتاجه وارباحه

وآخر ما أنبأتنا به الصحف من هـذا القبيل انتشار طريقة حديثة للبيع في المخازن العمومية صادفت نجاحاً جعل الخبيرين يتوقعون انها سوف تعم جميع الاسواق ليس فقط في أميركا بل في العالم أجمع

ففي احياء العمل في نيويورك وشيكاغو وبوسطن وفيلادلفيا وغيرها من مدن أميركا



جانب من مخزن كبير بلا مستخدمين يختار فيه الشاري بنفسه ما يشاء

الكبرى مطاعم كثيرة مفروشة بالفرش الحسن يكثر فيها الازدحام في معظم اوقات النهار واذا دخلتها في مواعيـد الطعام لا تكاد تجد فيها مكانا الا بشق النفس .

وهذه المطاعم تمتاز بخلوها من امر قد يخاله القارىء ضرورياً لكل مطعم وهو الخدم او « الجرسونات » . فزبائن هـذه المطاعم جلهم من رجال الاعمال الذين يختلسون الوقت خلسة لتناول الطعام . فهم يفضلون القيام بانفسهم مقام الخدم رغبةً في الاسراع من جهة واقتصاداً في النفقات من جهة أخرى فتراهم يدخلون المطعم

زرافات ووحداناً فيضع الواحد منهم قطعة من النقود في ثقب امام العين الحاوية لنوع الطعام الذي يختاره فيفتح باب العين فيتناول الرجل طبقاً جاهزاً فيذهب الى احدى الموائد ويأكل بهدوء وهناء

على ان هذه المطاعم ليست جديدة وان لم تكن قبلاً كثيرة الانتشار . واحدث منها ما طالعناه عن المخازن التي تستغني عن المستخدمين لبيع حاجياتها . واليك تفصيل ذلك



آلة تمسح الحذاء بالقاء قطعة من النقود في ثقبها

كان مخزن كبير من مخازن مدينة روشستر بولاية نيويورك في مركز مالي حرج . فرأى مجلس ادارته ان لا خروج له من هذا المأزق الا باجراء تعديلات اساسية في نظامه . فاتفق رأي اعضائه على توسيع السلطة المخولة لرؤساء الدوائر فيما يتعلق بشؤون دوائرهم وان يجعل لكل منهم قسط من الارباح الامر الذي دفعهم الى استنباط الوسائل لتقويم مالية مخزنهم . فشرعوا يفكرون اولاً بطرق الاقتصاد في

النفقات فاستغنوا عن فريق من المستخدمين ثم عن فريق آخر واخيراً خطر لهم ان يستغنوا عنهم جميعاً . وهكذا فعلوا . والغريب ان المخزن داوم اعماله بل زاد بيعه وتضاعف عدد الوافدين اليه من الزبائن . فلم تمضِ بضعة أشهر حتى استعاد المحل مركزه السالف واخذ يوسع نطاقه فكان لنجاحه هذا دوي عظيم في اسواق المدينة وحذا حذوه كثيرون



آلة توزع مشروبات مختلفة بالقاء قطع النقود في ثقوبها

أما تعليل هذا النجاح فسهل اذا علمنا أن المشتري (ولا سيما في تلك البلاد التي يربى فيها الانسان على الاستقلال) يكره عادة أن يظهر بمظهر المتأثر من اقوال غيره . فقد يدخل الواحد محلاً من المحلات وفي نيته شراء صنف من الاصناف فاذا اتاه البائع يعدد له فضائل ذلك الصنف ويزين له بضاعته كره الشراء . وقد يحجم عنه تلافياً لما يتوقعه من مضايقة البائعين له . فخير اذاً ان يترك المشتري حراً يطوف في المحل ويفحص البضائع على مهل فيشتري منها ما يروق له . وبهذه الوسيلة يستغني

المحل عن عشرات من المستخدمين مكتفياً باثنين فقط : امين للصندوق ومراقب . فالمشتري يدخل احد هذه المخازن ويطوف فيه مطمئناً فاذا وقع اختياره على بعض السلع (وثمنها واضح امامه) اودعها سلة من السلال المخصصة لذلك تحت نظر المراقب وعند خروجه يدفع ثمنها لامين الصندوق

على أن هذه الطريقة التي صادفت نجاحاً في أميركا قد لا تصادف نفس النجاح في بلاد أخرى ولا سيما في أسواق الشرق . بيد انها على ما يعتقد الخبيرون تبين وجهة التطور ولا بد أن تعم جميع الاسواق في المستقبل

ومن هذا القبيل أيضاً ما كثر انتشاره في أميركا من الآلات المعروفة بالموزعات الميكانيكية (انظر الصورتين المدرجتين سابقاً) كالصندوق الذي يستعمل لمسح الاحذية فيكفي أن تلقي قطعة نقد في ثقبه حتى تدور الفرشة التي فيه فتنفض غبار الحذاء . وكالحوض الذي يروي الظامئين فحالما تضع القطعة في ثقبه يسيل الشراب في كاسك فتروي عطشك . وقس على ذلك موزعات ميكانيكية كثيرة توزع طوابع البريد وقطع الشكولاته وادوات الكتابة وصحائف الصابون والمناشف والكؤوس والجرائد وغير ذلك كثير

قصة عن عمر بن الخطاب

روى الاصمعي القصة التالية قال :

تطاول رجل من قريش على رجل من اخلاط الناس عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل القرشي يقول أنا من معتلج البطاح وأنا وأنا . فغاظ ذلك عمر فقال له يا هذا أن كان لك عقل فلك حسب وأن كان لك خلق فلك شرف وأن كان لك تقوى فلك كرم والا فلست خيراً من احد وذلك الحمار خير منك . ثم قال عمر ان احبكم الينا قبل ان نراكم أحسنكم اسماً فاذا رأيناكم فاحسنكم صمتاً فاذا تكلمتم فابينكم منطقاً فاذا اختبرناكم فاحسنكم عملا أحب الينا وشركم عملا ابغض الينا سرائركم بينكم وبين ربكم

العائلة والمنزل

مرض البول السكري

والوقاية منه

يوجد السكر في معظم ما نتناوله من الطعام والشراب وعلى الاخص في المواد النشائية والفواكه وقصب السكر واللبن . ويوجد أيضاً في اللحوم والادهان التي تدخل في طعامنا . وهو من المواد الضرورية جداً اذ عليه يتوقف تجديد خلايات الجسم وتغذيتها . ومنه تتولد الحرارة والحركة والنشاط . وهو موجود دائماً في الدم بنسبة واحد الى الف تقريباً فاذا زاد عن هذه النسبة ظهر في البول وظهرت له اعراض في الجسم . وهذه الحالة تسمى بمرض البول السكري او المرض السكري

ولزيادة الايضاح نقول ان المواد السكرية التي تستخلص من غذائنا بعد هضمه تذهب الى الكبد حيث تحوّل تحولاً كيماوياً ثم تصب بمقادير معينة في المجرى الدموي وهذا يحملها ويطوف بها الى خلايات الجسم فتأخذ منها احتياجها للقيام بوظائفها. وفي حالة الصحة تكون هذه الكمية من السكر الجاري مع الدم بقدر ما يحتاج اليه الجسم اي بنسبة واحد الى الف كما ذكرنا

اما اذا اصيب الكبد بمرض او عطب ونتج عنه زيادة ما يحويه الدم من السكر او اذا طرأ على الجسم احد الامراض التي سنذكر بعضها فيما يلي وجعله غير قادر على امتصاص الكمية الطبيعية التي يرسلها له الكبد اختل التوازن بين العرض والطلب في فيسيولوجية السكر في الجسم فيتجمع في الدم وتزداد نسبته عما ذكرناه وتصبح الحالة مرضية . هذه بالاختصار احدى النظريات الموثوق بها عن نشوء هذا المرض وهناك نظريات أخرى لا يهم القارىء الخوض فيها لانها فنية اكثر منها عملية

ومن الامراض المعروفة التي تسبب ازدياد السكر في الدم بعض امراض المخ والنخاع العصبي وغدة البنكرياس وبعض امراض الجهاز الهضمي

ويبتدىء مرض البول السكري غالباً ببطء وقد لا يشعر به المصاب في بادىء الامر الا صدفة. فقد يصاب أحدهم بمرض جلدي مثلاً فيذهب الى الطبيب لاستشارته

فيفحص البول فيجد ان فيه سكراً وان المرض الجلدي ناتج عنه . والاعراض الاولية لهذا المرض اضطراب في النظر وضعف في أعضاء التناسل أو التهاب في لثة الاسنان أو سقوطها أو جرب في الجسم أو آلام عصبية أو عضلية تكثر غالباً في الرجلين والذراعين أو قد يشعر المصاب بضعف عمومي في جسمه وينقص وزنه كثيراً

هذه بعض الاعراض الاولية وهي لا تزيد عما ذكرناه مادامت كمية السكر في البول قليلة. ولربما بقيت كذلك عدة شهور أو سنين . اما اذا زادت الكمية فعندئذ تظهر الاعراض المشهورة عن هذا المرض وهي العطش الشديد الدائم وكثرة التبويل نهاراً وليلاً والشراهة في الأكل

قلنا أن هذا المرض يبتدىء غالباً ببطء . الا أن هناك نوعاً خطراً شديد الوطأة يبتدىء فجأة باضطراب في الجهاز الهضمي مصحوب بقيء او اسهال ويرقان وآلام في الظهر والمعدة وعطش شديد مع كثرة التبويل والجوع وفي بضعة أشهر يضعف المريض كثيراً وتنحط قواه

ويكثر هذا المرض بين المشتغلين بالاعمال العقلية كالعلماء والاطباء ورجال السياسة وأهل الفن وهو قليل الشيوع بين طبقات العمال . وقد وجدوا أطفالاً لا يزيد عمرهم عن السنة مصابين به . فهو في هذه الحال موروث بلا شك من الوالدين . ووجدوا أيضاً انه كثيراً ما يصاب به الزوجان معاً مما حمل البعض على الظن بانه معدٍ ولكن المرجح ان السبب هو وجود الزوجين في محيط واحد من حيث الاكل والشرب والتفكير ونظام المعيشة

ومما يحسن ذكره أن كمية السكر في البول تتغير كثيراً عند المصابين بهذا المرض من يوم الى آخر . فقد تكون يوماً عشرة في الالف فتصبح خمسين في اليوم التالي او ثلاثين أو سبعين ولذا يحسن عدم التسرع في الحكم على المحلل بالخطأ أو الاهمال كما نسمع أحياناً

أما بخصوص الوقاية من هذا المرض فقد علمتنا المشاهدات ان المعرضين له هم الذين يجهدون دماغهم فوق طاقته والذين يكثرون من أكل السكر والحلويات على أنواعها والذين يهملون الرياضة البدنية واصحاب الاجسام الضخمة الذين يكثرون من الاكل . وهناك ايضاً عامل ذو شأن وهو الوراثة . فاذا احصينا المصابين بهذا المرض

وبحثنا عن أسبابه فيهم وجدنا ان خمسهم تقريباً اصيبوا به عن طريق الوراثة وثلثهم اجهدوا ادمغتهم وقواهم العقلية وثلث آخر اكثروا من تناول المواد السكرية . ومع ان هناك مصابين كثيرين لا ينطبق عليهم ما ذكرناه فعددهم قليل بالنسبة الى المجموع

فاذا عرفت هذه الحقائق وجب عليك أن تعمل بما هو آت :

(١) لاتكثر من أكل الحلويات وتناول المشروبات الحلوة

(٢) اذا كان هذا المرض في عائلتك أو كان أحد والديك مصاباً به أو توفي منه وجب عليك أن تتجنب كل ما هو حلو بقدر استطاعتك فلا تضع من السكر في الشاي أوفي القهوة إلا القليل جداً وأن تبتعد عن الفاكهة الكثيرة السكر وخصوصاً الجاف منها مثل الزبيب والتين والبلح وان تمتنع عن أكل الشكولاتا وتقلل من الخمور وخصوصاً البيرة وغيرها من المشروبات الكثيرة السكر وان لا تكون نهماً او شرهاً في الاكل . وعليك أيضاً ان تكثر من الرياضة البدنية وان تتردد على محلات اللهو والتسلية وان تكثر من النوم وألا تجهد عقلك في الاشغال

(٣) لا تستسلم لعواطفك في مواقف الشدة والحزن بل ليتغلب عقلك على شعورك . واعلم ان هذا المرض ظهر في الكثيرين اثر مفاجأة محزنة استسلموا لها مثل خسارة مالية أو فقد عزيز لهم

(٤) اعتن بأعضاء الهضم واجعلها دائماً في أحسن حال

هذا بخصوص الوقاية . أما معالجة المرض فللآن لم يتوفق الطب الى علاج واف فيه الشفاء التام . غير ان بعض الباحثين في مستشفيات اميركا وأوربا يجرون الآن تجارب في هذا الشأن تبشر بالنجاح

الدكتور ميشيل سمعان

اضرار السرعة في الاكل

أجرى أحد الاطباء تجارب للوقوف على مبلغ الضرر الناشىء عن السرعة في الاكل أي عن عدم مضغ الطعام مضغاً كافياً فتناول طبقاً من العدس ومضغه نصف المضغ اللازم فوجد ان جهازه لم يتمثل الا اربعين في المئة من قدر النتروجين الذي كان ينبغي له أن يتمثله . ويقال مثل ذلك عن أنواع الخضرة والخبز

التقريظ والانتقاد

ابحاث في الشعر الاسلامي

للاستاذ رينلد نيكلسون

مضى على ابي العلاء المعري ما يزيد على ثمانيـة قرون وهو بين أطباق الثرى جسد هامد ورفات سحيق والناس فيه بين قادح ومادح. فمنهم من زعم انه كان ضالاً ملحداً لا يتمسك بدين ولا يوقن بمذهب ولا يؤمن برسول وينشد فيه :

« كلب عوى بمعرة النعمان لما خلا عن ربقة الايمان

أمعرة النعمان ما انجبت اذ أخرجت منك معرة العميان »

ومنهم من اعتقد انه عبد من عباد الله الصالحين وولي من اوليائه المقربين آتاه الله الحكمة وكشف له عن كنوز الغيب واطلعه على اسراره في خلقه فجاء يعلم الناس ويرشدهم ويدعوهم الى الزهد والاعتزال والاخلاص في القول والعمل ولقد قال بعضهم: « ان المعري جوهرة جاءت الى الوجود وذهبت ولم يعرفها الا القليل »

ومهما يكن من الامر فمن ذلك القليل رجل فاضل وأديب حكيم خبير بالعربية وآدابها والتصوف واهله والحكمة ورجالها ألا وهو العلامة الدكتور « رينلد نيكلسون » المستشرق الانجليزي والمدرس بجامعة كمبردج فقد قيضه الله لابي العلاء بعد ان تقادم عهده وطال تحت التراب مقامه فترجم له مجموعة صالحة من الشعر اختارها من كتاب « اللزوميات » وجعلها في أربعة ابواب على حسب مواضيعها وهي :

(١) الموت والحياة (٢) الجمعية الانسانية (٣) الزهد (٤) الدين والفلسفة . وسمى كتابه الذي اصدرته حديثاً مطبعة الجامعة « أبحاث في الشعر الاسلامي » وهو من خير ما اخرج للناس في هذا العصر ولا شك ان اهل الادب سيحلونه منهم بين الجفون ويتخذونه حجة في موضوعه ونبراساً يهتدون بنوره

ولقد أعجبني من المؤلف ما رأيته في كتابه من عدم التحيز في الحكم ومن بيان الاسباب التاريخية التي دفعت المعري الى ان يقول :

وزهدني في الخلق معرفتي بهم لعلمي بان العالمين هباء

أما دين المعري فقد أبان الكاتب انه دين رجل يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ويؤثر الاخلاص في القول والعمل على الرياء وحب الظهور والتدين الكاذب ولا غرو فهو الذي يقول :

اذا قومنا لم يعبدوا الله وحده　　بنصح فانا منهمو لبراء

خلّني يا أخي استغفر الـلـه فلم يبق فيَّ الا الذماء

ويقول في مقدمة اللزوميات : « فمنهـا ما هو تمجيد لله الذي شرف عن التمجيد ووضع المنن في كل جيد وبعضها تذكير للناسين وتنبيه للرقدة الغافلين وتحذير من الدنيا الكبرى التي عبثت بالأُوَل » الخ

أما رأيه في الاخلاق فمحبة الخير لذاته اذ يقول :

فلتفعل النفس الجميـل لأنه　　خير وأحسن لا لاجل ثوابها

وطالما اشتاقت نفس أبي العلاء أن تطل من سماء الحكمة على الكون فترى الارواح ومستقرها وحقيقة ذلك البقاء الابدي وما خبأته يد القدر في بطون الازل وما اعد للنفوس البشرية من سعادة ونعيم أو عذاب أليم غير أن هـذه رموز اختص الله بعلمها واستأثر بحكمتها حتى يكون عجز العقول أجل دليل على عظمته وعموم سلطانه ولله في خلقه شئون

أما براعة المترجم وحسن اقتداره ومبلغ فهمه فحدث ولا حرج . ويكفي أن نقول أن روح المعري ما زالت تطل علينا من خلال تلك السطور وثنايا هذه الكلمات على عجمتها فتملأ النفوس روعة ومهابة وتزيدها عظة واعتباراً « وتمجيداً لله الذي شرف عن التمجيد ووضع المنن في كل جيد » ولهذا ننصح الى اخواننا العارفين باللغة الانجليزية باقتناء هذا السفر الجليل　　محمد علي المجذوب

أستاذ اللغة العربية بجامعة كمبردج

صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان

بقلم الدكتور طه حسين

في مصر اليوم نهضة اجتماعيـة بينة تبدو آثارها في السياسة والادب والتعليم وفي سائر دوائر الحياة الاجتماعية . ولسنا نبالغ حين نقول ان القوة الدافعة لهذه النهضة قد انبعثت من صدور الشبان ولا سيا فئة منهم احاطت بعلوم الغرب وآدابه

واساليبه لا لتقلدها تقليداً أعمى بل لتستقصي حقيقتها وتنظر فيما يلائم هـذا القطر منها . فهـذه الفئة الصالحة تود الاستفادة من اختبار الغرب من دون اضاعة شخصية وطنها ومزاياه الموروثة

واذا خصصنا الـكلام على الادب رأينا دلائل النهضة العصرية ظاهرة كل الظهور. فان المطلع على الآثار الادبية الصادرة أخيراً لا يلبث ان يستكشف فيها روحاً جديداً ومنازع جديدة ومرامي جديدة . وأن لمن أقوى العوامل في هذه النهضة الجامعة المصرية فقد أصبحت مركزاً رئيسياً من مراكزها كأنها شعرت بالتبعة التي تلقيها عليها الامة في هذا الدور الخطير من حياتها

ومن ثمار هذه النهضة المباركة ومن أجمل مظاهرها ما أتحف — وما وعد أن يتحف — به الامة الاستاذ الدكتور طه حسين . وبين أيدينا الآن كتاب « صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان » وهو يحوي غير المقدمة فصلاً في نشأة التمثيل وتاريخه عند اليونان ، ثم فصلاً في حياة ايسكولوس أول الشعراء الممثلين النابهين تليه مختارات من قصصه التمثيلية ، ثم فصلاً في حياة سوفوكلس تليه مختارات من قصصه التمثيلية أيضاً

ويقدر قيمة هـذا العمل كل من عرف شأن الادب اليوناني وتأثيره في آداب الامم الغربية بل الشرقية أيضاً . فان تلك البلاد العظيمة كانت مصدر كل تقدم ورقي. وقد ظل تأثيرها الادبي بعد ذهاب سلطانها السياسي شديداً كما كان في ابانه. ولم تنضج النهضة الـكبرى بعد الاجيال الوسطى الا حين عكفت شعوب أوربا على ادب اليونان وتاريخهم وتشبعت العقول المفكرة من روحهم وآثارهم ومنازعهم

لذلك كان من حسن الاختيار ان يعنى الدكتور طه حسين بهذا الاساس المكين لكل أدب صحيح . وانه لجدير بأدبائنا ومتأدبينا ان يرجعوا الى ينبوع الادب الحقيقي فيستقصوا منشأه وصوره وتطوره

وقد جاءت هـذه الصحف المختارة خير معين على بلوغ هذا الغرض . فسواء أنظرنا في القسم المترجم منها او في القسم المشغول بشرحها والتعليق عليها نجد ان المؤلف اجاد كل الاجادة وبلغ مرماه الذي رمى اليه من تقديم هذا السفر النفيس الى الامة

يوميات الفيلسوف القانع

بقلم الاستاذين اسعد عبد الملك ومحمود محمد مصطفى

وضع هذا الكتاب في اللغة الفرنسية أميل سوفستر وهو من كتاب النصف الاول من القرن التاسع عشر (ولد سنة ١٨٠٦ وتوفي سنة ١٨٥٤) وقد أمتازت رواياته بما حوته من العظات والمرامي الادبية وما جاء فيها من التحليلات الفلسفية والملاحظات الاخلاقية . وهذه المزايا تظهر جلياً في كتاب « يوميات الفيلسوف القانع » وهو من خير ما ابرزه ذلك الكاتب

وقد ترجم هذه اليوميات الى اللغة العربية الاستاذان اسعد عبد الملك ومحمود محمد مصطفى ترجمة جميلة تبدو فيها آثار العناية بالنقل الصحيح والامانة على مرامي المؤلف مع الحرص على استعمال اسلوب عربي لا غبار عليه . فجاء هذا الكتاب آية في حسن الترجمة ودقة النقل . وليس يعلم صعوبة ذلك مثل من يحاوله ويعاني مشاقه . فبقدر ما تسهل ترجمة القصص والروايات الدائرة على حوادث ووقائع تتعاقب بسرعة — ومعظم ما ترجم كان من هذا النوع — بهذا القدر تصعب ترجمة الآثار الادبية الجديرة بالانتساب الى الادب الحقيقي ولا سيما اذا كان فيها من الملاحظة الاخلاقية والتحليل النفسي مثل ما في اليوميات التي نحن بصددها

اما « الفيلسوف القانع » الذي نشرت يومياته هذه فهو كما وصفه المؤلف في مقدمته « انسان عاش مغمور القدر ، غير نابه الذكر . فكان راضياً عن شأنه ، غير متبرم بمنزلته . بل بقي مستسيغاً لفقره ، مستمرئاً لبؤسه بين هذه الجموع التي تغوبها حمى الاطماع ومجاذبات المعيشة . ولم يكن له من وجوه الكسب الا عمل غير ذي بال يأتيه بالكفاف . فقضى العمر في ذلك المقام الحرج ، والمجال الضيق بين منزلتي اليسر والعسر ، وجعل هذا الفيلسوف يشرف على العالم من علو غرفته فكان يراه بحراً مائجاً ، فلا تستهويه كنوزه ولا تهوله مخاطره »

من هذه الفقرة يدرك القارىء شيئاً مما يحويه هذا الكتاب . ومنها ايضاً يعرف منهج الترجمة ودقة تعابيرها ومتانة اسلوبها . وانا نتمنى للناطقين بالضاد ان تكثر الترجمات من هذه المرتبة الرفيعة

مائدة افلاطون

بقلم الاستاذ محمد لطفي جمعه

بينا في كلامنا على كتاب « تحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان » شأن الادب اليوناني وتأثيره في آداب الامم القديمة والحديثة . ولم يكن تأثير فلسفة اليونان بأقل من تأثير ادبهم . ولعله كان أعظم وأدوم . فان العالم المتمدن ظل قروناً طويلة تحت نفوذ فلاسفة اليونان لا ينازعهم منازع في سيطرتهم المعنوية ولا سيما ثالوثهم الاعظم المؤلف من سقراط وافلاطون وارسطاطاليس

وقد عني الاستاذ محمد لطفي جمعه بدرس الفلسفة اليونانية درساً وافياً دقيقاً معتمداً على ما كتبه عنها الافرنج والعرب وجعل هذا الدرس بمنزلة تمهيد لكتاب « مائدة افلاطون » . ولكن التمهيد جاء أكبر من الكتاب ولعل هذا قصد المؤلف. فقد استغرق بحثه في الفلسفة اليونانية ومشاهيرها وادوارها أكثر من ثلثي الكتاب الذي نحن بصدده وخصص الباقي « لمائدة افلاطون » . وهي عبارة عن محاورة دارت في وليمة بين بعض المفكرين على الحب وأنواعه واحكامه وفيها تتجلى صورة من صور التمدن اليوناني ومشهد من مشاهد مجتمعاتهم . وأن ما في هذه المحاورة من المعاني الجميلة والاوصاف الدقيقة والملاحظات الصحيحة لاعظم دليل على ارتقاء الفكر اليوناني وسموه

وقد أجاد المؤلف في قسمي الكتاب اي في تاريخ الفلسفة اليونانية وفي ترجمة « مائدة أفلاطون». وحبذا لو فرق بينهما فسمى القسم الاول باسمه وفصله عن القسم الاخر ليعلم طالبو الفلسفة اليونانية انه يوجد كتاب خاص بها . على أن ذلك لا يقلل من فضل المؤلف وعنايته بنشر هذا الأثر النفيس

النظرات

بقلم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

ليس هذا بالأثر الجديد في عالم الادب العربي بل هو الطبعة الثالثة لكتاب مشهور انتشر صيته بين الناطقين بالضاد فاقبلوا عليه اقبالاً ندر ان حازه كتاب عربي حديث.

وانا لفي غنى عن بيان المحاسن التي تحلى بها اسلوب السيد مصطفى المنفلوطي ـ ذلك الاسلوب الذي يجب ان يتخذ مثالاً يحتذى في سهولته ومتانته ووضوحه وبلاغته

ولكتاب « النظرات » في نظرنا ميزة على سائر مؤلفات المنفلوطي لان فيه تظهر شخصية هذا الكاتب العبقري بأتم وضوح . فهذا الكتاب هو المنفلوطي نفسه ، هو افكاره، وآراؤه جلية ظاهرة في كل صفحة من صفحاته ، هو « نظراته » السديدة في الحياة والفلسفة والادب والاجتماع

وبعبارة وجيزة نقول : ان كتاب « النظرات » هو في مقدمة الكتب الحديثة ـ القليلة العدد ـ التي لا غنى للمتأدب عن مطالعتها حتى يجوز له ان يقول انه واقف على افضل ما ابرزه الادب المصري

واذا أراد القارىء ان يدرك سر بيان المنفلوطي فليطالع ما قاله في هذا الشأن في مقدمة نظراته :

« يسألني كثير من الناس كشأنهم في سؤال الكتاب والشعراء كيف أكتب رسائلي كأنما يريدون أن يعرفوا الطريق التي أسلكها اليها فيسلكوها معي ، وخير لهم الا يفعلوا ، فاني لا أحب لهم ولا لاحد من الشادين في الادب أن يكونوا مقيدين في الكتابة بطريقتي أو طريقة أحد من الكتاب غيري ، وليعلموا ان كانوا يعتقدون لي شيئاً من الفضل في هذا الامر أني ما استطعت أن أكتب لهم تلك الرسائل التي يعلمونها بهذا الاسلوب الذي يزعمون أنهم يعرفون لي الفضل فيه الا لاني استطعت أن أتفلت من قيود التمثل والاحتذاء ، وما نفعني في ذلك شيء ما نفعني ضعف ذاكرتي والتواؤها عليّ وعجزها عن أن تمسك الا قليلاً من المقروءات التي كانت تمر بي ، فلقد كنت أقرأ من منثور القول ومنظومه ما شاء الله أن اقرأ ثم لا ألبث أن أنساه فلا يبقى منه في ذاكرتي الا جمال آثاره وروعة حسنه ورنة الطرب به ، وما أذكر أني نظرت في شيء من ذلك لاحشو به حافظتي ، أو أستعين به على تهذيب بياني ، أو تقويم لساني ، أو تكثير مادة علمي باللغة والادب ، بل كل ما كان من أمري انني كنت امرءاً أحب الجمال وافتتن به كلما رأيته في صورة الانسان ، أو مطلع البدر ، أو مغرب الشمس ، أو هجعة الليل ، أو يقظة الفجر ، أو قمم الجبال ، أو سفوح التلال ، أو شواطىء الانهار ، أو امواج البحار ، أو نغمة الغناء ، أو رنة الحداء ، أو مجتمع الاطيار ، أو منتثر الازهار ، أو رقة الحس ، أو عذوبة النفس ، أو بيت الشعر ، أو

قطعة النثر ، فكنت أمرّ بروض البيان مرًّا . فاذا لاحت لي زهرة جميلة بين أزهاره تتألق في غصن زاهر بين أغصانه وقفت بين يديها وقفة المعجب بها الحاني عليها المستهتر بحسن تكوينها واشراق منظرها من حيث لا أريد اقتطافها أو ازعاجها من مكانها ، ثم أتركها حيث هي وقد علقت بنفسي صورتها إلى أخرى غيرها ، وهكذا حتى أخرج من ذلك الروض بنفس تطير سروراً به ، وتسيل وجداً عليه ... »

ديوان رامي . الجزء الثاني

لاحمد رامي

بين شعرائنا اليوم طائفة ناهضة تنزع الى جعل الشعر قائماً على الشعور مع سلاسة في النظم وسهولة في التعبير . ومن هذه الطبقة الطيبة صاحب هذا الديوان فان له اشعاراً جميلة تنم عن نفس شديدة الاحساس عميقة الشعور لا تحب التكلف ولا التقليد . والجزء الذي بين ايدينا الآن يحوي ما نظمه الشاعر بين سنتي ١٩١٨ و ١٩٢٠

وقد قرظ حافظ ابراهيم شعر رامي فقال فيه عن جدارة « أدمنت النظر في شعر رامي فاذا به من ذلك النوع الحسن الذي يعجزك تعليل حسنه تسمع البيت منه فيشيع الطرب في نفسك قبل أن تعلم مأتاه وقبل أن يتطلع العقل الى فهم معانيه ذلك هو شعر النفس وهو أرقى مراتب الشعر »

المطبوعات الجديدة

لدينا قدر كبير من المطبوعات الجديدة لم يتسع هذا الجزء لذكرها جميعاً فنلتمس من اصحابها الافاضل عذراً وسنذكرها في الاجزاء التالية ان شاء الله

الى المكاتبين الادباء

ان كثرة ما لدينا من المقالات والقصائد التي تكرم بارسالها الينا مكاتبونا الادباء قد اضطرتنا الى تأجيل نشر جانب منها الى الاجزاء القادمة . فليمهلنا حضراتهم وليعتقدوا ان هذا التأخير اضطراري . وانا نشكر لهم عنايتهم بالهلال واهتمامهم بمواصلته بنفثاتهم الطيبة

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء . فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا اصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي ان تذكر مع الاسئلة اسماء مرسليها على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بحرف او بكلمة عند النشر

فن الروايات في اللغة العربية

﴿ سنجة . السودان ﴾ د . ه . كتشن

ان لفن الروايات شأناً عظيماً في أدبيات الدول الاوربية فهل كان عند العرب شيء من هذا القبيل وهل اهتموا بتصنيف الروايات ـ ولست أقصد بذلك ما كان من قبيل « الف ليلة وليلة » بل الروايات الادبية الحقيقية الشبيهة بما في أوربا منها اليوم

﴿ الهلال ﴾ ان الفن الروائي كما هو معروف اليوم حديث في اللغة العربية ولم يدخلها إلا في النهضة الاخيرة التي ابتدأت في القرن الماضي . ومعظم ما نشر من الروايات مترجم عن الانكليزية او الفرنسية . على اننا اذا توسعنا في فهم المراد من الرواية وجدنا بين الآثار العربية شيئاً كثيراً من هذا القبيل كقصة عنتر وقصة البراق وقصة بكر وتغلب وقصة شعبان مع كسرى ومن القصص الغرامية قصة كثير لبنى وقصة جميل بثينة وغيرها مما جاء مفصلاً في الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربية للمرحوم مؤسس الهلال . وكان اول مؤلفي الروايات في النهضة الحديثة فرنسيس مراش وسليم بطرس البستاني ومؤسس الهلال وغيرهم

اصل هنود أميركا

﴿ بورت هورون . ميشيغن . الولايات المتحدة ﴾ ناصيف مخائيل توما

ما أصل الهنود Indians الموجودين في الولايات المتحدة ومن اين اتوا ؟

﴿ الهلال ﴾ تضاربت الاقوال في أصل الهنود الاميركيين . أما اسمهم فقد أطلقه عليهم كولمبس ظناً منه انه وصل الى شواطىء الهند حينما اكتشف أميركا . ويعتقد البعض أن اولئك الهنود وصلوا الى القارة الاميركية من جهة الشرق ويعتقد غيرهم أنهم وفدوا اليها من الجهة الغربية وأنهم من أصل تتري

أيهما أحب الى الزوج الزوجة أو الولد ؟

﴿ بورسودان ﴾ محمود فريد

أيهما أحب الى الزوج الزوجة أو الولد ؟

﴿ الهلال ﴾ يتعذر الرد على هذا السؤال بكلمة فان ذلك يتوقف على عدة أمور ويختلف باختلاف الاحوال . فقد يكون حب الرجل لامرأته أقوى من حبه لابنه في أول الامر فاذا شب الولد وبر بوالده واكرمه زاد ميله اليه . كما ان الزوجات يختلفن في مقدرتهن على اجتذاب رجالهن . على انه اذا كان الزواج صالحاً وقائماً على الحب الثابت المتبادل كان المنتظر ان يؤثر الرجل امرأته لأنها أبقى له في شيخوخته وهي تشاطره حياته وكل ما ينتابه من حزن او سرور في حين ان ابنه لابد أن يتركه يوماً ويؤسس عيلة جديدة قائمة بذاتها

المرأة ولقبها

﴿ غوساس . سنيغال ﴾ توفيق شوري

أيجوز للمرأة ان توقع امضاءها بذكر اسم عائلتها الاصلية او يجب عليها ذكر اسم عائلة زوجها فقط ؟

﴿ الهلال ﴾ المتعارف اليوم أن تتخذ المرأة اسم عائلة زوجها لقباً تعريفياً لها لا اسم عائلة ابيها . وهذا نتيجة لكون الرجل رأس العائلة في النظام الاجتماعي الحاضر . ولعله يأتي يوم ــ اذا ظلت المرأة متجهة نحو الاستقلال في اوربا ــ تحتفظ فيه باسمها الاصلي وان تكن متزوجة . وبعض النساء الغربيات اليوم يشرن الى اسم عائلتهن الاصلية بعد ذكر اسمهن المكتسب من زواجهن باضافة عبارة « مولودة كذا » . . . née وبعضهن يمزجن الاسمين فاذا كانت الزوجة من عائلة ابراهيم ثم تزوجت من عائلة يوسف قالت « فلانة ابراهيم يوسف »

فائدة المعاطف والكوفيات

﴿ المدرسة السعيدية . الجيزة ﴾ عبد العزيز شلبي

نرى كثيرين من الشيب والشبان يلبسون معاطف وكوفيات تلافياً للبرد وهم مع ذلك لا يسلمون من أذاه في حين نرى الذين يبتعدون عن ذلك صحاح الاجسام أقوياء البنية . فما السر في ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ الفرق بين الفريقين اللذين ذكرتموهما هو أن أهل الفريق الاول يعتمدون على الدفء الخارجي المتأتي عن استعمال المعاطف والكوفيات في حين ان أهل الفريق الثاني يعتمدون على الدفء الداخلي الناشىء عن نشاط الجسم وحيويته . ولا ريب ان الافضل مقاومة البرد بالدفء الداخلي وهو لا يكون الا في من عني بجسمه وداوم على الرياضة في الهواء الطلق وعمل بسائر مقتضيات المعيشة الصحية . أما تعرض اهل الفريق الاول لأذى البرد فلان أجسامهم أصبحت أسرع تأثراً من تقلبات الجو فاذا انتقلوا من محل دافىء الى محل بارد تعرضوا للاصابة رغم ما قد يكون عليهم من تلك المدفئات المستعارة

المعالجة بالتنويم المغنطيسي

﴿ مصر ﴾ غبريال فليت

هل ثبت أن التنويم المغنطيسي يشفي الامراض العصبية ؟

﴿ الهلال ﴾ ان شأن التنويم المغنطيسي ما برح يتزايد في عالم الطب وليس بين الاطباء من يشك اليوم في فائدة استعماله في بعض الاحوال: اما لمعالجة بعض الامراض حين لا يجدي فيها علاج آخر كالارق والنورستينيا والصداع والهستيريا أو للاستعانة به مع علاجات أخرى في بعض الامراض كالروماتزم المزمن والفالج والدوار والصرع أو لمقاومة بعض العادات المضرة مثل السكر وتعاطي المورفين ونحو ذلك . ولهذا النوع من المعالجة اختصاصيون من الاطباء فهو يكاد يكون فناً قائماً بذاته

تاريخ الحرب العظمى

﴿ اسكندرونه .سوريا ﴾ ثريا بك حسني آل باقي

عثرنا على كراسة عن تاريخ الحرب العظمى ولدى مطالعتها اشتممنا منها رائحة الانحياز

لاحد الفريقين المتخاصمين . وبما اننا نود كثيراً الوقوف على حقيقة أسباب الحرب وحوادثها ونتائجها نرجو أن ترشدونا الى أحسن تاريخ حرر بقلم خالي الغرض

﴿ الهلال ﴾ لم يظهر بعد في العربية تاريخ وافٍ للحرب العظمى . ولعلّ الوقت لم يحن بعد لكتابة تاريخها فلا تزال الاحقاد والضغائن على أشدها تعمي الابصار وتشوه الحقائق . وقد ظهرت عدة تواريخ للحرب في اوربا واميركا اطلعنا على بعضها فلم نجد ان واحداً منها كان وافياً بالمراد . ولعل أفضلها كتاب المستر فرنك سيمندز الاميركي في خمسة أجزاء واسمه Frank Simonds : History of the World War

عجائب المخلوقات



شواذ العالم النباتي

يرى القارىء في الصورة المنشورة هنا مثلين للشذوذ في عالم النبات : فان مايخاله القارىء في الشكل الاعلى احد الزحافات الكاسرة ليس الا انموذجاً من البطاطا . وفي الشكل الاسفل جزرة عظيمة الشبه بيد الانسان

العهد الجديد

بقلم جبران خليل جبران



جبران خليل جبران

في الشرق اليوم فكرتان متصارعتان ، فكرة قديمة وفكرة جديدة . أما الفكرة القديمة فستُغلب على امرها لأنها منهوكة القوى محلولة العزم

وفي الشرق يقظة تراود النوم ، واليقظة قاهرة لان الشمس قائدها والفجر جيشها

وفي حقول الشرق ، ولقد كان الشرق بالامس جبّانة واسعة الارجاء ، يقف

اليوم في الربيع منادياً سكان الاجداث ليهبوا ويسيروا مع الايام ، واذا ما أنشد الربيع أغنيته بُعث مصر وع الشتاء وخلع اكفانه ومشى

وفي فضاء الشرق اهتزازات حية تنمو وتتمدد وتتوسع وتتناول النفوس المتنبهة الحساسة فتضمها اليها ، وتحيط بالقلوب الابية الشاعرة لتكتسبها

وللشرق اليوم سيدان ، سيد يأمر وينهى ويُطاع ولكنه شيخ يحتضر ، وسيد ساكت بسكوت النواميس والانظمة ، هادىء بهدوء الحق ، ولكنه جبار مفتول الساعدين يعرف عزمه ويثق بكيانه ويؤمن بصلاحيته

* * *

في الشرق اليوم رجلان ، رجل الامس ورجل الغد ، فايّ منهما أنت أيها الشرقي ؟

ألا فاقترب مني لاتفرسك واتبصرك واتحقق من ملامحك ومظاهرك ما اذا كنت من الآتين الى النور أو الذاهبين الى الظلام

تعال واخبرني ما أنت ومَن أنت

أسياسي يقول في سره « أريد أن انتفع من أمتي » ، أم غيور متحمس يهمس في نفسه « اتوق الى نفع أمتي » ؟

ان كنت الاول فانت نبتة طفيلية ، وان كنت الثاني فانت واحة في صحراء

أتاجر يتخذ عوز الناس وسيلة للربح والانتفاخ فيحتكر الضروريات ليبيع بدينار ما ابتاعه بدرهم ؟ أم رجل جد واجتهاد يسهل التبادل بين الحائك والزارع ، ويجعل نفسه حلقة بين الراغب والمرغوب ، فيفيد المرغوب والراغب ويستفيد بعدل منهما ؟

ان كنت الاول فانت مجرم سكنت القصور أم السجون ، وان كنت الثاني فانت محسن شكرك الناس أم جحدوك

أرئيس دين يحوك من سذاجة القوم برفيراً لجسده ، ويصوغ من بساطة قلوبهم تاجاً لرأسه ، ويدعي كره ابليس ويعيش بخيراته ؟ أم تقي ورع يرى

في فضيلة الفرد أساساً لرقي الامة ، وفي استقصاء اسرار روحه سلماً الى الروح الكلي ؟

ان كنت الاول فانت كافر ملحد صمت النهار أو صليت الليل ، وان كنت الثاني فانت زنبقة في جنة الخوضاع أريجها بين أنوف البشر أم تصاعد حراً طليقاً الى الغلاف الاثيري حيث تحفظ انفاس الازهار

أصحفي يبيع فكرته ومبدأه في سوق النخاسين ، وينمو ويترعرع على ما يفرزه الاجتماع من أخبار المصائب والويلات ، ونظير الشوحة الجائعة لا تهبط الا على الجيف المنتنة ؟ أم معلم واقف على منبر من منابر المدنية يستمد من مآتي الايام مواعظ يلقيها على الناس بعد أن يتعظ بها نفسه ؟

ان كنت الاول فأنت بثور وقروح ، وان كنت الثاني فدواء وبلسم

أحاكم يتصاغر امام من ولاه ويستصغر من تولى عليهم ، فلا يحرك يداً الا ليضعها في جيوبهم ، ولا يخطو خطوة الا لمطمع له فيهم ؟ أم خادم امين يدبر شؤون الشعب ويسهر على مصالحه ويسعى الى تحقيق امانيه ؟

ان كنت الاول فانت زوان في بيادر الامة ، وان كنت الثاني فانت بركة في اهرائها

أزوج يستبيح لنفسه ما يحرمه على زوجته ، ويسرح ويمرح وفي حزامه مفتاح سجنها ، ويلتهم ما يشتهيه حتى التخمة وهي جالسة في وحدتها امام صحفة فارغة ؟ أم رفيق لا يسير الى أمر الا ويده بيد رفيقته، ولا يفعل امراً الا ولها فيه فكرة ورأي ، ولا يفوز بأمر الا لتساهمه افراحه وامجاده ؟

ان كنت الاول فانت ممن بقي حياً من قبائل انقرضت وهي تسكن الكهوف وتلبس الجلود ، وان كنت الثاني فانت في طليعة أمة تسير مع الفجر نحو ظهيرة العدالة والحصافة

أكاتب بحاثة يشمخ برأسه الى ما فوق رؤوسنا ، أما ما في داخل رأسه فيدب في هوتة الماضي الغابر حيث ألقت الاجيال ما رثّ من أثوابها ، ورمت الشعوب

ما لم يعد صالحاً لها ؟ أم فكرة صافية تتفحص محيطها لتعلم ما ينفعه وما يضره فتصرف العمر في بناء النافع وهدم المضر ؟

ان كنت الاول فانت سخافة مطرَّسة و بلادة مزركشة . وان كنت الثاني فانت خبز للجائعين وماء للظامئين

أشاعر يضرب الطنبور امام ابواب الامراء ، وينثر الازهار في الاعراس ، ويسير وراء الجثث الهامدة وبين فكيه أسفنجة مثقلة بالماء الفاتر حتى اذا ما بلغ المقبرة ضغط عليها بلسانه وشفتيه ؟ أم موهوب وضع الله في يده قيثارة يستولدها انغاماً علوية تجتذب قلوبنا وتوقفنامتهيبين امام الحياة وما في الحياة من الجمال والهول ؟

ان كنت الاول فانت من أولئك المشعوذين الذين لا يثيرون في نفوسنا سوى عكس ما يقصدون ، فان تباكوا نضحك ، وان مزحوا نكتئب ، وان كنت الثاني فانت بصيرة مشعشعة وراء بصرنا ، وشوق عذب في قلوبنا ، ورؤيا ربانية في غيبوبتنا

* * *

أقول في الشرق موكبان ، موكب من عجائز محدودبي الظهور ، يسيرون متوكئين على العصي العوجاء ، ويلهثون منهوكين مع أنهم ينحدرون من الاعالي الى المنخفضات ؛ وموكب من فتيان يتراكضون كأن في ارجلهم أجنحة ، ويهللون كأن في حناجرهم اوتاراً ، ويتهيبون العقبات كأن في جبهات الجبال قوة تجتذبهم وسحراً يختلب لبابهم

فمن أية فئة أنت أيها الشرقي وفي أي موكب تسير ؟

ألا فاسأل نفسك ، استجوبها في سكينة الليل وقد صحت من مخدرات محيطها عما اذا كنت من عبيد الامس أم من احرار الغد

أقول لك ان ابناء الامس يمشون في جنازة العهد الذي اوجدهم وأوجدوه . أقول انهم يشدون بحبل اوهت الايام خيوطه ، فاذا ما انقطع — وعما قريب ينقطع — هبط من تعلق به الى حفرة النسيان . أقول انهم يسكنون منازل متداعية

الاركان ، فاذا ما هبت العاصفة ـ وهي على وشك الهبوب ـ انهدمت تلك المنازل على رؤوسهم وكانت لهم قبوراً . اقول ان افكارهم واقوالهم ومنازعهم وتصانيفهم ودواوينهم وكل ما تيهم ليست سوى قيود تجرهم بثقلها ولا يستطيعون جرّها لضعفهم

اما ابناء الغد فهم الذين نادتهم الحياة فاتبعوها باقدام ثابتة ورؤوس مرفوعة . هم فجر عهد جديد ، فلا الدخان يحجب انوارهم ، ولا قلقلة السلاسل تغمر اصواتهم ، ولا نتن المستنقعات يتغلب على طيبهم . هم طائفة قليلة العدد بين طوائف كثر عددها ، ولكن في الغصن المزهر ما ليس في غابة يابسة ، وفي حبة القمح ما ليس في رابية من التبن . هم فئة مجهولة ولكنهم يعرفون بعضهم بعضاً ومثل قمم عالية يرى واحدهم الآخر ويسمع نداءه ويناجيه ، اما المغاور فعمياء لا ترى ، وطرشاء لا تسمع . هم النواة التي طرحها الله في حقله فشقت قشرتها بعزم لبابها ، وتمايلت نصبة غضة امام وجه الشمس ، وسوف تنمو شجرة عظمى تمتد عروقها الى قلب الارض وتتصاعد فروعها الى اعماق الفضاء

جبران خليل جبران

من حكم المتقدمين

قال ازدشير : الايام صحائف آجالكم فخلدوا فيها أحسن اعمالكم

شر الزمان اذا كانت السماحة عند من لا مال له وكان المال عند من لا سماحة عنده

انما تطلب الدنيا لتملك فاذا ملكت فلتوهب

احسن الحسن الخلق الحسن

من اصلح ماله فقد صان الاكرمين : الدين والعرض

قال الرسول : نعم العون على تقوى الله عز وجل هذا المال

اذا جهل عليك الاحمق فليس له صلاح الا بالرفق والتلطف

من عز باقبال الدهر ذلّ بادباره

أفيقي !

للشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي

مخاطباً امم الشرق

يا شرق اهلك والجهالة ظلمة — لا يهتدون لمنهج مطروق
قد مزقوا ثوب التناصر بينهم — بيد التخاذل انما تمزيق
يا شرق أن الناس ليس يضرهم — شيء كمثل سياسة التفريق
يا شرق ان الغرب بعد هجوعه — دهراً افاق وانت غير مفيق
يا شرق انت على العقول مضيق — والغرب مبقيها بلا تضييق

ومنها :

العلم يا بلداً نشأت بارضها — ضاعت لديك حقوقه وحقوقي
يا نفس قد سبوك حين نصحتهم — هذا جزاء الصادقين فذوقي
قالوا اطردوا الزنديق من اوطانكم — ماذا يخاف القوم من زنديق
قالوا اقتلوه انما هو مارق — ماذا يضر المؤمنين مروقي
انا لست زنديقاً ولا انا مارق — حتى يحل اظفركم تمزيقي

« هي الحقيقة »

وله من قصيدة عنوانها « هي الحقيقة » :

هي الحقيقة ارضاها وان غضبوا — وادّعيها وان صاحوا وان جلبوا
اقولها غير هياب وان حنقوا — وان اهانوا وان سبّوا وان ثلبوا

ومنها :

لهفي على أمة ما زلت أرشدها — الى سبيل هداها وهي تجتنب
نصحت للقوم في شعري وفي خطبي — فما أفادهم شعري ولا الخطب
طلبت اصلاحهم في كل ما كتبت — لهم بناني ولمّا ينجح الطلب

جميل صدقي الزهاوي

كارل ماركس

نبي الاشتراكية الاكبر

ومنشىء أعظم حركة اجتماعية في التاريخ الحديث

لسنا في حاجة الى بيان شأن الاشتراكية في هذا الزمن . فسواء أسلمنا بقضاياها كلها أو بعضها او لم نسلم بشيء من ذلك لا يسعنا الا الاعتراف بان هذا المذهب قد احدث تياراً اجتماعياً شديداً في جميع الاقطار الغربية ولا سيما بعد الحرب الاخيرة . بل ان الاحزاب الاشتراكية قد تولت السلطة الفعلية في بعض الدول الاوربية وهي على وشك الفوز بها في غيرها كما يعلم ذلك كل مطلع على مجاري السياسة الاوربية في الوقت الحاضر

على أن الاشتراكية الحالية ذات أشكال وأساليب مختلفة . والاشتراكيون بوجه الاجمال فريقان : فريق المعتدلين الذين يرومون بلوغ اغراضهم بالطرق السلمية النظامية وفريق المتطرفين الذين يقولون بالالتجاء الى العنف والقوة (وزعماؤهم جماعة البلشفيكيين) . وقد اتسعت شقة الخلاف بين الفريقين في السنوات الاخيرة كما سنبين ذلك فيما بعد عند كلامنا عن « الانترناسيونال » أي جمعية العمال الدولية التي أسسها كارل ماركس والتي انقسمت اليوم الى قسمين : «الانترناسيونال الثانية» وقد عقدت مؤتمراً في جنيف في الصيف الماضي و« الانترناسيونال الثالثة » وقد عقدت مؤتمراً في موسكو في الصيف الماضي ايضاً

ولكن الفريقين كليهما متفقان في عد كارل ماركس زعيم الاشتراكية الاكبر . وانما يدور الاختلاف بينهما على طرق التطبيق والتنفيذ . فلندرس اذاً حياة هذا الرجل الذي كان له هذا الشأن في تاريخ الاشتراكية بل في تاريخ الهيئة الاجتماعية باسرها

ترجمته

ولد كارل ماركس Karl Marx في ٥ مايو سنة ١٨١٨ في مدينة تريف بالمانيا . وكان والده محامياً يهودي المذهب ثم تنصر هو وجميع افراد اسرته في سنة ١٨٢٤

على المذهب البروتستنتي . وتلقى كارل ماركس دروسه الاولية في تريف ثم انتقل في سنة ١٨٣٥ الى جامعة بون ثم الى جامعة برلين . فتعلم اولا الحقوق ثم التاريخ والفلسفة وفي سنة ١٨٤١ حاز لقب دكتور في الفلسفة

وقد كان في نية كارل ماركس في اول امره ان يلقي دروساً في جامعة بون ولكن افكاره الحرة حالت دون انخراطه في هذا السلك فاضطر الى دخول ميدان الصحافة وعين محرراً في جريدة « رينيش زيتونغ » التي كانت اذ ذاك لسان حال الاحرار من أهل الطبقة الوسطى . وفي اكتوبر سنة ١٨٤٢ اصبح احد رؤساء التحرير في هذه الجريدة ولكنها لم تلبث بعد بضعة اشهر ان اوقفت بامر المراقبة

وفي صيف سنة ١٨٤٣ تزوج كارل ماركس جني فون وستفالن كريمة أحد كبار الموظفين الالمان . وقد شاطرته امرأته حياته واعماله كلها ورافقته في رحلاته وتنقلاته وشاركته ما اصابه من السعادة وانتابه من الشقاء فكانت خير مثال للزوجة الامينة الصالحة الى ان توفيت في ٢ ديسمبر سنة ١٨٨١ ولم يعش زوجها بعدها الا خمسة عشر شهراً

فيرى القارىء من ذلك ان كارل ماركس نشأ في اسرة ميسورة وترعرع في بيئة متوسطة الحال ونال قسطاً وافراً من العلم والفلسفة وتزوج بابنة أحد الكبراء — كل ذلك يبين لنا انه لم يكن مدفوعاً بحكم وسطه — كغيره من زعماء الاشتراكية — الى القيام على اصحاب السلطة والثروة . وانما توصل الى مذهبه بما جبل عليه من حب الملاحظة والميل الى الانصاف والاخلاص في المبدأ . وهذا لا ينفي كونه ضل سبيله احياناً وشطّ في بعض آرائه. ولكن الانسان لا يطالب الا بحسن نيته وصدق عقيدته

وقد اطلع ماركس منذ كان يحرر في جريدة « رينيش زيتونغ » على بعض الآراء الاشتراكية المنشورة فيها ولكنه لم يتصدَّ للتعليق عليها لانه أراد أن يدرس هذا الموضوع درساً جدياً قبل ابداء رأيه .فلهذا الغرض سافر الى باريس في خريف سنة ١٨٤٣ حيث كانت الحركة الاشتراكية على اشدها . ثم اتفق فيها مع كاتب الماني على اصدار مجلة ولكن لم يصدر منها الا جزء واحد . وقدكتب ماركس في ذلك الجزء مقالتين أشار فيهما الى قدوم عهد يتحرر فيه المجتمع من استئثار اصحاب المال واصحاب السلطة . قال : « وسوف يأتي يوم خلاص المانيا حين يؤذن بذلك صياح الديك

الغالي (وهو رمز عن فرنسا) » ـ اشارة الا ان الانقلاب الاجتماعي سيبدأ في فرنسا ثم ينتقل منها الى المانيا

ومنذ صدور كتابات كارل ماركس الاولى اتضح للمفكرين ان اسلوبه يختلف عن اسلوب سواه من الذين طرقوا تلك المواضيع الاجتماعية وان له طريقة خاصة به في البحث والاستنتاج . وقد كان من رأي ماركس ان يعتمد الاشتراكيون على النزاع السياسي اي نزاع الاحزاب السياسية في بلوغ مرادهم ولم يوافق على رأي القائلين بالجنوح الى وسائل العنف . ومن اقواله في هذا الصدد : « . . . ليس ما يمنعنا من دخول ميدان السياسة ومنازلة اخصامنا فيه ... فلا ينبغي لنا ان نقاوم العالم كالمتعصبين المتشبثين بعقيدة جديدة بل حينما نجد الحقيقة يجب علينا ان نحني أمامها »

والتقى ماركس في باريس بفريدريك انجلز Engels فتصادقا وتوطدت رابطة المودة بينهما ومن ذلك الحين اشتركا في معظم اعمالها ورحلاتهما والفا معاً بعض الكتب وقاما ببعض المشاريع مما سنأتي على ذكره

وتعرف ماركس في باريس ايضاً بهيني Heine الشاعر الشهير وقد كان لماركس عند هذا الشاعر مقام كبير بل ان بعض قصائده اوحى اليه بها ماركس نفسه . واخذ ماركس في هذه الاثناء يشترك في تحرير مجلة حرة اسمها « فورواراتس » ولكنها لم تلبث ان أوقفت بناء على طلب الحكومة البروسية . فتشتت محرروها وهجروا باريس فذهب ماركس الى بروكسل حيث لحقه صديقه انجلز . وقد اصدر في بروكسل كتاباً في انتقاد مذهب برودون الاشتراكي . وكان هو وصديقه انجلز قد نشرا قبلاً كتاباً في انتقاد مذهب باور . ونشر الصديقان في بروكسل عدة مقالات ورسائل انتقادية

وتمكن ماركس وانجلز اثناء اقامتهما في بروكسل من الامتزاج بطبقات العمال فزادت صلاتهما بهم ومعرفتهما لاحوالهم ثم أسسا جمعية للعمال الالمان واشتريا جريدة اسبوعية كانت تصدر في بروكسل واخيراً انضما الى جمعية سرية للعمال اسمها « عصبة العادلين » كان لها فروع في عدة مدن اوربية . ثم انهما في سنة ١٨٤٧ اصدرا لهذه الجمعية نفسها « منشوراً عاماً » كان له شأن كبير في تاريخ الاشتراكية Manifest der Kommunisten

ولم يكد المنشور يظهر وينتشر حتى شبت ثورة سنة ١٨٤٨ في فرنسا فاعتقد

ماركس أنها مقدمة لخلاص الشعب الالماني كما تنبأ بذلك . فسافر مع انجلز الى باريس ثم الى كولون . وفي كولون اسسا مع بعض اصدقائهم جريدة يومية اطلقوا عليها اسم « نيو رينيش زيتونغ » وكانت لهجة هذه الجريدة شديدة ووجهت انتقادات نارية الى ملك بروسيا وحكومتها . ولكن الحكم العرفي لم يلبث ان اعلن في كولون وقبض على ماركس بتهمة الخيانة العظمى . فحوكم وبرىء باجماع اصوات المحلفين . غير ان الحكومة البروسية نفته من اراضيها في مايو سنة ١٨٤٩ . فقصد باريس ولكن مقامه فيها لم يطل اذ خير بين مغادرة فرنسا او الاقامة في احدى مدن الريف . ففضل مغادرة فرنسا وذهب الى انكلترا حيث قضى بقية ايامه الى حين مماته

وقد قام ماركس في انكلترا باعمال مختلفة منها اعادة اصدار مجلته « نيورينيش زيتونغ » ولكنه لم يصدر منها الا ستة أجزاء . واستولى عليه في ذلك الوقت ضيق مالي شديد فسكن منزلاً حقيراً وتوفي جميع أولاده الذين ولدوا حينئذٍ . الا انه دعي أخيراً الى مكاتبة جريدة « نيويورك تريبيون » وكان معظم محرريها من الاحرار والاشتراكيين فكان يتقاضى جنيهاً عن كل مقالة . ثم أنشأ مقالات ورسائل في مواضيع مختلفة . على أن أعظم أثر خلفه كان بلا جدال الجزء الاول من كتاب « رأس المال » Das Kapital (صدر سنة ١٨٦٧)

وقبل صدور كتابه هذا ببضع سنوات انشئت في لندن « جمعية العمال الدولية » المعروفة بالانترناسيونال (سنة ١٨٦٤)

وقد كان ماركس رئيسها في الفعل وان لم يكن في الاسم وهو الذي نظمها وأرسل منشوراتها ودعواتها . ولم يطرأ على هذه الجمعية طارىء في سنواتها الاولى بل سارت سيراً بطيئاً حسناً بفضل ماركس وذكائه وحسن تدبيره وميله الى التساهل والانصاف . ولكن قيام المتطرفين ونشوب الحرب الفرنسية البروسية حالا دون استمرار تلك الجمعية فانحلت في سنة ١٨٧١

وعلى أثر هذا الانحلال اتيح لكارل ماركس أن يعود الى مباحثه الاقتصادية ولكنه لم يوفق الى اصدار أجزاء اخرى من كتاب « رأس المال » ولا سيما بعد أن مرض الى أن فارق الحياة في ١٤ مارس سنة ١٨٨٣

وبعد وفاة ماركس جمع صديقه انجلز ما خلفه من الرسائل والمذكرات وألف منها ثلاثة أجزاء أخرى من ذلك الكتاب

مذهب ماركس

يرمي مذهب كارل ماركس الى جعل وسائل انتاج الثروة على اختلاف أنواعها ملكاً للجميع - ويدخل في ذلك الارض والمناجم والمصانع والمصارف والسكك الحديدية والمواد الاولية الخ . .

وقد صبغ ماركس الاشتراكية بصبغة علمية فان اتباعه يسمون مذهبهم «بالاشتراكية العلمية » لاعتقادهم أن مبادئه انما تقرر ما هو حاصل في الاجتماع بحكم الطبيعة وفقاً لسنة التطور واليك خلاصة ذلك :

كانت الملكية فردية في سالف الازمان لان الانتاج كان فردياً . فان العامل كان يعمل وحده وقلما كان يشترك مع غيره أو يستعين بسواه فكان من الطبيعي أن يمتلك نتاج عمله . أما اليوم فان العامل لا يعمل منفرداً بل ان أعمال البشر من صناعية وتجارية وغيرها انما تقوم على الغالب باشتراك العشرات والمئات والالوف في المصانع والمعامل والمخازن الخ . . . وبعبارة أخرى أن الانتاج الفردي قد زال بالتدريج وحل محله الانتاج المشترك . على انه مع كون العمل أصبح مشتركاً على هذه الصورة فان توزيع نتاجه لايزال قائماً على أساس الملكية الفردية بحيث أصبح بين نظام الانتاج ونظام التوزيع بون واسع بل تضاد ظاهر لا بد أن يؤول الى اختلال التوازن الاقتصادي واضمحلال سلطة أصحاب المال الذين يحتازون معظم نتاج العمل المشترك

وفي نظر أصحاب هذا الرأي انه سوف تضمحل جميع الاعمال الفردية بحكم التطور البشري المحتم وتجمع الثروة والاعمال كلها في ايدي أفراد قليلين ولكنها لن تلبث أن تنتزعها منهم الحكومة التي تمثل الامة فتديرها وفقاً للمصلحة العامة

وعلى ذلك يمكننا تلخيص هذا المبدأ الاشتراكي بقولنا « ان نظام الانتاج المشترك في هذا العصر يجب أن يقابله نظام امتلاك اشتراكي ليكون التوافق تاماً بين النظامين»

هذه خلاصة مذهب كارل ماركس وليس غرضنا ان نتعرض له الآن فقد سبق لنا الكلام على الاشتراكية في جميع صورها في عدة مقالات نشرت في السنوات الماضية فليراجعها من اراد التوسع في هذا الموضوع . ومرادنا الان ان نقول كلمة عن الحركة الاشتراكية الحاضرة وانقسام الاشتراكيين بعد كارل ماركس وعلى الاخص بعد الحرب العالمية الاخيرة

انقسام الاشتراكيين بعد ماركس

و « الانترناسيونال » الثانية والثالثة

قلنا ان « جمعية العمال الدولية » التي انشئت في سنة ١٨٦٤ انحلت سنة ١٨٧١ ولكن زعماء العمال ما لبثوا ان شعروا بالحاجة الى هيئة دولية تجمعهم وتقوي ساعدهم فالفوا « جمعية العمال الدولية الثانية » سنة ١٨٨٨ وسعوا لعقد مؤتمر عام . ولكن قبل البت في الامر حدث شقاق في الحزب الاشتراكي الفرنسي فكانت النتيجة ان عقد مؤتمران اشتراكيان في باريس سنة ١٨٨٩ . ثم دارت المفاوضات بين الفريقين فافضت الى الاتحاد وانتهت بعقد مؤتمر عام في بروكسل سنة ١٨٩١

وقد عقدت بعد ذلك مؤتمرات في زوريخ سنة ١٨٩٣ وفي لندن سنة ١٨٩٦ وفي باريس سنة ١٩٠٠ وفي امستردام سنة ١٩٠٤ وفي ستتغرت سنة ١٩٠٧ وفي كوبنهاغن سنة ١٩١٠ وفي بال سنة ١٩١٢

ولم تكد تنتهي الحرب الاخيرة حتى سعى الاشتراكيون في جميع الاقطار الى جمع شملهم واعادة رابطتهم فعقدوا الاجتماعات التمهيدية في سويسرا فتبين لهم ان من المتعذر اتحادهم لتعاظم شقة الخلاف بين المعتدلين الذين يسعون لتحقيق النظام الاشتراكي بالطرق الدستورية النظامية والمتطرفين الذين يبشرون بالانقلاب العنيف الفجائي . وأخيراً قر قرار الفريق الاول على احياء الجمعية الدولية الثانية للعمال (المعروفة بالانترناسيونال الثانية) وعقدوا مؤتمراً عاماً في جنيف في ٣١ يوليو سنة ١٩٢٠ برئاسة المستر توم شو العضو بالبرلمان الانكليزي وكان عدد المندوبين اليه ١٥٠ مندوباً . وقبل انقضاضه عين موعد اجتماع المؤتمر القادم في بروكسل سنة ١٩٢٢

أما الفريق الاخر - فريق المتطرفين برئاسة لنين - فقد الفوا « الجمعية الدولية الثالثة للعمال » (المعروفة بالانترناسيونال الثالثة) وعقدوا مؤتمراً في موسكو في ٢١ يوليو سنة ١٩٢٠ حضره مندوبون يمثلون ٢٨ دولة

وطبقات العمال في العالم تختلف اليوم من حيث انتمائها الى الجمعية الثانية أو الثالثة. وسترينا الايام اي الفريقين يفوز في النهاية . وعلى ذلك الفوز تتوقف اخطر النتائج وابعدها مدى في مستقبل النظام الاجتماعي

شاعر الهند بين شعراء اميركا

كلمة الى محبي الشعر من بني الشرق

بقلم انيس الخوري المقدسي م.ع.



تاغور شاعر الهند

قلما يخطر لمن يزور مدينة كنيويورك تعج شوارعها الواسعة برجال الاعمال وتتلاطم انديتها وباحاتها بامواج الاموال ان هناك وراء هذه الحركة المادية الهائلة روحاً خفية تحاول ابداً انارة النفس الانسانية وتخليصها من براثن الطبيعة الحيوانية ! هذه المدنية القائمة على دعائم الاثرة المتسلحة بسلاح القوة لا فضل لها فيما

نراه من رقيّ الانسان لولا تلك الروح الداخليـة التي تخللها فتروي جذورها وتمنعها من الجفاف ـ روح الشعر الحقيقي التي تحمـل للعالم رسائل الوحي من اعالي الوجود وتنير لهم طريق السعادة والخلود !

على هذا الاساس انشئت جمعية الشعراء وهذي هي الغاية التي تسعى اليها . بل هـذي هي الغاية التي يجب ان يسعى اليها كل شعراء الارض ولا سيما الشرقيين منهم فان ما ولده التعصب في بلادهم وما بثه الجهل يقتضي اصلاحاً سريعاً وهذا الاصلاح لن يقوم به الا الانبياء المصلحون ، رجال الشعر الحقيقي ، حمـلة النور الازلي ، الذين مستهم الطبيعة بنارها المقدسة واسمعتهم ألحانها الشجية

اسعدني الحظ فدعيت الى مأدبة خاصة اقامتها جمعيـة الشعراء في نيويورك لتستقبل شاعراً شرقياً مشهوراً ـ هو تاغور ـ اديباً بذّ ادباء الشرق والغرب فنال جائزة «نوبل» وبرهن للغربيين ان تلك الروح التي عرف بها الشرق عموماً روح التأمل والنظر الى ما وراء الكائنات لم تزل متقدة فيه . وكان عدد الحضور ينيف على المئتين والخمسين شاعراً وشاعرة . فبعد الطعام وقف رئيس النـادي وتـكلم عن الرابطة الشعرية التي تربط جميع الاجناس والمذاهب برباط الاخاء والادب وتلاه بعض من كبار الشعراء فجالوا جولاتهم المشهورة وشنفوا الآذان بشيء من منظوماتهم المأثورة . وأخيراً وقف الشاعر الاميركي الشيخ مورغان وقال : « مهما اختلف الشرق عن الغرب فان هناك مكاناً يلتقيان فيه . ان روح الغرب هي روح العمل والاقدام والفتوح وعلى هـذه الروح بنيت مدنيتنا الحديثة . اما روح الشرق فروح السكون والتأمل والنظر الى ما وراء المـادة . وعندي ان الغرب في حاجة الى شيء من روح الشرق كما ان الشرق في حاجة الى شيء من روح الغرب . فالمدنية لن تبلغ كمالها الا بامتزاج الروحين . على ان بيننا الآن شاعراً جمع بنفسه بين هاتين الروحين وقرن في حياته هـذين المبدأين فاذا قدمته اليكم فاني اقدم شخصاً كريماً نكرمه نحن في الغرب كما يكرمه

ايضاً اهل الشرق ـ اقدم اليكم الشاعر المشهور تاغور ! »

وكان شاعر الهند لابساً ثيابه الشرقية وقد تدلت لحيته البيضاء على صدره فزادته وقاراً فوقف وعيناه تتقدان بنار غريبة ، نار الشمم والانفة الممزوجة بالدعة والايناس . ثم التفت الى الحاضرين وشكر لهم حسن احتفائهم به وقال بعد توطئة وجيزة :

* * *

« انتم ايها السادة ـ اهل الغرب ـ رجال القوة والعلم . لديكم الاموال وفي ايديكم العدد وقد سخرتم الطبيعة واستخدمتموها لبناء مدنيتكم الحديثة . ونحن اهل الشرق ضعفاء ، ضعفاء في المال والعلم ، ضعفاء في الصناعة والحرب . وقد حاولتم ان تفتحوا لنا ابواب العلم الطبيعي وتنيروا لنا سبل الحياة الحديثة ولذا فاني بالنيابة عن اهل الشرق اشكر لكم ما لكم علينا من الجميل !

« ولكن مهلاً اخواني ! ان قوتكم قد حملتكم على الاستبداد باهل الشرق . نظرتم الينا نظراً خارجياً فلم تروا غير الضعف والمسكنة فاحتقرتم ما لنا وازدريتم حضارتنا . هوذا الغرب القوي لا يزال قابضاً على عنق الشرق الضعيف يحرث عليه وينتفع به . أفما آن لكم ان ترمقونا بنظرة احترام واحدة ؟ ام تبقى المدنية الحديثة تمثل بنا دور المتحكم القاهر ! نعم عندكم كل شيء . عندكم المال والقوة والعلم واسباب الحرب . فيا ليت شعري أليس في مدنيتكم غير ذلك ! اننا الى الآن لم نتعلم منكم غير مبدأ واحد وهو ان الانسان لن ينال حريته وحقوقه الا بالسلاح والدم . أفهذه نهاية تعاليمكم ؟ اجل نحن ضعفاء وانتم اقوياء . ولكن تعالوا الى بلادنا وانظروا اذا كان فيها شيء يستحق الكرامة . تعالوا . لا لتفتحوا المناجم ولا لتمدوا السكك او تنالوا الامتيازات . بل لتروا روح الشرق الحقيقية ولتسمعوا ضربات قلبه النابض ولتطلعوا على اسرار مدنيته الروحانية وحينئذ ترون ان لدينا شيئاً نفاخر ان نقدمه لكم !

«انتم تقدمون لنا اسباب الحياة الجديدة ونحن نقدم لكم مبادىء الروح الازلية !

بالله انظروا افتكروا . ألا يستطيع الشرق ان يقدم لكم غير مناجمه وحقوله ورقاب ابنائه !

« الى متى ينظر الغرب الينا نظرة الاحتقار والانانية ؟

« الى متى يعمي الجشع ابناءه عن رؤية الحقائق الروحية ؟

« لا تصدقوا عنا كل ما تسمعونه من اهل الاستعمار وبعض دعاة التبشير . فان هؤلاء يخدعونكم ويموهون عليكم ويصورون لكم الشرقيّ بصورة تستوجب احتقاركم. بل تعالوا انتم ، انتم الاحرار، وادرسوا حياة الشرق . تعالوا بروح الحرية التي بنيتم عليها حضارتكم الجديدة فتروا حينئذ كما نرى نحن الآن ان الشرقيّ اهل للحرية والحياة القومية ، وان في روحه ومبادئه ما هو اسمى من الحياة المادية ! »

انيس الخوري المقدسي



أقوال ذهبية

للفيلسوف أرسطاطاليس

انما غلبت الشهوة على الرأي في اكثر الناس لان الشهوة معهم من لدن الصبا والرأي انما يأتي عند تكاملهم فانسهم بالشهوة لقدم الصحبة أكثر من انسهم بالرأي لانه فيهم كالغريب

لايلام الانسان في ترك الجواب اذا سئل حتى يتبين ان السائل قد احسن السؤال لان حسن السؤال سبيل وعلة الى حسن الجواب

من ذاق حلاوة عملٍ صبر على مرارة طرقه

دفع الشر بالشر جلد ودفع الشر بالخير فضيلة

ليكن ما تكتب من خير ما تقرأ وما تحفظ من خير ما يكتب

حكاية السيدة التي لها حكاية

بقلم الآنسة ميّ

لكلٍّ من الناس حكاية أوّلية يتناقلها الاقارب والأباعد بلهجاتهم المتعددة ويفهمونها بعقلياتهم المختلفة وينسجون حولها حكايات كثيرات. يسردُ الواحد «الحكاية» الأولية عن ذبحته في تلك الساعة ثم يزيد قائلاً «وله معي أنا أيضاً فصل»، وله مع زميلي «عبارة»، وله مع الآخر «طابق» الخ. ويجود بهذا الطابق والفصل والعبارة شارحاً متبسطاً منمنماً مزخرفاً ويصغي الآخرون متعجبين متأففين، ويتعوّذون بالله العليّ العظيم، ويشكتون ويتهكمون كأنهم لم يأتوا هم ولم يأت بشرٌ قبلهم شيئاً شبيهاً لما يسمعون. وبديهيٌّ أنهم في تطبيق الاحكام على سواهم لا يراعون قانوناً مرناً يستعملونهُ في الحكم على نفوسهم. والقواعد الذهبية القائلة بحبِّ القريب ومعاملة الآخرين بمثل ما يودّ المرء أن يُعامَل، لا تزال قواعد ذهبية . . . فحسبُ

لا يراعي الناس في حكمهم على الآخرين ما يجيزونه لأنفسهم وانما يحكمون وفقاً لنصوصٍ صلبة جُمعت في الجدول الاخلاقي الذي يتسلحون به أمام بعضهم بعضاً. فاذا ما طُرحت العيوب في سوق المزايدة — هي مزايدة لا تقبل المناقصة مطلقاً — عمد المتحدثون الذين صار كلٌّ منهم في ذلك الموقف باراً صفياً وقديساً فضالاً، الى ذلك الجدول الصارم كوجه الجلّاد. وكما ان جدول الحساب الذي وضعه فيثاغورس اليوناني هو جدول ضرب كذلك كان الجدول الاخلاقي لمساوىء الخلق والحكم عليها جدول ضرب تعالت أرقامه الشريفة عن كل طرح شائن!

***

كثيراً ما كنتُ التقي بالسيدة . غ . ب . في اماكن مختلفة، في الكنيسة، والحفلات الموسيقية (كونسرت)، والمخازن الكبرى؛ وكان يندر ان اسير في شوارع حيّ الاسماعيلية كشارع قصر النيل، وعماد الدين، والمغربي، والمدابغ، وسليمان باشا دون ان اراها مارة كأنها تقطن هذه الجهات أو قريباً منها. فاذا كنت مع صاحبة او رفيقة لُفظت بيننا تلك الكلمة التي يتبادلها النساء — والرجال أيضاً، مع

احترامي لسادتنا الاجلاء ـ لدى مرور سيدة ذات ميزة ما . تلك الكلمة هي « انظري! انظر ! » ولتلك السيدة غير ميزة فهي معروفة بجمال الصوت وقد سمعتها في حفلتين اثنتين . وهي انيقة الهندام تتزيا باحدث الازياء بل هي من السابقات الى ترويج الازياء الحديثة في القاهرة . ويقولون انها حسناء

كنت اشاهدها عن بعد فيستلفتني اليها ذلك الشيء الخاص في كل انسان وليس هو الهندام ، ولا ملامح الوجه ، ولا الحركة ولا السكوت ولكنهُ شيء مبهم يختلف باختلاف الاشخاص. ويزعم بعض أهل الفراسة ان مقرّه بين العينين ، ويدّعي غيرهم انهُ في انسان العين ، او حول الفم ، او في خطوط الشفاه ، او في ارتكاز الذقن ، وانا لا اعلم سوى انه موجود وانه المكوّن الاكبر لما نسميه « معنى » الشخص . وهو عند بعضهم قوي شديد التأثير يلتصق بنفس الرائي فلا يعود ينسى ذلك « المعنى » ولا ينسى حامله

بعد كلمة « انظر ! انظري ! » لا بدّ من « حكاية » عن موضوع النظر . وهكذا سمعتُ عن تلك السيدة حكايات جمة جعلتني كثيرة التفكير بها أسائل « معناها » الباقي في نفسي ماذا عليّ ان اصدق من كلّ ما قيل ويقال . ويزيد اهتمامي بها بتراكم الحكايات عنها ، كاني ذلك الرجل الذي تعرّف الى احد المشاهير وقال « سمعتهم يذمّونك فشاقني التعرّف بهولك »

عيناها كانتا أعلق الاشياء بحافظتي . هما عينان متغيرتان تكونان مرّة عيني امرأة وجيعة صابرة ، وحيناً تفكران معرضتين عن جميع مظاهر الحياة . ويوماً تكنان نظرةً لا قرار لها وتخترقان الاشياء الى فضاء يحيط بها كأنهما ترقبان في الهواء اشارات يدٍ غير منظورة . وطوراً تبدوان كعيني الشخص الاجتماعي الذي يتمتع بافراح عادية ويكتفي بها غير متخيل وجود ما يفضلها . ثم تظهران سعيدتين كان الحياة اشبعتها مسرات لطيفة هادئة جليلة وحققت منها بعيد الاماني . إلا اني كنتُ احبها عندما تذبلان وينطفىء نورها كأن صاحبتها شاخت في اسبوعين خمسين عاماً . ثم التقي بها مرةً أخرى فاحسبها في ثوبها الوردي وبرنيطتها المرفرفة على وجهها طفلة تنتظر من الوجود جميع صنوف الهناء

* * *

اقامت يوماً نخبة غواة حفلة موسيقية في صالة الاعياد الكبرى بفندق شبرد وقد

اشرف على تنظيمها استاذان شهيران هما السيدة ك . اقدر معلّمة بين الاجنبيات المتعاطيات تدريس فن الغناء ولها في منزلها اجتماعات حافلة باجمل اصوات القاهرة من نساء ورجال درسوا عليها والتفوا حولها . والسنيور ف . الذي يقطن هذه المدينة منذ اعوام وقد كثر تلاميذه وتلميذاته من الجاليات المختلفة وتزايد عدد اصدقائه والمعجبين به الذين يرون معجزاته على البيانو متجددة كل يوم ، مدهشة كل مرة

في تلك الحفلة غنّت السيدة التي لها حكاية إلا اني لم اجد من يحدثني عنها ربما لان اكثر الحضور من اهل الغواة . فكلما عزف عازف او انشدت منشدة زفّ الجمعُ التهاني الى ذويها ليضمنوا بذلك تهانيء تزفّ اليهم عند ما يغني اولادهم ويعزفون . تلك المرأة لم يكن لها اهل ، ومع ذلك فقد احدث انشادها تأثيراً كبيراً وأثار تصفيقاً حاداً لم تكن تقابله هي بغير السكون ، وقد اطلّ من عينيها لهيبٌ قاتم عميق وارتدت ملامحها هيئةً جدية آمرة تبعدها عن الشباب والشيخوخة معاً ، وتجعلها شبيهة بالتماثيل التي لا تتغير شاراتها وتظل في اوضاعها ثابتة على الدوام

فكرت بها طويلاً ذلك المساء ، والّفتُ من كلّ ما سمعتُ عنها حكاية كئيبة فقلت لنفسي « يا للخسارة ! لماذا تجاهل هذه المرأة ذاتها ؟ لماذا لا تنسى أنها حسناء فترتفع الى القمة التي اراها اهلاً لبلوغها ؟ »

وفي الغد جاء السنيور ف . ليعطيني درسي الموسيقي ولكن بدلاً من أن يأتي في الساعة الحادية عشرة ، وهي الوقت المعين ، جاء قبل الظهر بعشر دقائق . ودخل يفرك يديه وعيناه تلمعان وراء زجاجتي نظارته . فتذمرت وقلتُ « انك لا تبالي بوقتي يا استاذ . لقد أتلفت صباحي ، بل نهاري كله ! » فضحك ضحكةً ابتدأت في قرار معتدل وانتهت في ما يشبهُ زقزقة الطيور وقال : « أنا لستُ استاذ رياضيات لألزم بالمجيء في الوقت المعين » . وفرك يديه من جديد ليستشهد بالمثل الفرنساوي القائل « بعض التشويش ضروري لتجميل الفن » . قلت « ولكن وقتي . . . » فقاطع قائلاً « الدرس ، الدرس » وسمع الجيران مدة ساعة طويلة تلك الضوضاء المخصوصة التي تحدثها التمرينات والمراجعات في حضرة المعلم

ولما انقضت الساعة بإجهاد وسلام طلبت حقي . والسنيور ف . يعزف التلاميذه القطعة التي يطلبونها اذا كان راضياً عنهم . وحقي الذي طلبته يومئذ قطعة موسيقى روسية كان قد عزفها في حفلة اليوم السابق

* * *

فجلس الى البيانو وقبل أن يبدأ تكلمنا عن « الكونسرت » وتبادلنا الآراء في أصوات المنشدين والمنشدات حتى وصلنا الى ذات الحكاية . فسألته « أهي من تلاميذك ؟ »

قال « كلا ولكنها من تلميذات السيدة ك . وقد اجتمعتُ بها عندها غير مرة»

قلت « أسمعهم يلقبونها تارة بالمدام وطوراً بالمدموازيل . أمتزوجة هي أم عزباء ؟ »

فتنهد وقال « يا لها من امرأةٍ مسكينة ؟ »

فقلت « وهل من ظروف حياتها ما يحرّك الشفقة الى هذه الدرجة ؟ »

فقال « ومَن ذا الذي لا يشفق على امرأة جمعت بين الحسن والذكاء والطيبة وهيأتها الطبيعة لتسعد و تسعد فلم يكن نصيبها الا الشقاء ؟ »

قلت « أي شقاء تعني ؟ »

قال « كيف ؟ ألا تعرفين حكايتها ؟ »

قلت « أعرف عنها نتفاً مبعثرة . ومن ذا الذي يستطيع أن يرسم لحياة امرىء صورةً جلية من كلام الناس ؟ »

فتنهد مرةً أخرى وجرت أنامله بسرعة على السلم الموسيقي كأنه يسرح شيئاً من أسفه أو يبحث عن أسلوب جديد لحكاية قديمة ، ثم غشت نظره سحابة وقال « كان والد هذه الفتاة قاضياً في المحاكم المختلطة وهو على جانب كبير من العلم والذكاء . فعلّم ابنته وثقفها أحسن تثقيف . ولما جاء وقت الزواج جرى لها ما يجري لفتيات كثيرات أي ان والديها انتقيا لها خطيباً أجنبياً مثلها رأيا فيه ما يحقق مطالبهما الاجتماعية . وكان على الخطيب مسحة من الجمال فلم تعارض ورضيت كما ترضى الكثيرات من اخواتها ليفرحن بالأثواب والأساور والحرية المنتظرة . فتزوجت في عرس فخم دُعي اليه أعيان الجاليات الاوربية ولم يكن حتى استولى الزوج الجديد على البائنة المتفق عليها »

وقف الاستاذ عن الكلام وقد بدت على وجهه امارات الخجل والرحمة والاحتقار جميعاً . ثم قال بعد سكوت قصير « كم أشقت المرأة من رجلٍ وكم مزّقت من شملٍ وكم كسرت من قلبٍ ! ولكن مسكينة هي عندما لا تكون شريرة ! مهما

علت في عين نفسها ، ومهما تحررت من قيودها ، ومهما بالغت المناديات بحقوقها في رفعها الى مستوى الرجل فان حياتها ، كل حياتها ، تظلُّ في قبضة هذا الرجل الذي تزعم انها مثيلته وما هي في الحقيقة سوى ما يريد هو ان تكون . فان كان حرًّا نبيلاً جعلها حرةً نبيلةً ، وان كان ذليلاً حقيراً حقـرها وأذلَّـها ، فهي العوبته ، وهي عبدته ، وهي الشيء الذي يتصرف به في سائر الأحوال . وبعض ذوي الضمائر من الرجال تروعهم هذه السلطة على المرأة وهـذه القدرة التي تهزأ بتقلب السياسة والاجتماع لأنها أقوى من الاجتماع والسياسة وأمكن وتتكيء على الطبيعة نفسها . فيحجمون عن الزواج خوفاً من نفوسهم »

ضايقتني هذه التعليقات على أهميتها لاني كنت أرغب في استماع البقية ، فقلت « ثم ماذا جرى ؟ »

قال « جرى ان ذلك المتحذلق كان مقترناً سرًّا بامرأة اخرى ، وكان يحتاج الى نقود فكان الزواج اسهل وسيلة للحصول على حاجته . وبعد ثلاثة اسابيع اختفى »

— « وكيف اختفى ؟ »

— « خرج من منزله ولم يعد . فجزنت زوجته في الايام الاولى اذ ظنت انه قتل . ومرّت الاسابيع فشاع خبر سفره مع زوجته الاولى . فارسلوا يبحثون عنه في بلده بايطاليا — وهنا غصّ السنيور ف . بريقه لانه ايطالي — ولـكن ذهبت أتعاب البوليس سدىً ولم يجدوا له أثراً لا في ايطاليا ولا في غيرها من بلاد الغرب . ولم يطل حتى توفي والد هذه المرأة التي غُـدرت في شبابها وفي حبها وفي مالها وفي مركزها . فامست وحيدة فقيرة ، والـكنيسة لا تحلُّ زواجها لان الرجل لم يكن مرتبطاً مع زوجته الاولى بزواج كنسيّ بل اتفاقي فحسب . القانون يعاقب على هـذا ولـكن كيف يصل القـانون الى من ضاع في المجهول ؟ ولو كسرت الـكنيسة زواج المرأة لظلّ الناس في ريبة من امرها لان المظلوم اكثر تعرضاً للشبهات والتخمين من الظالم ، لا سيما اذا كان المظلوم امرأة والظالم رجلاً . لذلك ترى الناس يؤولون كل حركةٍ تأتيها لأنها حلت على السنتهم وصارت لافواههم مضغة سائغة . ولو قضت ايامها بالصوم والصلاة والتقشف لما انصفوها . ومهما تقدمتهم الثمن غالياً فلا يبيعونها ذلك الاعتبار الوهمي الذي يتزلفون به لدى اهل الجاه والثروة والسلطان او لدى من أتقن « البلف » عليهم . فاي غاية لهذه المرأة من الحياة ؟ لا هي طليقة تتصرف بايامها ولا

هي مقيدة تجد في تكسير قيودها تعزية وسلوى . هـذه حياة بتراء اشقاها الرجل كما بتر واشقى مثلها وقبلها كثيرات ... »

قلتُ « ولـكن كيف لم تشعر هي خلال الخطبة أنه يخادعها ؟ »

قال « لا ادري كيف لم تفهم هي ولم يلمح اهلها شيئاً من ذلك ؟ »

قلت « لعلّهُ تزوّجها مخلصاً الا انه ظلّ يفكر في تلك التي ربما كانت على جمال عظيم »

قال « يقول الذين يعرفونها انها شيخة قبيحة المنظر ويتعجبون كيف يرضى بها هـذا المتوقد المتأنق جارية » . ثم اطرق قليلاً وقال « ولـكن ليس للشباب والجمال دخل في هذه المسائل . الجمال شيء يُبحث عنه في الصالون والمرسح والاجتماع والشارع والمرأة المليحة تجذب النظر عادة اكثر ممن كانت أقل ملاحة . على ان تأثيرها لا يتعدى ذلك والتاريخ شاهد على قولي . وأقرب شواهد التاريخ نجدها في ولي عهد النمسا الذي نشبت الحرب اثر مقتله وهو الذي اعرض عن جميع الارشيدوقات النمساويات الباهرات الجمال ، وعن جميع الاميرات في الدول المالكة وتنازل عن العرش والتاج غير مرة ليتزوج بمن هي أقل النساء ظرفاً وحسناً وهي الكونتس دي شوتك إحدى وصيفات قريباته التي صارت بعد زواجها الدوقة دي هوهنبرج وقد قُتلت معه في مفجعة سراجيفو

وعدل السنيور في جلوسه وأخذ يعزف قطعة حماسية حزينة من وضع بتهوفن وهي « مارش جنازة البطل » (Marcia funebre d'un eroe)

* * *

رأيت البارحة في حديقة بضواحي القاهرة السيدة ذات الحكاية . فهمتُ الان لماذا يتغير معنى عينيها ؛ ولئن لم أدرك بعد تماماً ماذا تعني كلمة « حياة بتراء » فاني أدرك ان الحياة تهيء لبعض البشر ظروفاً لم يحلموا بها ولو حلموا لتلافوها مشياً على الاشواك والجمرات . وعلمت أن في ذلك القوام المعتدل والهيكل الذي يمثل القوة والانفة قلباً قد يكون جرحه الحبُّ الصادق يوماً الا أنه اليوم يعذبه سرطان تتمدد منه الاصول في جميع نواحيه ، ذلك السرطان العريق الذي لا يقتلع : احتقار الحياة وعدم الثقة بالناس

(ميّ)

متى تصطلح الحال ؟

ما يقوله العلماء الاقتصاديون في هذا الشأن

الجسم الاقتصادي كالجسم البشري تتناوبه حالتا الصحة والمرض. فاما حالة الصحة فتتوافر حين يكون التوازن تاماً بين الانتاج والاستهلاك - أي بين المنتج من البضائع والحاصلات والسلع على أنواعها من جهة والاقبال عليها من جهة أخرى . وأما حالة المرض فحين يختل هذا التوازن فيفيض المنتج عن المطلوب او ينقص عنه

وقد استولت على العالم أجمع في هذا الوقت أزمة شديدة اضطربت من جرائها أحوال الشعوب فاخذ النــاس يفكرون في أسبابها ونتائجها ومداها وطرق ملافاتها . فان الانسان حين تكون أعماله رائجة وأحواله حسنة قلما يفكر فيما قد يدهمه من المصائب . وهو في الغالب لا يتدبر المصيبة الا بعد وقوعها

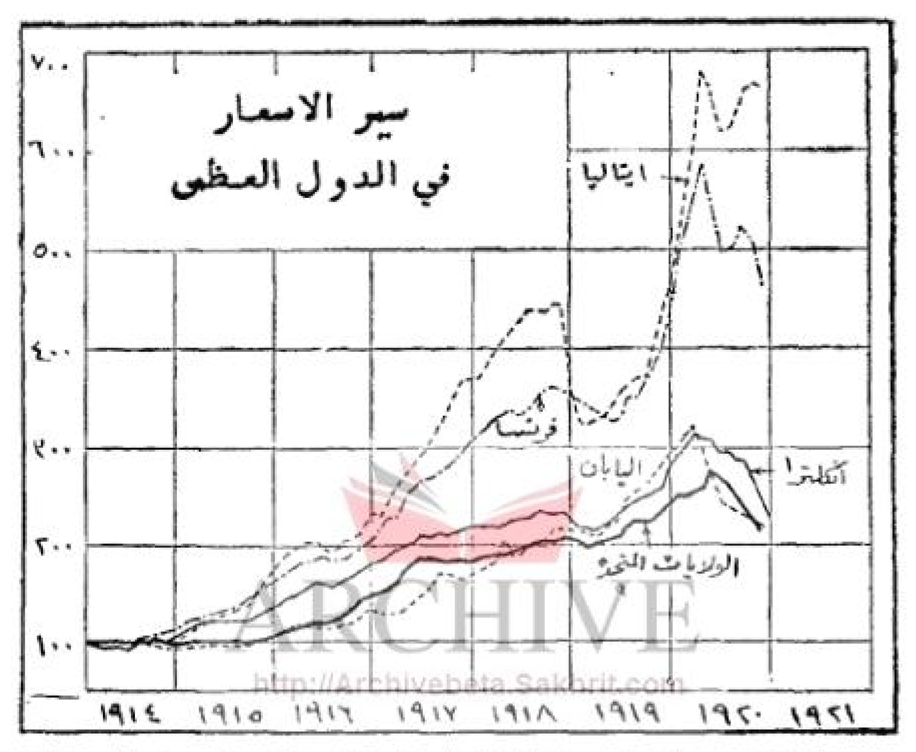
على أن الكتاب الاقتصاديين توقعوا الازمة الحاضرة ونبهوا اليها التجار والصناع والزراع ولكن كلامهم ذهب سدًى . وقد اطلعنا منذ أكثر من سنة على مقالة في هذا الشأن قال كاتبها فيما قال : ان من المشاهدات الثابتة ان تعقب الحروب مدة وجيزة (سنة أو سنتان) تنشط فيها الاعمال على أنواعها وتكثر النقود بين الايدي وتزيد المعاملات وترتفع الاجور ثم يحصل بعدها جمود شامل يتطرق الى الجسم الاقتصادي كله . ومن ثمَّ ما حدث من الازمات الشديدة عقب جميع الحروب ذات الشأن

على أن هذه الازمات لا تحدث فجأة بل تتقدمها علامات منذرة سردها كاتب المقالة المتقدم ذكرها وبيَّن انها كانت متوافرة اذ ذاك

الدلائل المنذرة بالازمات

أما تلك العلامات فمعروفة تتقدم كل أزمة وأهمها: ازدياد حركة الاعمال وحركة الشراء والخصم وارتفاع أسعار البضائع وأسعار الاوراق المالية في البورصة وارتفاع أجور العمال . فهذه الحركات تأخذ تتزايد بسرعة الى نقطة معينة تهبط بعدها هبوطاً فجائياً فيحدث اذ ذاك سقوط في الاسعار واحجام عن الشراء وتفلس المحال التجارية وتقل الاموال ويصعب الحصول عليها وترتفع الفائدة

ثم لا تلبث الحالة أن تهدأ رويداً رويداً فتعود المياه الى مجاريها الى حين حدوث الازمة التالية وهكذا دواليك . فان من أغرب ظواهر الازمات انها متواترة تتعاقب بصورة تكاد تكون حسابية



يبين هذا الشكل سير الاسعار في الدول العظمى (ولكل دولة خط يشير اليها) . فالارقام العمودية تشير الى قدر الارتفاع باعتبار أن معدل الاسعار عند نشوب الحرب كان مئة . والارقام الافقية تشير الى سنوات الحرب بالتتابع وما بعدها الى هذه السنة

تواتر الازمات

فقد ثبت اليوم ان الازمات تتعاقب وبين الواحدة والاخرى نحو عشر سنوات تقريباً . وذلك يتبين من مراجعة السنوات التي حدثت فيها الازمات في القرن الماضي فهاك اهمها :

١٨١٥ — ١٨٢٧ — ١٨٣٦ — ١٨٤٧ — ١٨٥٧ — ١٨٦٦ —
١٨٧٣ — ١٨٨٢ — ١٨٩٠ — ١٩٠٠

على أن أول أزمة حدثت في القرن العشرين كانت أزمة سنة ١٩٠٧ أي ان المدة بينها وبين الازمة السابقة لها لم تكن الا سبع سنوات ولذلك لا يمكن القول بان المدة بين

أزمة واخرى هي دائماً عشر سنوات فقد تطرأ بعض الحوادث التي من شأنها تقصير هذه المدة او تطويلها قليلاً — كالحروب مثلاً — وانما الامر الجدير بالاعتبار من ذلك هو تعاقب تلك الازمات وعجز الامم عن دره أخطارها

أسبابها

أما أسباب الازمات فقد حسب احد الكتاب ان هناك ٢٣٠ نظرية مختلفة لتعليلها ! فتأمل تضارب الآراء العجيب في هذا الشأن. بل ان أحد العلماء الاقتصاديين المعروفين لم يجد على الارض أسباباً كافية لحدوث الازمات فبحث عنها في السماء وقال ان تواتر الازمات مرتبط بتواتر اللطخات التي تظهر على الشمس . فان الاختلاف الذي يحصل في قوة الاشعاع الشمسي بين مدة واخرى يؤثر في الحاصلات الارضية وهذه تسبب الازمات

والحقيقة انه من المتعذر العثور على سبب واحد محدود تعلل به الازمات وانما يقال بوجه الاجمال انها اختلال في الموازنة بين الانتاج والاستهلاك . وقد تزيد وطأة هذا الاختلال زيادة جسيمة اذا كان ثمت انتفاخ مالي اي كانت العملة المتداولة ازيد مما تقتضيه الاعمال . ولا يخفى شأن الانتفاخ المالي الهائل الذي خلفته الحرب في الازمة الحاضرة . فان قيمة العملة (الاسمية) التي اصدرتها الدول قد بلغت بضعة أضعاف قيمتها قبل الحرب

ومن المحتمل في رأي الاقتصاديين أن يأتي زمن غير بعيد تخف فيه وطأة الازمات الاقتصادية كثيراً ان لم تتلاش بالمرة فان العلامات المنذرة بالازمات معروفة وهي اضبط من العلامات المنذرة بالتقلبات الجوية واصدق منها . ويمكن العمل على مقاومتها وملافاتها قبل وقوعها

متى تنفرج الازمة الحاضرة

للكتاب الاقتصاديين الذين كتبوا في هذا الموضوع آراء متباينة . وقد استفتت مجلة « ليتري ديجست » الاميركية نفراً من كبار اصحاب المصانع والاعمال ومن مشاهير العلماء الاقتصاديين فجاءتها ردود عديدة يؤخذ منها ان معظم اصحاب المصانع والاعمال توقعوا تحسن الحالة وانفراج الازمة في هذا الربيع . اما العلماء الاقتصاديون الذين بحثوا في المسئلة فقد ارجأوا التحسن المنتظر الى اول الخريف . ولعل آراءهم اقرب

الى الصواب ولا سيما ان هؤلاء العلماء ليسوا من ذوي الاغراض وانما كان نظرهم نظراً علمياً مجرداً من كل شائبة

أما الاسئلة التي عرضت عليهم فكانت :

(١) ما رأيكم في الحالة الحاضرة ؟

(٢) هل تظنون ان الحالة في تحسن أو توقعون ان تسوء قبل ان تحسن ؟

(٣) متى تعتقدون ان الحالة التجارية تصطلح ؟



يبين هذا الشكل سير الاسعار اجمالا أثناء الحرب الاميركية الاهلية وبعدها (يشير الى ذلك الخط المتقطع) وأثناء الحرب الاوربية وبعدها (يشير الى ذلك الخط المتواصل). وقد بدأ الخطان عند مستوى الاسعار قبل الحربين

وهاك امثلة مختصرة من الردود

الاستاذ ت . كارڤر : ـ قد كثر عدد العمال العاطلين لقلة الطلبات وعدم وضوح المستقبل والارجح ان تسوء الحالة قبل ان تحسن . ولا أنتظر التحسن قبل خريف سنة ١٩٢١

الاستاذ جوزف داڤيس : ـ الحالة التجارية «هابطة» وعلى الاجمال اتوقع تفاقمها قبل تحسنها

الاستاذ ملكولم كير : ـ اتوقع التفاقم قبل التحسن واظن الحالة تحسن في نوفمبر سنة ١٩٢١

الاستاذ فلويد فوغان : ـ الحركة الحاضرة نحو ٥٠ في المئة من الحركة الطبيعية. الارجح ان تتفاقم قبل ان تحسن . التحسن يبدأ في سبتمبر سنة ١٩٢١ ويكون بطيئاً

هذه بعض المقتطفات نجتزيء بها عن ذكر غيرها . وعلى الاجمال ان اولئك العلماء يتوقعون التحسن في مدة تتراوح بين شهر وسبعة اشهر ولكن اغلبهم يعتقدون ان ذلك يكون في الخريف القادم

الاسعار المقبلة

ويتساءل كثيرون الآن هل تعود الاسعار الى ما كانت عليه قبل الحرب ولو بعد سنوات . ومعظم الآراء التي اطلعنا عليها في هذا الشأن لا تميل الى التفاؤل بهذا القدر ولكنها تقول بان الاسعار سوف تتدرج في الهبوط بلا ريب وهذا ما حصل بعد الحروب الماضية

فقد ذكرنا ان الحروب عادة تعقبها فترة تنشط فيها الاشغال ثم تنقلب الى ازمة شديدة . وقد قارن احد الكتاب الاقتصاديين الاميركيين بين تأثير الحرب الاهلية الاميركية في الاسعار وتأثير الحرب الاخيرة فيها فصنع جدولا (انظر الشكل المتقدم) بين صعود الاسعار في كلتيهما الى حين انتهائهما ثم هبوطها فترة من الزمن ثم ارتفاعها ثانية ثم هبوطها المتدرج . ويظهر منه ان سير الاسعار في هاتين الحربين يكاد يكون واحداً واذا ظل هذا التشابه سارياً فسوف يأتي يوم تهبط فيه الاسعار الى ما كانت عليه في سنة ١٩١٤ كما يتبين ذلك من تدرج الاسعار هبوطاً عقب الحرب الاميركية حتى بلغت مستواها الاصلي بعد ١٣ او ١٤ سنة

فهل يستمر هذا التشابه يا ترى ? هذا ما نعجز عن التنبؤ به فالايام كفيلة ببيانه ويكفينا أن نثق بان الحالة ستتدرج في التحسن المستمر الى ان يصبح التوازن تاماً في العالم الاقتصادي

المرء باعماله

من حكم العرب : ثلاث تتبع الميت الى قبره فيرجع عنه اثنان وتتبعه واحدة اهله وماله وعمله . فاما اهله وماله فيرجعان ويتبعه عمله

شعرات المشيب

لاح المشيب بمفرقي وفروعي ... فجرت على فقد الشباب دموعي
أيام كان الى الصفاء مسالك ... درجت وأبقت لوعتي وولوعي
كانت تروق على الزمان نضارة ... ونموج فيه بصحبتي وجموعي
الله يعلم انني ما خنتها ... يوماً بترك مناسكي وركوعي
ما شرفت نفسي الى نزق الصبا ... فيها ولا دمغ الشباب خضوعي
طامنتها ألاّ تميل مع الهوى ... واذا جنحت له ذكرت خشوعي
ما كان عن عجز مجانبة الهوى ... لكن لنيل المجد كان نزوعي
فزهدت حتى قيل اني يائس ... وعشقت حتى ما ترم ضلوعي
ومزحت حتى قيل اني ماجن ... وبكيت حتى أجهشوا لطلوعي

* * *

يا شعرة كتبت علي صحيفة ... في الرأس هل أنذرتني برجوعي
اني أودع ميعة العمر الذي ... قضيته ما ساء فيه صنيعي
ما رعت بالمكروه في ريعانه ... جاراً ولا أرهقت عند بيوعي
بالله يا سمة الوقار تمهلي ... حتى أودع صبيتي وربوعي
بالغت في وعظي ولم ألك غافلاً ... حتى كرهت مضاجعي وهجوعي
يا شعرة في الرأس لاح بياضها ... غيبت في هذا البياض سطوعي
ان كنت فجراً للمحامد يجتلي ... حيناً فقد أطفأت نور شموعي
أقعدت عزمي عن مناهضة الصبا ... فترحل الأقوام عند وقوعي
ها أنت ان جدت بهم سبل الهوى ... تبدين بالتقريع قبل شروعي
لله ما ألقاه منك وان يكن ... يذوي بهذا النور نور ربيعي

* * *

يا شيبة خلعت علي جلالة ... ما نلتها بصفائحي ودروعي

لا تحسبي اني صبرت عن البكا ... اني وجدت الدمع غير مطيعي
أبكي على ما فات من عمري وقد ... ولى الشباب وما رأيت صدوعي
ما كان بي فقد الشباب وانما ... بعد المشيب تدرّجي وضجوعي
وكأنني بالقوم حين ترحلوا ... عني وما أفصحت في توديعي
وهناك عفو الله أكبر جنة ... يرجى بحسن تذللي وقنوعي

محمد عبد السميع

مدرس بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية

تأملات

فيلسوف عربي

لما رأيت الزمان نكسا ... وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال ... وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضاً ... به من العزة اقتناع
اشرب مما اقتنيت راحاً ... لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى ... ومن قراقيرها سماع
واجتني من حديث قوم ... قد أقفرت منهم البقاع

ابو النصر الفارابي

دعاء الى الله

يا علة الاشياء جمعا والذي ... كانت به عن فيضه المتفجر
اني دعوتك مستجيراً مذنباً ... فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من ... كدر الطبيعة والعناصر عنصري

ابو النصر الفارابي

لغة دولية

يتفاهم بها البشر على اختلاف لغاتهم

تزداد الحاجة كل يوم الى لغة دولية عامة يخاطب بها البشر على اختلاف لغاتهم. فان ازدياد الروابط المختلفة التي تربط الامم والشعوب بعضها ببعض جعل هذه المسألة من الاهمية بمكان عظيم. ولم تخفَ هذه الاهميـة على المفكرين في العصر الحديث فسعوا الى ايجاد لغة دولية بسيطة يتفق البشر على اعتمادها بقطع النظر عن اختلاف نزعاتهم الوطنية فيتعلمونها منذ الصغر مع لغاتهم ويستعملونها كلما دعتهم الحاجة الى التفاهم مع ابناء لغة اجنبية. ويقال ان اول من نبه الاذهان الى هـذا الموضوع الفيلسوف الفرنسي الشهير ديكارت. على ان استنباط لغة على هذه الصورة ولهـذا الغرض ليس بالامر السهل. فلئن كان وضع اللغة بالفاظها وتراكيبها وقواعدها امراً صعباً فاصعب منه حمل النـاس على قبولها والاعتراف بها. لذلك لم يكن النجاح دائماً نصيب المساعي التي بذلت في هـذا السبيل فلم تعش من عشرات اللغات التي اقترح استعمالها سوى لغة واحدة هي «الاسبرانتو» ووليدتها «الايدو» كما سنبين ذلك فيما يلي:

شروط اللغة الدولية

وقبل الشروع في شرح الاسبرانتو والايدو تجمل بنا الاشارة الى ما ينبغي توافره في لغة دولية من الشروط الاساسية:

اولاً – يجب ان تكون هذه اللغة قادرة على تأدية المعاني والمرامي البسيطة التي يحتاج اليها عامة الناس في حياتهم اليومية. وايضاً الاصطلاحات العلميـة والفنية والتجارية والفلسفية حتى تماشي حركة العلوم والفنون

ثانياً – يجب ان تكون بسيطة الالفاظ والتراكيب سهلة التعليم قريبة الى الافهام ولا سيما افهام متوسطي العلم

ثالثاً – ينبغي ألاَّ تكون احدى اللغات الحية المنتشرة في قطر من اقطار الكرة الارضية

فالشرطان الاولان ظاهران لا يحتاجان الى شرح . واما الشرط الثالث فيحتاج الى بعض التوضيح . فمهما تكن اللغة الحية المراد تعميمها واسعة الانتشار كالانجليزية او الفرنسية مثلاً فدون هذا التعميم عقبات يتعذر تذليلها اهمها الشعور الوطني الذي يأبى ان يرى لغة اجنبيـة تنتشر وتعم جميع الاقطار . اما اللغة اللاتينية التي توهم البعض انها تزيل هذه العقبة فلا يمكن أن تقوم بوظيفة لغة دولية لاسباب عديدة اهمها صعوبة تعلمها وقصرها عن تأدية المعاني الحديثة العصرية . اذاً لا بد من لغة جديدة مستحدثة . وقد ادرك هذا الامر معظم الذين تصدوا هـذا الموضوع فلم يقترحوا استعمال لغة من اللغات الحية بل سعوا الى وضع لغة جديدة سهلة مستوفية للشروط



الدكتور زامنهوف واضع لغة الاسبرانتو

المتقدمة . وللوصول الى غرضهم هـذا كان امامهم طريقتان : اما ان يخترعوا مقاطع متنوعة يركبون منها الالفاظ متبعين في هذا التركيب قواعد يصطلحون عليها، او ان يتخذوا أصول الفاظهم من اللغات الحيـة فيختاروا الاصول الاعم انتشاراً بين هذه اللغات

ومن الامثلة على اللغات المخترعة على الطريقة الاولى لغة غريبة وضعها فرنسي اسمه جان سودر . فقد اتخذ عدداً من المقاطع جعلها اساساً تؤلـف منه الـكلمات ولم تكن هذه المقاطع الا علامات النوتة الموسيقية : دو ري مي فا سل لا سي دو . فاصطلح على ان كلمة « دوري‌مي » تعني يوماً وكلمة « دوري‌سي » تعني اسبوعاً و« دومي‌سل » تعني الله وعكسها اي « سل‌مي‌دو » تعني الشيطان وقس على ذلك

على انه قد ثبت بالاختبار ان اللغات المخترعة لا يمكن ان تفي بالمطلوب . فاللغة الدولية لا بد ان تُقتَبس اصولها من جملة لغات حية معروفة على الطريقة الاستقرائية العلمية

الاسبرانتو

بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٩٠٧ ظهر في العالم ما يزيد على عشرين لغة دولية معظمها مقتبس من لغات حية على مبدأ « اختيار اعم الالفاظ في اعم اللغات » . واشهر هذه اللغات بلا ريب لغة الاسبرانتو التي وضعها الدكتور زامنهوف من اهل بولندا . وقد سميت بهذا الاسم لان اول كتاب كتب عنها كان موقعاً باسم مستعار « الدكتور اسبرانتو » اي الدكتور المؤمل . ولهذه اللغة انصار ومريدون عديدون ينفقون المال الطائل في سبيل نشرها بواسطة الصحف والاندية والمكاتب والجمعيات ويعقدون لها المؤتمرات الدولية. فكانوا في كل سنة — ابتداء من سنة ١٩٠٥ — يعقدون مؤتمراً في احدى مدن اوربا او اميركا الشهيرة تجمع المندوبين من امم الارض لنشر الدعوة الاسبرانتية . وقد كان موعد انعقاد آخر المؤتمرات الدولية قبل الحرب في باريس سنة ١٩١٤ فلم يلتئم حينذاك بسبب نشوب الحرب ولكنه كان قد سجل اسماء ٣٦٠٠ مندوب من ٣٥ امة . واليك شرحاً موجزاً لهذه اللغة

الفاظها — قد توخوا في اختيارها قربها من اصول الالفاظ الشائعة في لغات اوربا على ما تقدم . فاشتقوا معظمها من اصل لاتيني وبعضها من اصل جرماني او يوناني . ورموا الى تقليل عدد الالفاظ بحيث لا تزيد الاصول اللفظية على بضع مئات يمكن التعبير بها عن كل ما يخطر في البال . والسر في ذلك انهم اصطلحوا على ادوات اذا اضيفت الى اول الكلمة او آخرها غيرت معناها تغيراً يمكن اطلاقه على مجموع كبير من الالفاظ — مثال ذلك ان الاداة mal اذا سبقت الكلمة جعلتها تدل على عكس معناها الاصلي فعندهم مثلاً granda كبير و malgranda صغير و eto تزاد في آخر الكلمة للتصغير فمعنى Konab عندهم صبي و Konabeto صبي صغير . وعكس ego eto فانها للتكبير و ido بمعنى ابن فيقولون cevalo حصان و cevalido مهر وقس على ذلك امثلة كثيرة

تهجئتها — بسيطة لا تحتاج الى حذف ولا ابدال . فالحرف الواحد له نطق واحد حيثما جاء وليس في الكلمة حرف لا ينطق به وعبروا عن الاحرف المركبة في اللغات الافرنجية بحرف واحد فوقه علامة تدل على لفظه . وكذلك الاحرف التي يختلف لفظها باختلاف موقعها من الكلمة . فالحرف g يختلف التلفظ به باختلاف موقعه قبل u, a, o أو e, i فصاحب لغة الاسبرانتو ميَّز بين النطقين بعلامة كالثمانية توضع فوق الحرف فتدل على انه يلفظ ليناً . فحرف g بدون علامة ينطق قاسياً كالكاف الفارسية وبالعلامة ينطق كالجيم العربية في لغة أهل الشام ومثله حرف h يلفظ هاء أو لا يلفظ . وقس على ذلك الحروف المركبة فانهم استخدموا حرف s وفوقه تلك العلامة بدلا من sh الانكليزية أو ch الفرنسية . واستبدلوا tch بحرف c فوقه العلامة المذكورة وأهملوا لفظ c كافاً وعوَّضوا عنه بحرف k

قواعدها — على أن اهم ما وضعوه من أسباب التسهيل انما هو في قواعد اللغة فقد التزموا فيها البساطة والاختصار على قدر الامكان وجعلوها قياسية بلا شواذ ولا استثناء فعندهم للتعريف اداة واحدة la سواء كان الاسم مذكراً أو مؤنثاً مفرداً او جمعاً فهي مثل ال التعريف العربية تماماً . والاسم ينتهي دائماً بالحرف o مذكراً كان او مؤنثاً . والجمع يصاغ بزيادة j في آخر الكلمة . فعندهم patro أب و patroj آباء و patrino أم و patrinoj أمهات . والنعت ينتهي دائماً بحرف a والجمع aj مهما يكن الجنس . وهو يصاغ كذلك من الاسم فعندهم patra ابوي و patrina أمي وكلاهما يجمعان باضافة j في الاخر . والظرف يصاغ بزيادة e بدل a في النعت فيقولون patre ابويا . واليك أمثلة من الفاظها :

أمثلة من الاسماء		أمثلة من النعوت	
عائلة	familio	كبير	granda
جد	avo	جيد	bona
اب	patro	شاب	juna
ابن	filo	جميل	bela
اخ	frato	حر	varma

أمثلة من الافعال		أمثلة من الاحرف	
الكون	esti	الى	al
القدرة	povi	في	en
الواجب	devi	على	sur
العمل	fari	تحت	sub
الزيادة	kreski	من	de

وفي مدينة جنيف اليوم مجمع اسبرانتي دولي تأسس في سنة ١٩٠٨ وله في معظم المدن المهمة مندوبون يعملون على نشر الدعوة الاسبرانتية وقد بلغ عددهم سنة ١٩١٤ نحو ١٢٦٠ مندوباً . على ان هذا العدد قد نقص الى ٦٥٠ بسبب الحرب . وقد كتبت باللغة الاسبرانتية مؤلفات عديدة تعد بالمئات وترجمت اليها تصانيف مشاهير الكتاب امثال فرجيل وشكسبير وراسين وموليير وهوجو وفولتير الخ .. وتصدر بها ٣٥ مجلة في ستة عشر قطراً من اهم اقطار العالم

الايدو وليدة الاسبرانتو

على انه بالرغم مما نالته هذه اللغة من الشهرة والانتشار فان نجمها في افول ولا سيما بعد ظهور اللغة الايدية ido . ولا بد في هذا المقام من بسط الاحوال التي نشأت فيها هذه اللغة الجديدة وهي ليست في الحقيقة الا وليدة الاسبرانتو

لما كان معرض باريس الدولي سنة ١٩٠٠ شعر مندوبو الامم وممثلوها الوافدون من أقطار العالم بمساس الحاجة الى لغة يتفاهمون بها ويتخاطبون في الشؤون التي اتوا من أجلها . ولم تكن اللغة الاسبرانتية في ذلك العهد قد اشتهرت فعينوا لجنة منهم لدرس مسألة اللغة الدولية وابداء رأيها في أي اللغات الدولية المعروفة أصلح من اخواتها . وظلت اللجنة تجتمع مدة ٧ سنوات وأخيراً عينت لجنة فرعية مؤلفة من عشرة من كبار العلماء (اثنان من الانكليز و ٤ من الفرنسيين و٢ المان و١ روسي و١ ايطالي) لدرس الموضوع والبت فيه من الوجهة العلمية . فكان قرار العشرة على اتخاذ لغة الاسبرانتو لغة دولية ولكن بعد تعديلها وتحويرها وفقاً لتقرير المركيز لويس دي بوفرون . وتمتاز هذه اللغة التي سميت بالايدو عن أمها الاسبرانتو بمزات عديدة منها :

١ ـ انها طبقت مبدأ « اختيار أعم الالفاظ في أعم اللغات » بطريقة علمية أتم واوفى من طريقة اللغة الاسبرانتية

٢ ـ انها اغنى من الاسبرانتو فهي تشتمل اليوم على ٨٢٤٦ كلمة مجردة في حين ان اصول الاسبرانتو لا تزيد على ٢٦٠٠

٣ ـ الادوات التي تضاف الى اوائل الكلمات واواخرها لتغيير معناها تزيد في الايدو عنها في الاسبرانتو بنحو ٢٥ اداة مما يجعلها أقدر على التعبير عن المقصود

٤ ـ تهجئتها اسهل والين وهي تشابه من هذا القبيل تهجئة الايطالية

٥ ـ تستغني الايدو عن الاشارة المشابهة للثمانية التي اصطلح على وضعها فوق بعض الحروف على ما تقدم شرحه . فبهذه الطريقة أصبح طبع الكتب بها متيسراً في جميع المطابع وصار من الممكن استعمالها لارسال التلغرافات

كل هذه المميزات جعلت الايدو متفوقة على الاسبرانتو . لكن هل يا ترى تعم هذه اللغة وتصير دولية بالفعل ؟ هذا ما لا نستطيع الاجابة عليه اليوم وعلى كل حال فليس بين نواميس العمران ما يجعل هذا الامر مستحيلاً وان لم يسبق حدوثه

وفي الختام نورد للقراء على سبيل المثال فقرة صغيرة بهذه اللغة يسهل فهمها على من له إلمام باللغات الاوربية :

Certe nul homo [illegible] povas refuzar [illegible] di sincer admiro a la granda progresi establisita per la vapor-navigado, la fervoyi, telegrafo, fonografo, bicikleti, automobili ed aeroplani. Ma on regretas ke tante bel inventuri ne donas la perfekta klefo di l'internaciona komuniki

---

من ادارة الهلال

﴿ الاشتراكات الجديدة ﴾ نظراً لنفاد الاجزاء الماضية من هذه السنة تبدأ الاشتراكات الجديدة من هذا الجزء (السابع) اي تكون عن النصف الباقي من السنة

﴿ المكاتبات ﴾ الرجاء الفصل بين المكاتبات الخاصة بالمطبعة والادارة والمكاتبات الخاصة بالتحرير

فالاولى تعنون باسم « مدير الهلال »

والثانية باسم « محرر الهلال »

الوردة والأمل

Sonnet

تشبه الوردةُ في أشوا كها أملاً ينبت بين الحادثاتْ
يعقد الكم فيسقيه الندى ويغذيه التراب الحاضنُ
ويواليه الضحى نوراً كما تبعد الاوضار عنه النسمات
فاذا ما فتح الكمَّ بدا في محيا الروض خد فاتن

***

هكذا في النفس يبدو أمل بعد ان تشتد فيها النكبات
يطرد الهم بلطف دائباً وبه يقوى الضعيف الواهن
مثل خيط الفجر يبدو نوره ثم ينمو ثم يجلو الظلمات
فاذا الصبح وما في الصبح من راحة فالقلب ساج آمن

***

ويظل الورد في روضته باسماً يملي على الطير الغنـ
ويسري كل هم شكله بهج لوناً يقر الاعينـ
طاهر يوحي الى القلب شذا كان طهراً ثم منـه فقد

***

وكذاك النفس في راحتها لا يدانيها اضطراب وقلق
تفعل الخير لفعل الخير لا للمباهاة به يوم السبق
وتوالي حسنات كلها ارج باق وان طال المدى

خليل شيبوب

اصل العرب والساميين

بحث علمي

[الهلال] ان البحث في أصل الاجناس البشرية من أهم الابحاث العلمية والتاريخية ولكن آراء العلماء فيه متضاربة متباينة . وقد أتحفنا الكاتب الاديب سلامه افندي موسى بهذا المقال وضمنه رأياً جديداً في اصل العرب والساميين فعسى ان يفتح به باب الاخذ والرد بين علمائنا بغية استجلاء هذا الموضوع العظيم الشأن

كان العلماء يقسمون الناس الى جملة شعوب تبعاً لألوانها المختلفة ونتوء الفكوك او غؤورها . أما الآن فالرأي السائد يقول بتقسيم سكان هذه الارض الى شعبين اثنين أحدهما مستدير الرأس وهو الشعب المغولي واكثر انتشاره في آسيا ومنه الشعوب القديمة في اميركا واستراليا . وثاني هذين الشعبين هو المستطيل الرأس أي الآري واكثر انتشاره في اوربا وافريقيا واميركا الحديثة

والذي حدا بهم الى هذا التقسيم هو ما استقروا عليه مؤخراً من عدم التعويل على اللون لقلة ثباته باعتباره سمة بشرية . لان البشرة الانسانية سريعة التأثر بالضوء تكتسب اللون منه بمقدار اشتداده وتفقده بمقدار ضعفه . فالصينيون الذين يعيشون في شمال بلاد الصين بيض لا يقل بياض لونهم عما هو عند الاوربيين ومع ذلك فهم مغول قد استوفت فيهم شروط المغولية من استدارة الرأس واستقامة الشعر الخ

وقد استعمر الوندال وهم قبيلة المانية شمال أفريقيا ثم اجلاهم السكان عنها فنزحوا الى الجنوب وامتزجوا بقبائل البوشمان السود ولا تزال بين البوشمان الفاظ المانية تدل على امتزاج الوندال بهم ولكن لم يترك المناخ الافريقي من بياض بشرتهم القديم اثراً يدل على ما كان عليه سابقاً

فاللون يتأثر من المناخ ولا عبرة به لذلك في تقسيم الشعوب وانما المعول الان على شكل الرأس فهو اما مستدير او مستطيل لان عظم الرأس لا يتأثر بالمناخ

وربما كان الشعر من حيث النسيج لا من حيث اللون سمة انسانية تلي الرأس أهميـة في تقسيم الشعوب . فشعر المغولي مستقيم لا يتموج ولا يتجعد بخلاف الشعر الآري فانه يتموج بل يتجعد أحياناً

ووجود رؤوس مستديرة في أوربا لا يطعن في صحة هذا التقسيم . لانه وان كان وطن المغول آسيا ووطن الآريين أوربا الا أن تعدد المهاجرات قديماً بين آسيا واوربا من كل من الآريين والمغول أمرٌ قد أثبته التاريخ . فالمجر مثلاً مغول يسكنون اوربا والفرس والهنود آريون يسكنون آسيا وبين الافغان رشاش من الرؤوس المستطيلة كما بين الاوربيين — خصوصاً في الجنوب — رشاش من الرؤوس المستديرة

فاذا نظرنا الى الساميين على وجه العموم وجدناهم مستديري الرؤوس لا قماحد لهم (جمع قمحدوة وهي الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القزال خلف الاذنين ومؤخر القذال) وهذا فضلاً عن استقامة شعورهم اذ هي لا تموج ولا تتجعد

ولا يمكن ان تنكر ان السوريين قد امتزجوا قليلاً بالاوربيين ايام الدولة الرومانية فان « الاميين » الذين ذكروا في الانجيل والذين كان يقصد بهم جميع من لم يدن باليهودية لم يكونوا كلهم ساميين بل كان منهم اغراب كانوا على الارجح آريين . ناهيك بتأثير الحروب الصليبية فانها كانت عاملاً مهماً في تلقيح الدم السوري بالدم الاوربي. على ان هذا الامتزاج لم يغير شكل الرأس السوري فهو هو كما كان أيام الفراعنة . ومن هنا يمكن تعليل الشبه الموجود بين الوجه السوري والوجه الاوربي الجنوبي واستعداد السوري لقبول تمدن جنوب اوربا

والرأس العربي أقل استدارة من الرأس السوري ولكن الشعر لا يزال مستقيما وليس للعربي قمحدوة تذكر والاغلب على الظن ان العرب قد اختلطوا في زمن ما بالاحباش

يتبين من ذلك ان شكل الرأس شاهد اثنولوجي على اصل الساميين المغولي لا يمكن اهماله أو عدم الاعتداد به

وهناك شواهد اخرى أقل اهمية واكثر تعرضاً للخطأ اذا اعتبرناها مفردة شاهداً بعد آخر اما اذا اتفقت كلها على قرار واحد كان لنا منها برهان ترجيحي على ما نثبته

فمن ذلك ان اللغات السامية ومنها اللغة العربية لا تمت بصلة ما الى اللغات الآرية فجميع الفاظها مثلثة وهي في ذلك تشابه اللغات المغولية . ولا نزاع في أن جهلنا هذه اللغات يوقفنا موقف الشك في معرفة أصلها . ولكن أليس من الغريب ان نشترك نحن واليابانيون وهم أقصى أمة مغولية بالنسبة الينا في ضمير « انت » ؟

وهل يقنعنا القول بان الصدفة هي أصل هذا الاشتراك ؟

واذا اعتبرنا العادات الشائعة بين المغول وبين العرب وجدنا انهما يشتركان في عادتين لا يمكن لنا تأويلهما بعامل الصدفة

فالعادة الاولى هي انحطاط شأن المرأة انحطاطاً لا يمكن انكاره ولا مثيل له عند الآريين . ويكفي أن نعرف الحجاب عند العرب ووأدهم البنات وقسر المرأة في الصين على الاحتذاء باحذية من خشب أو حديد لتمنع نمو قدميها ومركز المرأة الحاضرة في اليابان على الرغم من تقدم هذه الامة

والعادة الثانية هي الحداد على الموتى بلبس الملابس البيضاء عند قدماء العرب وبقاء هذه العادة عند الصينيين للآن

ثم اذا اعتبرنا القصص القديمة في الاساطير الدينية وجدنا منها ما يدعم دعوانا في اصل الساميين المغولي . فالقصة الشهيرة التي نشرها الساميون في العالم – قصة ادم وحواء – هي في الواقع اسطورة اسيوية لم يعرفها الآريون مع ان المغول عرفوها قديماً . ولا تزال لفظة حواء عند سكان جزر بولينيزيا في الجنوب الشرقي من آسيا تدل على معنى المرأة او الضلع والتوراة تثبت ان حواء كانت قبلا ضلعاً من ضلوع ادم . فبقاء اللفظة بهذين المعنيين في جزر بولينيزيا مع انه ليس لها غير معنى واحد – معنى المرأة ام البشر – في اللغات السامية يدل على ان هذه القصة نبتت بين شعب مغولي

فهذه الشواهد اي العادات واللغات والاساطير تقدم لنا دليلا ترجيحياً على اشتراك الساميين والمغول في اصل واحد – ناهيك بالشاهد الاتنولوجي الاكبر وهو استدارة الرأس فان هذه الاستدارة تقطع باشتراك الاصل

هذا واني أدعو الكتاب الى بحث هذا الموضوع فعسى ان يتحفونا بآرائهم على صفحات الهلال

سلامه موسى

من أقوال افلاطون

في الانسان أربع طبائع العقل والهوى والشهوة والعفة . فالعقل يعاتب الهوى والهوى يقاتل العقل والعفة تعاتب الشهوة والشهوة تقاتل العفة والانسان مسلط على مشيئته فمن عمل خيراً جوزي به ومن عمل شراً كوفىء عليه

مملكة الشياطين

اصطدام المبادىء ونشوب الحرب

ان الامم الضعيفة الخاملة النائمة في ظلال السلم يجب ان توصف لها الحرب كدواء ناجع

متى هلك الضعفاء ارتقت البشرية فما علينا الا ان نساعدهم على الفناء . . .

فريدريك نيتشه

علينا أن ننتظر بصبر ذلك اليوم الذي فيه يرقى الجنس البشري الى درجة تمكن الحكومات من هدم السجون والغاء الجندية

لا تقابل الشر بالشر . .

الفيلسوف تولستوي

جلس بعلزبول زعيم الابالسة ذات يوم وحوله جماعاتهم وقد اطرقوا الى الارض خاشعين ، صامتين . . .

ولم يمض على هذا السكون هنيهة حتى حان الوقت ليتفرق الابالسة في اقطار العالم طولاً وعرضاً . غير ان بعلزبول أوقفهم باشارة منه ووقف فيهم خطيباً وفتح فاه وتكلم بصوت دوى كأنه هدير البحر فقال :

كلكم تعلمون ما آلت اليه دولتنا في هذا الزمان . لقد اصبحت هذه المملكة الشيطانية على وشك الاضمحلال ، ويخال الي انا اذا أغفلنا أمرنا سنرى ظل مملكتنا متقلصاً رويداً رويداً . تذكروا عظمة أجدادنا السالفين واذكروا تلك الاعمال التي قاموا بها وقابلوا بينها وبين جمودنا و انحطاطنا الآن تروا ان البون شاسع والفرق عظيم . ان التعليم الفلسفي الحديث ، ومبدأ المدنية الجديد ، قد اوشكا ان ينتصرا علينا الانتصار الاخير ويقضيا على نظامنا ، ويجعلا هذا العهد آخر عهد لمملكة الشياطين...
اين الشرور التي اقترفناها سابقاً ؟ كم قبض عزرائيل ورجاله من النفوس التي رميناها بسهامنا عن قوس الضرر المطلق ؟ أين حروب ترواده واسبارطة ؟ أين حروب اثينا وارويه ؟ أين وقائع ماريئوس وانيلا ؟ أين عهد نيرون الهائل ؟ أين ... أين ... ؟
انظروا هذا تاريخ العالم ابي الدهور . اقرأوا بين صفحاته اعمالنا العظيمة التي قمنا بها منذ سقط آدم من الفردوس وقتل قايين أخاه هابيل حتى أواسط القرون الاخيرة . فمنذ ابتداء الخليقة وسلسلة شرورنا متصلة الحلقات ، فما لنا الآن وقد اخذنا نتراجع الى الوراء خاملين ؟

لا انكر ان للتعاليم التي علمها الانبياء يداً في هدم كيان مملكتنا وتقلص ظلها .. فحمورابي وضع الشرائع للاشوريين فجاءت دواء داحضاً لتعاليمنا وترياقاً لسمنا ، وموسى جمع بتعاليمه بين حقوق الفرد وحقوق المجموع وبين واجبات الدين برباط متين ، جاء فقيد شعبه بقيود وشروط كانت متينة العرى ، محكمة الوضع ، فجمع شتاتهم وكان السلام رائدهم . وكنفوشيوس فيلسوف الصينيين ضرب اغراسنا بفأسه ضربة قوية ولم تزل تعاليمه حتى الان تبث روح المحبة والالفة بين قومه . وبيدبا الفيلسوف لم يكن أقل غيرة على التعاليم السامية التي علمها للهنود فعرفهم سبيل الحياة بطرائقه البسيطة المعروفة . ويسوع رسول السلام ظهر في العصر الروماني فاجتاز العقبات التي أقمناها في سبيله . كم مرة أردنا ان نوسوس له فلم نستطع ؟ ألا تذكرون كيف تمثلنا له على الجبل وهو يصلي وقلنا أسجد نعطك العالم ملكاً لك فلم يفعل ؟ وفي الهيكل قلنا له : قل للحجارة فتصير خبزاً ، فقال : ليس بالخبز وحده يحيا الانسان. بالسلام ساد وبالسلام بشر. وهكذا رسله من بعده طافوا في البراري والقفار، بين كهوف الارض معذبين ، ممقوتين ، مرذولين . جرد أمامهم السيف ، زجوا في أعماق السجون ، فلم تكن تلك الزعازع الا لتزيدهم نشاطاً في نشر تعاليمهم السامية في اقطار العالم قاطبة

وهذا محمد نبي الاسلام العظيم جاء والعرب يقتتلون ويعبدون الاوثان ، ويقيمون الانصاب ، ويذبحون القرابين للآلهة الصماء ، فوحد كلمتهم وعرفهم الاله الواحد وسار بهم في طريق المدنية حثيثاً ، فهؤلاء كلهم ضربوا على الشجرة التي طالما رجونا نماءها بكل صبر ووقفت تعاليمهم في سبيل تقدم مملكتنا الشيطانية ، ووضعوا حاجزاً كبيراً بين الشر والخير . ان تعاليمهم لم تزل تنمو حتى فصلت بين ازمنتهم وازمنة التاريخ التي كان فيها للشر المقام الاسمى . . . لهذا قد فشلنا .. هل نسيتم تولستوي فيلسوف الروس الذي قام بالامس يضرب على وتر السلم ويأمر بهدم السجون ، وتخفيف آلام الحكم بان يسود السلام العالم ويكثر الخير وينمو . هذا والجمعيات الاشتراكية في ازدياد تنشر تعاليمها بكل همة ونشاط . ولربما بلغكم خبر تشكيل محكمة لاهاي

وما ادراكم ما هي محكمة لاهاي ؟ هي السبيل الوحيد الى قمع الشر وصون السلام وترك السيوف تصدأ في اغمادها ، هي القضاء على مبادئنا العظيمة ، فيا لخيبة الآمال ، ويا لخسارة المساعي التي بذلناها وبذلها . ماذا نعمل الان ؟ واي طريق نسلك ؟ ها

انكم كلكم بطالون . ويخال الي انا اذا بقينا على هذا الحال سيزداد عدد العمال العاطلين بيننا ازدياداً فاحشاً فيتلبد جو السياسة الشيطانية . فكروا بحالتنا جيداً وتعالوا نندب سوء حظنا ..

وما اتم كلامه حتى اثر بارواحهم ، وفعل بعواطفهم فانهالت الدموع من الاعين وزفرت الصدور ولو ان مياه البحر جمعت لم تطفىء حر هاتيك القلوب

وكان بعلزبول قد اجهد القريحة وفكر في امر ذي بال فنظر اليهم كأنه يسألهم ان يكفوا عن النحيب فتطالت الاعناق للاستماع فقال :

لا يملكن الروع قلوبكم ، ولا يأخذنكم الفتور ، لقد فكرت في امر فيه خير مملكتنا واصلاح احوالنا . انكم لا تزالون تذكرون تلك الافكار التي اوحيناها الى فلاسفة الالمان في هذه العصور الاخيرة ولا شك في ان البذور التي زرعها هؤلاء قد وجدت ارضاً صالحة لنمو تعاليمنا . هلموا ننتظر حصاد ما زرعناه بايدي فلاسفتهم . ألم تسمعوا فريديريك نيتشه يقول لقومه وللعالم : « ان الامم الخاملة العائشة في ظلال السلم يجب ان توصف لها الحرب كدواء ناجع » ويقول : « يجب ان يفنى الضعفاء ولنساعدهم على الفناء . ليس اقوى من الحرب فهي تطهر الارض من الضعفاء » وهذا « برناردي » و « تريتشكي » الالمانيان ينشران نفس هذه المبادىء بايعازنا فيقولان للالمان : انكم اعظم عنصر في العالم ، المستقبل لكم ، ابيدوا كل من يقف في سبيل سيادتكم الى آخر ما هنالك . اذاً فلا بد من الحصاد . ثم تحمس وقال :

رويدكم ايها السلميون ! ان الشيطان سينتقم والانتقام عظيم ، رويدكم فاصبروا أني جالب على الارض شراً عظيما وجاعل عماركم قاعاً بلقعاً ... يا غربان الجو استعدي للنعيق فوق الاطلال ، ويا نسور الفلاة سوف تلقين جثثاً مكدسة بعضها فوق بعض فتأكلين هنيئاً مريئاً

ثم زاد على ذلك : هلموا للحصاد . اسمعوا غليوم ملك الالمان يقول : ان الاشتراكية سحابة صيف عما قليل تنقشع . المستقبل لنا نحن الالمان . ان الاوقيانوس سيثبت للعالم انه لا يتم شيء على متن بحاره وفوق امواجه دون رأي المانيا وامبراطور الالمان

وتراءى الشيطان لغليوم بالحلم وكلمه قائلاً : غليوم ! غليوم ! أني معطيك الارض اذا خضعت لاوامري . تقلد سيفك أيها القوي وقاتل وامتلك . تأمل في مجد هذا

العالم انه لك ان أصغيت لاقوالي . غليوم ! يا صديقي الوفي ! في ما أريده لك خير لمملكتك ومملكتي . . أأنت أقل درجة من الاسكندر ؟ أكان نابوليون أعظم منك يا سليل المجد ويا ملك العرش المفدى ؟ لأنت تخضع كل الشعوب . أمامك يخرون سجداً ، ولك يعظمون طائعين . سيفك لامع مسلول ، بندقيتك لا يعرفها الصدأ . أساطيلك قوية هائلة ، جنودك شجعان أقوياء لا يحصى لهم عد كرمل البحر ... قم . انك لفائز بحرب تثيرها . . .

فنهض غليوم في اليوم التالي وقد أثرت به هـذه الرؤيا فصاح صيحة دوت لها أرجاء العالم وقبض على سيفه وقام يسعى بالتجنيد قائلاً : لا نرجع السيف الا والعالم قد فني . فالويل للمغلوب . . .

وكان بعلزبول قد ساعده على عقـد اتفاق مع حبيبها « فرنسيس يوسف » وهكذا جردت السيوف من أغمادها وأعدت المعدات لحرب عظمى لم يرو التاريخ مثلها وحدثت المعارك وابتدأ الانسان يقتل أخاه الانسان وجرت الدماء كالانهار ، والشيطان وغليوم وفرنسيس يوسف ينظرون من بعيد ... ومادت الجبال، وخرج الدخان من جوف الارض وغطى وجه السماء بطبقة كثيفة وتزلزلت الارض وسمع صوت العويل والنحيب . . . كأن قد نفخ في الصور ؟ ونبشت القبور ، وحلَّ يوم النشور ... فرفرف اذ ذاك بعلزبول بجناحيه وطار في الفضاء وجمع زمر الشياطين وجلس يطرب ويرقص بحبور وقد لف ذنبه مع أذناب الابالسة ونادوا بصوت دوى كأمواج البحر :

الأبواق ! الأبواق ! لقد بنيت مملكة الشياطين . . .

الاسكندرية نقولا شكري

حكم

من طلب الى لئيم حاجة كان كمن طلب صيد السمك في المفاوز

اذا ظهر الحيف في الامم فانتظر السيف من امم

اذا زادك السلطان اكراماً فزده اعظاماً

اياك ان تكون ممن يقول بالعقل ويعمل بالهوى

اياك وكل جليس لا يفيدك علماً ولا تصيب منه خيراً

بين شاعرين

دولة الشعر تعس الدول !

أخي حليم

هذه قصيدة نظمتها نادبا حالة الشعر والشعراء !

وقد وجهتها اليك منتظرا منك جواباً عليها احفظه عندي تذكاراً منك قبل مغادرتي زحلة الى ربوع البرازيل . . .

فاما تبكي معي . واما تؤاسيني !

وعلى الحالتين : فان الدمعة التي ستذرفها. اوكلمة المؤاساة التي ستبعثها . ستكون عقد جواهر أقلبه ممعجاً طرباً . وأنشودة مرقصة أتغنى بها على مر الأيام . وهذه هي القصيدة .

يا لهُ في الرجال من رجل خافق القلب ساهد المقل

يلعب الوجد في جوانحه لعبَ ريحٍ هبت على شعلِ

* * *

رقَّ روحاً ورقَّ عاطفةً فهما فيه علة العلل

علَّم الماء أن يئنَّ كما لقن الطيرَ نوحة الثكل

* * *

يعشق الحسن فهو خمرته وهو منها كالشارب الثمل

يتغنَّى بالثغر مبتسماً ويغني للاعين النجل

* * *

ذاع في الكون صيته وغدا شعره فيه مضربَ المثل

مع هذا ما زال ممتهن م القدر رهن الشقاء والفشل

* * *

غاص في أبحر القريض فمن كاملٍ وافرٍ الى رَمَل

أبحرٌ رحبة العباب ولم يغنه ما بها عن الوشل

* * *

كم بيوتٍ بنت قريحتهُ بالمعاني تزهو وبالجمل

ظنَّ فيها الغنى فما قدرت أن تقيه نوماً على السُبل

* * *

ألبس الطرس من خواطره حللا وهو معدم الحلل
وتراهُ صفر اليدين وكم نظَمت كفه عقود حُلي

***

اسكر الناس وهو بينهمُ فاقد الزهو ذابلُ الامل
همُ يتلون (آه) من طرب وهو يتلو (آهٍ) من الملل

***

انَّ هذا - وأنتَ تعرفه - شاعر الامس شاعر الازل
كان أشقى الورى بحالته وسيبقى كذا ولم يزل

***

هو أعشى ينوح مكتئباً وزهيرٌ يشدو على الجمل
هو قيس يجنُّ من ولهٍ وابن حجر يبكي على الطلل

***

حكم الدهر ان عاشيتهُ فلك البعض من شقاهُ ولي . . .
في زمانٍ يردي النبوغ ولا فرق بالشعر فيه والزجل

***

شقيت حالةُ الاديب فما انا أجفو طِرسي الى أجل
قل معي يا حليم من لهفٍ دولةُ الشعر أتعس الدول

زحلة فوزي المعلوف

الجواب

دولة الشعر أعظم الدول

وافت على غير وعدٍ وهي تبسمُ لي فريدة تنثني في أجمل الحلل
منظومةٌ أطربتني رقة وهوًى وإن تكن أسمعتني أنّةَ الملل

***

فوزي ! أراك قليل الصبر مبتئساً وفي بيانك شكوى اليائس الوجل

أتهجر الشعر والعشرون مقبلة كأنَّ في الشعر داء غير مرتحل ؟

* * *

كن تاجراً . كن كما تهوى . وخض ابداً في أبحر الشعر . لا تستغن بالوشل
فمن بسيط مديدٍ وافرٍ هزجٍ الى طويلٍ ومجزوء الى رَمَل

* * *

أين المفرُّ من الاشعار تنظمها اذا دعتك معاني الاعين النجل ؟
وكيف يمسك عن نظم القريض فتى يذيبه الحبُّ بين الغنج والكحل

* * *

لا . لا ! فما أنت بعد اليوم تاركه إن كنت في زحلة أو صرت في زُحل !
فأينما صرت تلقى الشعر مرتسماً في ناضر الغصن او في ذابل المقل

* * *

وفي النسيم . وفي الليل البهيم . وفي تلك الكروم . وبين السهل والجبل
وفي البحار . على متن البحار . وفي حسن الطبيعة والاسحار والأصل

* * *

الشعر موهبةٌ علياء ما هبطت الا على نابغٍ في وحيه عَمل
ما كلُّ من قال شعراً كان نابغة وليس كل كلامٍ مضرب المثل

* * *

الشعر أنت . وأنت الشعر . فارتفعا إلى جمالٍ بدء الكون متصل
وسرحا الطرف في هذا النظام فكم هناك من عجبٍ أو مشهد جلل

* * *

الشعرُ أنشودةُ الارواح نسكبها أشهى من الشهد بل أشهى من القبل
الشعر قيثارةُ الدنيا . وأنت لها فكيف تحطمها يأساً إلى أجل ؟ !

* * *

كم من كبارٍ بغير الشعر ما اشتهروا هزّوا النفوس بمعنًى غير مبتذل
وكم مشاهير لولا شعرهم طمست أسماؤهم وامحت في دارس الطلل

* * *

وكم كفيف أقال الشعر عثرتهُ | وكان لولاه مطروحاً على السبل
هذا المعرّي وبشّارٌ فهل ذُكرا | إلا بشعرٍ مع الادهار منتقل ؟

* * *

زُرِ الفرنجة تشهد بينهم فئة | نالت من الشعر مجداً قبلُ لم يُنل
ماذا أعدّد ؟ والاكوان ناصتة | في كل يومٍ لنجوى شاعرٍ جذل

* * *

ماذا أعدّد ؟ والتاريخ حدثنا | عن نشأة الشعر بل عن شاعر الازل
فابسم لغرّ القوافي فهي خالدةٌ | ودولة الشعر عندي أعظم الدول

* * *

ودولة الشعر نبنيها على مهل | ودولة المال نفنيها على عجل
لكن اذا اجتمعا يوماً لديك معاً | أدركت بين البرايا منتهى الامل

* * *

فسر على بركات الله مغترباً | الى البرازيل ارض الجد والعمل
وعد الينا بمالٍ زانه أدب | وانظم بدائع شعرٍ رائقٍ وقل :
(ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا | وأقبح الجهل والافلاس في الرجل) !

الشام — حليم دموس

أسباب الفشل في الحياة

درس أحدهم أسباب الفشل في الحياة فكانت نتيجة درسه ومقابلته للحوادث أن استخرج أهم تلك الاسباب وبيّن شأن كل منها بالنسبة الى الآخر كما يلي :

السبب	النسبة		السبب	النسبة	
عدم معرفة	٣٨٫٢	في المئة	اسراف	١٫١	في المئة
عدم اختبار	٥٫٦	«	اهمال	١٫٧	«
افتقار الى رأسمال	٣٠٫٣	«	منافسة	١٫١	«
اقراض بلا تبصر	١٫٣	«	احوال خاصة	١١٫٣	«
غش	٧	«	مضاربة	٠٫٧	«
فشل آخرين	١٫٧	«	المجموع	١٠٠	

التنافس البحري

أبلغ مثال لجنون الدول

ان المال اللازم لاسعاف ثلاثة ملايين طفل يتضورون جوعاً في اوربا هو دون ثمن انشاء مدرعة واحدة على الطراز الحديث

المستر هوفر الاميركي
رئيس جمعيات الاسعاف الاوربي

اذا كنت أيها القارىء لا تزال على شيء من الشك في جنون السياسة وعدم اعتبار رجالها بعظات الحرب الاخيرة فنظرة الى التنافس القائم بين الدول البحرية الكبرى على بناء الاساطيل تكفي لابادة ذلك الشك من ذهنك واستيضاح تلك الحقيقة المفجعة

فقد حسب الاختصاصيون ان بناء مدرعة واحدة من الطراز الحديث تستدعي انفاق نحو تسعة ملايين من الخيرات . وهذا المبلغ – كما قال المستر هوفر الاميركي رئيس جمعيات الاسعاف الاوربي – تكفي لاسعاف ثلاثة ملايين طفل يتضورون جوعاً في اوربا . فتأمل ! تأمل الفرق الهائل بين ما ينفق فيه المال وما كان مستطاعاً انفاقه فيه . . .

ولو كان الامر قاصراً على بناء مدرعة واحدة لهانت وطأته . ولكن الدول البحرية الثلاث الكبرى – انكلترا والولايات المتحدة واليابان – آخذة في التسابق الجدي بغية التفوق في التسليح البحري . وانه لتسابق كثير الشبه بذلك التسابق الذي قام بين دول اوربا على تعبئة الجيوش وتجهيزها في أوائل هذا القرن فادى بها الى الهاوية التي سقطت فيها

فهل من كلمة غير كلمة « جنون » تمكن من وصف هذه الحالة التعسة !

دروس الحرب الاخيرة

وأغرب ما في الامر ان تلك المدرعات العظيمة التي تكلف المبالغ المبهظة لم تقرر فائدتها في ما قد ينشب من الحروب في المستقبل . فان تطور الاساليب الحربية – بعد

اختراع الغواصات والطيارات على الخصوص ـ قد حمل كثيرين من أكابر رجال البحرية الانكليزية على المجاهرة بانه لا فائدة بعد اليوم من بناء تلك المدرعات. وأصحاب هذا الرأي يتزايدون عدداً في كل يوم وفي مقدمتهم الاميرال سير برسي سكوت. فقد لخص الفوائد التي استفادتها الدول من الحرب الاخيرة فيما يتعلق بالحرب البحرية بما يأتي :

١ لو كان لدى الالمان عند نشوب الحرب عدد كبير من الغواصات لكان النصر نصيبهم

٢ لم يستفد الالمان من مدرعاتهم في شيء.

٣ ان الوسائل التي كادت تقضي على سيطرة الحلفاء البحرية كانت الالغام والطوربيد (من الغواصات)

٤ ان بعض المدرعات الانكليزية الكبيرة الحديثة اغرقت في البحر الابيض المتوسط

٥ بعد ظهور الغواصات في البحر الابيض المتوسط لم تتمكن المدرعات الانكليزية ـ أي ما لم يغرق منها ـ من اتيان أعمال جديرة بالذكر

٦ ان اسطول المدرعات الانكليزية لم يتمكن من ضرب أحد موانىء الالمان أو دك تحصيناتهم البحرية

١٩٢١ — ١٩٢٤ — الولايات المتحدة — انكلترا — اليابان

مقابلة بين القوات البحرية الرئيسية للولايات المتحدة وانكلترا واليابان سنة ١٩٢١ (على اليسار) و١٩٢٤ (على اليمين) وقد جعل حجم كل سفينة بنسبة حمولة المدرعات والطرادات السريعة لدى كل من هذه الدول

٧ أضف الى ذلك ان أفعل سلاح في الحرب البحرية القادمة لم يستخدم في الحرب

الاخيرة – ألا وهو الطيارات ذات الطوربيد التي يمكنها قذف الطوربيد من البحر ومن الهواء

فبناء على ذلك يعتقد هذا الاميرال ومن ذهب مذهبه ان تقدم الطيارات والغواصات سوف يلاشي قيمة المدرعات الكبيرة . ولا يخفى ان كلا الطيارة والغواصة قد استفادتا فوائد جمة من الحرب الاخيرة . فان الغواصات الانكليزية الحديثة مجهزة بأكمل العدد وأقوى المدافع كما يتبين من النظر الى رسم الغواصة المنشور هنا فانها تحمل مدفعاً كبيراً (١٢ بوصة) ولم يظن أحد قبلاً ان في الامكان تركيب مثله على الغواصات



احدى الغواصات الانكليزية الحديثة وهي تحمل مدفعاً من عيار ١٢ بوصة

التنافس المزمع

قلنا ان التنافس اليوم قائم بين انكلترا واميركا واليابان . والظاهر ان اميركا أشد رغبة من انكلترا واليابان في تكبير اسطولها وتليها اليابان

أما انكلترا فالظاهر الى اليوم انها لا تود تكبير اسطولها . وقد نشرت مجلة « سينتفك اميركان » مقالة قابلت فيها بين قوات الدول الثلاث في الوقت الحاضر وفي سنة ١٩٢٤ اذ تكون المشروعات الحربية المقررة قد نفذت كلها . وقد اعتمدنا عليها في الارقام المنشورة هنا

فهاك جدولاً يبين ما في الاساطيل الثلاثة من المدرعات battleships والطرادات المدرعة battle-cruisers اليوم وفي سنة ١٩٢٤ . (ولا يخفى ان هذين الصنفين من السفن الحربية هما قوام الاساطيل وعليهما كان الاعتماد الاكبر الى هذا الوقت)

الدول	سنة ١٩٢١		سنة ١٩٢٤	
	عدد السفن	حمولتها بالطن	عدد السفن	حمولتها بالطن
الولايات المتحدة	١٧	٤٦٧٢٥٠	٣٣	١١١٧٨٥٠
انكلترا	٣٢	٨٠٨٢٠٠	٣٢	٨٠٨٢٠٠
اليابان	١١	٣١٩١٤٠	١٧	٥٤٣١٤٠



لماذا يتسابقون ؟

صورة رمزية تبين ما بين انكلترا واميركا واليابان
من التنافس في بناء الاساطيل والحجج الظاهرية التي تتذرع بها

مختارات

لابن الشبل البغدادي

وعلى قدر عقله فاعتب المر ... وحاذر براً يصير عقوقا

كم صديق بالعتب صار عدواً ... وعدو بالحلم صار صديقا

اذا أخنى الزمان على كريم ... أعار صديقه قلب العدو

تسل عن كل شيء بالحياة فقد ... يهون بعد بقاء الجوهر العرض

يعوض الله مالا أنت متلفه ... وما عن النفس ان أتلفتها عوض

اطالة الحياة وحفظ الشباب

اكتشافات ثمينة جديدة

الشاعر : ألا ليت الشباب يعود يوماً ...
العلم الحديث : سوف يعاد اليك ايها الشاعر وما ذلك ببعيد



الدكتور كارل نابغة الجراحة

ان موضوع اطالة الحياة بلا ريب أهم المواضيع التي طرقها الانسان منذ بدأ يفكر ويستعمل أسمى قواه للمحافظة على أعز شيء لديه ألا وهو حياته . على أنه كان يتبع في مساعيه من هذا القبيل طريقة نظرية عقيمة مبنية على افتراضات يفترضها جزافاً كافتراضه وجود مادة اذا تناولها ضمنت له البقاء . فان الكثيرين من الاطباء القدماء أفنوا العمر وهم يبحثون عن هذه المادة التي دعوها اكسير الحياة فركبوا الادوية وخلطوا العقاقير وأجروا التجارب ولكنهم لم يصلوا الى نتيجة

فلما تحول الطب في العصر الحديث من الوجهة النظرية الفلسفية الى الوجهة العملية الاختبارية أنكر تلك المباحث ونبذها نبذ النواة او بالحري انكر الاساس

الوهمي الذي بنيت عليه حتى اذا ما اقيمت في السنوات الاخيرة على أساس علمي صحيح بفضل تقدم الجراحة عاد الطب فنحها رعايته وأفرها المكان اللائق بها

ان في اوربا وسائر العالم المتمدن اليوم حركة علمية عظيمة الشأن دائرة حول موضوع اطالة الحياة وحفظ الشباب وأهم القائمين بها ثلاثة من جهابذة العلم وهم : هكسلي في انكلترا وفورونوف في باريس وستيناخ في فينا . وقد دارت مباحثهم حول نقطتين رئيسيتين :

١ً استبدال الاعضاء العليلة في الجسم باعضاء سليمة مأخوذة من جسم آخر

٢ً انماء القوى الحيوية او بعثها بعد فقدها باستبدال بعض الغدد ذات التأثير



الدكتور فورونوف في مكتبه بباريس

في هذه القوى (كالغدد الدرقية والنخامية والتناسلية) بغدد جديدة قوية — أو على الاقل تقوية هذه الغدد بتطعيمها باجزاء من غدد نشيطة

١ — نقل الاعضاء

تجارب الدكتور فورونوف

اول ما يستلفت نظر الباحث في موضوع اطالة الحياة الاضاعة التي تقع في الاعضاء السليمة في الوفيات الاعتيادية اذ يموت الانسان عادةً من علة في عضو من أعضائه الرئيسية وسائر الاعضاء سليمة . فتأمل كم من الاعمار يمكن الطب اطالتها لو اتقن عملية النقل الآنف ذكرها بحيث يستطيع بسهولة نقل الاعضاء السليمة التي لم

نعد ثمت حاجة اليها من أجسام الموتى الى أجسام حية فسدت فيها تلك الاعضاء

ليس الدكتور ڤورونوف أول من فكر في موضوع نقل الاعضاء فقد سبقه اليه كثيرون غيره أهمهم الدكتور كارل رئيس معمل ركفلر واستاذ ڤورونوف سابقاً . فان هذا الطبيب قام من بضع سنوات بعمليات في هذا الصدد كان لها أعظم وقع في أندية العلم اذ نقل قلب احد الكلاب ووضعه في عنق كلب آخر ووصل أورطي القلب المنقول بالشريان السباتي من هذا الكلب بالخياطة الدقيقة وكذلك بين الوريد الاجوف والوريد الوداجي فاصبح الكلب وله قلبان يشتغلان معاً أحدهما ينبض ٨٨ نبضة في الدقيقة والآخر مئة ! وكذلك جرب نقل الكلى فاقتلع الكلية باوعيتها من كلب ووضعها في مكان كلية مثلها من كلب آخر وخاط اوعيتها بالاوعية هناك فشفيت وصارت كأنها خلقت في مكانها

اما ڤورونوف فقد واصل التجارب في هذا السبيل فتوصل الى نتائج عملية عظيمة الشأن اذ وضع قواعد طبية لنقل الاعضاء . واليك بيان ذلك نقلاً عما كتبه في مجلة « لا روفي » الفرنسية :

« ما زلت أواصل التجارب لمعرفة الاحوال التي تتم فيها عملية نقل الاعضاء بالنجاح الاكيد . فلاحظت أن العضو يضمر احياناً على أثر نقله من جسم الى جسم وتظهر عليه علامات الضعف والوهن . فاستنتجت من ذلك أن العضو المنقول حلَّ في وسط غير ملائم له . فكأن لكل جسم طبيعة خاصة ومزاجاً دموياً خاصاً فنقل العضو من وسط أعتاده الى وسط جديد امر دقيق محفوف بالاخطار الكثيرة فلكي يتم النقل بالنجاح المطلوب يجب أن يكون الوسطان متماثلين متشابهين . ولكن من أين لنا ان نقف على هذه المشابهة ؟ نقف عليها بدرس خصائص الدم وصفاته . فقد لاحظت ان الاجسام ذات الامزجة المتماثلة لها نفس التركيب الدموي بحيث انك اذا سكبت كمية من دم كلٍ منها في وعاء واحد امتزج المجموع امتزاجاً تاماً ولا يعود في الامكان تمييز بعضه من البعض الآخر في حين أن الاجسام ذات الامزجة المتباينة يتعذر مزج دمائها مزجاً تاماً فترى بعضها يتجمد وبعضها يفعل بالبعض الآخر فعل الحامض فيقتل كرياته الحمراء الى غير ذلك »

هذه نظرية الدكتور ڤورونوف في نقل الاعضاء وقد طبقها اولاً على الحيوانات

ثم اقدم على تطبيقها على الانسان فصادف النجاح المؤمل . فمن ذلك أنه من مدة خمس سنوات نقل الغدة الدرقية من والدة الى ولدها على أتم ما يرام . وتفصيل ذلك ان والدة اتته يوماً مع ولد لها عمره عشرون سنة ورضيت ان ينقل الى ابنها جزءاً من غدتها الدرقية لكي تشفيه مما به من الوهن والانحطاط العقلي والجسدي فعملت العملية وعلى اثرها أخذ الولد ينمو فزاد طوله ١٦ سنتيمتراً وتنبه ذهنه واعتدلت قامته وهو اليوم يرتزق بالعمل في احد المصانع . والفضل الاكبر في نجاح هذه العملية عائد الى ان مزاج الام مماثل لمزاج الابن فلم يتأثر العضو من انتقاله



فأر (الاعلى) تحول الى فأرة (الاسفل) بعملية اجراها العلامة ستيناخ النمساوي

وقد أجرى العلامة جوليان هكسلي الانكليزي (من جامعة أكسفرد) تجارب كثيرة من قبيل ما عمله الدكتور فورونوف

٢ — انماء القوى الحيوية

تجارب ستيناخ

من أغرب ما قام به الاستاذ ستيناخ النمساوي من التجارب تحويله ذكور الفيران الى اناث مما لا يصدقه العقل لاول وهلة . والمهم في عمليته هذه ما توصل اليه من أن الفرق في الميل الجنسي بين الذكر والانثى ناشىء عن خلايات خاصة غير الاعضاء التناسلية تسمى خلايات ليديج Leydig cells وهي كالغدد تفرز مادة خاصة يتعين بها

نوع الميل الجنسي . وقد يتفق أن شيخاً طاعناً في السن يكون أشد حيوية من شاب لم يتجاوز العشرين فالسبب في ذلك على ما يعتقد ستيناخ عائد الى حالة هذه الغدد ـ الامر الذي حمله على التساؤل فيما اذا كان من الممكن احياء القوى في الخاملين باستبدال هذه الغدد الضعيفة بغدد صحيحة قوية



فأر هرم (الاعلى) اصبح شاباً (الاسفل) بعملية جراحية اجراها فيه العلامة ستيناخ النمساوي

بدأ ستيناخ تجاربه بالفيران فاخذ فاراً طاعناً في السن وقد بدت عليه دلائل الهرم فاستبدل غدده التناسلية بغدد فأر صغير فنجحت عمليته نجاحاً تاماً وتجددت على اثرها قوى ذلك الفأر الهرم وتحول الى فأر قوي نشيط . وقد عمر بعد ذلك اطول من عمره المعتاد . ومن مدة سنتين اجريت العملية ذاتها في بعض الهرمين من الرجال

فكانت نتيجتها فيهم كنتيجتها في الفيران اي تجديد القوى وتنبيه الذهن . ومن المنتظر أن يكون لها تأثير في اطالة العمر

وقد قرأنا في مجلة نيويورك الطبية في عدد ٥ فبراير سنة ١٩٢١ تفصيل حادثة غريبة من هذا القبيل احببنا اثباتها لعظم أهميتها :

وصف الدكتور فرنك ليدستن من شيكاغو عملية اجراها في رجل امرد خامل القوى العقلية والجسدية وفاقد الشهوة الجنسية . فقد اتى هذا الرجل ـ البالغ من العمر ٣٤ سنة والذي كادت حالته تؤدي به الى اليأس من الحياة ـ الى الطبيب لتطبيبه بالطرق الحديثة . قال الطبيب : وبعد فحصه ترددت اولاً وامتنعت عن اجراء العملية بالنظر الى ضعفه وكبر سنه لكنني أخيراً اقدمت عليها مدفوعاً بالحاح اقاربه الذين تحملوا تبعتها . فبدأت عمليتي بشق كيس الخصيتين فاخرجت احداها ووضعت مكانها خصية نشيطة مأخوذة من شاب لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره كان قد مات على أثر لطمة في رأسه . وبعد مرور عشرة أيام قام المريض واخذت حالته تتحسن بسرعة فعاودته القابلية وصار يأكل بشهية فزاد وزنه ٨ ارطال وتحسن لونه وأخذ نمو شعر جسمه بحيث اصبح مضطراً الى الحلاقة كل اسبوع . وكذلك نمت قواه العقلية حتى اصبح قادراً على معاطاة التجارة لحسابه ثم شعر بالميل الى الزواج فتزوج

هذه خلاصة ما توصل اليه العلم في موضوع اطالة الحياة وحفظ الشباب . فهذه التجارب تؤملنا بانقلابات خطيرة في التطبيب الحديث بفضل تقدم الجراحة ذلك التقدم العجيب

من الحديث

ليس الاعمى من عمي بصره وانما الاعمى من عميت بصيرته

ليس من العقل الثقة بالظن

ليس لك من مالك الا ما أكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت

ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس

ليس الخبر كالمعاينة

ليس بعد الموت مستعتب

ليس في فاسق غيبة

مصنع الامة

وبرنامج التربية والتعليم

كلمة الى الامم الشرقية عموماً والى الامة السورية خصوصاً

هي كلمة اخرى اقدمها الى الغيورين المهتمين ببناء المملكة السورية الجديدة عسى أن تكون سديدة مفيدة او منبهة على الاقل الى قواعد الاصلاح الاساسية . ولعلها تصيب المرمى عند سائر الامم الشرقية الناهضة الآن والمهتمة بتكوين قوميتها وتأسيس دولتها على قواعد راسخة

وانما يحدوني الى قول هذه الكلمة اهتمام فريق من المصلحين الآن بتأسيس الدولة السورية الجديدة واقتراحهم على سائر المواطنين أن يبدوا آراءهم بهذا الشأن . فها دلوي القيه بين الدلاء . والصواب في اجماع الجمهور

أما الكلمة الاولى فقد نشرت في عدد مضى من الهلال تحت عنوان « مستقبل سوريا الاقتصادي » . وأما كلمة اليوم فموضوعها « كيف نصنع امة سورية قوية » — قوية في كل شيء حتى تستطيع أن تعيش بين الامم الاخرى عزيزة الجانب محترمة المقام ، وان تجاري التيار الاجتماعي من غير أن تزل او تعثر ، وان تأمن غِيَر الزمان وصروف الحدثان ، بل أن تتمتع بجميع حقوقها وثمرات اتعابها وتتم كسائر الامم الراقية

ان صنع الامة برمتها يستلزم صنع أفرادها أولاً . فلكي نصنع امة قوية يجب أن نصنع أفراداً اقوياء . وهذا يستوجب أن نبحث عن المصنع الذي نصنع فيه أفراد الامة الجديدة

لا يخطر على بال القارىء الا البيت والمدرسة مصنعاً للافراد . اجل أن التربية والتعليم هما مصنع الامم . ولكن أدوات هذا المصنع هي مدار بحثنا . وعلى هذه الادوات يتوقف اتقان الصنعة وحسن المصنوع . فنريد أن يكون مصنع امتنا من أحدث طراز وافضل عدة وأجود أسلوب ، حتى تكون ناشئتنا الجديدة لائقة لتكوين امة تكون منزلتها في الصف الاول من الامم الراقية الجديدة الطراز

أما التربية والتعليم الاوليان أي في البيت فلا يعول عليهما التعويل الكافي في الجيل الاول على الاقل ، لان الامهات المستعدات الاستعداد اللازم لتربية اطفالهن واعدادهم كالواجب للمدرسة قليلات جداً حتى ان المتعلمات والمستعدات منهن قد لا يستطعن القيام بواجب التربية والتهذيب على الاسلوب الحديث الذي يقتضيه مستقبل الناشئة وتستلزمه مجاراة المدنية الجديدة

فلذلك لا بد من التعويل على المدرسة وحدها في الجيل الاول او الجيلين الاولين حتى تنشأ عندنا امهات مستعدات لتربية الاطفال على النمط الجديد الذي نتوخاه ـ اذاً كل آمالنا في أول الأمر معلقة على المدرسة بالاكثر . فكيف يجب أن تكون مدارسنا التي هي مصانع رجال امتنا

لا أتعرض لكيفية بناء المدارس بحسب الهندسة الصحية ولا لطرق التعليم لان هذين الامرين ثانويان بالنسبة الى برنامج التعليم . وحسبنا أن نقتبس لهما النمط الذي اتخذته الامم السابقة لنا في الرقي . وانما أجمل مدار البحث ما يجب أن تعلمه المدارس للناشئة الجديدة . وتمهيداً لذلك أورد المبادىء الاولية التي يجب أن تجعل قاعدة للتعليم والتي ترمي الى الاغراض الجوهرية منه

المبدأ الاول : وحدة التعليم

وهو مفهوم أن المراد من وحدة التعليم ان يكون التعليم في جميع مدارس البلاد الابتدائية على الخصوص والعلمية العمومية من أهلية أو اجنبية ونحوها على نمط واحد لجميع احداث الامة على السواء وبلا استثناء وبلا اختصاص لابناء طائفة دون اخرى . والغرض من ذلك أن تسبك عقول الناشئة وأخلاقها في قالب واحد حتى تشب متشابهة في الاميال والمشارب والاذواق فيسهل حينئذٍ اتحادها القومي . والاتحاد القومي لا بد منه في تكوين امة متينة وطيدة الاساس . ووحدة التعليم هي الوسيلة الوحيدة لهذا الاتحاد الموموق

ولذلك تستلزم وحدة التعليم أن يكون التعليم الابتدائي أهلياً حتماً ، أي أن تقوم به الحكومة على نفقتها ، وتجعله اجبارياً ومجانياً وتتقاضى نفقته من ضريبة خاصة لهذا الغرض وان تقصره على تلقين المعارف الزمنية وتترك التعاليم الدينيـة لرجال الدين يلقنونه لبني طوائفهم في اليوم الخاص بالطائفة وهو كافٍ لتعليم القواعد الدينية اللازمة للاحداث . وأما التعليم العلمي العمومي فيكون أهلياً وبعض نفقاته على الطلبة وبعضه

على الحكومة ويكون اختيارياً . واما التعليم الفني فيكون على نفقة الطالب وعلى الحكومة ان تحمل منه ما تستطيع في اول الأمر الى ان تنمو المروءة في أهل الثراء فيتبرعون بمساعدته كما يفعل أمثالهم في البلاد الراقية

المبدأ الثاني : اقتباس نمط التعليم الذي اتخذته الامم الراقية

والغرض من ذلك أن يشب الاحداث على اخلاق وأميال مقاربة لاخلاق وأميال تلك الامم، حتى يسهل تفاهم الامة الجديدة مع تلك الامم

والداعي الى ذلك ما هو مشاهد من اتجاه المجتمع الانساني الى توحد الامم التدريجي . أجل ان هذه النظرية تتراءى حتى الآن بعيدة التحقيق لما يبدو من فشل بعض المشروعات الممهدة السبيل لها كمشروع جمعية الامم مثلاً ، فان فريقاً من الناس أخذوا ينعونه وهو لا يزال في المهد، لانه لم يبد منه حتى الآن ما يحقق امنية الذين يتوخونه ويدعون اليه ويؤملون منه الخير للجنس البشري. ولكن لايخفى ان فشل أي مشروع مرة او مرات لا يبرهن دائماً على عدم صلاحة المشروع . وما دامت النظرية صوابية يبقى الأمل بتحقيقها في المستقبل شديداً . لذلك لا يضرنا أن نبذل الجهد في أن نربي ناشئتنا على المبادىء التي تقربها من الامم الراقية حتى يسهل اتفاقها معها في المسائل والامور الدولية المستقبلة . بل ان ذلك يسهل لها المعاملة في الامور المعاشية

المبدأ الثالث : جعل التعليم عملياً اكثر من جعله نظرياً في التعليم الابتدائي او التعليم العلمي أيضاً

والغرض من ذلك ألاَّ يضاع وقت الاحداث في غير ما يفيدهم في المستقبل في امورهم المعاشية . لان العمر الانساني مهما طال اصبح قصيراً على مهام الحياة ولا يسع من معلومات العلم الحديث الا قسماً صغيراً . ولهذا لم يبق بد من الاختصاصية في هذا الجيل وما يتلوه من الاجيال . فالتعليم الابتدائي العام والتعليم العلمي يجب ان يكونا كذلك . واما التعليم العالي والفني فيستوفي جميع مطولات العلوم . والطالب حر في ان يختص بنوع منها ان نظرياً او عملياً كما يعجبه ويرغب فيه ، وبقدر ما له من الطاقة على نفقاته ، لانه لا يكون مجانياً ولا اجبارياً

مزايا برنامجنا الجديد

بعد بيان هذه المبادىء الاولية الاساسية لنسق التعليم اصبح جديراً بنا ان نبحث

فيما يجب ان نلقنه للناشئة الجديدة طبقاً لهذه المبادىء ولا سيما الثالث منها . ولعلك تقول : حسبنا ان نجري على الخطة التي جرى عليها غيرنا من الامم الراقية . حسبنا أن نقتبس برنامجات المدارس الاوربية والاميركية ففيها كفاية وأزيد مما نحتاج اليه من التعليم . على اني اقول اننا نحن احوج الى برنامج آخر يختلف عن برنامجات تلك الامم في بعض الامور . نحن وما زلنا وراء تلك الامم في مضمار التمدن نحتاج الى تعليم امور جوهرية جداً ربما اصبحت تلك الامم في غنى عن تعليمها في مدارسها لان احداثها يتعلمونها منذ الطفولة بالقدوة وبتأثير الوسط الراقي فيهم . اما نحن فقد تكون القدوة وتأثيرات الوسط خطراً على أحداثنا . فعلى مدارسنا ان تتكفل بدرء هذا الخطر وبتلافي تأثير القدوة السيئة والوسط المختل على الناشئة

فماذا يجب ان نعلمه وماذا يجب ان نفعله . او بعبارة اخرى : ماذا يجب ان نتوسع في تعليمه وماذا يجب ان نختصر في تعليمه اذا شئنا ان نأخذ البرنامج العام الذي نجري عليه المدارس الراقية الآن وننقحه

ما يجب اختصاره في البرنامج

أما ما يجب أن نختصره فهو كل ما هو نظري او غير عملي وضئيل الفائدة للطالب في حياته العملية العمومية . مثال ذلك اللغة وقواعدها وادابها . فحسب الطالب المبتدىء أن يتعلم مختصر الصرف والنحو والبيان بحيث لا يستغرق من وقت دراسته أكثر من عشره بل أقل من العشر . فاذا رام ان يكون كاتباً او محرراً او شاعراً او اديباً اختص نفسه بدراسة مطولات اللغة وقواعدها وآدابها في القسم الفني الخاص باللغة ، ونال البراءة الشاهدة له ببضاعته في فن الانشاء والتحرير والنظم الخ

كذلك التاريخ يكفي أن يدرس موجزه العام ، ولا يجب ان يدرس مطول تاريخ بلاده أكثر مما يدرس مطول تاريخ اليابان او اميركا مثلاً ، لانه قد لا يستفيد من تاريخ بلاده بعض ما يستفيده من تاريخ أمة كهاتين . ولذلك يكفي ان يطلع على مختصر تاريخ الامم على السواء . واذا رام ان يكون رجلاً تاريخياً طلب مطولات التاريخ في القسم التاريخي العالي وكان اختصاصياً بالتاريخ

كذا يقال في بعض العلوم الرياضية لا كلها لان جانباً منها مفيد له في حياته العملية ولا يقال مثل ذلك في العلوم الطبيعية لان هذه العلوم تمس حياته العملية مساساً

كبيراً . فبقدر ما يختصر في تعليمه العلوم الكلامية ونحوها يتوسع في تعليمه العلوم الطبيعية

ولا ريب ان الغلام يستفيد من الاطلاع على بعض أسرار الكهربائية ونواميسها وبعض خواص الراديوم مثلاً اكثر جداً مما يستفيد من أحكام نون التوكيد في قولك اخشونَّ ولا تستحنَّ . ويهمه ان يعرف نتيجة تفاعل الحوامض مع بعض المعادن كالنحاس والزئبق وما هو تركيب الصابون الكيماوي ولماذا ينظف اكثر جداً من ان يعرف المجاز المرسل والكناية والطباق والجناس اللفظي . وخير له ان يعرف ان الذبابة التي تقع على جفنه تنقل اليه ميكروب الرمد من ان يعرف ما هي النتيجة التي تنتج من المقدمتين الكبرى والصغرى

هذه أمثلة قليلة مما يجب الايجاز في تعليمه للاحداث في المدارس الابتدائية وما يجوز تجنب التطويل في تعليمه لطلبة القسم العلمي البحت المسمى بالبكلوريا

ما يجب اضافته والتوسع فيه

بقي انه يجب ان يضاف الى برنامج التعليم بعض فروع ليست موجودة في برنامجات التعليم الابتدائي عند الامم الراقية او انها موجودة فيها موجزة كل الايجاز . ونحن في حاجة شديدة الى التوسع فيها لنقص في تربيتنا العمومية . ولسد هذا النقص لا بد لنا من الاهتمام الخاص بهذه الفروع . وربما شعرت الامم الراقية في المستقبل القريب مثلنا بالحاجة العامة الى التوسع في هذه الفروع التي سنلمع اليها لان العامة اصبحت في هذا العصر مضطرة الى معرفة كل شيء يمس الحياة اليومية

اجل ان هذه الفروع تمس الحياة اليومية مساساً شديداً . وما هو أمسّ للحياة من هذه الامور الجوهرية الثلاثة ؟ —

١ — الصحة العمومية

٢ — الحقوق والواجبات القانونية

٣ — الآداب العمومية

القواعد الصحية العمومية

لا يخفى ان العامل الاعظم في تفشي الامراض والأوبئة هو جهل العامة اسباب تفشيها العمومية . وكثير من أسباب وفيات الاطفال حتى البالغين ينشأ عن جهل

وسائل التمريض والعناية بالمريض . ناهيك عن التفاف ذلك الجهل بشبكة من الخرافات والترهات التي تزيد الطين بلة . ولا حاجة للاطالة بهذا الموضوع الذي يعرفه كل فاهم

فاذا كان عامة الشعب يفهمون جيداً ان كل الامراض تنشأ عن ميكروبات مرضية تنمو في الجسم وتبث فيه سموماً قتالة ، سهلت مقاومة تفشي الامراض والاوبئة . واذا كان هؤلاء العامة بلا استثناء يعلمون قواعد التمريض العمومية، ووسائل الاسعاف المستعجلة، قلت كثيراً ضحايا الوفيات الناجمة عن التقصير او الجهل في هذين الامرين . واذا كان الجمهور كله عارفاً قواعد الصحة العمومية (الهيجين) رغب في أن يعيش المعيشة الصحية القانونية ويتوقى الامراض ، ويبتعد عن الموبقات المتلفة للصحة . وبهذه المعارف العمومية تكون للامة ناشئة قوية جسماً وعقلاً معاً

فلهذه الاسباب يجدر جداً بالذين سيضعون برنامج التدريس لمدارس البلاد ان يدونوا في المنزلة الاولى الفروع التالية في القسم الابتدائي والعلمي ايضاً

١ ـ مختصر التشريح والفسيولوجيا . والمرء احوج الى معرفة خريطة جسمه منه الى معرفة خريطة بلاده او خريطة العالم

٢ ـ مختصر الهيجين او قواعد المعيشة الصحية وطرق الوقاية . وخير للانسان أن يعرف كيف يجب أن يعيش عيشة صحية من أن يعرف تاريخ العرب العرباء والعرب المستعربين الخ

٣ ـ أصول التمريض وقواعده

٤ ـ أصول الاسعاف المستعجل

٥ ـ (وهو الأهم) مختصر البكتريولوجيا (علم الميكروبات)

كل هذه الفروع تفيد الفتى فوائد جمة في حياته وتلذ له كل اللذة . وفي الوقت نفسه اذا عم تدريسها الاحداث كانت أول العوامل في مقاومة الامراض ومغالبة منهكات الصحة ، وكانت مسهلة على الاطباء مهامهم العظيمة المفيدة

الحقوق والواجبات القانونية

من الاقوال الحكيمة الثمينة : « لولا الشريعة لم تكن الخطيئة » . ولكي تجعل امرءاً مسؤولاً يجب أن توصيه

وهو معلوم ان الحقوق والواجبات امور نسبية تختلف باختلاف الازمان

والاماكن . ولكل بلاد قوانين ، ولكل امة شرائع . ولو كان الضمير والوجدان وحدهما كافيين لارشاد الافراد الى الخطأ والصواب، والى حدود الحقوق والواجبات، لقلت الحاجة الى القضاء ومحاكمه ، ولانتفت الحاجة الى المحامين

وكثيراً ما يرتكب المرء مخالفة او جنحة او جناية وهو لا يدري . أو كثيراً ما يقع في مسأولية جريمة اجترمها غيرهُ لجهله كيفية درء المسأولية عنه . واحياناً يضيع على المرء حقه لجهله كيفية الحرص عليه او يغتصب حق غيره لاعتقاده انه حقه . ولذلك امثلة وشواهد كثيرة على ضياع الحقوق والوقوع تحت المسأوليات بسبب جهل القوانين . فلذلك يجدر أن يضاف الى برنامج التعليم الفروع التالية ، وهي لا تقل أهمية عن القواعد الصحية : —

١ ـ مختصر المبادىء القانونية العامة كمختصر مجلة الاحكام العدلية او ما يشابهها
٢ ـ مجمل قوانين العقوبات
٣ ـ مجمل القوانين المدنية والتجارية
٤ ـ مجمل الاجراآت القضائية

ومهما عرف التلميذ من هذه الفروع قليلاً كان أو كثيراً أفاده في حياته العملية فوائد جمة . ناهيك عن أن تلقين هذه المعارف الحقوقية عامل آخر لتهذيب النفس ، وتدميث الخلق ، وتقليل الجرائم

الآداب العمومية

الامم الراقية تتكل على الوالدين والقدوة العامة في تعليم الآداب العمومية . اما نحن ففي اول عهد الاصلاح لا متكل لنا في هذا الامر الا المدرسة ، لان الآداب العمومية عندنا منحطة جداً عن مستوى آداب الامم الراقية . والارجح ان انحطاطها هذا هو سبب ضعف الوطنية فينا

ولعل فريقاً من الناس يتبرم من هذا التصريح المؤلم ، وربما استنكره بعضهم وعده تهمة زورية . ولكن السواد الاعظم يسلم به . وليست المصيبة في هذا الانحطاط فقط بل في عدم الاقرار به أو في النفور من التصريح به . وقبل الاعتراف بهذه الوصمة يستحيل الامل بازالتها

فاذا قلت إننا لا نعرف الواجب في كيف نأكل ، وكيف نشرب ، وكيف نلبس ، وكيف نسافر ، وكيف نكاتب ، وكيف نجالس بعضنا ، وكيف نجلس في

قهوة ، او في ندوة ، او كيف نركب تراماً ، أو كيف نستعمل التليفون ، فقد يعدني بعض الناس مفترياً . ولكن جانباً من بني جنسي يعلم هذه الحقائق ويتألم منها

واذا كنا في آداب السلوك مقصرين هذا التقصير فما بالك في المعاملات المختلفة . فلا تسل اذاً عن ضعف ثقتنا بعضنا ببعض ، وعن ضعف قوة التضامن فينا ، ووهن مزية التعاون ، وعن سقم اتحادنا . ولا تحير في سبب تفرقنا

ان تأخرنا في الاداب العمومية هو اعضل امراضنا ، واقتل ادوائنا ، واعظم مصائبنا . فما احرانا بان نعنى عناية خاصة بتعليم احداثنا أصول الاداب العمومية وفروعها ، وان نجعل لها فصلاً خاصاً في برنامج التعليم في المدرسة ، وان نعين لها حصصاً خاصة في أوقات التدريس . واليك اهم المواضيع التي يجب تدريسها

١ ـ مبادىء الفلسفة الادبية البسيطة بحيث يفهم الطالب نشوء الحق والواجب وماهيتهما وحدودهما ، وحقيقة الفضائل ، ومعنى الوطنية

٢ ـ آداب السلوك العامة بحسب مقتضى المدنية الحاضرة

٣ ـ آداب المعاملات على اختلاف أنواعها

واذا كان السواد الاعظم منا يجهلون هذه القوانين الادبية فأنَّى لاحداثنا ان يتعلموها في غير المدرسة ؟ وثم على كبارنا أن يتعلموها من صغارنا

ربما كان بعض القراء يستهجنون برنامجاً للتعليم على هذا النحو لانه لم تنتهجه قبلنا أمة من الامم بمثل هذا التفصيل . فنحن ما لنا وللامم الاخرى . نحن نود اصلاح شؤوننا كالواجب ، وباسرع ما يمكن من السرعة حتى نستطيع ان نجاري الامم الراقية . ولهذا يجب ان نتخذ أقرب السبل لذلك وأخصرها ، وهذا ما يحدونا الى استنباط وسائل أخرى للتربية والتعليم تعجل مسيرنا في ذلك السبيل

بقي ان برنامجاً مدرسياً كهذا يستلزم وجود او ايجاد كتب للتدريس تفي بهذه الاغراض . فمتى تقرر البرنامج على نحو ما بسطنا لا يتعذر تأليف لجان من ذوي العلم والخبرة تضع كتباً وافية بتلك الاغراض . ومتى آن الاوان تنبسط في هذه المباحث . والله الموفق الى الصواب

نقولا الحداد

ألم الفراق وفرح اللقاء

[الهلال] لجلالة السلطان تيمور بن فيصل سلطان مسقط عناية عظيمة بالادب والادباء . وان العربية لتفخر بان يكون بين امرائها ذلك السلطان الرفيع الشأن الذي شمل برعايته أرباب القرائح والاقلام . وقد قام جلالته من زمن غير بعيد بسياحة في الهند فنظم له كاتبه الخصوصي الشيخ الاديب سعيد بن مسلم قصيدة معبراً عن ألم الفراق وأمل اللقاء . ولما عاد جلالته من سياحته فنظم قصيدة اخرى محتفلا بمقدمه السعيد . وهاك القصيدتان :

ألم الفراق

سيجمعنا بعد التفرق مجمع ... تظل به ورق البشائر تسجعُ
عشية يوم الوصل خلت قلوبنا ... من البشر والآماق بالدمع تهمع
فيا ليلة النعماء بالله أسرعي ... فان يد النعماء للبؤس تقمع
ويا ليلة الوجه البشوش ألا آسفري ... فانا بك الدهر العبوس سندفع
ورحماك من دهر فهل انت سامع ... تلم لنا شملاً شتيتاً وتجمع
فانك لم تبرح ملماً مشتتاً ... وتعطي على طول الليالي وتمنع
فبادر بجمع لا رعى الله يومنا ... غداة افترقنا والبواير تسرع
تجد بنا شرقاً وغرباً كانها ... سحائب من كل الجوانب تهطع
تمر على متن الحديد كانها ... زعازع والانجنين رعد ملعلع
فيا حادي الوابور ان مدامعي ... تجرح آماقي وشيكاً وتقطع
فبالله رفقاً فالقلوب تقطعت ... لدى زجرات الريل والعين تدمع
فان كنت بالحسنى ستدني احبتي ... فاني بجمع الاكرمين لأطمع
على مهل ان الجفون قريحة ... وان فؤاد الصب للريل يتبع
لحا الله يوماً آذن الدهر بيننا ... بتفريق جمع لا يكاد يزعزع
فاصبحت كالمخلوع أبكي كآبة ... اعض على كفي وللسن اقرع
عسى بجمع الرحمن بيني وسادتي ... ونغنم اوقاتاً بها العيش اوسع
ونحظى بمولانا المعظم قدره ... ابي المجد تيمور له الفضل اجمعُ
مجامع انس يحسد الدهر مثلها ... ومن مثل تيمور له الدهر يخضع
فيارب متعنا بجمع يلمنا ... ويوم يبشراه الحنادس تسطعُ

على نغمات الانس نقتطف المنـا ... ومن كوثر الافراح للشرب نكرع
فلله يوم اصبح الدهر ناطقاً ... سيجمعنـا بعد التفرق مجمعُ

فرح اللقاء

ته دلالاً أيهذا المربع ... انك اليوم المقام الارفعُ
رجع المجـد فطوبى لك من ... تخت مُلكٍ طاب فيـك المرجعُ
سجع الدهر وغنى بالمنا ... فترى الاكوان طُراً تسجعُ
اسمعتنا فطفقنا طربا ... نحسن الرقص وطوراً نسمعُ
جمع الشمل فطبنا فرحاً ... ويطيب الشمل مهمـا يجمع
طلع السعد علينا فكبا ... كل نحسٍ كان قبـلاً يطلع
يا ليوم سطع البدر به ... كانَ قِدماً في دجاها يسطع
هطع البشر علينا سرمداً ... فغدونا للتهـاني نهطع
نجتلبـه مذ تجلى ولما ... وضياء البـدر طبعاً يولع
نقطع الايام شوقاً ومنى ... ومسيس الشوق فينـا يقطع
والليالي اوسعتنـا جفوة ... يا لدهر ضـاق فيـه الاوسع
نقرع الاعداء فينا مضضاً ... كل سن ظل فينـا يقرع
صدع شمل اوسعتـه غربة ... ظل منـه كل شمل يصدع
طال ما ارفع كفي ضارعاً ... عل يوماً بالاماني يضرع
ان يوماً بالاماني مسرع ... زال بالافراح يوم امرع
دمعت عيني سروراً وغدت ... كل عين من سروري تدمع
خرت الاكوان طوعاً ركعاً ... مذ رأت نيمور ظلت تركع
بدر تم اشرق الافق به ... واستنارت من سناه الاربع
واستطارت فرحاً لما بدا ... برحاب المجد ملك اروع
واطمأن الملك مسروراً وقد ... كان بالشوق كئيباً يطلع
فهنيئاً يا بني الاوطان قد ... جمع الانس وطاب المجمع
قرت الاكوان عينـاً واستوى ... بسرير الملك قرم امنع
غصن مجد بالمعالي مورق ... ولمثـل المجد من ذا يزرع

فاشربوا كأس التهاني قرقفاً ان يوم البشر روض ممرع
وارفعوا أيدي الدعا مبسوطة ان للداعين ايد ترفع
ان ذا السلطان فينا رحمة فاشكروا المولى جميعاً واسمعوا
دم بعز أيها السلطان ما لاح برق في الدياجي يلمع
قال ارخ فتى البدر بدا قلت عد الفضل طراً اجمع

٧٤ ٩٤١ ٢١٠ ١١٤

١٣٣٩

سعيد بن مسلم



أثر تاريخي

الاكليل الذي وضعه غليوم الثاني على قبر صلاح الدين

عثرنا أخيراً على هذه الصورة فرأينا أثباتها على صفحات الهلال لقيمتها التاريخية . وهي تمثل الاكليل الذي وضعه غليوم الثاني عند زيارته للشام سنة ١٨٩٨ على قبر صلاح الدين الايوبي . وهو مصنوع من البرونز . ويوجد اليوم في متحف الحرب في لندن

معجزات فنية

امثلة عجيبة من الدقة المتناهية في الخط

يسرنا ان ننقل الى قرائنا الكرام خبر الآثار الفنية النفيسة التي صنعها أحد أبناء الشرق الذين يحق لنا أن نفتخر بهم وبنبوغهم وهو الشيخ نسيب سعيد مكارم اللبناني . فقد اتقن هذا الفاضل فن الكتابة الدقيقة اتقاناً لم يبلغه أحد قبله فتمكن من كتابة القصائد والسور ونحوها على حبات من الارز والقمح . فدلّ بذلك على



الشيخ نسيب سعيد مكارم نابغة الخط الدقيق

ان النبوغ الفني في الشرق لا يقل عنه في الغرب رغم كون الشرقي لا ينال من التشجيع عشر معشار ما يناله الغربي

وقد علمنا أن الذي حث ذلك الفاضل على اتقان فنه كان سماعه باخبار بعض أمراء الخط كابن مقلة الوزير وغيره ممن خلد التاريخ اسماءهم وما خلفوه من الآثار الجميلة فاخذ ينمي فيه ملكته ويقويها حتى تيسر له اتيان ما أتاه من المعجزات الفنية

وانا موردون فيما يلي قائمة تحوي أهم ما صنعه هذا النابغة مع شرح وجيز عن كل منها :

(١) حبة ارز قدمت الى معرض زحلة كتبت عليها ٦١ كلمة ونالت الجائزة الاولى الممتازة

(٢) بيضة الدستور المشهورة . هي من رخام بحجم بيضة الدجاج الطبيعية كتبت على سطحها الطغراء السلطانية ثم مقدمة ثم القانون الاساسي باللغة التركية ثم القانون الاساسي باللغة العربية ثم تاريخ اعلان الدستور للمرة الاولى والمرة الثانية ثم قصيدتان في الدستور والجيش ابياتهما تسعة وخمسون ثم تذييل في شرح ركوب البيضة على ظهر نسر طائر . ثم خريطة المملكة العثمانية مع اسماء امهات المدن فيها . والعقب بقي



بيضة الدستور المكتوب عليها ١٠٠٠٠ كلمة (داخل وعاء زجاجي)

بلا كتابة يسع نحواً من الف كلمة او أكثر . وجملة الكلمات التي على سطح البيضة نحو عشرة آلاف كلمة غير الطغراء السلطانية وخريطة المملكة العثمانية

والبيضة مرتكزة على لولب يدار بسهولة بحيث يستطاع قراءة المكتوب عليها من جهة واحدة والاسطر لولبية وهي قائمة على ظهر نسر طائر متوج للدلالة على

ان ملك الطير يحمله وعلى البيضة كاوب بشكلها يغطيها من الغبار وهي قائمة على شمعدان متقن الصنع . والكتابة لا تمحى وهي مكتوبة بنحو الف قلم لا يمكن ان تعرف الا انها مكتوبة بقلم واحد . والعجب فيها ان بعض حلقات الميم والهاء والواو وغيرها ظاهرة جلياً والفسحات بين الاسطر ايضاً . أما المدة التي صرفت على كتابتها فنحو سنتين

(٣) حبة قمح اهديت لجمعية الصليب الاحمر في وشنطن كتب عليها تحرير لرئاسة الجمعية شكراً لها لما بذلته من الاحسان للبشرية اثناء حرب العالم الهائلة وخصوصاً على ابناء سورية . كلماتها ١٠١

(٤) حبة قمح موجودة اليوم في متحف دمشق كتبت عليها قصيدة كلماتها ١١٣

(٥) حبة أرز موجودة اليوم في معرض بيروت عليها أربع سور من القرآن كلماتها ١١٠ والسور هي الفاتحة والاخلاص والفلق والناس

(٦) حبة أرز موجودة ايضاً اليوم في معرض بيروت عليها جملة باللغة الفرنسية كلماتها نحو ٦٥

(٧) خاتم من فضة اهدي لجلالة الملك حسين ملك الحجاز حجم فصه ٥×٦½ ميليمتر كتب عليه نسب جلالته الى جده النبي (صلعم)

(٨) خاتم من ذهب محفور على فصه الفضي قصيدة من الشعر مع مقدمة والقصيدة ستة ابيات تتضمن ٢٧٦ تاريخاً لجلوس السلطان فؤاد على عرش مصر . وحجم الفص ٧×٧ ميليمتر

والنكتة الجميلة هي ان بعض حلقات الهاء والميم ظاهرة . ولمعرفة تواريخ الابيات فمعجم كل شطر مع مهمل غيره تاريخ ومع مهمل نفسه تاريخ والمهمل كالمعجم

الى زملائنا الكرام

نرجو من الزملاء الكرام الذين ينقلون شيئاً عن الهلال أن يتفضلوا بالاشارة الى ذلك كما يقضي به واجب الصحافة

العائلة والمنزل

الامساك والاسهال عند الاطفال

في البلاد الحارة

أصبحنا على أبواب الصيف وفيه تكثر امراض الاطفال المعوية خصوصاً في بلادنا الحارة فلذلك رأينا أن نكتب شيئاً في موضوعي الامساك والاسهال ومعالجتهما

ان كثرة العرق في البلاد الحارة تنتج غالباً امساكاً عند الاطفال لان افراز العرق يقلل من سوائل الجسم فتجف افرازات الطفل وهذا يؤدي الى الامساك . ومن المشاهد أن ما تشربه الام المرضع من الماء أقل كثيراً مما يحتاج اليه جسمها . فيجب عليها أن تشرب كمية وافرة من الماء ويحسن بها الاكثار من تناول اللبن الحليب الممزوج بماء الشعير او ماء الفيشي واعطاء الماء للطفل ايضاً ليشرب من وقت الى آخر . وبهذه الطريقة البسيطة قد يشفى كثيرون من الاطفال المصابين بالامساك الذين لم تفدهم كثرة العقاقير . وهناك سبب آخر للامساك وهو قلة المادة الدهنية في لبن الام وهذا يعرف بواسطة تحليل اللبن فاذا وجد ان المادة الدهنية فيه أقل من معدلها الاعتيادي وجب أعطاء الطفل ٣ او ٤ ملاعق صغيرة من القشدة (كريما اللبن) يومياً او مقادير صغيرة من زيت الخروع من وقت الى آخر

غير ان هناك نوعاً من الامساك المستعصي يسبب ضعفاً شديداً في الطفل ونقصاً في وزنه قد لا تفيد فيه الوسائط التي ذكرناها . فهذا النوع يعالج باعطاء الطفل مسحوق جراي Grey Powder على أيام متوالية بمقدار نصف قمحة ثلاث مرات كل يوم للطفل الذي عمره شهر فما فوق . ويوجد هذا المسحوق في جميع الصيدليات . ويجب أيضاً أن تتناول الام جرعات من سلفات الصودا من وقت الى آخر

هذا فيما يختص بالاطفال الذين يرضعون . أما الاطفال الذين يتغذون بالاغذية الصناعية فمعالجة الامساك فيهم تكون أولاً بالالتفات الى نوع الغذاء الذي يتناولونه اذ قد يكون هو سبب الامساك فاذا كان وجب ابداله ، وينبغي ايضاً العمل بالارشادات

المذكورة آنفاً مع اجراء الدلك (مسّاج) على البطن مرة كل يوم . وطريقة الدلك هي كما يأتي : يبدأ من الجهة اليسرى من بطن الطفل من الاعلى الى الاسفل مدة دقيقتين . ثم يدلك البطن من يمين الطفل الى يساره دقيقتين أيضاً ثم تدلك الجهة اليمنى من الاسفل الى الاعلى دقيقتين ايضاً . ويجوز الدلك أيضاً للاولاد الذين يرضعون . أما اذا استمر الامساك وحصل تحول من امساك الى اسهال مصحوب بمواد مخاطية وألم الخ . وجب أن لا يغذى الطفل من الاغذية الصناعية بل من الالبان

ومما يجدر ذكره أن شراب الشكوريا الشائع استعماله بين العائلات لمعالجة امساك الاطفال ضرره أكثر من نفعه لان كل المشروبات السكرية تؤدي في آخر الامر الى تعفن في الامعاء وما ينجم عن ذلك من الاضرار

وفي البلاد الحارة يشكو بعض الاولاد الكبار أيضاً من الامساك وسببه فيهم على الغالب كثرة العرق الناتج عن اللعب والرياضة . وهو يعالج أيضاً بالاكثار من شرب الماء واستعمال طريقة الدلك التي ذكرناها آنفاً . وكثيراً ما نرى الامهات يمنعن اولادهن عن الاكثار من شرب الماء لاعتقادهن بضرره مع ان الامر بالعكس فعلى الام أن تشجع الولد على الاكثار من شربه في البلاد الحارة خصوصاً اذا كان يشكو من الامساك وان لا تلجأ الى العقاقير المسهلة الا عند الاضطرار

ثم ان الاسهال الذي يصاب به الاطفال في دور الرضاعة سواء كان غذاؤهم من لبن الام او من الالبان الاخرى والاغذية الصناعية يكون على انواع من خفيف وشديد وحاد ومزمن وهو في صوره هذه ليس الا عارضاً من اعراض عسر الهضم او التهاب القناة الهضمية الكثير الشيوع في الصيف بسبب شدة الحر او الخطأ في تغذية الطفل من حيث كمية الطعام او نوعه

ويبتدىء النوع الخفيف منه بقيء يعقبه اسهال من ٤ الى ٥ مرات في اليوم وترتفع حرارة الجسم قليلاً . وقد يشفى الطفل في بضعة ايام بقليل من الاعتناء والالتفات او قد يصاب بالنوع الشديد الذي سنذكره الآن وهو عظيم الخطر ويعرف غالباً باسم « كوليرا الاطفال » . وهو يبدأ احياناً كما تقدم ثم يشتد او قد يبدأ فجأة بقيء مصحوب باسهال شديد حتى يبلغ ٢٠ مرة او اكثر في اليوم فتنحط قوى الطفل بسرعة ويصفر لونه وترتخي عضلاته وتغور عيناه في وجهه وترتفع حرارته ويسرع نبضه وقد يموت في بضع ساعات . ولذا يجب الاسراع في معالجة الطفل عند اول ظهور القيء

والاسهال والغرض الاول من المعالجة طرد الميكروبات والمواد العفنة من امعاء الطفل . وهذا يكون بمنع كل غذاء عنه فلا يعطى الا ماء مغلياً لمدة تتراوح بين ١٢ و٤٨ ساعة حسب الحالة . واذا كانت حرارة الطفل مرتفعة وكان القيء مستمراً يعطى الماء بارداً بل مثلجاً بعد غليه . اما اذا كانت قوة الطفل منحطة وكان جسمه بارداً فيعطى الماء ساخناً مع نقط من الشمبانيا او الكونياك - نحو ملعقة كل عشر دقائق . ومما يساعد على تنظيف الامعاء ايضاً ملعقة صغيرة من زيت الخروع او نصف ملعقة من سلفات الصودا الا اذا كان الاسهال شديداً جداً وحالة الطفل خطرة كما ذكرنا فلا داعي اذ ذاك للمسهلات . وتوضع ايضاً على البطن مكمدات او لبخ ساخنة من بذر الكتان لتسكين المغص . واذا كانت حرارة الطفل مرتفعة يعمل له كل اربع ساعات حمام دافىء بدرجة حرارة الجسم الطبيعية او ابرد قليلاً ويمكث مدة عشر دقائق في كل حمام . اما اذا كان ضعيفاً وكان جسمه بارداً فالحمام الساخن يفيده وينعشه ولكن يلاحظ ان لا يكون ساخناً كثيراً

قلنا ان غذاء الطفل يكون من الماء المغلي ليس الا مدة تتراوح بين ١٢ و ٤٨ ساعة وبعدها يعطى ماء الفيشي او ماء الشعير (يستحضر مرتين كل يوم لكي لا يتلف) مدة يومين او ثلاثة ثم يعود تدريجياً الى الرضاعة او الالبان الاخرى المخففة بماء الشعير او الفيشي الى ان يعود الى غذائه العادي . ويجب الاعتناء التام بامر التغذية طول مدة النقه وبعدها لان امعاء الطفل تبقى زمناً في حالة من الضعف تجعلها معرضة لاضطرابات اخرى لاقل خطأ في التغذية . ومما يحسن عمله ونشير به لعظم فائدته الانتقال بالطفل حالاً سواء اثناء المرض او بعده من المدن الى الارياف او المصايف البحرية او الجبلية ففائدتها سريعة اكيدة

الدكتور ميشيل سمعان

حكم

الصحة أثمن ما تملك . فالاسكافي النشيط خير من الملك العليل - بكرستاف

بالمسرة والاعتدال والراحة لا تدع للطبيب باباً لدخول منزلك - لونجفلو

قليلة هي الامور التي تفوق في خطورتها الاجتماعية صحة النساء . وفي الامثال ان المرأة ذات البنية القوية تلد رجالاً يسنون شرائع الامم - هيجنس

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء . فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا اصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي ان تذكر مع الاسئلة اسماء مرسليها على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بحرف او بكلمة عند النشر

حق التقدم

﴿ بيروت . سوريا ﴾ ك . د .

ما هو حق التقدم وما هي النظامات المتبعة في هذا الشأن في الدول المتمدنة ؟

﴿ الهلال ﴾ ان حق التقدم هو حق مخول لبعض الامراء والاشراف وكبار أصحاب المناصب يحق لهم بموجبه التقدم على سواهم في الاحتفالات والاجتماعات الرسمية . ويختلف نظام التقدم باختلاف الامم والعصور . وقد كان لهذه المسائل شأن كبير في السياسة الدولية وطالما كانت باعثاً على الخلاف بين ممثلي الدول المختلفة في اجتماعاتهم ومؤتمراتهم مما يطول بنا شرحه . وانما نقتصر هنا ـ على سبيل المثال ـ على ذكر النظام المتبع من هذا القبيل في انكلترا . فاليك اسماء أهم الاشخاص الذين لهم فيها حق الاولية مذكورين بالترتيب حسب أهميتهم : الملك . ولي العهد . اولاد الملك الآخرون . أحفاد الملك . اخوة الملك . عموم الملك . أولاد اخوة الملك . السفراء . رئيس أساقفة كنتربري . رئيس مجلس اللوردة . رئيس أساقفة يورك . رئيس الوزراء الخ . . .

اختلاف لون العينين

﴿ بورت هورون . ميشيغن . الولايات المتحدة ﴾ ناصيف مخايل توما

في هذه المدينة فتاة في الثانية عشرة من عمرها لها عينان الواحدة سوداء والثانية عسلية اللون . فهل من تعليل لهذا الاختلاف ؟

﴿ الهلال ﴾ ان هذا الاختلاف من قبيل الشذوذ في الطبيعة ولا تعليل علمي له

عودة البصر بعد ٢٢ سنة

﴿ الاسكندرية ﴾ بانوب جبرائيل

جاء في جريدة التيمس الاسبوعية خبر غريب وهو ان زوجة بناء انكليزي أصيبت منذ اثنين وعشرين سنة بهزة عنيفة تلتها سنة من الكرى دامت ١٤ يوماً افاقت بعدها فاقدة البصر. ولكنها في مساء السبت ٥ فبراير الماضي صرخت فجأة قائلة « اني أستطيع البصر » واليوم تبصر كأنها لم تعرف العمى فكيف يعلل هذا الحادث الغريب ؟

﴿ الهلال ﴾ قد يكون السبب حصول نزيف في الدماغ، على أثر الصدمة ، عند مركز البصر فتجمّد الدم وحال دون قيام المركز بوظيفته ثم امتص ذلك الدم المتجمد مع الايام فعاد البصر . ولكن الارجح ان هذه الحالة من قبيل الاحوال العصبية الغامضة التي يطلق عليها الاطباء كلمة هستيريا . وفي هذه الحالة لم يتلف البصر نفسه وانما كان معطلا لسبب غير مفهوم . فلما زال السبب عاد البصر كما كان

طفل ذو لحية وشاربين

﴿ كونيكوك . كندا ﴾ خليل الياس

قرأت في احدى المجلات ما نصه « ولد في السادسة من عمره له شعر طويل وشاربان ولحية كالرجال موجود الآن في باريس مدينة العجائب وهو يعد من اعجب عجائب المخلوقات » وقد ارتبت في هذا الامر فجئت استطلع رأيكم فيه

﴿ الهلال ﴾ لا يبعد ان يكون الخبر الذي ذكرتموه صحيحاً ففي الطبيعة شواذ كثيرة مختلفة الانواع والطب يعجز عن تعليل امثال هذا الحادث وانما ينسبها الى الشذوذ

عدد سكان القاهرة ومساحتها

﴿ مونتي ازول . ولاية سان باولو . برازيل ﴾ منصور حنا الشقرا

نرجو ان تفيدونا عن مساحة القاهرة وعدد سكانها

﴿ الهلال ﴾ تبلغ مساحتها نحو ١٠٨ كيلومتر مربع وعدد سكانها حسب آخر احصاء (سنة ١٩١٧) نحو ٧٩٠٩٣٩ وقد كان سنة ١٩٠٧ نحو ٦٤٦٨٣٠

السمع والاذنان مسدودتان

﴿ الحلمية . مصر ﴾ ف . ا . درويش

سددت اذنيَّ ووضعت الساعة على جبيني بين الحاجبين فسمعت دقاتها واضحة. فكيف ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ يعلل ذلك بان اهتزازات الساعة قد انتقلت بواسطة عظم الرأس الى عصب السمع رغم كون الاذنين مسدودتين فان العظم موصل جيد للاهتزازات .

جزيرة يكثر فيها التوائم

﴿ كوراسو . اميركا ﴾ انطانيوس يعقوب عبود

قد لاحظت في هذه الجزيرة ان النساء كثيراً ما يلدن توأمين وثلاثة . وهذا الامر شائع هنا أكثر من شيوعه في جهات اخرى على ما اعلم . فما السبب في ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ يتعذر علينا تعليل ذلك تعليلاً قاطعاً وربما كان للوراثة تأثير فيه

الصلع المبكر

﴿ سانتا كروز . الارجنتين ﴾ محمد شريدي

ما سبب سقوط الشعر قبل اوانه - اي في الخامسة والعشرين مثلاً . وهل يمكن انماؤه ثانية ؟

﴿ الهلال ﴾ لسقوط الشعر اسباب مختلفة . فقد يكون ذلك على اثر اصابة الانسان ببعض الحميات وهو في هذه الحال ينمو ثانية على الغالب . وكذلك في بعض الامراض الجلدية . اما اذا كان من آثار الزهري فالاغلب ان لا يعود

روزفلت وتافت

﴿ اللاذقية . سوريا ﴾ محمد رمضان

متى مات الرئيس روزفلت وما سبب موته . وهل الرئيس تافت في قيد الحياة ؟

﴿ الهلال ﴾ توفي روزفلت في ٦ يناير سنة ١٩١٩ في مصيفه في اويستر باي (لونغ ايلند) باميركا وكان قد اصيب بالملاريا على اثر رحلته الاخيرة في البرازيل

فانهكت جسمه وفي فبراير سنة ١٩١٨ اضطر الى اجراء عملية خطيرة فكان ذلك مما قصر اجله . اما تافت فلا يزال في قيد الحياة وهو استاذ في جامعة يابل

اسماء الاشهر الافرنجية

﴿ حلب . سوريا ﴾ س . ك .

ما هو السر في استعمال أكثر السوريين والمصريين ـ ولا أغالي اذا قلت أكثر الشرقيين ـ التاريخ الغربي بلفظه الافرنجي مع ان لكل شهر اسماً باللغة العربية حتى مجلتكم الغراء التي ترمي الى اعلاء شأن العربية تستعمل التاريخ الافرنجي

﴿ الهلال ﴾ ليست الاسماء الشائعة في سوريا عربية الاصل بل هي سريانية أو عبرانية كانت شائعة في سوريا والعراق عند ظهور الاسلام فاتخذها عرب المشرق بالشام والعراق وما جاورها . وأما عرب المغرب في الاندلس وشمالي افريقيا فوجدوا أهل تلك البلاد يسمون هذه الاشهر باسمائها اللاتينية أو الاسبانية فاخذوها عنهم وتداولوها . وكانت مصر لا تعرف من الاشهر الشمسية غير القبطية وأسماؤها قبطية واذا قضت الحاجة على الكتاب المصريين ان يذكروا الاشهر الشمسية عن الحساب الشرقي سموها باسمائها السورية وصارت هذه الاسماء تختص بالحساب اليوناني الشرقي بالاكثر . فلما نهضت مصر في أيام محمد علي لاقتباس التمدن الحديث كان أكثر ما أخذته عن الافرنج ومن جملة النقلة في أول النهضة بعض المغاربة فغلب فيها استعمال الاسماء الافرنجية وهي اليوم غالبة شائعة يفهمها الجميع وهذا هو السبب في اعتمادنا عليها

عمر الانسان وحده

﴿ سان باولو . برازيل ﴾ سعد الله انطونيو أسعد

هل لعمر الانسان حد لا يجاوزه أو يمكن العلم اطالته الى ما شاء الله ؟

﴿ الهلال ﴾ ان الاعتقاد الراسخ في الاذهان هو أن عمر الانسان كاعمار سائر الحيوانات محدود لا يجاوز سناً معلومة . ولكن التجارب العلمية الحديثة قد مكنت العلماء من اطالة أعمار بعض الحيوانات حتى جاوزت أعمارها المعلومة . ويؤمل فريق منهم أطالة عمر الانسان ايضاً كما يتبين ذلك من المقالة المنشورة في هذا الجزء بعنوان « اطالة العمر وحفظ الصبا »

مطبوعات جديدة

مجلات وجرائد

﴿ مجلة سركيس ﴾ لا يحتاج اسم سركيس الى تعريف ولا تحتاج مجلته الى تقديم. فلقد حرمتنا الحرب من مطالعة هذه المجلة الفريدة التي كانت جليسة الادباء وسميرة العائلات فلا عجب اذا رحبنا بها وقد عادت الآن الى الظهور حاوية من النكات والفكاهات والآثار الادبية ما لا يجده القارىء في غيرها . قيمة اشتراكها في مصر ١٠٠ قرش وفي الخارج ١٢٠ قرشاً

﴿ الفلاحة ﴾ مجلة زراعية اقتصادية تصدر كل شهرين مرة موقتاً ويقوم بتحريرها فريق من خريجي مدرسة الزراعة بالجيزة بمصر . قيمة اشتراكها السنوي ٦٠ قرشاً بمصر والمخابرة مع صاحب العزة فؤاد بك أباظه صندوق بوستة نمرة ٢٠٧٤ بمصر

﴿ حيفا ﴾ مجلة أدبية فكاهية روائية شهرية تصدر في حيفا بفلسطين لصاحبها ايليا زكا ومديرها سهيل زكا

﴿ المورد الصافي ﴾ عادت الى الظهور هذه المجلة الراقية بعد أن احتجبت في سنوات الحرب منشئها الاستاذ جرجس الخوري المقدسي أحد أساتذة الجامعة الاميركية في بيروت وهي تصدر أجزاء اربعة في السنة حاملة آثار الكتاب الشرقيين والغربيين بما تدرجه من الخطب والمقالات والاشعار والنكات والروايات والآراء العصرية في التربية والتهذيب. اشتراكها السنوي ٥٠ قرشاً مصرياً في سورية وفلسطين و٧٥ قرشاً مصرياً في الخارج

﴿ Revue de Monde Egyptien ﴾ هي مجلة شهرية راقية تصدر باللغة الفرنسية في مصر لمديرها ماريوس بك شميل وتحوي مباحث أدبية واجتماعية واقتصادية لنفر من صفوة الكتاب . قيمة اشتراكها السنوي في مصر مئة قرش وعنوانها : ٨ شارع الشيخ ابو السباع بمصر

﴿ الجنس اللطيف ﴾ دخلت هذه المجلة النسائية الادبية الاجتماعية في سنتها الثالثة عشرة بعناية صاحبتها الفاضلة السيدة ملكة سعد وقد أدخلت عليها تحسيناً بيناً في جميع أبوابها فنتمنى لها دوام التقدم والفلاح

﴿ العرفان ﴾ جاءنا الجزءان الاول والثاني من المجلد السادس من هذه المجلة

التي تصدر في صيدا بسوريا وكانت قد احتجبت في بضع السنوات الماضية بسبب الحرب . وهي من خيرة المجلات الادبية العلمية وتصدر مرة في الشهر لمنشئها العلامة احمد عارف الزين . قيمة اشتراكها ليرتان سوريتان في سوريا وليرة مصرية في خارجها

﴿ النجاح ﴾ مجلة علمية أدبية تاريخية عمومية تصدر في دمشق مرة في الشهر لمنشئها الياس خليل زرنر ويحررها نخبة من العلماء والادباء . قيمة اشتراكها في دمشق ريالان وريالان ونصف في سوريا وثلاثة ريالات في الخارج

﴿ المسرة ﴾ مجلة بطريركية الروم الكاثوليك بادارة الآباء المرسلين البولسيين تصدر في حريصا بلبنان مرة في الشهر . قيمة الاشتراك في منطقة الانتداب الفرنسي ١٥٠ قرشاً وفي فلسطين وسائر الجهات ٣٥ فرنكاً

﴿ مجلة المجمع العلمي العربي ﴾ يصدر هذه المجلة المجمع العلمي العربي في دمشق مرة في الشهر . وقيمة اشتراكها ليرة ونصف سورية

﴿ الوجديات ﴾ هي مقالات خيالية الغرض من نشرها تصوير مثل عليا للحياة الفاضلة وامداد النفوس بالقوى الادبية الضرورية لها . يصدرها في مصر العلامة محمد فريد وجدي صاحب دائرة معارف القرن العشرين

﴿ النيل المصري ﴾ صحيفة تاريخية ادبية فكاهية روائية مصورة يصدرها في مصر فرج سليمان فؤاد . قيمة اشتراكها ١٠٠ قرش في السنة . عنوانها : دار المؤيد بشارع محمد علي بمصر

﴿ النسر المصري ﴾ صحيفة ادبية اجتماعية اسبوعية تصدر في مصر لصاحبها ومحررها ميخائيل بشاره داود . قيمة اشتراكها السنوي مئة قرش

﴿ الدبوس ﴾ جريدة وطنية انتقادية فكاهية اسبوعية تصدر في بيروت لصاحبها أ . ب . ن . رعد . قيمة اشتراكها السنوي ٢٠٠ قرش سوري في سوريا و ٣٠٠ في الخارج

﴿ الجامعة ﴾ نشرة مدرسية علمية يصدرها مرتين في الشهر نخبة من ادباء مدرسة الجامعة الوطنية في عاليه (لبنان) . قيمة اشتراكها السنوي في لبنان نصف ليرة سورية وفي الخارج عشرون فرنكا

﴿ يوم الرب ﴾ نشرة اسبوعية انجيلية يصدرها في القدس القسيس اسبرضومط

﴿ العراق ﴾ جريدة يومية سياسية أدبية اقتصادية تصدر في بغداد لصاحبها ومديرها رزوق داود غنام. قيمة الاشتراك في بغداد ٢٠ روبية في السنة وفي الخارج ٢٨ روبية

﴿ اللواء الطرابلسي ﴾ جريدة سياسية ادبية اجتماعية اقتصادية تصدر في طرابلس الغرب وهي لسان حال « حزب الاصلاح الوطني » وصاحب امتيازها عثمان القيزاني . قيمة اشتراكها ٢٥ فرنكاً في طرابلس و ٣٠ في الخارج

﴿ الرقيب ﴾ جريدة دينية سياسية أدبية خيالية تصدر مرة في الاسبوع موقتاً في طرابلس الغرب لمديرها محمود نديم بن موسى . قيمة اشتراكها ٢٠ فرنكاً في طرابلس و ٣٠ في الخارج

﴿ بوروبودور ﴾ جريدة عربية تصدر في جزائر الهند الشرقية الهولاندية وقيمة اشتراكها فيها ١٠ روبيات وفي سائر الاقطار ١٥ روبية

﴿ دوغرويول ﴾ جريدة تركية تصدر بقبرص لصاحبها ورئيس تحريرها احمد راشد . قيمة اشتراكها في قبرص ١٢ شلناً في السنة و ١٦ في الخارج

﴿ لسان الشعب ﴾ جريدة سياسية ادبية تصدر في تونس يوم الثلاثاء من كل اسبوع لصاحبها ومدير سياستها البشير الحنفي . قيمة اشتراكها في السنة ٢٠ فرنكاً في تونس و ٣٠ في الخارج

﴿ الارز ﴾ عادت الى الظهور هذه الجريدة التي أنشأها شهيدا لبنان الشيخ فيليب والشيخ فريد الخازن وهي تصدر يومياً في بيروت وشعارها « لبنان أولا » . قيمة اشتراكها ٦٠٠ قرش سوري عن سنة في لبنان وسوريا و ٧٥٠ في الخارج

﴿ السياسة ﴾ جريدة سياسية أدبية حرة تصدر مرة في الاسبوع في سان باولو بالبرازيل لصاحبها ومحررها سليم شديد عقل . اشتراكها السنوي في البرازيل ٢٠٠ قرش وفي الخارج ٣٠٠ قرش

﴿ فلسطين ﴾ عادت الى الظهور في يافا هذه الجريدة المعروفة لصاحب امتيازها ومديرها المسؤول عيسى داود العيسى وهي يومية ولكنها تصدر موقتاً مرتين في الاسبوع . اشتراكها السنوي في يافا ١٠٠ قرش مصري وفي سائر الجهات ١٢٥ قرشاً

سعد زغلول باشا

زعيم النهضة الوطنية المصرية

لم تشهد هذه البلاد مشاهد اوقع في النفس وادعى الى الهيبة والوقار من المظاهرات التي أقامها الشعب المصري احتفالاً بقدم بطل النهضة الوطنية سعد زغلول باشا . فلم يبق فرد من الافراد لم يشترك في تلك المظاهرات الخالدة - من الامراء والوزراء الى ماسحي الاحذية وكانسي الطرق - مما يعجز القلم عن وصفه وتأدية تأثيره . وحسبنا أن نقول ان القطر المصري في خلال تلك الايام التاريخية قد اهتز باجمعه وفاضت قلوب اهله بشراً وغبطة وابتهاجاً

على انه لئن بلغ الاحتفاء بسعد هذا المبلغ من الابهة والجلال فما ذلك باكثر مما يستحق - فانه حقيق بالامم التي تنجب أمثال هذا الزعيم ان تفاخر بهم وتباهي وتحتفل ما وجدت الى ذلك سبيلاً . فهي بتكريمهم تكرم نفسها . وبتعزيزهم تعزز شأنها . فما « سعد زغلول » الا عنواناً للحركة الوطنية الحاضرة وما شخصه الا المثال المستجمع لتاريخها وآلامها وآمالها

ان الخدمات التي قام بها سعد زغلول لهذا الوطن العزيز ستسطر باحرف من ذهب على صفحات التاريخ المصري . واذا ما ذكرت الاجيال القادمة اسماء محرري الامم الناهضين بها المطالبين بحقوقها فسوف يقرن اسمه باسماء اوكونل الارلندي وكوسوث المجري وغاريبالدي الايتالي ومصطفى كمال التركي وغيرهم من ذاك النفر الصالح الذي اذا رأى الحق لا يهدأ له بال ما لم يظهره ويعليه

ان تولي مناصب القيادة في الامم لاصعب ما يمكن انساناً ان يتولاه من الاعمال البشرية . هذا اذا كان طليق اليدين حر التصرف . فكيف بمن يقود أمة في أدق الادوار واحرج المواقف ودونه من المشاكل والعقبات ما كان دون سعد زغلول . كيف بمن يعمل ويناضل ويناهض ويقاسي في جو أفسدته السياسة ولوثته المطامع ولا ناصر له الا جرأته وثبات جنانه وشعوره بحقه المهضوم

ذلك كان موقف الرئيس الجليل سعد زغلول وذلك كان سلاحه . فان قلبه المفعم وطنية ونزاهة وشجاعة لم يبال بالمخاطر التي اكتنفته حين قام يطالب باقدس

الحقوق ولم يعبأ بالمصاعب التي اعترضته وهو يسعى لتحقيق اسمى الاغراض وارفعها

انما تحيا الشعوب بقادتها الذين تلامس أرواحهم ارواحها وتدرك عقولهم عقولها وتشعر قلوبهم بعواطفها وامانيها ومطامحها . فاذا ما قيض الله للامة زعيما من هؤلاء فبشرها بكل فوز ونجاح

على ان النهضة المصرية الحاضرة ذات مغزى بعيد يتعدى هذا القطر السعيد : فان في الشرق اليوم شعبين يعززان مقامه ويلقيان على سائر شعوبه دروساً جليلة خطيرة وهما الشعب التركي والشعب المصري . فانهما يسيران في طليعة تلك الشعوب حاملين علم النهضة الشرقية ، علم استقلال الشرق في شؤونه ـ ذلك العلَم الذي كتبت عليه باحرف جذابة وهاجة هذه الكلمات : « الشعوب كالافراد خلقت لتعيش حرة » . على ان أمر مصر يهم العالم العربي خاصة فهي قلبه الحساس وعقله المفكر المجدد

ان الشرق في حاجة الى الزعماء الصالحين الذين يعرفون معنى « الخدمة العمومية » ـ انما في حاجة الى زعماء يرون الحق فاذا وطدوه في نفوسهم قاموا لنصرته غير مبالين بما يعترضهم في طريقهم بل متخذين من العقبات والصعوبات قوة لمداومة الجهاد في سبيل الواجب

فجدير بنا أن ندرس حياة سعد زغلول ونعتبر بها ونستمد منها العظات البليغات التي تعين كل فرد منا على القيام بالواجب المفروض عليه نحو وطنه

***

ولد سعد زغلول باشا في بلدة ابيانه التابعة لمركز فوه سنة ١٨٦٠ . فلما بلغ السابعة من عمره دخل مكتب القرية وظل فيه نحو خمس سنوات تلقى في اثنائها مبادئ القراءة والكتابة ثم ذهب الى دسوق لتجويد القرآن فجوّده على الشيخ عبد الله عبد العظيم . ثم جاء القاهرة ودخل الازهر وبقي فيه خمس سنوات يتلقى العلوم . وكان السيد جمال الدين الافغاني حينذاك بالقاهرة . فلم يكد يستقر بصاحب الترجمة المقام فيها حتى تعرف اليه والى تلاميذه أمثال الشيخ محمد عبده والهلباوي والباجوري والشيخ عبد الكريم سلمان وغيرهم . وقد تلقى على الشيخ محمد عبده بعض دروس التوحيد

وازدادت معارفه بمعاشرة رجال العلم ازدياداً اهّله لان يكون محرراً في الوقائع المصرية فاقام في تحريرها سنة وبضعة أشهر يكتب بتوقيعه مقالات في الاستبداد

والشورى والاخلاق . وكان قبل تعيينه في هذا المنصب قد لخص كتاب ابن مسكويه وطبع معظمه . وكان أيضاً ينشر المقالات الثامة عن علمه واطلاعه في جريدة مصر (التي كان يديرها اديب اسحق) وفي البرهان والمحروسة والتجارة من صحف ذلك العهد

وبعد تحرير الوقائع عين معاوناً في الداخلية ثم ناظراً لقلم قضايا الجيزة . ولكنه لم يلبث في هذا المنصب مدة وجيزة حتى كانت الثورة العرابية فاتهم بانه من أشياع الشيخ محمد عبده والبارودي فاكتفت الحكومة من عقابه بفصله من وظيفته . ثم اتهم بالاشتراك في جمعية سرية تدعى جمعية الانتقام وبعد اجراء التحقيق معه ومحاكمته برئت ساحته

وفي عام ١٨٨٤ إبان افتتاح المحاكم الاهلية تقيد اسمه في محكمة مصر محامياً واشتغل بهذه المهنة حتى اواخر عام ١٨٩١ . وفي سنة ١٨٩٢ اختارته محكمة الاستئناف نائب قاض بها ثم قاضياً فمستشاراً . وبعد ذلك انتخب وزيراً للمعارف فوزيراً للحقانية

وقد كانت شخصية سعد زغلول تتجلى حرة نزيهة نزوعة الى التجديد والاصلاح في جميع المناصب التي اسندت اليه . ففي الصحافة كان من العاملين على تنقية لغة الجرائد ومسحها بمسحة من البلاغة والسلاسة وكانت الى ذلك الحين ركيكة محشوة بالاغلاط والتراكيب السقيمة . وفي المحاماة كان من الفئة الناهضة التي شرفت تلك المهنة ورفعت اسم « المحامي » بين اصحاب المهن الاخرى . وفي القضاء امتاز باحكامه الثامة عن حبه للانصاف وميله الى الرفق بالمتهمين وقد كان من طبقة القضاة المصريين الذين يبنون احكامهم على المقدمات الصحيحة والمبادىء العلمية الحديثة . كذلك ايضاً كان في وزارة المعارف حيث ادخل روحاً جديداً وسعى الى تعديل الاساليب البالية واعلاء شأن اللغة العربية

وقد قال عنه اللورد كرومر في خطابه الذي القاه قبل مغادرة القطر المصري :

« واذكر اخيراً أيها السادة اسم رجل لم اشتغل معه الا من عهد قريب لكن معاشرتي القصيرة له قد علمتني ان احترمه احتراماً عظيماً . وان اصاب ظني أو لم يخطىء كثيراً فسيكون أمام ناظر المعارف الجديد سعادة سعد باشا زغلول مستقبل عظيم للمنفعة العمومية لانه حائز لجميع الصفات اللازمة لخدمة بلاده فهو صادق مستقيم كفوء مقتدر شجاع في ما هو مقتنع به وقد احتمل الطعن والذم من كثيرين

فلم تكد تعقد الهدنة حتى اصطحب سعد زغلول باشا نفراً من أعيان الامة ومفكريها وقصد دار الحماية (في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨) لتبليغ الحكومة الانكليزية أماني الشعب المصري واستصدار اذن بالسفر الى اوربا لعرض القضية المصرية على أولي الشأن من رجال السياسة فرفضت الحكومة الانكليزية الاذن بالسفر فتوالت على اثر ذلك الاجتماعات والاحتجاجات حتى اذا كان يوم ٨ مارس صدر الامر بنفي سعد زغلول باشا وثلاثة من رفاقه (وهم محمد محمود باشا واسماعيل صدقي باشا وحمد الباسل باشا) الى مالطه. فهبّ القطر هبة واحدة وحدثت المظاهرات والقلاقل المشهورة الى أن أفرج عن المعتقلين (٧ ابريل سنة ١٩١٩) فسافر الوفد المصري على اثر ذلك الى باريس. وقام بمهمته التي وكلت اليه خير قيام رغم ما اعترضه من المقاومة الظاهرة والخفية

وليس غرضنا الآن الخوض في أعمال الوفد المصري في باريس ولندن ومفاوضته للجنة ملنر ومجهوداته التي بذلها لتنوير الرأي العام في اوربا وأميركا وغير ذلك مما نرجىء تفصيله الى فرصة اخرى. فانما غرضنا أن نذكر كلمة عن بطل هذه النهضة وزعيمها الاكبر وان نضم صوتنا الى صوت الشعب المصري في الترحيب به والدعاء لهذا القطر بتحقيق أمانيه ونيل ما يرجوه من الاستقلال والحياة الحرة السعيدة باذن الله

كلمات في الوطنية

الحماسة الوطنية خير منبت لعظماء الرجال ـ تكرمان

ليس من صلة أقرب من صلة الوطن ـ افلاطون

ان جانباً غير يسير من المجموع المكون للحياة البشرية يرجع الى روابط الانسان بوطنه وعواطفه نحو ذلك الوطن ـ غلادستن

كلما قللنا من ارضاء اميالنا الذاتية تيسر لنا ارضاء أميالنا الوطنية ـ مونتسكيو

يزيد حب الانسان لوطنه باقامته بعيداً عنه ـ شنستون

كلمات مختارة

لسعد زغلول باشا

(اختارها السيد مصطفى لطفي المنفلوطي)

ان كانت الحكومة تريد أن تكون الجمعية التشريعية مكتب تسجيل لقوانين الحكومة وأوامرها فأنا بصفتي مصرياً محباً لبلادي أفضل أن لا يكون لمثل هذه الجمعية أثر في هذا الوجود

نعم ان حق الجمعية في التشريع حق ضعيف جداً كما تقولون ولهذا نحن نسترحمكم يا حضرات النظار أن لا تزيدوه بقوتكم ضعفاً على ضعفه

لو كنتم مسؤولين أمامنا كما تسأل الحكومات في أوربا امام برلماناتها لحاسبناكم على أعمالكم . ولكننا قوم ضعاف لم يقسم لنا من الحظ ما قسم للاقوام الاقوياء فكل ما نستطيع أن نقوم به أمامكم هو ان نسألكم لا أن نحاسبكم

سمعت ان جناب اللورد كتشنر غير راض عن الجمعية التشريعية ولكني لا أعتقد ان هذا الاستياء سيدفع به الى نصح حكومته باتخاذ أجراءات غير شرعية ضدها . لان كل ما سيقدمه من الاسباب ان الجمعية لا تتفق في الرأي أحياناً مع الحكومة . ومثل هذا السبب لا يعتبر كافياً في نظر أحرار الانكليز الذين هم أعرف الناس بالمبادىء الدستورية وبأن الهيئة النيابية التي تدافع عن حقها وحقوق الامة التي أنابتها عنها تؤدي واجبها

لا بد من وضع حد لهذه الحالة اما بحل الجمعية واما بترك التهديد بحلها لتستطيع أن تتفرغ لعملها وتؤدي وظيفتها

أنا في الجمعية التشريعية المترجم الأمين عن شعور الشعب المصري في مصلحته المحضة

خطتي مع الحكومة تأييدها اذا أصابت والتفاهم معها اذا أخطأت . ومع الامة البحث عن حاجاتها وتعرف رغباتها ومشاورة ذوي الرأي فيها . ومع زملائي احترام آرائهم والتضامن معهم في السعي لكل ما فيه خير عام

اني رجل قد وضعت تحت تصرف امتي عقلي واختباري وبياني . فان استفادت الامة من عملي فذلك ما يجعلني سعيداً . والا فهو واجب قد أخذته على نفسي فأنا أقوم به لاريح ضميري

لا عيب علينا في الرجوع الى الحق متى ظهر لنا . لاننا ما جئنا هنا لندافع عن أنفسنا وأنانيتنا بل لندافع عن الحق ونؤيده

نعم نحن لسنا بأوصياء على الامة بل وكلاء عنها ولكننا وكلاء أمناء فيجب علينا أن نؤدي لامتنا الامانة كما أخذناها منها

لا يفوتكم أن تحتجوا على كل أمر ترون ان فيه مخالفة للقانون مهما كان صغيراً في نظركم . فربما كان لهذا الامر الصغير علاقة في المستقبل بأمر كبير فيتخذ سكوتكم في هذا حجة عليكم في ذاك

لسنا هنا في مقام مصالحات وانما هي حقوق نعتقد انها لنا فيجب أن نطالب بها كما هي وان نأخذها كذلك . اما التجزئة فخديعة يراد بها ضياع الحق بجملته

الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة

ليس للحكومة أن تغضب كلما قلنا لها أنها مخطئة . فاننا ما جئنا هنا الا لننبهها على خطئها

نحن يا حضرات النظار لا حول لنا ولا قوة . فالقوة في يدكم والحول لكم . ونحن لا نملك الا كلمة الحق ننطق بها أمامكم . فهل تريدون أيضاً أن لا ننطق بكلمة الحق ؟ ان هذا شديد جداً لا يحتمله منكم أحد

يهاجموننا فاذا حركنا أيدينا للدفاع عن أنفسنا قالوا انكم مشاغبون ومشاكسون فيا للعجب ! أيكون مكدراً للماء من يجلس بجانبه ليذود عنه من يريد تكديره ولا يكون مكدراً له من يلقي فيه الترب والاحجار ؟

انا اذا احترمنا امراً للحكومة نحترمه لانه نافع للأمة لا لأنه صادر من تلك القوة المسيطرة

لو كان ما تدعيه نظارة المعارف صحيحاً من انها تخدم العلم في البلاد لكان لديها

الآن العدد الكافي من العلماء للقيام بجميع وظائف التعليم ولم تكن في حاجة لان تجلب من الخارج في كل عام هذا الجم الغفير من المدرسين بسبب ان العلم الصحيح لم يوجد بيننا حتى اليوم

لقد أصبح من الصعب جداً على الانسان في هذا العصر ان يجد سبيلاً الى العيش الا اذا كان حاصلاً على درجة خاصة من العلم . فيجب على الحكومة أن تساعد الافراد على ان يتعلموا ليعيشوا فان لم تفعل ذلك كانت مقصرة في النظر في شؤون رعيتها

ان تصريح الحكومة بشيء يتضمن سلب حق من حقوق الجمعية هو بمثابة أمر تصدره مملكة قوية الى مملكة ضعيفة بجانبها باضافة جزء من املاكها اليها فكما ان تلك المملكة لا يهمها ان تحفل بمثل ذلك الأمر كذلك نحن لا نعتد بمثل هذا التصريح

رب فعل يصفه الوزير وهو في مركزه السياسي بانه نوروي ولو كان في مركز القضاء لأزعجه ان يوصف هذا الفعل بمثل هذا الوصف

كنت قاضياً وكنت وزيراً وها أنا اليوم عضو بينكم في الجمعية التشريعية . واحس من نفسي بأن شعوري كان يختلف باختلاف تلك المراكز جميعها واني ربما كنت أرى الرأي في حالة ثم أرى غيره في حالة اخرى . ومع ذلك فقد كنت حسن النية في جميع الحالات . فلا تهولنكم أشخاص الوزراء ولا الفضل الذي تعرفونه فيهم فقد تتغلب عليهم مراكزهم فيعملون بحسن نية ما يظنون ان فيه فائدة للامة وهو ليس كذلك

يظهر لي ان العدالة الحقيقية لم توجد حتى اليوم في أي قانون من قوانين العالم ، وانما تتفاضل القوانين فيما بينها بالعدالة النسبية

من الخطر العظيم على العدالة أن تستسهل الحكومة وضع القوانين الاستثنائية كلما خطر في بالها أن تفعل ذلك

لا تصدقوا ان هناك قاعدة يرجع اليها القاضي في تقدير العقوبة او ان هناك ميزاناً توزن به الجزاءات وانما هي امور اجتهادية يلهم بها القاضي الهاماً

لا بد من اعطاء فرصة للجاني حتى يتمكن من النزوع والتوبة . وكل قانون يوقع اليأس في قلب الجاني من أن يتدارك في غده ما فرط منه في أمسه قانون ظالم

اني أقبل أن أحاكم امام قاض صغير من قضاة المحاكم الجزئية في شرفي وعرضي ومالي خير لي من أن أحاكم امام ذلك المجلس الكبير مجلس النظار في أهون الاشياء وأصغرها . لان أعضاءه وان كانوا بصفتهم الشخصية رجالا قانونيين ولكنهم قبل ذلك رجال سياسيون وأخشى أن تتغلب فيهم صفة السياسة على صفة العدالة. والسياسة كثيراً ما تدوس الحقوق والواجبات

كل امر يقف في طريق حريتنا لا يصح ان نقبله مطلقاً مهما كان مصدره عالياً ومهما كان الآمر به

كل تقييد للحرية لا بد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية نفسها والا كان ظلماً

قد عاهدت الله منذ نشأت على أن أصرح بما في ضميري وهذه هي لذتي في حياتي

الصحافة حرة تقول في حدود القانون ما تشاء وتنتقد ما تريد. فليس من الرأي أن نسألها لم تنتقدنا بل الواجب أن نسأل أنفسنا لم نفعل ما تنتقدنا عليه

نحن نحب الحرية ولكنا نحب أكثر منها أن تستعمل في موضعها

قالوا اني أقصد من المعارضة الحصول على مركز سام في الحكومة. وليس ذلك بصحيح لاني أعلم ان معارضتي وشدتي فيما مضى كانت هي السبب في بعدي عن تلك المراكز السامية فلا يمكن أن أتخذها اليوم وسيلة للحصول عليها . على ان أعظم مركز تطمح اليه نفسي هو مركزي الذي أنا فيه اليوم . لانه المركز الذي أستطيع أن أتمتع فيه أكثر من غيره بالحرية التامة في ابداء آرائي التي أراها في مصلحة بلادي

سواء لدي نجحت أم لم أنجح فاني لا أخطب في الجمعية التشريعية وحدها بل في الامة جميعاً . ولا أخاطب الحاضر وحده بل المستقبل أيضاً

اني أفضل أن أكون عضواً بسيطاً في جمعية تحافظ على حقوقها وتحترم كرامتها من أن أكون وكيلا او رئيساً لجمعية تتهاون في حقوقها ولا تحفظ كرامتها

اني رجل قد وطدت نفسي على الدفاع عن الحق وأن أتحمل فيه كل مكروه ولو كان آتياً من الذين أدافع عنهم

نحن قوم مسالمون لا مشاغبون فاذا اشتددنا نشتد لان الحق يطالب منا ذلك واذا سلمنا نسلم تسليم الاحرار لا تسليم العبيد

ليست وظيفتي أن ارضي بكلامي بل وظيفتي ان اقول ما يجيش بصدري وما اراه نافعاً لبلادي ولا شأن لي بعد ذلك بالغضب او الرضا

نعم أمر الرئيس ولكن القانون قد أمر ايضاً وهو الذي يجب أن يطاع

يجب أن ننقاد للقانون وأن لا نعتبر الانقياد اليه مهانة ومذلة بل عزاً وشرفاً

من أراد ان نخضع له ونذعن اليه ونتجرد امامه من قوتنا وشجاعتنا فليس بيننا وبين الوصول الى ذلك الا ان يعمل عملاً واحداً فقط وهو ان يحترم الحق والقانون فنخر له صاغرين

يقولون لنا انكم لا تستطيعون أن تصلوا الى الكمال التام . نعم ولكن ذلك لا يمنعنا من ان نعمل لنصل الى الكمال الممكن

ان من الناس ناساً اذا رأوا ضارباً يضرب ومضروباً يبكي قالوا للباكي لا تبك قبل ان يقولوا للضارب لا تضرب وهو منتهى ما يتصور من الظلم والحيف

الذي يلزمنا ان نفاخر به هو أعمالنا في الحياة لا الشهادات التي في ايدينا

كلما كان الشيء واضحاً كان البحث فيه موجباً لغموضه . واذا أردنا أن نحدد معنى الضوء والظلام انتهى بنا الأمر الى ان لا نعرف معناها

ما انا بسباب ولا شتام واني اقر واعترف بأني لا أملك في هذا الميدان قوة أستطيع بها أن أقاوم أضعف انسان

يجب أن نعترف بأننا نتفاضل فيما بيننا وان كنا في الاعتبار القانوني سواء

نحن لسنا محتاجين لكثير من العلم ولكننا محتاجون لكثير من الاخلاق الفاضلة

رثاء

لولي الدين بك يكن

[الهلال] يجد القارىء في غير هذا المكان مقالا ضافياً عن فقيد الادب العربي المرحوم ولي الدين بك يكن . وهذه قصيدة بكى بها شاعر القطرين خليل مطران صديقه الراحل الكريم وقد تليت في حفلة التأبين التي اقيمت للفقيد اخيراً في مصر

عزاء لمصر في اليراع المخلد ... والشام في درع لها ومهند

تولى وليُّ الدين اوحد عصره ... وقلَّ ثناء ان يسمى بأوحد

صديق فقدت الانس حين فقدته ... وهل موحش كاليائس المتفقد

اروي ثراه منذ بان بادمعي ... وقلبي مرآة الدهر في اثره صدي

واشعر ان الشعر ليس بمانحي ... لدى خطبه الا نحيب المعدد

خليليَّ ما بالي وحولي خلائق ... تعجُّ أراني في سكينة فدفد

فلا تغرياني بالسلو فقد ابى ... اباي سلوًّا حين يسقط في يدي

أطالب بالحر المهذب دهره ... وليس مجيبي غير أظلم معتد

قضى الشهم كل الشهم في كل حالة ... قضى طاهر الاردان عف الموسد

قضى من سما ذاتاً وعز كلالة ... ولم يكُ بالعاتي ولا المتمرد

قضى من على حرب الزمان وسلمه ... شمائله كانت شمائل سؤدد

فتى لم يكن في قوله وفعاله ... وباديه والخافي سوى كل جيد

متى ينتدب للذود عما بدا له ... من الحق يستوثق فينوِ فيعمد

بعزم له حين المضاء اضاءة ... تروع كاشعاع الحسام المجرد

فاما وقد بان المهيب نفاره ... وبات سياج الفضل جد مبدد

ليفخر بغالي دره كل كاتب ... ويجأر بعالي صوته كل منشد

أجدك هل تسخو الليالي بشاعر ... مبين كذاك الشاعر المتفرد

وهل تسمح الايام بعد بناثر ... له مثل ذاك الخاطر المتوقد

بسباق غايات اليها انتهى النهى ... وسباك آيات لها سجد الندي

لمعجزه شعراً ونثراً شوارد ... أبت كل سير في طريق معبد

لها صيغ من دقة وبراعة ... سمت عن محاكاة الجمان المنضد

يراض بها وعر المعاني وصعبها ... بسهل من اللفظ الانيق المجوّد

فيبعد بالاتقان كل مقرب ... ويقرب بالتبيان كل مبعد

اذا وصفت وجداً تخيلتهاجرت ... بما اكتن في جفن المحب المسهد

تسمع منها النفس حساً يشوقها ... شجياً كترجيع الهزار المغرد

سلام اديب الشرق لامصر وحدها ... سلام أبا الفن البديع المجدد

يذيب فؤادي ذكر ما قد بلوته ... من البؤس في الدنيا بذاك التجلد

ألا يا لقومي للبيان فانه ... مضاع باهمال وقلة مسعد

بربكمو ما روضكم ونماره ... اذا الروض لم يعطر ولم يتعهد

لو ان أولي الاقلام سود صحائف ... من الأمم لم يجزوا بانكى وانكد

أضنا عليهم باليسير يعولهم ... ويدعون للزينات في كل مشهد

ومن مجدهم ما يستظل بظله ... بنو الوطن الحر العزيز الممجد

فيا سوء ما يجديهم في معاشهم ... تجردهم للعلم كل التجرد

ألا يا صفياً مات قبل اكتهاله ... وعاش نقيّ الطبع غير مفند

الى الله فارجع صابراً متشهداً ... فنعم وليُّ الصابر المتشهد

جرعت الاذى في مترعات من القذى ... فرد في نعيم الخلد أعذب مورد

وان تك للاداب بعدك سلوة ... ففي فرقد باق لها بعد فرقد

خليل مطران

خير هدية

تقدمها الى قريبك او صديقك أو زميلك هي اشتراك باسمه في الهلال فتصله اجزاء السنة وملاحقها شهراً بعد شهر فيذكرك ويذكر لك فضلك

الضائع

بقلم جبران خليل جبران

أين كنّا ، وما كنّا ، قبل أن تحبسنا الحياة في هذه الاجساد ؟

أين كانت وما كانت هذه الارواح العاقلة الحساسة المضطربة في جسومنا قبل أن تسكن جسومنا ؟

في أية سكينة سبحنا مرفرفين قبل أن تلفظنا الايام كلاماً واضح الرنة مبهم المعنى ؟

في أيّة حالة من حالات الوجود كانت نفوسنا قبل أن تبني الليالي هياكل نفوسنا ؟

أفي حشاشة الامهات أم في أحشاء الأثير تكوّنت هذه اليقظة الممنطقة بالاحلام ، وهذه الفكرة المتشحة بالخيال ، وهذه الاماني المنسوجة من خيوط الفرح والألم والمحبة والحنين ؟

أولم نكن شيئاً قبل أن يضعنا شوق الحياة في حضن الحياة ؟

منذ حداثتي وانا اسأل نفسي هذه السؤالات ، وكانت نفسي تجيبني بكلمات ملتبسة لا تبلغ اذن عاقلتي حتى تحوّلها عاقلتي الى سكوت عميق مثلما تحوّل رقع الثلج الى ماء عندما تهبط في الماء

ولكن حدث لي بالأمس حادث كاد يريني أسرار الغيب ويبوح لي بخفايا الوجود . قد اختبرت أمراً كاد يعود بذاكرتي الى الحالة التي كنت فيها قبل أن ألبس الجسد ثوباً . قد سمعت رجلاً يتكلم عن نفسه فأوشكت ألفاظه أن تمدّ سلكاً دقيقاً بين فكرتي المحدودة والعقل العام

أجل ، قد سمعت سليم الرمّال يصف نفسه وما تخزنه نفسه من تذكارات الماضي البعيد فأيقنت أنني في حضرة بشريّ ليس كالبشر ، يشعر بما لا يشعرون به ويحتفظ على ما أضاعوه

عرفتُ سليم الرمال منذ عشرة أعوام ، وكنت ورفاقي نلقبه بالضائع لانه كان إن رأى واحداً منا ينظر اليه مبهوتاً مستغرباً كأنه لم يلتق به قط ، وان ناديناه باسمه لا يلتفت الا بعد أن نردد اسمه ثلاث أو اربع مرات ، وان سألناه عن أمر يعرفه هزَّ رأسه ونظر الينا بعينين مستديرتين كأننا نخاطبه بلغة أعجمية لم يسمع في حياته كلمة منها . وفي بعض الاحايين كان يجفل من أدقّ الاصوات وأصغر الحركات جفول نائم باغته طلق بندقية ، فيقف ان كان قاعداً ، ويسير مضطرباً إن كان واقفاً . ولكن رغم هذه الغيبوبة النفسية فقد كان ذكياً موهوباً بعيد الفكر في بعض الامور ، خصوصاً في الموسيقى وعلم الهيئة ، فلم اسمعه متكلما عن الالحان العربية وأوزانها ومعانيها الا وأعجبت بدقة نظره ورقة شعوره ، ولم أصغ لآرائه في اولية الأكوان والنواميس الأولية التي ابتدعت العوالم من السديم ونثرتها في الفضاء الا وحسبت ذاتي في مجلس أحد كبار الفلكيين وقلت في سري ان في روح هذا الرجل « الضائع » ما لا تكنه أرواح « الموجودين » ووراء نشوته يقظة لا يعرفها الصاحون والمنتبهون

وأغرب مزية عرفتها في سليم الرمال هي انه كان يحدّق بالشمس الساعات الطوال بعينين جامدتين كأنهما من زجاج ، فلا يرتعش له جفن ، ولا يشح له بصر . ولقد حاولت ردعه عن هذه العادة الشاذة ، وأنذرته بالعمى اذا كان لا يبطلها ، فكان يجيبني قائلاً « ان الخلد يصرف الايام في ظلمة الارض ، أما النسر فيصرفها محدقا بالشمس ، فهل رأيت في حياتك نسراً أعمى ؟ »

* * *

ومرّت ثلاثة أعوام لم أرَ فيها سليم الرمال فكنت وأصحابي نذكره تارة لنتفكه ضاحكين من أطواره الغريبة ، وطوراً لنعجب بمواهبه وغزارة علمه . ولقد كنا نسأل عما حلّ به ولا نجد من يعرف عنه شيئاً

ومنذ أسبوع ، وقد جلست وحيداً أتوجس أصوات الليل واستقصي أسراره ، طرق بابي فقمت وفتحت واذا بسليم الرمال منتصب امامي بملابس مشوشة وشعر

منبوش وملامح متكمشة ، فأدخلته فرحاً بقدومه مستغرباً ما في مظاهره من دلائل العوز والفاقة . ثم أجلسته قبالتي وأخذت أسأله عن حاله وعن مآتي السنين التي صرفها متغيباً عن آله وأصحابه ، فكان يجفل آناً من نبرات صوتي وآونة ينظر اليّ كأنه لا يفهم ما أقوله

وبعد أن سقيته كأساً من الخمر ، وأظهرت له استئناسي به وراحتي اليه ، سألته قائلاً « ماذا حلّ بك يا سليم ، أفقدت الاموال الطائلة والاملاك الواسعة التي ورثتها عن ابيك ؟ »

فاجاب وهو يحدق بنور كهرباي قريب من مقعده « لماذا يا ترى تسألني مثل هذا السؤال ؟ لم أفقد مالاً ولم أضع ملكاً ، وما ورثته عن أبي لم يزل في مكانه » ثم زاد مبتسماً « لقد أخبرني بالامس الوكلاء والصيارفة أن ثروتي قد ازدوجت مذ مات والدي »

فاشرت الى ملابسه وقلت بلهجة المزاح « اذاً أنت متخفٍ بهذه الأثواب؟ أن من يراك يظنك من أولئك الدراويش الشحاذين الذين يتنقلون من بلد الى بلد متوكئين على العصي الطويلة وفي أكواعهم الدلاء الخشبية »

فاجاب « ليس بين الناس من لا يسير متخفياً برداء من الاردية ، وليس بينهم من لا يستعطي شيئاً من الاشياء »

فقلت وقد أعجبني كلامه « أحسنت ، ولكن عليك وأنت ابن أسرة معروفة أن تحافظ على كرامتها بان تظهر بمظهر يليق بمقامها »

فقال بصوت هادىء « كنت مشغولاً ، كنت مشغولا يا أخي ، ولم يكن لديّ من الوقت ساعة اصرفها في مثل هذه الامور ، كنت مشغولا بشيء أهمّ مما لا يقاس من الملابس والمآكل والمشارب »

وظهرت اذ ذاك على وجهه سيماء التفكر العميق ولكنه ظلّ محدقاً بالنور الكهرباي ، فقلت له « بما كنت مشغولاً يا سليم ، ما هذا العمل الذي انصرفت اليه عن كل عمل آخر ؟ »

فالتفت اليَّ وقال « كنت مشغولاً بتمزيق النقاب عن ذاكرتي . كنت مشغولاً بحفر مناجم ذاكرتي . كنت مشغولا بتقليب صفحات كتاب الدهور الذي ندعوه بالذاكرة »

لفظ هذه الكلمات بصوت يشابه رنين أجراس بعيدة في أودية خالية ، ثم حوّل عينيه عني وعاد يحدق بالنور ، وللمرة الاولى ، المرة الاولى مذ عرفته شعرت أن أوتار روحه المشدودة قد تراخت قليلاً ، وان الاضطراب والصراع في داخله قد تحولا الى شكل من الطمأنينة . وبعد أن ملأت كأسه ثانية من الخمر سألته قائلا « ماذا تعني ياسليم بمناجم الذاكرة وبكتاب الدهور الذي ندعوه بالذاكرة . ما هذه الفكرة الجديدة الغريبة ؟ »

فاجاب « لا أدري ما اذا كنتَ تقدر أو تريد أن تفهمني . عبثاً أحاول عرض ما في نفسي امام المنصرفين عن النفوس . عبثاً أحاول بسط ذاتي أمام من لا يشعرون بذاتهم »

فقلت « أريد أن أفهمك يا سليم واذا كنت لا أقدر فما عليَّ سوى الاقرار بقصوري »

فسكت دقيقة ثم تناول جرعة من الخمر وقال « اسمع اذاً ، اسمع بخيالك قبل أن تسمع باذنك. هل فكرت يا ترى بما اذا كنت كائنا موجوداً عاقلاً قبل أن تولد ؟ »

فاجبت وقد ارتعشت روحي لسؤاله « نعم قد فكرت بهـذا الامر مرات عديدة ولكنني كنت في كل مرة كمن يتمسك بسنديانة مسنة محاولاً اقتلاعها »

فقال « أو لم تغمض عينيك عن المرئيات وتغلق أذنيك دون الاصوات وتحجب حواسك عن كل ما في الحياة من السطحيات لتعود بالذكرى الى الحالة التي كنت فيها قبل أن تصير بشراً ؟ »

قلت « لا ، لم أفعل هذا »

فقال « أما انا ففعلت . قد تنحيت عن سبل الناس لأتفحص أعماق ذاتيتي وانشر لبصيرتي ما حفظته ذاكرتي بين طياتها من رسوم الحالة التي كنت فيها قبل

أن تهبط بي النواميس الى الارض »

قلت « وهل بلغتَ قصدك ؟ هل وجدت في جيوب ذاكرتك وحواشيها رسوم كيان قبل هذا الكيان ؟ »

فأجاب « نعم قد بلغت قصدي . انما الذاكرة مستودع الأزمنة ، وبامكان كل فرد منا أن يدخل هذا المستودع ويشاهد ما خزنته الازمنة في زواياه وخلاياه .. الذاكرة زهرة ذات أوراق لا عداد لها ونحن نستطيع بالتأمل المستمر وبالاستسلام النفسي أن نحوم حول هذه الأوراق حتى تنفتح لعاقلتنا مثلما تنسكب أشعة الشمس على أوراق وردة فتنفتح لحرارتها »

وسكت هنيهة فظهرت على شفتيه ابتسامة ادنى الى الكآبة منها الى المسرة ، ثم عاد وقال « كنتم منذ أعوام تدعونني بالضائع فتصيبون حقيقتي وتصفون حالتي وانا لم أزل ضائعاً بين هذه الصور والاشباح التي نسميها الحياة . وأيُّ بشري لا يضيع اذا كانت حياته المعنوية مقسومة الى شطرين شطرٌ يصرفه في عالم الغيب وشطر يقضيه في عالم المقاييس والكمية ؟ أي رجل لا يتوه اذا تجاذب روحه عاملان عامل خفي وعامل ظاهر ؟ أي رجل يستطيع ان يوفق في سامعته بين لحنين على قرارين متنافرين ، لحنٌ يهبط من أعماق الأثير ولحن يصعد من أعماق الارض ؟ نعم ، كنت ضائعاً ولم أزل ضائعا ولكنني اعرف الآن ما لم أكن اعرفه ايام شبابي . قد صرفت ثلاث سنين طائفا في مسارح ذاكرتي فتذكرت : تذكرت ما كنت قبل ان أصير ، تذكرت كيف كنت قبل ان أصبح ، تذكرت حالتي النفسية قبل ان تلدني أمي ، تذكرت روحي قبل ان تتخذ روحي هذا الجسد غلافاً ، تذكرت مصدري وانا مطمئن لان في الذكرى ما يثبت مرجعي »

وحنى رأسه فوق صدره وأغمض عينيه وبان وجهه الشاحب كقطعة من العاج حفرها فني ماهر لتمثل وجه شهيد من شهداء النصرانية . فدنوت قليلاً من مقعده ، ولكيلا أقطع بنبرات صوتي سلك افكاره قلت هامساً « اخبرني يا سليم ، اخبرني ما تذكرت ، اخبرني بكل ما تذكرت ، فانا صاغ اليك بكل ما بي من المسامع »

فرفع رأسه وأجاب بدون ان يفتح أجفانه « اذكر انني كنت في الفضاء . اذكر جيداً انني كنت اسبح مرفرفا في الخلاء ، فأصعد آناً وأهبط آونة ... كنت أسعى مع الريح وأقف إن وقفت ، ولكنني كنت أشعر بأنني في كل مكان في زمن واحد وفي كل الازمنة في مكان واحد . وكنت في أشعة الشمس، بل وكنت الأشعة ذاتها . . لا أدري ما اذا كنت ذرة في الاثير او الاثير كله . ولا ادري ما اذا كنت جزءاً من أميال الحياة ومنازعها أو كل ما في الحياة من الاميال والمنازع... كنت أقول لذاتي « انا هو انا » ولكن لفظة « انا » لم تكن تعني حينئذ شيئاً محدوداً بخطوط والوان وخاصات ذاتية فردية . . لا، لم أكن فرداً ، لم أكن ذرة ، لم اكن جزءاً ، لم أكن عنصراً منفرداً بوحدانيته عن عناصر منفردة بوحدانيتها ، بل كنت كل العناصر متوحدة متآلفة متماسكة بجاذب لا أستطيع تعريفه بسوى قولي « انا هو انا » .. هكذا كنت في الماضي . قلت « الماضي » وهي كلمة مبهمة لا أستطيع ادراك معناها تماماً . . ربما كان الماضي حاضراً ومستقبلا ، وقد لا يكون هنالك من ماض وحاضر ومستقبل . . . انني بالحقيقة لا أفهم هذا الذي تدعوه زمناً ، كما أنني لا افهم معنى لفظة مكان .. كلما حاولت استفسار هاتين اللفظتين ، الزمان والمكان ، يشكل عليّ الامر وتلتبس ذاتي على ذاتي ، وتصير عاقلتي مثل ضباب كثيف يتهادى ويتمدد بين التلول والمنحدرات ... أما الامر الذي اذكره جيداً هو أنني كنت في حالة وصرت في حالة اخرى . كنت كبيراً فصرت صغيراً . كنت واسعاً رحباً فصرت ضيقاً لصباً. كنت بدون بدء ولا نهاية فصرت محدوداً ببدء ونهاية . كنت عزماً يعرف نفسه فصرت ضعفاً يتمنى معرفة نفسه . كنت روحاً يرف على وجه كل شيء ويخترق كل شيء فصرت جسما يزحف ببطء ويجر أطرافه كأنها قيود ثقيلة . . . كنت وصرت .. كنت وصرت .. كنت وصرت . لقد رددت هاتين الكلمتين حتى اصبحت من وجداني بمنزلة الطرفين من الحبل .. منذ عشرين سنة وانا أستجوب عاقلتي لعلني ادرك كيفية انقلاب ذلك الكيان الى هذه الصيرورة ولكنني لم

أفلح تماماً ، وأظنني لن أفلح ... غير أنني اذكر شيئاً صريحاً وغامضاً في وقت واحد .. اذكر انني اذ كنت اثيراً حدث لي في زمن من الازمنة حادث هائل . حدث في داخلي وفي محيطي وفي العالم الذي كنت أدعوه « أنا هو انا » حادث أشبه شيء بالانفجار . ثم تحول ذلك العالم بكليته الى مرجل يغلي ويفور ويزبد، ثم هاج وتمخض بعاصفة هوجاء اثارت بعزمها ما كان ساكنا في كياني ، فالهدوء الذي كان يمتلكني وامتلكه انقلب فجأة الى رعد مخيف ، والسلامة التي كانت تعانقني واعانقها صارت برقا لامعا ، وتلك المعرفة ، تلك المعرفة العامة التي كانت تحتضن كل شيء وتستجلي غوامض ومخبآت كل شيء ، تلك المعرفة غير المحدودة، قد فاجأها تشويش مزدوج ، تشويش طي تشويش، وذلك الاضمار العلوي، ذلك الاضمار الذي كان يمايل في أعماقي ، اصبح يصرخ صراخ الف الف امرأة متوجعة ، ويضج ضجيج الف الف أسد جائع ، ويطن طنين الف الف جرس من النحاس ... واستمرت هذه الزوبعة زمنا لا أعرف طوله . قد يكون دقيقة واحدة أو دهراً كاملا ... ثم وقفت كل حركة ، وهمد كل صوت ، وجمد كل تشويش ، فصرت ساكنا ولكن سكون من ضغط عليه من كل جانب. ولكنني ما لبثت أن امتثلت واستسلمت الى هذه الحالة رغم ما بها من الضغط والضيق... ثم شعرت بنعاس ثقيل قاهر ، ثم هجعت هجوعا عميقاً في ظلمة عميقة »

و وقف سليم الرمال عن الكلام و بدت على سحنته امارات التعب والعياء فالقى رأسه الى مساند المقعد متنفساً بعناء وصعوبة تنفس فرس بعد السباق . ثم نظر اليّ بعينين تنبعث منهما أشعة لطيفة وقال « بعد ذلك ، بعد تلك العاصفة وذلك السكوت ، بعد النعاس الثقيل والنوم العميق ، استيقظت ولكن يقظة نشوان ما برح وجدانه مغلفا بقناع من الغفلة ، فرأيتني طفلاً ضعيفا بين ذراعي امرأة وهي تنظر في عينيّ وتبتسم بعطف وحلاوة »

فقلت وقد شعرت ان سفرته الجوية قد انهكت روحه وجسده « كفاك ، كفاك يا أخي ، لقد أبنت لي ما لم يبنه بشريّ قبلك . لا تزد كلمة على ما قلت

فانت الآن بحاجة الى الراحة والسكينة »

فقال « ليس لديَّ من شيء آخر اقوله . فقد نشرت امامك كل ما اذكره واعرفه ولكنني لم ازل ضائعا بين ما اعرفه واذكره . لم ازل ضائعا . لم ازل ضائعا »

ومرَّت ساعة لم يفه فيها احدنا بكلمة . وسوف اذكر تلك الساعة وتأثيراتها ما حييت ، فقد نبهت في نفسي حاسة جديدة ، وسكبت في قلبي خمرة عتيقة ، وألبست تأملاتي حلة ذهبية

ولما انتصف الليل انتصب سليم الرمال على قدميه قائلاً « اذا ذاهب الآن فقد اطلنا السهر »

فقلت « لا تذهب يا أخي . كن ضيفي الليلة »

فأجاب « لا ، لا استطيع البقاء في منزل ترتعش الاصوات في فضائه وتدب الاشباح في قرانيه . عليَّ ان ابحث عن مكان خالٍ هادىء »

ومشى نحو الباب بخطوات واسعة وخرج منه مسرعا خروج هارب من منزل يحترق

* * *

ومذ تلك الساعة حتى الآن وانا لا أفكر بسليم الرمال الا وتحت فكرتي عن كل ما يقسم الزمن الى أيام وليال ، ولا استرجع حديثه الا وانفردت عن كل ما يحدد المكان بيمين ويسار ، ولا أذكر وجهه ورنة صوته الا وضاعت عاقلتي بين ما ظهر من الوجود وما خفي منه

لا ، لم أعرف ولن أعرف رجلاً مثل سليم الرمال ، فهو بين الناس وليس منهم ، وفي الدنيا وليس من سكانها . وكم مرة سألت ذاتي ما اذا كنت قد ساهرته ساعة في هذه الغرفة أم صرفت معه جيلاً بين طبقات الفضاء . وكم استوضحت ذاكرتي عما اذا كنت قد اجتمعت به في اليقظة أم في المنام . غير ان الحقائق الغريبة لا تظهر لنا الا في اليقظة ، وسليم الرمال حقيقة غريبة

جبران خليل جبران

ارتقاء اللغة العربية

واستعدادها ايضاً للارتقاء — ١

بقلم الاستاذ جبر ضومط

[الهلال] لقد كان من ثمار النهضة الحاضرة في الاقطار العربية ان اتجهت اذهان مفكريها وقادتها الى البحث في مقام الامة من الحياة القومية وشأن اللغة العربية في هذا العصر وقابليتها للارتقاء ، ومجاراة مستلزمات المدنية الحديثة الى غير ذلك من المباحث الخطيرة الشأن . وانه ليسرنا ان نوفق الى اتحاف قرائنا بهذا المقال النفيس الذي خطه يراع العلامة جبر افندي ضومط استاذ اللغة العربية وآدابها في الجامعة الاميركية في بيروت . فان لآرائه في هذا الشأن قيمة عظيمة يعرفها كل عارف لمقام صاحبها ويقدرها كل مقدر لعلمه وفضله

اللغة العربية ليست بنت القرن السابع المسيحي ولا بنت القرن السادس أو الخامس . ولا هي أيضاً بنت القرن السابع قبل المسيح بل هي أقدم عهداً من ذلك بكثير

هي الاخت الكبرى للعبرانية والآرامية ان لم تكن امهما . وعلى ما تصرح به تواريخنا العربية المكتوبة وتقاليدنا المروية جيلاً بعد جيل خلفاً عن سلف هي لغة العاديين الاراميين تجار حضرموت وسبا وعمان واليمن ولغة تمدنهم الساميّ السامي . لغة وصلت الى درجة من الارتقاء جعلت مثل صاحب حصن تيماء منذ الف واربعمئة سنة ونيف قبل اليوم يقول

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيل

وجعلت ايضاً مثل ابن الطثرية اعرابياً جافياً لا يرى الا شيحة أو قيصوماً وقلما يأكل الأضبأ أو يربوعاً اكلت رجليه الابارق والاماعز بل اكلت الابارق والاماعز رجلاه يقول ما يحسده على رقته كثيرون من شعرائنا الحاليين شرقيين وغربيين

بنفسي من لو مر برد بنانه على كبدي كانت شفاء أناملهْ
ومن هابني في كل شيء وهبته فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

ويقول

فيا خُلة النفس التي ليس دونها ... لنا من أخلاء الصفاء خليلُ
ويا من كتمنا حبه لم يُطع به ... عدو ولم يؤمن عليه دخيل
أمامن مقام اشتكي غربة النوى ... وخوف العدى فيه اليك سبيل
فديتك اعدائي كثير وشقتي ... بعيد واشياعي اليك قليل
وكنت اذا ماجئت جئت بعلة ... فافنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بارضك حاجة ... ولا كل يوم لي اليك رسول

وجملت ابن الدمينة أيضاً وهو اعرابي مثله يقول

لك الله اني واصل ما وصلتني ... ومثنٍ بما أوليتني ومثيبُ
وآخذ ما أعطيت عفواً وانني ... لازورُ عمّا تكرهين هيوب
فلا تتركي نفسي شعاعاً فانها ... من الوجد قد كادت عليك تذوب
واني لاستحييك حتى كانما ... عليَّ بظهر الغيب منك رقيب

ولا ينقص عنها في الرقة والبيان وجودة السبك قول الصمة بن عبدالله بن قشير بن كعب اعرابي آخر منها في جفاء العيش وخشونته

حننتَ الى ريّا ونفسك باعدت ... مزارك من ريّا وشعباكما معا
فما حسنٌ ان تأتيَ الامر طائعاً ... وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا
قفا ودّعا نجداً ومَن حلَّ بالحمى ... وقلَّ لنجدٍ عندنا أن يودّعا
بنفسي تلك الارضُ ما اطيب الربا ... وما أحسن المصطاف والمتربّعا
وليست عشيات الحمى برواجع ... عليك ولكن خلِّ عينيك تدمعا
ولما رأيت البشرَ أعرضَ دوننا ... وحالت بنات الشوق يحننَّ نُزّعا
بكت عيني اليُسرى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

هذا مثال مما قاله هؤلاء الاعراب في الترقق والغزل ولا ينقص عنه في البيان وحسن السبك ما قالوه في الفخر والحكم والرثاء وما الى ذلك واليك ما قاله النهشلي

انا محيّوك يا سلمى فحيّينا ... وان سقيت كرام الناس فاسقينا
وان دعوت الى جُلى ومكرُمةٍ ... يوماً سراة كرام الناس فادعينا
انا بني نهشل لا ندعي لابٍ ... عنه ولا هو بالابناء يشرينا
ان تبتدر غاية يوماً لمكرمة ... تلق السوابق فينا والمصلينا

وليس يهلك منا سيد أبداً الا افتلينا غلاماً سُيِّد فينا
انا لنُرخص يوم الروع انفسنا ولو نسام بها في الامن أُغلينا
اني لمِن معشر أفنى اوائلهم قيل الكماة ألا ابن المحامونا
لو كان في الالف منا واحد فدعوا مَن فارسٌ خالهم اياه يعنونا

الى آخر القصيدة

ومثل قول النهشلي قول الاخر من قصيدة له قال

اذا انت لم تُنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقلُ
ويركبُ حدَّ السيف من أن تضيمهُ اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحلُ
وكنتُ اذا ما صاحبٌ رام ظنتي وبدّل سوءا بالذي كنت افعلُ
قلبت له ظهر المجن فلم أدم على ذاك الا ريثما أتحولُ
اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجهٍ آخر الدهر تقبلُ

ولو اطعت هوى النفس واستشهدت بكل ما تراه اهلاً للاستشهاد به لملأت جزءا بل اجزاء من الهلال الاغر . على اني لا اطاوعها واستأذن القراء في ذكر الابيات الآتية فقط لامرأة من نسائهم وهي المعروفة بليلى الاخيلية قالت

يا ايها السدِم الملوي رأسه ليقود من أهل الحجاز بريما
أتريد عمرو ابن الخليع ودونه كعب اذن لوجدته مرؤوما
ان الخليع ورهطه في عامر كالقلب أُلبس جؤجؤاً وحزيما
لا تغزون الدهر آل مطرّف لا ظالماً أبداً ولا مظلوما
قوم رباط الخيل وسط بيوتهم واسنّةٌ زرق تخال نجوما
ومخرّق عنه القميص تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رفع اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما

دعنا من الشعراء والمنظوم من اقوالهم وانظر الى الاحاديث المروية عن الرسول فان هناك منها نحواً من عشرة آلاف حديث كانت في أوائل المئة الثانية للهجرة متداولة على الالسنة او مودعة في بطون الدفاتر وكلها من الكلام الذي اقرت له العرب والعجم انه من الكلام الذي لا يفوقه ان لم نقل لا يماثله كلام في فصاحةٍ ولا بلاغة

اللغة العربية في ما بين سنة مئة واربعين ومئة وخمسين كان فيها من كتب الادب

مثل كتاب كليلة ودمنة والدرة اليتيمة وغيرهما من ترجمة أو من تأليف ابن المقفع الكاتب المشهور وكانت فيها قبل ذلك مثل رسالة عبد الحميد الكاتب المشهور للكتاب وكتب الحجاج الى قواده وعماله وقبلها الرسائل التي تبودلت بين الامام علي بن ابي طالب وبين معاوية والخطب التي يعزوها ابن قتيبة الى ذلك الامام والى اصحابه من الصحابة والتابعين واثبتها في كتابه المشهور والمعروف « بالامامة والسياسة »

كل هذه المكتوبات وأمثالها وهي كثيرة كانت من الفصاحة والبلاغة بحيث لا تزال الى الان من النمط العالي الذي ينسج على منواله والقالب الذي يضرب على مثاله

اللغة العربية في الفاظها المفردة من أغنى لغات العالم قديماً وحديثاً واظن هذا من المسلم به عند العلماء من الغربيين والشرقيين وذلك للسبب الذي اشرت اليه آنفاً أي انها كانت لغة اعظم فرع لاعظم امة قامت في العالم الامة الآرامية المادية تاجرة العالم قديماً وناشرة التمدن السامي في اوربا وافريقيا ذلك التمدن العظيم الذي لا تزال آثاره ماثلة في محافد حضرموت واليمن وفي قصور بابل واشور وهيا كلها الخالدة على الدهر بل أزيد واقول وفي برابي مصر أيضاً واهرامها التي لا تزال فتنة الناظرين ودهشة العلماء والمفكرين

وليس غنى العربية في كثرة الفاظها فقط بل غناها العظيم الذي لا يكاد يماثل انما هو في اتساع اشتقاقاتها وكثرتها ونفوذ القياس واطراده في اغلبها ان لم أقل فيها كلها وما اظنها تنقص عن اليونانية أو اللاتينية مصدر غنى اللغات الاوربية ومقلع رخام الفاظها العلمية والفنية

هذه لمحة دالة في غنى وسبب غنى اللغة العربية . وكل علماء اللغات الذين اتقنوا العربية ووقفوا على دقائقها وغناها في مفرداتها واشتقاقاتها يوافقون على ما قلناه بل قد نقل عن بعضهم انه قال ما معناه ان كان ثم للغة حق أن تعيش وتبقى فالعربية أحق لغة ان يكون لها هذا الحق . وأنا أقول صدق هذا العلامة الاميركاني وقد عاشت اللغة العربية المضرية الى الان الفاً وخمسمئة سنة وأبناؤها اليوم يكادون يفهمون اشعار شعراء الجاهلية والمخضرمين كما يفهمون اشعار ابي تمام والبحتري والمتنبي أو كما يفهمون أشعار ابي العلا والشريف الرضي ويفهمون أشعار هؤلاء الفحول المتقدمين كما يفهمون أشعار شعراء المئة السادسة والسابعة بل هم يطربون بشعر الشعراء الاندلسيين وموشحاتهم ويقلدونها في نظمهم كأنها نظمت البارحة . ولعل هم كثيرين من خبرة

شعراء عصرنا الحاليين بقية القرن التاسع عشر ومن سبقهم من شعرائه أرباب الشهرة التي طبقت مصر والشام والعراق بل العالم العربي عن آخره هم أكثر هؤلاء ان لم أقل كلهم كان أن يحتذوا خطوات من تقدمهم من شعراء اليتيمة كالمتنبي وابي فراس الحمداني ومن خلفهم كالمعري والشريف الرضي ومن خلف هؤلاء من شعراء المئة السادسة والسابعة بل أعظم مدح لشاعر من أغلب شعرائنا الحاليين الحاضرين ان تحته بالمتنبي الكندي او بالمتنبي المغربي او بابي العلاء المعري او بابن نباتة المصري او بابن النبيه أو بابن سهل الاندلسي وأمثال هؤلاء . ومعنى ذلك ان اللغة العربية لغة حية كانت ولا تزال فلماذا يشكو منها البعض ومما يشكون منها يا ترى ؟

من يشكو منها وهل هو محق في شكواه ؟

ـ يشكو منها بعض الشعراء شعراء المنظوم والمنثور

اذا كان هم أكثر هؤلاء الشاكين او من هم في طبقتهم ان يقلدوا شعراء الحماسة أو شعراء اليتيمة بل شعراء المئة السادسة والسابعة في الفاظهم وعباراتهم وتراكيبهم بل في أغلب تشابيههم ومجازاتهم وكناياتهم فكيف يحق لهم الشكوى من اللغة أنها تنص بافكارهم وتضيق دائرة الفاظها وتراكيبها عن دائرة خيالاتهم وتصوراتهم الشعرية

وأنا أقول لهؤلاء الشاكين يا هؤلاء ما انصفتم لغتكم ولو انصفتم لسمعتم هاتفاً يهتف بكم ان وسعوا دائرة خيالكم وتصوراتكم عن ابتكار لا عن تقليد وعن رؤية لا عن ترجمة وأنا الضمين لكم ان العربية تتسع أمامكم كما اتسعت لمن تقدمكم وانكم تجدون في الفاظها المتولدة والتي يمكن أن تتولد على القياس (لفاهمي الاشتقاق والقياس) ما تطلبون وفوق ما تطلبون

رأيت البعض يدعون الملل من القوافي التي تتشابه وتتوازن وبعض هؤلاء يقولون تقليداً (على ما أظن) واتباعاً بالشعر الاعمى أي الشعر الذي لا قافية له فيا لله من أمثال هؤلاء فانهم على ما هو اولى أن يقال فيهم قد غلبهم حب التقليد على حسن ذوقهم الطبيعي فجعلهم يرون المحاسن على غير صورها الحقيقية . جعلهم يرون القافية العربية الجميلة الرنانة تثقل على اسماعهم ويشكون منها بل تطرف بعضهم وهم قلائل فعدلوا الى طرق غير مطروقة والى صور غير مألوفة لا عندنا ولا عند الغربيين كل ذلك عن حسن ظن على ما اظن ببعض أساتذتنا الغربيين الذين قالوا في القافية العربية ما قالوه عن غير تحقيق او قالوه متسرعين في الراجح

استطراد

كان تسارع الى ذهني ان متابعة بعض ادبائنا لبعض الاساتذة الغربيين غريبة في بابها لا نظير لها وكدت احسبها من جملة الادلة التي نقيمها احياناً او نقيم مثلها على انحطاطنا وفساد اخلاقنا وتربيتنا . ولكني عدت فذكرت أنا كثيراً ما نتعصب لاساتذتنا الوطنيين ونتابعهم فيما يذهبون اليه لا نسألهم دليلاً على ما يقولون ولا نطالبهم بحجة فيما يعتقدون بل قد كان مثل هذه المتابعة معروفاً عند من تقدمنا في ازمان عزنا واستقلالنا عن الغربي واليك ما جاء في هذا الصدد لشيخ من كبار شيوخ الادب العلامة الماوردي أحد أعلام القرن الخامس للهجرة في كتابه أدب الدنيا والدين قال رحمه الله بعد ان ذكر ما ذكر من فضل المعلم ومنزلته من التلميذ وحقوقه عليه ما نصه

« ولا ينبغي ان يبعثه اي التلميذ معرفة الحق له اي للمعلم على قبول الشبهة منه ولا يدعوه ترك الاعنات له على التقليد فيما اخذ عنه فانه ربما غالى بعض الاتباع في عالمهم حتى يروا ان قوله دليل وان لم يستدل وان اعتقاده حجة وان لم يحتج فيفضي بهم الامر الى التسليم له فيما اخذ عنه . (الى ان قال) ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلاً يناظر في مجلس حفل وقد استدل عليه الخصم بدلالة صحيحة فكان جوابه عنها ان قال هذه دلالة فاسدة وجه فسادها ان شيخي لم يذكرها وما لم يذكره الشيخ لا خير فيه فامسك عنه المستدل تعجباً ولان شيخه كان محتشماً » اه

والظاهر ان هذا غير مقصور علينا فقد اخبرني أحد الاساتذة الافاضل الذين كانوا في نيويورك مدة ودرسوا في جامعتها المشهورة وأخذوا دبلوماها ان القوم هناك يحترمون جداً النقول عن الاساتذة وأهل العلم المشهورين ويقبلون المنقول عنهم من غير أن ينظروا في صحته او في عدمها ويكاد يكون المنسوب الى استاذ من أساتذة الجامعة عند أحد تلامذتها او غيره كالمنسوب الى الشيخ الذي ذكره العلامة الماوردي عند تلميذه المومى اليه * ولنرجع بعد هذا الاستطراد الى ما كنا فيه

لا شك عندي أن بعضاً من الاساتذة الغربيين وبعضهم ممن كان من أساتذتنا طعنوا في القافية لما رأوا ما لها من المقام عندنا وزعموا انها تؤدي الى السآمة والملل وسواء كانوا يعتقدون او لا يعتقدون صحة ماقالوه وسواء ايضاً قالوه بعد الفكرة والروية او قالوه على التخيل مع التسرع والعصبيَّة فانا أعتقد ان ما قصد اليه شاعرنا العربي

بقوله – ايها اللائم سلمى – يصدق على أكثر هؤلاء الطاعنين واشك في أنهم ممن جمعوا بين التحقيق والانصاف – وقليلون هم الذين من هذه الطبقة – ومع هذا وذاك نقول لمثل هؤلاء الشاكين من يلزمكم أن تنظموا أكثر من عشرين الى أربعين بيتاً على قافية واحدة. واذا شاقكم البحر الذي تنظمون عليه وخفتم من ملل تكرار القافية فامامكم المخمسات او الموشحات الاندلسية واذا امتد بكم نفس موضوع قصيدتكم الى المئات من الابيات (نفرض ذلك فرضاً) فلماذا لا تقسمون الموضوع الى أبواب وفصول كما تبوّبون وتفصلون المنثور وحينئذٍ تجدون مندوحة عن ملل القافية وعن ملل الوزن او البحر الواحد ايضاً اذا كنتم تشكون منه كما تشكون من القافية ولم اسمع من شكا من هذا القبيل

وكان حالها في الحكم واحدةً لو احتكمنا من الدنيا الى حكم

وأظن السبب ان أحد الغربيين لم يَشكُ من ذلك كما شكا بعضهم من القافية . ولولا ان أعظم شعراء الغربيين من انكليز وفرنساويين ينظم أحياناً مئات الابيات على وزن واحد لرجّحتُ اننا كنا سمعنا الشكوى من البقاء على الوزن الواحد كما سمعناها على تكرار القافية الواحدة

وغاية ما اقولهُ ولا سيما من جهة استعداد اللغة العربية لبيان المعاني والتخيُّلات الشعرية وما اليها نظماً ونثراً انّي اشكُّ في أن اللغة الانكليزية وهي في الوقت الحاضر من أغنى لغات اوربا تستطيع أن تمثل أفكار المتنبي وحماسة المتنبي المعروفة له في مدح سيف الدولة بالفاظ أفصح من الفاظه وعبارات أبلغ من عباراته او تحدث في النفس لو اخذت على عهدتها تصوير تلك المعاني ما تحدثه تلك القصائد من القشعريرة والنشأة في نفس قارئيها

واشكُّ ايضاً بل انا على يقين ان المعاني والحكم المودعة في كافوريّات هذا الرجل لا تستطيع اللغة الانكليزية على تصويرها بعبارة أبلغ من عبارتها العربية . فان قلت ان المتنبي وابا العلاء المعرّي والبهاء زُهَير لم ينظموا مثل معاني شكسبير ولا نقابل معانيهم بمعانيه ولا طريقتهم بطريقته قلت انت هنا تقابل الرجل بالرجل لا اللغة باللغة فشكسبير غير المتنبي وغير ابي العلاء وغير البهاء زهير وعلمه غير علمهم وطريقته وموضوعه غير طريقتهم وموضوعهم . ولا شك عندي ان شكسبير كان اوسع تخيُّلاً واعلم بالناس واطباع الناس وما يجول في خواطر كل طبقةٍ من طبقاتهم اكثر من البهاء زهير ومن

المتنبي ومن ابي العلاء ايضاً ولكن هذا لا يعني ان اللغة الانكليزية في اتساعها واستعدادها للترقي كانت وستكون افضل من اللغة العربية وان نسبتها اليها في ذلك هي كنسبة اتساع خيال شكسبير ومعرفته باطباع طبقات الناس وعواطفهم وانفعالاتهم الى اتساع خيال المتنبي ومعرفته كذلك

افرض ان مثل شكسبير الآن ومثل المتنبي كذلك توارد خاطر كل منهما على معنى وأحاط كل بذلك المعنى كاحاطة صاحبه به وجاء هذا بعبارته الانكليزية وذاك بعبارته العربية فاي العبارتين تظن كانت تكون افصح وابلغ — الحكم في هذا نتركه توهماً لعارف باللغتين

دعنا من الفرض والحكم على المفروض وهلم بنا الى الموجود والواقع فعلاً وبيانه اطلع أحد كبار أساتذة الانكليز وجهابذة كتابهم على ديوان البهاء زهير وأحاط بمعانيه كل الاحاطة وفهمها بمساعدة المرحوم رزق الله حسون تمام الفهم ثم ترجم ذلك الديوان الى الانكليزية . ولا شك ان غيري وقف على هذه الترجمة كما وقفت انا عليها منذ سنوات فليحكم الاديب المطلع على الترجمة بين اللغتين وليقل لنا هل الالفاظ الانكليزية وتراكيبها هي اشفُّ عن تلك المعاني من اللغة العربية وأكثر منها ايجازاً واقتصاداً على انتباه السامع

اخترت ديوان البهاء زهير لان الرجل شاعر فكاهي اعتيادي لم يغرب في تخيلاته ولا في تصوير انفعالاته وجلُّ ما جاء به ان لم يكن كلهُ من المألوف المعتاد بل عبارته تنحو في أغلب أحوالها منحى لغة العامة الا انها عبارة أديب عارف بصرف اللغة ونحوها لا يجوز ما تجوزه العامة من ثلم زوايا الالفاظ الصرفيـة ولا يخلُّ بالاستواء الذي يقتضيه المطار الإعرابي . ومثل هذه اللغة ليس في ترجمتها الى لغة اخرى ما يعجزُ المترجم وتغصُّ به اللغة المترجم اليها

نعم أهل اللغة الانكليزية غير أهل اللغة العربية في أطباعهم وعاداتهم وحاسياتهم ومجاري أفكارهم وغيرهم ايضاً في علمهم واختباراتهم وبالتالي في تخيلاتهم وفي قابلياتهم واستعدادهم واعترف ايضاً من غير استحياء ان في خاصة الانكليز وأهل الادب منهم الآن افراداً أرقى من خاصة المتكلمين بالعربية في استعدادهم وعلمهم معاً . كل ذلك مسلم به عندي وعند غيري كما أرجح ولكنني لا اسلم ان استعداد اللغة الانكليزية للاتساع وتصوير الافكار والتخيلات الشعرية حقيقةً او مجازاً هو في أصله وطبيعته أعلى وأرقى

من استعداد اللغة العربية له . ينقصنا استعداد الاشخاص لا استعداد اللغة وارتقاء الافراد المتكلمين بها لا ارتقاءها لان ارتقاء اللغة انما هو بارتقاء افرادها وانحطاطها بانحطاطهم أو بقلتهم

متى وُجد الشخص المستعد ذو المتخيلة الواسعة الشعرية بين ادباء العربية وجدت فيها تلك التخيلات الشعرية السامية والجميلة لا ينقصها شيء مما نراه لها من الرونق والطلاوة والبهاء في لغة من اللغات الغربية

وجد الريحاني فوجد وادي الفريكة . وُجد جبران جبران فوجدت المواصف وامثالها من كتابته ومن لا نأخذه نشأة واعما انشأة وهو يقرأ كتابات هذين الكاتبين الشعرية النثرية . انا أعرف الريحاني شخصياً وأعرف ان تمكنه من اللغة الانكليزية يفوق تمكنه في العربية وان ما استمدهُ من لغة كبار كتاب الانكليزية في الفاظهم وعباراتهم هو أضعاف ما استمدَّه وما يستطيع ان يستمدَّه من كبار كتاب العربية ولكن جمال وادي الفريكة في العربية ليس هو دون جمال ذلك الوادي فيما لو كتبه الريحاني باللغة الانكليزية على ما أعتقد . مع انه لو كان استعداد الانكليزية في اصل فطرته أرقى وأقوى من استعداد العربية لكان حسن وادي الفريكة فيما لو كتبه الريحاني بالانكليزية عشرة أضعاف حسنه في العربية

ماذا تقول ايها الريحاني العزيز وقد قرأت ما قلتُ اني اعتقده عن جمال وادي الفريكة في العربية وانك لو كتبته بالانكليزية لما زاد جمال المكتوب في هذه عن المكتوب في تلك كما ينبغي ان يزيد فيها لو كان استعداد اللغتين في اصله واحداً بداعي كثرة من كان يمكن ان تستعين بهم من كتاب الانكليزية الذين سبقوك وقلة من استعنت بهم من كُتاب العربية بل أرجح ترجيحاً يقارب اليقين انك لم تستعن باحد اما لانه لم يقُله بين كتاب العربية الغابرين مثل كتاب وادي الفريكة او لان كتبهم تولاها الضياع مع الايام او ابتلعها دجلة في جملة ما ابتلعهُ من كتب مكاتب بغداد

يا حضرة جبران افندي جبران انا وان لم اعرفك اعرفك ودعني اقول بعض المعرفة واظن انك في آداب اللغتين كما ذكرتُ عن الصديق الريحاني ولذلك اسألك هل كانت تكون عواصفك فيما لو كتبتها بالانكليزية في شدتها ضعفي ما هي عليه في

العربية ولا اقول اضعاف « على ما كان ينبغي » بل هل كانت تكون مثلها مع شيء من الربا الذي يستحقه رأس مال اللغة الانكليزية المتحول اليك من بنوك كبار كتابها

وما قلتهُ في الكتابة الشعرية أقولهُ في الكتابة الادبية في كل انواعها على العموم اي اننا نحتاج الى الكتاب المستعدين بالفطرة اولاً وبالاكتساب ثانياً مع التفرّغ للكتابة وترك الاشتغال في غير ما تجرّدنا او تفرَّغنا للكتابة فيه. فانه ـ على ما اعتقد ـ اذا وُجد الكتاب على هذه الشريطة في العربية وُجدت فيها ولا شك تلك الكتابة البليغة السامية التي نراها لكبار كتاب الانكليز والفرنساويين . وبعبارة اخرى ليوجَد في كتاب العربية من هم في استعدادهم الفطري والمكتسب مثل كارليل ومكولي مثلاً او مثل فيكتور هيكو ورينان فتوجد فيها كتابة هؤلاء في السموّ وبلاغة البيان

وُجد ابن خلدون فوجدت مقدمته وليست كتابات امثاله من الفرنساويين والانكليز في هذا الموضوع بابلغ من كتابته في المقدمة. وُجد الامام الغزالي فوُجد الاحياء وبقية مؤلفات هذا الامام التي لا نظير لها في فصاحة الفاظها وبلاغة عباراتها مع الدقة والتحقيق اللذين لا يتهيئان لكاتب ما لم تكن اللغة التي يكتب فيها على درجة بالغة من الارتقاء والاتساع

وُجد الامام الزمخشري وخطيب الري الفخر الرازي فوُجد تفسيرهما والكتابان آية من آيات البلاغة وهيهات ان يكون لكتابٍ في مثل موضوعهما مثل ما لهما من رائع الفصاحة وسموّ البيان والبلاغة ولو كان المؤلف من طبقة رينان عند الفرنساويين او من طبقة مكولي او كارليل عند الانكليز

ومثل تفسير الامام الفخر الرازي تفسير العلامة ابي السعود محمد العمادي قاضي السلطان سليمان الكبير العثماني فان واقفاً على هذا التفسير لا يتصوَّر ان تقوى لغة غير العربية على الاتيان بتفسير افصح منه او أبلغ

وُجد المرحومان جرجي زيدان وجميل المدوّر فوجدت روايات الاول التاريخية ووُجد حضارة الاسلام في دار السلام لثاني كتاب لو وُزن بالدرر لرجحها . ولو تفرَّغ المرحوم زيدان للروايات التاريخية واستعان ببعض من كتاب الروايات الذين تقدموه لكانت روايات المرحوم زيدان لا تنقص في فصاحتها وبلاغتها وتلاحم نسجها ودقة

تعبيرها عن كتابات دوماس الشهيرة ان لم تكن كانت زادت عليها طلاوةً وبلاغة عبارة على حين أن المرحوم زيدان لم يكن كاتباً روائياً بل كان في فطرته فيلسوفاً مفكراً وانما عدل الى كتابة الروايات لانه رأى ان سوقها رائجة وطلابها كثيرون يزيدون عشرات المرات عن طلاب التاريخ لفلسفته والاعتبار به

وُجد الدكتور صروف فوجدت روايتاه فتاة مصر وفتاة الفيوم ووجدت ترجمته الحرب المقدَّسة وسرُّ النجاح والدكتور صروف ليس هو روائياً في فطرته ولا تفرَّغ لكتابة الروايات انما عنَّ له ان يودع بعض صفحات المقتطف شيئاً من فلسفة الإقتصاد وقوة العقل والمال وشرّ المضاربات وما تؤدي اليه ليستفيد الشبان من فلسفته وليحذروا من شراك المضاربات المنصوبة امامهم بصورها الكثيرة الجذَّابة ومع ذلك جاءت روايتاه في شكلهما وموضوعهما كاحسن ما كتب في بابهما من الروايات الغربية مبنًى ومعنًى ولقد قرأت الروايتين حين صدورهما ولا أزال الى اليوم اشعر بنشأة استحسان تقوم في نفسي كلما ذكرتُ اسميهما

وُجد المرحوم البستاني والدكتور فانديك فوُجدت ترجمة سياحة المسيحي التي تكاد تكون أبلغ من الاصل او كان الكتاب وضع وضعاً ولم يترجم ترجمة

وجد المرحوم فارس الشدياق فوجد كتاب الواسطة وكتاب كشف المخبا وسائر كتاباته الادبية البالغة من الحسن والطلاوة مبالغها . ولعل كل من ذكرنا لم يكونوا في استعدادهم الفطري من الطبقة الاولى فيما كتبوا فيه وبعبارة اخرى لم يكن استعدادهم للكتابة في المواضيع التي كتبوا فيها أو ترجموها نظير استعداد أكابر كتاب الانكليز والفرنساوية في تلك المواضيع هذا فضلاً عن أنهم لم يتفرغوا لما كتبوا فيه كما تفرغ من نقابلهم بهم من اكابر كتاب القوم الذين نقابل لغتنا على لغاتهم ومؤلفاتنا على مؤلفاتهم

وجد المرحوم الدكتور شميل فوجدت كتاباته في الموضوع المستعد له في فطرته ومع انه لم يستعن بغيره من كتاب العربية المتقدمين عليه جاءت كتاباته في فصاحة الفاظها وبيان عباراتها وبلاغتها كافصح وابلغ ما جاء في ذلك الموضوع لاكابر علماء الفرنساويين والانكليز

وصلت في نسخ هذه المقالة الى هنا ثم اتفق أن أحدهم فتح « المورد الصافي » الذي صدر حديثاً وقرأ علينا فيه مقالة للمرحوم الشيخ اسكندر العازار موضوعها

« قيمة الاشياء » فقلت في نفسي لو ان المرحوم الشيخ اسكندر تفرغ وهو في الاربعين من عمره لهذا النوع من الكتابة الذي اشتهر فيه دكنس عند الانكليز ومارك توين عند الاميركان فاي ذخيرة بل اي كنز كانت صارت كتاباته في العربية لمن يأتي بعده من الكتاب . ان المقالة المشار اليها أسالت في مواضيع كثيرة منها دموع الكثيرين منا ان لم أقل كلنا لفكاهتها وتدفقها بحسن الدعابة وخفة الروح . وهنا يصح أن نقول كما قلنا سابقاً وجد المرحوم الشيخ اسكندر العازار فوجدت كتابته في خطبه التي رن صداها في الآفاق واطربت نوادي الادب من سمع ومن قرأ ولا نزال في كثير من مواقفها ومباغتاتها تضحك الثكلى ويغفل معها الحزين عن احزانه والشجي الصابي عما شجاه وأصباه

وما نفس — فلا ينبغي لاحد أن ينسى — كتابات المرحوم قاسم أمين في كتابيه تحرير المرأة والمرأة الجديدة فانهما من الطراز العالي العالي وقد كان المرحوم قاضياً فيلسوفاً لا منشئاً كاتباً فكيف بكتابته فيما لو كان مفطوراً على الادب وحسن البيان وتفرد للكتابة فيما فطر عليه . وارجح ايضاً انه لا يذكر ذاكر في مصر المرحوم قاسم امين الا ويذكر تلميذته المرحومة باحثة البادية . ومن يقول ان كتابة سيدة اوربية في سنها وفي الموضوع الذي كتبت فيه هي في البيان والبلاغة أو في فصاحة الالفاظ والعبارة أعلى طبقة من كتابتها رحمها الله

(للبحث بقية) جبر ضومط

حكم عربية

لا تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسأل من تخاف منعه ولا تعد بما لا تقدر على انجازه

لا تبد من العيوب ما ستره علام الغيوب

لا تذكر الميت بسوء فتكون الارض أكتم عليه منك

ان لم يساعدنا القضاء ساعدناه

ان كان في الكلام بلاغة ففي الصمت عافية

اياك ومفارقة الاعتدال فان المسرف مقصر

اذا حان القضاء ضاق الفضاء

ليلة دجنّة

قال الشاعر يصف ليلة تكاثفت فيها السحب وثارت الزوابع فتتابع برقها وقصف رعدها وانهمر مطرها حتى عظم السيل وخيف من الغرق

يا ارض ماءك ابلعي ويا سماء اقلعي
ويا فوارع اهدئي ويا زوابع اهجعي
ويا بروق امسكي ويا غيوم اقشعي
قد بلغ السيل الربى ولم يدع من موضع
بمثل هذا السيل في اعمارنا لم نسمع
كم غمرت مياهه من مربع فمربع
يهطل ماء من سحا بٍ بالبخار مشبع
كأنه بحر هوى من المحل الارفع

ومنها

أرى سيوفاً ارهفت من البروق اللمَّع
ابيضَّ منها الليل من بعد سواد اسفع
كأنها انياب غو لٍ للورى مبتلع
وظل يرغو الرعد بعد الـ برق فوق الاربع
كأنما يثور في الـ سماء الف مدفع

ومنها

زوبعة شديدة تأتي وراء زوبع
تخال ان البيت طا رَ بريح زعزع
وانه منقلع وليس بالمنقلع

ومنها

الارض من سخط السما ء بالغت في الجزع
يا لنفوس غاب عنـ ـها الرشد فهي لا تعي
يا لقلوب خفقت للخوف بين الاضلع
وللنساء معولا ت من عظيم الهلع

جميل صدقي الزهاوي

دولة الالفاظ

كتبت منذ سنوات مقالاً في هذا المعنى في الهلال أوردت فيه جملة الفاظ عربية واوضحت فيه المعاني المختلفة التي تفرعت من اللفظ الواحد ودلالة نشوء اللفظة على حالة البيئة التي نبتت فيها

وقد عنّ لي ان اعاود البحث والاستقصاء على الرغم من وعورة المسلك اذ لا يخفى ان التماس أصول الكلمات اشق على الباحث العربي مما هو على الباحث الغربي لان اللغات الاوربية حديثها وقديمها تحت متناوله بخلاف الحال عندنا فان الباب مرتج دون تعرف اللغات الشرقية والسامية التي نبتت منها لغتنا

قيل ان الاصل في اللغات تلك الاصوات التي يشترك فيها الانسان والحيوان عندما ينفس عن عاطفة مثل آه وأف وكخ وهي الفاظ تشترك فيها جميع الامم تقريباً ولكن ليس في اللغات ما يدل على تفرع الاشتقاق منها

لذلك نبذ اللغويون ذلك الرأي وأدى بهم الاستقراء الى القول بأن أساس اللغة هو تقليد الصوت المسموع ومنه تتفرع الالفاظ فيلبس المعنى الجديد اللفظة القديمة ويضعها في قالب يختلف قليلاً او كثيراً عما كانت عليه باعتبار قرب المعنى أو بعده عن اللفظة

فالقطع يحكي صوت الجسم وهو يشطر بآلة حادة كما يدل على ذلك وجود هذه اللفظة في الانجليزية وهي cut وفي الفرنسية وهي couper . وقد تفرع منها قط وقد وشق وعق ومن هذه اللفظة الاخيرة عقوق الوالدين وعدم البر بهما لان من يعق والديه يقطع صلته بهما

ولا نعرف الآن لماذا سميت النار ناراً ولكننا لا نشك في أن النور والنهار مشتقان منها

كذلك لا نعرف لماذا تدل الجيم مع اللام على عظم الشيء . فربما كان هناك أصل فقد من اللغة وبقيت فروعه في جبل وجمل وجلل وجل وجلة

قلنا ان المعنى الجديد يلبس اللفظ القديم اذ لا يمكن للناس أن يخترعوا الالفاظ اختراعاً وانما يحورون اللفظة بحيث تتميز عن شكلها القديم فلا تختلط بذلك المعاني . مثال ذلك أن الانسان وضع البكور والغداة للصباح ثم اشتق منها باكر وغد . وقد

سار الانجليز على منهج العرب في ذلك فكلمة Morrow مشتقة من Morning . ولا نشك ايضاً في ان كلمة امس مشتقة من مساء . وذلك الانسان اذا أراد أن يتذكر الغد فلا يخطر بباله للدلالة عليه سوى أقرب شيء اليه منه وهو الغداة واذا خطر بباله معنى الأمس فلا يجد أقرب اليه في تذكره من مسائه

ولننظر الآن في معنى الرحمة وكيف توصل الانسان الى سك هذه الكلمة واناطة هذا المعنى الغريب بها . فالرحمة هي تلك العلاقة الكائنة بين الانسان وذوي رحمه أي أقاربه . فلم يكن لها قديماً ذلك المعنى الغيري العام الذي لها الآن . وانما هي لفظة كانت تدل على علاقة المرء بذوي قرباه تمييزاً لهذه العلاقة عما سواها في معاملة الاغراب . ثم ارتقى الانسان فصارت الأثرة ايثارا والانانية غيرية . ودعماً لما نقوله نشير الى كلمتي Kinsman Kindness الانجليزيتين وهما تبينان نشوء الرحمة من قرابة الدم

وقد اشتق العرب لفظة اليمن بمعنى الخير والبركة من اليد اليمنى كما اشتقوا العسر والشؤم من اليد اليسرى ومنه قولهم فلان أعسر أي يستعمل يده اليسرى والانجليز يعبرون عن معنى أعسر ومشؤوم بلفظة واحدة وهي sinister . والارجح في سبب هذه العلاقة انه كانت هناك اعتقادات قديمة شائعة بين البشر اكثرها أوهام وخرافات ولدها الجهل بتعليل الاشياء تعليلاً منطقياً علمياً فنسبوا الشؤم الى العسر

واللغات تتكيف بتكيف البيئة التي تنبت فيها فللعرب مئات الالفاظ عن الجمال والخيول وللانجليز مئات مثلهم عن البحار والسفن فقد ينتهي عمر الاجنبي الدارس للغة الانجليز ولا ينتهي من معرفة الفاظهم الخاصة بالبحر والسفن وما يتعلق بهما من الملاحة الحربية والتجارية

ولما كانت جزيرة العرب بلاداً حارة يتشوق أهلها فيها الى البرد ويتململون من الحر وكانت انجلترا بلاداً باردة يشتهي أهلها الحر والدفء ويتبرمون بالبرد كانت لذلك الفاظ البرودة دالة على الراحة عند العرب بعكس الحال عند الانجليز فلا يدل على الراحة عندهم سوى الفاظ الدفء . فالعرب يقولون للسعيد : قرير العين أما الشقي فهو سخين العين . واذا استطابوا شيئاً نسبوه الى البرودة فقالوا : عيش بارد وغنيمة باردة . واذا دعوا لاحد قالوا : أثلج الله صدره . وهذا بعكس الانجليز الذين

بدل الدفء عندهم على الدماثة في كلمة warmth واذا ارتاح الانسان صار warm أي دافىء

وليس هذا بغريب اذا اعتبرنا ان الاسكيماويين يعتقدون أن جهنماً باردة مظلمة لا نار فيها ولا نور لأنهم لما كانوا يقضون معظم العام في برودة القطب الشمالي وظلمته كان أشد ما يعانونه ويودون الخلاص منه : البرد والظلام

ومن الالفاظ ما يدل على نوع التمدن السائد في وقت ما . مثال ذلك أن الفاظ الاطعمة عند الانجليز فرنسية ما دامت على المائدة اما اذا كانت في الحقل فهي انجليزية فالخنزير ما دام في الحقل فهو pig يقنع بالتسمية الانجليزية فاذا جاز ادوار الطهي ووصل الى المائدة تفرنس وصار pork . والاصل في هذا ان النورمان كانوا يتكلمون الفرنسية عند ما غزوا انجلترا فلما سادوا على البلاد سادت لغتهم في بيوتهم وتعلمها منهم خدمتهم وبقيت لغة الانجليز في الحقول

وقد كانت الدولة الرومانية قبل النهضة العربية متسعة العمران فليس عجيباً ان نجد تلك الكلمات الرومانية : قنطار وقلم وقرطاس ومنجنيق وقانون الخ في اللغة العربية

سلامه موسى



ما الفرق بين المتوحشين والمتمدنين

نعم العلم على البشر

امثلة عجيبة من المستحدثات العلمية الجديدة

ارجع بمخيلتك ايها القارىء الى مئة سنة خلت وتصور حالة العالم اذ ذاك ثم قارنه بعالمنا الحالي . لا نخالك الا تقول متعجباً : « ما أعظم الفرق بين العالمين ! » اجل ان الفرق هائل وانه ليكفي احدنا أن يتصور نفسه عائشاً بلا سكك حديدية وتلفون وتلغراف وآلات كهربائية على اختلاف انواعها وفونوغراف وسينماتوغراف و و . . . الى آخر مستحدثات هذا العصر حتى يدرك مبلغ الاختلاف الذي يطرأ على معيشته لو لم تكن بين يديه تلك النعم المباركة

وقد ضاعفت الحرب اجتهاد العلماء والمستكشفين لحثهم على الاختراع والاستنباط . ومع ان جانباً غير يسير من تلك العناية صرف في الشر واستخدم للاضرار والاتلاف والقتل والتدمير فقد بذل الجانب الآخر في اوجه مفيدة زادت سيطرة الانسان على الطبيعة واستثماره لكنوزها ومواردها . فلقد توصل العلم الى امور لم تخطر ببال ولم يحلم أحد بتحقيقها حتى بين العلماء انفسهم

خذ الطيارة مثلاً . اتصدق أيها القارىء انه من زمن غير بعيد قام نفر من كبار العلماء يثبطون همم المخترعين المجتهدين فنشروا مباحث مستفيضة أرادوا أن يبرهنوا بها انه من المستحيل ان يتمكن الانسان يوماً من الطيران في الجو على آلة أثقل وزناً من الهواء وقد دعموا دعواهم هذه ببراهين حسابية مختلفة . . . وها هو الطيران قد اصبح أمراً راهناً يبشر بانقلاب عظيم في حياة الانسان

ولكي تدرك أيها القارىء شيئاً من النشاط العلمي في هذا العصر اعلم ان قلم تسجيل الاختراعات في الولايات المتحدة وحدها قد سجل في السنة الماضية ٨١٩٤٨ امتيازاً باختراع بين كبير وصغير فتأمل ! وكان في السنة السابقة لها قد سجل ٦٢٧٥٥ امتيازاً

ولو اردنا تعداد أهم الاختراعات المستحدثة لما استطعنا ذلك في مقالة بل ولا في مقالات . وفي كل جزء من أجزاء الهلال يجد قراؤنا أمثلة من التقدم العجيب في هذا المضمار وانا موردون في هذه المقالة أمثلة جديدة من الاختراع والاستكشاف

في دوائر العلم المختلفة . ولا يسع المطالع عند استيعابها الا ان يتمنى لو يتاح له أن يعيش مئة سنة أخرى ليرى ما يكون من شكل العالم حينئذٍ . فلئن كان الفرق بين هذا الجيل والجيل السابق عظيماً فاعظم منه بلا ريب سيكون الفرق بين هذا وبين الجيل القادم !

* * *

ان الحاجة هي ام الاختراع في معظم الاحيان. وقد احتاجت الامم المختلفة في أثناء الحرب الى اشياء كثيرة نقصتها فكان ذلك النقص دافعاً لاهل الابتكار والاجتهاد الى الاستعاضة منه . فمن ذلك ان السكر قلّ في معظم البلدان اثناء الحرب فاخذ



المسيو بيلان الفرنسي صاحب طريقة نقل الصور بالتلغراف

العلماء الكيماويون في تركيب مواد تقوم مقامه وتوصل بعضهم اخيراً الى تحويل نشارة الخشب الى مادة سكرية . ومع ان هذه المادة تختلف طعماً عن السكر المعروف فانها من الوجهة الغذائية تقوم بوظيفته خير قيام ويمكن استخدامها في مشروبات واطعمة مختلفة

كذلك الصوف فقد توصل بعض العلماء الى تركيب صوف صناعي ونسجه كما ينسج الصوف الطبيعي . وقل مثل ذلك ايضاً في الورق فقد اجريت تجارب تؤمل بصنعه قريباً من بعض انواع القصب والعشب

ومن الاكتشافات ذات الشأن انهم عثروا اخيراً على مادة ترابية في مقاطعة

ديفونشير بانجلترا سيكون لها شأن كبير في صناعة الزجاج فان هذه المادة موجودة بكثرة وهي تحتوي على جميع المواد الداخلة في صنع الزجاج ولذا ينتظر ان يصنع منها ارخص زجاج معروف في العالم

وقد أخذوا الآن يستخدمون للاغراض السلمية عدة اختراعات استحدثت في زمن الحرب لاغراض حربية فمن ذلك جهاز كان يستعمل لاستكشاف السراديب والانفاق وهي تحفر في الارض لبث الالغام تحت خنادق العدو . فهذا الجهاز يستعمل اليوم لاغاثة المعدنين . فلا يخفى ان المعدّن كثير التعرض للخطر بسبب ما يحدث في المناجم من الطوارىء المختلفة وقد يقضي ساعات بل أياماً في مكانه لا يجد مخرجاً



صورة منقولة بالتلغراف

يخرج منه واذا لم يغثه احدٌ مات موتة شنيعة ... فبفضل الجهاز الذي نحن بصدده يمكنه ان يبعث اشارات منبئة بحالته بنقر الارض بفأسه نقرات معلومة تنتقل الى الجهاز ويمكن سماعها بسهولة لشدة احساس ذلك الجهاز . وباستعمال جهازين معاً والتنقل بهما يمكن تعيين مصدر النقر فيسهل اذ ذاك تخليص المعدنين

ويظهر ان العلماء الكيماويين قد درسوا خواص الغازات الخانقة وغير الخانقة درساً مستفيضاً أثناء الحرب ما كان ليتيسر لهم في قرون . وقد توصلوا اخيراً الى معلومات لو نفذت في الحرب القادمة لشاب من هولها الولدان . على انه افضل لنا ان ننظر الى الفوائد التي اجتنيت من هذا الدرس . فان الجهازات الواقية من الغازات

الخانقة التي استخدمت في الحرب تستعمل اليوم في اطفاء حريق الغابات في اوربا واميركا وفي مهاجمة المنازل المحترقة لتخليص القاطنين فيها

وهناك طريقة جديدة تستخدم اليوم لانذار المعدنين بالخطر وهي ان المراقبين والمناظرين اذا توجسوا خطراً على بعض جهات المنجم امروا بارسال بعض الغازات الكريهة الرائحة في الانابيب التي تحمل الهواء المضغوط الى اطراف المنجم فاذا شم المعدنون تلك الرائحة المعروفة لديهم اتخذوا حيطتهم لدرء الخطر المحدق بهم

***

وقد سمي هذا العصر عصر الكهرباء لكثرة الاختراعات الكهربائية فيه . ومن أحدث تلك الاختراعات جهاز يركب على السفن لارشادها الى دخول الموانىء في الايام المظلمة الجو الكثيفة الضباب . وذلك انهم يمدون سلكاً مكهرباً من خارج الميناء الى داخله فبواسطة الجهاز المركب على السفينة يمكن الربان ان يتتبع طريق هذا السلك فيأمن كل خطر . وقد حسبوا ان السفن تقتصد مبالغ عظيمة جداً بهذه الطريقة اذ لا يخفى ان بقاء السفينة خارج الميناء يكلفها فحماً وعملاً فالجهاز الذي نحن بصدده لا يزيد ثمنه عن نفقة يوم واحد تقضيه السفينة خارج الميناء

وقد بلغوا درجة عالية جداً في دقة صنع الآلات الكهربائية . فمن هذه الآلات آلة تحسب القوة الكهربائية الناشئة عن نبض القلب . وآلة تصور اهتزازات الصوت. وآلة اخرى تضخم الصوت ونبراته المختلفة فتمكن من معرفة ما يجيش في صدر الانسان من الانفعالات المختلفة التي يترجم عنها الصوت

وقد سبق لنا ان ذكرنا في الهلال خبر الآلة التي تمكن العمي من القراءة بواسطة آذانهم أي انها تحول الحروف الكتابية الى نقرات مختلفة تنتقل الى سماعة متصلة بالاذن فيميز الحرف من الآخر مع التمرين بسهولة. وكأن هذا الاختراع ينيب السمع عن البصر . ولا يخفى ان العمي كانوا الى اليوم يطالعون كتباً مطبوعة باحرف بارزة تمر أصابعهم على صفحاتها فيميزون أشكالها المختلفة بحاسة اللمس

ومن الاختراعات ذات الشأن في عالم الملاحة انهم توصلوا الى الاستغناء عن الحراس الذين كانوا يعيشون في المنارات القائمة في البحر لارشاد السفن . وذلك بصنع اجهزة تضيء في الليل وتنطفىء في النهار لنفسها . ولا حاجة الى مراقبتها وتموينها بالمواد اللازمة للاضاءة الا مرة في السنة

أما الحركة التي بها يضاء القنديل ويطفأ فمرتبطة بنور الشمس أي ان هناك جهازاً شديد الاحساس اذا ظهرت الشمس (حتى ولو حجبتها الغيوم) اطفأ النور واذا اختفت اشعله من تلقاء نفسه

* * *

وتمتاز اختراعات هذا العصر واكتشافاته بسرعة تطبيقها والاستفادة منها . فقد كان المخترع من أهل العصور السابقة يفني حياته لاستنباط جهاز ذي شأن أو كشف حقيقة علمية خطيرة ولكنه ندر بينهم من استفاد من عمله واجتهاده حتى كان القرن



صورة زيتية كما تظهر بالتصوير الفوتوغرافي (على اليسار) وباشعة رنتجن (على اليمين) وبالنظر الى هذه الاخيرة يظهر مكان مرقع في الصورة الاصلية

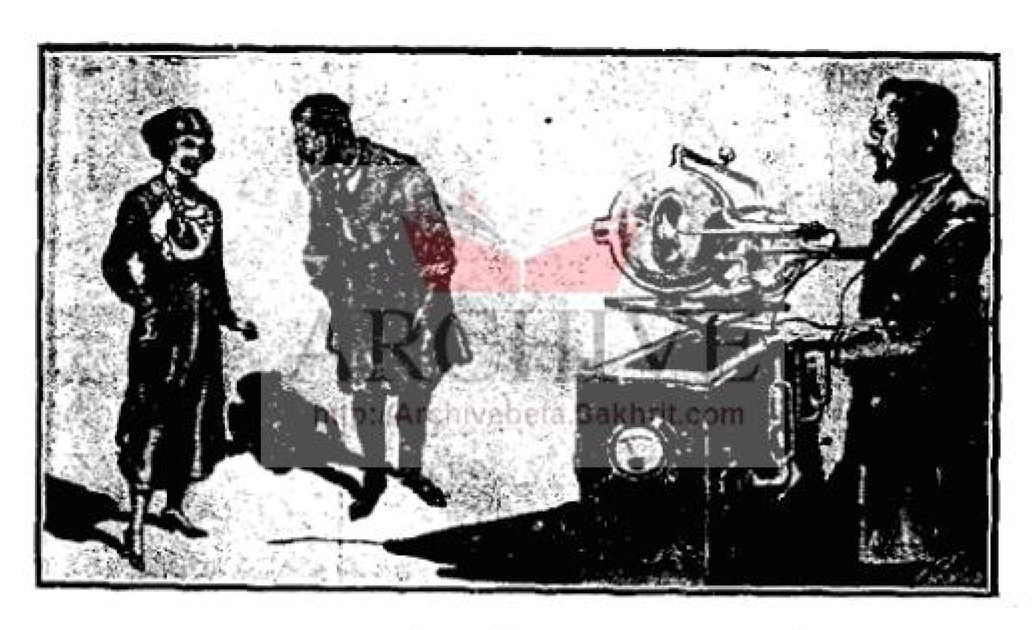
الماضي فعكف بعض المفكرين على الافكار القديمة وأخذوا يطبقونها ويستفيدون منها عملياً . والمخترع اليوم حالما ينجز اختراعاً يعرف كيف يستفيد منه لكثرة الوسائل والاموال التي تسهل عليه ذلك

فمن امثلة ذلك ان معدن التنجستن Tungsten استكشف منذ اكثر من ١٤٠ سنة ولكنه لم يستخدم في الصناعة الا اخيراً وهو اليوم من اثمن المواد واعظمها شأناً في عدة صناعات فانه يدخل في صناعة الاوتوموبيل وفي آلات اشعة رنتجن وفي

اجهزة التلغراف اللاسلكي وفي القناديل الكهربائية وغير ذلك

اما في الطب فكانت الاختراعات والاكتشافات كثيرة في هذا العصر . فقد توصل علماء الطب الى مقاومة انواع من الميكروبات صغيرة جداً لا ترى باقوى الميكروسكوبات . وتوصل أحد العلماء اليابانيين اخيراً الى ايجاد مصل يقي من الحمى الصفراء وقس على ذلك أمثلة أخرى كثيرة

ومن أغرب ما عثرنا عليه في باب تربية الطيور الداجنة خبر التجارب التي قام بها أحد العلماء أخيراً لزيادة انتاج البيض . وهاك النظرية التي استند اليها قال : ان الدجاج المعروف اليوم نشأ في جهات قريبة من خط الاستواء اي ان جهازه قد تعود على

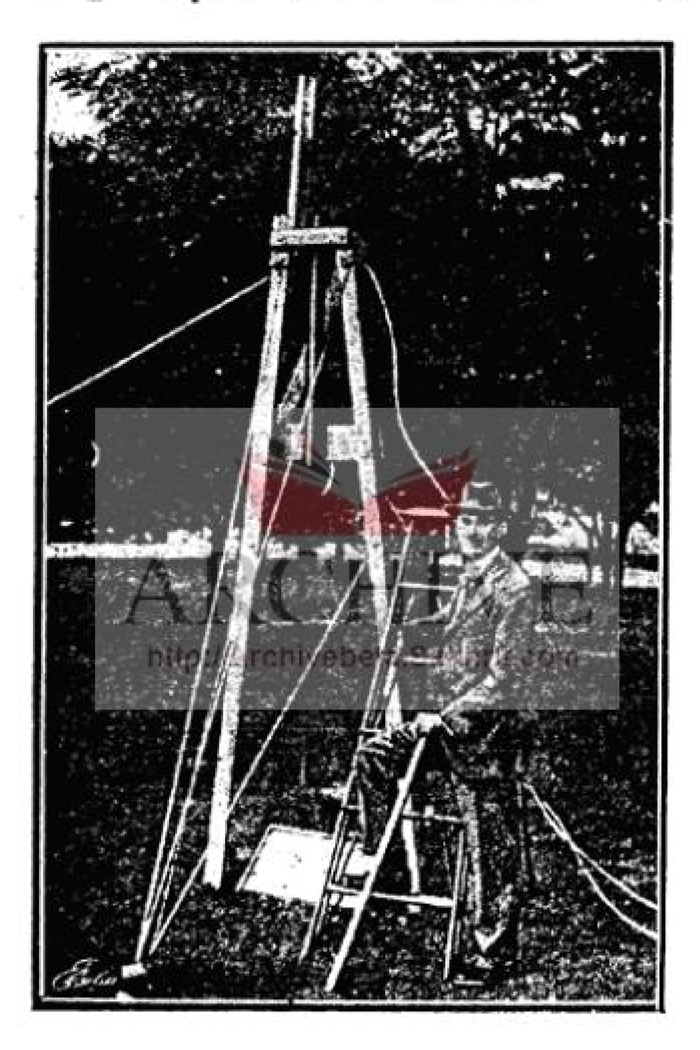


أحد الاختراعات المقبلة : الآلة التي تجعل الاجسام شفافة

أن يكون الليل والنهار متساويين بوجه التقريب . فاذا أوجدت في وسط موافق لفطرتها زاد انتاجها . ولما كان الليل والنهار لا يتساويان في معظم السنة في الاقطار المتمدنة فقد عمد هذا العالم الى الاضاءة الصناعية لجعل النهار مساوياً لليل . وظهر له بالتجربة أن الربح من هذه العملية أكثر من الخسارة

وقد بلغ من التقدم في نقل الصور بواسطة التلغراف أن بعض الصور نقلت أخيراً في اميركا بين مكانين المسافة بينهما أكثر من الف ميل (وفي احدى الصور المنشورة سابقاً مثال منها) والفضل في هذا الاختراع يرجع الى المسيو بيلان الفرنسي

واخترع بعض الاسوجيين أخيراً آله لازالة الثلوج المتراكمة باذابتها أي ان تلك الآلة تحول الثلج الى ماء فيجري في الحال . وقد ذكرت الجرائد العلمية الاخيرة أيضاً خبر اختراع لاحد الدانمركين مؤداه استخلاص معدن المغنيزيوم من ماء البحر وهذا العمل لا يستلزم الا آلة كهربائية وماء البحر ويؤمل أن يزيد المنتج من هذا المعدن



المستر جودرد صاحب القذيفة القمرية

بعد هذا الاختراع فيتيسر استعماله اذ ذاك لاغراض كثيرة كانت قلته تحول دون استعماله لها

ومن أحدث طرق العلاج وضع المصابين ببعض الامراض كالروماتزم مثلاً في غرف يضغط فيها الهواء ضغطاً يزيد عن ضغطه المعتاد . وفي احد مستشفيات ولاية

كنساس بامیرکا غرفة مستديرة لهذا الغرض كلف صنعها مئة الف ريال وهي تسع ٧٢ مريضاً

وقد كان المظنون ان اشعة رنتجن لا تفيد الا في الطب ولكنها تستعمل اليوم في عدة صناعات لفحص اجسام مختلفة . وآخر من استعملها غواة الصور القديمة فانهم بواسطتها قد تمكنوا من تمييز الصور القديمة حقيقة من الصور المقلدة وذلك ان الفنيين المتقدمين كانوا يستخدمون مواد معدنية التركيب للتلوين وهم الآن يستخدمون مواد نباتية لهذا الغرض فاذا صورت الصورة الزيتية باشعة رنتجن امكن تمييز النوعين بسهولة

وقد بلغ من جرأة احد العلماء انه تنبأ باختراع قادم يمكن من جعل الاجسام شفافة فيستطيع الطبيب فحص الاعضاء الداخلية بسهولة . ولولا ما رأينا في هذا العصر من الاختراعات العجيبة لكنا جزمنا باستحالة هذا الاختراع ولكن تقدم العلم في هذا الزمن يحول دون البت في استحالة شيء (انظر الصورة الخيالية لهذه الآلة)

ومن الامثلة ايضاً على جرأة العلماء ان المستر جوددرد الاميركي يشتغل الآن في تحسين وتجهيز آلة صنعها لتقذف الى القمر . ومع ان بعض العلماء أنكروا امكان ذلك فانه لا يزال يواصل عمله وقد فنَّد أخيراً انتقادات منتقديه في مقالة نشرتها مجلة « سينتفك اميركان » الشهيرة (انظر صورته)

* * *

هذه بعض مبتكرات هذا العصر وهي تسيتا على ان نكوّن في مخيلتنا صورة من حالة العالم بعد جيل . فما أعجب العلم وما أكثر نعمه على البشر !

من أقوال بقراط

قيل لبقراط ما أقرب الاشياء قال الأجل . قيل فما ابعدها قال الامل . قيل فما انفسها قال الصاحب المؤاتي . قيل فما أوحشها قال الموت . قيل فما احمدها عاقبة قال الصبر . قيل فما أذمها عاقبة قال المعاصي

ولي الدين بك يكن

بقلم أنطون الجميّل

منذ ثماني سنوات أرسل اليَّ ولي الدين بك يكن بقصيدة من شعره الشيّق لنشرها في مجلة « الزهور » التي كنت أصدرها في ذلك العهد . وكان رحمه الله من أصدقاء « الزهور » وقد اختصها يومئذٍ دون سواها بنشر نفثات قلمه . وقد جاء في تلك القصيدة الآيات الآتية :

سقى الله دارات « القرافة » ديمةً ... تَرِفُّ على قوم هنالك هُجَّدِ
احنُّ الى تلك المراقد في الثرى ... ولو استطيع اليوم لاخترتُ مرقدي
فانزلتُ جسمي منزلا لا يملّه ... يكون بعيداً عن اعادٍ وحسَّد
وما يتمنى الحرُّ من ظل عيشةٍ ... تمرُّ لاحرارٍ وتحلو لاعبد

وقد أعرب لي عن هذه الامنية مراراً عديدة في كتبه اليَّ من مصر او الاسكندرية ، وكثيراً ما جاءت هذه الجملة تحت قلمه « يا ليتني أفوز برقدة يستريح الجسم فيها ! » ورافقته منذ ثلاث سنوات الى « قرافة الإمام » مشيعين ولداً له مات في العقد الاول من العمر ، ولما غادرته معزياً هزَّ يدي ، والدمعة تجول في عينه ، وهو يقول « عسى أن تشيعني قريباً الى هنا وتقف على قبري راثياً »

وهكذا ظلَّ بين تباريح الألم يشتاق منيته ويحنُّ الى الرقاد الاخير طلباً للراحة حتى وافته تلك المنية في ليلة الأحد ٦ مارس بمدينة حلوان فاطفأت ذلك النور اللامع وقضت على ذبالة الذكاء الساطع

قضى ولي الدين وهو في التاسعة والاربعين من عمره لأنه ولد في عام ١٨٧٣ . وكان مولده في الاستانة وما زال طول عمره يحنُّ اليها ويطرب لذكراها على ما قاسى فيها من الشدائد والاضطهاد . وصفها في كتاباته ـ ولا سيما « المعلوم والمجهول » ـ أبلغ وصف . وكانت تعتريه هزة كلما جاء ذكرها ـ كما انتفض العصفور بلله القطر

نشرت « الزهور » في أحد أجزائها سنة ١٩١٣ مقالة في وصف الاستانة وكان ولي الدين في الاسكندرية فأرسل الى المجلة الكتاب الآتي :

اخي انطون تقي الدين (١)

« لله وصفك لفروق ونوحك عليها ! فقد هزَّ روحي هزاً . رعى الله فروق ما افتنها ! هي أول ثغرٍ بسم لوجهي بعد ثغرَي الوالدين . ثم لم ألقها بعد ذلك الا باكيةً وباكياً . أئتلفت العناصر ففاءت بها الاشياء ، وقامت فروق من عنصرٍ واحد لستُ أدري ما هو ، ولكنه عنصر يظلم عنده الراديوم . كنت أشتاق الى فروق وأنا فيها . فما أنا صانع وأنا ناءٍ عنها ؟ ان امةً تضيع مثل فروق لمضياع . غير ان فروق ناشز . لا تدوم على ودٍ . ليتها لم تكن . وليتها اذ كانت كانت في دون هذا الجمال . . . »

ولد في مدينة الجمال فظل حياته مفتوناً بالجمال ، وولد في بيت شرف ونبل فعاش دهره شريفاً نبيلاً : فهو ابن حسن سري باشا يكن وحفيد ابراهيم باشا يكن ابن اخت محمد علي باشا الكبير رأس البيت السلطاني المالك في مصر . ولقب اسرته « يكن » معناه باللغة التركية « ابن الاخت » ، لأن مؤسس الاسرة كان ابن اخت صاحب البلاد ، كما يُطلق لقب « الداماد » في تركيا على اصهار سلطانها . اما امه فكانت بنت أحد امراء الجراكسة ، ربيت بعد هجرة ابيها من موطنه في قصر الامير برهان الدين افندي أحد انجال السلطان عبد المجيد . وهكذا كان ولي الدين كريم التبعتين طيب الارومتين ، فصح له ان يقول مع ابن الرومي :

لا تظني حسباً يخفضني انا من يُرضيك عند الحسب
قوميَ استولوا على الدهر فتىً ومشوا فوق رؤوس الحقب

ولكنه قلما فاخر بحسبه ونسبه ، غير أن كل ما كان فيه من كرم الخلق وعلو النفس كان ينمّ عن شرف محتده ويدعو الى اجلاله واحترامه على ما كان عليه من الدعة وخفض الجناح

وقد جاء به والده مصر وهو لا يزال في اول عمره . ولم يلبث الوالد أن تُوفي والولد في السادسة من عمره فكفله عمه علي حيدر باشا يكن وزير المالية المصرية يومئذٍ ، وأدخله في مدرسة « الانجال » المشهورة ، وهي المدرسة التي أسسها محمد توفيق باشا ،

(١) لما انضم الى الصديق الوفي والاديب المعروف الشيخ ابن تقي الدين في ادارة « الزهور » صار ولي الدين يوجه رسائله الينا كأنها الى شخص واحد فيشتق له اسماً مركباً من شطر من اسم هذا وشطر من اسم ذاك

خديو مصر يومئذ ، لتعليم انجاله بعد ان ضم اليهم فريقاً من اولاد امراء مصر ووجهائها . فدرس الفقيد مع الخديو عباس في مدرسة واحدة ، وقد أودع « المعلوم



ولي الدين بك يكن

(عن مجلة سركيس)

والمجهول » بعض تذكاراته عن ذلك العهد . ولم يلبث ان تعشق الادب العربي فاخذ فروعه وفنونه عن أئمته في ذلك الوقت ، كالشيخ محمد النشار واضرابه . وظهرت مواهبه الكتابية على حداثة عهده واتقن العربية اتقانه للتركية مع معرفة واسعة

بالفرنسوية وإلمام بالانجليزية ، وانصرف الى الكتابة في الصحف ، تارة أديباً وتارة سياسياً ، فكتب في جرائد « القاهرة » و« النيل » و« المقياس » ، حيناً مراسلاً وحيناً محرراً ، مع انقطاع فترات قصيرة من الزمن توظف فيها في النيابة الاهلية ثم في المعية السنية . ولما بلغ الرابعة والعشرين من عمره قصد الى الاستانة مسقط رأسه وقضى فيها حوالي سنة عند عمه محمد فائق بك يكن أحد اعضاء مجلس شورى الدولة . ثم عاد الى مصر قاصدو جريدة « الاستقامة » فمنعت حكومة الاستانة دخولها الى الممالك العثمانية فاوقف صدورها وودَّعها بقصيدة قال فيها :

ولما غدا قول الصواب مذمماً عزمت على ان لا أقول صوابا
تجافيت اقلامي وعفت «استقامتي» ورحت أرجّي للسلامة بابا

ومنها :

ابى الله الا ان أزيد تصابياً لجدي ومجدي أن يُقال تصابى
فمن مبلغ عني الغضاب الأُلى جنوا بأني امرؤٌ ما إن أخاف غضابا
اذمُّ فلا أخشى عقاباً يصيبني وأمدح لا أرجو بذاك ثوابا
علامَ أحابي معشراً أنا خيرهم ومثلي اذا حاب الرجال يحابى
وقائلة حتى م يفني شبابه فقلت الى ان لا يصير شبابا
الى ان تزول الارض عن نهج سيرها وتصبح هذه الكائنات خرابا

وشرع بعد ذلك بنشر مقالات ضافية في السياسة العثمانية في جريدة «المقطم» وجريدة « المشير » وكان له باصحابهما صلة ودّ وصداقة . وبعد سنة قصد ثانية الى الاستانة فعُين في « الجمعيـة الرسومية الجمركية » ثم عضواً في « مجلس المعارف الاعلى » . ولم يلبث ان نفاه السلطان عبد الحميد الى « سيواس » فظل فيها سبع سنوات

وقد ضمن تاريخ منفاه الى سيواس في كتابه « المعلوم والمجهول » وطالما ذكر ذلك البلد الامين بالخير لما لاقى في أهله من الاكرام والحفاوة . وله في منفاه قصيدة طيبة نشرها في مجلة « الزهور » نذكر منها :

غرَّ الاعادي انكساري والانكسار يغرُّ
وسرَّهم طول نفيي ومثل نفيي يسرُّ
هم حسبوني اقضي عنهم وما لي ذكر

هيهات ! بعدي رجال والفجر يتلوه فجر ...
مرت عذاب الليالي وكل عذب يمر
التزم الصبر كرهاً وليس للحر صبر
وأسلك الحلم نفسي ومسلك الحلم وعر
لبيك يا مجد قومي لبي نداءك حر
دافعت دون فروق قوماً رحلت وقروا
سادوا بها ، فلكل نهي عليها وأمر ...
ان أمسي فيهم أسيراً قد يعتري الحرّ أسر
رضيتُ « سيواس » داراً وما بسيواس شرّ
جنوا عليها فامست قد اقفرت فهي قفر

وظل في منفاه الى ان أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ فعاد الى الاستانة ومنها الى مصر ، وأقام له أصدقاؤه ومريدوه يومئذ حفلة أدبية للترحيب به شرفوني بان دعوني للكلام فيها . وكان هذا أول عهدي بولي الدين وتوثقت منذ ذلك العهد بيننا عرى صداقة لم تشب صفاءها شائبة ولم يقطع حبلها الا الموت

ولولي الدين رسائل وفصول شائقة في الاهرام والمؤيد والرائد المصري غير الصحف التي تقدم ذكرها . وقد تولى ردحاً من الزمن رآسة تحرير جريدة « الاقدام » التي اصدرتها في الاسكندرية حضرة البرنسيس الكسندره أفرينوه ده ڤيرنيوسكا صاحبة مجلة « انيس الجليس » المشهورة . وقد اختص بمجلة « الزهور » مدة اربع سنوات بنشر قصائده ونبذه الادبية فجمعت تلك المجلة طائفة طيبة من بنات افكاره . والى ذلك العهد يرجع وضعه لكتابيه المشهورين «الصحائف السود» و « التجاريب »

وقد عين كاتباً في وزارة الحقانية الى ان تولى السلطان حسين كامل الاريكة المصرية فدعاه اليه وعينه سكرتيراً عربياً في الديوان العالي السلطاني . ولربما كان ذلك أسعد عهد مر على ولي الدين لولا ان طلائع المرض أخذت تشتد وطأتها عليه . ولقد كتب لي في أواخر سنة ١٩١٤ — بُعيد تعيينه في منصبه الجديد — يصف حياته الجديدة قال :

« أخي : الان اجد سعة في الوقت لاكتب اليك . وكتابك مثلك لا يكتب له

الا بعد ان تخلو النفس من مشاغلها . انما يطيب حديثك محضاً غير مشوب بغيره . . .
وبعد فقد دخلت باباً جديداً انست فيه ارتياحاً وأراد الله ان اخدم سلطاناً اذا مدحته مدحته صادقاً . فالحمد لله والشكر لله !

« لما تشرفت بتقبيل يده رأيت ما ملأ نفسي سروراً . ولقد قال لي « اني احب البساطة واكره العظمة الباطلة . فسر في طريقي وليكن تعلقك بشرف النفس ومكارم الاخلاق أشد من تعلقك بكل شيء »

« ولقد نجلس معه على المائدة فتراه اذا حدَّث حدث بالكلام الجزل . واذا حُدّث سمع بالقلب لا بالاذن ، متواضعاً تواضعاً يزينه الوقار والمهابة . فنخرج وكلنا مغتبطون بخدمته مجمعون على اعظامه والاعجاب به

« يا بسمة بسمها الزمان بعد طول عبسه . أرجو أن لا تقطفك الحوادث قبل ان تمتع منك آمالي . . . »

على ان هذه البسمة التي بسمها الزمان لم تطل فان صحته أخذت تعتل فاشتد عليه الداء وافقده الراحة

كتب اليَّ في ١٢ فبراير سنة ١٩٢٨ يصف داءه قال :

« انا في يأسٍ شديد من زوال هذا المرض . . . الذي عجز الطب عن دفعه وهو المسمى emphyzème (الربو) . اذا دجا الليل تكاثرت مخاوفي فلا يغمض جفناي فرقاً لأني لا أغفي اغفاءةً الا وانتبه صارخاً مذعوراً ، اذ تنقطع انفاسي ويشتد اضطراب قلبي وتبرد يداي ورجلاي ، فاختلج مكاني والتوى تلوي الافعى ألقيت في النار . أريد نفساً استعيد به ما يوشك أن يذهب عني من الحياة فلا أجده ؛ حتى اذا بللني العرق وانهكني التعب عاودتني انفاسي شيئاً فشيئاً وذهبت النوبة على أن تعود بعد ساعة أو ساعتين . ومصير مثل هذا المرض معلوم وهو مذكورٌ في كتب الطب لم يختلف فيه طبيبان

« لا أدري أمن الموت وما انتظر من أهواله يزداد جزعي ، أم من فراق أهلٍ وأولادٍ لم اقضِ شيئاً من حقوقهم يشتد جزعي ؟ وما تطلع عليَّ شمس يومٍ الا وقد زادتني قرباً من قبري . وا لهفي على آمالٍ تحولت آلاماً . ووا حسرتي على أيام عمرٍ ما ضحكت لي مرةً الا وجعلت دموعي لها ثمناً . أهذه عاقبة الصبر التي أطلت انتظارها ؟ ما أكثر ضلال الحكماء وما اكبر غش القدماء . . . »

وقد حبّر في تلك الفترة بعض الفصول وترجم الى العربية رواية « الطلاق » لمؤلفها بول بورجه

ثم كان من اشتداد المرض عليه أن ترك منصبه في القصر السلطاني ولازم منزله. وكان آخر كتاب جاءني منه وهو في حلوان يتضمن شكوى مرة لم يسبق له أن جالت تحت قلمه . ومما ورد في ذلك الكتاب :

« كلما أشكاني الزمان بكارب من صروفه عمدت الى هذا القلم المظلوم فاستخدمته في ترجمة شكاياتي . لقد أصبح ترجمان حسراتي بعد أن عاش زماناً وهو الشادي المطرب باحسن بديهياتي . ما حيلتي ؟ بذا قضت الأيام . . . »

أما آخر ما نظم فيتان وجدا قرب سريره وهما :

يا جسداً قد ذاب حتى أمحى الا قليلا عالقاً بالشفاء
أعانك الله بصبر على ما ستعاني من قليل البقاء [1]

ولم يلبث هذا « القليل العالق بالشفاء » ان أفلت واستراح ولي الدين من حياة كان كأسها مترعاً حنظلاً ومراً مع ان كل شيء كان يؤهله ليذوق من كؤوس الصفاء أروقها

وقد أبى الله الا ان يغمط فضله بعد مماته كما غبن في حياته : فقد اجتمعنا في الخامس عشر من شهر أبريل الماضي لتأبينه فاذا بنا نفر قليل حول قبره نفتش عن معظم ادباء مصر وحملة الاقلام فيها فلا نجدهم مع انه كان خليقاً بهم أن يتألبوا حول ضريح من كان في طليعة الادباء نزاهة واباء وشرف نفس وكرم عنصر . ولكن وليَّ الدين كان يتوقع مثل ذلك فهو الواصف حالة الاديب في الشرق أجمل وصف في مقال له عنوانه « مصارع الأدباء » جاء فيه :

---

(١) وقد عاده محمود خاطر بك سكرتير مجلس مباحث القطن في وزارة الزراعة فشجاه مغزى البيتين المذكورين فقال معارضاً :

يا جسداً قد عاش بين الاسى واليأس حيناً مؤثراً للرجاء
صبرت لما انحل عهد الوفا فاصبر اذا ما انحل عقد الاخاء

وقال صديقه سليم افندي عبد الاحد الاديب المعروف معارضاً ايضاً :

يا جسداً فوق فراش الضنى يماطل الموت ويرجو البقاء
علام تستمهل حتى غد والغد لا يدفع عنك الفناء

« علم من أعلام العراق ، هو ابو القصائد المحبرة والقوافي المحكمة ، نزيل بمصر مقيم في دار حزنه يعالج أيامه ويعاني شدائدها ، وليس بمصر من يقول له أين أصبحت ايها الاديب العظيم؟ أحمد مفتاح ، رجل البلاغة ، يموت ويدفن ولم تكتب خبر وفاته جريدة من الجرائد فيما علمت . ومحمد امام العبد ، وهو شاعر مجيد ، يوسد بالامس التراب ولا يتقدم أحد ليقيم له ليالي مأتمه . وفي بلاد الغرب يقيمون التماثيل للشعراء ويسمون باسمائهم الشوارع والدوارع ويجعلون لميلادهم ولموتهم اياماً في كل سنة هي بمنزلة أيام الاعياد .... لكل امرىء في هذه الامة موضع يميزه والناس في درجاتهم متقاربون وليس رجل ينكره معارفه ويتجافاه أقرب أقاربه الا الاديب . فهو اذا برّز على اقرانه حسدوه وان قصّر عنهم حقّروه . وان ولج جمعاً جالت فيه أبصار المستهزئين . ولله في خلقه أناس يفتخرون بملابسهم وهي ليست بصنع أيديهم ، ولا انسجتها من نسجهم ، ولا أثمانها من كسبهم ، ولا زينتها تجمّل ما قبح من أشكالهم . اولئك يطأون الهامات ويذلون الرقاب ويتهادون في كل مزدحم تهادي الكواعب الرود في الوشي والبرود : طواويس الرجال يقضون طوال الاعوام »

ولكن ابناء الزمن الآتي سيكونون أوفى عهداً من ابناء الزمن الحالي . فكلما مرّوا بالقرافة سيحيون قبر ولي الدين وقد قام على مقربة من قبر ابن الفارض القائل:

جُز بالقرافة تحت ذيل العارض   وقل السلام عليك يا ابن الفارض

انطون الجميل

الاسكندر وساكن المقابر

روي ان الاسكندر مر بمدينة قد تملكها سبعة أملاك وباد جميعهم . فقال هل بقي من نسلهم أحد . فقالوا نعم رجل يسكن المقابر . فدعاه فأتاه . فقال له ما دعاك الى لزوم المقابر . قال أردت أن أميز عظام الملوك من عظام العبيد فوجدتها سواء . فقال له هل لك أن تتبعني فأحيي شرفك وشرف آبائك ان كانت لك همة . قال همتي عظيمة قال وما هي قال حياة لا موت معها وشباب لا هرم بعده وغنى لا فقر معه وصحة من غير سقم وسرور من غير مكروه . قال هذا ما لا تجده عندي . فقال دعني أطلبه ممن هو عنده . فقال الاسكندر ما رأيت رجلا احكم من هذا وخرج من عنده فلم يزل في المقابر حتى لحق بأهله

توماس اديسن

بائع الجرائد الذي أصبح أعظم مخترع في هذا العصر

[الهلال] كان لما كتبناه عن اديسن في جزئين من أجزاء هذه السنة وقع حسن لدى القراء وقد استزادونا ايراداً لما يكشف الستار عن شخصية ذلك الرجل العظيم . فاجابة لطلبهم جمعنا بعض المعلومات الممتعة فيما يلي



توماس اديسن في معمله

اذا قيل لك عن غير علم سابق ان مخترع النور الكهربائي والصور المتحركة والفونوغراف والمحركات الكهربائية والبطاريات الكهربائية والف وأربعمائة اختراع آخر – اذا قيل لك ان مخترع كل هذه رجلٌ واحد بجسم واحد وعقل واحد أفلا تعتريك دهشة عظيمة ؟ على انك لا تلبث أن تزيد اعجاباً بهذا الرجل وتجيلاً

لشخصه متى علمت انه فضلاً عن نبوغه وعبقريته رجل أخلاق كريمة ارتفع من صف باعة الجرائد الى أسمى مقام علمي بفضل ثباته وجده واعتماده على نفسه

قلَّ من لم يسمع باسم اديسن المخترع العظيم . بل ليس من لم يطالع شيئاً من نوادره وحوادثه . وقد لهجت الالسن بذكره اخيراً على اثر ما أذاعه عن عزمه على صنع آلة لمخاطبة الارواح . ولو ان غيره قال هذا القول وادعى هذا الادعاء لعده الناس مجنوناً ولكن العالم قد اعتاد أن يرى العجائب تخرج من معمل هذا الرجل العظيم فاصبح مستعداً لتصديق أبعد الاشياء وأغرب الاخبار

ادیسن في حياته اليومية

يسكن المستر اديسن في وست اورانج بولاية نيوجرسي على مسافة قريبة من مصانعه . وهو يعيش في عزلة عن العالم فلا يحفل بالمهام الاجتماعيـة ولا يتعرض للشؤون الادارية بل يكرس كل وقته للعمل والبحث والتنقيب في معمله . ولا يؤذن لاحد بدخول مصانعه الا بجواز خاص وكذلك لا يستطيع احد مقابلتـه الا باذن من سكرتيره الخاص المستر ميدوروف وهذا الاذن لا يناله الراغب الا بكل صعوبة

قلنا ان المستر اديسن يعيش في عزلة عن النـاس . فهو لا يقرأ كتاباً او رسالة من الرسائل التي ترده ولا يكتب شيئاً حتى ولا يملي على احـد . فان سكرتيره هو الذي ينوب عنه في ادارة معامله الواسعة وكذلك تنوب عنه زوجته في القيام بواجباته الاجتماعية وبذا يخلو له الجو للبحث والعمل . ويعمل المستر اديسن بلا تعب ولا كلل فهو مثال الجد والنشاط . وقد كان يضطر احيانا الى ملازمة معمله اياماً متواصلة فكان يعمل فيه نحو ٧٢ ساعـة بلا انقطاع فلا يترك عمله الا لتناول القليل من الطعام وفي الليل يستلقي على مضجع نحو اربع ساعات تكفي لاعادة قوته ونشاطه اليه . وهو سليم الجسم قوي البنية ومع أن عمره يزيد على السبعين فهو لا يشكو من ضعف او مرض وليس في عضو من اعضائه خلل ما الا سمعه فقد ضعف بسبب لطمة أصابته في حفرة

أما معمله فعبارة عن مكتب واسع مستوفٍ لاسباب الراحة وقد علقت على جدرانه صور اهم الاختراعات التي ابدعها وصور اهم المشاهير الذين زاروه وصورتان لصديقيه الحميمين هنري فورد صاحب معامل الاوتوموبيل الشهيرة وجون بوروز العالم الطبيعي

ويتناول المستر اديسن كمية قليلة من الطعام . ولا يشرب شيئاً من المشروبات الروحية بل يعد تناول الكحل من قبيل الجنون والانتحار . ومن عاداته وضع السيجار في فمه ومضغه . ولئن كانت مقابلته صعبة فاصعب منها مخاطبته اثناء المقابلة لثقل سمعه . فلا غنى في ذلك عن المستر ميدوروف الذي صار يعرف بالاختبار اين يضع فمه وكيف يتكلم ليوصل الصوت الى المكان الحساس من اذنه

اديسن اثناء الحرب

كان من عظم ثقة الناس بقدرة اديسن ان توهم البعض اثناء الحرب انه لا يلبث ان يخترع آلة مدمرة هائلة يضعها تحت تصرف حكومته فتبيد بها في ليلة واحدة جيوش الالمان . على انه والحمد لله لم يكن شيء من ذلك وجل ما قام به اديسن من الاعمال والخدمات في مدة الحرب ان ابتكر بعض الطرق لمحاربة الغواصات وتجنب طربيدها. وقد كان طول تلك المدة تحت تصرف حكومته مكرساً لخدمتها كل اوقاته . ومما اخترعه آلة لاكتشاف صوت الغواصات عن بعد واخرى لتحويل السفينة بسرعة تجنباً للطربيد واُخرى للتنوير والاستكشاف تحت الماء . وقد درس طرق اخفاء السفن لخداع الغواصات وتوقف الطربيد ومنعه من الانفجار وتوليد النيتروجين من الهواء وغير ذلك . وقدم نتائج ابحاثه الى وزارة الحربية الاميركية فاستفاد منها الحلفاء جميعاً

ما هو اهم اختراع لاديسن ؟

يصعب الجواب على هذا السؤال بقدر ما يصعب الجواب على سؤال : ما هو اهم اختراع على الاطلاق . فان الحكم في هذا الموضوع متعذر حتى على اديسن نفسه . ويتبين للقارىء رأي اديسن من الحديث التالي الذي جرى بينه وبين احد مراسلي الصحف الشهيرة

فقد سأله المراسل : ما هو اعظم اختراعاتك ؟

فاجاب اديسن : الجواب يتوقف على المراد من قولك « أعظم » فاذا كنت تريد الاعظم من حيث اللذة التي يقدمها للعالم فالفونوغراف اعظم اختراعاتي . واذا عنيت الاعظم من حيث الفائدة العملية الصناعية فالمحركات الكهربائية اعظم تلك الاختراعات جميعاً

على الكرمل

الكرمل جبل فوق حيفا (فلسطين) يشرف على البحر المتوسط ويجري تحت أقدامه نهر قيشون المشهور في الاسفار المقدسة وهو المكان الذي ذكرت التوراة ان النبي ايليا تغلب فيه على أنبياء البعل وذبح منهم اربعمئة رجل . وعلى هذا الجبل وتحت تأثير هذا الحادث التاريخي نظمت القصيدة الآتية والاسلوب فيها جديد مبتكر يشعر القارىء عند قراءتها كأنما نسيم المساء يهبّ عليه من بين أشجار الصنوبر التي تغطي جبل الكرمل ويطير مع الناظم بين تذكارات الماضي و حوادث الحاضر

عند المسا قبل احتلاك الظلام صعدت للكرمل ابغي السجود

فرفرفت حوليَ روح السلام تملا الفضا حولي وتملا الوجود

روح السلام !

انظر مياه البحر في سكوت

وهجعة الاوراق فوق الغصون

واصغ الى الحصباء في قيشون [1]

تروي لنا حديث بعض الصفاح

روح السلام ـ كلا فتلك المياه بالدم سالت فوق تلك البطاح

* * *

بالدم سالت يوم كان الاله جبارَ حربٍ يسفك الدماء

منتقماً لنفسه من عداه سلاحه تحمله الانبياء [2]

الى الامام

على عدوٍ ينكر الايمان

بربهم ويعبد الاوثان

كذاك ايليا نبي الزمان

عرفه الناس مدى الدهور

(١) النهر المعروف (٢) اشارة الى حادثة ايليا وذبيحة انبياء البعل باسم الرب

وعظموه – وكرموا ما فعل اذ ذبح الاحبار ذبح الطيور

* * *

قيشونُ لولا أن ذكرتُ الدما وما جرى عليك من دموع
لما علوتُ الجبل الاكرما اسرّح الطرف بتلك الربوع
فوق الوهاد
لخلتُ اني في ذرى النعيم
مع حوره في غبطة اقيم
فالكون حولي جاذل بسيم
يفتر عن زاه من الامجاد
يكسو المروج – موشح الأثواب ويسكب الوحيَ على الفؤاد

* * *

لله ما ابهاك عند المغيب والشمس حيّت للوداع الربى
وسهل حيفا في لباس قشيب من غسق ممتزج بالدجى
والبحر راق
اذ اقبل النسيمُ نحو الجبل
مسترقًا من الزهور القُبَل
على غصون قد علاهنَّ طل [1]
يلاعبُ الاوراق لعبَ الرفيق
بلا حديث – لكن سحر البيان منه جرى في صمته العميق

* * *

مَن لي بايليا النبي البطل اذ هيج الشعب على الظلاّم
أذل ايزابل [2] لما قتل رجالها وحطّم الأصنام
على الجبل
والشعب قد كانوا بلا امام

(١) طل اي ندى (٢) ايزابل امرأة آخاب هي الملكة التي كانت تحمي انبياء البعل

يقودهم للحق الا الحسام
لا بالوصايا العشر والنظام
كذلك الاقوام في كل حال
قد عبدوا – نوابغ القتال وقدموا للقوة الاجلال

***

يا ايها الكرمل هل تجيب سؤلي وهل تسمع ما أقول
أرى بلادي بمحيا كئيب ممتقع من كثرة الذبول
ما بالها
ألم تُرح من بعد دامي القتال
ألم تنل بعد الوغى الآمال؟
كلا فقد ساءت بها الاحوال!
هذا جواب الكرمل الحزين
لما بكى – مثلي بلاد الشام بدمع من الأسى سخين

***

الشام من طوروس للعريش ينهلُّ يأساً دمعها المدرار
اذ قطعوا اوصالها كي تعيش سياسة الأطماع والانجار
والشرق ماد
لما بدت صهيون للوجود
تطلب ملكاً ضاع في اللحود
ومن على الوهاد والنجود
تطرد أهل الارض كالاغنام
بالمال والدها – وقادة الشعوب يقضون بالموت على الشآم

انيس الخوري المقدسي

الروح

في نظر القدماء والمعاصرين (١)

(١) يدل معنى كلمة روح في اكثر اللغات على مدلول واحد . وقد اورد الفيلسوف وليام هاملتن في بعض آثاره مقابلة بين الكلمات المستعملة في اللغات المختلفة للدلالة على معنى الروح فوجد منشأها واحداً . والى القارىء الكريم البيان :

معنى الروح في اللغة اليونانية القديمة النفس والهواء . وفي اللاتينية كلمة Spiritus مشتقة من مصدر معناه النفس وفي اللغة الانكليزية كلمة Ghost قريبة من كلمة gas أي الغاز وهو بمعنى الهواء وكذلك في الالمانية Geist لها علاقة بكلمة gas . وفي العبرانية كلمتان معادلتان للنفس والريح . وفي لساننا لا تنكر علاقة « الروح » بالريح وقس على ذلك

يُستبان من تدقيق ما سبق ذكره ان اكثر الامم وضعت للروح مدلولاً واحداً او متشابهاً . فما هو السبب؟

ان اول شيء استلفت نظر البشر منذ القدم كان « الموت » . وقبل ان تنتشر اشعة العلم وتضيء ظلام العقول أخذ الانسان الابتدائي l'homme primitif يفكر في الموت وسببه وكيفية وقوعه . وأهم مسألة كانت تشغل ذلك الانسان الابتدائي هي « ما الذي ينقص من الانسان حينما يموت ؟ » . وأول ما رآه انسان تلك الازمنة في الاموات حداً فاصلاً بينهم وبين الاحياء هو النفس لان بانقطاعه تنتهي حالة وتبدأ اخرى . حتى ابناء اليوم يعلقون على النفس اهمية كبرى واذا ارادوا فحص محتضر ليتحققوا حياته او موته وضعوا على فمه مرآة . فان رأوا على سطحها آثار النفس عدوه حياً وان لم يروا اقتنعوا بموته . وهذا هو السر في تسمية الروح عند القدماء . حتى انهم عدوا النفس روحاً والروح نفساً . واعتقدوا ان كليهما هواء

فيفهم مما تقدم ان سبب تسمية الروح نجم عن ظن فقط

---

(١) محاضرة القيت في دار العلوم في بغداد بحضور المشير فون دوغولتز الالماني . وكان قائد الجيش السادس بالذات يترجمها له ولرجال الاختصاص الذين كانوا بمعيته

(٢) وبعد برهة من الزمان عرّف القدماء الروح بتعريف آخر وهو : انها جوهر مستقل وغير جسماني . فما السبب يا ترى ؟

كما ان سبب التسمية الاولى كان الفرق الظاهر بين الحي والميت كذلك كان سبب هذا التعريف البسيط احلام الانسان اثناء النوم

ان الرجل الذي يرى في منامه اشياء وحوادث مختلفة ثم لا يلبث ان يجد نفسه كما كان يحير ويتعجب. وهذا التعجب يدعوه للتفكير . فيتراءى له ان الروح التي ظنها النفس تركت الجسم مؤقتاً وذهبت الى المحلات التي رآها ثم رجعت . لذلك عد الرؤيا موتاً وقتياً

(٣) ولما ظهر الفلاسفة القدماء قبلوا هذه الظنون كحقائق . حتى ان الفيلسوف آناكسيماندر Anaximandre قال (٦١٠ ـ ٥٤٦ ق . م .) ان جوهر الكائنات الذاتي Substance essentielle هو الهواء . لانه هو الروح . والاغرب من ذلك ان تلميذ هذا الفيلسوف اناكسيمنس Anaximenes قال ان الهواء هو الله

(٤) ثم ظهر ديموقراطيس Démocrite ونشر نظرية جديدة وهي ان الهواء مجمع الارواح . لانه مركب من ذرات روحية كثيرة

(٥) أما الفيلسوف اناكساغورس Anaxagore فقد اتى بنظرية اخرى (٥٠٠ ـ ٤٢٨ ق . م) فقال ان الروح هي العقل . وانها اصفى وارق والطف الاشياء المادية

(٦) ثم ظهر ابقور Epicure مؤسس مذهب الماديين وقال : الروح هي الطف الاجسام . وذلك ٣٤١ ـ ٢٧٠ قبل الميلاد

(٧) أما سقراط فقد جاء بنظرية أخرى وهي ان الروح جوهر جسماني ولها اشتراك مع الله . الله يدير نظام العالم ولا يُرى وهي تدبر الجسم وهي غير مرئية . والموت هو خراب البدن . فاذا خرب تبقى الروح

وعلى هذا الاساس بنى زعماء بعض الاديان وحكماء الصوفية وعلماء المذهب الروحي

(٨) نظرية افلاطون : قال هذا الفيلسوف ان الروح الحية ، لا تموت ، مدركة ، غير جسمانية ، بسيطة ، غير مرئية . وهي أقدم من البدن الذي تتصرف فيه

(٩) نظرية ارسطو : هو تلميذ افلاطون وأحد معارضيه . قال : « بالروح نعيش وبها نحس ونشعر وبها نفكر » . وقد قبل رأيه أكثر فلاسفة الاسلام

على أن ارسطو ما كان يعتقد بان الروح جسم نوراني خارج عن البدن . بل كان يعتقد أنها هي التي تعطي الجسم شكله وهويته وانها هي التي تصلح شكله بالتدريج . وانها كناية عن فعل واقتدار Energie

وكان يعتقد بوجود الاله . ولكن ليس منفصلاً عن الكائنات ومستقلاً عنها . بل هو في نظره مندمج في الكائنات . وهو كناية عن « قابلية الكمال » وهو موجود من الازل بالقوة ، ويظهر بالفعل في كل آن وينظم أمور الكائنات . لذلك كان ينظر الى الروح بمنظار مربع :

(١) علة صورية Cause formelle

(٢) علة فاعلية « efficiente

(٣) علة غائية « finale

(٤) علة مادية « materielle

ان هذه العلل الاربع كافية لايجاد كل شيء . وقد قبل علماء المسلمين هذه النظرية . وترجموا intellect بالكمال الاول . ولما كان ارسطو لم يقل بان الروح منفصلة عن البدن ومستقلة عنه انكر التناسخ

(١٠) لقد بحث ابن سينا وفخر الدين الرازي والنظام وأمثالهم من مشاهير الاسلام في الروح مباحث هامة . واتبعوا ارسطو في رأيه بان الروح للجسم « الكمال الاول » ثم قسموها الى ثلاثة أنواع :

الاول ـ النفس النباتية وهي التي تتغذى وتنمو . وقد أخذ علماء الاسلام هذا التعريف من ارسطو

والنفس النباتية هي كمال اول لجسم طبيعي آليّ من حيث يتغذى وينمو

الثاني ـ النفس الحيوانية وهي التي تحس وتتحرك بالارادة . وهذا التعريف أيضاً مأخوذ من ارسطو

الثالث ـ النفس الانسانية ويقال لها النفس الناطقة وهي التي تتغذى وتنمو وتحس وتتحرك وتدرك وتنتقد وتحاكم الاشياء

وافلاطون ايضاً كان يقول بثلاثة أنواع للروح :

(١) النفس الناطقة . وكان يقول ان محلها الدماغ . والروح الخالدة هي هذه

(٢) النفس النصبية . ومحل وجودها القلب

(٣) النفس الشهوانية . ومحلها الكبد

وقد ذكروا ان المعارضين لتجرد الروح تسع فرق :

الاولى : فرقة ابن الراوندي ونظريته أن الروح في القلب وهي جزء لا يجزأ

الثانية : فرقة نظام ونظريته ان الروح أجسام لطيفة سارية في الجسم مثل سراية الورد في ماء الورد

الثالثة : فرقة القاضي عضد ونظريته ان الروح قوة في الدماغ

وهذا الفكر مقبول اليوم عند الماديين الذين يقولون ان الروح وظيفة الدماغ

الرابعة : تقول ان الروح مركبة من ثلاث قوى واحدة في القلب والثانية في الكبد والثالثة في الدماغ . وهذا رأي افلاطون

الخامسة : تدعي بان الروح هيكل خاص . أي انها ظل لجسم الانسان . وهذا مأخوذ من ذيمقراطيس . وأكثر العوام يظن الى اليوم ان الروح هي هيكل ثان يدور في أطراف الموجودات ويعطي صاحبها أخباراً أخرى ــ كما في الرؤيا . ويفهم من كلمة autre moi انها « انا الثاني »

السادسة : تقول ان الروح هي اعتدال الاخلاط الاربعة بحسب الكمية والكيفية وهذا مأخوذ من جالينوس اليوناني . والاخلاط الاربعة هي الدم والصفراء والبلغم والسوداء

السابعة : تدعي ان الروح هي اعتدال المزاج النوعي وهذا مشابه لنظرية الفرقة السادسة

الثامنة : تقول ان الروح هي اعتدال الدم

التاسعة : تدعي ان الروح هي الهواء . ودليلهم ان بانقطاعه طرفة عين تنقطع الحياة . وهو فكر الفيلسوف آناكسماندر اليوناني

(١١) أما نظريات ارباب التصوف فهي كما يأتي :

ان الذي نظم هذا المذهب هو بلوتينس Plotinus . وقد قال : ان مبدأ ومعاد كل شيء « الوجود المطلق » والوجود المطلق هو روح عمومية l'âme universelle اي نفس الكل وعقل الكل . وفي اعتقاد بلوتينس ان سبب الحركة والحياة في العالم هو الروح الكلية او الوجود المطلق . وان أرواحنا ليست الا بمنزلة شرارات من تلك النار العظيمة

ولاحد فلاسفة الشرق جلال الدين بيت بالفارسية أخذ معناه من هـذه النظرية ومؤداه ان عقل الانسان الجزئي هو جزء من العقل الكلي المسمى بالوجود المطلق . وحركة الظل ناشئة عن حركة غصن الورد

والحاصل عندهم أن الروح الهبة أصلاً . وهي كحمامة مقدسة حبست في محبس الجسم. فهي تسعى للرجوع الى اصلها باشتياق شديد .وبناء عليه لا علاقة لها بالعناصر المادية التي هي ظل زائل أو خيال باطل

ثم ان قصيدة ابن سينا الشهيرة التي يقول فيها

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تمنع وتمنع

ليست الا صورة طبق الاصل لافكار بلوتينس

ومن الغريب ان الذي يدرس بإمعان كتابي الشفا والنجاة لابن سينا يرى ان مذهبه على مذهب ارسطو لا بلوتينس

وارسطو كان يعتقد بان عقل الانسان الجزئي هو جزء من العقل الكلي . ولما عرف الروح قال انها جزء من الله وقطعة فصلت منه

وقصارى القول ان علماء الاسلام ذهبوا مذهب القائلين بان الروح مستقلة وغير مادية

(١٢) في هذا الدور الثاني عشر من الادوار التي مرت على الفلاسفة وهم يبرزون نظرياتهم عن الروح نريد أن نعرض على القراء آراء المتأخرين وخلاصة نظريات الفلاسفة الحديثين :

(أولاً) مذهب الثنائية Dualisme . وفي نظر ارباب هذا المذهب ان بين الروح والجسم علاقات وثيقة وان الجسم هو كآلة ذات اجهزة وادوات كثيرة ومشتبكة . الا ان الآلة واجهزتها لا تعمل بلا محرك بل تحتاج لقوة . فالذي يحرك هذه الآلة هو الروح . وسبب جميع أميالنا وعواطفنا سواء كانت مشعورة Conscient أو غير مشعورة Inconscient هو الروح . وهذه الاميال تُشعر إما بمسرة أو بألم والعقل يفرق بين هذه الاحساسات وينورها . وبناء عليه المادة هي منفعلة passive . والروح هي المؤثرة والمحركة

(ثانياً) الجسم آلة . ولكنها آلة حية . فالروح لا تأتيها من الخارج . بل هي خصيصة بالجسم . فارباب هذا المذهب لا يقولون بان الروح مستقلة عن الجسم

او أنها جوهر مجرد . وتسمى هذه النظرية في زماننا Energétisme

(ثالثاً) نظرية ده فارن . وهي ان الروح والجسم جوهران مختلفا الطبيعة . فالروح جوهر مفكر Substance pensante والجسم جوهر ممتد Substance étendue . وهو يقول ان الروح تأخذ انطباعات impression كثيرة من الجسم . ثم تؤثر الروح على الجسم وتتصرف فيه

(١٣) وهناك نظرية أخرى للروحيين spritualiste وهي مستندة على أساسين الاول الوحدة l'unité والثاني الهوية l'identité

الاساس الاول : يقول هؤلاء أن الروح واحدة ولو تنوعت تطوراتها وحالاتها. أما الجسم فيتبدل ويتحول دائماً ولذلك كان بينهما تضاد

الاساس الثاني : الروح بكل حال وبكل زمان هي هي Identique لذلك كان بينها وبين الجسم تضاد من حيث الهوية كما هي الحالة من حيث الوحدة

(١٤) نظرية المسلمين : [ويسألونك عن الروح ؛ قل الروح من أمر ربي] وفي الحقيقة لا يوجد في زماننا فيلسوف اشتهر وتحكم على عالم العلم والفن الا حنى رأسه امام هذه الآية الكريمة . حتى أن سبنسر الشهير قال في كتابه الذي ينوف عن الالف وخمسمئة صحيفة والباحث عن علم النفس « لا اعرف حقيقة الروح ولا أقدر أن أعرف » وجل ما هنالك انه يمكننا البحث عن قواها وظواهرها

نابلس حسني عبد الهادي

قيادة النفس
وقيادة الناس

قال بعض الحكماء : من أراد أن تنقاد له القلوب بالطاعة ويسعد بقبول ما يأمر به وينهى عنه فليثول ذلك في نفسه فان قدر عليها ووقف بها حيث يجب من المحامد فليثق بسرعة نفاذ أمره في غيره وقبول ما يراه ويأمر به فان المهذب مطاع والعاجز في مصلحته مخالف ولا يحظى بعظته

هيهات الحياة الدائمة !

يا شعاع الشمس سدّد نحو أحشاي السهام !
واسلبي منّي يا ذكاء الضيا درع الظلام
واجعلني غرضاً في حرب عيش فاسد
فلقد راج الرّيا في سوق « هل من زائد »
ذا متاع سينحّيه عن النفس الحِمام

.....

يا ظلاماً لا يعي بالأذن الصمّا الانين !
ان قلب النور يا زنجيّ أدرى بالشؤون
فارحم اللوعة وارفع عن حمى الصبّ الستار
دعه يشكو ما يلاقيه الى وجه النهار
فحديث الصبح يلهيه وان كان شجون

هل يسلّ الفجر من غمد الدياجي صارمه !
فيُحيي بصليل منه نفساً هائمه
لست حلس البيت يلهيه من الليل السمر
انما اللذة في الدنيا نزاعٌ فظفر
للفنا نحن فهيهات الحياة الدائمة !

ما سئمت العيش لكني للحرب أميل
تحت ظلّ البيض ما بين صليل وصهيل
حيث أن المرء في ذي الدار كرها لا يدوم
فيه ذلي تقضي العز أو الحتف أروم
عيشة الخامل لا كانت ولا كان الذليل

من عذيري من رياني م ذا وهل يجدي العذير ؟
كلّ شيء رائج الا الرّيا فهو يبور
زهرة العيش قرا ع وهياجٌ وقيام
وهي لا تنبت الا في ربى ايدٍ وهام
فمتى تزهو وتروى من دمى العذب الزهور

طهران فتى الاسلام
النجفي

الشرق يناجي الغرب

يا غرب كم لك موقف يقضي عليَّ باجتنابك
تهوى الكفاح وزٌ غا بي ما اكتفيت بوسع غابك
وتتوق للحرب الزبو ن ولو مع الشهب الشوابك
حتى كأن الحرب ضر ب من امابك او دعابك
انا ما صبوت لشحذ نا بي اذ نهضت لشحذ نابك
ذكر الوفاق يسرني لا ذكر قرقعة السنابك
قل للشقاق جرى القضا ء فلا سبيل الى ايابك
ما دام دأبي في السكينة والتعاضد غير دابك

صيدا (سوريا) محمد كامل شعيب
العاملي

من ادارة الهلال

﴿ الاشتراكات الجديدة ﴾ نظراً لنفاد الاجزاء الماضية من هذه السنة تبدأ الاشتراكات الجديدة من الجزء السابع أي تكون عن النصف الباقي من السنة

﴿ المكاتبات ﴾ الرجاء الفصل بين المكاتبات الخاصة بالمطبعة والادارة والمكاتبات الخاصة بالتحرير

فالاولى تعنون باسم « مدير الهلال »

والثانية باسم « محرر الهلال »

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء . فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا اصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي ان تذكر مع الاسئلة اسماء مرسليها على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بحرف او بكلمة عند النشر

عادات الكتاب

﴿ لدلو . ماس . الولايات المتحدة ﴾ الارشيديا كون صموئيل

يروى عن شاتوبريان انه كان يملي كتاباته على كاتم أسراره وهو يمشي حافي القدمين

وكان شيللر يكتب وقدماه مستندتان الى الثلج

وبوسويه كان يلف رأسه بقماش حار يغيره كلما برد

وكان داروين يضرب على الدف بضع دقائق قبل أن يبتدىء بالكتابة

ويروى عن بومون الرواني الخفيف الروح انه كان يلبس أفخر ثيابه ويتزين بأثمن جواهره ثم يجلس للعمل

والقصاص بيار لوتي (صديق الشرقيين) يجمع حوله قوارير العطورات ويستنشق روائحها من هنيهة الى أخرى

فما معنى هذه العادات وعلى أي الامور تدل وما علاقتها بالكتابة والكتاب؟

﴿ الهلال ﴾ اشتهر الكتاب وأهل الفنون بوجه الاجمال بأنهم في الغالب على شيء من الشذوذ في عاداتهم وأطوارهم . ومن هذا القبيل ما ذكرتموه . ولا تعليل لذلك ينطبق على جميع الحوادث . وانما هي عادات وأطوار يألفها الكتاب فلا يشعرون باستكمال راحتهم الا اذا توافرت لديهم . وقد ذكر الكاتب المتفنن سليم افندي سركيس في مقالات نشرناها في السنوات الماضية بعض عادات الكتاب الشرقيين من مصريين وسوريين . وهي في جوهرها من قبيل العادات التي ذكرتموها للكتاب الغربيين وانما تختلف صورها ومظاهرها

أقصى وزن للانسان

﴿ بيروت . سوريا ﴾ احمد العجوز

قرأت في احدى المجلات انه توجد اليوم امرأة أميركية يبلغ وزنها ٢٥٠ كيلوغراماً. فهل هذا صحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ قد يكون صحيحاً او قد يكون فيه شيء من المبالغة . وربما دخل في الوزن الذي ذكرتموه ما كان على تلك المرأة من الملابس ونحوها . على ان الانسيكلوبيديا البريطانية (الطبعة الاخيرة) قد ذكرت ان أضخم انسان عرف وزنه أكيداً كان دانيال لمبرت الانجليزي المتوفى سنة ١٨٠٩ في السنة الاربعين من عمره . فقد بلغ وزنه ٧٣٩ رطلاً انكليزياً أي نحو ٣٣٥ كيلو غراماً

بوذا

﴿ بيروت . سوريا ﴾ يوسف مرعب

نرجو أن تفيدونا عن سيرة بوذا وعن مذهبه

﴿ الهلال ﴾ كان بوذا من أكبر الفلاسفة وأصحاب المذاهب الدينية ولا تزال تعاليمه الى اليوم تعد من أسمى ما أنتجه العقل البشري . ولد بوذا حوالي سنة ٥٦٠ قبل الميلاد في بلاد الهند على مقربة من جبال حملايا ولما بلغ الثامنة والعشرين تزوج فرزق ولداً . ولكنه لم يلبث قليلاً بعد ولادة ابنه حتى هجر بيته وأخذ يتنقل في البلاد باحثاً عن الحكمة والحقيقة فاستعان باشهر معلمي زمانه ولكنه لم يرو غليله وظل تائهاً متنقلاً الى أن جاءه الالهام تحت شجرة سميت شجرة « بو » أي شجرة المعرفة . ولذا سمي « بوذا » أي العارف او المستنير

ولا يتسع المقام للافاضة في سيرة هذا المعلم الكبير وتعاليمه السامية . وانما نلخص مذهبه في أربع قضايا أساسية تسمى « الحقائق الاربع السامية » وهي :

١ ـ ان الالم عام الانتشار لا يخلص منه انسان من ولادته الى موته

٢ ـ ان سبب هذا الالم مطالب النفس وشهواتها

٣ ـ ان الخلاص منه يتأتى عن طريق قتل الشهوة واخماد تلك المطالب

٤ ـ ان هـذه الغاية تبلغ باتباع ثماني خطط وهي: الاعتقاد الصالح والطموح الصالح والكلام الصالح والسلوك الصالح والمعاش الصالح والغاية الصالحة والتذكر الصالح والتأمل الصالح

الارقام الغربية

﴿ سانتا انطونيو . مارانهاو . البرازيل ﴾ الياس ابو نصر

حدث جدال هنا بين بعض الادباء على تاريخ انتشار الارقام الغربية الحالية في اوربا ومتى بطل استعمال الارقام اللاتينية . فنرجو افادتنا عن ذلك

﴿ الهلال ﴾ يرجع انتشار الارقام الغربية الحالية في اوربا الى القرن العاشر للميلاد. وكان أول من استعملها البابا سلفستر الثاني ثم تدرجت في الانتشار فاعتمدتها الشعوب الاوربية الواحد بعد الآخر حتى القرن الثاني عشر اذ كان استعمالها عاماً بوجه التقريب. ولا يخفى ان هذه الارقام نقلت عن العرب وكان العرب قد نقلوها عن الهنود في القرن الثامن على الارجح . ولا تزال الارقام اللاتينية او الرومانية تستعمل الى اليوم في بعض الوثائق الرسمية وغير ذلك

مدة الحمل

﴿ اسكيو . الارجنتين ﴾ مخائيل ابراهيم ليوس

هل يعيش مولود ابن سبعة اشهر . وهل يستقيم الحمل الى بعد الشهر التاسع ؟

﴿ الهلال ﴾ قد يعيش المولود في الشهر السابع . ومن الشائع بين بعض العامة ان المولود في الشهر الثامن لا يعيش . والحقيقة انه يعيش افضل من المولود في السابع . وقد يستقيم الحمل الى الشهر العاشر احياناً

داء غريب

﴿ النهود . السودان ﴾ رشيد شامي

يقطن هـذه البلدة منذ سنوات رجل سوري صحيح الجسم ولكنه منذ سنتين ظهر في اظافره داء غريب وهو ان الظفر ارتفع اولاً عن اللحم ثم اتلف وبقي

قصيراً جداً وأصبح نموه بطيئاً بالتفاف . فهل لكم ان تفيدونا عن سبب هذا الداء ؟

﴿ الهلال ﴾ يتعذر الحكم في ماهية الداء الذي وصفتموه فقد يكون الزهري او غيره ولا بد من فحص الطبيب

معنى الاحلام

﴿ واشنطن . بنسلفانيا . الولايات المتحدة ﴾

هل توصل العلم الى تفسير الاحلام تفسيراً علمياً او عرف شيئاً من علاقتها بالحوادث الواقعية ؟

﴿ الهلال ﴾ ان بين علماء النفس الحديثين فئة شديدة العناية بدرس الاحلام واستقصاء اسبابها ومعانيها . وفي مقدمة هذه الفئة العلامة فرود Freud النمسوي وخلاصة رأيه ان الاحلام (في الغالب) تعبّر عن اشياء واماني تعمد الانسان اغفالها او اخمادها او اضطر الى ذلك لبعض الاسباب . ولا يسعنا الخوض الآن في هذا المذهب الجديد الخطير الشأن وبيان قيمته العلمية والعملية فنقتصر على هذه الكلمة على ان نعود الى البحث فيه ملياً في جزء قادم

تصحيحات وتنبيهات

من قرائنا الكرام

﴿ العلوم الشرقية في مدارس اوربا ﴾ جاءنا من الاستاذ محمد علي المجذوب الاستاذ في جامعة كمبردج بانكلترا تعليق على مقالة « العلوم الشرقية في مدارس اوربا » للدكتور فيليب حتي المنشورة في الجزئين ٤ و ٥ السابقين قال فيه « انه اهمل ذكر جامعة كمبردج مع اننا اذا تتبعنا تاريخها وجدنا ان اللغة العربية كانت تدرس بها منذ سنة ١٦٣٢ م ومن ذلك الحين اتسع نطاقها وزاد طلابها فيها الى هذا اليوم . وقد شغل كرسي التدريس فيها نفر من كبار المستشرقين ويشغله الآن العلامة الدكتور ادورد برون »

﴿ اشهر المواقع الحربية ﴾ نبهنا الاديب شديد افندي باز من القدس الى خطأ وقع في الرد على سؤال نشرناه في الجزء الرابع من هذه السنة وهو اننا ذكرنا بين اشهر المواقع الحربية معركة « الارمادا » . وقلنا « والارمادا اسم الاسطول

الانكليزي » وقد وقع هذا الخطأ سهواً فان الارمادا اسم الاسطول الاسباني في ذلك الحين

﴿ العملة المراكشية ﴾ جاءنا تصحيح لما ذكرناه عن عملة مراكش في باب السؤال والاقتراح من الجزء الثالث الماضي ارسله الينا الاديب محمد افندي احمد الشيخ من الدار البيضاء فننشره له شاكرين ، مع الاشارة الى اننا اعتمدنا فيما كنا كتبناه على الطبعة الاخيرة للانسيكلوبيديا البريطانية الصادرة سنة ١٩١١ ولعل هذا منشأ الخطأ . قال :

« ليس للعملة الاهليـة (وذلك في منطقة حماية فرنسا دون اسبانيا) القائمة على القرش أثر في المعاملات بالمرة ، فانت تشتري اليوم وتبيع وتدفع الديون والرسوم الاميرية وكل ما يطلب منك « بالفرنك المراكشي » أو بالحقيقة « بالفرنك الفرنسي » وللمراكش اليوم بنك خاص بها يسمى بنك الحكومة المراكشية أو المغربيـة Banque d' Etat du Maroc له حق اصـدار أوراق البنكنوت فهو لديهم كالبنك الاهلي في مصر أو كبنك فرنسا ، وأساس العملة المغربية اليوم هو الفرنك الفرنسي وأجزاؤه ، ويمتاز الورق المغربي بلون خاص يميزه عن الورق الفرنسي ولـكنه بمجموعه أقرب شبهاً به لولا أن على أحـد وجهيه بالخط العربي المغربي (وهو قبيح وخطأ في الرسم) قيمة الورقة الاسمية وتوقيع المندوب العالي بالبنك وهو مغربي . ولهذا البنك اليوم أوراقه المذكورة من فئة مائة ، وخمسين ، وعشرين ، وعشرة ، وخمسة فرنكات ، وأما الاثنان ، والفرنك . ونصف الفرنك ، وربعه ، فهي أوراق بسيطة جداً تكاد تكون من الورق المقوّى (الـكرتون) منشرة بتسلسل وليس عليها الا قيمتها الاسمية وهـذه الـكلمة (حماية فرنسا بالمغرب) Protectorat de la France au Maroc وكل هذا على احد وجهيها وأما الآخر فخلو من كل شيء . وليس ما يدل على ان الورقة للبنك أو لغيره . واجزاء فرنكهم هي أجزاء الفرنك الفرنسي نفسه اي « السنتيم » أو ما يماثله شبهاً وقيمة الا ان على احدى صفحتيه هذه الـكلمة « ضرب بباريس سنة ١٣٢١ » بلفظ عربي

« ولا تزاحم هذه العملة الوطنية ـ ان صح تسميتها هكذا ـ عملة أخرى غير الفرنسية وتوابعها اي عملة الجزائر وتونس وهي كعملة مراكش في الوحدة والقيمة »

مطبوعات جديدة

﴿ الفتيان الكشافة ﴾ لقد أصبح لحركة الكشافة شأن عظيم في الدوائر التهذيبية في مصر ونشر غير كتاب في هذا الموضوع . على ان الكتاب الذي بين أيدينا الآن هو أوفى وأتم كتاب كتب فيه ولا غرابة في ذلك فان مؤلفه توفيق حبيب فضلاً عن كونه صحافياً معروفاً وكاتباً أديباً قد رافق هذه الحركة منذ نشأتها واطلع على كل ما كتب في هذا البحث الواسع في اللغات الاوربية فجاء كتابه كافياً وافياً لا يبقي زيادة لمستزيد . وقد طبع الكتاب طبعاً نظيفاً متقناً في حجم متوسط يجعله سهل التناول والتداول وهو يقع في نحو ٣٠٠ صفحة وفيه صور ورسوم مختلفة . وأهدى المؤلف كتابه الى سمو الامير اسماعيل داود « اعترافاً بفضله وجليل خدماته ومساعيه لتنشيط حركة الفتيان الكشافة في القطر المصري » . فعسى أن يكون هذا الكتاب مساعداً على اطراد النجاح لهذه الحركة العظيمة النفع . ثمنه ٢٠ قرشاً

﴿ كيف تكون زوجتي ﴾ هذه رسالة وجيزة تقع في نحو ٨٠ صفحة صغيرة ولكن فيها ملاحظات وانتقادات وفوائد اجتماعية ذات شأن . وضعها عبد العزيز امين الخانجي ورمى بها الى بيان موقف الشاب المتعلم في الشرق بازاء الزواج وما يعترضه في هذا الشأن من العقبات . والكتاب مسبوك في قالب رائق شيق . وقد عني بنشر هذه الرسالة طه محمود البنا

﴿ اللغز ﴾ بقلم محمد احسان . هو مجموعة نظرات في مواضيع اجتماعية تنم عن نزوع كاتبها الى الخروج عن المألوف والمقبول من الآراء الاجتماعيـة ورغبته في تفحص مسائل الحياة مع التجرد عن كل تأثير سابق . وقد قال المؤلف في مقدمة كتابه انه يحوي « آراء شاب يرى في الاشياء غير ما يرى الناس وينظر اليها بعين غير العين التي ينظرون بها » ثمنه ٥ قروش

﴿ ديوان نفثات الصبا وشعور الروح ﴾ هما ديوانان في مجلد واحد لناظمها الخوري سليمان فرنيني المحترم . والديوان الاول يحوي ما نظم منـذ نشأته في عالم الادب حتى ارتقائه لدرجة الكهنوت . والثاني يحوي ما نظم من ذلك الحين . وفي الديوانين قصائد طلية ممتعة تنم عن أدب ناظمها . ثمن الديوانين معاً ريالان اميركيان

﴿ العقد المنتظم للامير المعظم ﴾ هو مجموعة قصائد في مديح صاحب السمو

الامير عمر طوسون نظمها الشيخ حسن عبد الوهاب عبد الحليم القناطري . وقد صححه الناظم وشرح الفاظه

﴿ تاريخ الحرب العام في خمسة أعوام ﴾ يشتمل على قصائد حماسية وغيرها من كل أنواع الشعر العامي السوري ومقالات جامعة للفكاهات والحقائق التاريخية والفوائد المختلفة . نظم وتأليف منصور نصار العقل من قرية جديتا بالبقاع

﴿ البراهين الجلية في الوحدة الالهية ﴾ مؤلفه امين يوسف عرموني نزيل اميركا . يبحث عن وحدانية الله اعتماداً على ما جاء في الكتاب المقدس

﴿ التربية في انكلترا ﴾ هذه محاضرة القاها أحمد فهمي العمروسي بك المفتش بوزارة المعارف على زملاء من المعلمين في دار نقابتهم في ٢٧ يناير سنة ١٩٢١ . وهي تحتوي على فوائد جمة في موضوع التربية وتبين خير المناهج التي يجدر باهل الشرق انتهاجها لانماء الاخلاق الصالحة فيهم وفي ابنائهم . وحبذا لو وضعت هذه الكراسة في يد كل والد ووالدة وكل معلم ومهذب

﴿ محمد علي باشا الكبير ﴾ رواية تاريخية غرامية ألفتها الكاتبة الروائية الشهيرة الآنسة ملباخ ونقلتها الى العربية السيدة عفيفة كرم الكاتبة الادبية المعروفة . وقد سبق نقل هذه الرواية نفسها الى العربية منذ سنوات ونشرتها ادارة الهلال

﴿ بحر الشدائد ﴾ هذه رواية عصرية ألفها الروائي س . ماريوت ونقلت الى العربية بعناية « مكتبة ومطبعة الشعب » وهي من خيرة الروايات المشوّقة الطلية

﴿ رسبوتين ﴾ يحوي هذا الكتاب تاريخ رسبوتين الراهب المحتال المشهور بقلم الكاتب الانكليزي الشهير وليم لوكو وقد ترجمه الى العربية الشاعر الناثر المعروف أسعد خليل داغر . وان الدور العظيم الذي لعبه ذلك الراهب على مسرح السياسة الروسية والاساليب الشيطانية التي لجأ اليها لبلوغ مراميه تجعل هذا الكتاب أشبه برواية غريبة الاشخاص عجيبة الحوادث لا يتناولها القارىء حتى يأتي على آخرها

﴿ رواية الاخوين مونفاردي ﴾ هي رواية أدبية تمثيلية تأليف طنوس جرجس يعقوب نزيل البرازيل وقد مثلت في مدرسة رنيكون بالبرازيل

﴿ المتمردة ﴾ رواية انتقادية بقلم نصر الله الياس فارس نزيل اميركا رمى مؤلفها الى انتقاد بعض التقاليد والعقائد

﴿ الكرميات ﴾ وهي مجموعة مقالات وقصص في موضوعات شتى بقلم أحمد

شاكر الكرمي . وهاك بعض المواضيع التي طرقها المؤلف : حظ الادباء . المطالعة الفنية . الآداب العربية . العزوبة والزواج . تعدد الزوجات . الطلاق الخ ... عني بنشرها محي الدين رضا صاحب مكتبة السعادة

﴿ المجموعة الوافية ﴾ صدر الجزءان الثاني والثالث لهذه المجموعة المفيدة التي تتناول جميع الاسئلة التي وضعتها وزارة المعارف لنيل شهادة الدراسة الثانوية في قسميها (الجزء الثاني للقسم الادبي والجزء الثالث للقسم العلمي) ابتداء من سنة ١٩٠٨ الى ١٩٢٠ وكذلك جميع الامتحانات الملحقة بالسنوات المذكوره غير تمارين مختلفة في الحساب والجبر والهندسة والطبيعة والكمياء الخ . . . تأليف المهندس فريد ظريفة خريج مدرسة الهندسة السلطانية المصرية

﴿ جمعية المهندسين المصرية ﴾ جاءنا قانون هذه الجمعية التي انشئت اخيراً في مصر لترقية العلوم والفنون الهندسية . ومعه خطاب نفيس لحضرة محمود بك سامي رئيسها القاه بجلسة افتتاح عامها الاول

﴿ كتاب ابن مصر ﴾ هذه رسالة وجيزة لفائدة الفتى الكشاف المصري وضعها محمود بسيوني بجريدة الاخبار وفيه فوائد وارشادات مختلفة تهم الفتيان الداخلين في سلك الكشافة

﴿ حريت نسوان ﴾ هو ترجمة كتاب « تحرير المرأة » للمرحوم قاسم امين الى اللغة التركية بقلم زكي بك مغامز نزيل الاستانة ومترجم « تاريخ التمدن الاسلامي » المرحوم مؤسس الهلال الى اللغة التركية

﴿ La Révolution Egyptienne ﴾ اي « الثورة المصرية » وهو تاريخ واف مدقق لحوادث الحركة المصرية الاخيرة منذ بدايتها الى حين انجاز مشروع اللورد ملنر تأليف م . صبري نزيل باريس . وقد اعتمد المؤلف في كتابه على المواثيق والمستندات الرسمية وبحث الموضوع بحثاً تاريخياً على الاسلوب الحديث

﴿ Documents Diplomatiques Concernant l'Egypte ﴾ هي مجموعة نفيسة تحوي جميع المستندات السياسية من مواثيق ومكاتبات وتصريحات وخطابات تتعلق بالمسألة المصرية من عهد محمد علي الى سنة ١٩٢٠ . أصدرتها الجمعية المصرية بباريس

﴿ نشيد للطلائع المصرية — الكشافة ﴾ نظم هذا النشيد أرنست نعمة الله بك

مدير القسم الافرنجي بمجلس الوزراء ولحنه الاستاذ منصور عوض . وقد سبق لنا نشر هذا النشيد على صفحات الهلال . ثمنه ١٢ قرشاً وهو يباع في المكاتب الكبرى ومحلات النوتة

﴿ مارش نشيد سعد باشا زغلول ﴾ وضع هذا النشيد الشاعر الكبير السيد مصطفى صادق الرافعي عن لسان زعيم النهضة المصرية سعد باشا زغلول يخاطب به الامة الناهضة وتوخى أن تكون كلماته شعاراً مصرياً لكل مصري نجاه غاية في القوة والحماسة والابداع . وقد لحنه الاستاذ الموسيقي منصور عوض وطبع اللحن أجود طبع مزيناً بصورة سعد باشا وطغرائه وطبع معه النشيد وثمنه ١٢ قرشاً ويطلب من مدرسة الموسيقى بالظاهر بمصر للملحن ومن محلات بيع النوته

﴿ نشيد مصر الاعظم ﴾ نظم وتلحين ووضع الاستاذ الموسيقي اسكندر شلفون منشىء مجلة روضة البلابل الموسيقية ومدير المعهد الموسيقي المصري

﴿ نكث العهد ﴾ هي قطعة موسيقية عربية من نظم « الشاعر القروي » نزيل البرازيل وقراؤنا يعرفونه مما ننشره له على صفحات الهلال

﴿ ذكرى ادبية ﴾ كراس يحتوي على تفاصيل الحفلة التي أقامتها لجنة اعانة منكوبي الحرب الطرابلسية لرئيسها الوجيه نعمه تادرس صاحب الايادي البيضاء على كثير من المشاريع الخيرية والعمومية

﴿ ذكرى شهيد ﴾ مجموعة مراثي قيلت في شهيد الكنيسة والوطن الخوري نقولا خشه الدمشقي . عني بجمعها ونشرها ولده الاديب حبيب خشه

﴿ كيف ينبغي أن يشرب زيت السمك ﴾ رسالة يدل اسمها على موضوعها . بقلم الدكتور محمد حسيب بيازيد من اطباء دمشق

﴿ وقف الجمهور ازاء محاربة الخمور ﴾ محاضرة القاها محمد رضا أمين مكتبة الجامعة المصرية بدار الجامعة الاميركية في ٤ مارس سنة ١٩٢١ وفيها بحث مستفيض عن اضرار المسكرات من جميع الوجوه

﴿ المملوك الشارد ﴾ صدرت الطبعة الخامسة لهذه الرواية التي وضعها المرحوم مؤسس الهلال

تطلب هذه الكتب من مكتبة الهلال بالفجالة بمصر

الجزء ٩ الهلال السنة ٢٩

اول يونيو (حزيران) سنة ١٩٢١ — ٢٤ رمضان سنة ١٣٣٩

اقوال مأثورة

لمؤسس الهلال

كيف فاز العثمانيون الاحرار [1]

... وبعد أن كان العثمانيون يخفضون رؤوسهم ويخفتون أصواتهم اذا ذكرت دولتهم أصبحوا يعتزون باسم هذه الدولة ويفاخرون سائر الامم بنيل امنيتهم بلا حرب ولا قتل وسيدون التاريخ فضلهم وتذهب الامثال بتعقلهم ودهائهم ويكونون قدوة المطالبين بالاصلاح في الاعصر المقبلة — فيحسن بنا أن نذكر أسباب فوزهم فنقول :

اولاً — أن اول هذه الاسباب ارتقاء شعور الامة بالتربية والتعليم حتى أدركت معنى الاستقلال الحقيقي وعلم عقلاؤها أنهم لا يرجون فلاحاً الا بالاتحاد والترقي ورأوا اعداءهم يقتلون الابرياء ويخربون البيوت ويشتتون شمل العائلات ويقيدون الاقلام ويميتون الشعور الحي فنهضوا لمقاومتهم وسيفهم القلم ودرعهم الحق وشعارهم الاتحاد . كان حزب التقهقر مؤلفاً من الجهلاء والطامعين والقتلة فتألف حزب الاحرار من العلماء والكتاب والشعراء والفلاسفة — كأنها حرب بين الجهل والعلم او بين الرذيلة والفضيلة . لم يجرد الاحرار فيها سيفاً ولا قتلوا بريئاً ولا دعوا الى ثورة دموية . وانما جعلوا همهم استنصار العقل والحق وصبروا وكظموا حتى فازوا وأيدوا للعالم قاعدة من قواعد الاجتماع طالما قرأناها على صفحات الكتب نعني « الحق يعلو ولا يعلى عليه » وتصرفوا في سائر شؤونهم تصرف العاقل الحازم فاسقطوا دولة واقاموا دولة ولم يأخذهم الطيش ولا سكروا بخمرة النصر

(١) عن الهلال سنة ١٧ صحيفة ٣٧

ثانياً – اخلاص الاحرار في ما قاموا له . فانهم قاموا يطلبون امراً يعتقدون انه حق مسلوب لا يرجون من وراء نيله الا مصلحة الجماعة يدلك على ذلك تصريحهم بعد ان قبضوا على أزمة الاحكام وصار اليهم الامر والنهي انهم لا يقبلون منصباً ولا يطمعون في مال

ثالثاً – الاعتماد على العمل دون القول . فقضى الاحرار العثمانيون اعواماً عديدة يجتمعون خفية ويتخاطبون همساً ويتكاتبون سراً لا يصيحون ويصخبون وانما يسعون ويؤسسون وينشرون مبادئهم وآراءهم رغم التضييق على حركاتهم في بلاد الدولة وقد منعت الحكومة الاجتماعات على الاطلاق فلم تكن تأذن في انشاء الجمعيات حتى الادبية منها خوفاً من ان يتخذها الاحرار وسيلة للاجتماع والمؤامرة . لكنهم لم يحرموا وسيلة للاجتماع باسم الماسون او الجمعيات الخيرية وهم في كل حال يبالغون في التستر وقد افادهم التكتم لانه يبعد الشبهات ويقوي العزائم ويزيد الجماعة ائتلافاً

رابعاً – صبرهم على المكاره وهم يترقبون الفرص المناسبة حتى آن الوقت ووثبوا وثوب الاسد . مرت بهم مكاره ومشاكل ذكرنا شيئاً منها في ما تقدم ذهب بها بعضهم قتلاً ومات آخرون نفياً وذاق معظمهم ذل الغربة ومضض الفاقة وهم صابرون الا ما ذكرناه من خيانة بعض المنتمين اليهم او الذين غلبوا على امرهم اشفاقاً على اهلهم من ظلم الظالمين – حتى هؤلاء انما اظهروا الرجوع تفادياً من الاذى على ذويهم . ومع ما نالوه من اسباب الترضية بالمناصب وغيرها ظلت قلوبهم مع الاحرار ينصرونهم بما في الطاقة . كما فعل الامير امين ارسلان فانه من الاحرار الذين جاهدوا في سبيل الاصلاح باقلامهم واموالهم لكنه اضطر للسكوت خوفاً من الاذى على اهله فجعلته الدولة قنصلاً لها في بروكسل وكان فيها لما توفي الداماد وبعثت الحكومة تطلب اوراقه فعلم الامير ما يترتب على وصول تلك الاوراق الى المابين من الفتك بالابرياء فاحتال في تهريبها . فانقذ انفساً من الموت ونجى عائلات من الخراب . وعلموا ان قيامهم لا يثمر الا اذا كان الجند معهم فعملوا على ادخال ضباطه في جمعيتهم وهم يتهامسون فلما استوثقوا من الجند اظهروا امرهم ونالوا ما يتمنون . وقد افاد صبرهم ثلاثين سنة في تنقية افرادهم فلم يبق ثابتاً منهم الا المتفاني في سبيل الحرية

جرجي زيدان

مصطفى كمال باشا

والنهضة الوطنية التركية

ان عجز رجال الغرب عن فهم روح الشرق وادراك حالته النفسية لما يحير العقل. فقد أبدى اولئك العظام جهلاً تاماً بطبائع الشعوب الشرقية وتطورها الروحي بعد الحرب او انهم غفلوا عن التأثير البليغ الذي خلقته في النفوس. فقد فاتهم فعل الكلمات الساحرة التي رددوها ، فاتهم ان روح الحرية والاستقلال قد تأصلت في النفوس فلم يعد من السهل اغفالها او اخمادها ، فاتهم شأن العوامل النفسية والمعنوية في حياة الامم - تلك العوامل غير الحسية التي تسيّر القوى الحسية وتديرها وفقاً لنزعاتها ورغباتها

غريب هذا الجهل في تلك الادمغة الكبيرة !

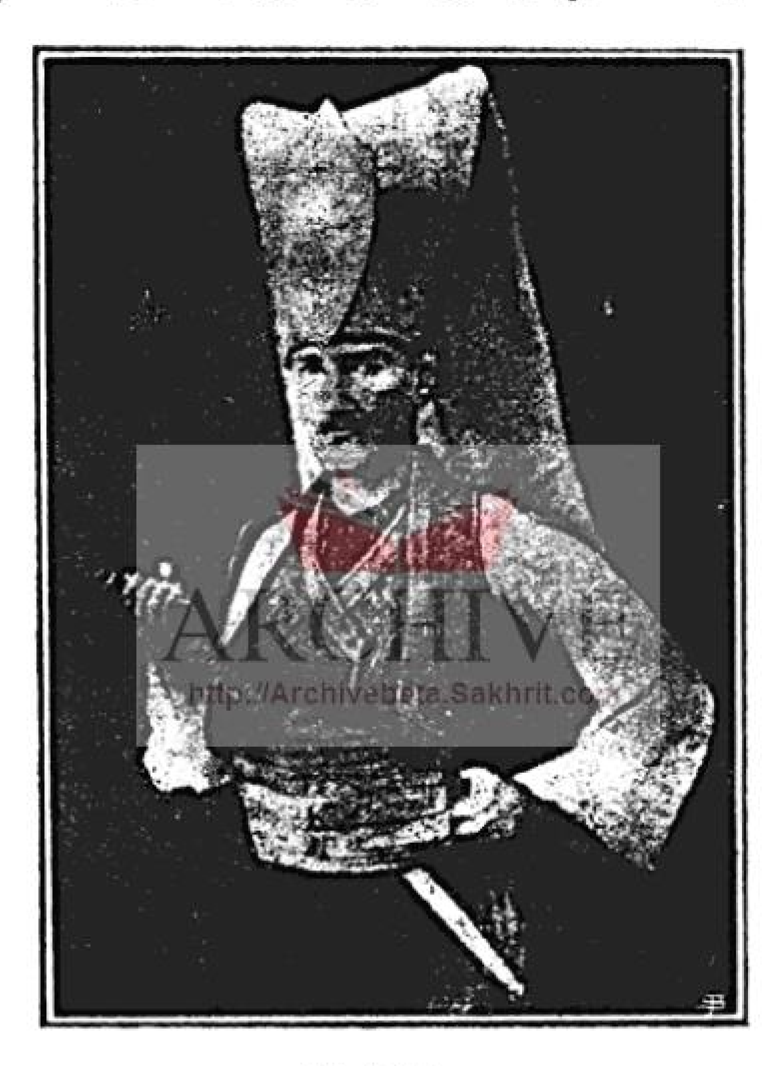
غريب أن يلجأ رجال السياسة الى أساليب أصبحت بالية اليوم وان افادت قبل الحرب . فاننا اذا نظرنا الى التطورات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي طرأت على العالم في هذه السنوات القليلة خيل الينا أن دهراً من الزمن يفصل بيننا وبين سنة ١٩١٤ . على أن رجال السياسة لا يزالون يفكرون ويعملون على الاساليب التي ألفوها في حين ان العالم في أشد الافتقار الى العقول الفتية التي تدرك ماهية الحالة المستجدة فتعرف كيف تديرها وتعالجها

وما تاريخ السياسة الاوربية تجاه الشرق في بضع السنوات الماضية الا سلسلة أغلاط متشابهة - متشابهة في أسبابها وأعراضها ونتائجها . والغريب أن السياسيين لم يعتبروا بما ارتكبوه من الاغلاط فتراهم يكررون الغلطة أثر الغلطة بالرغم مما قد دلهم عليه الاختبار من عقم أساليبهم وفساد طرقهم كأن ضغط الماضي على نفوسهم شديد لدرجة ان يحول دون اعتبارهم بالحاضر وتحوطهم للمستقبل

ولو فطن رجال السياسة الى يقظة الشعوب الشرقية في الوقت الحاضر لما لجأوا الى الطرق التي أفلحت حين كانت تلك الشعوب خاملة مستنيمة . فالعنف قد يميت الخامل المستنيم ولكنه يستفز الناهض المتيقظ . واذا راجعنا الادوار التي مرت على معظم الشعوب الشرقية في بضع السنوات الماضية وجدنا أنها تعاقبت على وتيرة واحدة:

عنف واضطهاد من جهة الدولة القوية ، نهوض الشعب واتحاده وائتلاف عناصره ، تنازع الفريقين ، تساهل القويّ شيئاً فشيئاً

هذه هي الادوار التي مرت على الشعوب الشرقية بعد الحرب . وقد بلغ معظم

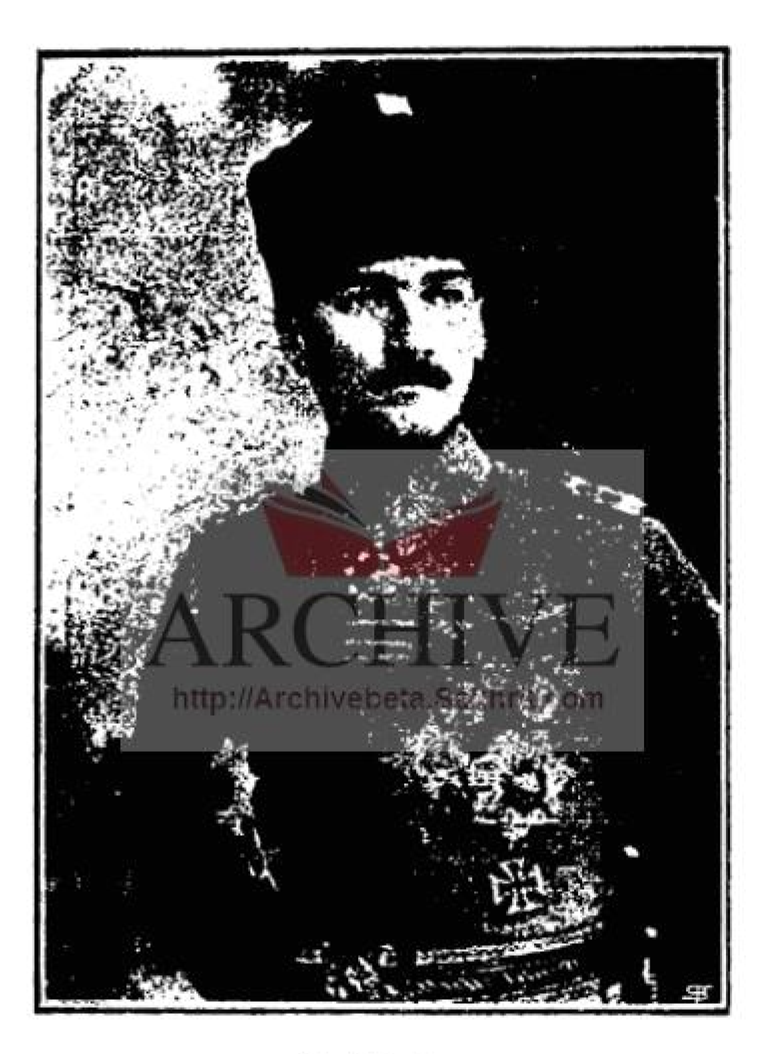


مصطفى كمال باشا
بلباس الجند العثماني القديم

تلك الشعوب اليوم الدور الاخير أي دور التساهل من جهة الدول الكبرى . فقد بدأت تلك الدول تدرك عقم أساليبها ولكنها لا تزال تبذل جهدها للمحافظة على البقية الباقية من هيبتها وكرامتها

وقد كان من ثمرات الضغط على الشعوب الشرقية ومعاناتها معاً لاستبداد الدول

الغربية أن تسربت اليها روح التضامن والائتلاف فيما بينها. فان المصائب المشتركة تؤلف القلوب كما لا يخفى. والمتأمل في أفق السياسة الشرقية تلوح له حركة جديدة يمكننا أن نسميها « جامعة الشعوب الشرقية » لمناهضة الغرب ووقفه عند حده



مصطفى كمال باشا
بلباسه الحديث

* * *

لقد قيل ان أزمنة الضيق تنجب الرجال العظام . وفي مقدمة الرجال الذين أنجبتهم حالة الشرق الحاضرة مصطفى كمال التركي - ذلك الثائر العاصي الذي استهزأت به الدول حين كان ضعيفاً يتنازعه عاملا الفشل والنجاح ثم أصبح اليوم رأس الحكومة

التركية تتقرب اليه تلك الدول نفسها وتخطب وده وصداقته . فليس مصطفى كمال الا ثمرة من ثمار الضيق الذي حل بالامة التركية بعد الحرب ولا سيما على أثر ما كان من تصرف الحلفاء عقب احتلالهم للاستانة عاصمة السلطنة ومستودع فخر الاتراك ومجدهم وكرامتهم



السلطان محمد السادس
في مركبته

النهضة التركية ومصطفى كمال

لما نشبت الحرب الكبرى كان مصطفى كمال قائداً لاحدى فرق الدردنيل فابدى من البسالة والمهارة الحربية ما ميزه عن اقرانه ولفت اليه الانظار على حداثة سنه . فلما انتهت معارك الدردنيل كوفىء برتبة اللواء التي منحته لقب الباشوية

وتوجه مصطفى كمال بعدئذ الى القوقاس على رأس الفيلق السابع الذي أطلق

عليه لقب « يلدرم اردوسي » أي فيلق الصاعقة فجاءت هذه التسمية مطابقة للمسمى فقد أبلى هذا الفيلق بلاءً حسناً ولازمه النصر في ساحات القتال . ولما تفاقم الامر في فلسطين من جراء استعدادات الحلفاء وشعر الاتراك بخطورة الحالة فيها أوفدوا اليها مصطفى كمال وفيلقه المشهور. ولكن الحالة كانت قد ساءت وبدت علائم الانهزام على الجيش التركي فاضطر مصطفى كمال الى التقهقر شمالاً الى الاناضول ونشبت آخر معركة في سوريا وهي معركة الليرمون بجوار حلب بين قواته والقوات الانكليزية .



الداماد فريد باشا (علامة X) والوفد العثماني
بعد امضاء معاهدة سيفر

فكان تسليم حمص وحماه وحلب على يد فلول جيش مصطفى كمال وهو آخر جيش عاد من سوريا

ولما استقر مصطفى كمال في الاناضول أدرك وجوب لمّ شعثه وتنظيم جيشه فعمل على ذلك وظل يرقب الحوادث في الاستانة ليرى ما تؤول اليه الحال. فلما تألفت وزارة المشير عزت باشا الاولى عقب الهدنة قصد الاستانة واقام فيها مدة وجيزة ثم عين مفتشاً لجيش الاناضول . فوافق هذا التعيين هوًى من نفسه اذ اتاح له اتمام ما كان قد شرع فيه . فبرح الاستانة واتخذ ارضروم مقراً له واخذ يبذل عنايته في

تنظيم الجيش وانشأ مستودعاً للاسلحة وترسانة لاصلاح ما تعطل منها وضم اليه نخبة من الضباط العثمانيين الذين بقوا في الاناضول بعد عقد الهدنة او جاؤوا من الاستانة بعد احتلال الحلفاء لها

ثم ان الحلفاء لم يلبثوا ان حلوا المجلسين النيابيين في الاستانة واتخذوا سياسة الضغط والعنف مع الاتراك فكان من جراء ذلك ان هجر فروق صفوة رجالهم ومفكريهم والتفوا حول مصطفى كمال فاشتد بهم ساعده والف في انقره حكومة وطنية تمثل الشعب التركي تمثيلاً حقيقياً وتعبر عن امانيه ورغائبه بخلاف حكومة الاستانة التي كانت صورة لا حياة لها

وقد حدد المجلس العمومي في انقره الخطة التي يجب على مصطفى كمال ورجاله اتباعها لتخليص الشعب التركي واسترداد كرامته في جلسة عقدت في ٢٩ ابريل سنة ١٩٢٠ وهاك اهم ما قرر في تلك الجلسة التاريخية :

١ — بما ان السلطان سجين وحكومة الاستانة في ايدي الحلفاء فان كل الاتفاقات التي يعقدونها تعتبرها الامة لغواً

٢ — ان الامة التركية عازمة على الدفاع عن حقوقها المقدسة وعلى ابرام صلح عادل وشريف

٣ — انسحاب اليونانيين والفرنسيين التام من الاراضي التركية في اسيا واوربا

٤ — زوال السيطرة المالية والحربية الاجنبية عن تركيا ومحو مناطق النفوذ

ولما رأى مصطفى كمال ما يكتنفه من الخطر وهو يقاوم وحده عدة دول كبيرة رضي ان يستعين بحكومة روسيا السوفييتية فعقد محالفة مع لنين لعلها كانت من اهم الاسباب التي اضطرت الحلفاء الى الرجوع عن خطتهم الاولى تجاه الشعب التركي

وقد بذل مصطفى كمال جهده لتحقيق الاماني التركية فما برح النصر حليفه يزيده قوة ويزيد مركزه توطيداً حتى اضطرت حكومة الاستانة الى الاعتراف به وتسليمه الزعامة الفعلية في ما دار مع الحلفاء من المفاوضات

وقد ادرك الحلفاء — ولولا قيام مصطفى كمال ما ادركوا — ان معاهدة سيفر لم تكن قائمة على اسس العدل والانصاف فارادوا تنقيحها فعقدوا مؤتمر لندن الاخير واقترحوا على تركيا واليونان اقتراحات معينة ولكن اليونان ابوا العمل بها وارادوا تحكيم السيف كما يعلم القراء

امـلاق

وصف مكاتب مجلة « الالستراسيون » الفرنسية مصطفى كمال وصفاً دقيقاً رأينا ان نقتطف منه القطعة التالية لدلالتها على أخلاق الرجل وسجاياه قال :

« ليس لبطل الاستقلال من العمر سوى اربعين عاماً . وقد ولد في سلانيك من اسرة تركية – لا اسرائيلية كما اشاع خصومه – وكانت متوسطة الحال . وهو طويل القامة عريض الكتفين ومع هذا لا تبدو عليه علامات القوة البدنية ولعل ذلك بسبب نحافة يديه وساقيه وتألمه من مرض الكلى . على انه شديد المرونة في حركاته وهو يجيد لعب السيف والرقص . ولكن أهم ما فيه اسارير وجهه فهي تدل على الشدة والعزيمة والصلابة . والذكاء يكاد يقطر من جبينه . أما انفه فبارز ملحم يدل على الشهوة . وعيناه كبيرتان تنفذ نظراته من خلال زرقتهما حادة كالسهم وحركات محياه جميلة تدل على عواصف هوجاء في صدره . ولقد شبه بعضهم سحنته بسحنة النمر . وقد يكونون مصيبين في هذا التشبيه غير ان ابتسامات كابتسامات الاطفال تغير احياناً ذلك الوجه وتكسبه عذوبة مدهشة . وعلى كل حال فانه يستوقف النظر لما فيه من تنوع الحركات واختلاف المظاهر وتضاربها

« . . . هذا ومصطفى كمال قائد ذو خبرة واسعة وهو زعيم بارقى معاني الكلمة فقد ولد ليقود الرجال ، وقد حبته الطبيعة تلك الهبة السرية التي تجلب طاعة الناس واحترامهم لمن كانت فيه . وتركيا اليوم باسرها منجذبة الى هذا الرجل بقوة غريبة وهو يجمع الاقدام الى الجلد ، وصدق النظر الى سرعة الخاطر . ويعرف أن يقتنص الفرصة السانحة . ولا يضارع جرأته الا ذكاؤه . وهو ذكاء لم يكمله الدرس ولكنه حاد وبليغ يمكن صاحبه من أن يدرك بسليقته الامور التي يجهلها »

وروى هذا المكاتب فيما روى كيف تمكن مصطفى كمال من استلام قيادة الجيش المقاتل في الدردنيل . وذلك ان الحالة كانت حرجة وكان الجنرال ليمان فون سندرس قائد الجيش التركي مرتبكاً في امره فرأى أن يستشير مصطفى كمال وكان وقتئذ في رتبة ميرالاي فحادثه بالتلفون محادثة وجيزة ولكنها ذات معنى كبير :

اخبر القائد الالماني مصطفى كمال ان الحالة خطرة وسأله هل في الامكان ملافاتها فكان جواب مصطفى كمال ان ذلك ممكن

فسأله : ـ وكيف ذلك

فاجاب : ـ بتعييني قائد فرقة وترك امر الدفاع عن المنطقة المهددة الى عهدتي

فقال : ـ ألا يكون هذا كثيراً

فاجاب : ـ اني من جهتي لا اجده كثيراً وقد يجوز ان اتولى القيادة . . . .

وهنا وقف الحديث . ثم جاءت الليلة التالية فازدادت الحالة سوءاً فعمد فون سندرس في الصباح الى التلفون وحادث مصطفى كمال فقال له : « لقد تعينت قائد الفرقة فاعمل بسرعة » فاجابه مصطفى كمال : « سأكون في ميدان عملي حالا . انما لا بد لي من بضع دقائق حتى البس لباس القائد »

وبعد هذه الحادثة بيومين فقط كان مصطفى كمال بطل واقعة انطفره التي اضطرت فرنسا وانجلترا بعدها ان تستدعيا جيوشهما من الدردنيل



رئيسا الوفدين التركين في مؤتمر لندن الاخير

يقومان بمهمة تنظيف اواني « سيفر »

(اشارة الى اعادة النظر على معاهدة سيفر

وقد اشتهرت مدينة سيفر بما يصنع فيها من الاواني الزجاجية الجميلة)

المرأة والرجل

لقد اضاعت عنده من الحياة حقها
فهل تزوجت به ام ملكته رقها
يسومها الخسف فان تذمرت طلقها
ذاك ما أخشنه وتلك ما أرقها
وانها الروح التي بعسفه ازهقها
يرغمها ان تأتي الكذ ب متى انطقها
ان صدقت كذبها أو كذبت صدقها

جميل صدقي الزهاوي

غير ما فرضوا

يعيش شعب اذا ما ضيم ينتفض من الهوان والا فهو ينقرض
وليس من قوة في الكون قاهرة تستطيع ان تقعد الاقوام ان نهضوا
كم من شعوب تفانوا من جهالتهم ان الجهالة موت أو هي المرض
عن كل شيء اذا ضيعته عوض الا الحياة فما عن هذه عوض
ينال كل امرىء مجداً يحاوله لولا المصاعب دون المجد والمضض
ليس الذي جاء يمشي اليوم متئداً بسابق للألى من قبله ركضوا
نصحتهم أن يثوبوا في مقالتهم الى الحقيقة الا أنهم رفضوا

ومنها :

أما الحياة التي يحيا السواد بها فالناس منبسط منها ومنقبض
قد علمتني اختباراتي التي كثرت ان الحقيقة شيء غير ما فرضوا
ترمي الشموس سهاماً من أشعتها وكل جرم يحاذيها هو الغرض
ان الاثير هو الام التي ولدت طيف الشهود وأخت الجوهر العرض

جميل صدقي الزهاوي

ارتقاء اللغة العربية

واستعدادها ايضاً للارتقاء — ٢

بقلم الاستاذ جبر ضومط
استاذ اللغة العربية في الجامعة الاميركية ببيروت

عود الى الشعر والشعراء

لم اتصدَّ لذكر السابقين المجلين من شعرائنا الذين تفتخر بهم العربية الآن في مصر والشام والعراقين لاسباب منها اني اخاف الغفلة عن ذكر من لا يجوز الغفلة عن ذكرهم جهلاً مني بهم او نسياناً عن غير قصد وهذا ما لا يجوز لي وعما لا اريده ايضاً بوجه من الوجوه ومنها ان اكون قائلاً ما اقوله في شعرهم عن رأي لا عن تقليد . وهذا يقتضيني مراجعة ليست متيسرة لي الآن ولو تيسَّرت مراجعة دواوين كبار شعرائنا فما يتيسَّر لي مراجعة دواوين من هم في طبقتهم من شعراء الانكليز لاقابل بينهم واحكم عن يقين في اي المجلي من شعراء الفريقين أشعراء العربيـة ام شعراء الانكليز

ثم على فرض اني راجعت وقابلت فاخاف ان لا اكون منصفاً اذا حكمتُ ولا اشك ان الحيف يكون واقعاً على شعرائنا ويحقُّ لايٍّ منهم اذا قابلت شعره بشعر تيسن مثلاً فبان السبق لشاعر الانكليز ان يقول لي ما أنصفتني ولا انصفت العربية وقد كان يجب عليك أن تفطن لمغزى شاعرنا العربي حيث قال

تقولين ما في الناس مثلك عاشق   جدي مثـل من احببته تجدي مثلي

وانا اقول جد لي امَّـة كالامَّـة الانكليزية اشعر بها اني سائد لا مسود وسابق لا مسبوق وعزيز غني لا ذليل فقير وحاكم مسلط نافذ امره في غيره لا محكوم مسلط عليه نافذٌ امر غيره فيه . وجـد لي بوسط راقٍ وتهذيب بالغ مستوفي كالوسط والتهذيب اللذين كانا لتنيسن وخذ مني بعد ذلك شعراً كشعره فيه خيـالٌ كخياله وفخر كفخره وعزة وطموح كعزته وطموحه . ثم جد لي امة ووسطاً اشعر معهما كما كان يشعر تيسن او من شئت غيرهُ من شعراء امته فاجد لك شعراً يقول بلسان حاله عن نفسه

بلغنا السماء مجدُنا وسناؤنا   وانّا لنبغي فوق ذلك مفخرا

مساكين نحن ابناء العربية ومساكينهم اغلب شعرائنا الذين ليس لهم ما يفاخرون به الآن الا عظام الاجداد البالية : اين محيطهم من محيط امثالهم من شعراء الانكليز واين وسطهم الراقي الذي عاشوا وتهذبوا فيه من وسط اولئك واين شعورهم الشخصي وشعائرهم القومية من شعور اولئك وشعائرهم . واذا كان الشعر ابن الشعور الشخصيّ والقوميّ كما يذهبون وكما هو الحق فشتان اذن شتان بين شعر شاعر من امة غالبة سائدة وشعر شاعر آخر من طبقته ولكنه من امة مغلوبة مسودة : كيف بل مئة مرة كيف يستوي شعر هذين ؟ ومتى استويا او يستويان ؟ دعوني انظر الى هذه المسألة من وجه آخر وليعذرني القراء على اشباع الكلام في هذا الموضوع فانه ما زال منذ سنين يجول في خاطري وانا اتوجع للغتنا وشعراء لغتنا من اعتقاد بعضهم فيها من استهوتهم الاميال والاداب الانكليزية او الفرنساوية ولذلك لا استطيع ان اتركه وقد اكتنفتني الفرصة قبل ان آتي على آخر ما يحضرني مما يغشُّ وطاب كربي ويهنأ فوران صدري

لنفرض أن شاعرنا العربي المصري أو السوري عاش في وسط راق كالوسط الانكليزي وغيبنا عنه فكر السائد والمسود والغالب والمغلوب أيجوز لنا أن نتصور أن تكون البيدعية التي فيه من حيث الشدة والاتساع كالبيدعية التي في الانكليزي من هذه الحيثية ؟ كلا لا يجوز ثم كلا وكلا فان خمساً واربعين مليوناً بل مئة وخمسين مليوناً (انكلترا واميركا) لا يكون انبغ نابغ فيهم في الشعر والادب أو في الاقتصاد والسياسة أو في الالهيات والفلسفة مساوياً لانبغ نابغ في اثني عشر مليوناً أو قل خمسة عشر مليوناً (أهل مصر والشام) . نعم يتشابهان في أن كلا منهما أنبغ نابغ في أمته ولكنهما لا ينبغي أن يتساويا في شدة النبوغ واتساعه ولنضرب مثلاً على ذلك

ان مشتلة تبغ فيها خمسة وأربعون مليون شتلة لا تكون الشتلة او الشتلتان المنتقاة منها في علوها وثخنها وعدد أوراقها وسائر الصفات المؤذنة بميزة فرد عن آخر وتفوقه عليه كالشتلة أو الشتلتين اللتين تنتقيان من مشتلة ليس فيها الا اثني عشر مليون شتلة وهكذا فقل في مشتلة (أو دندالة) من التوت أو التين أو الزيتون أو التفاح أو أو الخ بل المشتلة التي هي اكثر أفراداً يظهر فيها النبوغ الاعظم في شدته واتساعه

والارجح أن يكون الحال في القوميات الانسانية كالحال في المشاتل اذا تساوت القوميات بحسب الظاهر في سائر المحيطات الحسية والمعنوية ما عدا كثرة العدد فان القومية التي هي اكثر عدداً يكون عدد الافراد النوابغ فيها اكثر وفي الوقت نفسه يكون التفوق في شدة النبوغ أو اليدعية حيث يكون التفوق العددي

معلوم الفرق بين محيط الفرد منا ومحيط الفرد من المتكلمين بالانكليزية . معلوم كذلك الفرق بين رباعيتنا ورباعيتهم وبين ارتقائنا العلمي والسياسي والفلسفي الخ وبين ارتقائهم فانهم يفوقوننا في جميع ذلك ويفوقوننا أيضاً في كثرة عدد الافراد ولعل نسبتنا اليهم في ارتقاء المحيط العلمي والادبي والسياسي هو كنسبة واحد الى ثلاث أو أربع وأما في كثرة العدد فنسبتنا اليهم كنسبة واحد الى عشرة فان المتكلمين بالانكليزية في بريطانيا والولايات المتحدة نحو من مئة وخمسين مليوناً وعليه فاذا كانت لغاتهم في استعدادها الفطري أو الاولي أرقى أو اعلى من استعداد العربية فينبغي اذن أن يكون الفرق الحالي في آداب اللغتين واقتدارهما على تصور المعاني الشعرية وقل أيضاً المعاني الادبية والسياسية والاقتصادية والفلسفية بالغاً أعظم مبالغه ولا يجوز المقابلة بينهما والمتصدي للمقابلة لا يرى غير السخرية وزوية الفم والانف ويُنظر اليه كما ينظر الى من يتصدى لمقابلة عمران القاهرة مثلاً بعمران بعض العزب في ضواحيها أو بمقابلة عمران بيروت وجمال قصورها بعمران احدى قرى البقاع وجمال بيوتها المبنية بالطين وبعض الحجر

وان كان استعداد اللغتين الفطري أي لغتنا ولغتهم واحداً فلارتقاء محيطهم عن محيطنا ولزيادة عدد المتكلمين بلغتهم عن عدد المتكلمين بلغتنا كان يجب أن تكون آدابهم وشعرهم وفلسفتهم في حسنها وبلاغة بيانها وما الى ذلك أعلى من آدابنا وشعرنا وفلسفتنا ثلاث مرات الى عشر مرات . ولو كان الفرق بالغاً هذه الدرجة ما كان أحد على ما أظن يجسر على الوقوف بجانب لغتنا والانتصار لها بل كان رجل مثلي يتصدى لكتابة ما كتب يحسب مدخولاً في عقله وأقل ما كان يليق به من النعوت انه جاهل مغفل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري . ولما كانت نتيجة كلا الفرضين هي مما لا يسلم به ولم نرَ من عالم ولا من أديب مفكر حتى من نفس الغربيين قال به فالفرضان اذن ـ أي ان لغتهم باستعدادها الاولي أرقى من لغتنا أو مساوية لها ـ جديران بالشك وعدم القبول وبالضرورة يكون ما نحاول اثباته وقد تعنينا له في هذه المقالة

ما تعنيناه هو الاجدر بالقبول والثقة أي ان لغتنا باستعدادها الاولي أو بفطرتها الاصلية هي ارقى من الانكليزية أو الفرنساوية وأعلاها بلاغة وأبينها بياناً في الشعر والخطابة وما الى ذلك من العلوم الدينية والاجتماعية والفلسفية ولكنها تحتاج الى الخدمة والى من يخدمها من الافراد النوابغ والمبدعين ويحتاج هؤلاء اذا ظهروا أن يتفرغوا لما خلقوا له وأن تنصرف اليه وجهتهم . وهنا أقول ان بيادعة (١) البيان كبيادعة الفنون اذا وجدوا انصرفوا الى ما فطروا عليه على رغم الصعوبات والموانع الا أنهم قلما يظهرون الا في الفترات المتقطعة والاحايين من الدهر في كل امة لا فرق في ذلك بين شرق وغرب او بين اصفر واحمر فما على العربية الا ان تستشرف الى ظهورهم حتى اذا ظهروا وعرفتهم كان عليها أن تنزلهم المنزلة التي تحق لهم وتحتفظ بهم ولا احتفاظها بانفس الاعلاق وأثمن الجواهر . ولعل عدداً منهم تفاخر كل امة بوجود مثله بينها هو الآن بين ظهرانينا في المهاجر وفي البلدان العربية واخصُّ مصر والشام والعراقين على رغم الحالة الشؤمى التي صرنا اليها من ضغط السياسة الاوربية علينا وطمو تمدنهم وعوائدهم وافكارهم على تمدننا وعوائدنا وافكارنا ولما تتكيف اشكل ذلك بعد

كأني أسمع قائلاً يقول وجد بين أساتذة الانكليز من ترجم ديوان البها زهير وجاءت ترجمته كما يقولون غاية في الاجادة وحسن البيان . ولكن لم يوجد بين اساتذة العربية من نظم ديوان شاعر انكليزي وجاء فيها كما جاء ديوان البها زهير في الانكليزية

(١) البيادعة أو الابادعة جمع بيدعي وأبدعي على قياس يلمعي والمعي هو الذي يبدع في أقواله أو في فنه أي يأتي به على غير مثال وبعبارة أخرى هو الذي قد يبتكر العبارات ابتكاراً لا يقلدها تقليداً وذلك لما يرى من المناسبات الخفية التي لا يراها غيره بين المعاني والالفاظ الدالة عليها وبين بعض الافكار والعبارات الخاصة المبتدعة كالآن حمي الوطيس . وان من البيان لسحراً . وهذا يوم له ما بعده . والايمان يوجب ما بعده . والضعف أمير الركب . والناس أبناء ما يحسنون . ولعل من هذا الباب قول من قال :

مستقبل بالذي يهوى وان كثرت ‌ ‌ ‌ منه الذنوب ومعذور بما صنعا

وقول ابي نواس : لا تسدين الي عارفة ‌ ‌ ‌ حتى أقوم بشكر ما سلفا

وقوله أيضاً : ليس على الله بمستنكر ‌ ‌ ‌ أن يجمع العالم في واحد

وكثير من أبيات ابي تمام والمتنبي التي جرت مجرى الامثال فانها كانت في زمانها من المبتكرات على الارجح

فماذا تقول ألا يؤخذ من هذا ما يؤيد دعوى من يزعمون انحطاط العربية عن الانكليزية وقصورها عن أن تؤدي ما تؤديه تلك مع البلاغة وحسن البيان ؟

والجواب : نم وجد بين اساتذتهم من ترجم ديوان البها زهير ولحد الآن لم يوجد بين اساتذتنا من تصدَّى لترجمة ديوان شاعر انكليزي بل على فرض انه وجد من تصدَّى لذلك ثم لم يستطع ما استطاعه الاستاذ الانكليزي المومى اليه فلا يؤخذ ذلك في اعتقادي دليلا يؤيد زعم الزاعم بقصور العربية وسبق الانكليزية

وبياناً لذلك اقول دعوني اذكر لكم شيئاً عن مترجم ديوان البها زهير وشيئاً عن الديوان نفسه ولكم بعدها ان تحكموا بما شئتم

مترجم البها زهير هو الاستاذ ادورد هنري بلمر المشهور استاذ العربية في جامعة كمبردج جامعة من اقدم واشهر الجامعات البريطانية وقد خصص حياته للاشتغال بالعربية بعد ان انتقته جامعته لذلك انتقاه من بين مئات طلبتها المبرزين ومضى على الاستاذ في مهنته هذه سنوات عديدة كان لا هم له فيها الا بلوغ اقصى الغاية فيها أتجهت وجهته اليه من ترك أثر له عن العربية يكسبه فخراً وشهرة ويكسب جامعته ايضاً مثل ذلك ان لم يكن اضعافه وفوق ذلك فقد استعان الاستاذ المومى اليه في ترجمته باديب عربي هو رزق الله حسون لا غيره . رجل كان من خيرة ابناء العربية واشهر ادبائها وكتابها لذلك الحين فضلاً عما في كمبردج من الاسباب والوسائل التي تسهل للاستاذ بلمر وأمثاله الوصول الى الغاية التي يرمون اليها

فالى أن يكون عندنا جامعة في الشهرة والقدم ككمبردج والى أن يتهيأ أن ينبغ فيها أساتذة يدرسون الانكليزية ويبرعون فيها على نسبة تفوقهم في العربية وتزيح جامعتهم عنهم العلل والاسباب التي تصرفهم عن موضوع تدريسهم وغاية حياتهم الى أن يتم كل ذلك ويتصدى منا أستاذ لترجمة مثل ديوان البها زهير ثم لا يستطيع أن يأتي بمثل ما أتى به الاستاذ هنري بلمر الى حينذاك لا الى ما قبله ينبغي التوقف في الحكم بقصور العربية وسبق اللغات الاجنبية الانكليزية أو الفرنساوية

نعم قبل أن يحقق كل ما ذكرناه لا يجوز لزاعم أن يزعم في العربية ما يعتقده بعض أبنائها الذين يتأدبون على موائد اللغات الاجنبية وقد سقاهم أساتذة تلك اللغات سلوانات لا سلوانة واحدة ولا اثنتين ليسلوا لغتهم وينصرفوا عنها وعن محاسن آدابها الحاصلة والتي يمكن أن تحصل

لنرجع الى الديوان المترجم والى صاحبه فنقول كان البها زهير وزيراً اديباً وكان شاعراً فكهاً رقيق حواشي الطبع خفيف الروح فجاء ديوانهُ كاخلاقه سهل العبارة قريب الاشارة لا تثقل الفاظه في سمع ولا معانيه على فهم لم يأت فيه بتخيلات غير اعتيادية ولا اتعب نفسه بحكم غامضة ادبية أو بتصورات سياسية اجتماعيـة تستدعي درجة رفيعة من الفهم وقدراً كبيراً من الذوق والعلم . ولذلك فما اظن انه يصعب على احـد من نبهاء الازهر الشريف ممن يترفعون قليلاً عن متوسط الـكتـاب اصحاب الذوق وسلامة الطبع في اللغة والانشاء ان يترجم ديواناً هو في الانكليزية كالبها زهير في العربيـة بشرط ان يكون ممن اتقنوا فهم الانكليزية كما اتقن الاستاذ بلمر فهم العربية ثم يمكّن من الاسباب واتساع الزمان كما مكّن من كل ذلك الاستاذ المومى اليه

بل انا اعتقد انّ اديباً من ادباء الازهر ممن يميلون الى فنون الادب والبـلاغة ولا يزيد عن ان يكون من الطبقة الاولى الاعتيادية في صناعة الانشاء اذا استعدّ كما استعدّ الاستاذ بلمر وازيحت اعذاره كما ازيحت اعذار ذاك يستطيع ان ينقل «الفردوس المفقود» الى العربية بل و «الفردوس المرتجع» ايضاً نقلاً يوسم بطابع من البلاغة وحسن البيان لا يقل عما وسم به ديوان البها زهير في ترجمة الاستاذ مع ما لهذين الـكتابين من علو الطبقة ورفيع المنزلة في اللغة الانكليزية

انا لا اعلم اديباً منا تصدّى لنقل ديوان من دواوين شعراء الانكليز فاستشهد به تقوية او اثباتاً لما اذهب اليه ولـكني اعلم ان البستاني نقل الالياذة المشهورة الى العربية ومع انه لم يتفرغ للنقل ولا كان من الذين وقفوا كل حياتهم للغة وصناعة البلاغة مع ذلك وعلى تباين ما بين العربية واليونانية في الذوق والتخيل بالنسبة الى الانكليزية جاءت ترجمة العلامة البستاني لا تنقص في حسن بيانها ولا في تصور ما اراده شاعر اليونان عن معدل احسن ترجمات هذه المجروية (١) الى اللغة الانكليزية فماذا يمكن بل يجب أن يستدل مستـدل من ذلك يا ترى ؟ اني اترك الجواب لاهل العلم والتحقيق من المتادّبين وذوي الانصاف في احكامهم سواء كانت احكامهم لهم أم عليهم

(الختام في الجزء القادم) جبر ضومط

(١) نسبة الى ما جرى وسمعتهم يقولون مجروية الزير القصة المنظومة بالشعر العامي

الحكومة

منشأها وقوامها ووظيفتها

يقول روسو ان الحقوق لا تكتسب بالقوة وان الحكومات لم تأخذ السيادة غصباً ولم ترغم الشعوب على الرضوخ اليها والاذعان الى اوامرها وانما الشعوب هي التي أوجدتها واسلمتها عن طيب خاطر حق الحكم وصولجان السلطان لتدفع عنها غارات اعدائها ولتؤمن الناس على انفسهم وأموالهم . وذلك لان الافراد اذا ظلوا متفرقين وتشبث كل بحريته لا يقدرون على مدافعة الاذى وحماية الذمار فاتفقوا على ان يتنازل كل منهم عن حقه في الحياة وان يهبوا هذه الحقوق لمجموع الامة لتستخدمها في حفظ الامن وفي الصالح العام . ولكن لما كان من المحال على الامة ان تتولى بنفسها هذه الوظيفة اختارت من بينها هيئة قلدتها زمام الامور واودعتها حقوق الافراد . هذه الهيئة هي الحكومة

ان رأي روسو وان كان خلاباً يستهوي النفوس الابية ويسترعي اسماع الذين يحاربون الاستبداد ويمقتون الظلم ويرون في الملوك خدام الرعية الا انه مخالف للواقع اذ لم يرو لنا التاريخ ان امة فعلت ذلك وكل الحوادث التاريخية تؤيد النظرية القائلة بان القوة اساس الملك

اجل ان الملوك والامراء ورؤساء الحكومات مهما كانت قوتهم ضعفاء بالنسبة الى مجموع رعاياهم لا يقدرون على مغاضبتهم واكراههم على الرضوخ والطاعة . غير ان الملوك يبهرون الابصار ويهزون الاعصاب ويلقون في النفوس الرعب لميزة فيهم . فيتسابق الناس اليهم معجبين او فزعين ويلقون بانفسهم في مواطىء الاقدام متذللين متزلفين يلتمسون الحماية والرحمة

ان منشأ الحكومات استكانة الضعيف وافتقاره الى من يحميه واعجابه بالقوي وخوفه منه ورضوخه اليه واطاعته اياه وحب القوي للرئاسة والسيادة وعطفه على الضعيف وشعوره بغبطة في الدفاع عمن استجار به ولجأ الى حظيرته

ان تبادل المحبة بين الضعيف والقوي هو الاساس النفساني والعلة الاولى في وجود الحكومة . ولولا الحب والخوف لافنى الاقوياء الضعفاء وساد الخراب على العالم .

وما دام في الناس قوي وضعيف فالحكومة لا محالة موجودة

يود الفوضيون لو يسير العالم بغير حكومة . ويمنون انفسهم بقطع دابر الحكام واستئصال شأفتهم وتحرير الناس من جميع السلطات . ويرون ان الامن لا يستتب الا اذا ابيدت الحكومات وحطمت القيود والاغلال واطلق سراح الافراد وتركوا وسجيتهم الخيرة التي افسدتها عليهم الحكومات . غير ان هذه امنية لن تحقق ومثل أعلى ينشده البشر ويسعى اليه ليقترب منه قدر الامكان وحلم لذيذ يغتبط به الاقوياء او من يظنون في انفسهم انهم اقوياء . اما الضعفاء فيمقتون الفوضى ويخشون ان تختطفهم ذئاب البشر وتفترسهم الاطماع اذا تركوا من غير راع يحمي ذمارهم

والقوة كل ميزة مادية او معنوية حقيقية او وهمية تكسب صاحبها نفوذاً . فالعضلات المفتولة والقامة الطويلة والجسم البادن تطأطىء لها الرؤوس خصوصاً في الجمعيات الساذجة . فان الرئاسة فيها غير وراثية وانما يتولاها اقوى رجل في القبيلة. ورجحان الفكر وصلابة الرأي وقوة الارادة وحدة الذهن تعلو بالانسان في كل العصور الى منصة الرئاسة

وكبر السن بين الوحشيين ميزة تدعو الى الزعامة وذلك لانهم وان كانوا يقتلون كل من اقعدته الشيخوخة عن العمل واورثته الضعف والعجز الا انهم يحترمون المسنين الذين لم يصلوا الى هذه الغاية . لان كبر السن في هذه الحالة يكون مقترناً عادة بالحنكة والتجارب وقوة في العقل والجسم

ولما كان الخضوع والانقياد من أهم الاخلاق الداعية الى وجود الحكومة فالعائلة تعتبر مهد الحكومة ومزرعة الاخلاق والسجايا التي تنبت في الامة الرئاسة العامة . فان الطفل يتعلم في عائلته الطاعة والانقياد ويشعر بالحاجة الى نصير يأخذ بيده ويذوق لذة الطمأنينة في ظل من يعوله . وقد دل الاستقراء على أن نظام الحكومة صورة مكبرة من نظام العائلة وعلى قدر ما لرئيس العائلة من سلطة يكون سلطان الحكومة

وبجانب العائلة توجد مواطن أخرى للقوة يستمد الحاكم منها نفوذه مثل الدين والمدرسة والمصنع والجيش ولكل من هذه المواطن تأثير خاص في قوة الحكومة ومقدار سيطرتها على الافراد ودائرة عملها وحقها في التدخل في خصوصيات رعاياها وفي كفة الطاعة الى أوامرها . فمثلا قوة امبراطور الصين وهي مستمدة من قوة الوالد على أولاده وقائمة على الحياة الزراعية لا تماثل قوة رئيس الولايات المتحدة المستمدة

من الحياة الصناعية وتخالف أيضاً قوة نابوليون التي أكسبه اياها النصر الباهر في مواقعه الحربية

ولم تكن الحكومة وبعبارة أصح الرئاسة في أول نشأتها قائمة على أساس ثابت مستديم بل كانت قلقة مضطربة تظهر حيناً وتختفي أحياناً . ففي أوقات السلم تكاد تكون معدومة لا يلتفت اليها ولا يرغب فيها بل كانت توجد فقط في ابان الحرب حيث تكون الحاجة ماسة الى توحيد القوى وتنظيمها . وعند انتهاء الحرب تنكمش الرئاسة ويسترجع كل انسان حريته . ولكن اذا استمرت الحرب أزماناً طويلة وأجيالاً متوالية يعتاد الناس على الرئاسة وينتهي الرئيس الحربي بان يضيف الى سلطته الرئاسة المدنية أيضاً ويصير بذلك قائداً حربياً وحاكماً مدنياً في الحرب والسلم . وهذا واضح من تواريخ الامم القديمة كالمصريين واليونان والرومان وفي جميع الممالك الحديثة أيضاً فان الملك هو القائد العام لجيوش مملكته . وقد ازداد ملوك فرنسا من جراء حروبهم الطويلة مع الانكليز سلطة واسعة على رعاياهم الفرنسويين . وليس أدل على هذه النظرية من تاريخ نابوليون وتاريخ المانيا فان الانتصارات الباهرة التي نالتها الجيوش الفرنسوية على يد نابوليون رفعته الى عرش الملوك ووضعته على هامة فرنسا والقت في يديه سلطة عظيمة . وكان ملوك بروسيا أقوى ملوك أوربا بأساً واكثرهم استبداداً وذلك بسبب الحروب الكثيرة التي خاضوا غمارها . واستبداد سلاطين آل عثمان مشهور يضرب به المثل وقد ورثوه عن فتوحاتهم العظيمة واستبسال جيوشهم في توسيع ملكهم أولا وفي الاحتفاظ به والدفاع عنه ثانياً

ومما دعا الى تثبيت دعائم الرئاسة وجعلها بحالة مستمرة ظهور قانون الوراثة والقول بان الانسان يرث عن ابيه صفاته ومميزاته . فان الرئاسة كانت نهباً للاقوياء يتولاها من يفوق غيره في الحيلة والدهاء او في رجحان الفكر وصلابة الارادة او في شجاعة القلب ومتانة العضلات فاصبحت وراثية ومحصورة في سلالة مخصوصة حتى يقوم من ينتزعها منها ويولي بها من بعده الى اعقابه معتمداً في ذلك على القوة وعلى اعتقاد رعيته في ان ابناءه سيكونون مثله في جميع المزايا التي أهلته لتولي الملك

وللاوهام والمعتقدات الدينية تأثير كبير على سلطة الملوك والرؤساء خصوصاً الاعتقاد في خلود الارواح وقدرة الاموات على الخير والشر وايصال النفع والاذى الى

الاحياء فان السحرة الذين في خدمة الارواح والذين يدعون ان الارواح طوع أمرهم او يعتقد الناس فيهم أنهم كذلك يرهبهم الناس ويخشون بأسهم ويتزلفون اليهم بالخضوع والخشوع منعاً لغضبهم وطلباً لرضاهم . وسلطتهم هذه لا يستهان بها فانها تناوىء سلطة الملوك وتنافسها اذا لم تكن السلطتان مجتمعتين في شخص واحد . فان كانتا كذلك بان كان الملك قابضاً على الرئاسة الروحية والرئاسة الزمنية كانت سطوة الملك على رعيته أوسع ودعائمها أرسخ

وغالى الناس في مقدرة بعض الارواح حتى ألهوها واعتقدوا فيها أنها أمة قادرة على كل شيء تحيي وتميت وتعز وتذل . والملوك الذين من نسل هذه الارواح يستمدون من هذه العقيدة بطبيعة الحال سلطة عظيمة لانهم في نظر رعاياهم مهبط الاسرار الالهية ومحط العناية الربانية مؤيدون من عند الاله فلا يجرأ انسان ان يتحداهم أو يعصى لهم أمراً . وكان قدماء المصريين على هذه العقيدة يعتبرون ملوكهم من نسل الاله وان فرعون ظل الله في الارض ووكيله على عباده وان روحه الهية وطبيعته من طبائع الاله بل كانوا يؤلهونه ويعبدونه في حياته ومماته كما تدل على ذلك الصلوات والادعية التي كان الناس يرتلونها وهم ساجدون أمامه ورافعون أيديهم بحالة توسل وابتهال ونصها :

« ملك السموات والارض . روح العالم بامره وسيد الكون صانع كل شيء ومسير الانفاس أنت الرب وانت الشمس . امنحنا من لدنك الحياة وانعم علينا بالتنفس »

ولكن اذا اضمحل الوهم وتلاشت العقيدة في قدرة الملك ثار الناس في وجهه وأسقطوه عن حالق مجده والتفوا حول من انصرفت اليه عقيدتهم والبسته أوهامهم حلة من القوة والنفوذ

ان العقيدة لا تموت وانما تتغير وتتلون . والانسان من بدء الخليقة الى الآن ومن مهده الى لحده أسير عقائده وأوهامه ان تخلص من عقيدة حلت مكانها عقيدة أخرى

والعقائد تتغير حسب مقتضيات الاحوال وتقلب الرغبات والاماني وظهور مكتشفات جديدة وآراء حديثة نبتت في البلد او انت اليها من الخارج على أيدي الحروب والفتوحات والعلاقات التجارية والمجادلات الدينية والابحاث العلمية . فقد قامت الثورة الفرنساوية الكبرى على أثر ذهاب الفرنسويين الى اميركا لمساعدتها ضد الانكليز او تسرب الأفكار الامريكية الى عقول الجنود الفرنسوية وانتشارها في فرنسا بطريق

العدوى والتقليد . والعالم يتمخض الآن بثورة عظيمة عقب انتهائه من الحرب الكبرى وبسبب ما اوحته الى العقول والمشاعر من مبادىء ومنازع . وقد وصلت هذه المبادىء الى الشرق فاذكت فيه الحمية واشتدت في اركانه نيران الثورة وخلقته ناقماً من حكوماته ساخطاً عليها راغباً في التخلص منها

ومن يقبض بيده على ما استجد من المكتشفات والمعتقدات والمخترعات سواء كانت وهمية او حقيقية فقد قبض على صولجان السلطة ويظل كذلك حتى تموت هذه العقائد وتحل مكانها عقائد اخرى فيخلفه غيره

ومن العجيب ان الاسباب التي قوت دعائم الملك وثبتت اركانه وهي انتقاله بالوراثة في سلالة مخصوصة وتقديس الملوك وترفعهم عن الانتساب الى الرعية وانتحالهم نبالة الأصل او ادعاؤهم انهم من نسل الاله هي ايضاً من الأسباب التي ادت الى ضعف الملوك وتسرب الحكم او انتزاعه من أيديهم حيث لا يتولى الملك بمقتضى حق الوراثة الأجدر وانما الوارث الملك المتوفى . هذا الوارث قد يكون طفلاً او ضعيف العقل او مفتوناً بالملاهي منكباً على اللذات فيتنحى عن الحكم ويتولاه عنه وصيه في الحالة الاولى ووزيره في الاحوال الاخر وما مات ملك عظيم الا وأعقبه في أغلب الأحايين وزير خطير يستبد بالامر ولا يبقى للملك الحديث غير شرف اللقب

وانتحال الملك نبالة الاصل وشرف المحتد يجعله في معزل عن رعيته ويمنعه عن الاختلاط بها وتعرف أحوالها بنفسه . فيمشي في ظلام حالك وجهالة عمياء لا يعرف شؤون مملكته الا ما تسمح به حاشيته وفي بعض الاحايين تصل الغفلة بالملوك معهم الى ان يتواروا عن رعيتهم ويحتجبوا حتى عن وزرائهم ولا يجلسوا الا خلف ستار خوفاً أن تدنس قداستهم الابصار او تقلل من هيبتهم الانظار كخلفاء المسلمين في ايام ضعفهم وأواخر ملكهم . فقد كان يضرب للخليفة حينما يذهب الى المسجد يوم الجمعة قبة تحجبه عن أعين المصلين حتى لا يراه انسان ويطير به خيال العامة الى السدة العليا وتحيطه الأوهام بهالة من نور سماوي تبهر العقول وتدعو الى الخضوع والخشوع

ولما كانت الجمعيات الساذجة بسيطة التركيب قليلة المرافق صغيرة العدد لا تتجاوز حد القرية او القبيلة فالرئيس فيها قادر على القيام وحده بجميع الامور فهو الذي يقود رجاله في الحروب ويقدم للاله القرابين ويقضي بين المتخاصمين ويحفظ الامن

ويعاقب المذنبين ولكن حينما تتسع الجمعية وينمو عدد ابنائها ويتنوع تركيبها وتمتد المساحة التي تعيش عليها يصبح من المحال على الرئيس او الملك أن يتولى جميع الامور بنفسه بل يكتفي بالاشراف العام ويستعين في اداء المهام الاخرى بحكام ينفذون اوامره ويستطلعون له احوال الرعية وهؤلاء لا يطلعونه الا على ما تسمح به اهواؤهم ولا تنافيه مصالحهم فيستنزفون سلطته حتى يصيروه عاطلاً منها وهو آلة في ايديهم من حيث لا يدري . وعلى مدى الأيام يقطعون صلتهم به ويستقلون دونه بالحكم ولا يقرون له الا بالسيادة الاسمية

واذا تتبعنا الامة من مهدها الى حياتها الحديثة نجد انها مرت بادوار عديدة فمن العائلة الى القرية الى القبيلة الى المدينة ومن الاشتغال بالصيد الى رعاية الماشية الى الزراعة والتجارة والصناعة . وان الامم المنحطة تكاد لا توجد لها حكومة وان وجدت فاسمية لا سلطان لها على النفوس ولا سياسة لها ثابتة . وان الامم الراقية لها حكومات قوية تأخذ بزمام الامور وتفض مشاكلها بايمان وعزيمة ولا تدع للتردد مجالا في سياستها . ولحكومة صارمة قوية مستبدة خير من حكومة دستورية متراخية . وان الامم كلما قطعت مرحلة ودخلت في مرحلة اخرى كثرت مرافقها واتسعت دائرة العمل لحكامها وتنوعت الوظائف وتجزأت واستبانت معالمها وتعينت حدودها وبالتالي توزع سيادة الحكومة وتنتقل من يد الرئيس او الملك الى ايدي جميع الموظفين على الشيوع وتفقد التصاقها بشخص الملك وتابعيتها لاهوائه وميوله

ان الحكومة في الامة بمثابة الرأس من الجسم مستجمع قوى الامة واميالها واهوائها على اختلاف نزعاتها لتسيرها في طريق واحد ونحو غاية مخصوصة . وكل ما من شأنه ان يدعوا الى التضامن او التخاذل يعني الحكومة ويدخل في دائرة عملها . فلا يمكنها ان تسير مدة طويلة على خلاف ما يريده الرأي العام كما لا يمكن للانسان ان يسبح في النهر شوطاً بعيداً ضد التيار . ولا تقدر ان تقف مكتوفة اليدين تراقب تنازع الاحزاب ولا تنضم الى فريق لتنصره على الفريق الآخر وتعقد بين الحزبين صلحاً اي قانوناً يلتزم به المغلوب ويتقيد به الى ان تسنح له فرصة الانتقام فيصرع خصمه ويضطره الى التوقيع على معاهدة صلح جديدة

تتكون الحياة الاجتماعية من مشارب متعددة واميال مختلفة وتيارات متعاكسة

واهوية متعارضة فتوفق الحكومة بسياستها بينها وتسير بها في السبيل الذي تختاره وبصل بالامة الى الرقي او الى الانحطاط

وكل ما في الحياة الاجتماعية من مبادىء ثابتة وامور مقررة لم تكن كذلك في اول عهدها بالوجود بل كانت مثار مناقشة ومدار عراك سياسي طويل فمثلا العادات فانها قبل ان تحترم من الجميع كانت مقراً للعواطف النفسانية وجدالا بين الاحزاب السياسية يتردد الانسان في اتباعها ولا يقدم عليها الا بعد اعمال الروية وكذلك اللغة والدين فانها مرّا بادوار منازعات عديدة . واليوم نشاهد نضالا بين السفوريين والحجابيين نتعجب منه ومن انفسنا حينما ينتهي ويتغلب احد الفريقين على الثاني ويخمد انفاسه ونتساءل كيف كنا مختلفين . والحكومة في كل هذه الاختلافات تعمل في الجهرة والخفاء على حسمها حتى اذا انتهت تركت الامور تسير من نفسها

ان السياسة شبيهة بالارادة كلاهما لا يعملان الا في مفترق الطرق ومختلف العواطف والامزجة لتغليب فريق على فريق . فاذا خمدت انفاس المعارضة وتجانست الامة وتماثلت العواطف وتمت الغلبة لاحد الفريقين وتلاشى المغلوب وعفا أثره من الوجود استغنى الغالب عن السياسة وسار من تلقاء نفسه

ولذا يرى بعض العلماء ان من الحكمة ان تستغني الامم عن حكوماتها وذلك اذا تجانست الافكار وتماثلت المشارب والاماني وتأصل الاتحاد في النفوس وامتزج حب النظام بالدم حتى يصير طبيعة لا يشذ عنها انسان . وهذا امر محال خصوصاً اذا كانت الامة كبيرة العدد كثيرة المرافق معقدة المصالح . وما دام العالم على طبائعه الحالية فمن المحال ان يسير بغير حكومة وان تطلق ذئابه على غنمه لتفترسها بلا شفقة ولا نظام ثم تقتتل الذئاب فيما بينها فينقرض الجميع وتصبح الارض قاعاً صفصفاً

عبده البرقوقي
دكتور في الحقوق

طبقات الناس

الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات : طبقة من خاصة الاحرار تسوسهم بالعطف واللين والاحسان ، وطبقة من خاصة الاشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة ، وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة لئلا تحرجهم الشدة ولئلا يبطرهم اللين

تمثال نهضة مصر

قف اليوم واذكر ما رأيت هنالكا ... وألقِ علينا نفثة من يراعكا
وأملِ على الاهرام ما قد لقيته ... من الدهر لما كان اسود حالكا
اناخ على مصر العزيزة بعد ما ... افاضت على كل البقاع مداركا
وكانت لها فوق السماء منازل ... وكانت ترجّي أن ترى فوق ذلكا
وأربت على الاقطار علماً وحكمة ... فاضحت لكل العالمين مسالكا
وكانت لاهل الارض عوناً وناصرا ... اذا شبّ ريب الدهر فيها المعاركا
سل الغرب يابن النيل ان كنت جاهلا ... فينبي بما قد شاقه من فعالكا
وسائل (ارسطو) هل اهاب بطبه ... على الارض ام (ثبتوس) قبل اوائلكا
كأني (برمسيس وططميس) فيهم ... يشيدان في عرض السماء ممالكا
فهلا ترى الاهرام فيها كأنها ... تحوط لها آثارها والسبائكا
لعمري فان الفضل ليس مضيعا ... وان طال عهد الدهر منه ببالكا
فيا ايها النيل المفدى ألا ترى ... ممي كيف كان الدهر في المجد فاتكا
لئن كانت الايام ابدت غضاضة ... لقد كانت الايام طوع شمالكا
فلو ان في نبت البسيطة ألسنا ... لصاح بما أوليته من حبائكا
ففي كل فج من فجاج بلادها ... منار هدى انشأته برجالكا
أيصبح هذا المجد يا نيل ضائعا ... وتصبح مملوكا وقد كنت مالكا
فان قيل في التاريخ شرق ومغرب ... فاي بهاء كان مثل بهائكا
سموت على كل البلاد فسبحت ... بذكرك هذي الشمس عند جلالكا
فما العلم ان قالوا وما المجد والعلا ... وما الغرب ان عدوه عند فخاركا
فلا تبتئس يا نيل بالدهر واتئد ... فانا حلفنا ان نفي بذمامكا
أتمثال مصر انهض بمصر ونيلها ... فهذي قلوب الناس رهن يساركا
وانا نحيّي فيك مصر ومجدها ... ونلقى بهذا المجد تحت ظلالكا

محمد عبد السميع

حسن التفاهم [1]

انتدبتني هذه الجمعية الكريمة على لسان أحد أعضائها لالقاء خطبة في حفلتها السنوية فلم أشأ الاعتذار والتقاعد عن قضاء هـذا الواجب على رغم تراكم المشاغل وتزاحمها عليّ

فبدأت افكر بموضوع يحسن أن اجعله حديثي معكم في هذا الاجتماع

وان اختيار المواضيع وانتخاب المحاضرات الخطابية لمن أصعب الامور وأشقها على من عانى الكتابة وزاول فن الخطابة لما بين طبقات السامعين من اختلاف الاذواق والاميال وتباين المدارك والمعارف

مضى اليوم الاول وانطوى الثاني وولى صدر الثالث وانا أعيد الكرة إثر الكرة لانتقاء الموضوع فلم يستقر رأيي على ما تجيش به النفس ويطابق مقتضى الحال ويستحق أن يكون خطاباً خاصاً لحفلة رسمية كهذه الحفلة

ومنذ ثلاثة أيام خرجت من منزلي قاصداً ادارة السكة الحجازية كما هو شأني في صباح كل يوم. وما بلغت شارع « الحميدية » حتى أبصرت فتىً من طلبة المدارس قد اقترب من رفيق له فصفعه صفعة شديدة وانسل بخفة وتغافل في مدخل ضيق مظلم . . . .

أما المصفوع فانطرح على الارض يبكي من شدة الالم فركض اليه طالب ثالث يسأله ما شأنه ولماذا يبكي ومن الذي القاه على الارض مع كتبه وأوراقه المتناثرة المبعثرة في جوانب الشارع

ثم أطل فجأة طالب رابع ـ وهو شقيق المصفوع ـ فرأيته قد انقض على الطالب الثالث وأمسك بتلابيبه ثم ضربه ضربة على أم رأسه القته صريعاً بجانب أخيه لظنه أنه هو الذي فعل بأخيه ما أطار لبه

فاقترب منه أحد الباعة ولامه على تسرعه وحدته وبين له وجه خطئه اذ دله على صافع أخيه المختبيء في ذلك الدهليز الضيق . . .

---

(١) هو الخطاب الذي ألقي في الحفلة السنوية لجمعية القديس جاورجيوس الارثوذكسية في دمشق نهار الاحد الواقع في ٨ ايار (مايو) ١٩٢١ وهي السنة الثالثة والثلاثون لهذه الجمعية الخيرية المشهورة

أما أنا فاكملت سيري مردداً في نفسي القول المأثور وهو « سبب التخاصم سوء التفاهم »

ومرت في خاطري في تلك الدقيقة هذه الجمعية المحترمة ، وحفلتها ، والخطاب . فقلت لا بأس من أن استخرج مما رأيت الآن موضوعاً خطيراً جديداً أحدث به السامعين

فموضوعي اذن « حسن التفاهم » وهو ما ارجوه لكل من يرغب في حياة هنيئة سعيدة

واذكر الآن أن صديقي جرجي افندي باز الكاتب الاجتماعي المفكر وصاحب مجلة « الحسناء » المحتجبة كان قد عدد أضرار « سوء التفاهم » وعدها من آفات المدنية الحاضرة التي يجب استئصالها والتمسك بحسن التفاهم في حياتنا الاجتماعية ومعاملاتنا الفردية بين أصدقائنا وأنسبائنا وسائر أبناء الوطن والاجانب الذين نعاشرهم ونمازجهم ونتعرف بهم في هذا العصر

وعلى العاقل أن يهتم بالمحافظة على حسن التفاهم في حياته العائلية الداخلية وحياته الخارجية على السواء

لان من استطاع التفاهم مع القريبين منه استطاع ذلك مع البعيدين عنه

وفي اعتقادي أن الانسان كلما سعى الى الصراحة والحقيقة وحسن التفهيم والاقناع نال ثقة الناس واحترامهم مهما تعددت منازعهم وطبقاتهم وآراؤهم وخفف عنه مشقات كثيرة في مرحلة حياته القصيرة

وقد يتفق في أكثر الاحيان اذا اختلف اثنان على أمر ان يكون الاثنان مصيبين . ولكن الحدة أو عدم التفاهم أو الميل مع العاطفة تسبب تهيجاً وخصاماً وعداوة كانا بغنى عنها . ولو اتخذا حسن التفاهم رائداً لهما لكانت حياتهما أهنأ واتفاقهما أقوى وأبقى وأخلاقهما ارق وارقى

قرأت في السنة الاولى من مجلة الهلال الراقية ان اثنين اختلفا مرة في لون السرطان – أي السلطعون – فقال أحدهما انه أسود . وقال الآخر انه احمر .... واصر كل منهما على زعمه وكان كلاهما مصيباً لان الاول شاهد السرطان حياً ولونه أسود . والآخر شاهده مشوياً وقد احمر لونه ...

واذكر ان المرحوم هورد بلس رئيس الجامعة الاميركية السابق كان يأتي مرة

خطبة انكليزية في منتدى الكلية في بيروت فتطرق بكلامه الى حسن التفاهم في العالم وفوائده المتعلقة بكل فرد ثم بين للحضور ما ينتج عن سوء التفاهم من الاضرار الجسيمة والعواقب الوخيمة وروى لنا قصة لطيفة لاتخلو من مغزى جميل وخلاصتها ان فارساً أميركياً ترك قريته الواقعة في سفح جبل وقصد قرية أخرى واقعة وراء الجبل . وفي تلك الساعة خرج فارس آخر من القرية التي يقصدها الاول وتوجه نحو القرية الثانية . فتلاقيا على مفصل طريقين في ارفع مكان من الجبل يطل على القريتين وقد نصب في وسطه عمود حديدي مفرغ وفي رأسه علامة مدورة حمراء من جهة . وزرقاء من جهة أخرى

فاوقفا جواديهما قصد الاستراحة وبعد التحية قال أحدهما للآخر :

— ما أجمل هذه العلامة انها حمراء كالدم !

فقال الثاني :

— عجباً ! أتكون العلامة زرقاء وتزعم انها حمراء ؟

فدهش الاول وقال له :

— انك في ضلال يا هذا ! حدق جيداً في العمود فليس في رأسه الا علامة حمراء حمراء !

— لا بل هي زرقاء زرقاء !

وما زال كل منهما مصراً على رأيه مكذباً قول الآخر حتى اشتد بينهما الجدال فادى الى الثلب القارص والهجو العنيف ثم الى التلاكم فالتطاعن برؤوس الرماح . فسقطا معاً الى الارض - كل الى جهة رفيقه . وحانت منهما التفاتة الى رأس العمود فادركا كنه الامر وعلما سر خطإهما . فقال أحدهما لرفيقه وهو يتألم من طعنة الرمح :

— يا ليتنا تفاهمنا قبل ان تخاصمنا . فكلانا مخطئ وكلانا مصيب ! !

ومما يقارب هذه القصة ما قرأته في كتاب « مسرات الحياة » وذلك ان عربياً وفارسياً وتركياً ويونانياً اتفقوا مرة على تناول العشاء معاً واختلفوا على نوع ما يأكلون . فقام الشقاق بينهم واحتدم الخصام . وكان الاول يريد « عنباً » والثاني « انغور » والثالث « اوزوم » والرابع « ستافيليون » وهذه الكلمات بمعنى واحد وهو العنب . وفيما هم كذلك مر بهم حمار يحمل عنباً . فهرع اليه الاربعة وكلهم يعيد ما يريد . فاشتروا حاجتهم من العنب وعادوا الى اخاءهم ووئامهم متفقين على نوع

ما يأكلون بعد اختلافهم فيه

وقرأت مرة في مجلة النفائس حكاية تركية لطيفة جاء فيها ان أحد كبار الهنود رأى ان يحشد مرة العميان الذين في بلاده في مكان له لينظر اليهم فيما يفتقرون اليه . وكان له اصطبل فيه عدد غير يسير من الفيلة . فخطر في باله يوماً ان يرسل العميان الى هذا الاصطبل . فدخلوه وانتشروا حول الفيلة فرادى وازواجاً يلمسونها بايديهم . فمنهم من امتطى الخرطوم ، ومنهم من اعتنق البطون ، واحدهم التف حول الساق ، والآخر لمس الرأس ، ومنهم من اقتعد غاربها وركب ظهورها

ثم دعاهم الامير الهندي وسألهم رأيهم واحداً واحداً عن الفيلة وماهيتها وكيفيتها فقال أحدهم (وهو الذي كان ملتفاً حول الساق) :

— ان الفيل كالعمود !

وقال الثاني (وهو الذي اقتعد، واعتلى متنه) :

— ان الفيل كالجبل العظيم !

وقال الثالث (وهو الذي وضع يديه حول أذنيه) :

— ان الفيل كالشال نعومة والحرير ليناً !

وقال الرابع (وهو الذي لمس اطرافه وجوانبه) :

— ان الفيل كالجدار الكبير !

وقال الخامس (وهو الذي قبض على ذيله) :

— ان الفيل كالمكنسة !

فتبسم الامير الهندي ضاحكاً من أجوبتهم وأقوالهم المتباينة وقال :

— من يا ترى تكلم منكم بالصواب ؟

فاحتدم من اجل ذلك النزاع فيما بينهم وعلا الضجيج وقام الجدال على قدم وساق . وكان كل يثبت مدّعاهُ . ويصر على ضلاله ويدفع قول غيره بالتي هي اقبح ! .... ومن هذا القبيل ما رواه صاحب « النظرات » في احدى مقالاته وهو انَّ ملكاً من الملوك كان يقع بينهُ وبين وزيره خلاف في مسائل كثيرة حتى يشتدّ النزاع وحتى لا يلين أحدهما لصاحبه في طرف مما يخالفه فيه . فحضر حوارهما احد الحكماء في ليلة وهما يتناظران في « المرأة » ! يعلو بها الملك الى مصاف الملائكة ويهبط بها الوزير الى منزلة الشياطين ويسرد كل منهما على مذهبه ادلته . فلما علا

صوتهما واشتد نزاعهما خرج ذلك الحكيم وغاب عن المجلس ساعة ثم عاد وبين اثوابه لوح على احد وجهيه صورة فتاة حسناء . وعلى الآخر صورة عجوز شوهاء . فقطع عليهما حديثهما . وقال : أحب ان أعرض عليكما هذه الصورة ليعطيني كل منكما رأيه فيها . ثم عرض على الملك صورة الفتاة الحسناء فامتدحها . ورجع الى مكان الوزير وقد قلب اللوح خلسة من حيث لا يشعر واحد منهما بالفعل وعرض عليه صورة العجوز الشمطاء . فاستعاذ بالله من رؤيتها وأخذ يذمها ذماً قبيحاً . . . فهاج غيظ الملك على الوزير واخذ يرميه بالجهل وفساد الذوق . وقد ظن أنه يذم الصورة التي رآها ولما عادا الى مثل ما كانا عليه من الخلاف الشديد تعرض لهما الحكيم وأراهما اللوح من جهتيه فسكن ثائرهما وضحكا كثيراً . . .

ثم قال لهما : هذا الذي انتما فيه منذ الليلة . وما أحضرت اليكما هذا الرسم الا لأضربه لكما مثلاً لتعلما انكما متفقان في جميع ما كنتما تختلفان فيه لو أن كلاً منكما ينظر الى المسائل المختلف فيها من جهتيها

فشكرا له همته وأثنيا على فضل حكمته وانتفعا بحيلته حتى ما كانا يختلفان بعد ذلك الا قليلاً

***

فعلينا نحن معاشر الشرقيين أن نحسن التفاهم في أحوالنا وأفعالنا وما يعرض لنا في الالفة والمجتمع والشؤون العامة والخاصة سواء مع بعضنا او مع جيراننا فلا نقع فيما وقع فيه من رويت لكم الآن بعض حوادثهم وقصصهم فتظل حياتنا بعيدة عن مواطن الشك والخصام والندامة . قريبة من حسن التفاهم والسلام والسلامة . وما ذلك على صاحب الاخلاق الكريمة بالامر العزيز

تمسك بأهداب اليقين ولا تكن غضوباً سريع الحكم حين التخاصم
فكم من خصام جرَّ ويلاً عرمرماً وأسبابه في البدء سوء التفاهم !

حليم دموس

اذكر

ان خير هدية تقدمها الى قريبك او صديقك او زميلك هي اشتراك باسمه في الهلال فتصله اجزاء السنة وملاحقها شهراً بعد شهر فيذكرك ويذكر لك فضلك

منذ مئة سنة

حول أيام نابوليون الاخيرة



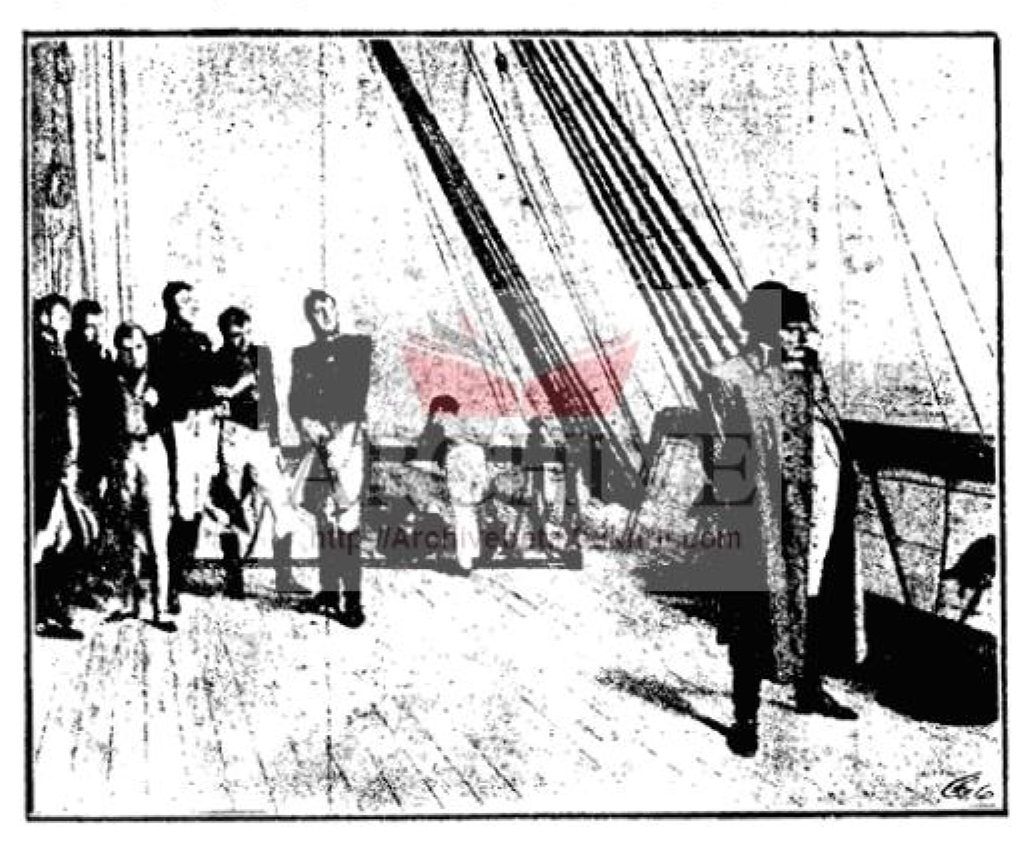
مثال لوجه نابوليون اخذ بالشمع على اثر وفاته في جزيرة القديسة هيلانة

منذ مئة سنة — في ٦ مايو سنة ١٨٢١ — لفظ نابوليون نفسه على صخرة تائهة في المحيط الاطلنطيقي بعيداً عن وطنه وأهله ومريديه — ما عدا نفراً قليلاً من حاشيته لازمه الى الساعة الاخيرة . مات بعد أن جعل اوربا ميداناً للقتال أربع عشرة سنة هلك فيها مليونا فرنسي، مات فتنفس أعداؤه الصعداء لانهم ما كانوا ليطمئنوا ويهدأ روعهم

طالما كان في ذلك الجبار بقية من الرمق - كان وجوده في قيد الحياة كان ينكد عيشهم ويقلق لياليهم ويضيق على صدورهم

وقد أجاد شاتوبريان الكاتب الفرنسي الشهير في وصف التأثير الذي كان لنابوليون حتى بعد نفيه اذ قال :

« . . . اذا تحرك بونابرت على صخرته (اشارة الى جزيرة القديسة هيلانة) انذرتنا بحركته هزة عنيفة. فان خطوة يخطوها هذا الرجل في القطب الآخر لا تلبث



نابوليون على ظهر السفينة بليروفون قاصداً انكلترا للالتجاء اليها

ان نشعر بها في قطبنا هذا. ولو شاءت الاقدار ان تفلت آفته على الارض مرة اخرى فتجعله حراً في الولايات المتحدة (حيث أشيع أنه التجأ) فانه يكفيه أن يحدق بنظره في الاوقيانوس حتى تضطرب شعوب العالم القديم جميعاً. فان مجرد وقوفه على الشاطئ الاميركي كان يجبر اوربا على ان تعسكر على الشاطئ المقابل له »

ولتقدير نابوليون لا بد من التمييز بين الرجل الحربي والرجل السياسي . فليس من يناقش في عبقرية نابوليون وتفوقه في فنون الحرب . اما من حيث السياسة

والادارة فالمؤرخون مختلفون في تقديره . ومهما يكن من الامر فليس غرضنا الآن سرد سيرة هـذا الجبار الذي قلب وجه العالم والحكم على اعماله ومآتيه وأنما الذي نرمي اليه ايراد لمحات وجيزة توضح لنا حالته ومشاعره في منفاه . فان تلك السنوات التي قضاها نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة لمن أفجع مشاهد التاريخ وادعاها الى التخشع والاعتبار

* * *



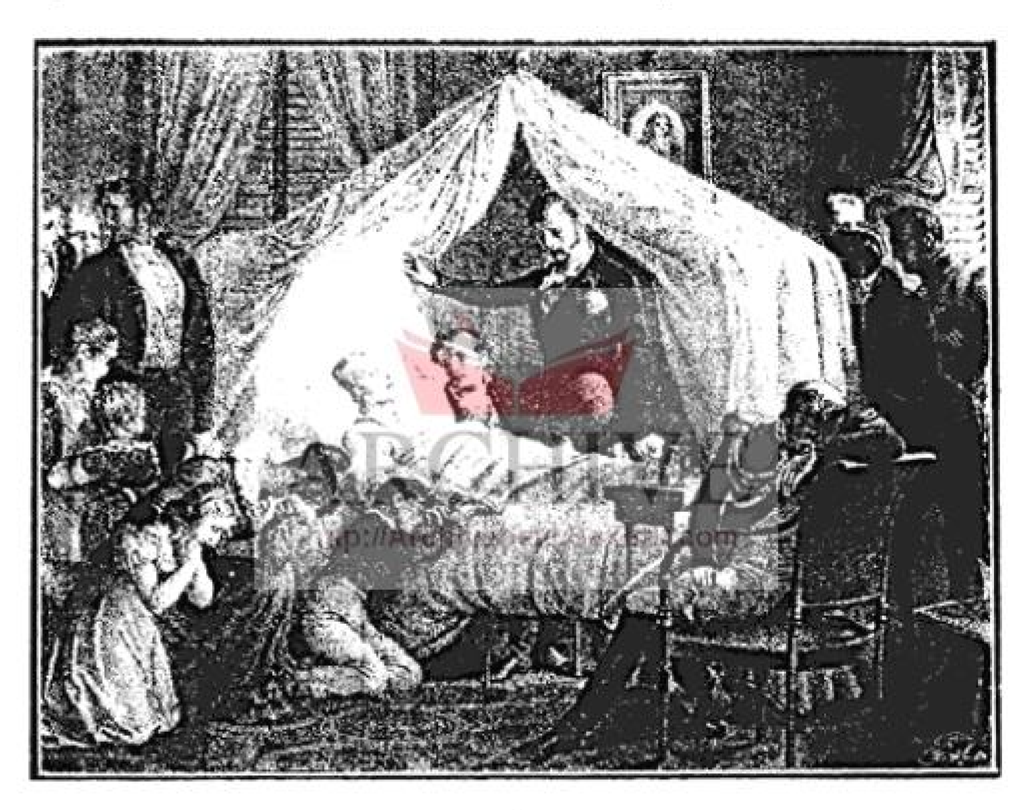
السير هدسن لو حاكم جزيرة القديسة هيلانة

بعد معركة واترلو الشهيرة ببضعة أيام اضطر نابوليون الى التنزل عن العرش فتنزل عنه لابنه نابوليون الثاني المعروف بدوق ريشستاد (٢٢ يونيو سنة ١٨١٥) - فعل ذلك وهو يعلم حق العلم ان ابنه منفي في النمسا . ولكنه لم يشأ الاستسلام للاقدار والخضوع لها فعلل نفسه بتلك الامنية البعيدة

ثم صدر اليه امرٌ من الحكومة الموقتة بمبارحة باريس فالتجأ الى قصر الملميزون حيث اقامت جوزفين بعد تطليقه اياها الى حين وفاتها . ولكنه لم يمكث فيه طويلاً ففي ٢٩ يونيو اضطر الى الاتجاه غرباً خوفاً من تقدم البروسيين الذين صمموا على

القبض عليه حياً او ميتاً. فقصد ميناء روشفور بنية السفر الى الولايات المتحدة الاميركية على انه لم يتمكن من تحقيق رغبته هذه فقد كان امامه الاسطول الانكليزي يسد في وجهه باب الخلاص وخلفه الجيش البروسي يتقدم مكتسحاً فرنسا وجاداً في القبض عليه . وأخيراً بعد التردد الاليم قرر أن يطرح بنفسه بين يدي الانكليز فكتب في ١٤ يوليو كتاباً الى وصي المملكة (١) حمله اليه رسول خاص قال فيه :

« يا صاحب السمو الملكي : الآن وقد أصبحتُ عرضة للاحزاب التي تتنازع



نابوليون على فراش الموت

بلادي ولعداء أعظم دول اوربا فقد أنهيت حياتي السياسية ، وكما فعل تمستوكليس أتقدم لاقيم بين ظهراني الشعب البريطاني . وأني أضع نفسي تحت حماية قوانينه والتمس ذلك من سموكم الملكي باعتبار انكم أقوى أعدائي وأثبتهم وأكرمهم »

وكانت الحالة السياسية قد تفاقمت وخشي نابوليون الوقوع في ايدي أعدائه فلم يرَ

(١) كان جورج الثالث ملك انكلترا مصاباً بالجنون فعين ولي عهده وصياً على المملكة الى حين وفاته سنة ١٨٢٠ اذ تولى الملك بنفسه

مناصاً من الامراع . ففي ١٥ يوليو في الساعة الثالثة صباحاً ركب قارباً الى السفينة « بلبروفون » الانكليزية وكان ربانها القبطان ميتلند قد عرض عليه أن يوصله الى شواطىء انكلترا

ولما علمت الحكومة الانكليزية بوصول نابوليون الى بليموث أصدرت قراراً بنفي « الجنرال بونابرت » كما سمته الى جزيرة القديسة هيلانة . وقد منع رسول نابوليون من مقابلة وصي المملكة فعاد خائباً . ولما بلغ نابوليون خبر نفيه استشاط غيظاً وكتب احتجاجاً بليغاً قال فيه :

« اني احتج بشدة امام السماء والناس على العنف الذي استعمل معي وعلى انتهاك أقدس حقوقي بالقبض الجبري على شخصي وحريتي . فقد جئت باختياري الى ظهر « البلبروفون » . فلست بأسير انكلترا بل أنا ضيفها ....

« واني استشهد التاريخ على ذلك: فسوف يروي ان عدواً حارب الامة الانكليزية عشرين سنة فلما خانه الدهر جاء من تلقاء نفسه ليلتجىء تحت كنف قوانينها . فهل من برهان أعظم من هذا على احترامه لها وثقته فيها ؟ ولكن ماذا كان جواب انكلترا على هذه الشهامة ؟ انهم تظاهروا بمد يد كريمة مضيافة الى هذا العدو حتى اذا سلم نفسه عن ثقة وحسن نية قدموه ذبيحة »

ولكن ذلك لم يجد . ففي ٨ اغسطس ركب نابوليون ونفر قليل من مريديه (اذ لم يؤذن للجميع باللحاق به) السفينة « نورثمبرلند » فاتجهت بهم الى جزيرة القديسة هيلانة

ولما مرت السفينة بالقرب من شواطىء فرنسا - وتلك كانت آخر نظرة القاها نابوليون عليها - لم يتمالك أنْ صاح : « الوداع يا أرض الشجعان ! الوداع يا فرنسا العزيزة ! لولا بعض الخونة لظللتِ انتِ الأمة العظمى وكنت سيدة العالم أجمع »

* * *

وفي ١٤ اكتوبر سنة ١٨١٥ اي ٦٦ يوماً بعد اقلاع السفينة « نورثمبرلند » شاهد ركابها نقطة سوداء قائمة في وسط الاوقيانوس . تلك كانت جزيرة القديسة هيلانة . وفي اليوم التالي ألقت السفينة مرساتها ولم ينزل نابوليون ورفاقه الى البر الا بعد يومين

ولم يكن أولو الشأن قد اكملوا المعدات لسكنى نابوليون في البيت المخصص له (واسمه « لونجوود ») فاضطر الى النزول في دار المستر بالكومب وهو تاجر انكليزي

كان يقيم في تلك الجزيرة مع عائلته . وقد وجد نابوليون سلوى عظيمة في معاشرة تلك العائلة الطيبة وله مع ابنة المستر بالكومب المسماه بتسي حوادث غريبة تبين تعلقه بتلك الفتاة وقد نشرنا في السنة ٢٥ مقالة عن « نابوليون وبتسي » فيها من النوادر والقصص ما تلذ مطالعته ويدل على محبة ذلك الرجل العظيم المنكسر القلب لتلك الفتاة الجميلة الرقيقة الشعور

ولما انتهت اعمال الترميم التي قام بها اولو الشأن في منزل « لونجوود » انتقل اليه نابوليون وحاشيته (في ٨ ديسمبر من تلك السنة) . وقد كان هذا المنزل على ارتفاع ٢٠٠٠ قدم عن سطح البحر وكان شديد التعرض للزوابع والامطار كثير الرطوبة في معظم السنة . وكان قبلاً شبه مخزن كبير لتجار « شركة الهند » . وبالجملة ان تلك الاقامة لم تكن لتلائم نابوليون بل كأنها هيئت لتقصر في اجله

وكان نابوليون يقضي معظم سهراته على مائدة الطعام فاذا فرغ من الاكل طالع بصوت عال بعض آثار راسين او كورنيل او موليير . وفي النهار كان يقضي الوقت في المطالعة والتنزه في عربة او على فرس وفي فلاحة بستانه وكان ايضاً يصرف جانباً من وقته في املاء مذكراته على بعض افراد حاشيته

على ان الحكومة الانكليزية لم تلبث ان ابدلت حاكم الجزيرة الاميرال كوكبرن بحاكم ثان . لانها اعتقدت ان الاول كان يكثر من ملاطفة نابوليون ويغالي في اكرامه فاحلت محله « السير هدسن لو » وكان شرساً قاسياً ومنذ رآه نابوليون نفر منه نفوراً شديداً وظل الرجلان على اشد الكره والعداء طول زمن النفي

وكان السير هدسن لو كثير الاضطهاد لنابوليون فضيق عليه واحاطه بالجواسيس حتى سئم نابوليون تلك العيشة وآثر البقاء في منزله . ولكن السير هدسن لو اراد الدخول عليه فلم يطق نابوليون صبراً وانتهره بشدة ومما قاله له : « اذ شئت انتهاك حرمة داري كما هددتني بذلك فاعلم انك لن تستطيع ذلك الا اذا مررت على جثتي »

فغضب الحاكم من جرأة نابوليون وضاعف عليه التضييق ومنع عنه كل رسالة كتابية او شفاهية من اهالي الجزيرة ولم تسلم اليه الرسائل الآتية اليه من الخارج الا بعد اطلاع المراقبين عليها ولم يسمح له بمطالعة شيء من الصحف الفرنسية والانكليزية الى آخر ما هنالك من وسائل الاضطهاد والتعذيب

واحتدم الجدال بين نابوليون والحاكم مراراً . ومما قاله نابوليون مرة : « ان

لك السلطة التامة على جسدي ولكن لا سلطة لك على نفسي . فان هذه النفس لا تزال ابية جريئة كما كانت حين خضعت لها اوربا . . . لا تمثل امامي الا حين تأتيني بامر قتلي فحينئذ تفتح لك جميع الابواب »

ولكن بالرغم من تهديدات نابوليون جرب السر هدسن لو الدخول الى داره مرة اخرى فحالما ابصر به نابوليون صاح فيه : « انسحب يا هذا . انسحب » واذ رأى الحاكم مصراً على الدخول نهض فاختطف بندقية كانت مع احد اتباعه وصوبها اليه مهدداً بالقائه صريعاً اذا تقدم خطوة اخرى . فلم ير السر هدسن لو مناصاً من الانسحاب

ولم تلبث صحة نابوليون ان تأثرت من حالته وبيئته وما ناله من الاضطهاد فاخذت تسوء سنة بعد سنة وكان السرطان قد تملك منه وازدادت آلامه واوجاعه فشعر ان اجله غير بعيد

ففي ٢ افريل سنة ١٨٢١ اي قبل وفاته بنحو شهر قيل امامه ان مذنباً ظهر في الليلة السابقة في جهة الشرق فما كان منه الا ان صاح قائلاً : « ان ظهور مذنب انذر بموت يوليوس قيصر ! » . ولم تكن فكرة الموت لتزعجه ومن اقواله : « ليس في الموت شيء مروّع فلقد كان رفيق وسادتي في بضعة الاسابيع الماضية وهو الآن يهم باختطافي الى الابد »

ولم تخدعه اقوال طبيبه وتمازي حاشيته . وبينما كان الطبيب يطمنه يوماً ويخفف عنه ـ شأن الاطباء في هذه الاحوال ـ اعترضه قائلاً : « لا توهمني ! اني عالم بحقيقة الامر ومستسلم للقدر »

ومما قاله ايضاً لرفاقه قبيل موته : « عندما اموت سيتمزى كل واحد منكم بالعودة الى اوربا وسوف ترون اهلكم و اصدقاءكم وفرنسا ! . . . أما انا فاني ملاق ابطالي ـ أي نعم ! ان كليبر ودسيكس وبسيار ودوروك وناي وموارت ومسينيا وبرتيه سيأتون جميعاً لملاقاتي ! فاذا رأوني جنوا من الفرح . وسوف نتحدث معاً عن حروبنا واعمالنا العظيمة . . . »

وفي ٢٨ من ذلك الشهر افاق نابوليون بعد ليلة قضاها في التوجع فاعطى الطبيب انطوماركي الذي كان بجانبه التعليمات الآتية :

« بعد موتي ـ ولا أخال ميعاده بعيداً ـ اريد ان تفتح جثتي .. وان يستخرج

قلبي ويحفظ ليحمل الى حبيبتي ماري لويز في بارمه . . . ثم اذهبوا الى رومه وقابلوا والدتي واهلي وقولوا لهم ان نابوليون العظيم لفظ النفس الاخير على هذه الصخرة ، في انعس الحالات واشقاها ، محروماً من كل شيء ومتروكاً لنفسه وللمجد ! »

ولم تكن الايام التالية الا نزاعاً بين الموت والحياة في ذلك الجسم المهزول . وقد قام نابوليون قبل موته بجميع واجباته الدينية . وفي صباح يوم ٥ مايو تحرك نابوليون حركة خفيفة ثم سمع الحاضرون كلمات متقطعة لفظ بها عن غير وعي مثل « رأس .. جيش . . . » ولم تمض عشرون دقيقة حتى بدا على شفتيه زبد ابيض فعلم الحاضرون ان الامبراطور الكبير انتقل الى العالم الآخر

***

وكان نابوليون قد ذكر في وصيته ما يأتي : « أريد ان ترقد رفاتي على ضفاف السين بين الشعب الفرنسي الذي أحببته ذلك الحب الجم ! »

ولكن ملوك أوربا خافوا من تلك الجثة الهامدة فلم يرضوا بنقلها الى فرنسا في ذلك الحين . ثم تبدلت الاحوال وتولت الحكم في فرنسا حكومة حرة فامرت بنقل بقايا نابوليون الى فرنسا . فذهب وفد خاص الى جزيرة القديسة هيلانة وأتى برفاته الى ارض فرنسا فاحتفل به الشعب الفرنسي احتفالاً عظيماً لم يعرف له مثيل في التاريخ



تشييع رفات نابوليون بعد رجوعها الى باريس سنة ١٨٤٠

تفسير الاحلام

على طريقة علمية حديثة

ليس « تفسير الاحلام » من مبتكرات العصر الحديث . فان الكتب والاسفار القديمة محشوة بالروايات الغريبة عن الاحلام وتفسيرها واعتقاد الاقدمين بها والتجائهم الى السحرة لتعليل ما يقلق بالهم منها الى غير ذلك مما يعد اليوم شعوذة وخرافة . غير انه قد قامت في السنوات الاخيرة حركة علمية طبية عظيمة الشأن غرضها الاستدلال على حالة المريض ومنشأ مرضه من نوع احلامه وسيرها ومواضيعها فكأن العلم بعد أن انكر هذا الفن عاد اليه يريد تشييده على اساس صحيح معتمداً في ذلك على ما توصل اليه من المعلومات والحقائق الفسيولوجية والنفسية

تمهيد

من أحدث النظريات في تفسير الاحلام نظرية العالم فرود النمساوي . وهي تعلل الاحلام بانها صور لما ترغب فيه النفس وتشتهيه . فوراء كل حلم رغبة او شهوة نفسية هي سببه والباعث اليه . ويتضح هذا التعليل من المثل الآتي : « فتاة تحب شاباً ولكنها لم تقترن به فتحلم أنها أصبحت زوجته » . على أن هذه النظرية وان صحت في تعليل بعض الاحلام لا يمكن اتخاذها قاعدة لتعليل جميع الاحلام او معظمها . فالاحلام ليست دائماً بسيطة بهذا الشكل ولا يتيسر بهذه السهولة تعيين الرغبة او الشهوة الباعثة لكل منها فكثيراً ما يحلم الانسان باشخاص يكره رؤيتهم بل كثيراً ما يأتي من الاعمال ما ينفر منه بطبعه

على أن العلامة فرود بنظريته المتقدمة قد مهد لغيره متابعة هذا البحث على الاساس الذي وضعه . فقد تولدت من نظريته عدة نظريات جاءت أتم منها وأوفى وهناك نظرية اطلعنا عليها أخيراً فأحببنا تلخيصها لما فيها من التعليل المعقول

نظرية جديدة

اول ما ينبغي أن يرسخ في ذهن القارىء هو ان الحلم مهما اختلفت مظاهره

لا يخرج عن كونه ضرباً من العمل العقلي . الا ان الصور والاشكال تقوم فيه مقام الافكار والمعاني . فاذا شعرت في حلم مثلاً انك مهدد بخطر بدا لك هذا الخطر بصورة رجل ملثم يريد اختطافك او حيوان ضار يحفز لافتراسك او بصورة اخرى تقرن في ذهنك بشعور الخطر . واذا تمعنا في طبيعة الحلم وجدناه أشبه شيء بحالة التأمل التي يستغرق فيها المرء احياناً في انفراده وسكونه (rêverie) وقد دعاها بعضهم day-dream أي الحلم النهاري . وبدرس هذه الاحلام النهارية (اذا صحت تسميتها بهذا الاسم) يسهل علينا استجلاء الكثير من غوامض الاحلام الليلية

من المعلوم ان الانسان اذا ترك لافكاره وهواجسه لا يلبث أن يسترسل من تلقاء نفسه في التأمل والتخيل . وتأمله هذا يدور حول امور يرتاح اليها فكره وتميل اليها نفسه كالنظر في مستقبله وما يؤمله من بلوغ المراكز العالية وما يطمع فيه من مال وجاه وما يشتهيه من لقاء ووصال الى غير ذلك . فالنفس مفطورة بطبيعتها على الاستسلام الى مثل هذه الخواطر والهواجس . غير ان العقل المفكر من الجهة الاخرى يأبى الانقياد الاعمى لها فيقف للنفس بالمرصاد يزن شهواتها ورغائبها ولا يدعها تمادى فيما لا جدوى منه . هذا ما يحصل في حالة اليقظة او شبه اليقظة (اي فيما سميناه الحلم النهاري) . أما في المنام فان العقل يضؤل فعله او يزول تماماً فتترك النفس لشهواتها تمادى فيها ولا ضابط لها . فما كان في اليقظة مجرد رغبة او ميل يصير في النوم امراً واقعاً . فقد يتأمل الانسان في يقظته فيما عساه يفعل لو صار غنياً اما في منامه فانه يصبح غنياً كما اشتهى ويتصرف على هذا البناء . ثم انه كثيراً ما تتنبه في النفس شهوات واميال دنيئة ينبذها العقل في الحال ويطردها من حيز الفكر اما في المنام فان هذه الشهوات تسرح وتمرح ولا وازع لها يحول دون استئثارها بالنفس . فلا داعي اذاً لاستهجان ما نأتيه في المنام من الاعمال المنافية لعقلنا وارادتنا لاننا اذا تفحصناها ملياً وجدناها توافق اهواء كامنة في نفوسنا ما برحنا نخمدها ونمنعها من الظهور . واذا جاز تشبيه الاحلام بشيء محسوس شبهناها « بالمصرف او المنفذ الخفي الذي تنصرف منه الاهواء والشهوات المضغوط عليها بقوة العقل والارادة » وفيما يلي أمثلة توضح لنا هذه النظرية وتدعمها :

اتت امرأة متزوجة يوماً الى طبيب تبحر في درس الاحلام ومعانيها فشكت له اعراض خفقان في القلب تلازمها وتقلق راحتها . وكان طبيب آخر قد شخص مرضها

قبلاً و نسبه الى خلل في عمل الغدة الدرقية . ففحصها الطبيب المتقدم فحصاً دقيقاً فلم يجد اثراً لادنى خلل في تلك الغدة او في عضو آخر من جسمها . على انه علم منها ان الازمات تنتابها في الليل على اثر احلام مزعجة فطلب اليها ان تقص عليه احد هذه الاحلام فطفقت تقص عليه الحلم الآتي : « حلمت اني غادرت بيت ابي على ظهر سفينة . وكنت مسافرة وحدي فشعرت بوحشة عظيمة وكانت معي مظلة احرص عليها شديد الحرص لانها هدية لي من والدتي . فبينما انا واقفة احدق في النهر اذا بالمظلة هوت من بين يدي ووقعت في الماء . فشعرت بفقد شيء عظيم لا يعوض والقيت بنفسي في الماء وراء المظلة لافوز بها او اغرق معها . وهنا استيقظت فاذا بقلبي يخفق بشدة وينبض نبضات متسارعة ولازمتني هذه الحال اياماً متتالية فاثرت بي وانهكت قواي وها انا امامك لتكشف لي عن غامض دائي الذي حيّر الاطباء »

فاطرق الطبيب وبعد التفكير الطويل قال :

« يتراءى لي من حلمك هذا انك خسرت من جراء فراقك بيت ابيك خسارة عظيمة . وقد كنت تسعين دائماً للتعويض عن خسارتك هذه فتذهب مساعيك ادراج الرياح واليوم اصبحت تفضلين الموت على الحياة »

وما كاد الطبيب ينتهي من كلامه حتى شهقت السيدة واوغلت في البكاء . فاقرت بان ما قاله الطبيب صحيح وانها تعسة جداً في حياتها الزوجية وهي تسعى دائماً لابعاد هذه الحقيقة المؤلمة عن فكرها ولم تبح بها لاحد حتى ولا لوالدتها « لان والدتي - كما قالت - اذا علمت بذلك قد تموت على الاثر . فتراني ابداً أسعى لطرد هذه الفكرة من ذهني بالعمل والتضحية . اما سبب شقائي فهو اني تزوجت برجل لا احبه وليس لي اولاد اسلو بهم . فياليتني أنطلق لرقاد لا قيام بعده ! »

ولننظر الآن كيف توصل الطبيب الى هذه النتيجة . اخذ الطبيب تفاصيل الحلم واحداً واحداً وطلب الى السيدة ان ترد كلا منها الى اصله : فمغادرتها بيت ابيها على ظهر سفينة ذكرتها بشهر العسل الذي قضته على باخرة ، فتذكرت كيف انها لم تكن تحب زوجها في ذلك الوقت ولكنها كانت تتوسم فيه من الصفات والاخلاق ما يؤهله لان يكون زوجاً صالحاً . وهدية والدتها هي مبادىء المحبة والاخلاص التي غرستها والدتها في قلبها منذ الصغر ، فقد كانت وهي صبية تحلم دائماً بزوج تحبه وتخلص له وتقدم له كل ما في قلبها من عاطفة وشعور فجاءت الايام

معاكسة لاحلامها وامانيها . وخسارة المطلة ذكرتها بفقد كلب كانت تحبه حباً جماً وذلك انها اصبحت يوماً ولم تجده في دارها فبثت العيون في أثره وجعلت تبحث عنه فوجد بعد ايام في قعر بئر مهجور يتخبط في مائه القذر ولم يبق فيه الا آخر رمق من الحياة فلم يكادوا يخرجونه حتى مات وقد أثر فيها منظر ذلك الحيوان الامين الصارخ وهو من مغيث له أعظم تأثير فصارت تتمنى الموت من ذلك الحين وتطلبه من صميم قلبها

عود الى النظرية

والآن بعد سرد هذا الحلم وتفسيره يجمل بنا العود الى نظريتنا لوفائها حقها من الشرح والتمحيص : لكل عاطفة ولكل شهوة في النفس سير طبيعي به تجري مجراها وتأخذ حدها . فالعاطفة اذا ما تولدت او الشهوة اذا ما تنبهت تسعى بطبيعتها الى اتباع الطريق المؤدي الى ارضائها . فالكره او البغض عاطفة من مظاهرها انقباض الملامح والعضلات أمام الشخص المكروه والتحفز لضربه والاضرار به. ففي الجماعات المتوحشة التي تعيش على الفطرة الطبيعية لا يتردد الفرد كلما ثار غضبه لاتفه الاسباب ان يظهره ويعبر عنه بالطرق الغريزية

اما في الجماعات المتمدنة التي ننتمي اليها فالانسان يضطر في معظم الاحيان الى اخفاء ما يكنه من العواطف الحقيقية بل قد يضطر الى اظهار عكس ما يضمر كاظهار الرضى والارتياح لمن يضمر له الكره والبغضاء . فالعقل اذاً يحول بين الشهوة وارضائها ولكنه مع ذلك يعجز عن انتزاعها وازالتها من النفس . بل ان الضغط عليها (لمنعها من الظهور) قد يزيدها قوة وتأثيراً في الجسم واذ ذاك تقوم الاحلام — كما تقدم — بوظيفة المصرف او المنفذ لهذه الشهوات المضغوطة

ففي حالة المرأة المتقدم ذكرها قد اشتدت العواطف المضغوطة بقوة العقل والارادة اشتداداً جعل لها تأثيراً سيئاً في الصحة فجاء الحلم كالمنذر لها بالكف عن اخفاء شعورها وقتل عواطفها . لذلك وصف لها الطبيب أن تذهب الى والدتها وتصارحها فيما ألم بها فتشاطرها احزانها ثم بين لها ضرورة تكيفها وفقاً لحياتها الجديدة والاقتناع بما فيها من أوجه الرضى والكف عن ادعاء السعادة كذباً . وبالفعل قد اتبعت السيدة نصيحة الطبيب فما لبثت ان عاودتها الصحة وشفيت من مرضها بعد مدة قصيرة

مثل آخر

وفيما يلي حلم آخر يكشف لنا عن اسرار طائفة كبيرة من الاحلام ويدعم النظرية المتقدمة :

اتت يوماً سيدة متزوجة الى نفس الطبيب المتقدم تشكو له اعراض اختناق في الحلق نسبها الاطباء قبله الى تقصير في عمل الغدة الدرقية . ولما سألها الطبيب عن اول عهدها بهذه الاعراض اجابته ان ذلك كان على أثر حلم مزعج اقلق راحتها وجعلت تقص عليه الحلم فقالت :

« حلمت اني كنت أغسل بعض الاواني البيتية في مطبخي فسمعت صوتاً وحركة خارج الباب فالتفت فاذا الباب يفتح ويدٌ تبدو منه حاملةً نوراً كشافاً ثم ظهر رجل ملثم وفي يده مسدس . فصرخت صرخة عالية وهربت من المطبخ فوقعت على السلم منهوكة القوى وهنا استيقظت مذعورةً »

فقال لها الطبيب بعد التأمل :

« أرى انك تقومين بالواجب عليك في حياتك العائلية الا انك تخوفين على الدوام من امر تخشين أن يقضي على سعادتك ويكدر صفو عيشك »

فقالت بعد التردد :

« اجل . ان هناك امراً لا استطيع أن ابوح به لايٍ كان »

وفي زيارة تالية اقرت بان هذا الامر الذي يقلق بالها هو فكرة مزعجة . قالت:

« انها فكرة تلازمني وأخاف ان تكون سبب شقائي . لذلك أسعى دائماً لطردها والتملص منها . فلقد أحببت وانا صبية شاباً اساء اليَّ فقطعت به كل صلة . ثم تزوجت بعد ذلك وانا اليوم أحب زوجي وأخلص له ولكني أخاف ان تؤثر فيَّ صورة هذا الشاب وما كان له في قلبي من الحب العظيم فتحول دون قيامي بالواجب عليَّ وهو ما اخشاه واتخوف منه على الدوام »

ولما كانت الصور والاشكال التي تظهر في الحلم لا تبتكر ابتكاراً بل تنقل عما سبق ارتسامه على صفحات الدماغ في حالة اليقظة استطاعت السيدة بمساعدة الطبيب ان تعود بكل صورة من صور الحلم الى حادث حقيقي مر بها في حياتها . فالنور الكشاف ذكرها بالنور الذي كان يحمله حبيبها كلما اتى ليلاً ليناديها خلسة . والمسدس

ذكرها بالمسدس الذي كان يحمله اذ ذاك حيطة من اللصوص . اما الرجل الملثم الذي دخل عليها فهو ذلك الشاب الذي تخشى ان تقع في حباله

فوصف لها الطبيب ألا تضغط على افكارها بل تدعها تجري مجراها وتأخذ حدها . فتفكر في الصبي الذي احبته كلما خطر ذكره على بالها ولا تخشى من ذلك بأساً . وفي الواقع اتبعت السيدة نصيحة الطبيب فصارت صورة حبيبها ذكرى مفرحة لا تضطرب لها ولا تحول دون قيامها بالواجب وبعد مدة قصيرة شفيت مما ألمَّ بها

* * *

فيتضح للقارىء مما تقدم اهمية هذا البحث الحديث الذي فتح للعلم باباً جديداً والذي يؤمل ان يخطو بالطب النفساني خطوةً واسعة الى الامام

شكري زيدان



المثلث الاجتماعي وقاعدته المنكودة الحظ

(اشارة الى ما ينجم عن تنازع العمال والمتمولين من الضرر بالجمهور)

مصر والشام

للسيد مصطفى صادق الرافعي

يا نسمة النيل مري بالسلام الى نسيم وادي الهوى في أرض لبنان
الى النسيم الذي رفت نضارته كدمعة الفجر رفت فوق ريحان
الى النسيم الذي يندي على كبدي ندى السرور على آفاق أحزاني
الى النسيم الذي من طول الفته الزهر أحيا بروح الزهر أغصاني
بالله يا نسمات النيل طرن الى ذاك النسيم باشواق وتحنان
قلبي يرف رفيف الطير بينكما كأنما أنتما فيه جناحان
لمصر في حقها الادنى عليَّ هوى وللشآم هوى في حقها الداني
لست الكريم بداري ان رعيت لها عهداً ولم أرع فيه عهد جيراني

٭٭٭

يا مصر أرضك مهد العقل كان بها والشام منبت أرواح وأديان
نبوة العقل في مصر وجارتها نبوة الروح فيها منذ أزمان
كلتاهما تركت في الدهر معجزة ايمان عقلي فيها عقل ايماني
معنى من الحسن أعياني تفهمه لكنه هو معنى الخالد الفاني
الشام من مصر لكن قد تجاورتا لتصبحا للمعالي شبه ميزان
ألم تر الدهر وزانا بمجدهما ملكاً بملك وتيجاناً بتيجان
الشام من مصر لكن قد تباينتا لان حسنهما في الارض حسنان
لونان في واحد كالغصن تنظره لوناً . وبالورد غصن الورد لونان
والشرق وجه من الدنيا تطل به ومصر والشام في ذا الوجه عينان
اثنان كالناظرين استمجدا كرماً لا يعرف المرء أي اثنيها الثاني

٭٭٭

يا مصر . يا سوريا . المجد دائرة ... وأنتما في محيط المجد (قطران)

كلاكما مشبه في الحسن صاحبه ... أأنتما واحد أم انتما اثنان

أرى الممالك اخوانا معللة ... لكنما مصر والشام الشقيقان

لو تسأل الارض أين ابناك لالتفتت ... اليهما ثم قالت ها هما ذان

(عن مجلة سركيس) مصطفى صادق الرافعي

تحية شاعر لبناني

[الهلال] اراد بعض اصدقاء الخوري يوسف الحداد مدرس الخطابة والبيان في مدرسة الحكمة في بيروت — وهو من صفوة شعراء لبنان وشيوخ ادبه — ان يسمعوا صوت صديقهم عن بعد ويقتبسوا من ادبه فكتبوا اليه بلسان احد تلاميذه القدماء يطلبون « نصب المنفخة وقرع المطرقة » فأجاب برسالة رقيقة ختمها بهذه الابيات قال :

« وماذا تبتغي الشعراء مني » ... وقد اربت على العشرين سني

كشعري شاب يا « بركات » شعري ... أيجنيني الدقا وعليَّ يجني

فما ان قلت قافية والا ... أكلت اناملي وقرعت سني

تطارحني القريض وقد ادارت ... يدا (جنسه) ظهر المجن

وحظي فيه أسود مثل خطي ... وفيه صفقتي غبن بغبن

وللشعر الشباب فان تقضى ... فلا يشجوك في دفن وذقن

وان لم يأت مطبوعاً وعفواً ... فذاك الشوك في اذن بلسن

فدونك سحر مصر في « هلال » ... « ومقتطف » « واهرام » ودعني

يسامحك الاله على غرور ... أمن خبث الحديد حلىً لاذن

وبعد فناه شيخك من تصاب ... يضاحكه بوادي النيل يا ابني

أحيث يصوغ غالي الدر شوقي ... وحافظه يكون الزيف مني

كفى تطري لتغويني فمن ذا ... على اوتار اسحاق يغني

اذ ما كنت في علّ الترجي ... فاني صرت مع ليت التمني

فقل لذوي القرائح مات شيخي ... ولا دعوى عليك ولا تجني

على صديقك

الحداد

اللغة الدولية

بقلم باحث مدقق

[الهلال] نشرنا في الجزء السابع من هذه السنة مقالا وجيزاً في موضوع اللغة الدولية الجديدة ثم طلبنا الى كاتب هذا المقال — وهو من كبار الباحثين فيه وقد اقام سنوات في اوربا وفاه فيها حقه من الدرس والتمحيص واجتمع في اثنائها بزعماء هذه الحركة وتعرف باعضاء جمعياتها ونواديها الخ . . . — ان يجمع لقرائنا خلاصة ما وقف عليه في هذا الصدد . فلبى طلبنا واتحفنا بهذا البحث المفيد

ان آلافاً مؤلفة من الشرقيين حتى المتنورين أنفسهم لا علم لهم بوجود مشكل اللغة الدولية ومسيس الحاجة الى حله على وجه معقول ولا سيما بعد الحرب الكونية الهائلة المبرهنة باجلى البراهين على وجوب الاتحاد المعنوي بين كل الشعوب لتبادل المنافع المادية والادبية بل لاتقاء شرور عاصفة هوجاء جديدة تهب على العالم فتحول دماره الحالي الى خراب كلي تكاد عصور لا تكفي لتشييد صرح مدنية أخرى على رائع انقاضه

ذلك ما حدا بنا الى كتابة هذه المقالة كي نطلع بها لفيف الناطقين بالضاد على تلك المسألة الحيوية التي لا سبيل لغض النظر عنها في الوقت الحاضر . ولعل أقوى شاهد على قولنا هذا الذي ربما نسبه بعض القراء الى المغالاة ان جمعية الامم قد وجهت عنايتها الى مشكل اللغة الدولية وهي تجري من بضعة أشهر التحقيقات اللازمة وتجمع المعلومات المفيدة لتحيط بكل أطراف تلك المعضلة الخطيرة فتتمكن بعد طول التنقيب والتنقير من اكتشاف حل مناسب لها. وغايتنا على أثر هذه الديباجة التمهيدية أن نلقي رائد النظر على أهم الحلول التي عرضها على العالم المتمدن جهابذة الباحثين والمفكرين في الاجيال الثلاثة الاخيرة

ربما رأرأ القارىء عينيه عند كلمتنا الاخيرة فسألنا وقد أخذت منه الدهشة كل مأخذ: « أفهل كر على المعمور ثلاثمائة عام والمفكرون لا يألون جهداً في محاولة فك معضلة اللغة الدولية . ان ذلك من الغرابة بمكان ! » فنجيبه اجل ثم اجل واليك الحجج الدامغة على صحة مدعانا تراها مدونة في تاريخ العمران الحديث . على اننا قبل

عرضها على محكّ انتقادك توسل اليك ان تنبذ نبذ النواة ما علق حتى الآن بذهنك من الاوهام الباطلة السابقة للنظر العلمي بخصوص المشكل الهام الذي نحن في صدده. أ جل صائب الفكرة على الشواهد التي سنسردها عليك موجزة ثم أحكم سديد الحكم اولاً هل مسألة اللغة الدولية من الترّهات بل الخرافات التي لا طائل تحتها فضلاً عن تعدّيها لحدود الامكان ؟ ثانياً هل يوجد لها الآن على فرض كونها مفيدة وداخلة في دائرة المستطاع حلٌّ مُرضٍ تام الارضاء ؟

١ — ضرورة اللغة الدولية

من المعقول بل من البديهي لزوم النظر في فائدة مشكل عملي كهذا قبل البحث في طرق حله والا ذهب سعي الذهن أدراج الرياح . والحالة هذه ينبغي علينا اولا الاجابة على سؤال جوهري وهو : هل اللغة الدولية ضرورة ماسة ؟ نجيب بدون أقلّ ارتياب انها حاجة لا غنى عنها في دور تمدننا الحالي بسبب النمو المتواصل في العلاقات السياسية والتجارية والعقلية بين جميع الدول . هلم بنا لنسرّح انظارنا هنيهة في تلك الميادين الثلاثة وهي ملتقى كل الشعوب ولن تزال . فلنبدأ بالعلاقات العقلية ولها المقام الاول نظراً الى سموّها الواضح . لا يخفى على أحد المطلعين ان من أشد العقبات الـكؤود الحائلة دون سعي العلماء بل ومحبي العلوم كثرة اللغات العمرانية الغنية بآلاف من الـكتب والنشرات العلمية الجليلة الفوائد التي لا يفتأ عددها يتزايد يوماً فيوماً بسرعة قلما خطرت على بال . دليل ذلك مثلاً انه في اثناء سنة ١٩١٨ نشرت المانيا ١٤٧٤٣ كتاباً بدلاً من ٣٥٠٧٨ قبل الحرب الضروس في سنة ١٩١٣ ! وقس على ذلك ما نشر في انكلترا وفرنسا وايطاليا الى غير ذلك مما يطول تعداده. وقد صرّح اللغوي الفرنساوي مايا (Meillet) الطائر الصيت انه يوجد الآن على الاقل عشرون لغة تطبع فيها مؤلفات علمية يعتدّ بها . فلعمري مَن من العلماء وطلاب العلوم يجد في حياتنا العصرية الـكثيرة الاشغال والشواغل وقتاً كافياً لدرس رُبع بل خُمس ذلك العدد الهائل من الالسن التي تعرض علينا كنوز معارف نخوض في أي مطلب علمي ان عاماً او خاصاً ؟ وايم الحق انه لأهون بدون قياس ان يتضلع ابن الجيل العشرين من علم ما من ان يتمهّر في معرفة ولو عددٍ يسير من اللغات العلمية — ثم ان كثرة اللغات العمرانيـة تحول دون نجاح المؤتمرات الدولية ولا سيما العلمية وقد بلغ عددها ٤٧ في سنة ١٩١٤ فانه لأمرٌ مشهور ان بعض

الحاضرين فيها يخرجون من المنتدى كما رنّت لغة جديدة في الخطابات المفوه بها او المقالات المتلوّة على مسامع المؤتمرين . والحالة هذه أفليست حاجة العالم العلمي ماسة الى اتخاذ لغة دوليـة مفردة لازالة كل تلك العراقيل المانعة للتفاهم الـكامل وتبادل كنوز المعارف بنوع تام ؟

فلننظر الآن الى ضرورة اللغة الدولية في التجارة المعمورية . لا يخفى على احد ان في المحلات التجارية الـكبرى بل والمتوسطة بكل الاصقاع آلافاً من كتبة الرسائل تقتضي وظيفتهم معرفة ثلاث لغات على الاقلّ أعني الانجليزية والفرنساوية والالمانية. ومن المعلوم انه ان وجد بعض الشبه بين الاولين فشتان ما بين الأخريين . ولذلك نرى تلك الجماهير المجمهرة من المستخدمين يبذلون اقصى الجهد وأثمن الوقت فضلا عن الاصفر الرنان للحصول على معرفة يسيرة تكاد لا تذكر للغات التجارية الثلاث التي لا مندوحة لهم عن درسها . ومن الواضح ان التجار انفسهم ملتزمون بدفع اجور عالية لاولئك الـكتبة ليعوضوا شيئاً فشيئاً عن النفقات التي تحملوها في تعلم الالسن. ولا سبيل لازاحة تلك العوائق العظيمة والمصاريف الجسيمة سوى تواطؤ الشعوب على اتخاذ لغة دولية

ولا بد من ذلك ايضاً لتسهيل العلائق السياسية . لا نجهل ان الفرنساويين يباهون بكون لسانهم هو منذ اجيال عديدة نسيج وحده لاتفاق اساطين عالم السياسة على استخدامه في محاوراتهم . ومهما يكن نصيب ذلك الادعاء من الصحة فلا يختلف اثنان من ذوي النظر البعيد في كونه يحط من كرامة سائر الدول ولا سيما الـكبرى. فهو فاحش ان كان حقيقياً . وما عدا ذلك فهل من الصواب ان يسام كل ساسة البلاد سوى فرنسا لزوم تعلم الفرنساوية وهي دون مراء من اعسر الالسن نحواً وصرفاً تلفظاً وكتابة ؟ فيستنتج من كل ذلك ان استخدام لغة دولية غير الفرنساوية لضرورة ماسة من عدة اوجه لتيسير العلائق السياسية وهي لا تزال تنمو في جيلنا هذا ولا سيما بعد الحرب الـكونية كثرة ونمماً واهمية واشتباكا

يسوغ لنا حينئذ بعد اجالة النظر في اوسع ميادين العلائق الدولية اعني ميادين العلم والتجارة والسياسة أن نصرح تصريحاً قطعياً بمسيس حاجة الشعوب الراقية الى لغة مفردة مشتركة بينهم اجمعين فهي وحدها تضمن لهم سهولة التفاهم وكمال التماس المادي والادبي وتمام الاقبال العمراني المؤسس على تبادل كل ضروب الخيرات

٢ — الشروط المطلوب استيفاؤها من اللغة الدولية

اولا ان تفي بلوازم الحياة الاجتماعية المعتادة ثم بحوائج التجارة والعلوم والفنون على اختلاف انواعها . وبعبارة اخرى ينبغي ان تكون اللغة الدولية غنية بكل الكلمات الضرورية للتعبير عن كل متعلقات التمدن الحاضر دون استثناء — ثانياً ان تكون قريبة المنال لاناس متوسطي التأدب ولا سيما لاصحاب الحضارة الاوربية — ثالثاً ألا تكون احدى اللغات الوطنية

اما الشرطان الاولان فلا يحوم على وجوبهما ادنى شك . والثالث قد اشرنا فيما سبق الى لزوم استيفائه من وجهين على الاقل احدهما الصعوبة الشديدة التي يعانيها دارسو اللغات الوطنية اية كانت بسبب وفرة قواعدها ولا سيما كثرة شواردها . وكل من له بعض الخبرة في هذا الصدد لا يتمالك أن يؤيد صحة قولنا هنا . والآخر وهو الاهم كون كرامة الامم تمس باتخاذ لغة احداها بصفة لغة دولية فلا يخفى ان اللغة الوطنية هي من اجل واعز ما يتمسك به كل شعب من الاملاك الادبية الموروثة من اجداده فهو يذود عن حياضها ببذل النفوس والنفائس ولا يرضى بعقد اتفاق صريح او ضمني يتخلى فيه عنها ويقبل لغة الاجانب ولو كان استخدامها محصوراً في نطاق العلائق الدولية . حاشا ثم حاشا ان تحمل اية امة شريفة نفسها مثل ذلك النير المذل الآئل الى استعبادها المعنوي بل والمادي للقوم الذي اتخذت لسانه . لعمري ما الذي حال سوى ذلك في الجيل المنصرم الذي بلغت فيه المواصلات الكونية المتنوعة شأواً فائق التصور دون تواطؤ الشعوب المتمدنة على اختيار اللغة الانجليزية او الفرنساوية او الالمانية بصفة لغة دولية لترويج كل معاملاتهم واعلاء منار حضارتهم ؟ أفهل نسينا ان المندوبين الفرنساويين عرضوا اخيراً لسانهم على جمعية الامم لتتخذه وحده في كل أشغالها وجلساتها فقام الانجليز وقعدوا بازاء تلك القحة المتشامخة ورفضوا قطعياً ارعاء ذلك الاقتراح المهين سمعتهم . ومما يؤيد استحالة تنازل الشعوب عن لغاتهم واتفاقهم على اختيار لسان امة ما وان تكن جليلة الشأن كالواسطة الوحيدة الرسمية للتفاهم في كل العلائق الدولية هو ان الباحثين عن حل مُرضٍ لمشكل اللغة الدولية في الاجيال الثلاثة الاخيرة قد ابتكروا نحو مائة وخمسين لغة اصطناعية للوفاء بالغرض المطلوب ! فلماذا لم يخطر على بالهم اتخاذ احد الالسن القومية الجارية الاستعمال الواسعة الانتشار بدلاً من اجهاد قرائحهم عبثاً في استنباط لغات جديدة ؟ أمن المعقول أن يكونوا

جميعهم ضلوا عن سواء السبيل ؟ لا لعمري فذلك هترٌ هاترٌ في عين المتبصر العارف بطبائع البشر ونواميس الاذهان . انما أغمض هؤلاء المبتكرون طرفهم عن اللغات القومية حيث لاح لهم كالشمس في رائعة النهار امتناع اقتراح احدى هذه لكل الامم. فلا بد والحالة هذه من التسليم بضرورة وضع لغة دولية اصطناعية

٣ — بعض أشهر اللغات الاصطناعية المبتكرة من سنة ١٦٢٩ الى سنة ١٨٧٩

كان الفيلسوف والرياضي الفرنساوي ديكرت (Descartes) وهو أشهر من نار على علم من أول العلاّمات الذين أعملوا فكرتهم الوقادة في مشكل اللغة الدولية بل هو القائل في سنة ١٦٢٩ بامكان صوغ لسان في غاية البساطة والسهولة لحل تلك المعضلة العويصة وكفى برأي ذلك النطس تأييداً لما أرشدنا اليه مجرد الصواب من امتناع وفاء اية لغة قومية بالغاية المنشودة . وكان ليبنتس (Leibnitz) معاصر ديكرت وندّه في الفلسفة والرياضيات يرتأي مثله ضرورة لغة دولية غير انهما لم يتوفقا الى ابتكارها. ثم كرّ على اثر ذلك نحو جيلين ونصف تعاقبت فيها عشرات من اللغات الدولية الاصطناعية التي بقي كلها تقريباً حبراً على ورق وهي في الوقت الحاضر نسي منسيّ عند الجميع ما خلا بعض الاختصاصيين. فنجتزيء هنا طلباً للايجاز بذكر اللغة الدولية الاصطناعية الاولى التي حظيت باقبال الجمهور في الامم الراقية ضاربين صفحاً عن أسلافها التي لم تخرج الى حيز الوجود من الوجهة العملية وعلى هذه وحدها المعول في موضوعنا . تلك اللغة الميمونة الطالع تدعى ڤولاپوك (Volapuk) ابتكرها سنة ١٨٧٩ العالم الالماني الكاهن الكاثوليكي شلاير (Schleyer) وقد اقتبس معظم جذورها من الانجليزية واستنبط لها غراماطيقاً بسيطاً ينطوي على قواعد قليلة لا شواذّ لها ومع ذلك فكان الڤولاپوك مشوباً بعيب جوهري أشبه بسم ناقع سارٍ في عروق ذلك اللسان الدولي ومنذر بقصر حياته وقرب فنائه وهو تشويه الجذور الانجليزية الداخلة فيه واقتضاب كثير من أحرفها بحجة تقصير الكلمات. ونتيجة ذلك المبدأ الفاسد العقيم ان الناطقين بالانكليزية أنفسهم كانوا عاجزين عن فهم تلك الالفاظ المشوهة المضارعة لغامض الاحاجي . واليك بعض الامثلة على ذلك : nim معناها حيوان (من animal) - flen معناها صديق (من friend) - nuf معناها سقف (من roof) - Melop معناها اميركا ! (من America) . ورغماً من هذه الشائبة الكبرى صادفت تلك اللغة الدولية المبهمة العسيرة الفهم رواجاً لا يكاد يصدق حتى في

أقصى البلاد المتمدنة . فقد ترجم غراماطيقها الى ٢٥ لغة وأسس في كل أصقاع المعمور ٢٨٣ نادياً ڤولابوكياً كان عدد أعضائها يحصى بعشرات الالوف ولم يكن العالم على هرمه شهد مثل ذلك المشهد الغريب في كل اجياله الخوالي ! لكن وا أسفاه بعد انعقاد المؤتمر الڤولابوكي الدولي الثالث سنة ١٨٨٩ انكسفت شمس تلك اللغة الركيكة المبنى الفاسدة المبدأ من أفق الحضارة ولم يعاين لها فيه بعد ذلك من بزوغ !

وقبل سنة ١٨٨٩ المشؤومة في تاريخ الحركة الڤولابوكية بعامين ليس الا كان شاب يهودي بولوني اسمه زامنهوف (Zamenhof) قد انشأ لغة دولية اصطناعية جديدة ونشر قواعدها في كتيّب اتخذ فيه اسماً استعارياً وهواسبرنتو (Esperanto) ومعنى هذه الكلمة في لسانه « الراجي » آثره على غيره تعبيراً عن رجائه في اقبال الخافقين على مبتكره . وقد قاسى الامرين في تعريف اللغة الاسبرنتية للامم الاوربية الراقية . فتجول ردحاً من الزمان من واحدة الى اخرى وهو يلقي المحاضرات على صفوة من العلماء والادباء واولي النفوذ في المدن الكبرى . وبعد تجشم اتعاب لا يحيط بها وصف بلغ بعض آماله الواسعة بانتشار لسانه اولا في فرنسا بفضل الهمة القعساء التي ابداها المركيز دي بفرون (de Beaufront) الفرنساوي الكاثوليكي . اشرنا الى دينه تعمداً لانه جعل مناقبه السامية ونشاطه العجيب في خدمة اليهودي زامنهوف لنشر الاسبرنتية . فهذا الحادث الغريب ومئات من امثاله ناطقة بكون طلاب اللغة الدولية الواقفين حياتهم على ترويجها في المشارق والمغارب يتوخون بذلك ترقية المجتمع البشري برمته غير قاصرين غايتهم النبيلة على دينهم او وطنهم فنعم المرام ! وبعد ان فازت اللغة الاسبرنتية برضى كثير من الفرنساويين مدت فتوحاتها الى انجلترا واسبانيا وسائر اقطار أوربا حول سنة ١٩٠٣ — والنحو والصرف الاسبرنتي غاية في البساطة حيث تكاد كل القواعد تحصر في نحو عشرين صحيفة . أما الجذور فسوادها مقتبس من اللغات اللاتينية كالفرنساوية والايطالية والاسبانية والنزر اليسير من الالسن الجرمانية كالانجليزية والالمانية . فيترتب على ذلك أن لغة زامنهوف لاتينية جرمانية . وبما أن عدد الناطقين باللغات اللاتينية والجرمانية يبلغ نحو خمسمائة مليون في الوقت الحاضر فالاسبرنتية كانت اصبحت اسهل اللغات الدولية واكملها بل الدرة اليتيمة الخاتمة لعقدها الذي انتظم في سلكه الطويل اثناء ثلاثة الاجيال الاخيرة نحو مائة وخمسين لساناً اصطناعياً لولا أنها موصومة بوصمة لم تمحها سوى اللغة الابدية (Ido)

التي سيأتي الكلام عنها . وهذه الوصمة الجوهرية قائمة في كون زامنهوف لم يضع للدلالة على معنى ما لفظة اسبرنتية تقارب دائماً بقدر الامكان الكلمات المقابلة لها في اكثر اللغات شيوعاً بل ابتدع الالفاظ بدون مبدأ علمي مقبول مقتبساً اياها تارة من هنا وطوراً من هناك . فانه لم يعرف الناموس الاساسي الذي اتبعه سنة ١٩٠٨ مبتكر اللغة الايدية المركيز دي بفرون المنوه به آنفاً أتباعاً يقضي العجب من احكام ضبطه وهو الناموس المعروف عند الاختصاصيين حالا باسم « الدولية العظمى » (principle of the maximum of internationality) . ففي الاسبرنتية مئات بل آلاف مؤلفة من الكلمات التي هي وذلك الناموس العلمي الضامن وحده لمعظم سهولة اللغة الدولية لدى كل الشعوب على طرفي نقيض . بناء على ذلك النقص الفاحش ورغماً من رواج الاسبرنتية حتى ظهور مزاحمتها الايدية كان وايم الحق رابع المستحيلات أن يحبذ العلماء والخبراء بل ومحض اصحاب العقول الثاقبة لغة خبط منشئها في وضع الالفاظ خبط عشواء بدون استناد الى مبدأ معقول مقبول

ولا بأس بعد تصريحاتنا السابقة بخلل الاسبرنتية من وصف بعض ما حازته من النجاح الباهر فانه اجلى شاهد كما في امر اللغة الفولابوكية ــ وقد حبطت اي حبوط على اثر ازدهارها المعجب ــ لمسيس حاجة الامم الى اللغة الدولية . فقد التأم حتى الآن اثنا عشر مؤتمراً اسبرنتياً تقاطر اليها من كل البلاد مئات من الاسبرنتيين والمؤتمر الاخير عقد في هاغ عاصمة هولندا في شهر اغسطس المنصرم وكان عدد اعضائه ٣٩٩ ينتمون الى ٢٣ جنسية وهو الاول بعد نشوب الحرب الكونية ــ ولم يكن سنة ١٨٨٨ في العالم اجمع سوى ناد اسبرنتي ليس الا . ففي سنة ١٩١٠ بلغ عدد النوادي ١٥٠٠ ــ وقد انشئت سنة ١٩٠٨ الجمعية الاسبرنتية العامة (Universala Esperanto Asocio) تعين في كل مدن المعمور التي امتدت اليها الحركة الاسبرنتية مندوبين يقدمون لكل الاعضاء مراسلة وللسواح منهم مشافهة اكبر الخدم واثمنها . كان عدد اولئك المندوبين المنبثين حتى اقاصي الارض مثلاً في الصين واليابان واميركا الجنوبية واوستراليا ٨٣٢ في سنة ١٩٠٩ ونحو ١٢٦٠ سنة ١٩١٤ وقد هبط على اثر الحرب الهائلة الطويلة الى نحو ٦٥٠ في العامين الاخيرين

اما ازدهار الآداب الاسبرنتية منذ غرة الجيل العشرين فحدث عنه ولا حرج . والحق يقال ان اشهر كتاب اللغات الكبرى نقلت مؤلفاتهم نثراً ونظماً الى لغة

زامنهوف • وفي الوقت الحاضر يظهر نحو اربعين مجلة اسبرنتية في نحو ١٦ من اقطار العالم

ولكن رغماً من تلك المآثر العجيبة التي لا ينكرها مكابر ولا يسمح لنا صدق المقال واحترام القراء نفيها او اهمالها . فان عيب الاسبرنتية الجوهري المشار اليه سابقاً اعني مناقضته في آلاف من مفرداته لناموس « الدولية الكبرى » كان سبب انقسام الاسبرنتيين منذ نشأة حركتهم الى حزبين متضادين : المحافظين المتعامين عن ذلك النقص الفاحش والاصلاحيين المجاهرين بضرورة ملافاته باقرب وقت لئلا يصبح عقبة كؤوداً في طريق انتشار اللسان الدولي . وقد علا صوت هؤلاء الى درجة الجأت مبتكر اللغة وامام الاسبرنتيين زامنهوف الى ان يعرض على مشايعيه سنة ١٨٩٤ عدة تحسينات لغوية لا يختلف كثير منها عن التي جاءت في اللغة الايدية ثلاث عشرة سنة بعد ذلك • لكن الاسبرنتيين بعد اللتيا والتي لم يتفقوا على قبول كل التغييرات المقترحة عليهم باجمعها جزافاً فبقيت اللغة على علاتها حتى الآن الا انها منذ ظهور الايدية سنة ١٩٠٧ لم تزل تنتحل كنوزها وبعض كمالاتها خفية وقد حان لنا ان نمعن النظر في رصيفة الاسبرنتية

(البقية في الجزء القادم)

من حكم العرب

المشفق أحد الوالدين

العين احدى الرسولين

العشق احد الرقين

الفرار أحد الحامين

المكيدة احدى الحسامين

الفكرة احدى الهاديين

اللسان أقطع السيفين

الدهر أحد المؤدبين

المبلغ أحد الشاتمين

الشيب أحد الميتتين

حسن الثناء أحد البقاءين

التدبير احد الثروتين

القلم أحد اللسانين

سوء الرأي احد المحاربين

البيان انفذ السهمين

الثروة احدى الامارتين

التثبت أحد الناصحين

التوفيق أحد الخليلين

العجب العجاب

ما أعظم الانسان عقلاً

وما أحقره خلقاً

أرض الله واسعة ، وقوات الطبيعة ينبوع غزير لا يفرغ ، والانسان أصبح مسيطراً على الاثنين ، فما باله لا يزال يكد ويكدح حتى ينال كفافه من العيش ؟

اذا قلت ان واحداً بالالف من الناس لا يتعبون ولا ينهمكون وهم يتمتعون باطايب العيش فقد أكون مكثراً في التقدير . واذا درست حالة الاجتماع الاقتصادية درساً دقيقاً وجدت ان عمل خمسة أشخاص يكفي رزق مئة شخص وربما كنت بهذا التقدير مكثراً ايضاً . فما بال السواد الاعظم من الناس يكدون ويكدحون وينهمكون والجانب الكبير منهم لا ينالون قسطهم من الرزق الا بالعناء والشقاء ؟ فلماذا التعب والنصب وأين تذهب ثمار هذا التعب ؟

قد تستغرب هذا القول وربما عده غيرك تخريفاً . فهلاً . هلم بنا الى التبيان الواضح العصفور لا يعاني في تحصيل رزقه ، فاينما طار وحوم وجد الحب واقتات ، وايما لجأ وجد وجاراً يبيت فيه . وأظن انه اذا جعلته انساناً من اناس اليوم بل ذاتاً من ذواتهم الذين يركبون الاوتوموبيلات ويبذخون ومع ذلك يعملون وينهمكون (لا من الذين كالخدم يعيشون على تعب غيرهم) فلا يمضي عليه اسبوع واحد حتى يقول لك : « بربك أعدني عصفوراً »

كذا يقول الغزال وبقر الوحش وغيرها من الحيوانات الحرة . وما همُّ هذه البهائم الا صيانة انفسها من أعدائها

بالطبع لو سألت أي انسان هل كان يتمنى لو ولد عصفوراً أو غزالاً لقال لك : « لا . الانسان أفضل وان كان يتعب لانه أرقى جداً . والرقي نوع من السعادة . » حسناً حسناً ان الانسان مهما كان معانياً في تحصيل رزقه يفضل حياته الانسانية على حياة العصفور لسبب واحد وهو امله في ان يكون في يوم من الايام من طبقة الناس المتنعمين المتمتعين . ومهما كان قليل المطامع وشاعراً بعجزه فأقل آماله انه قد يربح ولو ورقة نصيب ويتمتع ذات يوم . ومهما خاب فأله من هذا القبيل فمجرد الامل أو

الحلم بحصول المأمول عنيه بلذة مقبلة ولولا هذا الامل لكان يتمنى أن يكون عصفوراً أو قرداً أو فيلاً . ولما كان يستحيل عليه أن يتحول الى عصفور او قرد تراه متى فقد كل أمل ينتحر لانه يعلم جيداً ان القرد او الثور أصبح أسعد حالاً منه

عجيب أن يكون في نوع الانسان الراقي أفرادٌ يحسدون الغزال والقرد

الانسان القديم أو الاول كان بالطبع أرقى من القرد ، ولكنه كان أحط جداً من انسان اليوم ، فهل كان يعاني في تحصيل الرزق أكثر من انسان اليوم ؟

لم يكن عند الانسان القديم آلات زراعية ، ولا بابورات لرفع المياه لاجل الري. ولا سكك حديدية للانتقال والنقل ، ولا مناسج ولا مغازل ولا مصانع كمصانع اليوم ، بل كان مضطراً أن يحتفر الارض ويعزقها بعمول ، وربما كان ذلك بخشبة ، وكان يمشي على رجليه وينقل الاحمال على الحمار اوالجمل او على ظهره ، وكان يغزل بمغزل بدوي وينسج بمنسج بسيط ويضفر القش بيديه . وبالاجمال يقال أنه كان مضطراً ان يصنع بيديه كل شيء يريد أن يتمتع به. ومع ذلك كان عنده وقت غير قصير للراحة، وربما كان يتمتع بالراحة التامة فصلاً من العام

لم يكن ليحصل على شيء من رزقه وعيشه الا ببذل قوى من قواه العضلية . لم يكن لذلك العهد يعرف أن يستخدم شيئاً من قوى الطبيعة حتى ولا قوى المياه المنحدرة ـ ومع أن قوة المياه المنحدرة كانت أول ما يخطر استعماله للعقل ولو في ادارة حجر الرحى للطحن . كان الانسان الاول يستعمل ذراعيه لادارة رحى صغيرة (جاروشه) او للسحق بالمدقة في هاون أو نحو ذلك . ومجمل القول ان الانسان الاول او القديم لم يكن ينتفع بشيء من قوى الطبيعة بل كان يستعمل قواه العضلية لكل شيء يعمل فيه . ومع ذلك كان يحصل رزقه ويفضل عنده وقت للراحة والتمتع

تقول ان ذلك الانسان لم يكن عنده شيء من أصناف التمتع التي يتمتع بها انسان اليوم والتي تسمى بالنسبة الى حاجيات ذاك كماليات . فلما طمع الانسان بزيادة التمتع صار مضطراً أن يعمل أكثر من الاول لكي يحصل على هذه التمتعات

اني معك . ان أصناف التمتع التي طمح اليها الانسان زادت جداً جداً. لم يكن الانسان على كرسي من المخمل ولا كان يدوس على سجاد من الصوف الجميل الصنع ولا يضطجع في سرير من البرنز ولا يسكن في بناء شاهق رحيب ولا يركب الاوتوموبيل او القطار الى غير ذلك من ملاذ الحياة

اجل لم يتمتع الانسان الاول بشيء من ذلك

ولكن من جهة أخرى لم يكن يدري أن البخار والكهرباء والهواء والماء قوات تغني عضلاته عن الجهاد ، ولا خطرت له النواميس الطبيعية والميكانيكية كنواميس الاثقال والبكرات والعجلات وغيرها مما وسع دائرة الفنون الميكانيكية حتى يتسنى له أن يستخدم قوات الطبيعة لاغراضه ويزيد تمتعه

فالفرق بين انسان القِدَم وانسان اليوم عظيم جداً . انسان القِدَم كان مضطراً ان يبذل قواه العضلية لكي يحصل على رزقه . وانسان اليوم صار في وسعه ان يسخر قوات الطبيعة فتعمل له من غير أن يبذل الا النزر اليسير من قواه العضلية . بل أصبح لا يبذل قوى عضلية الا في الرياضة واللعب واللهو

وما أدراك ما هي قوات الطبيعة

هي اوقيانوس عظيم لا حدود له ، والانسان سابح في هذا الاوقيانوس . وما دام الانسان قد قبض على عنان القوة الطبيعية فصارت هذه القوة خاضعة لأمره او انه يستطيع أن يخضع منها كل ما يحتاج اليه

اول مظهر من مظاهر القوة التي اخضعها الانسان هي قوة المياه المنحدرة فاستخدمها لادارة الرحى منذ زمن قديم . ولا ندري سبباً لعدم توسعه في استخدام هذه القوة في اعمال كثيرة متنوعة سوى جهله تحويل القوة من صورة الى صورة — من حركة مياه منحدرة الى كهرباء الى حرارة ونور الخ . ولو اكتشف طبائع الكهرباء منذ ذلك الحين لاستغنى عن أن يحتفر الارض ويغوص الى باطنها حتى يستخرج الفحم ويحرقه لتوليد قوة البخار ولنقل الحركة من مكان توليدها الى مكان بعيد بواسطة الكهرباء بل لاكتفى بقوة المياه المنحدرة لتفعل كل ذلك

ولكن لا بأس من جهله هذا فقد كانت له فيه فائدة اذ استخرج مقداراً عظيما من الكربون المخزون في باطن الارض لكي يحرقه على سطح الارض فيتحول ثانية الى نبات ينتفع به هو والحيوان الذي يقتات هو منه ايضاً

ان مصدر معظم القوات الطبيعية التي يملك الانسان عنانها الآن هو الفحم أولا والبترول ومشتقاته ثانياً . لانه باحراق هاتين المادتين يستطيع ان يولد قوة بخارية تسير سفناً وقطرات حديدية ومعامل صناعية متنوعة ، وكذلك يستطيع ان يحول

القوة البخارية الى قوة كهربائية تنتقل الى مسافات بعيدة وتستخدم في كثير من الاعمال

وقد اصبح بعض الناس المفكرين يخوفون من نفاد الفحم والبترول في يوم من الايام ويخشون ان تقف حينئذ الحركة الميكانيكية المختلفة التي استنبطها الانسان . على ان هذا الخوف في غير محله لان مصدر القوات التي ملك الانسان عنانها ليس الفحم ولا البترول بل هناك مصدر أسبق وأهم جداً وهو الذي خزن القوة في الفحم والبترول ولا يزال يبعثها في غيرها كل حين . ونعني به حرارة الشمس ونورها

فما دامت الشمس تبعث الينا على ظهر الاثير امواج الحرارة والنور المتدفق بلا انقطاع في اوقيانوس لا حدود له فمياه البحار ترتفع بخاراً وتطوف في الجو الهوائي وتنزل امطاراً وسيولاً على الجبال وتنحدر انهاراً وجداول عائدة الى البحار . وفي وسع الانسان ان ينتفع بقوة انحدارها قبل ان تعود الى مقرها انتفاعاً عظيماً لا يقل عن انتفاعه من الفحم والبترول بل يربو عليه جداً

وليس ذلك فقط بل ما دامت الشمس تبعث الينا الحرارة بلا انقطاع فالهواء الجوي يتحرك ايضاً بلا انقطاع ، وفي وسع الانسان ان يملك عنان الرياح مهما اختلفت مهابها ويستخدمها لاغراضه الميكانيكية كما يستخدم البخار . وفي مهاب الاهوية من القوى ما يربو على قوى الفحم والبترول

وليس ذلك فقط بل ما دامت الشمس تبعث حرارتها وتحرك الهواء وتثير العواصف فالبحار تتموج وفي وسع الانسان أن ينتفع من حركة الامواج المتلاطمة وهي حركة لا يستهان بها

وليس ذلك فقط بل ما دامت الشمس تبعث حرارةً ففي وسع الانسان ان يقبض على زمام حرارتها رأساً وذلك بان يجمع اشعتها بواسطة عدسيات بلورية الى محترقات (مراكز تجمع الاشعة) حيث تُغلى المياه بها وتتحول الى بخار في مراجل العدد البخارية

كل مظاهر القوات هذه — انحدار المياه ، وهبوب الرياح ، وملاطمة الامواج للشواطىء ، وتجمع الاشعة في المحترقات — قد اهتدى اليها الانسان واستنبط الوسائل للسيطرة عليها . وفي امكانه ان يخضعها ويستخدمها كما يشاء كما كان الانسان القديم يستخدم البعير والثور والحمار والجواد

اذاً فلينفد الفحم والبترول ولتجيَ حرارة الشمس اذ يمكن استخدامها واستخدام مفاعليها في توليد الكهرباء . ولتجيَ الكهرباء اذ يمكن استخدامها لنقل القوة المحركة الى حيث نشاء وتشغيلها حيث نشاء وتحويلها الى أمها الحرارة والنور الى حيث نشاء

في قبضة الانسان الآن من القوة الطبيعية ما لا يدري له قدراً ولا حداً . وقد صار في وسعه ان ينقل الجبال من مكان الى آخر . صار في امكانه ان ينقل في يوم من أول القطر الى آخره ما لا تستطيع أن تنقله قوافل الاقدمين في شهر . صار في وسعه ان ينسج في يوم ما لا يستطيع ان ينسجه الف ناسج . صار في وسعه ان يكتب في يوم ما لا يستطيع ان يكتبه عشرة آلاف كاتب . صار في وسعه أن يعمل ما استحال على الانسان القديم أن يفعله. وأنت تعلم ماذا يفعل الآن. فلا لزوم للتعديد

ولا ندري ماذا يتوفق اليه ابناؤنا واحفادنا بعدنا من الاختراعات العجيبة بعد ان فتحت لنا الكهربائيــة قلبها والراديوم شرع ان يفتح صدره ايضاً . وكذلك لا ندري ماذا يبدو بعدهما من أسرار الطبيعة التي يجد فيها الانسان كنوزاً من السعادة لو رام ان يحيا سعيداً

فلنعد الآن الى موضوعنا الاول

اتضح لك جلياً الفرق العظيم بين الانسان القديم وانسان اليوم من حيث القدرة والسيطرة على القوة . واذا شئت أن تصور نسبة بينهما من هذا القبيل فقد تصور الانسان الاول في حجم نملة على كف الانسان الحديث وهو في حجم الفيل

لا تستغرب ذلك . ان القطار الذي ينقل الوف الاحمال من البضاعة أو الغلال يسيره بضعة اشخاص . فلو سخرت أشخاصاً لنقل تلك الاحمال لما كفاك عشرات الالوف من الرجال . فنسبة النملة الى الفيل انما هي اكبر من نسبة الانسان القديم الى الانسان الحديث — لك أن تقول ان حاصل عمل انسان اليوم يساوي حاصل عمل الف من ناس العهد القديم وربما ساوى حاصل عمل عشرة آلاف . ولكن تحاشياً لتهمة المبالغة نقول ان رجل اليوم بالف رجل قديم

واذا كان الامر كذلك فهل يتمتع انسان اليوم الف ضعف تمتع الانسان القديم؟ هنا قف . وفكر برهة قبل أن تجاوب

متوسط انسان اليوم يأكل خبز القمح وقليلاً من اللحم يوماً بعد آخر ويأكل من البيض على معدل بيضة في اليوم ومن اللبن على معدل ربع رطل في اليوم ولا

تطيل عليك الشرح فانت دار ماذا يأكل . والـكلام يسرك انني مبالغ في هذا التقدير لاني اذ جمعت ما يستهلكه الناس من اللحم والبيض واللبن والسمنه الخ وقسمته على أفرادهم لأصاب الواحد منهم اقل ممَّا ذكرته في تقديري . واما الانسان القديم الذي كان لا يزال يعزق الارض بمعوله ويغزل وينسج ويضفر بيديه فاظنه كان يصيبه من اللحم والبيض والزبدة اكثر منَّا

تقول ان أنسان اليوم يلبس أحسن واجمل وافضل جـداً من انسان الزمن القديم . أجل لا أنكر ذلك . ربما كان لبس أنسان اليوم يساوي قيمته (من حيث التمتع والشعور باللذة لا من حيث الثمن) عشرة أضعاف لبس الانسان القديم . وكذلك يمكنك أن تقول عن المأوى وسائر الملاذ

ومهما تماديت في تقدير تمتع انسان اليوم فلا تقدر أن تصوره اكثر من عشرة أضعاف تمتع الانسان القديم . بل لك أن تصوره عشرين ضعفاً . بل قل ثلاثين بل قل خمسين ضعفاً

فانسان اليوم يتمتع خمسين ضعف تمتع الانسان القديم ولـكنه يعمل الف ضعف ما كان يعمله الانسان القديم . فاذاً يعمل الانسان الآن عشرين مرة قدر ما يتمتع ($\frac{1000}{50} = 20$) فاين يذهب التسعة عشر تمتعاً ؟ هذه هي نواة موضوعنا

ولـكي تجلي لك المسألة جيداً أبسطها بصورة أخرى . — هب انه تسنى لك أن تسيطر على الجنس البشري كله تسيطراً مطلقاً مدة عام أو مدة جيل مثلاً فيمكنك ان تعيشه نفس العيشة التي يعيشها الآن بنتيجة عمل نصف عشر ناسه (أي بعمل واحد من عشرين) وهو تقدير قليل جداً لانك اذا كنت حكيماً وحسن التدبير امكنك أن تعيش ناسه عيشة أفضل من عيشتهم اليوم بعمل واحد من مئة بل بعمل واحد من الف منهم . وانما نحن قنعنا بالتقدير القليل أي واحد من عشرين تحامياً لتهمة المبالغة

ولـكنك ترى الآن الناس كلهم ينهمكون في مشاغلهم والمطمئنو البال منهم والمرتاحون لا يبلغون واحداً بالمئة مع انه كان يجب أن يكونوا ٩٥ بالمئة على الاقل

فاين يذهب تعب هذا الجمهور ؟ ولماذا ؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال نعيد نظرة الى نسبة المنتجين الحقيقيين الى غيرهم من الناس

المنتجون الحقيقيون، هم الذين يشتغلون في الارض وفي الصناعات والمصانع . فاذا استطعت احصاءهم وجدت أنهم لا يتجاوزون عُشر البالغين من النـاس . فماذا يفعل التسعة أعشار الباقون

يتنازعون انتاج ذلك العُشر . واليك البيان

فريق كبير منهم يتداولون تلك المنتجات متاجرين بهـا . فقد تنتقل السلعة بين ثلاثة أو اربعة أو خمسة وربما تداولهـا عشرة تجار قبل أن تصل الى يد المستهلك . وكل واحد يختزل حصـة من قيمتها فلا تصل الى يد المستهلك حتى يكون قد دفع أضعاف كلفتها

وفريق آخر هم سماسرة في سلسلة المنتجين والتجار والمستهلكين ولهؤلاء حصة أيضاً

وفريق يشتغلون في ترويج السلع بوسائل مختلفة كالاعلانات ونحوها ولهم نصيب من قيمة الانتاج

وفريق المتناظرين في اغتنـام الارباح من الانتاج . وهم الذين يخزنون السلع ويحتكرونها لكي يتسنّى لهم أن يرفعوا أسعارها فيحرمون منها المستهلكين حتى منتجيها من جملتهم . وربما تلف بعضها في سبيل هذا الاحتكار

وفريق المشتغلين بنقل السلع من مكان الى آخر وربما كان نقلها اتلافاً للقوى بلا لزوم وانما اقتضاه التناظر والتنافس كما هو معلوم

واذا خرجت من دائرة التجارة بالمنتجات الى دائرة التنازع المالي وجدت عالماً آخر يشغل جانباً من قوى الناس غير المنتجين . عندك أشغال البانكة الواسعة . ثم أشغال المضاربين الذين يطلبون الرزق من التلاعب بالاسعار بل الذين يطمعون بالثروة الضخمة من جراء ذلك

ثم أخرج من هذه الدائرة الى دائرة ادارات حفظ النظام والامن والحقوق الخ تجد جانباً عظيما من الناس يشتغلون في أعمال مآلها الاخير تلافي الاغتصاب والنهب والاعتداء وايقاف كل فرد عند حده وكل شخص عند حقه . ومع ذلك لا يسلم الاجتماع من الجرائم والاعتداآت والاختلافات

وهناك دوائر أخرى عديدة تبذل فيها قوى الناس جزافاً بلا فائدة ولا انتاج ولا يسعنا سردها وتبيانها . وكل فرد يدركها بقليل تأمل

واذا تجرت ملياً على هذا النحو الذي نبسطه أدركت أن معظم الناس يشتغلون ويهمكون ويسرفون في الاشتغال في أعمال غير منتجة ولا لزوم لها . واذا تأملت السبب انجلى لك أن هؤلاء الناس في مثل حرب دائمة يتنازعون بها منتجات المنتجين . واذا تعمقت في التبصر واستقصاء الاسباب تبين لك أن سبب هذه الحرب الدائمة الخفية المكسوة بثوب السلم والامن والمحافظة على الحقوق انما هو عدم موافقة النظام الحالي لروح المدنية الحديثة

ان المدنية الحديثة قضت بان يشتبك الناس في مصالحهم ومعايشهم ومنافعهم اشتباكا شديداً جداً الى حد الارتباط . فهم مرتبطون بعضهم ببعض ارتباطاً وثيقاً لا انفكاك له . وهذا الارتباط الحتمي يقضي بأن يكونوا متضامنين متعاونين شديد التضامن والتعاون ولكن نظامهم الحالي يفسح السبيل للتناظر والتزاحم والتنازع

فسبب اتلاف تسعة أعشار القوى البشرية وذهابها سدى انما هو هذا التنازع المشار اليه

فلو أمكن تغيير هذا النظام بنظام لا يمكن أن تختزل اتعاب البشر تسعة أعشارها على الاقل . وحينئذ اذا توزعت الاعمال على الناس توزعاً متعادلاً متوازناً لا يضطر الفرد أن يعمل في يومه أكثر من ساعة أو ساعتين وان يتمتع بقية الوقت بالراحة والرياضة البدنية والعقلية والنفسية . ذلك لان معظم عمل الانتاج تسخر به قوات الطبيعة التي تبسطنا في شرحها في القسم الاول من هذه المقالة

وحاصل القول أن الانسان استطاع أن يطوّع قوى الطبيعة ويستخدمها ولكنه لم يستطع حتى الان أن يتمتع بمنافع تلك القوى لانه لا يزال منازعاً بعضه بعضاً ومضيعاً قواه في سبيل هذا النزاع

ان الانسان ارتقى من الوجهة المادية ارتقاء عظيماً جداً . ولكنه من الوجهة الاخلاقية لا يزال منحطاً

ألا تعجب أن الانسان الذي استطاع أن يغوص اليم ويسبح في الجو ويتناجى أفراده من جانب الى جانب في الكرة الارضية — هذا الانسان نفسه انهمك في حرب بربرية مدمرة لم تشهد مثلها الاجيال الماضية . فما أعظم هذا الانسان عقلاً . وما أصغره خلقاً

هذا هو العجب العجاب

نقولا الحداد

في سنة ١٩٩٩

نبوات عن العلم والعالم في آخر القرن العشرين

[الهلال] اطلعنا على هذه الخطبة الخيالية في مجلة « العلم والاختراع » الاميركية وقد قالت عنها انها « خطبة القاها رئيس المجمع العلمي الاميركي في حفلته العمومية في سبتمبر سنة ١٩٩٩ » وقد أراد كاتبها أن يصور حالة العالم في آخر هذا القرن بتأثير المباحث العلمية والمستنبطات الصناعية . ولما في هذه الخطبة من الافكار والمعلومات والنكات اللطيفة رأينا تلخيصها لقرائنا

أيها السادة

اليوم وقد بلغنا ختام القرن العشرين يمكننا أن نلقي نظرة الى الوراء فتتمثل أمامنا سلسلة المنتجات العلمية الباهرة التي تمت في هذا القرن والتي لم يتح للانسان أن يرى مثلها أو ما يقرب منها في عصر من العصور الغابرة . ففي بضعة العقود الاخيرة من السنين دخلت أرضنا في عهد عجيب تفوق حقائقه الراهنة أقصى ما تمناه فلاسفة القرن التاسع عشر وابعد ما حلم به علماؤه . فيجدر بنا اذاً أن نلقي نظرة على أهم الاختراعات والاكتشافات التي أوصلتنا الى حالتنا هذه

لاح فجر العلم الحديث في سنة ١٨٩٨ اذ اكتشفت مادة الراديوم وخواصها العجيبة ومهما نقل في هذا الاكتشاف وأهميته لا نستطيع ان نوفيه حقه فانه كان بلا ريب الاساس الوطيد للمبادىء العلمية الجديدة وما ترتب عليها من الاختراعات العظيمة الشأن . وأهم تلك المبادىء كما تعلمون مبدأ « انحلال المادة » أي ان جميع المواد تنحل بسرعة تختلف باختلاف خواص جواهرها الفردة وان تلك الجواهر الفردة هي مستودعات قوة هائلة لو عرف الانسان كيف يزيد سرعة انحلالها (١)

(١) هذا مبدأ علمي راهن اليوم فان من الحقائق الثابتة ان الراديوم وبعض المواد التي على شاكلته تتلاشى بارسال ذرات صغيرة ذات سرعة عظيمة تفلت منها وتشترك بخواصها بين المادة والاثير . وقد اثبت العلماء ان هذا الانحلال المشاهد في الراديوم وما شابهه هو من خواص كل المواد الا انه في الراديوم اسرع منه في غيره . وقد نشرنا فيما مضى مقالا عنوانه « المادة قوة » قلنا فيه :

فاما تنحل المادة تتحول الى تلك الذرات الصغيرة . ولكن من اين لتلك الذرات هذه القوة العظيمة التي ترسلها بسرعة تقرب من سرعة النور (٢٠٠٠٠٠ كيلو متر في الثانية) ؟ ذلك

وفي هذه الاثناء نشبت الحرب العظمى . ومع كل ما جلبته على البشر من المصائب فقد تقدم العلم من جرائها تقدماً عظيماً . ولما ختمت تلك المجزرة البشرية العظيمة كان العالم في حالة فوضى واضطراب فانتشرت القلاقل والازمات والمنازعات بين العمال والممولين وكثر دعاة التشاؤم وانبياء الدمار والخراب والاضمحلال . وبالجملة فقد كان الجو مظلماً مكفهراً ينذر بانحطاط المدنية وتقهقر البشرية

اذ ذاك شهد العالم فجأة اول ظاهرة من سلسلة ظواهر تتابعت وحار في تعليلها الناس وهي عبارة عن هزات عنيفة كانت تحدث بين فترة واخرى فينسبها العلماء الى عوامل مختلفة . فلما كانت سنة ١٩٢٥ كشف سر هذه الهزات اذ اعلن العالم الطبيعي الهندي « سيكنا بت » انه توصل الى طريقة مكنته من استخدام القوة الهائلة المخزونة في الجواهر الفردة ولم تكن تلك الهزات الا نتيجة التجارب التي اجراها. وهكذا انتشر خبر اعظم اكتشاف علمي عرفه البشر

ومن ذلك الحين اخذ التقدم العلمي يتسارع بخطوات كبيرة فان تطبيق الاكتشاف المتقدم قلب وجه الصناعة اذ جعل تحت تصرفها مورداً لا ينضب من القوة لاستخدامها في منفعة الناس وزيادة رفاههم . فقد اصبح في امكاننا توليد أعظم قوة بضغط زر صغير ومن دون نفقة تستحق الذكر . وقد كان من جراء ذلك ان استغنى الناس عن الكد والعمل وانصرفوا الى اللذات المعنوية والادبية . واذا قارنا القوة المتأتية عن انحلال الجواهر الفردة بالقوة المتأتية عن تحويل الماء الى بخار كانت النسبة بينهما كنسبة مليون الى واحد

وقد رافق هذا الاكتشاف الذي لا يقدر بثمن اكتشاف آخر عظيم الشأن وهو تحويل المواد من عنصر الى عنصر اي امكن تحويل الحديد ذهباً والذهب بلاتيناً الخ ولا يزال بعضنا يذكرون الاضطراب المالي الذي حدث في العالم من جراء ذلك .

ان المادة ليست كما كان يظن جامدة بنفسها والقوة مستقلة عنها تتنقل بين اجزائها . وانما هي مستودع لقوة هائلة لم تعرف قبل اليوم سماها الدكتور لوبون القوة داخل الجواهر (Energie intra-atomique) وقد قاسوا تلك القوة العظيمة التي تضيع في اثناء انحلال المادة فوجدوا انها أشد القوى المعروفة الى اليوم . ولو تمكن العلماء من تعجيل انحلال المادة لحصلوا على قوة مدهشة . لو قدروا مثلا ان يعجلوا انحلال جرام من الحديد بحيث يتلاشى في ثانية لوجدوا بالحساب الميكانيكي ان هذا الجرام يتحول الى قوة تعادل ٦ مليارات و ٨٠٠ مليون حصان وهذا المقدار كاف لان يجر قطاراً حديدياً حول الكرة الارضية اربع مرات

فقد اختلت حركة الاسواق المالية لفقدان المعادن الثمينة قيمتها . ولولا قيام نفر من رجال السياسة أصحاب النظر البعيد لوقع العالم في أزمة اقتصادية لم يعرف مثلها التاريخ

فان أولئك السياسيين لما رأوا الخطر محدقاً بالعالم انشأوا اتحاداً عاماً بين الدول وجعلوا على رأسه حكومة واحدة وهي ما نسميه اليوم حكومة «دول العالم المتحدة» وهي شبيهة من بعض الوجوه بجمعية الامم التي اقترح انشاءها الرئيس ولسن العظيم. وهذه الحكومة تعقد مؤتمراً كل ستة أشهر للنظر في أحوال العالم ولها قوة بوليس



الانابيب التي تخترق جوف الارض (انظر الشرح فيما بعد)

« دولي » ينفذ قراراتها . وقد كان من أهم ثمار هذا الاتحاد بين الامم ان الغيت العملات المختلفة وحلت محلها العملة الورقية العمومية المنتشرة الآن في جميع الاصقاع

ولعل أثمن ما انتجه هذا الاتحاد الغاء الحروب والفضل الاكبر في ذلك يرجع الى الولايات المتحدة الاميركية . فانها لما أعلنت الهدنة سنة ١٩١٨ كانت حكومتها قد توفقت الى اختراعات ذات قدرة عجيبة على التخريب والتدمير ولكنها لم يتح لها استعمالها بسبب اعلان الهدنة . فبتلك الاختراعات السرية كانت حكومة الولايات المتحدة

تهدد الدول كلما أبدت ميلاً الى القتال والنزاع

ومن اعجب الاختراعات التي شهدها العالم في القرن العشرين «السفينة الفلكية» التي صنعها العلامة توماس سودي سنة ١٩٣٨ فان هذه السفينة تندفع في الفضاء بجهازات قوية تحرك بفعل انحلال الجواهر الفردة - كما تقدم - فتجوب المسافات البعيدة بين الافلاك وتنتقل بسهولة من الارض الى السيارات

واذا رجعنا الى تأثير هذا الاختراع على الناس عند نشر خبره تعذر علينا وصف الدهشة التي استولت عليهم . وكان أهل الارض قد تلقوا قبل ذلك الاختراع بعدة سنوات هزات أثيرية لم يعلم مصدرها . فلما قام سودي برحلاته التاريخية الى المريخ والزهرة سنة ١٩٣٨ علم أن تلك الاهتزازات لم تكن الا اشارات أرسلها سكان المريخ الى سكان الارض لمخاطبتهم ومحادثتهم . وقد وصف سودي على أثر رحلاته معيشة أهل المريخ وأهل الزهرة وكان للمعلومات التي أتى بها من هذا القبيل أشد وقع في النفوس . ولم يكد سودي يتم رحلاته الاولى حتى توالت الرحلات الى السيارات وأحكمت العلاقات بيننا وبين سكانها المختلفين

وقد زاد عدد سكان المدن وقل سكان الريف حتى انه في منتصف هذا القرن أوشك العالم أن يقع في أزمة غذائية . على أن المخترع بروننج اخترع جهازاً سهل حل هذه المشكلة . فهذا الجهاز مكن من تحويل الحرارة الارضية الى قوة كهربائية . وبناء على ذلك أنشأ المهندسون أنابيب عمودية تخترق جوف الارض فتصل بين أطراف العالم . وفي هذه الانابيب تسير عربات - بقوة الكهرباء المولدة من حرارة الارض - تنقل المواد الغذائية من البلاد الزراعية الى البلاد الصناعية بسرعة عظيمة . وبفضل الاختراع المتقدم ذكره لم تكن حرارة الارض الداخلية لتحدث ضرراً أو تلفاً نظراً لتحولها الى قوة كهربائية

ولا يسعنا اغفال التسهيلات التي أحدثها العلم في وسائل النقل . فان السفن الهوائية العظيمة التي نشاهدها في جونا كل يوم لابلغ دليل على التقدم في هذا الباب . فانها مجهزة بكل ما يطلبه الانسان من اسباب الراحة وليس في ركوبها ادنى خطر

أما الطب فقد تقدم تقدماً عظيماً حتى كادت الامراض تتلاشى وقلت الآلام والاوجاع بين البشر - كل ذلك تم بفضل العلم والعلماء فله ولهم كل الشكر والثناء

كتاب الجرائم

لابن قتيبة

١ ــ المؤلف

هو ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينور ولد في الكوفة سنة ٢١٣ وتوفي سنة ٢٧٦ وقيل سنة ٢٧٠ وقد سكن في بغداد وتولى القضاء في الدينور فنسب اليها . وكان عالماً في اللغة وصادقاً في الرواية ونقاداً ، ألف بضعة عشر كتاباً في اللغة والأدب والتاريخ

٢ ــ كتاب الجرائم

لم يذكر المؤرخون اسم هذا الكتاب بين تصانيف ابن قتيبة وانما أشاروا الى ان ابا محمد وضع كتاباً في خلق الانسان وصفاته واعضائه وقال صاحب الفهرست ان ابن قتيبة « ألف كتباً كثيرة منها كتاب الفرس ستة وأربعون باباً وكتاب الابل ستة عشر باباً وكتاب الحرب عشرة أبواب وكتاب الدور عشرون باباً وكتاب الديار عشرة ابواب وكتاب الرياح احد وثلاثون باباً وكتاب السباع والوحوش سبعة عشر باباً وكتاب الهوام أربعة عشر باباً وكتاب الايمان والدواهي سبعة أبواب وكتاب النساء باب واحد وكتاب النسب واللبن ثمانية ابواب » وغيرها ونحن نعتقد ان كتاب الجرائم هو جامع لهذه الكتب كلها وان المؤلف وضع كل بحث على حدة ثم جمعها في كتاب واحد او اختصر ابحاثها في كتاب الجرائم لمطابقة الابحاث والمواضيع بعضها بعضاً ولان نسخة كتاب الجرائم التي بين أيدينا تحتوي على جميع هذه الكتب

٣ ــ فقد الكتاب

اغفل المؤرخون ذكر المكان الموجود فيه هذا الكتاب ولم يقل أحد انه رآه ، وانما نشر الاب لويس شيخو في السنة (١١) من مجلة المشرق فصلاً من فصول هذا الكتاب تحت عنوان (الرجل والمنزل) قال انه وجد هذه القطعة في المكتبة الظاهرية فقط . كذلك نقل ناشر كتاب (فقه اللغة)[1] للثعالبي بضعة فصول عن هذا الكتاب وجعله ملحقاً لكتاب فقه اللغة وذكر اسم كتاب (الجرائم) ولكنه

---

(١) نشره احد الاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٩

اغفل الاشارة الى مكان وجوده. وقد اتيح لنا اليوم ونحن نبحث في المكتبة الظاهرية بدمشق (لغة : ٥٩) الاطلاع على هذا الكتاب

٤ – هل هذا الكتاب لابن قتيبة

لعل البعض يرتاب في نسبة كتاب (الجراثيم) لابن قتيبة ويقولون انه ليس من مصنفاته ، لان مؤرخيه لم يشيروا اليه . ولكن لدينا أدلة بينة تثبت صحة قولنا وهي :

أولاً – جاء في الصفحة الاولى من النسخة التي بين ايدينا العبارة التالية: « كتاب الجراثيم : مستوعب لاسماء أصول العلم والبهائم والوحش والطير والسباع والهوام وكل نسمة تعرف ومتصرفاتهم وأفعالهم واسماء أنواع الارض والشجر والنبات وغير ذلك والعروض وقوافي الشعر تأليف ابي محمد عبد الله بن مسلم بن عبد الله بن قتيبة » اه

ثانياً – ذكر مؤرخوه اسماء كتب هي مجموعة كلها او مختصرها في هذا الكتاب كما اشرنا في الفقرة الثانية

ثالثاً – ان الفصول التي نقلها الاب لويس شيخو ، وناشر كتاب (فقه اللغة) هي منقولة عن هذا الكتاب وذكر الاخير اسم كتاب الجراثيم

فهذه الادلة الثلاثة التي سردناها تثبت صحة نسبتنا هذا الكتاب لابن قتيبة ، ونؤكد ان كتاب الجراثيم هو جامع او مختصر للكتب التي وضعها ابن قتيبة في اللغة

٥ – وصف الكتاب

ان كتاب الجراثيم هو من خيرة الكتب اللغوية التي تحتاج الامة اليها وتتعطش لأمثالها لما يحتويه من الفوائد الجلى والشوارد النادرة

وهو في مجلد ضخم بلغ عدد صفحاته (٤٣٩) بقطع الربع وتستوعب كل صفحة ما بين ١٤ – ١٥ سطراً بخط منقوط . أما ورق النسخة فهو ليس من الورق المتين ولذلك ترى اكثر صفحاته بالية ، اكلها العث ومخرومة في أكثر المواطن ، والبعض ملصق عليها ورقة بيضاء . وقد ترك الناسخ محلات كثيرة بيضاء لعله لم يتمكن من قراءتها في النسخة التي نقل عنها ، فعسى ادارة المكتبة تهتم بنسخ نسخة ثانية من هذا الكتاب حتى اذا ما بليت الاولى بقيت الثانية . اما تاريخ نسخها فلم نقف عليه لأن الصفحة الأولى بل قسماً منها ناقص فالصق مكان هذا ورقة بيضاء ولم نقرأ الا هذه الكلمات : « . . . بحكم البيع والشرى أي على المعروف بابن . . . الآمدي في سابع جمادى . . . من سنة ... شهر . . . . » اه . ويغلب على الظن انها كتبت في

القرن السابع أو الثامن من الهجرة

٦ ـ محتويات الكتاب

قسم الكتاب الى كتب وابواب وكل باب يتضمن بحثاً مستقلاً وقد ذكرنا فيما مضى اكثر ابحاثه وهو بهذا اشبه بكتب (فقه اللغة) وتهذيب الالفاظ ومؤلفات الاصمعي وقد جاء في مقدمته :

« بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين اله المخلوقين . فالملائكة عالم والجن عالم والانس عالم والطير عالم والوحش والانعام عالم وكل جنس من الروحانيين كذلك مما له حواس والحشرة ما كان من الهوام وصغار دواب الارض مثل الخناطيب والجملان (والاصح الجعلان) والنمل والحيات والاساريع واليرابيع هو اسم جامع لذلك كله . فالعالم البريئة فعيلة معنى مفعولة من برأ الله الخلق اي خلقهم وذراهم من قوله يذرؤكم في بطون امهاتكم والطمش الخلق كلهم من الناطقة قال :

وما نجا من حشرها المحشوش وحش ولا طمش من الطموش . . . »

ثم يتلو المقدمة ابحاث الكتاب واول الابواب باب النفس والجسم والشخص وهنا يأتي على مسميات اعضاء الانسان كالرأس والانف والعنق واللحية والشعر و و ثم يتلوه ابواب أخر ، ومما جاء في احد ابوابه صفحة ٨٠ تحت عنوان (الداهي من الرجال والجمال والقبح وقسمة الرزق وغشيان النفس) :

« قد مضى القول في الداهي من الرجال واما الجمال فهو القسام والحسن والنهطيم (والاصح التطهيم) والوسامة والمسيم (والاصح الميسم) والوضاءة والشعشاع الحسن . ومثله السدغم مع عِظَمٍ . الاسجع الحسن المعتدل . والمختلق التام الخلق والجمال ويقال عليه عقب السرف والجمال اي اثر ذلك . والشتيم القبيح الوجه الدميم . ويقال من الرزق رجل حظيظ جديد اي ذو حظ من الرزق ورجل محظوظ ومجدود وفلان احظ من فلان واجد منه ، احظيت فلاناً على فلان من الحظوة والتفضيل ، حَظظتُ في الامر احظ حظاً وجمع الحظ احظٌ وحظوظ وحظاء وليس هو على قياس

« ويقال من الغشيان لمست نفسه لمساً وتمقست تمقساً وتبغثرت تبغثراً اذا غثت وغاثت ورانت تغين وترين وجاشت فاذا اردت انها ارتفعت من حزن او فزع قلت

جشأت وعند الزعل في قيئه اعتاداً اذا اتبع بعضه بعضاً ولم ينقطع وقد اثع القيء من فيه اثاعاً وكذلك الدم من الانف مثله اماع الرجل اثاعه اذا قاء » ا ه

والكتاب يحتوي على ابواب للنوادر كباب نوادر مثل حب وباب نوادر الاسماء وباب نوادر الفعل . ومن هذه النوادر ما جاء في الصفحة ٤٩٦ تحت عنوان

باب نوادر الاسماء

البئت الرجل الذليل وجمعه ابرأت . العرزخ الحاجز بين شيئين . درهم قسي مثال دعى كأنه اعراب قاتي الوَبم ما تفضل من السهام اذا اقتسموه فلا يبلغهم فيعطون الجذار.اصابت الاعراب القحمة وقد اقحموه وأقحموه. العبقة ساحل البحر شين عباقية اي له اثر باق. والوشيج من كل شيء الكثيف. الاوبة ما خبأته من غيرك واخفيته . النفهوق مثل التملق . الوبيل الحزمة من الحطب والوبيل العصا . الوطأة الدهماء الجديد والغبراء الدارسة ويقال الوطأة الحمراء الجديدة والسوداء الدارسة . الدوبة الضراوة وقد درب يدرب . . .

وفي آخر الكتاب باب عن عيوب الشعر واسماء القوافي يستوعب تسع صفحات أو اكثر وينتهي الكتاب بكلمتي (آخر الكتاب) فقط

٧ : كتب اخرى للمؤلف

وفي المكتبة الظاهرية مصنفات اخرى لابن قتيبة نادرة نذكر اسمها تتمة للبحث وهي

١ ــ غريب القرآن الكريم : جلد واحد (لغة : رقم ٣٣) ناقص
٢ ــ « الحديث : الجزء الاول (لغة : ٣٤)
٣ ــ « « : الجزء الثالث (لغة : ٣٥) ناقص

هذا ما تيسر لي كتابته عن ابن قتيبة وكتابه (الجراثيم) خدمة للادب والتاريخ

دمشق الصحافي المحجوب

رجاء الى مكاتبينا الكرام

نكرر رجاءنا الى مكاتبينا الكرام بان يفصلوا بين المكاتبات الخاصة بالمطبعة والادارة والمكاتبات الخاصة بالتحرير

فالاولى تعنون باسم « مدير الهلال » والثانية باسم « محرر الهلال »

العائلة والمنزل

مرض الزهري

وما يجب على الجمهور معرفته عنه

عرفنا منذ سنوات غنياً من كبار الاغنياء الاوربيين كان يسوح في بلاد الشرق مع زوجته وابنه الوحيد . وكان هذا الرجل في حالة من الكدر والحزن لا توصف وذلك لان ابنه الوحيد كان مصاباً منذ طفولته بالصمم والعمى وقد شب على ذلك وكبر فاصبح مثل الحيوان في جميع أطواره . ومما زاد حزن الوالد علمه اليقين بانه هو الجاني على ولده اذ انه كان مصاباً بالمرض الذي نحن بصدده فتزوج رغم ذلك ونقل مرضه الى ابنه الذي كان لسان حاله يقول : « هذا جناه ابي عليَّ »

وهناك امثلة اخرى كثيرة من هذا النوع تبين نتائج هذا المرض الخبيث في المصاب وفي ذريته . وقد جرت العادة التي لا مبرر لها ان يعد الزهري من الامراض السرية التي لا يحسن ذكرها أو الاشارة اليها في المجلات العلمية والادبية . غير ان كثرة انتشار هذه الامراض وشدة فتكها اضطرتا أصحاب العقول المفكرة في الامم الغربية من الاطباء والكتاب والمصلحين الى كشف الستار عنها ونشر المعلومات المفيدة الخاصة بها بل قد اقترح اخيراً على الحكومة الانكليزية ان تجعل تدريس هذه المسائل الخطيرة اجبارياً للتلاميذ الذين تبلغ سنهم ١٤ سنة فما فوق

وينشأ هذا المرض عن ميكروب معروف ينقل بطرق مختلفة أهمها الالتصاق بالمريض أو تقبيله أو استعمال أواني اكله وشربه الملوثة أو بعض ادواته كالموسى وقم السيجارة والغليون والمناشف وغير ذلك

ومن الحوادث المذكورة في كتب الطب ان حوذياً كان مصاباً بهذا المرض اعتاد أن يضع طرف سوطه في فيه وبينما كان يضرب الخيل مرة أصاب طرف السوط انف أحد المارة فجرحه ونتج عن هذا الجرح ان الرجل اصيب بالزهري وظهرت عليه كل أعراضه . ومما يؤسف له ما يحصل حتى يومنا هذا في بعض المدارس الكبيرة عند تلقيح التلاميذ بمصل الجدري لوقايتهم منه فالغالب ان يلقحهم الطبيب بمشرط واحد

من وعاء فيه المصل ويغفل تطهير المشرط بعد تطعيم كل تلميذ . ولا يخفى ما في ذلك من الخطر الشديد فقد يكون أحد التلاميذ مصاباً بالزهري أو بغيره من الامراض المعدية فينتقل المرض بواسطة المشرط الى بعض زملائه . واذا كان ضمير بعض الاطباء قد مات الى هذه الدرجة فتنصح للتلاميذ وهم كثيرون من قراء هذه المجلة أن يمتنعوا عن التطعيم الذي يكون على هذا المنوال ولا يستسلموا للضعف والتساهل كما حصل في الماضي وعلمنا به من بعضهم

ويظهر المرض في المصاب بعد ثلاثة او أربعة أسابيع من تاريخ العدوى وذلك بظهور قرحة في مكان الاصابة وبعد ذلك بستة أسابيع على وجه التقريب تظهر الاعراض المعروفة بالاعراض الثانوية وهي طفح أي حمو على الجسم كله خصوصاً الصدر والظهر ومن خواصه ان لا يكون مصحوباً بحك (هرش) وبعد ذلك بسنتين أو ثلاث تظهر أعراض الدرجة الثالثة وهي أورام وقرحات مختلفة ليس هنا محل شرحها

وتختلف أطوار هذه الدرجات من حيث ظهورها وشدتها وسيرها باختلاف نوع الميكروب وطريقة المعالجة والاسراع او الاهمال فيها

واذ كانت مسألة الزواج والذرية من أهم ما يشغل بال المصاب بهذا المرض رأينا أن نذكر في ما يلي بعض المعلومات التي نعتقد عظم فائدتها وضرورة معرفتها فنقول: ان الطفل المولود وبه هذا المرض لابد ان امه كانت مصابة به . فهي اما ان تصاب قبل الحمل او أثناءه او بعده . وفي هذه الاحوال الثلاثة يولد الطفل مصاباً بالمرض . ومن المحقق انه في ثلثي الحوادث التي تصاب فيها الام بهذا المرض أثناء الحمل او قبله بمدة قصيرة يموت الطفل في بطنها أو بعد ولادته بقليل . وتضعف وطأة المرض من حيث تأثيره على الحمل مع مرور الزمن

وهنا يجدر بنا أن نقول ان الوالدين اللذين مرت عليهما أربع سنوات من تاريخ العدوى عولجوا أثناءها علاجاً وافياً يرزقان أولاداً أصحاء . وعلى الغالب ان الذين مرت عليهم سنتان فقط عولجوا فيهما معالجة جيدة وافية يرزقون أيضاً أولاداً أصحاء . اما الذين مرت عليهم سنة واحدة فالغالب أن تكون النتيجة فيما يختص بالحمل سيئة جداً الا اذا عولجت الام طول مدة الحمل علاجاً وافياً مستمراً . غير انه مما يؤسف له ان بعض العائلات بالرغم من مرور السنين الطويلة والمعالجة الوافية بقيت

حالتها المرضية فيما يختص بالنسل على ما كانت عليه . فقد ذكر الاستاذ فورنيه الفرنساوي انه عرف امرأة حملت ١٩ مرة وكانت تضع طفلاً ميتاً في كل مرة بالرغم من مرور الزمن والاعتناء بعلاجها

يستنتج بما تقدم ان المصاب بهذا المرض يجب أن لا يقدم على الزواج الا بعد أن ينقي دمه تماماً بمرور الزمن الكافي والمعالجة الوافية ويجب أن يقدر تماماً عظم المسؤولية الواقعة عليه نحو زوجته ونسله وانه قد يرزق أولاداً اذا عاشوا كانوا عالة عليه وعلى الانسانية لما يكونون عليه من ضعف الجسم والعقل . واذا أقدم شاب على الزواج بالرغم من هذه النصائح وجب أن يعالج علاجاً وافياً مستمراً وكذلك الزوجة طول مدة الحمل في حالة حصوله . ولزيادة الايضاح نثبت هنا ما يأتي :

(١) ان الزهري ينتقل غالباً بالوراثة اذا كان الوالدان في وقت الحمل في أول سني اصابتهما به

(٢) ان قابلية انتقاله بالوراثة تخف بالتدريج من السنة الاولى الى السنة الثالثة . ويندر ظهورها بعد السنة الرابعة

(٣) ان مرور الزمن مع المعالجة الوافية يؤثران في قابلية انتقاله بالوراثة بحيث انه بعد السنة الرابعة يمكن القول بانه لا ينتقل

(٤) ومع ذلك لا يمكن الجزم بتاتاً بعدم انتقاله حتى بعد السنة الرابعة وانما يقال بالاجمال ان الحوادث التي من هذا القبيل نادرة جداً يمكن اغفالها

الدكتور ميشيل سمعان

طول القناة الهضمية

يختلف طول القناة الهضمية في الحيوانات باختلاف الاطعمة التي تتناولها . فهي طويلة في الحيوانات التي تعيش على الاعشاب ومتوسطة في الحيوانات التي تعيش على الاثمار وقصيرة في الحيوانات الآكلة للحوم

فطول القناة الهضمية في البقر أربعة اضعاف طول الجسم . وفي الكلاب خمسة اضعافه . وفي الخيل ١٢ ضعفاً وفي الثيران ٢٠ ضعفاً وفي الغنم ٢٦ ضعفاً . أما الانسان فطول قناته الهضمية نحو تسعة اضعاف طول جسمه . وقد استدل بعض الاطباء من توسطه في ذلك على ان الطبيعة قد اعدته لاكل الاثمار لا لاكل اللحوم

عجائب المخلوقات



فتاة تضحى لشجرة في جزيرة مدغشقر

شجرة تبتلع البشر

سئلنا في الجزء الخامس من هذه السنة هل يوجد نبات يبتلع البشر فاجبنا « ان المعروف هو ان بعض أنواع النبات تمتص الحشرات والهوام والطيور الصغيرة . ولكننا لم نسمع بشجرة تستطيع ابتلاع انسان او حيوان كبير »

على اننا لم نلبث بعد ذلك قليلاً حتى أرسل الينا الاديب حبيب افندي فارس فرزلي نزيل نيويورك مقالة نشرت في احدى جرائد اميركا فيها تفاصيل غريبة عن

شجرة تنبت في جزيرة مدغشقر تعبدها احدى قبائلها المتوحشة وتقدم لها الضحايا من فتياتها فتفترسها . فرأينا تلخيص هذا الخبر مع ابداء التحفظ بشأن صحته

اعتمد كاتب المقالة المتقدم ذكرها ـ وهو الدكتور ب . ه . وليم احد العلماء النباتيين الاميركيين ـ على ما نشره الدكتور كارل ليش الالماني Karl Leche في « جريدة كارلسزوه العلمية » المعروفة على اثر سياحة قام بها في جزيرة مدغشقر واليك زبدة حكايته قال :

« قصدت برفقة أحد الاهالي القسم الجنوبي الشرقي من الجزيرة حيث تقطن قبيلة المكودوس Mkodos المتوحشة ... ودين هذه القبيلة يدور على عبادة شجرة مقدسة هي بلا ريب من اندر نوادر الطبيعة . وهم يقدمون لها الضحايا . . . .

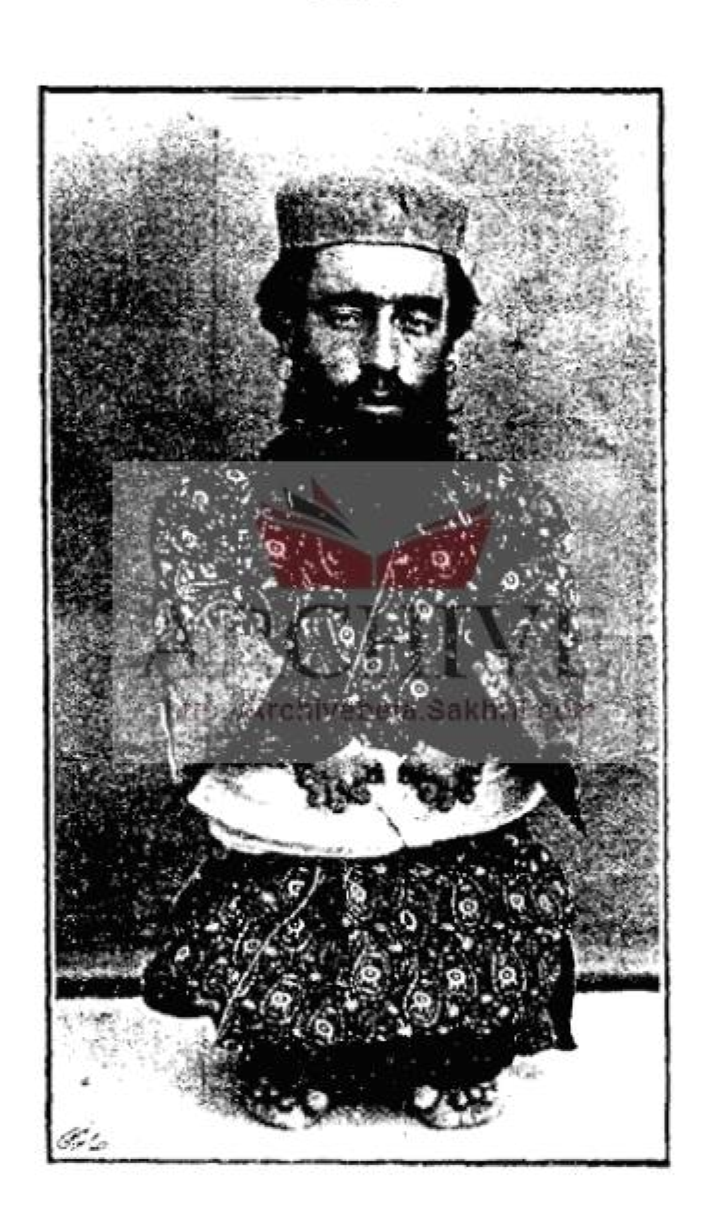
« اما هذه الشجرة المقدسة فمنظرها من أغرب المناظر ويندر أن يرتفع جذعها أكثر من عشر أقدام عن الارض وهذا الجذع مستدير الشكل « كالبرميل » وعليه قشر شبيه بالفسيفساء . . . وفوق الجذع صحن نباتي كبير . ويتدلى من قمة الشجرة ثماني أوراق عظيمة الحجم يبلغ طول الواحدة بين ١٠ و١٢ قدماً اما عرضها فقدم واحدة عند اتصالها بالجذع ثم تزيد الى قدمين ثم تخف تدريجاً حتى ينتهي بطرف حاد كرأس الابرة . وعلى سطح كل ورقة أشواك كبيرة سامة ... وظهر لي ان الصحن الراكز على أعلى الجذع يحوي عصارة حلوة سامة ويتراءى لي ان الغرض منها اجتذاب الطيور للفتك بها . . .

« وفي أحدى الليالي جاءني دليلي وقال لي أن الفرصة المنتظرة قد سنحت وانه سيتاح لي ان أرى بعيني حفلة التضحية . فلما خيم الظلام تبعت أهل القبيلة الى داخل الغابة وكنت قد قدمت هدية الى رئيسها حتى يأذن لي بحضور الاحتفال . فلما بلغوا الشجرة المقدسة حتى اشعلوا النيران حولها وجلسوا يأكلون ويشربون ويرقصون...

« ثم سكت الجميع فجأة ونظرت فرأيت فتاة على وجهها أشد علائم الذعر فعلمت انها ضحية ذلك الاحتفال . . . ثم التف حولها فريق من المجتمعين وأخذوا يصيحون بها ويأمرونها أن تصعد على الشجرة . . . فترددت ولكنها لما رأت ان لا نجاة لها تقدمت نحو الشجرة وصعدت الى اعلاها فركعت وشربت من السائل المقدس

« . . . اذ ذاك أدركت سر الامر فان تلك الشجرة التي كانت جامدة في مكانها ما لبثت ان تحركت فالتفت حول عنق الفتاة فروع مدلاة من الجذع وضغطت عليه

فلم تستطع الفتاة ان تفلت بالرغم من تخبطها الشديد ثم تحركت الاوراق الكبيرة باشواكها وأخذت ترتفع ببطء حتى أحاطت بجسمها الدامي فعصرته عصراً ... »



خلقة عجيبة

ارسل الينا الكاتب المفضال الاستاذ نوبخت صاحب جريدة بهارستان الفارسية الصورة المنشورة اعلاه كأنموذج من شذوذ الخلقة . والرجل فارسي واسمه هرمز وهو ساكن في بلدة كازرون في فارس

السؤال والاقتراح

(١) لا تنشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء . فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا اصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي ان تذكر مع الاسئلة اسماء مرسليها على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بحرف او بكلمة عند النشر

اعتذار

ورد علينا في الآونة الاخيرة عدد عظيم جداً من الاسئلة . ولما كان المكان المخصص لهذا الباب في الهلال لا يزيد على بضع صفحات فاننا نضطر الى النظر في اهم الاسئلة واكثرها فائدة

ونكرر هنا ما قلناه غير مرة وهو اننا لا نتعرض في هذا الباب لما له مساس بالمسائل الدينية والسياسية . كما اننا قد نغفل الاسئلة الشخصية التي لا تفيد جمهور القراء ، والاسئلة التي سبق لنا الرد عليها . وهناك طائفة من الاسئلة من قبيل الاحجي لا يستطاع الرد عليها . فالسكوت في هذه الاحوال يفيد اضطرارنا الى غض النظر

تاريخ الكهرباء

﴿ ابو ضربه . سيناء ﴾ ابرهيم محمد زين الدين

جاء في هلال فبراير سنة ١٩٢١ رداً على سؤال « ان اول من استعمل كلمة Electricity هو العالم وليم جلبرت (١٥٤٤ - ١٦٠٣) » ومن هذا يفهم انه اول واضع لها . على ان الذي ذهب اليه التحقيق العلمي في فن الكهرباء هو ان اليونانيين هم الذين اطلقوا هذا الاسم حتى لقد قرىء في كتابات الفيلسوف ثاليس Thales في سنة ٦٠٠ قبل الميلاد اي منذ ٢٥٠٠ سنة . وظاهر في مباحثات هذا الفن ان الكلمة اليونانية للفظ الافرنجي Amber الذي معناه الكهرباء تنطق هكذا Electron واسمها في اللاتينية Electrum ومن هذه اشتقت كلمة Electricity . فهل لكم ان توضحوا لنا هذه المسئلة ؟

﴿ الهلال ﴾ لقد اعتمدنا فيما كتبناه على الطبعة الاخيرة (الحادية عشرة)

من الانسكلوبيديا البريطانية . وبقولنا ان وليم جلبرت كان اول من استعمل كلمة Electricity و Electric لم نقصد انه اول من تنبه الى خاصة الجذب الكامنة في بعض المواد . فقد عرف هذه الخاصة الاقدمون كما ذكرتم . واطلقوا كلمة Electron على مادة الكهرباء التي تجذب التبن وغيره . أما وليم جلبرت فقد اشتق منها كلمة Electric واطلقها على طائفة من الظواهر المتشابهة فخرج بذلك من التخصيص الى التعميم

بيض عيد الفصح

﴿ بيروت سوريا ﴾ ع . ب .

ما أصل العادة المنتشرة اليوم الفاشية بسلق البيض وتلوينه في عيد الفصح ؟

﴿ الهلال ﴾ ان عادة تلوين بيض الفصح قديمة جداً يعزى تاريخها الى ما قبل المسيح باجيال . ويروى ان المؤمنين كانوا يكرسون يوماً من سنتهم ليحتفلوا فيه ببدء الربيع وكانوا يقضونه بين اللهو والقصف واللعب والرقص ومن جملة عاداتهم في هذا اليوم تلوين البيض اشارة الى مناظر الطبيعة المدبجة بالازهار على اختلاف اشكالها والوانها . بيد اننا لم ندر متى أدخلت هذه العادة في الديانة المسيحية وانتشرت بين معظم المسيحيين . ومهما يكن من الامر فالمخيلة المسيحية قد وضعت لهذه العادة تقاليد شتى لا بد من ذكرها لنا فيها من الفكاهة والافادة : يروي البعض ان القديسة مريم المجدلية بعد وفاة السيد وقيامته قصدت رومية المدينة الشهيرة اذ ذاك رغبة في مواجهة القيصر . فمثلت بين يديه وشكت له قساوة بيلاطس والي اليهودية نحو سيدها وكانت عبرات الحزن والتلهف تجري على وجنتيها . وقدمت له بيضة حمراء اشارة الى دم السيد . فطيب القيصر قلبها الحزين ووعدها خيراً بالاستقصاء عن هذا الامر ومحاكمة المعتدين . ويزعم آخرون ان احدى الآنسات الاسرائيليات اتفق انها حملت في حجرها عدداً من البيض ومرت بصديقة لها مسيحية فبادرتها الثانية بالسؤال التالي « أتعلمين ايتها الصديقة ان سيدنا له المجد قد قام من الاموات ؟ » فاجابت الاسرائيلية لا أصدق ذلك ان لم يتلون ما في حجري من البيض وهكذا كان . وقال غيرهم غير ذلك

اكاليل غليوم على قبر صلاح الدين

﴿ اسكندرية ﴾ فؤاد مشنوق

قرأت في الجزء السابع من هذه السنة من الهلال ان الا كليل الذي وضعه غليوم الثاني على قبر صلاح الدين موجود اليوم في متحف الحرب بلندن. فمتى وكيف نقل اليه ؟

﴿ الهلال ﴾ انه نقل على ما نرجح على اثر دخول الانكليز الى دمشق الشام . ومتحف الحرب المذكور يحوي الآثار التي استولى عليها الانكليز في الحرب الاخيرة في جميع الميادين مما له قيمة تاريخية او فنية او صناعية

جامعة الدين او جامعة اللغة ؟

﴿ منتريال . كندا ﴾ فضلو ابي كلام ؟

دارت مناقشة بيني وبين احد معارفي على هذا الموضوع : باي الجامعتين تتوطد الوطنية الحقة — الجامعة الدينية او الجامعة اللغوية . وقد قلت بافضلية الجامعة اللغوية . فما رأيكم في ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ ان السؤال الذي طرحتموه لا يخطر لاحد أهل الدول الغربية المصريين . فقد ثبت وتقرر في أذهان هؤلاء ان القومية في هذا الزمن لا ترتكز على الجامعة الدينية وهم لا يترددون في اعتبار جامعة اللغة في المقام الاول . على ان للقومية أركاناً أخرى غير اللغة كالوحدة الجغرافية واشتباك المصالح الاقتصادية والاشتراك في التاريخ والتقاليد والعادات . أما الدين فقد كان له شأن عظيم في التاريخ السياسي ولكن شأنه ما برح يقل من هذا القبيل وليس أدل على ذلك من النظر الى الحرب الاخيرة فقد قام فيها الكاثوليكي ضد الكاثوليكي والبروتستنتي ضد البروتستنتي وما ذلك الا لان الجامعة القومية قد تفوقت على الجامعة الدينية — أو بعبارة أخرى لان التمدن الحديث ليس قائماً على العصبيات الدينية . على أننا لا ننكر أن رابطة الدين كانت ولا تزال ذات شأن كبير في الشرق . ولكن الاجدر بنا أن ننظر الى الامام لا الى خلف . فاننا اذا شئنا حقاً مماشاة العالم المتمدن فمن الحتم علينا ان نخفف وطأة التأثير الديني في نفوسنا من الجهة السياسية

مخترع التلغراف اللاسلكي

﴿ جيراردوت . كولومبيا ﴾ يوسف نادر

ذكرتم في هلال شهر فبراير ان مخترع التلغراف اللاسلكي هو الاستاذ برانلي الفرنسي . وقد اطلع نفر من الاصدقاء على ذلك فانكروه وقالوا ان مخترعه انما هو ماركوني الايطالي . فنرجو ان تفصلوا في هذه المسئلة وتبدوا رأيكم الصريح

﴿ الهلال ﴾ يندر أن تكون الاختراعات ذات الشأن من عمل رجل واحد وانما الغالب أن يبدأ احدهم البحث في الاختراع ثم يأتي بعده من يتوسع فيه وهلم جراً الى أن يتم الاختراع ويكمل . وهذا شأن التلغراف اللاسلكي فان لكل من الاستاذ برانلي الفرنسي وماركوني الايطالي قسطاً كبيراً في ابرازه وانما البادئ كان برانلي فهو الذي وضع الاساس العلمي ثم جاء ماركوني وتوسع في تطبيق ذلك الاختراع والاستفادة منه عملياً .

الذكاء الشرقي والذكاء الغربي

﴿ بوكارامنجا . كولومبيا ﴾ نخله لحود صافي

اختلفت مع صديق لي على الذكاء الشرقي ونسبته الى الذكاء الغربي . فقلت أن الذكاء الفطري في الشرقي أشد منه في الغربي . أما هو فقال عكس ذلك واستشهد بالاختراعات والاكتشافات التي أتاها الغربيون . وقد اتفقنا على استفتائكم فالرجاء أن تتكرموا بابداء حكمكم في هذا الموضوع

﴿ الهلال ﴾ لا يمكن الاعتماد على ما ظهر في الغرب من الاختراعات والاكتشافات للقول بتفوق الغربيين على الشرقيين في الذكاء . فان ازدهار المدنيات لا يتوقف على الذكاء وحده بل هناك عوامل أخرى اخطر منه شأناً كالثبات والمثابرة والاقدام وشدة الرابطة القومية الخ . وقد مضى زمن كان فيه صولجان السلطة في الشرق وكان الغرب اذ ذاك في ظلمات الجهل . فلا يجوز اذاً الاعتماد على الحالة الاجتماعية الحاضرة لتفضيل أحد الفريقين من هذا القبيل . فاذا تجردنا عن هذه الاعتبارات فان أقل ما يمكننا ان نقوله هو أن الذكاء الفطري في الشرقي ليس دونه في الغربي . على انا

نميل الى الاعتقاد بان الشرقي أحد ذهناً واسرع خاطراً ولا سيما اذا قارنا حدثاً شرقياً بحدث غربي فان علامات النجابة والذكاء تبدو على الاول اكثر مما تبدو على الثاني . على ان هذا الاخير لا يلبث ان ينمو في وسط راق ويتربى في مدارس راقية ويقتبس الصفات والاخلاق التي بنيت عليها عظمة الغربيين في حين ان الشرقي قلما يتاح له شيء من ذلك

ذئبة تلد طفلاً

﴿ أم درمان . السودان ﴾ الحاج البرير

اطلعت في احدى الجرائد المصرية على خبر منقول عن « الديلي ميل » الانكليزية وخلاصته أن سائحاً انكليزياً روى أنه شاهد في الهند طفلاً ولدته ذئبة . ولما كان هذا الخبر بعيداً عن التصديق جئت استطلع رأيكم فيه

﴿ الهلال ﴾ لا شك في أن الذئبة لا يمكن ان تلد طفلاً بشرياً . اما تعليل الرواية التي اشرتم اليها فيستدعي التثبت من تفاصيلها وشخصيات الذين رووها وليس لدينا من ذلك ما يتيح لنا ابداء رأي

عدد المتعلمين في سوريا

﴿ ولسن . اكلاهوما . الولايات المتحدة ﴾ عيد نقولا عدوان

بكم تقدرون نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة في سوريا الى عدد سكانها

﴿ الهلال ﴾ لم تعمل بعد احصاءات وثيقة للرد على هذا السؤال وانما يمكننا تقدير عدد عارفي القراءة والكتابة من أهل سوريا بوجه الاجمال (مع فلسطين) بنحو عشرين في المئة

مطبوعات جديدة

﴿ غاية الحياة ﴾ هي محاضرة القتها الآنسة مي في الجامعة المصرية في ٢٩ ابريل الماضي اجابة لطلب جمعية « فتاة مصر الفتاة » . وهي على صغر حجمها مستودع حكم وتأملات ونظرات سديدة في غاية الحياة ولا سيما غاية المرأة من الحياة . وخير ما يقال في هذه الرسالة انها ككل ما يخطه قلم كاتبتها النابغة ترفع النفس عن مستوى المهام العادية وتدفع الخيال الى الخوض في أسمى المباحث واعلاها قدراً

﴿ النبوغ ﴾ يحوي هذا الكتاب مقالات مختلفة في موضوع النبوغ وغيره من المواضيع وقد ضمنه مؤلفه لبيب الرياشي فوائد كثيرة ومعلومات متنوعة سبكها في اسلوب جديد . والكتاب مطبوع طبعاً متقناً وثمنه ليرة سورية وربع

﴿ شؤون مصرية ﴾ هذه مجموعة مباحث في السياسة الزراعية والسياسة المالية والتجارية والاقتصادية وسياسة التعليم في مصر بقلم الكاتب البحاثة القدير عزيز بك خانكي . وقد نشرت هذه المباحث قبلاً في الجرائد اليومية المصرية ثم جمعت في هذا الكتاب المفيد

﴿ كتاب القضاء المصري الاهلي ﴾ هو مجموعة دورية مرتبة على حروف الهجاء تشتمل على خلاصة القواعد القانونية المستخرجة من احكام المحاكم الاهلية المصرية جمعها والفها المرحوم ابرهيم جمال المحامي صاحب جريدة الحقوق . وبين أيدينا الآن المجموعة الثانية من سنة ١٩٠٩ الى ١٩١٩ عنيت بطبعها ونشرها مكتبة التأليف . ولا غنى عن هذا الكتاب لكل مشتغل بالقانون في هذا القطر

﴿ علم الاجتماع ﴾ يحوي مباحث عمرانية في تطور الاجتماع البشري وعوامل ترقي الشعوب . تأليف زكريا احمد رشدي منشىء مجلة الرشديات

﴿ مجموعة اجمالية ﴾ تتناول أهم المواد والاجراءات الادارية والجنائية لواضعها ابراهيم مصطفى الوايلي معاون ادارة مركز قويسنا (الطبعة الثانية)

﴿ نوادر الحرب ﴾ هي مجموعة قصص رسمية واقعية فكاهية مؤثرة . عني بجمعها يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب . ثمنها ١٢ قرشاً

﴿ رواية عبد الحميد وشرلوك هولمز ﴾ تبحث عن اعمال الوطنيين الاحرار الذين كرسوا نفوسهم وبذلوا أرواحهم لنيل الحرية ولا سيما أعمال صالحه خانم التركية

الباسلة التي جمعت في نفسها العزم الراسخ والبأس الشديد . طبعت على نفقة المكتبة العربية بحلب لصاحبها محمد صبحي بصمه جي

﴿ الرياضة البدنية ﴾ ظهر الجزء الاول من هذا الكتاب الذي يتم في عشرة أجزاء لواضعه سيد حسين البشلاوي وهو يحوي فوائد شتى عن الرياضة البدنية وفيه رسوم لمشاهير المصريين غاوي الالعاب الرياضية . اشتراك الكتاب ٥٠ قرشاً

﴿ كتاب بنت مصر ﴾ تحوي هذه الرسالة معلومات وارشادات ونصائح للفتاة المصرية الداخلة في فرقة الكشافات . وضعه محمد بسيوني بجريدة الاخبار بمصر

﴿ ضبط النيل ﴾ هو التقرير الرسمي الذي أصدره السير مردخ مكدونلد مستشار وزارة الاشغال وفيه ايضاح عن الضرورة القاضية بزيادة ضبط النيل اتماماً لاستثمار الاراضي المصرية واستثمار جانب معين من أراضي السودان

مجلات وجرائد

﴿ المرأة الجديدة ﴾ مجلة نسائية غايتها « بث روح التربية الاستقلالية وتحسين الحياة العائلية وترقية المرأة أدبياً وعلمياً واجتماعياً » تصدر في بيروت مرة في الشهر لمنشئتها السيدة جوليا طعمه دمشقية . وقد تصفحنا الجزء الاول من هذه المجلة فوجدناه يضارع أرقى المجلات في مواضيعه وتنسيقه واتقان طبعه مما يؤمل بان هذه المجلة سوف تبلغ الاغراض التي تسعى اليها . قيمة اشتراكها ٢٥٠ قرشاً سورياً في سوريا وجنيه انكليزي في الخارج

﴿ الفوائد ﴾ مجلة علمية أدبية اقتصادية اخبارية تصدر في بيروت مرة في الشهر لمنشئها خليل بك بدوي صاحب جريدة الاحوال الشهيرة . وقد عادت هذه المجلة الراقية الى الظهور بعد أن احتجبت في السنوات الماضية . قيمة الاشتراك السنوي ١٥٠ قرشاً مصرياً

﴿ المجلة القضائية ﴾ تنشر القوانين والقرارات التي تصدر من الحكومة وتبحث في الشؤون والحوادث القضائية تصدر في بيروت مرة في الشهر لصاحبها يوسف ابراهيم صادر . اشتراكها السنوي ليرتان سوريتان في سوريا تضاف اليها أجرة البريد للخارج

﴿ زهرة الجبل ﴾ مجلة ادبية روائية اخلاقية تاريخية فكاهية تصدرها في حيفا المكتبة الوطنيـة مرتين في الشهر . محررها جميل البحري . قيمة اشتراكها ٦٠

قرشا في فلسطين و ٧٥ في خارجها

﴿ الكشافة المصرية ﴾ مجلة استكشافية ادبية شهرية مصورة تصدر في مصر مرة في الشهر لمديرها محمد توفيق بسيم . قيمة اشتراكها ٢٠ قرشاً في مصر و٢٥ في الخارج

﴿ المعرض ﴾ جريدة أسبوعية مصورة متقنة الطبع جميلة الاسلوب يصدرها في بيروت ميشيل زكور اشتراكها في سوريا ٥٠٠ قرش سوري وفي الخارج ٦٠٠

﴿ السلام ﴾ جريدة أسبوعية تصدر في كفر شيما (لبنان) لصاحبها رشيد نصر . قيمة اشتراكها ١٠٠ قرش سوري في سوريا عن ستة اشهر و ١٠٠ قرش مصري في الخارج عن سنة

﴿ الصباح ﴾ جريدة ادبية اجتماعية اخلاقية اسبوعية تصدر في مصر لصاحبها حسن حافظ . قيمة اشتراكها مئة قرش عن سنة في مصر و١٢٠ في الخارج

﴿ الاصلاح ﴾ جريدة ادبية سياسية جامعة تصدر مرة في الاسبوع في اوليفايرا بالبرازيل لصاحبيها سعيد معار ونجيب الصحراوي. بدل اشتراكها ٢٠٠ قرش في البرازيل و ٢٥٠ في الخارج

﴿ المؤدب ﴾ جريدة ادبية اجتماعية انتقادية اسبوعية تصدر في بور سعيد لصاحبها محمود حلمي جمعه . قيمة اشتراكها ١٠٠ قرش داخل القطر و ١٢٠ خارجه

﴿ الامة ﴾ جريدة تبحث في السياسة والادب تصدر في تونس لمديرها الحاج علي بن مصطفى ومديرها السياسي عبد العزيز المحجوب . قيمة اشتراكها في تونس ٢٠ فرنكا وفي الخارج ٣٠ فرنكا

﴿ سوريا الشهيدة ﴾ جريدة ادبية سياسية انتقادية تصدر في حلب مرتين في الاسبوع لصاحبها انطون يوسفاكي شمرواي . قيمة اشتراكها ٧٥ قرشاً مصرياً

﴿ المرصد ﴾ جريدة ادبية انتقادية علمية تصدر في بني سويف مرة في الاسبوع لمحررها ومديرها عبد العزيز الجيالي . قيمة اشتراكها ١٠٠ قرش في مصر و ١٥٠ في الخارج

﴿ الشفق ﴾ جريدة سياسية ادبية تصدر في حلب باللغتين العربية والتركية ثلاث مرات في الاسبوع لصاحبها ورئيس تحريرها زكريا رضا قيمة الاشتراك ٣٠٠ قرش سوري عن سنة في سوريا و ٤٠٠ في الخارج

النهضة الوطنية الهندية

وزعيمها غاندي المسمى « طولستوي الهند »

ان العقبة الكؤود دون حل المشاكل السياسية في الاقطار الشرقية عامة هي صعوبة التوفيق بين اساليب الاستعمار القديمة والمنازع الجديدة التي نفثتها الحرب في صدور الناس . فان علاقات الغرب بالشرق لم ترتكز فيما مضى الا على حق الفتح — اي على سيطرة القوي على الضعيف . ولم يكن ليعكر جو السياسة الاستعمارية أو ليشغل بال رجالها في العصور السالفة شيء من المبادىء والعقائد التي ذاعت اليوم وانتشرت بين الناس فجعلتهم قائمين قاعدين لا يهدأ لهم بال ما لم يحققوها

فمسئلة المسائل التي يبغي رجال السياسة حلها في هذا الوقت هي : كيف يمكنهم أن يحافظوا على ما احتازوه بلا حق من دون صدم الاماني القومية والرغبات الوطنية صدماً أليماً يحرج الشعوب ويدفعها الى ما لا تحمد عقباه . أوبعبارة اخرى انهم يريدون تخدير الاعصاب وتسكين الاماني والرغبات المتأججة في الصدور من دون أن يمس سلطانهم في جوهره . فالسياسة الاوربية الحاضرة لا تود في حقيقة الامر أن تتنزل عن شيء من مصالحها وامتيازاتها في الشرق ولكنها مع ذلك لا تستطيع اغفال ذلك التيار الشديد الذي ما برح يتضخم جاذباً اليه شعوب العالم كافة . فغايتها أن تحتال على التيار وتداريه حتى تسيطر عليه وتصرفه الى الجهة التي توافقها

لذلك نعتقد ان عهد الاضطراب في البلاد الشرقية ليس بقصير الامد : فان الدول الاوربية من جهة لن تتنزل بسهولة عما في يدها من السلطة السياسية والاقتصادية بل سوف تقاوم في سبيل الاحتفاظ بها أشد المقاومة . ومن الجهة الاخرى لا ينتظر أن تخمد تلك النيران المتأججة في صدور الشرقيين بل أن جميع الدلائل تدل على ان الروح القومية آخذة في النمو والتجسم . فمن ثم منشأ التصادم بين الفريقين — ذلك التصادم الذي نعتقد انه سيحول زمناً غير يسير دون استكانة الشرق وانصرافه الى ما هو في أشد الحاجة اليه من التجديد والتعمير . وما حكم الهند من هذا القبيل الا حكم سائر الشعوب الشرقية . فان ما انتابها من الاضطراب يشبه في أسبابه واعراضه ما انتاب مصر وسوريا وفلسطين والعراق الخ .

النهضة الوطنية الهندية

يخطىء من يشبه البلاد الهندية بقطر أو مملكة من الاقطار والممالك المعروفة. فانها في الحقيقة أشبه بقارة تحوي دولاً مختلفة منها بدولة واحدة مؤلفة من شعب واحد. فاهل الهند نحو خمس سكان الكرة الارضية (٣١٥ مليوناً حسب أحصاء سنة ١٩١١) وهم يتكلمون نحو ٢٠٠ لغة ويدينون باديان مختلفة (على ان القسمين الكبيرين من حيث الدين هما : الهندوس وعددهم ٢١٨ مليوناً والمسلمون وعددهم ٦٧ مليوناً)

ولكن بالرغم من ذلك لا يسع المتأمل في أحوال تلك البلاد العظيمة الا أن يلحظ تضاؤل هذه الفوارق شيئاً فشيئاً واستظهار الرابطة القومية عليها جميعاً . فقد أخذ الهنود يلتفون حول جامعة الوطن ونبذوا ما كان يفرقهم من الجامعات الاخرى . فالهندوس والمسلمون متحدون الآن في أغراضهم كاتحاد المسلمين والاقباط في مصر والسنيين والشيعيين في العراق والمسلمين والمسيحيين في فلسطين الخ . وما ذلك الا لانه في عالم السياسة - كما في غيره - تترتب نفس النتائج على نفس الاسباب

يرجع تاريخ الحركة الوطنية الهندية الى ما قبل الحرب الاخيرة ولكنها كانت محدودة المدى لم تتعد طبقة معينة من المستنيرين . فلما جاءت الحرب وانتشرت المبادىء والعقائد الجديدة اذكت ما كان كامناً في صدور الهنود وكان ما كان من التصادم بين الحكومة الانكليزية والشعب الهندي

وقد شعرت الحكومة الانكليزية عقب انتهاء الحرب بضرورة ملافاة الحالة والعمل على تعديل نظام الحكم في الهند واشراك الهنود في تدبير امورهم وتنظيم احوالهم. فقدم المستر منتاغو وزير الهند في البلاد الانكليزية بالاشتراك مع حاكم الهند السابق لورد شلمسفورد تقريراً ضافياً الى البرلمان الانكليزي يرمي الى منح الهنود شيئاً من الاستقلال الداخلي.

ولكن قبل المناقشة في هذا التقرير والعمل باقتراحاته كانت الحالة في الهند قد تفاقمت وحدثت فتن واضطرابات في جهات كثيرة . فشرعت الحكومة في اخمادها واستعملت العنف للوصول الى غرضها ولاسيما في مذبحة « امرتسر » الشهيرة في ٢١ ابريل سنة ١٩٢٠ حيث قتل ٥٠٠ هندي وهندية في ربع ساعة وجرح نحو ١٥٠٠ . وكان الباعث الاول على قيام الاهلين قانون « رولت » الذي اصدرته الحكومة

وخولت لنفسها بمقتضاه حق القبض على كل من تشك في امره ومحاكمته محاكمة عرفية وقد سمى الهنود هذا القانون « بالقانون الاسود »

ومع ان الحكومة الانكليزية اقالت الجنرال « داير » الذي أساء التصرف في قمع الفتنة وغالى في استعمال الشدة بلا مبرر فان الصحافة الانكليزية والجمهور الانكليزي اظهرا أشد العطف عليه . وقد جمع مبلغ من المال بالاكتتاب العام وقدم اليه تقديراً لاعماله . فكان ذلك مما زاد في نفور الهنود واساءتهم الظن

وقد أجمل المستر ألس باركر الكاتب الانكليزي أهم اسباب الاضطراب في الهند بما خلاصته : « ان اسباب ذلك الاضطراب كثيرة : فمنها نهضة الشبان المتعلمين الذين لم ترضهم حالة بلادهم لتشربهم روح الاستقلال والديمقراطية ومن هؤلاء فئة كبيرة تعلمت في انكلترا . ثم ان انتصار اليابان على روسيا قوّى الشعوب الشرقية وشجعها على تحقيق امانيها . أضف الى ذلك فكرة استقلال الشعوب وحقها في تعيين مصيرها وسائر ما ولدته الحرب الاخيرة من العقائد السياسية التي رسخت في النفوس. ولا ينكر أيضاً سوء تصرف بعض الموظفين الانكليز في الهند واساءتهم للهنود بطرق شتى . وقد كان أخيراً للثورة الروسية ولمساعي البلشفيك والالمان والارلنديين قسط غير يسير في اذكاء الاضطرابات »

* * *

وفي ديسمبر سنة ١٩١٩ أصدر البرلمان الانكليزي قانوناً لتعديل نظام الحكم في الهند مبنياً على تقرير المستر منتاغو ولورد شلمسفورد المتقدم ذكره . ونيط بدوق كنوت عم الملك افتتاح العهد الجديد بالنيابة عن الملك فقام بمهمته منذ بضعة أشهر باحتفال كبير في دهلي عاصمة الهند

على أن الاضطراب لا يزال شاملاً البلاد الهندية بالرغم من تلك المساعي . وقد استدل أحد الصحافيين على ذلك بمراجعة عنوانات الاخبار المنشورة في جريدة تصدر في الهند . فقد ورد في صحيفتين اثنتين من عدد واحد من تلك الجريدة صادر في ٤ فبراير الماضي عشرون عنواناً كان ١٦ منها متعلقاً باخبار اعتصابات وفتن ومظاهرات حدثت في انحاء مختلفة من البلاد الهندية

ولا ريب ان أهم عامل في هذه الاضطرابات على اختلاف صورها انما هو الحركة الخطيرة المعروفة بحركة « عدم المعاونة » Non-cooperation ـ أي عدم معاونة

الهنود للانكليز في شيء . وما هذه الحركة في الحقيقة الا مقاطعة عامة لكل ما له صلة بالانكليز . فمن أغراضها تنزل الهنود عن كل ما لديهم من الرتب والالقاب الانكليزية، وامتناع المحامين عن المرافعة أمام محاكم انكليزية ، وفض المشاكل بالتحكيم الحبي ، وعدم الاشتراك في قروض الحكومة ، ومقاطعة مدارس الحكومة وكلياتها وجامعاتها، ومقاطعة المجالس المنشأة اخيراً ، والاستقالة من كل وظيفة مدنية او عسكرية في الهند او خارجها ، ومقاطعة البضائع الانكليزية ، والعمل على انتاج لوازم المعيشة في البلاد ، والامتناع عن دفع الضرائب للحكومة باي شكل كانت . والقصد من كل ذلك شل أعمال الحكومة الانكليزية وانشاء حكومة وطنية صرفة

« مهاتما » غاندي

وروح هذه الحركة او العامل الاعظم فيها هو غاندي الملقب « مهاتما » أي القديس . فان لهذا الرجل الذي لا يزيد وزنه عن مئة رطل انكليزي تأثيراً عظيماً على الشعب الهندي ويعد اتباعه بالملايين حتى لقد قيل انه ليس في العالم رجل سياسي له من الاتباع مثل ما لغاندي هذا . وهو يعيش عيشة زهد وتقشف مع انه من عائلة ميسورة وقد عاش زمناً في انكلترا وتعلم فيها الحقوق

وهاك كلمة في وصفه كتبها الاستاذ جلبرت مري الانكليزي وقد عرفه جيداً قال:

« حوالي سنة ١٨٨٩ قدم الى انكلترا شاب هندي اسمه موهنداس كرامشند غاندي لتعلم الحقوق . وكان غنياً وبارعاً ومن عائلة راقية . وكان لطيفاً ووديعاً في معاملاته ... وقد نال شهادته ومارس المحاماة زمناً في بومباي ولكنه مال عن المحاماة الى الدين فزاد تقشفه ولم يلبث ان وهب ماله لاعمال البر ولم يستبق لنفسه الا القليل منها ونذر الفقر طول حياته ... »

وكان أول عمل سياسي قام به غاندي انه في سنة ١٨٩٣ اجاب دعوة ١٥٠٠٠٠ عامل هندي مقيمين في افريقيا الجنوبية ليتولى الدفاع عنهم وتخليصهم من الاضطهاد الذي نالهم من الحكومة بسبب جنسيتهم . فمنع عن المرافعة واضطهد اضطهاداً شديداً وكاد يقتل ولكنه لم ينثن عن عزمه بالرغم من ذلك وداوم جهاده في سبيل ما اعتقده حقاً من دون ان يلجأ قط الى العنف . فان غاندي مسالم في مذهبه السياسي وهو يكره الشدة ويعتقد ان العنف من شأنه ان يشين النهضة الوطنية المقدسة . ومن

اقواله انه يجب نيل الاستقلال بالقوة المعنوية . على انه يقول ايضاً اذا لم يكن بد من اراقة دم فليكن ذلك الدم هندياً . فاذا كانت ثمت فائدة للقضية الوطنيـة من توقيف قطر فليس من داع الى العنف لبلوغ هـذا الغرض . بل يكفي أن ينطرح بعض الاهلين على الشريط حتى اذا ماتوا قضوا شهداء في سبيل الحق . عندئذ يقف القطر وينتصر الهنود انتصاراً معنوياً . ومن مذهبـه أن الانسان مخلوق مفكر فيجب أن يستخدم اسلحة فكرية . اما القوة البهيمية فانها سلاح البهائم . وهو يعتقد ان المدنية الغربية انما قامت على القوة المادية ، وأن النزعة العسكرية قـد أهلكت أوربا فلم يعد ثمت رجاء بنجاتها

وما برح غاندي يبشر بالكمال البشري عن طريق التفكير الصحيح والطعام المنتقى . فان الطعام يؤثر في الجسم والجسم يؤثر في العقل . فلا بد لصحة الجسم والعقل معاً من انتقاء الطعام البسيط المغذي . وهو في مقدمة القائلين بفائدة الصوم وفي رأيه أن الصوم يطهر البدن وينقي العقل كما تطهر النار الذهب وتنقيه

وقد انصرف غاندي الى السياسة على الخصوص بعد سن قانون « رولت » المتقدم ذكره . فقاومه بكل ما في نفسه من قوة . وكان حيثما يذهب يجتمع الالوف وعشرات الالوف لسماعه والتبرك بمرآه . ولا ريب ان سر سلطانه العظيم انما هو بساطة معيشته واستقامة خلقه . وهو لا يأكل من الطعام الا الارز والخضرة والفاكهة ولا يتناول شيئاً من الحلويات والبهارات . أما لباسه فلباس عامل بسيط وهو لا يستعمل حذاء ولا يسافر الا في الدرجة الثالثة . وهو كثير الاختلاط بالفقراء وقلما يحفل بالاغنياء . وقد شبهوه بطولستوي فيلسوف الروس الكبير لما في حياتهما من أوجه الشبه . وعمر غاندي الآن ٥٢ سنة. ولعل أعظم نتيجة تحصل عليها في جهاده السياسي توفيقه بين الهندوس والمسلمين من سكان الهند . حتى لقد أصبح الهندوس يدخلون الجوامع للتآخي والاتحاد كما يدخل المسلمون هياكل الهندوس للغرض نفسه . وأهم مساعديه في توطيد هـذا الاتحاد الزعيمان الشقيقان محمد علي وشوكت علي

وقد أدركت الحكومة الانكليزية شأن هذا الرجل وضرورة التفاهم معه فكان من أول ما عني به حاكم الهند الجديد اللورد ردنج اجتماعه بغاندي أخيراً ومحادثته طويلاً كما انبأتنا بذلك الصحف

ارتقاء اللغة العربية

واستعدادها ايضاً للارتقاء — ٣

بقلم الاستاذ جبر ضومط

استاذ اللغة العربية في الجامعة الاميركية ببيروت

سمعت مرة احد الادباء يذكر كتاب الابطال وعبادة الابطال لكارليل الانكليزي وكان الاعجاب به ملء فمه وصوته وملء عينيه ووجهه (ويستحق كل ذلك كتاب كارليل كما سمعت) ولكنه كان في اثناء ذلك يشكو بل يتمرمر اسفاً أن ليس في العربية مثل هذا الكتاب ويخاف ان هو اقدم على ترجمته أن يقال له ماذا صنعت — خمست أم خمشت ؟

(قل للذي خمسها خمشتها يا اعور)

وكانت غنة المرارة ظاهرة كل الظهور في اعتراف هذا الاديب بعجزه عن الترجمة ويعني بعجزه ان لا تجيء الترجمة في بلاغتها وحسن بيانها واشاراتها كما هي في الاصل الانكليزي . ولكني لحظت ان هذا الاديب (وامثاله كثيرون) كان يلقي معظم العجز ان لم يكن كله على عاتق اللغة لا على عاتقه

اني اشعر مع هذا الاديب ومع كل اديب مثله اذ يرون مثل هذا الكتاب الذي يصدق فيه مآل قول المعري

لفظ كأنَّ معاني السكر تسكنهُ فمن تحفَّظ بيتاً منه لم يُفِقِ
اذا ترنم شادٍ لليراع به لاقى المنايا بلا خوفٍ ولا فرَقِ
وان تمثل صادٍ للصخور به جادت عليه بعذب غير ذي رَنَقِ

يرون مثل هذا الكتاب ولا يستطيعون أن يردوه من ساعتهم الى العربية ببلاغة كبلاغة اصله وبيان كبيانه ولانهم لا يفطنون الى أن العجز والقصور في نفوسهم يزعمونه في اللغة وينسبونه اليها ثم يشكون منها مر الشكوى . وانا لا اكتفي هنا بمجرد قولي انهم مخطئون كما ألمعت الى ذلك قبلاً مرة أو مراراً بل لا بد لي من بيان موضع الخطأ ولا سيما في مثل كتاب كارليل هذا فاقول

(١) ان أمثال هؤلاء الادباء لا يفطنون الى ان كارليل هو من نوابغ كتاب الانكليز ومن أفرادهم في الادب وصناعة الانشاء في القرن التاسع عشر وانه الى الآن لم يظهر في عالم البلاغة الانكليزية أحسن منه ان لم أقل مثله

(٢) انهم لا يفطنون ايضاً في الراجح الى ان كارليل بقي نحواً من عشرين سنة تقريباً يطالع ويفكر ويستعد قبل ان كتب هذا الكتاب . ولعله أيضاً بعد ان كتب مسودانه بقي بضعة اشهر ان لم أقل بضع سنين يحل ويعقد في نسيج كتابه حتى جاء على صورته الاخيرة التي يراه عليها أدباؤنا المتشوفون الى ترجمته من غير أن يستعدوا لها الاستعداد اللائق بها

(٣) أنهم لا يفطنون لسلسلة أفكارهم الخفية التي يبنون عليها أحكامهم الظاهرة فكأني بهم يثبون وثباً من مقدماتهم الى النتيجة بدون أن يدققوا في صحة المقدمات

لو حال الاديب الذي اشرت اليه معقود سلسلة افكاره لوجدها على ما يأتي — وهي كذلك حللها هو أم لم يحللها

(١) من يستطيع لدى المطالعة أن يفهم بناية أفكار مؤلف في مؤلفه ومراميه فيها يستطيع أن يبني مثل مؤلفه اذا وجد المواد اللازمة للبنيان

(٢) انا فهمت كتاب كارليل ومراميه فيه وفهمت قواعد البنيان التي جرى عليها اثناء ما كان يبني بل درستها في كتب البيان العامة التي درسها هو ولعلي زدت عليه في ذلك . والنتيجة التي يرجح أن قد وثب اليها ذهنه من هاتين المقدمتين هي : اذن انا أستطيع ان اترجم الكتاب اذا وجدت المواد اللازمة للترجمة ولكني جربت الترجمة فلم أستطعها . ثم لما كان فهمي وفهم كارليل فيما أودعه كتابه متساويين فبالضرورة المواد اللازمة للبناء التي كانت عنده والمواد التي هي عندي غير متساوية وهو المطلوب. وهنا أيضاً اعظم الخطأ واخفاه كما يظهر للمتأمل بعد التروّي واعمال الفكرة

لنبحث الآن في صحة المقدمة الاولى ومن يسلم بصحتها بعد التفطن لها ؟ لا احد على ما اظن فانه ليس كل من يستطيع فهم افكار مؤلف وفهم الضوابط والقوانين التي بموجبها بنى المؤلف افكاره يستطيع ان يبني مثل تلك الافكار. فصناعة الحياكة حياكة الخام البلدي على انوالنا السورية البسيطة يستطيع اكثر الذين عندهم أدنى مسكة في الصناعات اليدوية أن يفهموها في أيام قلائل وقل في اسابيع ولكنهم لا يستطيعون حالما يفهمون قواعد الحياكة بالمشاهدة العينية بل بعد الممارسة الاولية ايضاً أن تأتي

شقتهم التي يحبكونها بعد تلك الممارسة كشقة المعلم الذي تعلموا عنه واحبوا أن يحاكوه

هب صناعة نسج خيوط الانشاء الفكرية في بساطتها وسهولتها كصناعة نسج الخيوط القطنية أو الصوفية فانك لا تستطيع بمجرد فهمك افكار مؤلف في كتابه وان بلغت في ذلك مبلغ فهم المؤلف تماماً أن تأتي شقة ترجمتك لها كشقة المؤلف في قوتها وتلاحم خيوطها مع تناسبها بعضها بعضاً في كل أجزاء الشقة من أولها الى آخرها ولا سيما اذا كان ثم وشي ونمنمة تحب أن تقلدهما أيضاً . وقس على صناعة الحياكة صناعة الموسيقى . وهنا أمثل لك بي ذاتي فاني درست مبادىء الموسيقى وفهمت عقلياً أو نظرياً كل ما قاله لي الاستاذ عن طبيعة الصوت في سائر درجاته الثمان من دو القرار الى دو الجواب وكنت أستطيع حيناً ان اقرأ بكل سهولة علامات كل ترتيلة في كتاب ترتيل الكنيسة الانجيلية البروتستانية بل وتمرنت على ترنيم بعض هذه التراتيل مدة لا تقل الآن عن خمسين سنة ومع ذلك فالى هذه الساعة لا أستطيع ان ارنم ابسط ترنيمة منها لوحدي . واذا وقف المرتلون الذين اتابعهم بصوتي عن الترتيل وقف لوقفتهم كل وتر في حنجرتي . وعلى فرض اني بقيت مستمراً في ترتيلي كان ترتيلي تصويتاً لا ترنيماً وتخبطاً لا توقيعاً (ومن توفيقاتي والحمد لله اني افهم من نفسي هذه المقدرة الموسيقية وسمو درجة استعدادي فيها تمام الفهم)

والمقدمة الثانية مغلوطة ايضاً كالاولى لانه على فرض اني فهمت كل ما ذكره كارليل في كتابه فهل اكون فهمت كل ما أودعه فيما ذكره في ذلك الكتاب . ولبيان ذلك اكتفي بان أسأل هذا السؤال وهو : هب ان كارليل لم يكن في رأسه غير ما ذكره في كتابه فهل كان استطاع هو نفسه أن يكتب ذلك الكتاب أو يجيء كما جاء خلابة وبياناً ساحراً . كلا . وانا أسأل ايضاً كل أديب قرأ كارليل هل فهم من كتابه لاول مرة قرأه نفس ما فهمه في المرة الثانية ؟ وهل يفهم من قراءته للمرة الثانية نفس مايفهم في المرة الثالثة من غير زيادة ؟ أم هو يفهم في كل مرة قرأ الكتاب مع الفكرة والروية شيئاً زائداً عما كان فهمه في القراءة التي سبقت ؟

لنرجع الى ما كنا فيه والى الاديب الذي اشرنا اليه . لنفرض أيها الاديب أن فهمك وفهم كارليل تساويا بتكرار مطالعتك لكتابه ولنفرض ايضاً بمجرد فرض ان ذوقك في فن الانشاء كذوقه وبديعيتك في البلاغة وحسن البيان كبديعيته فهل المواد اللازمة للكتابة الحاصلة لك والمخزونة عندك مساوية للمواد الحاصلة كانت له والمخزونة

كانت عنده ؟ ما لنا وللمواد اللازمة للكتابة في نفس اللغة العربية والانكليزية فان حسن كتابتك أو ترجمتك لا تتوقف على هذه بل على مقدار الحاصل لك والمخزون عندك منها

ان كارليل اطلع على كتابة عشرات من أبلغ الكتاب في لغته وحفظ من الشعر والنثر البليغ في الانكليزية ما يقارب ما كان يحفظه ابو تمام أو ابو بكر الخوارزمي فهل قرأت أنت - ولا أقول حفظت - ديوان ابي تمام ورسائل الخوارزمي وفهمت أيضاً مع القراءة ما في الفاظ هذين المؤلفين اي الديوان والرسائل فاصبحت تستطيع ان تميز بين المعنى الحقيقي والمجازي وفي أي المعنيين تستعمل هذه أو تلك اللفظة التي يتفق لمستفهم أن يستفهم منك عن معناها ؟

ماذا كانت مطالعاتك في كتب اللغة والادب والحكمة والتاريخ وأي الكتب البليغة وقفت عليها وتعنيت بضبطها واستقصاء البحث عن أصل معاني الفاظها ؟

أقرأت مؤلفات الجاحظ بل البيان والتبيين من مؤلفاته ؟

أقرأت مؤلفات الثعالبي قراءة فهم وروية ؟ بل ارضى لك أن تكون قرأت له اليتيمة فقط . أو رسائله الخمس وكتابه سحر البلاغة

هل قرأت مؤلفات ابن مسكويه ؟

هل قرأت مؤلفات الغزالي ؟

هل قرأت مؤلفات محي الدين ابن العربي . بل هل قرأت كتاب صبح الاعشى للقلقشندي ؟

لو سألت عن اسماء الكتب واسماء الكتّاب المشهورين الذين راجع كارليل مؤلفاتهم مراجعة فهم واستقصاء لوجدت عشرات من مثل ابي تمام وعشرات او أكثر من مثل الجاحظ والثعالبي ومثل ذلك او قريب منه من أمثال ابن مسكويه والغزالي وابن العربي

كل مؤلفات مثل هؤلاء الاكابر راجعها الرجل قبل ان بدأ بكتابة كتابه وخزن عنده منها ما خزن من الفاظ لغته وعبارات بلغائها فهل فعلت نصف ما فعله بل ثلثه بل ربعه ؟ استعد نصف استعداد الرجل واخزن في محفوظك من الفاظ العربية وعبارات بلغاء كتّابها في مواضيع تقرب من موضوع كتاب كارليل نصف ما كان يخزنه هذا الرجل ثم جرب نفسك في ترجمة كتابه وأنا الكفيل لك أنك تستطيع

ترجمته في سنة أو سنتين ويجيء كما تشتهي ويشتهيه أصحاب الاذواق الجميلة في فن البلاغة . بل أنا الكفيل انك تضعه وضعاً كأنك كتبته ابتداء من عند نفسك ولا ينقص قدر كتابك في العربية عن قدر كتابه في الانكليزية ذرة من البلاغة وحسن البيان

ان معظم ادبائنا الحاليين هم ممن درسوا في الانكليزية او في الفرنساوية سنوات وطالعوا ما شاء الله ان يطالعوه من بليغ كتب أدبها وفلاسفة أدبائها وكل ذلك بعد ان درسوا كتب صرفها ونحوها وبيانها وبلاغتها وحذقوا ذلك اكثر من ابنائها ولكنهم في لغتهم اقتصروا على درس بعض علوم اللغة من الصرف والنحو متأففين ولعلهم مرّوا مرور المسرع على مختصر من مختصرات البيان والبلاغة واما كتب الادب والتاريخ وما اليها من كتب الحكمة والسياسة المدنية فقلما زادت مطالعاتهم في هذه عما يكتب عادة في مجلاتنا العلمية والادبية . وبعبارة أخرى أنهم صرفوا سبع سنين الى ثمانٍ أو تسع في كلية اجنبية وكانوا في كل تلك المدة يدرسون لغتهم ساعة ويدرسون لغة المدرسة التي هي الانكليزية او الفرنساوية اربع ساعات على الاقل الى الست ساعات

ثم بعد ان اخذوا شهادة المدرسة بقيت نسبة مطالعاتهم في لغتهم اليها في لغة اجنبية كنسبة واحد الى اربع . امثال هؤلاء الادباء ينتقون من الكتاب امثال كارليل الانكليزي وامرسون الاميركاني وامثال شاتوبريان الفرنساوي ويحاولون ترجمة اعلى مؤلفاتهم درجة في البلاغة وحسن البيان من غير ان يزيد على استعدادهم الذي اشرنا اليه في لغاتهم الا ما هو دون الطفيف . فاذا رأوا من أنفسهم العجز ولا غرابة فيما اذا رأوا منها ذلك دعوا بالويل والثبور على لغتهم واتهموها بكل تهمة شنعاء وغفلوا عن انفسهم وقصور استعدادهم وعلمهم بل غفلوا عن أن لغتهم انما هي هم ترتقي بهم وتنحط بغفلتهم أو بانحطاطهم والغفلة هي الغالبة علينا

اطلت على قراء الهلال الاغر فيما كتبت ولكنه موضوع طالما جال في خاطري فلم ار بدًّا من توفية حقه فاطلت لافش بالاطالة كربي واسري عن نفسي ولعلي سرّيت عن نفوس كثيرين غيري ونفثت بما أطلت من مجاثت صدورهم وصدري. انقف هنا الان لاعقب هذا الفصل بفصل آخر آتي فيه على مختصر من تاريخ اللغة العربية كيف نمت وارتقت ثم كيف وقفت وتراجعت الى أن بدأت النهضة الحديثة وما

رافق كل ذلك من تطوّرات اللغات الاجنبيـة الى أن اصبحت سابقة مقلّدة بعد أن كانت لاحقة مقلِّدة . فلعلنا بهذه اللمحة نهتدي شيئاً الى ما نحن في حاجة الى الاهتداء اليه من احياء معالم العربية والرجوع بها الى المنصة اللائقة بها بين اللغات الحية والمنزلة الحرية أن تكون لها بين لغات الادب والعلم والفلسفة الحالية وبالله الاستعانة وهو حسبنا ونعم الوكيل

جبر ضومط

تصحيح خطأ

في القسمين السابقين من هذه المقالة

وجه ٧٦١ السطر السادس قبل الاخير « لانهم لم يقم بين كتاب العربية مثل كتاب الخ » صوابه « مثل كاتب او مثل صاحب كتاب »

وجه ٧٦٢ سطر ١٠ « فتوجد فيها كتابة » صوابه « مثل كتابة »

وجه ٧٦٢ سطر ١٧ « تفسيرها » صوابه « تفسيريها »

وجه ٧٦٣ سطر ٦ قبل الاخير « المستعد له » صوابه « المستعد كان له »

وجه ٧٦٤ سطر ٤ « مواضيع » صوابه « مواضع »

وجه ٨٤٢ سطر ١٢ « فيها » صوابه « فيما »

حكم عربية

اياك والمقام ببلد ليس فيه نهر جار ولا سوق جامعة ولا سلطان عادل

اذا شردك الهوى عن طاعة الله فاكرهه بذكر الموت (حديث)

اذا استضحك أخوك فانصح له (حديث)

إياك ومعاداة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم او مفاجأة لئيم .

ليس من شرط الحليم ان لا يضجر لكن ان يضجر بوزن

من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقينه

من كان همه بطنه كان قدره ما يحويه

ان شئت أن تعرف كيف صاحبك لك فانظر كيف كان لغيرك

سائلي

سائلي الليل عن مقالي يوم اعيي عن الـكلام
طول شكواي للدجى وسؤالي عن الرجا
ضم صوتي الى الليالي فانطوى في فم الظلام

* * *

سائلي البدر عن عيوني عند ما افقد البصر
كثرة السهد في النوائب ومناجاتي الـكواكب
نفت النور من جفوني وأحلّته في القمر

* * *

سائلي اليأس عن مثالي يوم يطويني العدم
صرت من عظمه ولحمه صرت من روحه وجسمه
فالمنيني ولا تبالي كلما مسّك الالم

* * *

سائلي الريح عن فؤادي انه طار بالزفير
فاذا هاجت العواصف فهي من غازه عواطف
نائحات على بلادي وعلى شعبيَ الاسير

الشاعر القروي

احدث الاساليب

لتشخيص الامراض

كان الطب حتى القرن الثامن عشر مجموعة اختبارات وتجارب استقرائية ولهذا كان يكثر التكهن في تشخيص الامراض اعتماداً على المقايسة لان اسباب الامراض الحقيقية لم تكن معروفة قبل ان يكشف المجهر (الميكروسكوب) عن عالم الجراثيم والراجيات (الميكروبات والبكتيريا) وقبل ان يقارب الكمال علما الكيميا والفسيولوجيا . اما الآن وقد ظفر فن الطب بعلل الامراض واسباب الاعراض فقد توفرت للطبيب وسائل التشخيص فلم يعد يتكهن تكهناً أو يخمن تخميناً مهما عمق اصل الداء وغمض سبب العلة اللهم اذا تيسرت لديه هذه الوسائل

وما قصدت من طوافي على معاهد الطب في امهات مدن اوربا وممارستي العمل في مستشفياتها اشهراً متوالية بعد الحرب الا الاحاطة بجميع هذه الاساليب والتمرن عليها واقتناء الادوات اللازمة لها كما سيجيء بيانها في هذه المقالة . وقد تمرنت على هذه الخطة الحديثة منذ تعينت مساعداً للاستاذ العلامة الدكتور جانسيلم في كلية باريس فكانت تضمن لي النجاح دائماً في تحقيق الامراض وامن الخطار في التشخيص

اما هذه الوسائل فتقسم الى ثلاثة أنواع : ١ - الادوات التي تسبر عمل الاعضاء الحيوية في الجسم وتحقق ان كانت هذه الاعضاء قائمة بوظائفها كالواجب أو هي شاذة ٢ - البحث الميكروسكوبي والبكتيريولوجي ٣ - التحليل الكيماوي

١ - الادوات

اليك اهم هذه الآلات وادقها واجزلها فائدة للطبيب :

١ - مقياس لضربات القلب يسجل أوقات عمل القلب واوقات راحته وعدد ضرباته وقوة ضربه حتى يتبين للطبيب مقدار قيام القلب بوظيفته والخلل الذي يعتوره . ولهذا المقياس اهمية عظمى في اكتشاف امراض حديثة في القلب لم تظهر علاماتها الواضحة بعد

٢ - مقياس للنبض يسجل قوة ضغط القلب واندفاع الدم في الشرايين والاوردة . وله أهمية عظمى في اكتشاف درجة تصلب العروق والضغط الشرياني وهو دليل لا يحتمل الخطاء ولا شك بنتيجته

٣ ـ مقياس للقوة العصبية الفعليـة بتحريك العضلات وحفظ التوازن بالسير ووزن العمل وارتباطه . وهذا المقياس يعمل بقوة الكهرباء وله فائدة عظمى في تحقيق الحالة العصبية قبل ظهور المرض كالشلل الجزئي والنوعي والعمومي كالتابس Tabes وشلل الوجه الخ . واكثر هـذه الامراض لا يشفى بعد ظهوره وتمام حصوله . ولما كان هذا المقياس ينذر بامكان حدوث مرض من هذه الامراض لاتقائه وتداركه أصبحت فائدته عظيمة

٤ ـ المقاييس الظاهرة السطحية كمقياس الحوض . واهميته عظيمة جداً للنساء في الحبل الاول لانه ينبيء بامكان الولادة الطبيعيـة أو بضيق لا تمكن معه الولادة فيتلافى الخطر قبل وقوعه

٥ ـ المقياس المخي لمعرفة اتساع أو ضيق الزاوية التي تنتج عن اتصال الانف بالجبين وعن اتصال الذقن بالاذن واعلى الجمجمة . فقد ثبت ان انفراج هذه الزوايا أو ضيقها يدل على انتفاخ عظمي ووجود اورام عظمية او مخية

٦ ـ مقياس خطوات الانسان . وهو بسيط جداً بيد أنه كبير الدلالة على آفات النخاع الشوكي والقوة العصبية . ويستدل من أثر خطوات العليل على المقياس المذكور على نوع المرض الذي لا يكاد يعرف بوسيلة اخرى غير هذه كامراض الجزء الخلفي من النخاع الشوكي

٧ ـ مقياس ضغط اليد المقفلة . وهو يدل على قوة عضلات الساعد واليد ويُستدل منه على بدء وقوف النمو في هذه العضلات وتلفها degeneressence musculaire

هذا ناهيك عن الادوات الاخرى الشائعة كالستاتوسكوب والتلاسكوب ومقياس الحرارة ومقياس البصر والسمع وكثير من المعدات الخاصة

٢ ـ المباحث البكتيريولوجية والميكروسكوبية

لا ابالغ اذا قلت ان علم الطب سيكمل في ميكروسكوب وحقنـة . فان مخترع الميكروسكوب قد أتى الطب بخير ما فيـه من النفع للجنس البشري . ولن يمر زمن طويل حتى يصبح الميكروسكوب أنفع للطبيب من سماعته . بل أصبح منذ الآن كذلك لانه يحكم الحكم الجازم في سبب العلة . والطبيب المحقق يلجأ في التشخيص الى حكم الميكروسكوب دائماً اللهم اذا تيسر له ذلك

وقد يطول بنا تعداد الامراض التي ينبيء الميكروسكوب عنها . فنذكر منها اكثرها شيوعاً كالرمد الصديدي والحبيبي وأمراض جلد الرأس والشعر كالقرع ومرض البصيلات . وامراض الجلد الاخرى . وامراض الانف والزور كالدفتيريا والأنجين دي فنسان وسوائل الاورام . وقطع من السرطان . والسوائل المرضية . وكل صديد ايًّا كان واينما كان. وأمراض الدم عموماً وامراض المعدة والامعاء وأمراض الكليتين والقروح الزهرية والقرح الرخوة. (وكان التميز بينها شغل الاطباء الشاغل قبل اختراع الميكروسكوب . ولطالما أهمل علاج المرض لعدم التميز بين الرخوة والصلبة منها أو كان عدم التميز هذا سبباً للعدوى او انتقال المرض الى الاحفاد)

وبالاجمال يمكن القول انه ما من داء الا كان او سيكون للميكروسكوب فيه خدمة جلى

٣ ــ التحليل الكيماوي

أما الادوات والتحاليل الكيماوية فاهميتها تفوق كل ما تقدم وربما ساوت الميكروسكوب أهمية. فقدتناولت جميع عناصر الجسم وافرازاته والدم والسوائل المعوية واللمابية وهي تتفق مع المباحث الميكروسكوبية في اكثر الاحيان . واليك أهمها :

١ ــ تحليل السائل المحيط بالنخاع الشوكي . وبه يهتدي الطبيب الى أمراض الدماغ والنخاع الشوكي. فهو عادة شفاف ويتحول الى دموي أو صديدي أو لون قاتم ويتعكر في أمراض الدماغ والمخيخ . وفي حالات الزهري القديم يجب تحليله على طريقة واسرمان . فيعطي كالدم نتيجة سلبية أو ايجابية . والفحص الميكروسكوبي يرى فيه ميكروبات التهاب الغشاء المحيط بالدماغ . وقد أصبح تحليله قاعدة عامة في كلية الطب في باريس حتى ان استاذي العلامة جانسيلم يوجب على مساعديه أخذ سائل النخاع الشوكي من كل مزهور تجاوز الدرجة الثانية ولو مرة لفحصه على طريقة واسرمان ويؤخذ هذا السائل في جميع امراض النخاع والكساح والشلل على الاقل

٢ ــ تحليل السوائل الناجمة عن كل ورم من الاورام الخبيثة والبسيطة وتحليل المواد المتكونة في ورم خبيث . وهي تفيد عن طبيعة الاورام المكونة في داخل البطن هل هي في البريتون أو تحتوي على بول متسرب بعد جرح المثانة بآلة حادة كالابرة او رأس عدة جراحية أو على مادة صفراوية او معوية او معدية فتدل على مصدرها وموقعها

٣ ـ تحليل الدم ونسبة أجزائه بعضها الى بعض . وقيمة هـذا التحليل ظاهرة كلما عُرض على طبيب حادث خفيت معالمه في الجسم العليل وفي بعض حالات يخسر فيها الدم أحد جواهره أو يتسرب اليه جوهر سام من الجسم أو من خارجه . وفي الاحوال الجنائية أهمية كبرى لهذه التحاليل الجديدة

٤ ـ تحليل البول واكتشاف الاستون في اشتداد مرض السكر . ونسبة (البولينا) Urée لسائر مركباتها . واكتشاف طبيعة الحصى واكتشاف الميكروبات التي تسبب التهاب الكلى والمثانة وهذا يعود الفضل فيه الى التحليل الكيماوي والبحث الميكروسكوبي معاً

٥ ـ تحليل السائل المعدي (العصارة التي في المعدة) لاكتشاف الامراض المزمنة والحادة في المعدة . وهو عظيم الفائدة لاكتشاف نسبة مركبات السائل المعدي وقد تكفي نظرة الى صعوبة اكتشاف أمراض المعدة والتباسها ليقدر المرء قيمة هذا التحليل

٦ ـ تحليل الفضلات في حالات التسمم ووجود الجوهر السام اياً كان . وهذه تفيد في الاحوال الجنائية والاعمار فائدة قضائية واحياناً تفيد فائدة طبية اذا عُرف السم وكان المصاب لا يزال حياً فيسهل شفاؤه

ويجمل القول أن للطبيب اليوم وسائط عديدة يهتدي بها الى حقيقة المرض بلا خطاء اللهم اذا شاء العليل أن يساعده على ذلك بقبوله هذه الابحاث المفيدة التي يعينها الطبيب . ولا أنكر ان هناك عقبات جمة لدى الطبيب والعليل معاً في الاعتماد على هذه الوسائل وهي وفرة نفقاتها . فالكيماوي يتقاضى أجراً كبيراً يستحقه والميكروسكوبي البكتيريولوجي كذلك . ولهذا لا يقدر أن يستوفي هذه الوسائل الا العليل الغني . وأما الفقير فلا حيلة للطبيب فيه الا الاقتصار على العمليات الكلينيكية وهي لا تكون جزيلة النفع الا بالمزاولة الطويلة . فلذلك أتمنى ان تكون للحكومة معامل واسعة كيماوية وبكتيريولوجية مجانية تفتحها للفقراء مجاناً كما تفعل حكومات أوربا الآن . وبذلك تضاعف السلاح المعد لمقاتلة الامراض الفعالة والخبيثة التي تنتاب الامة وتهاجم البلاد

مصر
الدكتور عبد الله حرفوش
نائب استاذ بكلية الطب بباريس سابقاً
وعضو الجمعية الطبية في لندن

صناعة السياسة

Diplomatie

لم تبلغ السياسة في يوم من الايام ما بلغته في هذا الزمان فقد تنوعت اساليبها وتكاثرت قواعدها واصبحت صناعة دقيقة لا ينفذ في مداخلها ومخارجها ولا يستطيع ادراك غورها الا اصحاب الهمم البعيدة والفطن الثاقبة والعزائم الصادقة الذين عرف لهم الفضل والسبق في جميع هذه الخصال التي كان يجزىء قليلها ويكفي يسيرها للتفرد ودرك الآمال فيما غبر من الايام

وقد اصبحت تبنى السياسة على أساس مناسبات الامم وصلاتها التي تجاري الزمان في سيره وتساير الحاجات في تقدمها واطوارها . ولقد شعرت الامم منذ الفت الجماعات السياسية وتوثقت بينها عرى المناسبات وتشابكت منافعها ومصالحها أن العهود والعقود ليست بكافية وحدها لادراك رغائبها وطلباتها وان هنالك حاجة ثابتة الى العناية الكبرى بالروابط والصلات الاجتماعية والتوفر على استمرارها ودوامها عامة كانت أو خاصة وكذلك الاتصال بسائر الجماعات والدخول معها بالمفاوضات والمذاكرات

وينوب عن الدول في هذا الشأن حكامها ورجال سياستها ووزراء الخارجية فيها ثم يأتي بعدهم المندوبون والقناصل

تعريف السياسة

عرّف بعضهم السياسة فقال أنها هي صناعة المفاوضات والقصد من المفاوضات مجموع القواعد والمعارف التي يفتقر اليها في تدبير المجالس والمؤتمرات وحسن سياسة امورها وقد اطلق عليها آخرون اسم « حقوق الدول التنفيذية » . وجاء براديه فودره فعرّفها بقوله: هي صناعة تطلق على تمثيل مصالح البلاد وحكومتها أمام الحكومات والممالك الاخرى والحرص على صيانتها واعلاء شأنها ومراقبة منافعها وحقوقها وتدبير الامور الدولية ومتابعة المفاوضات السياسية وتسييرها وادارتها حسب التعاليم والاوامر الموحى بها

وليست السياسة بفن ولكنها صناعة لانه لا يكتفى منها بما يكتفى من الفن بالاطلاع على قواعده وسننه بل لا بد لمن يعانيها ان يمارسها كل الممارسة فيتغلغل في

أحشائها ويكشف عن دقائقها وأسرارها ويغوص على مكامنها ومخبآتها . وذلك شأن الصناعات التي تؤسس القواعد أما الفن فليس بمؤسس لها ولكنه يجمع الحوادث ويؤلف أشتاتها فاذا قيل رجل سياسي فهم منه الرجل القائم بوظيفة سياسية أو المتعمق في السياسة . والسياسي بعبارة افصح هو الذي وقف نفسه على السياسة . وكلمة السياسة التي نقصدها هي ما يعنيه الافرنج بقولهم (Diplomatic)

وقد عرفوا عمل السياسة بتأمين سعادة الامم وتوثيق عرى مودتها وتشييد أركان السلام بينها وصيانة الامن في كل امة والذود عن كرامتها. وقال وزير احدى الممالك في أميركا الجنوبية :

ان اشرف واجبات السياسة وأعلاها شأناً وأسماها منزلة التوفيق بين منافع الامم والعمل على استمرار المناسبات الدولية الحسنة واذا عرض لها عارض من شأنه ان يؤثر بها فلا يكون حينئذ لها ارب الا أن تعاد الصلات الى احسن مما كانت عليه

ولكن الساسة كانوا يستخفون كثيراً بهذه القواعد وينقضونها في القديم والحديث ويطأون الحقوق الصريحة باقدامهم . فاذا أعجزتهم القوة لجأوا الى الحيلة فوجدوا فيها ما يبلغهم حاجتهم

وليس بمقدور أحد أن ينكر ما يرمي اليه الساسة في جميع أعمالهم من الاقتصار على أجتلاب المنافع والاستخفاف بما سواها

وقد كتب احد رؤساء وزارة السويد الى ابنه يقول : اذا شك انسان في امر فانه يبحث عن الطريق الذي يلابس الشرف أكثر من سواه واذا اعترى الشك رجال السياسة فانهم لا يبحثون عن سبيل غير سبيل المنافع

على انه وان كان نيل المآرب وادراكها بالجبر والاكراه من طبائع البشر وميولهم فان الساسة لا يغفلون مع ذلك الحيطة والحذر . وصاحب السلطان الطامع في توسيع سلطانه لا يباغت عدوه بالغارة من غير سابق انذار لان هذا العمل ظاهر خطله وهو بطريقة قطاع السابلة اشبه والى مذهبهم اقرب ولكنه يعقد الحلف ويعد العدة ويعبىء الجند ويتمحل الاعذار ويحمل حملته بعد ان يثق من نفسه وقوته

وقال مكيافيلي : على صاحب السلطان أن يعرف الخطة التي يسلكها بهيمية كانت أم انسانية فينبغي أن يكون فيه قوة الاسد وروغان الثعلب معاً واذا اقتصر على خصلة الاسد فانه لا يعمل الفكرة في العواقب واذا اقتصر على خصلة الثعلب فانه لا يحسن

الصبر على مصادمة الاهوال وليس من اولي البصيرة من يريدون أن يكونوا أسوداً فحسب . وعلى العاهل البصير ان لا يحترم عهده متى وجد سبيل النجاة منه وكان فيه ما يورثه الضرر . والغنى هي القبلة التي تسمو اليها أبصار الملوك أما عامة الناس فانهم يغترون بالظواهر والعناوين . وليس الناس كلهم عامة . ان مبدأ سلامة الوطن يتغمد كل سيئة ويسبل عليها ستر العفو والمغفرة

ولقد انحى « واتل » انحاء شديداً على الدسائس والمكايد السياسية بقوله : ربما يهزأ بكلامي الذين يتمتعون بعنوان كبار الساسة بما يأتونه من الافراط في الدقة والاسراف في الكياسة والانصراف الى خديعة مفاوضيهم والتغرير بهم وهم يفاخرون بعنوان دهاة العصر ويباهون بمناوأة العدل والانصاف ومخالفة القواعد الشريفة التي لا غبار عليها من غير أن تقنعهم حمرة الخجل . فالى متى يتمدح رجال السياسة باعمال تقدح في شرف أي انسان وتضع من قدره . وقد يهزأ الرجل العادي بمكارم الاخلاق وقواعد الحق والعدل ولكنه لا يتجاوز بذلك قمة رأسه وبيت سره . أما الساسة الاقوياء فانهم لا يبالون اذا جاهروا بمخالفة السنن الشريفة والقواعد النبيلة . وما أكثر الحوادث التي تنقلب فيها المنافع الموهومة الى مصائب وارزاء . ولعل صفاء السريرة واستقامة السيرة هما اسلم الاساليب السياسية واحمدها عاقبة

غير أن السياسة في هذا العصر أخذت تتظاهر بالعدول عن تلك القواعد الذميمة في بعض أعمالها فاصبح من جملة الاوصاف التي يبحث عنها في أولي الكفاءة والاضطلاع حسن النية والعدل في السياسة . أما البراعة والمهارة والفطنة فانها صفات مطلوبة لاتقاء ما ينجم من الاختلاف والتنافر واذا تم للسياسة التخلق بهذه الاخلاق تحقق ما قاله رولن جكمن من أنها ترمي الى غاية أسمى من المنافع وأقرب الى المقاصد والحاجات واصبح يرجى أن تكون الخطط السياسية المقبلة أميل الى العدل والانصاف

وما الاوضاع الحديثة التي قررتها المعاهدات المختلفة في الايام الاخيرة مثل رعاية الحقوق القومية وان لم تخرج عن حد الاقوال وما سبقها من الجنوح الى التحكيم في كثير من الاختلافات وعقد المجامع لتخفيف آلام الحرب والاتفاق على المصالح العامة المشتركة كالبريد والبرق وضرب السكة والتابعية واعادة المجرمين كل ذلك لم يكن الا من انتشار المذاهب الجديدة

وقد ذهب بعض العلماء فاسرف في التفاؤل ومظنة الخير وادعى أن العدل

والحرية يجريان في ميدان واسع ويأخذان مكاناً جليلاً في الانفاذ والاجراء وذلك بتكوين المناسبات الدولية الحديثة التي شملت الشعوب فتبدلت خطط الساسة واتجهت نحو صيانة تلك المناسبات وأخذت الامم تجد في زيادة الانتاج والمقايضات وهذا مما يدعو الى احلال الوفاق والائتلاف محل الشقاق والاختلاف

ولكن هذا التفاؤل لم يبلغ الحد الذي وصفه وما اكثر الحوادث التي ولى فيها الحق منكسراً امام الباطل . والسبب الوحيد في ذلك تباين منافع الدول الخاصة ومنافعها العامة

على أن واجب السياسة يستدعي الاحاطة بجميع المنافع التي تنجم من صلات الامم وعلاقاتها بعضها ببعض ويرمي الى تبادل الكرامة والرغد والامان وصيانة السلام الالفة بين الامم

أوصاف الساسة

ان وظيفة السياسي دقيقة غامضة لا بد لها من خبرة نادرة وتجربة شاملة وفراسة بعيدة ومقدرة فائقة وفكرة سديدة

وينبغي أن يكون متمكناً من نفسه مسيطراً على هواه فلا يستفزه حال الى اباحة ما لم يكن قد صح رأيه على اباحته . وقد قال أحد السياسيين : عليكم بكتمان ما يعرض في خواطركم وما تعملون به فكرتكم واني لافكر بكل ما انطق به ولا أنطق بكل ما فكرت به وليس الصمت في معرض البيان بحزم ولكن الحزم أن يحسن المرء القول حيث ينبغي أن يكون

وليست السياسة بقلة الكلام فان كثيراً من الساسة البارعين عرفوا برقة الحاشية وحلاوة المحضر وحسن الحديث وطلاوة النكتة . وقد كان تاليران نزر الكلام في المجامع ولكنه متبذل في مجالس ثقاته وكان مترنيخ أحسن الناس حديثاً واكثرهم نادرة

وينبغي التحرز من افراغ الحوادث الصغيرة في قالب الامور الكبيرة وطبعها بطابع الشؤون العظيمة كما أنه ينبغي الاسترسال الى الثقات حتى يتم تبادل الثقة . وقد يتعاطى الساسة الآراء بينهم ويتبادلون الافكار والبراعة في انتهاز هذه الفرصة وحسن

اغتنامها . وقد قال مترنيخ : عليكم بتعلم الاباحة بالاسرار البسيطة للتوصل الى ادراك الحقائق المهمة

ولا يجوز أن يكون السياسي نزق الطبع مهوراً فان الخشونة ليست من السياسة في شيء والذي يثير حفائظ محدثيه لا يتصل بمكنونات سرائرهم ولا يطلع على خفايا ضمائرهم بل وعلى الذي يرغب في النجاح والفوز أن يتصف بصفات هي عيون المكارم والخصائص كالصبر والثبات وضبط النفس واعتدال الدم. وقد عد الكردينال (مازارن) من أبرع المفاوضين لانه لم يكن يتيسر اكتشاف دخيلة نفسه بتعرف ملامح وجهه التي هي عنوان ما تنطوي عليه جوانح المرء من خير وشر

والتفوق في عالم السياسة يحتاج الى لين في الجانب ورقة في الاخلاق وملاءمة في الطباع وبذلك يستطيع السياسي أن يجري مع الدم ويستطلع مخبآت القلوب

ولا يجزىء السياسي أوصاف من الكمالات المعنوية والمعارف الواسعة بل لا بد له أن يستمد من قلبه نبل العواطف ومكارم الاخلاق وصحة العزيمة وقوة الارادة فاذا اقتضت منافع بلاده الدفاع دافع عنها بكل صلابة وشدة وثبات على الرأي الذي انضجته الفكرة وهذبته التجارب ولا شيء يودي بمصالح الامم مثل التردد والتواني

ثم انه من اشرف الخصال التي يسمو بها الساسة ويعلو قدرهم المضاء في الامور والوقوف عند الرأي الذي قطع به ومسايرته الى أن ينفذ ويبلغ اجله

وكان الكردينال ريشليو واسع الحيلة بعيد النظر ولكنه متردد عند ما ينقاد الامر الى الغاية القصوى ولا يبقى الا انفاذه . وفي هذه الساعة الاخيرة كان يسرع اليه الاب يوسف فيمده برأيه الثاقب وقراره القاطع

وكذلك يجب على السياسي أن يكون حسن النظام في جميع اعماله وأطواره بعيداً عن النقائص والمثالب خالصاً من شوائب التخبط والاضطراب

وماذا ترتجي المنافع العامة من رجل أغفل منافعه الخاصة من كل تدبير ونظام ؟ والافراط في اللهو واللعب والتهالك عليهما مما يحول دون الجد ويقف في سبيل النجح . ومن المستبعد أن الذين يكونون على تلك الشاكلة من الاخلاق يحسنون القيام بوظائفهم ولا يستحق أن يدخل في عداد الساسة الرجال الذين تحكمهم أهواؤهم ولا يحكمونها وتستبد بهم نفوسهم ولا يستبدون بها

ولا يكفي الرجل الذي يجدر أن يمثل أمة ان يكون معروفاً بالعفة والنزاهة

موصوفاً بالذكاء والوطنية بل يراد منه فوق ذلك أن يكون على جانب غير يسير من المعارف الخاصة راسخ القدم في تدبير المصالح السياسية

وقد يبلغ الرجل السياسي المنزلة التي يستحقها اذا نجا من حسد الحاسدين ومكر الماكرين وتخرج في مسالك السياسة وصعد بجده الى المراتب الرفيعة . والعامل الوحيد الذي يجب أن ينقاد له السائس شعور الدفاع عن أمن بلاده وكرامتها ولذلك ينبغي أن يكون متوقد الذكاء محيطاً بدقائق الامور قادراً على استبطان الخفايا مميزاً للمقاصد الحقيقية بعيداً عن سبق الوهم

ولا بد للسياسي من غشيان مجالس العظماء فيستفيد منها فوائد جليلة ويواصل رجالها ويعقد بينهم وبينه حبل المودة . والفوز في كثير من الاحاديث الخطيرة يرجع في الغالب الى قيمة المحدث وما له من المنزلة والرفعة

وبلوغ النجح في المحافل والمجالس يفتقر الى مكانة اجتماعية سامية وتهذيب مدني رفيع . وقد يكون هذا الامر كما قال برادييه فودره مثبطاً لهمم فريق من الناس الذين تسمو بهم الانقلابات الى المنازل التي لم يكونوا أهلا لها . ولا يسع حديث النعمة أن يلبس ثوب الكرام ويتخلق باخلاقهم عفواً صفواً

ومن جملة ما يجب على السياسي اجتناب الحيل والدسائس لانه يدخل في مفاوضات كثيرة في غضون عمله فليس من الرأي والحكمة أن يدع سبيلاً لجرح الثقة به او الريبة منه . ومن التوقي ترك الافراط في التوقي

التربية السياسية

تحتاج صناعة السياسة الى معرفة وتربية خاصتين بها . وفي تجاريب الحياة وتاريخ العالم مدرسة السياسيين الكبرى

ويرى هفتر أن في استطاعة رجال قلت معارفهم أن يكونوا بارعين في السياسة . غير أن هذا الرأي يصح في أيام خلت أما اليوم فلا يستطيع رجل أن يبقى في مركزه السياسي الرفيع ما لم يحرز منزلة عالية في التربية الفكرية

ويرى شارل دومارتنس ان العقل السليم وحده غير كاف لاحراز النجاح في السياسة والذي يظن هذا الظن ينقاد اليه بما يشاهده من نجاح فئة ارتقت عن منزلة العوام ولكن فاتهم ان المصالح اذا التبست وتشابكت لا يحلها العقل السليم وحده

ولا يستغني السياسي بالنشأة السياسية الفعليـة لان مشاغله تستغرق أوقاته منذ مباشرته العمل فلا يجد متسعاً من الزمان يكفيه للبحث الدقيق والمطالعة الكثيرة وتتبع الحوادث واستخراج النتـائج واذا لم يهذب شعوره ويصقل عواطفه بالدرس فلا يرجى له الفوز . والتجربة ثمرة العمل ولكن الاستفادة منها تحتاج الى علم ونظر

واذا لم تعتبر السياسة تابعة لقواعد معينة ثابتة فلا بد من الاطلاع على ما يتعلق بطائفة من انواعها واختبار فروقها ومـذاهبها . ويقصد بذلك الوثائق والبلاغات الرسميـة والمذكرات السياسية . فينبغي اقتناؤها ومطالعتها والقياس عليها وتناول اشباهها ونظائرها واتباع اسلوبها ومعرفة ما يمكن أن يكون لها من الاثر في نفس المخاطب بها على حسب الزمان والمكان وتقلبات الايام

ثم ان مطالعة المذكرات وتتبع سير الحوادث والتنقيب في بطون الاوراق والمدونات وقوة الحدس ودقة الفراسة في توقع الحوادث واجتناب خطيئات الآخرين كل ذلك مما يفيد تجربة وحنكة

وقال هونريو : ينبغي تعلم السياسة وقد تكون الحوادث خير أستاذ يلقي دروسها ولكن بالنقائص والخواطيء لا بالمحاسن والمناقب . وربما تخيب المساعي في دفع المضرات التي تحدثها الاغلاط والمساويء . فعلى الذين يريدون سلوك هذا المسلك أن يكونوا على بينة مما يستقبلون في أيامهم من الاخطار والعقبات التي يتحتم عليهم ايجاد طريقة للخلاص منها

والسياسي الكامل منحة من منح الطبيعة التي قلما تجود بها واملها أقرب الى الغايات الخيالية منها الى الحقائق الواقعة . وقد أحصى المؤلفون علوماً جمة ينبغي على السياسي درسها والتمرس بها . فذكروا أنه ينبغي عليه بعد أن يتم دروسه العليـا أن يبحث في تاريخ الدول ولا سيما التاريخ السياسي للقرون الثلاثة الاخيرة وكذلك حقوق الدول العامة والخاصة والجغرافية السياسية والاقتصادية وعلم الاقتصاد والاحصاء والعلم المالي والحقوق العمومية الداخلية وصناعة المفاوضات والسياسة العملية والاتوغرافيا والحقوق الاساسية وصناعة كتابة الرسائل الدولية وقوانين الممالك الاجنبية وأوضاعها السياسية وبعض اللغات الاجنبية

والدول الحاضرة تهتم اهتماماً كبيراً في فحص الذين يريدون الانتظام في سلك موظفي الخارجية فلا تنتقي لها الا من عرف غناؤه وبان اضطلاعه

نجيب الارمنازي

الانتخاء عند العرب

بقلم البحاثة صاحب الامضاء

من العادة الشائعة عند العرب والاعراب ، قديماً وحديثاً : الانتخاء وهو مصدر انتخى الرجل انتخاء [١] : اذا تعظم وتكبر ، واصح من ذلك ، اذا هاجت في صدره عاطفة العظمة والحماسة والمروءة ، بما يتلفظ به من الكلم التي تثير في نفسه تلك الشواعر . واشهر هذه الالفاظ ان يقول الواحد : انا اخو فلانة ! ويذكر اسم امرأة من نساء قبيلته او عشيرته ، قد اشتهرت بحسن الخصال ، وجاذب الكمال ، وجلائل المآثر . وقد تكون هذه المرأة قديمة الشهرة ، اذا لم يأت بعدها في قبيلتها من فاقها فضلاً وفخراً ، وعزاً وذكراً . ولهذا قد تكون هذه المرأة حديثة العهد ، اذا كانت قد اجتمعت فيها هذه المزايا الطيبة

وكلمة « النخوة » في رأيي منحوتة من « انا اخو » فقيل « نخو » ثم صارت « نخا » بالابدال بعد الاعلال . وينتخي بالمرأة ، لان المرأة شرف الرجل وعرضه ، ولا يمكن ان يؤجج في نفسه الا ما يثير فيها كامن الفخر والعز [٢]

ولا تقل لي : كيف يجوز للعرب أن ينتخوا بامرأة ؟ أو ليس هذا من العار ؟ قلت : ان المرأة اما أن تكون سبب فخر الرجل ، واما سبب عار له . فان كانت قد امتازت بالصلاح ، افتخرت بها عشيرتها او قبيلتها . ومن ذا الذي لا يفتخر بالحسن ، ولا سيما اذا كان هذا الحسن مما يفوق سواه ، اومما يندر وجوده او وقوعه ، وبالاخص اذا شوهد في كائن ضعيف البنية ، رقيق العاطفة ، لطيف المزاج ؟ اما اذا اشتهرت تلك الانثى بالقبيح أو بسوء السمعة ، أمست لاهلها وعشيرتها وقبيلتها عاراً بل شناراً ،

---

(١) الانتخاء غير طلب الثار ، الذي اغلب ما يكون للرجال ، فكانوا يقولون : « يا لثارات الحسين » واللام فيه للاستغاثة . وتقديره : تعالين يا ثارات الحسين ، فهذا اوان طلبكن . قال حسان بن ثابت الانصاري :

لتسمعن وشيكا في دياركم الله أكبر يا ثارات عثمانا

(٢) قد بحثت في اللغات السامية (كالعبرية والارمية والحبشية والمندائية) عن النخوة فلم ار فيها ما يؤيد هذه المادة بالمعنى الذي اشرنا اليه . وهذا دليل على ان الانتخاء خاص بالعرب ، واذا وجد عند غيرهم فانهم اخذوه عنهم

وعبر بها العدو الثاني، زوجها وقبيلتها وكل من ينتمي اليها على توالي الازمان. ولهذا كان بعض العرب يئد [1] بناتهم خوفاً من أن يكنّ يوماً سبباً لذل القبيلة وسبها وشتمها ووسمها بسمة وصمة الخزي والهتك والفضيحة الى آخر الازمان

نعم، ان للمرأة مقاماً رفيعاً في الالفة العربية ومجتمعها خلافاً لما تدعيه الشعوبية واعداء الناطقين بالضاد؛ ومن ثم فاذا تعرضوا لذكرها بخير نبهت العشيرة، وان ذكروها بسوء خملت أو اشتهرت بالمقابح والمساوىء. ارع سمعك مثلاً لما يتلفظ به في الطرق رعاع الصبيان من الحضر، فان جبينك يندى عرقاً لما تسمع آذانك من سبهم للرجل بتعرضهم لامرأته أو أمه او ابنته أو أخته ولكل ما يتعلق بالانثى. واذا سمعت الاعرابي السافل وهو في البادية يتعرض لاهانتك، فانه هو أيضاً اذا شتمك، لا يهينك تصريحاً بل تلويحاً متعرضاً لذوات الخمار من أهل بيتك. وهكذا كان يفعل العرب في سابق العهد في الجاهلية وصدر الاسلام الى عصرنا هذا. وهذه دواوين لغتهم فانها طافحة بانواع الشتائم يرجع أغلبها الى المرأة. واذا سمعت شاعرين يتهاجيان، فنهما تسمع كل كلام بذيء يصرح بالخنى، حتى انك لتنقلب متعجباً من ان الرواة حفظوا لنا تلك المخزيات المندبات

الانتخاء عند اعراب العراق

لاعراب العراق كما لسائر الاعراب من بادية ومتحضرة عبارات مختلفة تنتخي بها. وقد تجد هذه العبارات عند القبيلة كما تجدها في البطن والعشيرة بل وفي البيت. ونحن نقتصر على ذكر ما وقع الينا:

تنتخي (الدوار) من فخذ الشكر وهم يرجعون الى (الزيد) بسعدى (وزان حبلى) فيقولون انا اخو سعدى

و(الجبور) وترجع الى الزيد أيضاً تنتخي بقولها: «آل جبر [2]» أو «بجبر» او بقولها: ولد جبر لا قطعتم (أي يا آل جبر وهو جدهم الاكبر لا قطعتم)

---

(١) لم يكن الوأد عاماً عند العرب، بل عند قوم منهم. ولم يكن شائعاً بين هؤلاء انفسهم، والا فلو كان شائعاً لما وجد بينهم متزوجون ولا اولاد، انما كان يفعل هذا الفعل بعض من لم يكن يستطيع ان يربيهن لقلة ذات يده وخوفاً من ان تقع الفقيرات بيد الاثرياء فيتصرفوا فيهن على الوجه الذي لم يحلله الشرع. والاولاد المتوسطي الحال والاغنياء كانوا يقومون بتربيتهن على الطريقة المألوفة عندهم يومئذ

(٢) مما يجب ان يحفظه كل متتبع لتاريخ عرب العراق التمييز بين القحطانية والعدنانية وقد

و (المناقيش) وهم من الزيد ، بفطيّم (وزان كتيّب مصغرة) وفطيّم تصغير قاطمة مرخمة

و (العبيد) (مصغرة) وهم من الزيد ، بهكشة وبآل عيد

و (الجحيش) (مصغرة) وهي من الزيد . تكتني بهدلة وتنتخي باولاد (واحد) ومنها من تنتخي بـ (جاحش)

و (العزة) (وزان مرة) زيديون ، تكتني بهكشة وتنتخي بآل عمرو ، وهو عندهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي المشهور

و (شمر) تكتني باخي جوزاء (ويلفظون جوزاء بالقصر . وقصر الممدود من لغات العرب منذ سابق العهد)

و (الدُّلَيم) (مصغرة كزبير) تكتني باخي هدلة وتنتخي باولاد ناصر . وقد قال أحد شعراء بغداد مهنئاً رئيس شمر بعد ظفره في الواقعة المشهورة بين شمر والدليم في نحو سنة ١٢٩٨ هـ (أو سنة ١٢٩٩ هـ) ما حرفه :

ان الدليم غروراً للوغى هجموا يحاربون أخا جوزا وما علموا
ان الجبال الدواهي شمّر ولها يوم الوغى تشهد الاعراب والعجم

الى أن يقول معيراً الدليم لفلاحتهم وزرعهم بالكرود :

تباً لترّاية أمست معطلة ودلوها يابس والحبل منصرم

الترّاية هي حبل يتخذ من جلد البقر تحاط بها البقرة حينما يدار عليها بالكرد . وفي التفصيح : التُّرّ بالضم : الخيط يقدر به البناء بعده على البناء

و (الخزرج) تكتني باخي علية (وزان قرية) وتنتخي بالسناعيس . ولا نعلم ما يراد بالسناعيس ، اللهم الا أن يكون مصحفاً عن القناعيس جمع قِنعاس وهو الرجل الشديد المنيع ، مأخوذ من القنعاس وهو البعير العظيم

و (الزيد) (مصغرة) تنتخي بحمير (ويلفظونها وزان جعفر وهو غريب

يقال بوجه مطرد ان القبيلة التي يصدر اسمها بآل هي قحطانية الاصل كقولك : آل جبر وآل عيد (مصغرة) ، والتي يصدر ببني هي عدنانية المحتد كقولك : بنو تميم وبنو زيد وبنو لام . والاعراب اذا ارادوا التمييز بين العدنانيين والقحطانيين اكتفوا بقولهم : آل وبني . وهذه الملاحظة مفيدة لمن يريد ان يقف على حقائق تفرع اصول العرب والاعراب

وقد يضاف الى (آل) من ليس من صميم العرب . بخلاف كلمة (بني) . ولهذا لا تضاف هذه الكلمة الاخيرة الى من دخل على اسمه لفظة (آل) فاحفظ ذلك نصب

خلافاً للمشهور) وجميع البطون التي تتقوم منها قبيلة الزبيد تنتخي بحمير في اليوم الكبير اي في الموقعة الكبرى أو الحرب العامة

و (الكروية) (وزان كردية) ينتخون بجيس (أي قيس واعراب العراق كلها تلفظ القاف جيماً كقولهم في قاسم أيضاً جاسم وكذلك يفعل أهل نجد وغيرهم من سكان جزيرة العرب) ويدعون أنهم من قيس من مضر

وهناك غير هذه العبارات وهي كثيرة لا تحصى ، ربما عدنا الى ذكر غيرها

قدم الانتخاء عند العرب

للانتخاء عند العرب اسماء كثيرة منها : الوصل بفتح فسكون والاتصال مصدر اتصل. قال في التاج : وصل واتصل : دعا دعوى الجاهلية بان يقول : يا آل فلان. وقال أبو عمرو : الاتصال : دعاء الرجل رهطه دنيا والاعتزاء عند شيء يعجبه . فيقول : أنا ابن فلان . وفي الحديث : من اتصل فأعضوه . أي من أدعى دعوى الجاهلية فقولوا له : أعضض . . . أبيك . وفي حديث أبي : انه أعض انساناً اتصل . واتصل: انتسب وهو من ذلك . قال الاعشى :

اذا اتصلت قالت ابكر بن وائل وبكر سبتها والانوف رواغم

اه . المطلوب من ايراده

ومن اسمائه العزاء والاعتزاء والعزوة على ما جاء في التاج وزاد قوله : في الحديث : « من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا » يعني انتسب الى الجاهلية وانتمى كيا فلان ويا لبني فلان . انتهى

والانتماء من مرادفات الاعتزاء وقد ذكره جميع اللغويين

ويقال له أيضاً (النسبة الجاهلية) وقد صرح بها غير واحد من اهل الحديث

هذا مجمل ما يقال في هذا الموضوع ، وقد يكتب فيه عشرات من الصفحات والخلاصة واحدة . وعلى كل لا بد من مراجعة كتاب الامثال للميداني وكتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني وكتاب المحاضرات للراغب الاصبهاني الى غيرها من كتب الادب وهي كلها لا تخلو من ذكر وقائع وحكايات وروايات تشمئز منها نفس كل فاضل . ومن الغريب ان مثل هذه المؤلفات تطبع اليوم على علاتها في مثل هذا العصر ولا تنزع منها تلك الاوضار التي لا فائدة في ذكرها ، ولا خسارة في اهمالها . وهو الهادي الى سواء السبيل ! « مستهل »

الحيوانات الممثلة

وتفاوتها في الذكاء والحذق

يشاهد سكان المدن من حين الى آخر أجواقاً تستخدم الحيوانات من قردة وكلاب ودببة الخ . . . تدربها على اتيان بعض الحركات والاعمال . وقد نبغ أفراد من هذه الحيوانات واصبح لها شأن في عالم التمثيل فتهافت الجمهور على مشاهدتها وربح اصحابها أموالاً طائلة فكان ذلك الربح مكافأة لهم على طول الاناة وجميل الصبر اللازمين لتدريب تلك الحيوانات وتعليمها



القردة سوزي تتعلم القراءة

وهناك طائفة من العلماء اهتموا في تربية الحيوانات لا بقصد الربح بل لدرس طبائعها واخلاقها وتوفق فريق منهم الى نتائج ذات شأن . وفي مقدمة هؤلاء العلماء الاستاذ جارنر الاميركي الذي قضى سنوات طويلة في غابات افريقيا لدرس أخلاق القرود . وقد أتى ببعض منها لما عاد الى اميركا ومن جملتها القردة سوزي فقد كانت سوزي هذه وهي حديثة السن تعبر عن حاجتها باربعة عشر صوتاً من أصوات القرود وفيها ذكاء وتشبه الطفل الانساني في كثير من أحواله ولا سيما في الضحك والبكاء . ولذلك رأى الاستاذ أن يعهد بتعليمها الى صغيرة مثلها فكلف الفتاة التي تراها معها في الرسم وهي من بنات جيرانه أن تعلمها أحرف الهجاء فنجحت بعض

النجاح . وقد لاحظ الاستاذ أن سوزي كانت تجهـد نفسها وتعمل فكرتها لتفهم الدرس الذي يلقى عليها لـكنها كانت في الغالب لا تستطيع صبراً عليه

ولعل حكاية الفرس الحاسب الذي صار يجمع ويطرح ويضرب أغرب من هذه . وذلك ان رجلا المانياً اسمه هر فون اوستن كان يقيم في شمالي برلين تفرغ لدرس طبائع الحيوان منـذ مدة . ولحظ يوماً ان فرساً روسياً من أفراسه فيه طبيعة التفكير . فوجه عنايته الى هـذا الجواد وأخذ في ترقية تلك الطبيعة فيه فنجح نجاحاً باهراً . وسماه «حنا النبيه» وجرى في تعليمه وتثقيفه على أحدث طرق التعليم المدرسي في أوربا بالرسم أو الـكتابة على الالواح السوداء بالطباشير أو بالخرز أو بادوات اخرى لترقية



الفرس النبيه الحاسب

الشعور فيه بالروائح والالوان ونحوها . ووجه عنايته الى تعليمه الحسـاب بالارقام فعلمه الجمع والطرح والضرب والقسمة وأخذ في تعليمه الكسور العشرية وما وراءها

وشاع أمر هذا الفرس في برلين وتألفت لجنة من علماء الحيوان لمشاهدته وامتحانه فتحقق عندهم انه يفعل ذلك عن نباهة وتفكير وليس عن سليقة أو عادة . وقد أخذ بناصر فون أوستن في هذا الشأن وايد رأيه هر شيلنس أشهر علماء الحيوان في برلين وآل خبرة في المؤتمر الدولي لحماية حياة الحيوان في افريقيا الذي انعقد في لندن منذ أعوام . وقد رحل شيلنس المذكور الى افريقيا حتى قطعها كلها تقريباً واكتسب اختباراً عظيماً في تدبير الحيوانات . فلما امتحن «حنا النبيه» رآه يجيب على كل مسألة تطرح عليه جواباً لا سبيل الى الشك في انه صادر عن روية وتفكير . وهو يقرأ الخط

ويعرف قيمة الاعداد أو النقود أو نحوها واذا نظر الى الساعة عرف الوقت تماماً واذا أريته صورة احد الاشخاص الذين يعرفهم عرفه حالاً. ولكنه بالطبع لا يظهر معرفته بالنطق ولكنه يجيب على ما يطرح عليه بتحريك الرأس . فاذا اراد «نعم» حنى رأسه أو اراد «لا» هزه ـ وهز الرأس علامة النفي في البشر كما لا يخفى . وأما الاسئلة الحسابية فانه يجيب عليها بالنقر على الارض بحافره الايمن . واذا اراد تأكيد جواب بما ينوب عن رفع الصوت عند الادميين رفس الارض بحافره الايسر



عطف قردة على طفل

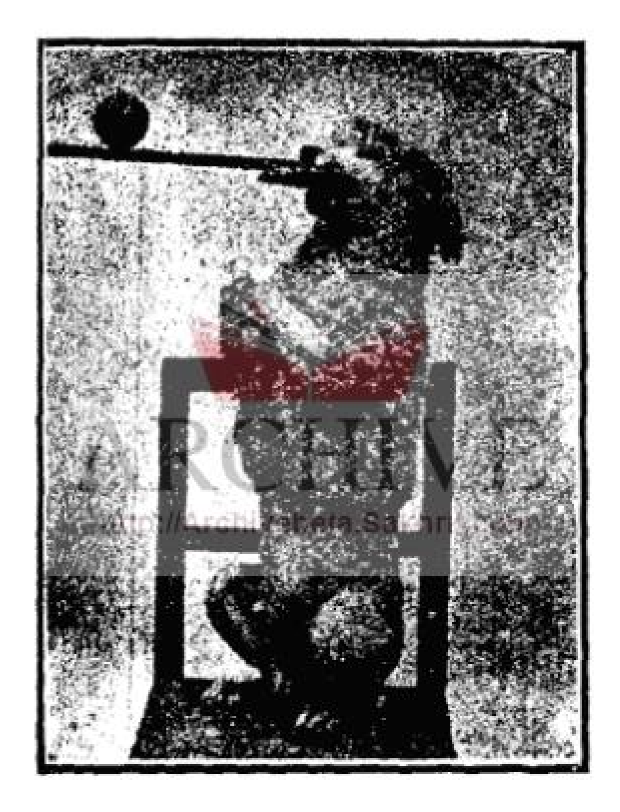
* * *

وقد تضاعف شأن الحيوانات الممثلة بعد اختراع السينماتوغراف وانتشاره وتفرغ كثيرون لتدريب الحيوانات وتعليمها القيام بادوار تمثيلية وأخذ صورها بالسينماتوغراف لعرضها على جماهير المتفرجين . وقد اطلعنا على مقال نشره أحد أرباب هذه الصناعة ضمنه اختباراته مع الحيوانات مما يلذ الوقوف عليه . وفيما يلي أهم ما ذكره من ذلك . قال :

لم أجد بين جميع الانواع التي دربتها وعلمتها ـ وكثيرة ما هي ـ حيوانات اصلب

عقلاً وأبلد فهماً من النعام . فانه يكاد يكون من المتعذر الاستفادة منه للتمثيل السينماتوغرافي . وفي طبقة بعده الارانب والهررة والاوز والحيات

وأول الصفات اللازمة لمربي الحيوانات رباطة الجأش . فان الحيوان اذا شعر بخوفك منه لا يلبث ان يسيء اليك ولكنه اذا شعر بطمأنينتك وثقتك ينقاد لك ويطيعك بلا تردد . وقد حدث لي حادث يدعم هذا القول ويثبته وذلك انني كنت قد اقتنيت أسدين لاستخدامهما في التمثيل وكان أحدهما واسمه « مارس » شرساً



كلب يتمرن على حفظ موازنة كرة فوق خشبة في فمه

خطراً ولذلك لم أجرأ يوماً على اخراجه من قفصه فكنت اقصر أدواره على ما يمكن عمله داخل القفص . اما الآخر واسمه « فندردي » فكان هرماً مريضاً ولم يكن يخشى منه ضرر البتة . فحصل يوماً اني احتجت الى « فندردي » هذا ليلعب دور تمثيلي فارسلت احد الخدم ليستحضره ولكم دهشت بعد دقائق قليلة حين رأيت ذلك الخادم وبجانبه « مارس » . فادركت ان « مارس » لم ينقد هذا الانقياد الا لثقة الخادم بنفسه وهو يظن انه يقود « فندردي » فاقتربت من الخادم وقلت له:

« كن هادئاً ولا تضطرب . ليس هذا هندردي ولكنه مارس . ظل رابط الجأش ولا تخف » فامتقع وجه الرجل ولكنه مع ذلك كظم خوفه وتغلب عليه . وتمكنا معاً من اعادة الاسد الى قفصه حتى اذا اقفلنا عليه الباب تنفسنا الصعداء بعد أن كنا من الهلاك على قاب قوسين أو ادنى

والصفة الثانية في الاهمية الملاطفة ولا اريد بذلك تحريم ضرب الحيوانات . فان الحيوانات كالاطفال قد تفيدها صفعة او لطمة من حين الى آخر وانما قصدي انه يجب على الاجمال معاملتها بالحسنى . وبهذه المناسبة اذكر اني طالعت أخيراً احتجاجاً شديداً على الاجواق السينماتوغرافية التي تستخدم بعض الحيوانات للتمثيل ولا تحجم



فرس يركب من الاحرف الخشبية الكلمة المكتوبة امامه

عن تعذيبها وقتلها الهاءً للجمهور المتفرج . فرداً على ذلك أقول انني استخدمت آلاف الحيوانات ولم أر منذ احترفت هذه الصناعة الا حيوانين يقتلان ، الاول فرس سقط يوماً فتكسرت بعض عظامه فقتل لاراحته من آلامه . والآخر أسد أصيب بروماتيزم عضال فتقرر قتله . فرأيت أن يستخدم قبل قتله لتمثيل دور ويقتل في أثناء قيامه به . وليعلم القراء أن معظم حوادث قتل الحيوانات فيما قد يشاهدونه على لوحة السينماتوغراف ليس قتلاً حقيقياً اذ أنه عند ما تأتي ساعة القتل في التمثيل يُستبدل الحيوان بتمثالٍ له او ان ارباب الفن يلجأون الى بعض الحيل التي توهم الناظر أنه قتل حقيقي . وأهم هذه الحيل التصوير المزدوج والمراد به تحليل الصورة النهائية

التي تراها في السينماتوغراف الى قسمين يصور كل منهما على حدة . فقد مثلنا مرة حكاية شوهد فيها طفل معلق بطرف ثوبه ومدلى من شرفة تطل على ساحة فيها أسود وكانت الاسود تقفز لالتهامه والمسافة بينها وبينه يسيرة جداً . فالحيلة التي استعملت لتصوير هذا المشهد كانت كما يلي :

أخذت صورة الولد وحده - وهو مدلى من الشرفة - على نصف الشريط (الفيلم) فقط أي ان العدسة التي في مقدم آلة السينماتوغراف غطي قسمها الاسفل حتى لا ينطبع على الشريط الا القسم الاعلى الذي فيه الطفل ثم جيء بالاسود وصورت في القسم الاسفل من الشريط نفسه وغطي القسم الاعلى حتى لا تشوه صورة الولد . وهكذا ظهر الطفل والاسود معاً في مشهد واحد . ولكي تثب الاسود ويخيل الى الناظر أنها تريد الافتراس علقوا مكان الطفل قطعة لحم كبيرة فبلغوا بذلك مرادهم

وقد دلنا الاختبار على اننا حين نعجز عن حمل أحد الحيوانات عن القيام بعمل معين يمكننا أن نصل الى غرضنا بجلب حيوان آخر يستطيع ذلك العمل فيعمله على مرأى من زميله فلا يلبث هذا الاخير ان يقتدي به

وبالاجمال ان الذكور والاناث تكاد تكون متساوية المواهب في التمثيل. على انني افضل الذكر في الاسود لانه اسهل مراساً واما في الحيوانات الصغيرة كالكلاب والهررة فيتراءى لي ان الانثى غالباً احذق واذكى

وكلما تقدم الحيوان في السن كان اكثر قابلية للتعليم - الا القرود فانها ألين وابرع وأسهل تدريباً في حداثتها ويمكن المعلم الماهر اذ ذاك أن يعلمها اتيان أي عمل من الاعمال الانسانية الاعتيادية كالتدخين بالغليون وركوب الدراجة واطلاق بندقية او مسدس وربط حبل وحله ومسح أرض غرفة الخ . . .

ومن أغرب طبائع الشمبنزي (وهو من أنواع القردة) حبه للاطفال . كان لي مساعد في تربية القرود وكان عنده قردة من نوع الشمبنزي تحب طفلته كثيراً وتعطف عليها . فلما توفيت امرأته أظهرت هذه القردة حناناً غريباً على الطفلة . وكانت تناولها الحليب من الزجاجة كما يتضح ذلك من الصورة المنشورة سابقاً. وكثيراً ما كان الوالد يترك ابنته تحت حماية القردة

وأسهل الحيوانات تعليماً بعد الشمبنزي الكلاب ففي الامكان تعليمها أموراً كثيرة من الصعوبة بمكان على شرط استخدام الطرق القويمة

اللغة الدولية – ٢

بقلم باحث مدقق

[الهلال] طرق صاحب هذا المقال في الجزء الماضي ضرورة اللغة الدولية ، والشروط المطلوب استيفاؤها في اللغة الدولية ، واشهر اللغات الاصطناعية المبتكرة من سنة ١٦٢٩ الى سنة ١٨٧٩ وقد ارجأ الى هذا الجزء بحثه في اللغة الدولية النهائية وهي اللغة الايدية

اللغة الدولية النهائية : الايدية

يليق بنا بادىء بدء أن نتكلم عن ظروف نشأتها لما في ذلك البحث من العبر المفيدة. في سنة ١٩٠٠ اذ فتح معرض باريس العام الطائر الشهرة التام في عاصمة فرنسا « مدينة النور » عدة مؤتمرات دولية فشعر فيها جليًّا بمسيس الحاجة الى لغة دولية هيهات أن تأتي بدونها المؤتمرات بكل نتائجها العظيمة لترقي العلوم والشعوب . فانتخب بعض المؤتمرات الباريسية نوّاباً وكلوا الى همتهم ودرايتهم حلّ معضلة اللغة الدولية . فاجتمع هؤلاء في يناير سنة ١٩٠١ وأسسوا ديواناً لبلوغ مآربهم فاجرى التحقيقات اللازمة وعرّف غايته لكل الامم فحبذها ١٢٥٠ شخصاً من اعضاء الاكاديميات وأساتذة الكليات في جميع أصقاع المعمور فضلاً عن ٣١٠ جمعيات وشركات شتى . وكان كل ذلك بين غرة سنة ١٩٠١ ومنتصف سنة ١٩٠٧ وهو برهان جديدٌ لا مرد عليه يثبت شدة ضرورة اللغة الدولية للمجتمع البشري . بعد تلك السنوات السبع التمهيدية رأى الديوان أن يعقد في باريس لجنة دعا اليها اشهر اللغويين في اوربا وأطولهم باعاً ليت مشكل اللغة الدولية على أسلوب علمي ونهائي . فالتأمت تلك اللجنة في اكتوبر سنة ١٩٠٧ وفي أثناء ١٨ جلسة طويلة القت نظر الانتقاد الصائب على كل الالسن الاصطناعية المعروضة لفحصها وعددها يناهز العشرين وفي مقدمتها الاسبرنتية وكانت حينئذ في أوج عزّها . فهاك الفتوى التي أصدرها بل أمضاها كل اعضاء اللجنة دون استثناء وبعضهم اسبرنتيون : « قرّ قرارُنا على اختيار الاسبرنتية نظراً الى كمالها الجزئي انما ينبغي تحسينها من عدة أوجه وفقاً لمشروع اللغة الايدية » ولفظة مشروع المستخدمة في نص هذا الحكم تدل القارىء اللبيب على كون المركيز دي بفرون مبتكر الايدية لم يكن اقترحها على اللجنة بصفة لغة اصطناعية كاملة الاجزاء بل اكتفى بعرض مبدئها العلمي أي ناموس الدولية العظمى ثم ملخص

غراماطيقها وبضع مئات من مفرداتها وجملها . فلجنة اللغويين استحسنت الايدية أيّ استحسان وحكمت بلزوم ادخال كل كمالاتها الخاصة في الاسبرنتية . ولما كان مثل ذلك الاصلاح يقلب هذه ظهراً لبطن والاسبرنتيون يهنئون أنفسهم قبل فتوى اللجنة بالنصر المبين فار فائرهم حين وقفوا على خيبة آمالهم وهدم ركن عزمهم الشامخ . فقاموا كرجل واحد بل كجيش جرار في وجه العدد القليل من طالبي الاصلاح المشار اليهم آنفاً وحللوا كل محرم من ضروب الاراجيف والاكاذيب والنمائم وذرائع الارهاب لمنع ادنى تحسين يراد ادخاله في لسانهم مدعين ادعاء الحمق بل الجنون أنه لسان حيّ لشعب حيّ فمن المستحيل مسُّه ونافين وجود اية سلطة ولو علمية وأدبية في اللجنة المتجاسرة على الطعن في لغتهم « الحيــة » وتفضيل الايدية عليها وكانوا في الامس راضخين لاحكام تلك اللجنة قبـل اصدارها ! وخلاصة الامر أعني بذلك السبب الحقيقي لازبداد الاسبرنتيين وارغائهم أن كثيراً من قوّادهم كانوا مؤلفي مئات من الـكتب الاسبرنتية ، فرأوا في اتخاذ الايدية بصفة نموذج لتقويم ما أعوج من لغتهم وتحسين ما شاء وفقاً لفتوى لجنة اللغويين خسارةً ماليّـة جسيمة يلتزمون بحمل عبئها الباهظ فآثروا صوالحهم الخاصة على مصلحة جمهور الاسبرنتيين بل جميع الشعوب . وكم أرانا التاريخ من أمثال تلك الأثرة الشائنة المستقبحة ! وعلى كل حال فان كثيراً من الاسبرنتيين المعدودين الذين لم يعمهم الغرض الشخصي انضموا من اول وهلة تحت علم الايدية وانفصلوا عن اخوانهم الجهلة أو المتجاهلين انفصالاً تاماً فانشأوا أكاديميـة فوّضوا الى اعضائها المنتخبين من بلاد كثيرة مهمة اغناء معجم لغتهم بكل ما يلزمها من الـكلمات لتجاري أرقى الالسن ثم تحسين غراماطيقها في بعض نقط ثانوية لم تزل بعد على بساط الجدال . فقامت بمأموريتها خير قيام من سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩١٣ حيث يسوغ التصريح بان الايدية بلغت أشدها واوج كمالها

سبق لنا القول بان أفضلية الايدية على الاسبرنتية ناجمة جوهرياً عن كون الاولى وحدها قد اقتبست كل جذور الفاظها من اوسع الالسن الراقية شيوعاً بحسب مبدأ علمي ليس فيه لعيّاب معاب ألا وهو ناموس « الدولية العظمى » . واليك جدولاً يبين كم في من جذور اللغتين الدوليتين مستعار من كل من الفرنساوية والانكليزية وهما بدون مراء ملكتا كل الالسن :

أخذ من الفرنساوية ٩١ في المائة من جذور الايدية و٨٣ فقط من جذور الاسبرنتية

اخذ من الانجليزية ٧٩ في المائة من جذور الايدية و ٧١ فقط من جذور الاسبرنتية

فهل من مكابر يجاسر بعد معاينة هذه الارقام التي لم يجد نفس الاسبرنتيين سبيلاً الى انكارها على نفي تفوق الايدية العظيم من جهة سهولتها وسرعة فهمها. ولها أيضاً غير ذلك من المزايا على وصيفتها فهي أغنى منها بدون قياس في عدد كلماتها ولا سيما العلمية والفنية ، ففي غرة هذا العام كان قاموسها محتوياً على ٨٠٠٠ جذر ونيف اشتق منها ما يزيد عن ٥٠٠٠٠ كلمة ولا نكاد تصادف مثل هذين الرقمين في أغنى اللغات كاليونانية العتيقة . اما الاسبرنتية فمع كونها سبقت الايدية بعشرين سنة فان معجمها الكامل المنشور سنة ١٩١٠ لا ينطوي على اكثر من نحو ٢٠٠٠٠ كلمة. ومن الاكيد الذي لا يختلف فيه اثنان ان لغة زامنهوف لم تغتن بالالفاظ اغتناء يذكر منذ تلك الازمان ولا سيما ان الحرب الكونية كانت لها بمثابة ضربة قاضية من سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩١٩ . وأخيراً أن لفظ الايدية أسهل كثيراً من لفظ وصيفتها وقواعدها أبسط . وبينما أحرف الايدية هي عين الاحرف الانجليزية الموجودة في كل مطابع العالم وآلات الكتابة فان خمسة من أحرف الاسبرنتية تعلوها الاشارة المعروفة عند الفرنساويين باسم accent circonflexe ، ومن البديهي أنها ليست في كل المطابع وآلات الكتابة . ولعمري ان ذلك العيب وحده كاف لتشويه الاسبرنتية ومنع انتشارها في كل البلاد . ولكي يستطيع القراء بعض المقارنة بين اللغتين المتزاحمتين نعرض على محك انتقادهم نصاً أيدياً منقولاً الى الاسبرنتية ثم الى العربية :

الايدية	الاسبرنتية	العربية
Kande omni ti qui volos la suceso di la linguo internaciona konocos omna kondicioni di la problemo solvenda, lore la selekto dil maxim bona linguo divenos mia desfacila.	Kiam chiuj tiuj kiuj volas la sukceson de la lingvo internacia konos chiujn kondichojn de la problemo kiun oni devas solvi, tiam la elekto de la plej bona lingvo ĝhos malpli malfacila	متى عرف كل مريدي نجاح اللغة الدولية جميع شروط المشكل المقصود حله حينئذ يصبح اختيار افضل لغة اقل صعوبة

فليحكم الآن القارىء الذي له أدنى المام بالانجليزية او الفرنساوية اي اللغتين الدوليتين ارخم لفظاً واوضح معنى !

بقي علينا قبل ختم مقالتنا ان نوجه أنظارنا هنيهة الى انتشار الحركة الايدية في العالم حاضراً . فنقول انه لعجب عجاب ولا سيما اذا اعتبرنا ان الايدية نشأت سنة ١٩٠٧ ولم تكمل قبل سنة ١٩١٣ ثم ان الحرب الكونية كادت تلاشي ما فازت به قبلها من الرواج ملاشاة الاعاصير لنحيف الاشجار التي لم تتأصل أرومتها في أعماق الارض . اليوم نرى الايدية منتشرة في البلاد الآتية على الخصوص : بريطانيا العظمى وفرنسا والمانيا والنمسا والمجر وتشاكو سلوفاكيا وهولندا وبلجيكا ودانيمرك واسوج وايطاليا واسبانيا وفنلندا وليتونيا . وخارجاً عن أوربا نجد الولايات المتحدة واوستراليا أجدر بالذكر من سواها [1]

ومن جهة اخرى فقد انبأتنا احصاآت واردة من أوثق المصادر ان عدد الايديين المعروفين بهذه الصفة يناهز عشرة آلاف . وان عدد العارفين باصول اللغة ربما بلغ عشرين الفاً بدليل كون الغراماطيق الايدي المطبوع بالالمانية بيع منه سنة ١٩١٢ نحو عشرة آلاف نسخة !

ولدينا امثلة اخرى من هذا القبيل ـ اما عدد الكتيبات الايدية فانه يبلغ على الاقل ١٦٥ ومنها غراماطيقات في ثماني لغات مختلفة . وعدد المجلات نحو عشر منها مجلة طبية نشأت في المانيا سنة ١٩٢٠ . وعلاوة على كل ذلك يظهر في استوكهلم عاصمة اسوج جدول للمراسلة الايدية يحوي اسماء وعناوين نحو ٨٠٠ شخص ينتمون الى ثلاثين قطراً من أقطار العالم [2] وكان في نية ائمة الحركة الايدية أن يعقدوا مؤتمرهم الاول سنة ١٩١٤ فحالت الحرب الضروس دون مرامهم وهم الآن يؤملون عقده في فينا عاصمة النمسا اثناء الصيف القادم ثم انهم ارسلوا من مدة قريبة عريضة لجمعية الامم لافتين انظارها الى اهمية مشكل اللغة الدولية ولا سيما في ايامنا هذه المضطربة ومتوسلين اليها ان تقدم على حله بسلطتها السامية . فقبلت هذا الاقتراح وهي تجري منذ اشهر

---

(١) وقد امتدت اخيراً الى وادي النيل بمساعي انطون افندي تادرس القاطن بالمنصورة ومن اراد استعلاماً في هذا الشأن فليخابره

(٢) عدد الاسبرنتيين لم يبلغ ٤٠٫٠٠٠ حتى ولا قبل الحرب اذ أدركت الحركة الاسبرنتية أوج ازدهارها . أما الآن فلا أظن عددهم يتجاوز ٢٥٫٠٠٠ والحالة هذه فالفرق بين الاسبرنتية والايدية من جهة الانتشار ليس عظيما اذ ان عدد الايديين يفوق عشرة الاف . كان لهم سنة ١٩١٤ نحو ١٧ نشرة و ٢٠٠ جمعية

التحقيقات اللازمة للمقارنة العلمية بين الايدية والاسبرنتية واصدار حكمها في ايهما افضل فتى صدر — ولا نشك في كونه يخول الايدية نصراً باهراً — فاننا نبادر الى اطلاع قراء الهلال عليه وكل آت قريب[1]. وسنوقفهم أيضاً على نتيجة تحقيقات اخرى تجريها الآن في لندن الجمعية البريطانية لترقية العلوم. وماعدا هذه وجمعية الامم يوجد الآن نحو اربع لجان أخر لا تألو جهداً في الاحاطة بكل أطراف معضلة اللغة الدولية للتوفق الى حلها نهائياً. واحداها تبذل مساعيها المشكورة في الولايات المتحدة بمساعدات مالية وافرة نالتها من محالفتي ركفلر (Rockfeller) وكرنجي (Carnegie) المعروفتين هنالك باسم ترست (trust). فاحرِ بكل تلك التحقيقات الجارية حاضراً على يد جمعيات شهيرة أن تبرهن بحجج دامغة جلية على فائق اهمية مشكل اللغة الدولية وضرورة حله من قبل الامم والدول كما حله سنة ١٩٠٧ بسلطة العلم أئمة اللغويين

وسائل يوقفنا هنا ويسألنا معترضاً: أسلم بناء على فتوى الثقات بافضلية عظيمة للايدية على الاسبرنتية ولكن ماذا يضمن لي أن احد الباحثين والمبتكرين لا يأتينا غداً بلغة دولية جديدة من بنات افكاره يثبت أنها تفوق الايدية؟ بل ربما وليه مستنبط آخر وجاء بلسان أكمل من سلفه. فاين الوقوف بذلك الترقي المتواصل وهل

---

(١) سهولة الايدية وسرعة تعلمها تفوقان التصور وقد اختبرت ذلك في نفسي وفي كثير من تلاميذي. أتذكر ان احد هؤلاء انكب مدة خمسة أيام لا غير على دراسة تلك اللغة فاستطاع أن يكتب بها مقالة ذات صحيفتين صححتها فلم أجد بها سوى نحو عشر أغلاط وستنشر في احدى المجلات. الحق يقال ان ذلك الشخص شديد الذكاء. ولكن يسوغ التصريح بان كل متوسط العقل يمكنه التوصل الى قراءة الايدية بل الى كتابتها في ظرف ثلاثة أو أربعة أشهر. وكفى شاهداً على ذلك رواج هذه اللغة في طبقة العملة العارين عن التأدب فلهم الآن نواد ايدية في مدن كثيرة من اعظم الاقطار الاوربية

وكل تلك النوادي مرتبطة بوثيق العرى فانها تتحد في جمعية واحدة اسمها « الكوكب المحرر » (Emancipanta Stelo) مركز ادارتها باريس حيث الحركة الايدية سائرة على قدم وساق في عالم العملة

ويجدر ايضاً بالذكر ان احدى المجلات الايدية الواسعة الانتشار هي مجلة مختصة بالعمال الاشتراكيين. اسمها « الهيئة الاجتماعية » (La Socio) وهي تظهر في مدينة أرنهم Arnhem (هولندا)

من الحكمة أن نخص الايدية باختيارنا ونقبل على دراستها ونحن غير موقنين ببقائها ولو بضعة أعوام ؟

نعم الاستفهام وحبذا الاعتراض ! نجيب عليه بكل ثقة وطمأنينة : لا تخش ياصاح وقوع المحذور العظيم الذي اشرت اليه . لماذا ؟ لان ابتكار لغة دولية اكمل من الايدية لاشد استحالة من بيضة الديك او الغول او العنقاء ! واليك برهاناً جلياً على ذلك يلقم كل مكابر الحجر . الايدية كما صرحنا غير مرة قد عينت كل جذورها ومشتقاتها بل كل قواعد صرفها ونحوها وفقاً لناموس « الدولية العظمى » . فيترتب على ذلك في عين كل متبصر لا يقف عند قشر الامور بل يلج بثاقب عقله الى لبها ان الايدية اسهل وابسط لغة دولية يمكن استنباطها في دور تمدننا الحاضر . واذا شئت دليلاً آخر يؤيد الحجة السابقة التي لا مرد عليها فاعلم ان اثنتي عشرة لغة دولية على الاقل برزت للوجود بعد الايدية اعني من سنة ١٩٠٧ الى اليوم والاخيرة على علمنا ولدت في العام المنصرم بعاصمة النمسا واسمها لوجي (Logui) . والحال أن كل هذه الالسن الجديدة لم تخرج من اوراق منشئيها اومن كتبهم الى عالم الوجود العملي فهي حينئذ في حكم العدم . اما الاسبرنتية وهي الآن المزاحمة الوحيدة للايدية فان ازدهارها الجزئي في الوقت الحاضر ناجم عن كونها سبقت الايدية بعشرين عاماً ولا سيما عن كون مئات من المعدودين قد اعلنوا حرباً عواناً على الايدية واخفوا عن جمهور مشايعيهم تفوق عدوهم الذي لا يجاسرون على انكاره . وقد بينا سابقاً ان الاغراض الشخصية اعمت بصائرهم فانهم يخشون من ظفر الايدية خسارة فادحة تصيبهم بسبب كساد كتبهم وسائر سلعهم الاسبرنتية . وقد سبق القول ايضاً بان كل الاسبرنتيين المتنورين المجردين عن الغايات لا يزالون يتقاطرون زرافات ووحدانا الى الايدية ويتكاتفون بحراً يفوق عدد جنوده على عشرة آلاف تحت علمها المظفر. فانكسار الاسبرنتية امر لا بد منه في المستقبل القريب او البعيد ومن المحال ان تفضل جمعية الامم والامم نفسها لغة كالاسبرنتية كثيرة الشوائب صاغها رجل مفرد بدون استناده الى اقل مبدإ علمي مقبول على لسان كالايدية لا غبار عليه صاغه عشرات من اللغويين والخبراء في ظرف سبع سنين مطبقين كل اصوله وفروعه دون شذوذ واحد على ناموس « الدولية العظمى »

لسان الكشاف

أريب هذا الدهر قلبك يجزع ... أم هل رأيت السلم وهو يزعزع
مهلاً فان الدهر في غلوائه ... أردى الانام فكلنا متوجع
فاصبر على مضض الزمان وريبه ... فالصبر في كل المطالب انجع
أيروعك الماضي وعزمك حاضر ... وبروقه بين الغياهب تلمع
ان خانك الماضي فكله الى غد ... ما أحسن العقبى لمن يتطلع
فاعمل ولا تكُ في البرية عاجزاً ... تشكو الخطوب تئن أو تتصدّع
واطلب بكور الفضل في إبانه ... ما كل من يلقى الزرائع يزرع
أوما رأيت الطفل ان واليته ... في المهد صار على الهدى يترعرع
والغرس ان هذبته فصلاحه ... يرجى وان اهملته فمضيّع
وكذا الفضائل ان يكنّ غرائزاً ... حسبت والا نالها المتصنع
ولذا انتحينا في البلاد كشافة ... نقوى بها بين الانام وننفع
لنسير بين العالمين على الهدى ... حتى نشب على الفلاح ونطبع
فنساعد المحزون في أحزانه ... ونعين أهل البؤس ان يتوجعوا
ونحضّ أهل اليسر ان جلّ الردى ... ونرد أهل البغي ان يتذرّعوا
ونذود عن أهل الديار ونبتغي ... نهج السداد فلا نملّ ونفزع
نسعى الى العلياء سعي مجاهد ... ان المعالي دأبنا المتوقع
انا وان صغرت لكم أجسامنا ... فخلومنا فيكم تجل وترفع
نسدي اليكم في الزمان عجائباً ... ان شامها البدر المكمل يركع
نبني لكم فوق النجوم مكانة ... يحلو بها شعر الاديب ويسمع
سنكون ذخراً للبلاد وعصمة ... ويدوم فيها فيحنا المتضوّع

محمد عبد السميع
مدرس بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية

جنون الدول

اثباته بالتحليل النفسي

تصاب الجماعات البشرية بالجنون كما يصاب الافراد . فكما ان الانسان يختل شعوره في بعض الاحيان كذلك الامم يختل شعورها - ولكن في معظم الاحيان . فالفرق بين نوعي الاختلال ان الاول هو في الافراد من قبيل الشذوذ في حين ان الثاني هو في الجماعات من قبيل القاعدة

لا نرمي بقولنا هذا جزافاً بل ليس فيما نقول شيء من المغالاة فما هو الا تقرير لحقيقة ثابتة في نظرنا مبنية على ملاحظة الاحوال النفسية في الجماعات التي تتألف منها الانسانية - نعني الشعوب - والتبصر في مسالكها ومراميها ولا سيما في هذه السنوات الاخيرة وقد أتيح لنا استجلاء الكثير من غوامضها ومكنوناتها . وقد كان جل اعتمادنا في كتابة هذه المقالة على ما كتبه العلامة نوفيكوف في كتابه « امكان السعادة » Possibilité du Bonheur

الجنون في الافراد

« ان وظيفة العقل هي تمثيل العالم الخارجي تمثيلاً صحيحاً منطبقاً على حقيقة الاشياء » فاذا جاء تمثيله ناقصاً او مشوهاً لتلك الحقيقة او مناقضاً لطبيعة الاشياء كان مقصراً في اداء وظيفته اما لنقص في تركيبه او لخلل في نظامه . ففي كلتا هاتين الحالتين يكون العقل مصاباً بمرض مهما اختلفت اسماؤه لا يخرج عن كونه الجنون باحدى صوره واليك مثلاً بسيطاً يوضح ذلك :

من البديهي ان كل كائن حي يرمي بطبيعته الى حفظ حياته وانمائها وهو يسعى الى ذلك بالطرق الفطرية التي يهتدي اليها بغريزته كالغذاء والحركة والراحة الخ . فاذا قام في الناس من انقطع لغير ما سبب عن الطعام مدعياً ان تلك هي الطريقة المثلى لبقاء الحياة عده الناس مجنوناً وحق لهم ذلك لان عقله قد صور له امراً مناقضاً لطبيعة الاشياء وهو ان الصوم ينتج الحياة فالجنون ظاهر في هذه الحال والدليل عليه اتيان أمر مناقض لسنن الطبيعة التي اودعت في الخلق منذ الازل

الجنون في الجماعة

ولننتقل الآن من الفرد الى الجماعة ولنطبق هذا المبدأ على الجماعات البشرية :

الجماعة في عرف العلم الحديث جسم حي خاضع لنواميس الحياة من حيث النشوء والنمو والاندثار تحكمها في ذلك حكم الفرد أي انها مثله تسعى بفطرتها وراء الحياة لحفظها وانمائها . فالجماعة التي تأتي أعمالاً من شأنها عرقلة نموها واضعاف مجموعها هي بمقام المجنون الذي ينتحر بالانقطاع عن الطعام . ويتراءى للمتأمل ان معظم الجماعات اليوم تأتي مثل هذه الاعمال التي من شأنها في النهاية القضاء عليها . واليك البيان :

كيف نشأت الجماعات

عاش الانسان الاول وحيداً بعيداً عن بني جنسه لا يعتمد في تحصيل رزقه الا على عمله وسعيه. على انه ما لبث ان رأى من مصلحته الاجتماع مع بني جلدته اذ اتضح له أنه بالتعاون وتقسيم العمل تمهد سبل المعاش. فجعل يتقرب من اقرانه شيئاً فشيئاً فصار يأمن على نفسه من بطشهم وغدرهم وانشأ القوانين بالاتفاق معهم ليتيسر لكل فرد الانصراف بكليته للعمل والانتاج . وكان اول من عاش معهم في حالة اجتماعية اهل اسرته وهم أقرب الناس اليه ثم اتسع عقد اجتماعه بكرور الايام فشمل مدينته فاقطاعه فامته الى ان ضم الانسانية جمعاء

فالجماعة هي مجموع أفراد يعاملون بعضهم بعضاً بعدل وانصاف مستظلين بظل قانون واحد مساوٍ لهم في الحقوق والواجبات . فالجماعة التي تروم بلوغ أقصى درجة من السعادة والكمال (وما من جماعة لا تريد ذلك) ينبغي لها في المقام الاول ان تحرص على القانون العادل. فلا تسمح لفرد أو لفريق ان يهضم حق غيره بل تحرص على الحرية الشخصية بحيث يترك كل وشأنه يعمل حراً ومطمئناً على انماء قواه وزيادة انتاجه . فاذا اهملت ذلك فانها تسيء الى مجموعها وتعرقل نموه وتقدمه فتأتي عملاً منافياً للعقل هو من قبيل القضاء على النفس بالنفس

فالبشرية في عصرنا هذا تؤلف وحدة اجتماعية وثيقة الارتباط اقتضاها ناموس التطور الطبيعي في الجماعات . فلكي تنال البشرية (من حيث مجموعها) أعظم قسط من السعادة والحياة ينبغي لها أن تحرص على العدالة فيما بين الشعوب المؤلفة لها فلا تدع شعباً قوياً يستبد بشعب ضعيف أو يهضم حقه بل تساوي جميع شعوب الارض

في الحقوق والواجبات . فالامم في عصرنا هذا شديدة الارتباط تشقى بشقاء بعضها وتسعد بسعادة مجموعها ويمكن تشبيهها من هذا القبيل باعضاء الجسم التي لا غنى لاحدها عن الآخر فاذا سلب الكبد مثلاً حق الكليتين من الغذاء تأثرت صحة الجسم العمومية وانعكس فعل ذلك على العضو الغاصب . فالشعوب اذاً باغتصاب بعضها حقوق بعض وباعلانها الحروب طمعاً بالفتح والاستعمار واذلالاً للضعيف منها أو اخذاً بالثأر (كما تدعي) تأتي أعمالاً مضرة بمصلحتها ومعرقلة لتقدمها ونموها فعملها بهذا الاعتبار خارج عن أحكام العقل السليم فهو من قبيل الجنون الجماعي . هذا ما اردناه بقولنا ان الجماعات تصاب مثل الافراد بالجنون والاختلال . وفيما يلي بعض مظاهر هذا المرض الذي نضرع الى الله أن يبرىء الشعوب منه حرصاً على سعادة البشر

بعض مظاهر الجنون في الشعوب

من المعلوم لدى علماء النفس أن العقل قد يصاب بضرب من الجنون يدعى بالفكرة الثابتة . monoidéisme أو idée fixe . وهو أن تنبت في الذهن فكرة تجسم وتتضخم على حساب غيرها فتلازم العقل في جميع أحواله وتتحكم فيه آمرة ناهية مطاعة

فبين الافكار السياسية التي تنقاد اليها الشعوب اليوم وترضخ لاحكامها فكرة جنونية ثابتة استهوت عقول الساسة وقادة الامم ألا وهي فكرة الفتح والاستعمار وقد دعاها أحد الكتاب الاجتماعيين بمرض « الكيلومتريت » أي الجري وراء الكيلومترات . فانك تجد الشعوب ليومنا قد تسلطت عليها فكرة غريبة لا مبرر لها وهي فكرة زيادة الكيلومترات المربعة المؤلفة لاراضيها . فتراها ابداً تتحين الفرص للايقاع بجيرانها لسلبهم اراضيهم وممتلكاتهم الامر الذي بعث الامم على اساءة الظن بعضها ببعض وحملها على التجنيد والتسليح في زمن السلم كما في زمن الحرب . أنظر الى حالة الفوضى التي حلت في العالم اليوم هل هي من صالح الشعوب في شيء ؟ أليست هي كالمرض الفاتك المؤذن بالموت العاجل ؟ اذاً لماذا تجند الشعوب اليوم ابناءها وتحملهم السلاح بدلاً من أن تحملهم الفأس والمحراث وهي في أشد الحاجة الى الانتاج والتعمير ؟ ذلك لانها تتبادل اساءة الظن ، لانها تخشى قيام ذلك الجبار المقهور للاخذ بالثأر ! أفليست هذه الحالة مؤدية الى الخراب العاجل ؟ ألا فلتتخلص

الدول بعضها لبعض ولتطهر أدمغتها من فكرة الاستعمار أو الثأر وحينئذ تأمن الشعوب على نفسها فتسرح جيوشها ويعود ابناؤها الى العمل والانتاج . أليس الاجدر بالامم التي تدعي الانقياد للعقل واحكامه ان تعيش على وفاق وسلام تماشي سنة الجماعات في التطور فتوثق روابط الاتحاد واواصر المحبة محترمة حقوق بعضها بعضاً آمنة على مصالحها مطمئنة على حياتها ؟ ويكفي أن تحكم الرأي دقيقة واحدة في تحليل كلمة فتح أو استعمار أو « امبريالزم » كما يدعوه الغربيون حتى تتبين ما تحتوي عليه من المتناقضات والاوهام . فمن ذلك مقارنة قوة الدولة باتساع املاكها . فمن الاوهام المنتشرة انتشاراً محزناً أنه كلما وفقت الدولة الى زيادة اراضيها تزيد بذلك قوتها وسطوتها . فلعمري أي علاقة اليوم بين مساحة الارض وقوة الدولة ؟ بل اننا نجد بالعكس ان الاستيلاء على أملاك الغير بالعنف يضعف شوكة الدولة بما يشتت من قواها . ولحسن الحظ بدأت بعض الشعوب تعقل فادركت ان الاستيلاء على أرض بالقوة وبالرغم من ارادة اهلها لا يجدي نفعاً بل قد يكلف من النفقات المادية والمعنوية ما لا يوازي الربح من جراء احتلالها

ومن الاوهام التي قامت عليها فكرة الامبريالزم ايضاً الاعتقاد بان ثروة الدولة تكون بنسبة اتساع املاكها وهذا وهم لا يقبله عقل سليم مجرد عن تأثير الوسط . وهو اعتقاد راسخ في الاذهان من بقايا العصور المظلمة . فقد كان امراء الاقطاعات في ذلك الوقت يملكون حقيقة جميع الاراضي التابعة لاقطاعاتهم . ولذلك كانت ثروتهم تزيد بزيادة اراضيهم والعكس بالعكس . أما اليوم فلا علاقة البتة بين ثروة الدولة واتساع أملاكها فقد تكون الدولة الصغيرة التي لا تزيد مساحتها على مساحة البلجيك اغنى وأسعد حظاً من دولة لا تغرب الشمس عن أملاكها . بل ان اخضاع البلاد وتدويخها قد يكلف نفقات باهظة ترزح تحت أثقالها الامم

وهناك اعتبار آخر يكفي وحده لدك روح الفتح والاستعمار من اساساته لو فطنت الامم وعملت باحكام العقل . فمن المعلوم ان الثروة هي مجموع ما يحدثه العمل البشري من التحويل المفيد في مواد الطبيعة . فاذا توقف فرد من الافراد عن العمل المنتج لحمل السلاح والتعدي على الغير وسلب الحقوق بالحروب فان انتاجه يتوقف بذلك وينصرف عمله عن الاحداث الى الاهلاك والتخريب . فالقول اذاً بان ثروة شعب تزيد باستيلائه على مال غيره كالقول بان الثروة تتضاعف بنقصانها

هذا من الوجهة النظرية هو المبدأ الذي ينبغي للامم أن تسير عليه اذا اتبعت صراط العقل السليم. على أن الصعوبة التي لا تنكر انما هي تطبيق مبدأ العدل وتقرير المصير واحترام الحقوق تطبيقاً واقعياً . فلا بد لذلك من نظام قضائي دولي وليس من المحال ايجاده أسوة بما انشىء في داخل كل دولة من النظام الحامي للافراد شكري زيدان



العقبة في سبيل السلام (التسليح)

اعتذار

الى حضرات الكتاب والشعراء

لقد حالت كثرة المواد المعدة للهلال من جهة وكثرة ما تكرم به علينا حضرات الكتاب والشعراء من جهة أخرى دون تمكننا من نشر طائفة طيبة من المقالات والقصائد . فنغتنم فرصة ختام هذه السنة لنعتذر الى حضرات مرسليها الافاضل عن ذلك التقصير الذي أضطرتنا اليه الاحوال ولنسديهم خالص الشكر على غيرتهم وأدبهم

مذهبا

القرامطة والبلشفية

لا تزال بعض الحقائق التاريخية مبعثرة ومجهولة لدى السواد الاعظم من الامة ، ومن هذه الحقائق تاريخ القرامطة الذي أشار اليه بعض الكتاب وقال ان مذهبهم يشبه البلشفية. ولذلك كتبت هذه المقالة وبسطت فيها تاريخهم ومذهبهم وتطرقت الى المقابلة بينهم وبين البلشفية وأبنت وجه الشبه بينهما خدمة للتاريخ

١ ـ المقدمة

قبل ان نبدأ بالكلام على تاريخ القرامطة رأينا من المناسب أن نأتي على خلاصة لتاريخ الجمعيات السرية التي تشكلت في عهد الدولة العربية نوضح فيها الاسباب التي حملت القرامطة وغيرهم من رجال الفرق الاخرى على تأسيس مذاهبهم تتمة للموضوع فنقول :

ان قضية الخلافة ووراثة الملك كانت من اكبر العوامل التي أثرت في انقراض الدولة العربية واضمحلالها . وقد أصبحت هذه المسألة المعضلة الوحيدة للقوم منذ وفاة النبي (صلعم) تحدث من جرائها الحروب ، وقامت من أجلها الفتن . ولكن كان أبو بكر وعمر يعملان على إطفاء نارها بحكمة وروية الى ان جلس عثمان على كرسي الخلافة . وبعد مضي ست سنوات من جلوسه وجدت حركة في النفوس تتجه الى نقل الخلافة من عثمان الى علي وقام بث الدعوة انصار انتشروا في البلاد فالتف حولهم البعض ممن كانوا ينتمون الى علي . وكان ابن عفان منذ توليته الخلافة قد شعر بالخطر المحدق بالبلاد فاراد أن تكون له قوة يتكىء عليها في أيام المحن فقدم أبناء قومه ونبذ الاعاجم ومن كانوا يعيثون في الارض فساداً فاحدث عمله هذا ضجيجاً وصخباً لا سيما بين الاعاجم الذين كانت نفوسهم تحن الى قديمهم ، وتميل الى استرداد ملكهم المندثر ، ولكنهم اسروا نواياهم هذه الى ان قامت الفتن ضد ابن عفان فاراد زعيمهم (عبد الله بن سباء) أن ينتفع من وراء هذه الثورات فتمكن من أن يجتذب الى نفسه رؤساء الشيعة فانضم اليهم هو واشياعه يعملون في الخفاء ضد العرب كافة الى ان قتل عثمان وتولى علي أمر الخلافة وكاد عمل السبائيين بذهب

ادراج الرياح ، لان قضية الخلافة أوشكت أن تنتهي ولكن عبد الله ذاك الرجل المشبع بالانانية والمطامع ظهر بمظهر جديد فدعى الناس الى تأليه علي . فصادف عمله هذا ارتياحاً في نفوس الاقوام المختلطة التي اعتنقت الدين الاسلامي وساعده على انتشار فكرته أسباب هي :

اولاً — ان الدين الاسلامي دين حقائق والاديان الاخرى اعني الصابئة والمجوسية واليهودية كانت مبنية على الخيالات والاوهام وقد قالت علماء الاجتماع ان المؤسسات الجديدة لا تتركز في النفوس الا بالتقرب الى المؤسسات القديمة . فانتقال هؤلاء الاعاجم من عقائد خرافية الى عقيدة حقيقية بغتة جعل في نفوسهم ميلاً شديداً الى معتقدهم القديم . ولذلك صادفت دعوة أبن سباء الجديدة ارتياحاً في النفوس

ثانياً — ان الفرس وغيرهم كانوا أقرب الناس الى التأثر بآراء الشيعة لانهم لا يفرقون بين الخلافة والملك ، وكان الملك عندهم ينال بالارث وهو منحة يمنحها الله للاسرة المالكة ، فمن عارضها فهو خارج عليها يستحق المقت واللعنة

ثالثاً — كان للفرس السيادة على اكثر البلدان العربية ثم رأوا دولتهم انقرضت واصبحوا عبيداً للعرب فوجدوا هذا الوقت مناسباً لاسترداد ملكهم

ولما قتل الحسين ثارت نار الفتنة في البلاد وقام جماعة من الفرس يدعون الناس الى محاربة الامويين باسم الدين وهم في الحقيقة كانوا يعملون على استرداد ملكهم ولو فطن العرب الى هذه الدسائس السياسية التي كانت تمثل من وراء الستار لاتحدوا وبذلوا مجهودهم لوضع حد نهائي لمعضلة الملك والوراثة ولدامت دولتهم قروناً وأجيالا عديدة

وقد أشار صاحب شرح المواقف في كتابه الى نوايا هذه الفئة الطاغية أشارة جلية لا تقبل التأويل والتحريف حيث قال : عقد مجلس برئاسة عبد الله بن ميمون ابن القداح وبعد مذاكرات طويلة اقر المجلس على ما يلي :

« ان المسلمين غصبوا بلادنا ومحوا دولتنا . ولا يمكننا استرداد ملكنا المغصوب بالقوة . ولذلك يجب علينا ان نزرع بذور الشقاق بينهم وندخل في نفوسهم الخرافات والاوهام فيضعف شعورهم وتموت عواطفهم . وهذه أحسن الوسائل التي توصلنا الى غايتنا » اه .

كان هذا القرار قطعياً وقد عهد الى ابي مسلم الخراساني بتنفيذه ووضع ابو سلمة الخلال كل ما لديه من المال تحت إمرة هـذا القائد فعمل بكل قواه لمحاربة الامويين وتسليم زمام الملك الى العباسـيين . ولما انقرضت الدولة الاموية وتولى آل العباس الخلافة أرادوا القيـام بالعمل فعلاً والمناداة بالانسلاخ فلم يتمكنوا اذ شعر العباسيون بنواياهم فاتخذوا الوسائط لقسرهم وقهرهم

ولما رأت هذه الفئة ان العباسيين يناوئونهم قلبوا لهم ظهر المجن ورفعوا علم العلوية واثاروا الفتن في البلاد . ولـكن عملهم هذا ايضاً ذهب ادراج الرياح . فقرروا السير في سياسة سلمية وتمكنوا من تسليم مقاليد الامور في المملـكة الى حفنة من رجالهم كالبرمكي ، وقحطبه ، وابن طاهر ، وابن وهب وغيرهم ، وأصبح نفوذ هؤلاء يقضي على المملـكة لولا ان المعتصم اتخذ له بطانة من الاتراك افسدوا عمل الفرس . الا ان همة هؤلاء لم تفتر وبدأوا هـذه المرة يعملون باسم الدين ويدسون السم في الدسم فذهب بعضهم الى الولايات النائية وأعلنوا الاستقلال ، وأسس الآخرون مذاهب جديدة دعوا الناس اليها ومن هـذه المذاهب فرقة الباطنية التي قالت بامامة اسماعيل ابن جعفر الصادق في الظاهر فارسل المبشرون والدعاة الى الاقطار والامصار وذهب منهم حسين الاهوازي داعـية الباطنية الى العراق وخلفه حمدان القرمطي فأسس مذهبه المعروف باسمه كما سيأتي . وقد جرت هـذه الفرق المصائب على الاسلام والخراب والدمار للبلاد

٢ ــ القرامطة

اشرنا فيما سبق الى ان داعية الاسماعيلية أرسل (حسين الاهوازي) مبشراً الى العراق وان حمدان القرمطي خلف حسين في وظيفته وأسس مذهبه المشهور . والآن نأتي على نبذة من تاريخ القرامطة ونشأتهم السياسية :

بينما كان (حسين الاهوازي) داعية الاسماعيلية سائراً في فيافي العراق صادف رجلاً اكاراً يحمـل على بقرته الحنطة فسأله حسين عن الطريق المؤدية الى السواد فاتفق ان كليهما يبغيان طريقاً واحـدة فسارا يتحادثان سوية وشعر الاكار أن رفيقه آتٍ من بلاد بعيدة فقال له :

ــ اظن أنك آت من بلاد نائية . فاركب على دابتي

ــ لا يمكنني ذلك . لانني لم أتلق أمراً يخولني ركوب الدواب

- يظهر أنك مسير
- نعم
- ممن تتلقى الاوامر ؟
- من مدبر اموري واموك بل وامور الدنيا والآخرة
وبعد أن فكر الاكار قليلاً في هذه الكلمات قال :
- ولكن مدبر هذا العالم كله هو الله
- نعم ولكن يفوض ادارة الامور الى من يريده
هنا ساد السكوت قليلا وتابع الرجلان سيرهما الى أن قال الاكار :
- ماذا تبغي من قدومك الى القرية التي سألتني عنها ؟
- اريد كشف سر من اسرار الله امام سكانها . حيث تلقيت الامر بجلب الماء الغزير اليها ، والاموال الطائلة الى أهليها ، وانقاذهم من الاسر والاستعباد ، وجعل كنوز مموليهم مباحاً
- يتضح لي أنك واقف على أمور غريبة عجيبة ، أفلا يمكنك أن تطلعني على بعض اسرارها ؟
- نعم يمكن ولكن بعد اخذ العهد والميثاق
وبعد أن اقسم الاكار اليمين ووثق حسين منه قال له :
- اعلم أن المهدي قريب الظهور وو ....
وقد كان لهذا الحديث وقع حسن في قلب الاكار فدعى رفيقه الى ضيافته فلبي حسين الدعوة وأقام في القرية مدة طويلة كان في خلالها ينشر مذهبه بين الاهلين وهم يقبلون عليه الى أن توفي فخلفه الاكار في وظيفته وهذا الرجل يدعى (حمدان القرمطي) وهو مؤسس مذهب القرامطة واليه تنسب الدولة التي شكلها في السواد والبحرين
تخرج حمدان على استاذه الأهوازي ونشأ عالماً باسرار المذهب وخفاياه، مفادياً في سبيل الغاية التي يصبو اليها
ففي سنة ٢٧٨ التي خلف فيها استاذه وأصبح الحاكم المطلق في قريته دعى الناس الى مذهبه الجديد، فلقي بذره أرضاً خصبة في ضواحي الكوفة ، والتف حوله السواد الاعظم ممن كانوا ناقمين على الحالة التي وصل اليها عظماء الدولة ورجالها من البذخ والاسراف والابهة والجبروت فاستفاد حمدان من الحالة النفسية هذه وطفق يبث

دعوته الجديدة المبنية على مذهب المجوسية (مزدك) فاباح نهب أموال الاغنياء ونكاح النساء ، والفتك برجال الدولة وأعيان البلاد ، والتعرض لسراري الامراء وأولادهم . ولم تمض بضعة أعوام على قيامه حتى عظم شأنه وانتشر ذكره في البلاد وأعلن العصيان والخروج عن الطاعة · ولما توفي خلفه ابو سعيد الجنابي فقوي ساعد شيعته وعظم أمرهم وانتشر مذهبهم في البحرين والسواد والشام وحاصروا البلاد وفتكوا بالعباد - وقد دامت دولتهم هذه نحو مائة سنة كما هو مذكور في التاريخ

٣ ــ مبادىء القرامطة

قلنا ان مذهب القرامطة خليط من المجوسية واليهودية والغاية من مزجهما التشويش وتضليل العقول ، والمطمح الاساسي هو سياسي أكثر منه ديني . ولذلك سنقتصر في بحثنا هذا على تعاليمهم السياسية وهذه أهمها :

١ ــ ان الاله خلق النفس ، فالأله هو الأول والنفس الثاني وهما مدبرا هذا العالم

٢ ــ ان القرآن له معنيان ، باطني وظاهري والأساس هو الباطني

٣ ــ جميع القوانين والحدود والاداب التي وضعت بين الناس .قاضية بالجور مقررة للظلم

٤ ــ تقرب الى الناس بما يميلون اليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم

٥ ــ الفتك بالرجال والنساء والاطفال الذين يقاومون المذهب

٦ ــ اباحة نكاح البنات والاخوات واباحة اللواط

٧ ــ توزيع الاموال والعقارات بصورة متساوية بين الجميع

٨ ــ اباحة شرب الخمر وجميع الملذات

٩ ــ أرسال المبشرين والدعاة الى جميع الأقطار

٤ ــ وجه الشبه بين مذهب القرامطة والبلشفية

اذا قارنا بين تعاليم القرامطة والبلشفية وذلك حسب الاخبار التي يذيعها أعداء البلشفية نجدها كثيرة المطابقة بعضها لبعض · واذا كانت هذه الانباء صحيحة لا يبعد أن تكون تعاليم البلشفية مقتبسة من تلك

ولكن اطلعنا أخيراً على منشور اذاعه لينين في ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٢٠ جاء فيه انه

عقد مؤتمر في باكو حضره مندوبون مسلمون قرروا فيه الانضمام الى البلشفيين وقد قال في آخره : أن البلشفية لا تخالف الدين الاسلامي قط ومطمحها الوحيد هو تحرير الامم من نير الاستعباد الاوربي ومنحها الاستقلال التام ، وهو يدعو العالم الاسلامي الى التضامن والقيام ضد الاستعمار . وهي فكرة حسنة فيما اذا كانت الغاية هذه ليس الا

وقد اوضحنا فيما سلف ان غاية القرامطة الاساسية هي سياسية يراد منها القضاء على ملك العرب واسترداد ملكهم المغصوب. وكذلك نرى البلشفيين انما قاموا لقلب الحكومة الاستبدادية ودك عرش القياصرة واستلام كل شعب زمام الحكم بيده . اذاً فغاية الحزبين واحدة لا فرق بينهما

واذا وقفنا ملياً في صفحات التاريخ العربي ونظرنا الى ما آلت اليه روسيا البلشفية اليوم ظهر أن هذين الحزبين قد انتجا تطورات اجتماعية وسياسية تماثل بعضها بعضاً واليك البيان :

التطورات الاجتماعية : فساد العقيدة الدينية . فساد الحياة المنزلية . انقسام الامة الى فرق وشيع . اضمحلال القوى العاملة . انتشار الفساد . تأخر العمران

التطورات السياسية : الحروب الداخلية . التعديات الخارجية . ضعف الجيش . انحلال المملكة وانقسامها الى ممالك ودول صغرى

هذه هي خلاصة نتائج هذين المذهبين وقد اقتصرنا على ذكر الاهم منها خوفاً من الملل ، فمن احب التفصيل فتاريخ العرب في الماضي وحالة روسيا اليوم أمامه فانهما شاهد عدل على ما نقول والسلام

دمشق « الصحافي المحجوب »

المصادر التي اعتمدنا عليها :

خلاصة تاريخ العرب : سديو ، تاريخ الاسلام : امير علي ، الملل والنحل : ابن حزم ، الشهرستاني ، مقدمة ابن خلدون ، تاريخ الاسلام : دوزي ، دائرة المعارف : البستاني ، وجدي . كتب التواريخ العربية ، تاريخ سقوط العرب (خط) : لصاحب المقالة ، كتاب الفرق بين الفرق : لأبي منصور ، شرح المواقف

قصيدة عصماء

للاستاذ الشيخ عبد المحسن الكاظمي

[الهلال] ننشر فيما يلي مقتطفات من القصيدة العصماء التي ارتجلها الشاعر العربي الصميم الاستاذ الشيخ عبد المحسن الكاظمي في الحفلة التي اقامها وجيه قومه الشيخ عبد القادر باش اعيان العباسي في ١٨ مارس سنة ١٩٢١ في فندق شبرد بمصر لتكريم القائد الباسل جعفر باشا العسكري وزير الدفاع في حكومة العراق

يراع العلا هل انت أدهى وأبصر ... ام السيف أرسى منك قلبا واجسرُ
يراع العلا ان كنت في الامن قادراً ... فان أخاك السيف في الروع أقدر
شقيقان كل منكما ذو علاقة ... بآمالنا ان قيل سنوا وقرروا
يقولون ان العزم لا رأي عنده ... وان أخاه الرأي لا يتهور
ولا رأي ان لم يدعم الرأي ابيض ... يقوّم معوج الزمان وأسمر
وأسعد أوقات المجاهد ساعة ... بها السيف يملي واليراع يسطر
ولا بد من حدين للطالب العلا ... طريرين لا يفريهما من يغرر
فاما يراع يكتب المجد والعلا ... وأما حسام للبلاد محرر
اذا لم تنل عز الحياة بصارم ... ولا قلم فالموت أبقى وأستر

ومنها

ذكرت الاماني والتشاؤم في الورى ... كثير ولكن التفاؤل أكثر
ذكرت الأُلى أعطوا العهود وطبلوا ... باعلانها في المشرقين وزمروا
اذا ما سألناهم وفاء وعودهم ... أداروا علينا عذر من ليس يعذر
وقالوا لنا سيروا لكي تبلغوا المنى ... وقد خندقوا دون الاماني وسوروا

ومنها

سيسمعنا من لم يكن ثم سامعاً ... ويبصرنا من لم يكن ثم يبصر
ويعلم من لا يعلم اليوم أننا ... أباة متى سيموا الهوان تنكروا
ولسنا بني العلياء ان لم نكن لها ... صوارم لا تنبو ولا تتكسر
وليست لنا الاوطان ان لم نكن لها ... مواطن تزهو للفخار وتزهر
نسر لها حيناً ونجهر تارة ... وكل الجوى فيما نسر ونجهر

ورب فتى تأبى التصبر نفسه ولكنه من خشية الموت يصبر
فما هو منا اذ نصول ونصطلي ولا نحن منه اذ يضج ويضجر

ومنها

أبغداد لا فاتتك مني تحية يفسر منها ما أراد المفسر
حنيناً الى تلك البقاع الى التي تطيب الى تلك التي هي أطهر
حنيناً الى الزورا حنيناً الى الصبا حنيناً الى العود الذي هو أنضر
حنيناً الى تلك القرى والى الذي يمشي بهاتيك القرى ويكر
حنينا الى ارض حييت بتربها ويا ليتني في ذلك الترب أقبر
هناك شبابي قد تقضى وها هنا مشيبي وفي الحالين أشكو واشكر
لقد زعموا أني نسيت وانني غدوت بهذي دون تلك افكر
وكيف تراني ناسياً ذكر موطن له مورد في كل سمع ومصدر
لئن غيرت مني الليالي ملامحاً فان الخلال الغر لا تتغير

ومنها

أخا النصح طال العهد بالنصح فابتدر وذكر اذا أدركت من يتذكر
هل الدار تدنو من بعيد فابتني وأبذر فيها أبتنيه وأبذر
وافضل ما يسديه ذو النصح قوله لمن غرس الاخلاق غرسك مثمر
دعوني وجرحي واسبروا غير غوره ويا رب جرح غوره ليس يسبر
فما ساءني في الناس غيري شاعر ولا سرني في الناس أني اشعر
ولكنني أرجو حياة عزيزة أباهي بها بين الأنام وأفخر
ومهما يطل عمر المظالم في الورى فأطول أعمار المظالم أقصر
ستبقى البرايا بين غاد ورائح تئن من البلوى وأخرى تزجر
وفي كل قلب جذوة تلتظي أسى وفي كل عين أعين تتضجر
الى أن يقول الحق هذي حقيقتي وهذا صراطي أيها الناس فاعبروا
فيرضى بحكم العدل من كان ساخطاً ويؤمن بالانصاف من راح يكفر
غفرنا لهم تلك الذنوب لو انهم الى الحق تابوا من ذنوب وكفروا
وكم غفر العادي ذنباً لمعتد على حين ذنب المعتدي ليس يغفر

عبد المحسن الكاظمي

دار الكتب الكبرى

في بيروت

رأيت الكتب كنزاً ليس يفنى فكن في حفظها سامي المكانه
صحاب لا يمل المرء منها وليس لها بمبداه خيانه
تسامره وتوسعه انتفاعاً وكم قد عاضدته بالاعانه
فلولا أنها در ثمين لما ذخرت وربك في الخزانه
فتلك (قلوب أهل العلم) تلقى (لايدي الناس) تحفظها أمانه

ان أفضل ما يعنى به المرء في كل عصر . وخير ما يذخره في كل مصر . كتاب يطالعه فيفيده حكمه . ويزيد في المعارف علمه . فيهديه الى سواء السبيل . ويذكره بكل عمل نبيل . حتى ان الادباء والعلماء على اختلاف مراتبهم . وتباين مشاربهم . ينفقون من آدابهم وعلومهم ما ينفقون . ويستفيدون بالمطالعة أضعاف ما ينفقون . فلذلك كان الانفاق من العلم غير الانفاق من المال . فذاك يزيد الثروة وهذا يفضي الى الاقلال . فلهذا تبارى القدماء والمحدثون في اقتناء المكاتب . وتزيين الخزائن بنفيس المطالب والغرائب . وهاك ما عقدته من قول شيشرون الشهير . برهاناً على ذلك العناء الكبير :

شيشرون قال قدماً حبذا قول النصوح
ان بيتاً دون كتب جسد من غير روح

ولقد كانت مدن سورية القديمة غاصة خزائنها بنفائس المؤلفات . مكتظة مكاتبها بذخائر المخطوطات . ولا سيما الكبرى منها مثل دمشق وحماه وحلب وحمص وبيروت وطرابلس وصيداء وما اليها من العواصم . ولقد قرأت عن مكاتب بيروت القديمة وما اذخر فيها من المصنفات المفيدة ومن نشأ فيها من العلماء الذين تباروا في التأليف والتعريب والنقل ولا سيما أيام كانت (مرضعة الفقه) و (أم العلوم) . ولكن بعض هذه المدائن ثغور بحرية ومهاجمتها في الازمنة القديمة التي اشتعلت فيها نيران الحروب أحقاباً افقدتها كتبها. فلذلك كانت بيروت خالية عصوراً من المكاتب الى أن استعادت نهضتها العلمية فجددت مكاتبها ونشأ فيها من اعتنى باقتناء نوادر الكتب ولكن لم

يكن في المدينة حتى عهدنا الحاضر مكتبة عامة

ومن أهم مكاتب بيروت ما كان في جوامعها وكنائسها وعند علمائها الى ان أسست فيها مدارس كبيرة جمعت مكاتب عظيمة مثل الاميركان والاباء اليسوعيين وفي مكتباتها مؤلفات ذات شأن ولا سيما مخطوطات المكتبة الشرقية لليسوعيين فانها من نفائس المخطوطات ونوادرها . ثم انشئت مكاتب علمائها الاعلام من وطنيين وأجانب مثل مرسلي الاميركان وغيرهم

ثمَّ رغب بعض المواطنين بانشاء مكاتب خاصَّة فكان في مقدمتهم المرحوم الصيدلي مراد بك البارودي فطاف المدن ونشر الاعلانات بشأن غرضه من اقتناء المخطوطات فاحرز منها نصيباً وافراً ولقد زرت هذه المكاتب وعرفتُ ما فيها من الذخائر فكانت المكتبة اليسوعيَّة والبارودية من أنفسها وأكبرها

ولطالما وددتُ مثل غيري ان ينشأ في بيروت مكتبة كبيرة عامَّة تضم شمل ما تفرَّق من المخطوطات وتحوي اضالع خزائنها على نوادر المطبوعات الاوربية والشرقية باللغات العربية والاجنبية على طراز المكتبة الظاهرية في دمشق والخالدية في القدس والاحمدية في حلب وأشباهها . ولكن لم يتسنَّ لهذا العمل الخطير من ينشطه ويبرزهُ الى حيز الوجود على حد قول الشاعر :

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه وليس عليه أن تتم المطالب

ولما استتب الامر للحكومة الافرنسية المنتدبة لادارة شؤون سورية وكل انشاء مكتبة وطنية في بيروت للصديق الاريحي الفيكونت فيليب دي طرازي مؤلف تاريخ الصحافة وعاونه بهذا العمل الصديق الشاعر الياس افندي حنيكاتي وذلك منذ بضعة أشهر . فتوسمت مثل غيري نجاح هذا المشروع . وقصدت بيروت في أواسط شهر أيار (مايو) لمشاهدة معرضها ومكتبتها وهما ضالتي المنشودة فكتبت كلمة في المكتبة التي زرتها لماماً لضيق وقتي فهاك كلمتي :

لقد افرغت الغرفة الكبرى في دار الحاكم الاداري (التي هي المدرسة البروسيانية قديماً) لهذه المكتبة . وهي جيدة الموقع فسيحة البناء تدخل الشمس من نوافذها الكثيرة المشرفة على حديقة المدرسة وبعض أحياء المدينة والبحر مما هو جدير بان يكون مكتبة . وسيضاف الى هذه القاعة الكبرى قاعات أخرى للمطالعة والمحاضرات واستقبال الزوَّار لا تقل عنها جودة موقع ونزهة بصر . وكلها من

شروط المكاتب وحفظ ذخائرها من التلف • فاذا دخلت هذه المكتبة قرأت في صدرها قول الشاعر :

العلم يبني بيوتاً لا عماد لها والجهل يهدم بيت العز والشرف

ثم يقع بصرك على رسوم مشاهير العلماء في لبنان الكبير وكلها مرسومة بالزيت ملونة باقلام مشاهير المصورين مثل القرم وسرور وصلبي مؤطرة (مبروزة) باطر جميلة تبرع بها الياس افندي السيوفي صاحب المعامل الشهيرة في بيروت . فتستعرض منها المشايخ يوسف الاسير وناصيف اليازجي وولده ابراهيم واحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني وولده سليم والحاج حسين بيهم والمطران يوسف داود والكونت رشيد الدحداح وجرجي زيدان وخليل الخوري صاحب الحديقة والسيدة وردة اليازجية تصوير شقيقها الشيخ ابراهيم . وسيزاد على هذه الرسوم كثير غيرها مثل المشايخ ابراهيم الاحدب وابراهيم الحوراني وغيرهما ممن رسومهم تحت العمل أو تحت البحث عنها

ثم تستوقفك الخزائن الجميلة المرتبة بحسب مواضيع الكتب مثل المباحث العامة والعلوم الدينية والاجتماعية واللسانية والطبيعية والعملية والفنون الجميلة وآداب العربية والتاريخ ونحوها . ولها فروع وشعب اخرى مرتبة بحسب حجم الكتب في كل موضوع وهي مربوطة بارقام في معاجم أو برامج مسجلة فيها اسماء الكتب ومواضيعها ومؤلفيها أو ناسخيها وواقفيها وما يتعلق بذلك على طراز عصري معروف في المكاتب الكبرى الاوربية تسهيلاً للمطالعة والمراجعة وضبطاً للعمل

وعدد الكتب التي حنيت عليها ضلوع الخزائن الآن مما أهدي اليها أو ابتيع بالثمن نحو ثلاثة آلاف مجلد ثلثاها باللغة العربية والثلث الآخر باللغات الاخرى الشرقية والاوربية وبينها من المخطوطات نحو مائة وخمسين مجلداً

ومن تلك الكتب المختلفة موسوعات افرنسية ومعاجم كبيرة وكتب علمية وتاريخية وأدبية ولا سيما في الأثريات والفنون

وبينها كثير من نوادر المطبوعات ونفائسها مما يتعذر اليوم الوقوف عليه . فضلاً عن المجاميع المختلفة للرسائل والمجلات

وفي وسط القاعة المناضد المتقنة للمطالعة والمراجعة • فاذا زرت هذه المكتبة تمثلت انك في نزهة فكرية ترغبك بالمطالعة والإكباب على المراجعة وتقصي عنك

السأم لما فيها من المرغبات التي ترتاح اليها النفوس والابصار . فتصرف ساعات كثيرة على كرسيك وأنت سائح في العوالم الارضية على حد قول الامام اليازجي :

فيكون فكرك في البلاد مسافراً   ويكون جسمك ثابتاً لم يذهب

* * *

اما المخطوطات فبينها نفائس على حداثة تأسيس المكتبة وندرة المخطوطات في هذه الايام بخلاف الايام الماضية التي سهل فيها استهداؤها وابتياعها . ومما رأيته فيها : مقدمة الادب في لغة العرب وتمييرها بالفارسي والتركي لبلوغ الارب . ارتشاف الضرب من لسان العرب . تفسير القرآن . الروضة في الفقه . مجمع البحرين وملتقى النيرين . مختصر وقاية الرواية في مسائل الدراية . مجموعة رسائل . جواهر الفقه

وهناك بعض كتب بخط مشاهير العلماء منها :

شرح الفية ابن مالك بخط الشيخ ابراهيم الاحدب

وشرح الفاكهي على قطر الندى ـ بخطه أيضاً

والايضاحات النطقية ـ في المنطق للخوري بواكيم المطران البعلبكي كتبها شاكر شقير اللبناني سنة ١٨٧٨

ومعجم فرنسي عربي ـ بخط حبيب المدور وهو مسودة معجم وضعه ولم يتمه

* * *

هذه مجالي الآن في هذه المكتبة دونتها تعريفاً لها وتنويهاً بعناية مديرها ومعاونه والحكومة وأرباب العلم المصروفة في توسيع نطاقها لتصير مكتبة عظيمة تشهد بغيرة المواطنين على حفظ آثارهم التي يعبث بها بعض الجهلة كما جرى في الحرب العامة حتى قلت متأسفاً :

لعمرك ليس ممتهناً لكتبٍ   وآثار سوى غرٍّ جهول
فقوق (محنطات من جسومٍ)   تعدُّ (محنطات من عقول)

عيسى اسكندر المعلوف
مؤلف تاريخ (الامر الشرقية)
وصاحب مجلة (الآثار)

منازل عجيبة

تغني فيها الكهربائية عن الخدم



مطبخ كهربائي

ان اليوم الذي تقوم فيه الكهربائية بحاجات الانسان المختلفة وتساعد ربة الدار على اتمام واجباتها المتعددة على اهون الصور ليس ببعيد على ما يؤخذ من الاخبار الاخيرة الواردة من اميركا . فقد اطلعنا في أحدث المجلات الاميركية على خبر منازل انشأتها بعض الشركات الكهربائية على نظام تستخدم فيه الكهربائية لجميع الاغراض البيتية فتمكن من الاستغناء عن الخدم اذ تستطيع ربة الدار قضاء اعمالها بكبس أزرار صغيرة أو تحريك ادوات بسيطة . وقد زار هذه المنازل الوف من الناس

وليس استخدام الكهربائية في هذا الباب بالامر الجديد . فكل من عاش في المدن يعرف الاغراض الكثيرة التي تستخدم لها . وانما الجديد توسيع دائرة استخدامها بحيث أصبحت تقوم بمهام المنزل جميعاً . ولا يخفى ان العلماء يتطلعون الآن الى طرق تمكنهم من توليد الكهربائية بلا كلفة عظيمة فتى تم لهم ذلك عم الانتفاع بهذه القوة العجيبة . واليك أنموذجاً من الادوات والاجهزة الكهربائية المركبة في أحد المنازل المستحدثة التي أشرنا الى بنائها فيما تقدم :

قناديل كهربائية ثابتة ونقالة . دفاءة . فونوغراف كهربائي . مكنسة كهربائية (بتفريغ الهواء) . آلة تنشف الشعر . دفاءة الاقدام . تلفون . مسخن للماء في



آلة (كهربائية) لتنظيف الاطباق — آلة (كهربائية) لغسل الثياب

الحمام . مكواة . مجعد للشعر . آلة خياطة . جهاز لصنع القهوة والشاي . جهاز لتحميص الخبز . جهاز لشي اللحم . فرن كهربائي . آلة لتنظيف الاطباق والاواني . آلة لغسل الثياب . آلة لكي البياضات الخ

فيتبين من القائمة المتقدمة شأن الكهربائية في منازل المستقبل . فانها ستكون خير معين لربة الدار وأعظم موفر من وقتها فتتمكن بذلك من الانصراف الى المهام التهذيبية والاعمال الاجتماعية المفيدة

وقد حسب أحد الاحصائيين الاميركيين ان ٩٥ في المئة من نساء اميركا يقمن انفسهن بمهام بيوتهن (والسبب في ذلك احجام الناس عن الخدمة في المنازل وارتفاع الاجور ارتفاعاً فاحشاً) . ولا ريب أن أصعب هذه المهام عليهن تنظيف الاطباق

والاواني . ولذلك اهتم المخترعون منذ زمن في صنع آلة تغني ربة الدار عن أعام هذا الواجب على الصورة الشاقة المألوفة فاخترعوا آلات من اطراز مختلفة لهـذا الغرض وقد نشرنا سابقاً صورة احدى هـذه الآلات . وحسب أحدهم أن معدل مساحة الاطباق التي يجب غسلها وتنظيفها لعائلة متوسطة يزيد على ١٢ فداناً في السنة تقتضي على الطريقة الشائعة عمل ٤٠ يوماً بمعدل ١٠ ساعات في اليوم . فبالآلة المشار اليها آنفاً لا ينفق الا معشار هذا الوقت . وللاستفادة من هذه الآلة يجب اتباع بعض التعليمات كاستعمال الماء الساخن والصابون المسحوق وغير ذلك من التعليمات

ومن افيد الآلات التي تدار اليوم بالكهربائيـة آلة لغسل الثياب وهي تقوم



الآلة التي تستنشق الغبار واستعمالها لتنظيف مكتبة وتنظيف برنيطة

بمهمتها بصورة بسيطة ، وآلة كي الياضات . والمكواة الصغيرة الحجم للثياب ، والمكنسة الكهربائيـة التي تنظف كل ما في البيت باستنشاق الهواء والاوساخ وحملها الى قسم خاص منها تجمع فيه . وهذه المكانس تفيد في تنظيف الحيطان والسجاجيد بل يمكن استخدامها في تنظيف المكاتب والبرانيط وغير ذلك . وميزتها العظيمة هي أنها تجمع الغبار والاوساخ فلا تبعثرها في الهواء كما يحدث أثر الكنس الاعتيادي اذ تنتقل غالباً من الارض الى المفروشات أو من هـذه الى الارض أو تظل سابحة في الهواء وما كان أجدر بها أن تظل ثابتة في اماكنها ...

هذه لمحة في ما ينتظر من التقدم والتحسين في تنظيم المنازل في المستقبل القريب . وان غداً لناظره قريب

التقريظ والانتقاد

مقدمة لدراسة بلاغة العرب

تأليف الاستاذ احمد ضيف المدرس بالجامعة المصرية

« دراسة الآداب العربية بالطرق المعروفة الآن لا تزال حديثة العهد. والادب العربي على سعته وغنائه مشوش مختلط مرتبك ، لا يزال باقياً على حالته الاولى من البساطة والسذاجة في التأليف والجمع . ولم نحرر بعد عقول أدبائنا من قيود الطرق القديمة والانتصار لها . ولا نزال بعد الخروج من القدم خروجاً عليه . ولا نزال نعتقد ان القدماء وصلوا الى أقصى ما يمكن أن يصل اليه العقل البشري من الذكاء والاتقان ، وغير ذلك من ضروب الرضا والارتياح »

بهذه الكلمات افتتح الاستاذ احمد ضيف هذا الكتاب القويم . وهي تنم عن روح المؤلف وأسلوبه بل تكاد تكشف عن مرامي الكتاب وأغراضه . فما لا يقبل الجدل ان ادباءنا مقصرون أشد التقصير من حيث عنايتهم بالنقد الادبي في حين أصبح هذا النقد من أهم أقسام الادب عند الغربيين . وكل من له معرفة باللغات الاوربية ولا سيما الفرنسية يدرك شأنه وأهميته فيها . أما في اللغة العربية فلا نعرف الا بضعة كتب يجوز ان تقارن بكتب النقد الاوربية . هذا ما حدا بالاستاذ احمد ضيف الى ابراز كتابه النفيس الذي لا نغالي اذا وصفناه بكونه خير كتاب صدر في موضوع النقد الادبي الحديث

وقد أراد المؤلف بكلمة « بلاغة » نفس المراد بالادب بحصر المعنى . وأنما فضل كلمة بلاغة لان كلمة أدب عند العرب تتناول أشياء كثيرة لا تعد في عرف النقاد الحديثين أدباً . قال المؤلف : « نحن لا نفهم الادب بهذا المعنى العام . . . لذلك رأينا أن نطلق على الشعر والنثر البليغ ـ وهو ما نقصده من الادب ـ كلمة بلاغة . وتعرف البلاغة حينئذٍ بأنها الكلام الذي يدعو الى الاعجاب من حيث الافتنان في الصناعة » وجاء في مكان آخر « هي الكلام الفني الممتع »

وقد أبان الكاتب شأن البلاغة (الادب) في درس الحياة الاجتماعية لانها مرآة تجلى فيها أحوالها ومجاريها ونزعاتها وبيَّن أيضاً كيف يمكن الاستدلال على طبائع الامم الغابرة والحاضرة بتحليل آثارها الادبية على طريقة النقد الحديث

ولعل أفضل ما في هذا الكتاب شرح المؤلف لمذاهب مشاهير النقاد الفرنسيين ولا سيما مذهب تين القائم على أثر البيئة وخواص الاجناس البشرية وأثرها في العقول، ومذهب برونتيار الذي يعتبر أنواع البلاغة كالكائنات الحية من حيث الانتقال والتطور ، ومذهب جول لمتر الذي لا يعول في النقد الا على الذوق والتأثر الشخصي

وجملة القول ان اللغة العربية كانت في اشد الحاجة الى هذا الكتاب الصالح فستحق واضعه أجمل الشكر والثناء

الشاعر او سيرانو دي برجراك

تعريب السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

ادمون روستان من اشهر شعراء فرنسا المتأخرين ان لم يكن أشهرهم . ورواية « سيرانو دي برجراك » من أشهر رواياته التمثيلية بل أشهرها في رأي كثيرين . فليس من مطلع على الادب الفرنسي الا ويعرف ما لهذه الرواية من المنزلة عند أهله . وهي تمتاز بما حوته من الوصف البديع لخلال شريفة وأخلاق سامية تجسمت في نفس الشاعر سيرانو ولا سيما انها ـ كما قال المعرب ـ « صورت التضحية تصويراً بديعاً . وهي الفضيلة التي أعتقد انها مصدر جميع الفضائل الانسانية ونقطة دائرتها »

وقد اطلع السيد مصطفى لطفي المنفلوطي على هذه الرواية معربة تعريباً حرفياً بقلم الدكتور محمد عبد السلام الجندي وكانت معدة لفرقة تمثيلية . فكان لها اطيب أثر في نفس اديبنا الكبير فرأى أن يتحف بها قراء العربية قال « وقد حافظت على الاصل بتمامه وقيدت نفسي به تقييداً شديداً » وفي ذلك ما يضاعف قيمة الترجمة اذ اصبح من يقرأ التعريب كأنه يقرأ الاصل الفرنسي

وقد جمعت هذه الرواية بين العبر البليغة واللطائف الممتعة . اما العبر فمستمدة من خلق ذلك الشاعر الذي كان « كريماً متلافاً لا يبقي على شيء مما في يده ، وعفيفاً لا يمد يده الى مخلوق كائناً من كان ، وصريحاً لا يتردد لحظة واحدة في مجابهة صاحب

العيب بعينه مهما كانت النتيجة المترتبة على ذلك ، فكان عدو الكاذبين والمرائين والمغرورين والسفلة والمتملقين ، أي أنه كان عدواً للهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها تقريباً كما كانت عدوة له لا تهدأ عن مشاكسته ومناوأته وابتغاء الغوائل له »

وأما اللطائف فدائرة على قباحة خلقه ولا سيما بروز أنفه فقد « كانت بليته العظمى في حياته ومنبع شقائه وبلائه انه كان دميم الوجه كبير الانف جداً الى درجة تلفت النظر وتستثير الدهشة ، وكان يعلم ذلك من نفسه حق العلم ويتألم بسببه تألماً كثيراً لانه كان عاشقاً لابنة عمه « روكسان » الشهيرة بجمالها النادر وذكائها الخارق »

هذا فيما يتعلق بموضوع القصة . أما أسلوبها العربي فلا نزيد في وصفه عن قولنا أنه اسلوب المنفلوطي وكفى

تاريخ مصر السياسي في الازمنة الحديثة

تأليف الاستاذ محمد رفعت استاذ التاريخ بمدرسة المعلمين

من ثمار النهضة المصرية الحاضرة ومن خير ما يتفاءل به المتفائل عناية الشبان والادباء والمتعلمين بتاريخ بلادهم واهتمامهم بكشف القناع عن اسرار السياسة الاوربية في مصر ولا سيما في العهد الأخير . فان هذا القطر الذي هب يطالب بحقوقه لا غنى له عن المستندات التاريخية التي يعتمد عليها ممثلوه المدافعون عن مطالبه للوصول الى اغراضهم . ومما يؤسف له ان تاريخ مصر في الدور الاخير — مع كونه أقرب عهداً الينا من سواه — قلَّ من وقف على اسراره ومخبآته وتطوراته وتنازع العوامل الخارجية والداخلية فيه . وحبذا لو عنيت وزارة المعارف بهذا الدور من تاريخ مصر فمنحته قسماً أوفر من القسم الذي يشغله في برنامج تعليمها . وانه ليسرنا ان نقدم الى قرائنا هذا الكتاب الذي عني بتأليفه الاستاذ محمد رفعت استاذ التاريخ بمدرسة المعلمين السلطانية. فان الجزء الاول منه الذي بين ايدينا الآن (وهو يتناول المدة بين سنة ١٧٩٨ و١٨٤٠) ينم عن عناية الكاتب وشدة اهتمامه في اخراج كتاب على اسلوب حديث يسد الفراغ الذي تشعر به الناشئة المصرية في هذه الايام على الخصوص . وقد اتيح للمؤلف مراجعة مستندات ذات شأن اذ اقام زمناً في انجلترا يواصل الدرس في مكتبة « المتحف البريطاني » ودار « سجلات الحكومة » في

لندن . قال: « ولقد قصدت أن يكون بحثي مستمداً من اصوله الرسمية ومن المصادر الموثوق بها حتى يحوز الصفة العلمية التي تحتمها الجامعات اولا وحتى يتسنى لمصري مثلي يفهم الروح المصرية ان يضع كتاباً مستقلاً في الموضوع بحيث لا يكون جل اعتماده فيه على ما يكتبه العلماء الاوربيون بل على المصادر التي يأخذ عنها هؤلاء العلماء رأساً »

وقد جرى المؤلف على الاسلوب التاريخي العلمي الحديث الذي غايته « الوحدة التاريخية واتجاه السياسة العامة وربط الاسباب بالمسببات واغفال التفاصيل المملة وابداء النقد على حسب الحقائق المقررة لا على حسب ما تمثله العواطف » ففاز بغايته التي رمى اليها وكان جديراً بشكر مواطنيه .وعسى أن يتم هذا الكتاب النفيس قريباً حتى يتيسر للقراء الوقوف على تاريخ مستوف لمصر منذ الحملة الفرنسية الى هذا اليوم

حكايات المهجر

تأليف عبد المسيح حداد

لادباء الجالية السورية في اميركا الشمالية مقام خاص في عالم الادب العصري. واننا نعتقد أنه متى كتب التاريخ الادبي لهذا الجيل سوف يفرد لهم فصل خاص يبين شأن الروح الجديد الذي أدخلوه على اللغة العربية في أساليبها ومعانيها معاً

وبين أيدينا الآن أنموذج جميل من آثار « أدب المهجر » - اذا جازت لنا هذه التسمية - وهو كتاب « حكايات المهجر » الذي وضعه الزميل الاديب عبد المسيح حداد صاحب جريدة السائح النيويوركية . على أن هذا المؤلف الممتع ليس مثالاً طيباً لادب المهاجرين فحسب بل هو أيضاً مجموعة مشاهد تمثل لنا حياة المهاجر السوري في اميركا اجمل تمثيل . ففي هذه الحكايات تتجلى للقارىء العوامل المختلفة التي تتنازع نفس المهاجر وهي على نوعين : ما تأصل فيه من حب للوطن وحنان له ومحافظة على تقاليده من جهة وما اكتسبه من بيئته الجديدة من عادات وآراء حديثة من جهة أخرى - كل ذلك يظهر واضحاً لقارىء هذا الكتاب النفيس الذي هو في الحقيقة مجموعة دروس تحليلية لنفسية المهاجرين في سياق قصص شيقة طريفة

فبقدر افتقارنا الى هذا النوع من الادب نرحب « بحكايات المهجر » ونود لو يجول في هـذا الميدان أدباؤنا في مصر وسوريا . فقد أصبحت المباحث الاجتماعية والتحليلات النفسانية محور الادب عند الغربيين في هذا العصر ولا بد لنا من ولوج هذا الباب اذا شئنا أن ننهض بادبنا نهضة صحيحة

A CHANT OF MYSTICS

& THE PATH OF VISION

by Ameen Rihani

لقد تنازعنا احساسان لدى مطالعتنا هـذين الأثرين البديعين : أحدهما احساس الغبطة ببروز أديب شرقي سوري أتقن اللغة الانكليزية وتبحر في أدبها حتى تيسر له كتابة هذين الكتابين أحدهما شعراً والآخر نثراً فجاءا من مرتبة أدبية عالية جداً بل من الطراز الاول الذي لا ينسج عليه الا نفر قليل من أدباء الانكليز أنفسهم ، والاخر احساس الحزن لكون هـذا الكاتب الاديب — وما هو الا أمين الريحاني الشاعر الفيلسوف — يؤثر الكتابة في لغة أجنبية في حين أن لغته في أشد الافتقار الى آثار أمثاله . لسنا بذلك نلوم الريحاني فقد يكون معظم اللوم على قراء العربية الذين لم يقدموا له من التشجيع والتقدير مثل ما قدم له قراء الانكليزية . وعلى كل حال نود من صميم الفؤاد ألا يهجر الريحاني لغته هجراً تاماً فان له فيها من الآثار ما جعل له مقاماً فريداً سامياً لدى الجمهور العربي

أما الكتابان اللذان نحن بصددهما فاولهما مجموعة أشعار روحانية تصوفية يفوح منها عبق الشرق وأحلامه وخيالاته . والثاني مجموعة مقالات كتبت في أحوال مختلفة في صحف ومجلات أميركية . وكلاهما شاهد ناطق ببراعة كاتبهما وتضلعه من اللغة الانكليزية

المكاتبات

الرجاء الفصل بين ما يخص الادارة والمطبعة وما يخص التحرير . فالاول يعنون باسم « مدير الهلال » والثاني باسم « محرر الهلال »

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء . فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا اصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي ان تذكر مع الاسئلة اسماء مرسليها على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بحرف او بكلمة عند النشر

رابندرانات طاغور

﴿ الاهواز . فارس ﴾ ميرزا ابو القاسم حاجي آقا

نرجو ان تفيدونا عن سيرة الشاعر الهندي الشهير رابندرانات طاغور الذي نال جائزة نوبل

﴿ الهلال ﴾ لهذا الشاعر النابغة ستون سنة من العمر وهو من سلالة اسرة شريفة من الاسر البنغالية . وقد زادت شهرته في العالم الغربي على أثر فوزه بجائزة نوبل الادبية سنة ١٩١٣ . ويروى عنه انه كان في حداثته طائشاً ولم يؤمل أهله منه خيراً . وقد عاش زمناً مع والده في جبال حملايا فتقربت نفسه من الطبيعة ونمت فيه ملكة الشعر من ذلك الحين . وأرسل الى انكلترا لتعلم الحقوق ولكنه لم يلتفت اليها واتبع ميل نفسه فانكب على الشعر وأخذ ينشر آثاره البديعة التي تعد أفضل ما أنتجه عقل شرقي في هذا العصر . وعقيدة طاغور ملخصة في هذه الجملة المأخوذة عن كتب الهندوس المقدسة وهي : « من الحب خلق العالم وبالحب يبقى والى الحب يتجه وفي الحب ينتهي » . ولذلك سمي شاعر الحب . وقد عُني طاغور بانشاء مدرسة مستجمعة لافضل الطرق التعليمية واصح المناهج التهذيبية . فبذل وقته وماله مدة خمس عشرة سنة في هذا السبيل . وفي مدرسته اليوم ٢٠٠ تلميذ وفي مقدمة المبادىء التي تعمل بها تلك المدرسة أنها تترك للتلميذ حريته الشخصية . وقد منح ملك الانكليز طاغور لقب «سير» سنة ١٩١٥ . أما مؤلفاته فكثيرة وكلها مترجم الى اللغات الاوربية مما يضيق المقام عن سرده

الاوزون

﴿ يافا . فلسطين ﴾ عارف البديري

ما هو الاوزون المفيد في تنقية الهواء وما تركيبه ومن أين اتى هذا الاسم ؟

﴿ الهلال ﴾ ليس الاوزون ozone في الحقيقة الا اكسيجيناً كثيفاً فانه لايختلف عنه الا في تركيب جواهره الفردة . وهو مطهّر شديد الفعل. وقد اكتشف للمرة الاولى سنة ١٧٨٥ . أما كلمة اوزون فمشتقة من كلمة يونانية معناها « الشم » فان للاوزون رائحة خاصة بخلاف الاكسجين الذي لا رائحة له

تفسير الاحلام

﴿ القدس الشريف ﴾ س . ط .

اطلعنا في العدد الاخير على مقالة تفسير الاحلام التي علل فيها الكاتب الاحلام بانها مصرف أو منفذ للعواطف والافكار المضغوطة . وقد راق لنا هذا التعليل الجديد المبتكر. على أنه اشكل علينا تطبيقه في تفسير حلم طرأ على أحدنا . فاحببنا أن نستزيدكم ايضاحاً لطريقة التفسير لعلكم تزيلون الابهام الذي يحوم حول هذا الموضوع

﴿ الهلال ﴾ ليس كل ما يطرأ علينا من الاحلام مما يمكن تعليله بسيكولوجياً أي مما يستطاع رده الى عواطف وأفكار في النفس . بل أن القسم الاكبر من الاحلام هو فسيولوجي بحت وتعليله يرجع الى أسباب فسيولوجية لا دخل للعواطف فيها . على اننا قد تناولنا في مقالتنا البحث في الاحلام غير العادية التي تنذر بحالة مرضية في نفس صاحبها. وبهذه المناسبة نروي حلماً مزعجاً طرأ من مدة قصيرة على شخص نعرفه جيداً فكان منذراً بحالة مرضية ينبغي تلافيها . واليكم بيان ذلك ــ حدثنا هذا الشخص قال : « حلمت أني كنت ذاهباً للنوم منهوك القوى فدخلت غرفتي وأوصدت بابها وهممت بنزع ثيابي . فتذكرت اذ ذاك ان عليّ أمراً خطيراً لا بد لي من قضائه قبل الرقاد . على ان هذا الامر كان موقوفاً قضاؤه على شخص أعرفه . فهرولت الى هذا الشخص طلبت اليه الاسراع بقضاء أمري فوجدته يخاطب شخصاً آخر . وقد أعرض عني فكررت الرجاء فاشار اليّ بالانتظار ريثما يفرغ من حديثه . فعدت الى غرفتي وقد تسرب اليأس الى نفسي وما لبثت ان عدت اليه واعدت الكرة فوجدته

منهمكاً بعمل فتوسلت اليه أن يؤجل ما بيده فاعرض مشيراً بالانتظار . فانتظرت الى ان ضاق صدري فقلت : « اذهب الى غرفتي فاعود اليه في يوم آخر » على ان النوم لم يراودني فقلقت ومازال يزداد اضطرابي الى أن نظرت الى الباب فاذا بلص يهم بالدخول خلسة فذعرت واستيقظت مضطرباً »

وبعد الاستفهام والاستقصاء تمكنا من رد هذا الحلم الى منشئه . وهاك ما استخلصناه من صاحب الحلم : كان هذا الشخص مهتماً باصلاح ادارة عمله وتعديل نظامها فكان منكباً على العمل بكليته شاعراً باهمية ما شرع فيه راغباً بانجازه في أقرب وقت . على ان تنفيذ ما نواه من الاصلاح كان موقوفاً على بعض الموظفين عنده ولم يكن عظيم الثقة بكفاءتهم وأمانتهم . فكان من جهة يبذل اقصى جهده لانجاز العمل طلباً للراحة بعده ومن جهة أخرى كانت الشكوك تحوم في ذهنه حول من ولاهم تنفيذ اغراضه . على انه شعر وتيقن انه بالاستسلام الى هذه المخاوف يتلف صحته ويشل يده وفكره فسعى لطردها جهد استطاعته . فيرى القارىء من ذلك ان تردد صاحب الحلم في منامه على من أمل انجاز مراده عن يده يمثل رغبته في اتمام العمل من جهة ومن الجهة الاخرى يمثل قلقه وتخوفه من تقصير معاونيه . ومازال يجسم هذا الخوف في المنام حتى ظهر بصورة لص ش . ز .

النوَر

﴿ واشنطن . بنسلفانيا ﴾ ديب الياس

هل أصل النوَر (الغجر) من الهند وهل هاجروا خلف تيمور السفاح المغولي ثم انتشروا في أوربا . وهل كانوا يسمون قبل ذلك زنكاري Zingari

﴿ الهلال ﴾ لقد ثبت الآن ان النوَر المنتشرين في أقطار عديدة من العالم القديم أتوا في الاصل من الهند بدليل التشابه بين لغتهم واللغة السنسكريتية. واللغات الهندية الحديثة . وقد استدل العلماء على أن طريقهم من الهند كان كما يلي : مروا بأرمينيا فآسيا الصغرى فشبه جزيرة البلقان حيث ظلوا قروناً ثم انتشروا في اوربا . ولا يعلم تاريخ هجرتهم من الهند تماماً . وكان أول ظهورهم في غربي أوربا سنة ١٤١٧ . وللنوَر اسماء مختلفة في اللغات الاوربية منها كلمة Zingari, التي ذكرتموها . وقد سماهم الانكليز Gypsies لانهم كانوا يدعون أنهم حجاج قادمون من مصر

ناظم « يا ليل الصب »

﴿ بيروت ﴾ و . التهامي

قرأت في احد الكتب ان قصيدة « يا ليل الصب متى غده » هي نظم الحصري وفي آخر انها لابن الاياد . فمن هو ناظمها الحقيقي ؟

﴿ الهلال ﴾ ناظم هذه القصيدة الشهيرة هو ابو الحسن علي بن عبدالغني الفهري المقري الضرير الحصري القيرواني الشاعر المغربي الذي ولد في القيروان وتوفي في طنجة سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م)

تعليل اختلاف لون العينين في شخص واحد

نشرنا في الجزء السابع رداً وجيزاً على سؤال في هذا الموضوع وقد اطلع عليه الدكتور شاهين الصلبي الاختصاصي بامراض العيون في بيروت فاحب أن يزيدنا بياناً فتكرم علينا بالرسالة الآتية :

« هي علة خفية تطرأ على القزحية فتمنعها عن اكتساب الكمية الطبيعية من اللون فتتميز العين المصابة بمقابلتها بالعين السليمة . اما اذا كانت العينان مصابتين بهذه العلة فتسهل معرفة ذلك بمقابلتهما بلون الشعر لان لون الشعر يجانس لون القزحية على الغالب

« تبتدىء هذه العلة قبل الولادة أو بعدها تماماً فلا يشعر المصاب بها بسوء ولا تختلف العين الواحدة عن الاخرى الا بذلك النقص في اللون . ولكن لدى الفحص الدقيق يرى الناظر بالمنظار رواسب خفيفة لاصقة بجافة الحدقة دلالة على التهاب مزمن ألمّ بالعين القليلة اللون منذ الولادة . وهو يستمر حتى الشيخوخة وينتهي غالباً بالماء الازرق . ويُستدل من مباحث الدكتور فوكس النمساوي الاختصاصي الشهير بامراض العيون ان هذه العلل الثلاث تلازم بعضها بعضاً اي التهاب المشيمية مع الزوائد الهدبية والماء الازرق والامتناع عن اكتساب لون القزحية . فالالتهاب المذكور يمنع القزحية عن اكتساب لونها الطبيعي ويكمد لون العدسية فتفقد شفوفها وتصاب بالماء الازرق . أما سبب هذا الالتهاب فهو خلقيّ وراثيّ أو مرضيّ لا طبيعي »

الدكتور شاهين الصلبي